



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة محمد خيضر-بسكرة  
كلية الآداب واللغات  
قسم الأدب واللغة العربية



# رسائل محمد البشير الإبراهيمي - دراسة أسلوبية فنية -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د) في الأدب واللغة العربية.  
تخصّص: الأدب العربي المعاصر.

إشراف الأستاذ الدكتور:

جمال مباركي

إعداد الطالب:

سليم بن حملة

اللجنة العلمية المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصّفة
عبد الرحمن تيرماسين	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	رئيسا
جمال مباركي	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
لقمان شاکر	أستاذ التعليم العالي	جامعة أمّ البواقي	مناقشا
حميد قبایلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة أمّ البواقي	مناقشا
رضا معرف	أستاذ محاضر - أ -	جامعة بسكرة	مناقشا
آسيا جريوي	أستاذ محاضر - أ -	جامعة بسكرة	مناقشا

العام الجامعي:

1443/1442 هـ

2022/ 2021 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# شُكْرٌ وَعِرْفَانٌ

الحمد لله الذي وفقنا إلى ما نسعى للوصول إليه.

يشرفني ويسعدني أن أدون في هذه الصفحة أسمى وأخلص العبارات وأصدق الكلمات شكرا وعرفانا بفضائل أستاذي الكريم، الأستاذ الدكتور: جمال مباركي الذي كان سببا في ميلاد هذا البحث، وفي تلقي ملاحظاته القيمة؛ فكان نعم المصحح والمدقق والموجه، بما بذله من الجهد والوقت في التصويب، وتتبع مراحل نمو هذا البحث حتى استقام على الصورة التي هو عليها.

كما يطيب لي أن أرف شكري وامتناني لإدارة قسم الآداب واللغة العربية وموظفي المكتبة بجامعة محمد خيضر بسكرة.

الطالب: سليم بن حملة



الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا. وبعد:

إنّ المتنبّع لحركة فنون النثر الأدبيّ لدى العرب كالخطابة والرّسالة والوصايا، يلحظ دون أدنى شكّ تطوّرها الّلافت عبر العصور، وخاصّة في القرون الأولى من الخلافة الإسلاميّة، أين أصبح الكُتاب يتمتّعون بالاحترام والتّقدير، ويحضون بالمكانة الرّفيعة لدى الخلفاء والملوك والأمراء.

ومع مرور الزّمن بدأ فنّ التّرسل يتقهقر، ويتراجع مستواه بفعل الانحطاط الذي أصاب الدّولة وتكالب القوى المعادية لضعضة كيانها، فأصبحت اللّغة ضعيفة، والأسلوب ركيكا، وقلّ كُتابه بشكل لافت.

وعلى الرّغم من المقولة المشهورة في تراثنا العربيّ " بدأت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد"، وأنّهم فنّ التّرسل بعدهما بالضعف والإسفاف، إلّا أنّ العلامة الجزائريّ محمّد البشير الإبراهيميّ دحض هذه المقولة، وأثبت عدم صحّتها، حين تمكّن من الوقوف على مكامن الثراء الفنّي في هذا الجنس الأدبيّ النثريّ الموغل في القدم، وأبدع في كتابته شكلا ومضمونا، وترك فيه رصيذا لا يستهان به ضمن مصادر النثر الأدبيّ العربيّ الحديث، ولهذا وقع اختيارنا على هذا الرّصيد ليكون مصدرا من مصادر بحثنا، ومدوّنة نضعها على طاولة التّحليل لدراستها أسلوبيا، وبيان قيمتها جماليا وفنّيا في دراسة اخترنا أن يكون عنوانها موسوما بـ " رسائل محمّد البشير الإبراهيميّ - دراسة أسلوبية فنّية-".

**أهميّة الموضوع:** لم يكن من الإنصاف ترك رسائل محمّد البشير الإبراهيميّ منسيّة في مظانّها دون دراسة، وإذا كان اهتمام الباحثين بمقالاته وحُطبه حاز أغلبيّة الجهود، فقد رأينا من واجب الوفاء لهذا الرّجل الأديب الأريب أن نُخرج إبداعه ونتاجه الأدبيّ ليرى النّور، ويطلّع عليه النّاس. وتأتي أهميّة البحث من رحم أهميّة الرّسائل، إذ يعدّ فنّ التّرسل

من أهمّ الفنون النثرية العربية مكانةً، وأكثرها ثراءً، وأصدقها تعبيراً عن ظروف وأحداث العصر الذي كتبت فيه.

### إشكالية البحث:

لقد وقع اختيارنا على هذا البحث من بين عدّة مباحث أخرى لنحاول الغوص في أغواره، والإجابة عن بعض الأسئلة الموضوعية التي ستكتنفها محاور الدراسة. ولعلّ أهمّ التساؤلات التي تشكّل ماهية بحثنا يمكن تلخيصها فيما يلي:

1 - ما أهمّ الرسائل التي تركها محمدّ البشير الإبراهيمي؟ وما هي أنواعها؟

2 - ما العوامل الموضوعية التي صنعت القوّة اللغوية، والمتانة الأسلوبية، والعبارات

الجزلة في رسائل الإبراهيمي؟

3- ما الصّور البلاغية والفتية التي اشتملت عليها رسائل الإبراهيمي؟

4 - ما أهمّ الدلالات التي يمكن استخلاصها من البنى الانفرادية، والبنى التركيبية، وغيرها

من المستويات في الخطاب الرسائلي للإبراهيمي؟

5- كيف بنى الإبراهيمي رسائله؟ وما المواضيع التي عالجها؟

### أهداف الدراسة:

حاول الباحث قدر المستطاع أن يحقّق من خلال هذا البحث جملة من الأهداف، لعلّ

أهمّها:

- نفض الغبار عن فنّ التّرسّل لدى العلامة محمدّ البشير الإبراهيمي.

- جمع رسائل الإبراهيمي، وجعلها في ملحق، لينتفع بها القارئ العربيّ عامّة،

والقارئ الجزائريّ خاصّة.

- الرّغبة في استنطاق فنّ الرسائل بوجه عامّ، وتقديم دراسة أسلوبية فنية لرسائل

العلامة البشير الإبراهيمي بوجه خاصّ.

- تبيان القيمة الجمالية للتعبير اللغويّ، والبلاغيّ، والتّصويريّ الذي انطوت عليه

رسائل محمدّ البشير الإبراهيمي.

## من دوافع الاختيار:

الحقيقة أنّ هناك مجموعة من الأسباب والعوامل تضافرت مع بعضها البعض، وجعلتني أنكبّ على اختيار هذا الموضوع، منها:

- محاولة إبراز شخصية البشير الإبراهيمي الأدبية في فنّ التّرسّل وتفوّقه فيه.  
- إثبات عدم صحّة القول إنّ الإبراهيمي لم يتفوّق إلّا في فنّي المقالة والخطابة، وإنّه لم يترك سوى رسالتين عامّتين، وأنّ الرّسائل الخاصّة لا يكاد الباحثون يعرفون عنها شيئاً!  
"على رأي عبد الملك مرتاض".<sup>(1)</sup>

- الكشف عن الجوانب الأسلوبية والأدبية والبيانية والإيقاعية الرّائعة في رسائل الإبراهيمي.

- شحّ الدّراسات التي تناولت رسائل الإبراهيمي بالبحث والدّراسة في الأطارح الأكاديمية.

- جمع رسائل الإبراهيمي المتنوعة ليطلّع عليها الباحثون، ويكتشفوا محتواها، ويستمتعوا بجواهرها المكنونة.

من هنا فإنّ أهميّة الدّراسة تكمن في حاجة المكتبة العربيّة، والجيل الحاليّ، واللاحق إلى هذا النوع من الدّراسة لإتاحة الفرصة للتّعرفّ على قامّة جزائريّة من أعظم قامات الوطن العربيّ، والاطّلاع على الرّصيد اللّغويّ والبلاغيّ الذي تركه الإبراهيمي من خلال رسائله المطمورة.

## الدّراسات السّابقة:

الحقيقة أنّنا سعينا جادّين في تناول موضوع بحثنا، وحاولنا تتبّع الدّراسات السّابقة التي تناولته بالدّراسة و البحث- أو على الأقلّ- تناولت جانبا من جوانبه، ومن خلال زيارة بعض المكتبات والمواقع الإلكترونيّة، لم نعثر فيما صادفنا على أطروحات جامعيّة، أو كتب أكاديميّة عالجت الموضوع وجلّ ما وجدناه عبارة عن دراسات مالت إلى البحث

<sup>(1)</sup> ينظر، عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)، سنة 1983، ص: 307.

في مقالات الإبراهيمي وخطبه، في حين قلة قليلة منها تطرقت لرسائل الإبراهيمي، واهتمت بدراستها، والبحث فيها في شكل مقالات فحسب؛ وربما يرجع السبب - كما ذكرنا- إلى عدم التفات الباحثين إلى تلك الرسائل، وإيلائها ما تستحق من دراسة واهتمام، ورغم ذلك تبقى شخصية الإبراهيمي من بين أبرز الشخصيات الأدبية التي حظيت بالتوقير والإشادة، وحظي نثره الفني بالتناول والدراسة.

ومما يلاحظ على تلك الدراسات أنها لم تخص رسائل الإبراهيمي بالبحث المستفيض والتعمق الوافي، اللهم ما كتبه بعضهم، في جزء يسير من الرسائل العامة تحديدا نذكرهم فيما يلي:

- عبد الملك مرتاض في كتابه فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954)، عن رسالة الإبراهيمي "مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة"، نشره ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة (1983).

- وما كتبه عبد الملك بومنجل عن الرسالة نفسها في كتابه "النثر الفني عند البشير الإبراهيمي نشرته بيت الحكمة، العلمة (الجزائر)، سنة (2009).

- وما كتبه عبد الجليل مرتاض (جامعة تلمسان) عن الرسالة المشهورة الموسومة بـ (رسالة الضب) بعنوان: التناص في رسالة "الضب" للبشير الإبراهيمي، سنة (2011م).

- وما كتبه جليخي بلقاسم (جامعة الجلفة) من مقال درس فيه بعض الرسائل بعنوان (الترباط المفهومي في رسائل محمد البشير الإبراهيمي، دراسة لآلية السياق ونظرية الأفعال الكلامية) نشره في مجلة تنوير، العدد الأول، جامعة زيان عاشور، الجلفة، السنة: 2018م، ص: 110-123.

- وما كتبه سلاف بوحراشي من مقال بعنوان (التناص وتجليات الأسلوب في رسائل الإمام محمد البشير الإبراهيمي)، تم نشره في مجلة، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة/الجزائر، سنة (2016)، ص: 123-144.

## مصادر ومراجع تناولت جوانب من الموضوع:

لا يمكن لي أن أنكر إفادتي من الأبحاث السابقة عبر العصور المختلفة عن فنّ التّرسل، ممهّدة لبحثنا الواسع، الذي أرجو أن يكون حلقة تضاف إلى حلقات أخرى اهتمت بأدب البشير الإبراهيمي. وقد حاولت الاتكاء على بعض المصادر والمراجع القديمة والحديثة كان لها الأثر الواضح في إنجاز هذا البحث، حيث أفدت من كتب البلاغة العربيّة وكتب الرسائل، وكتب النّحو والصّرف، وكتب الدّراسات الأسلوبية، قديمها وحديثها، وكتب علم الأصوات، وبعض الدّراسات الأخرى في مقالات الإبراهيمي للتّشابه الكبير بينها وبين الرسائل. وقد تتوّعت المصادر والمراجع التي أمّدت البحث بالمادّة العلميّة التي يحتاجها منها:

كتاب الصّناعتين لأبي هلال العسكري، والمثل السائر في أدب الكاتب لابن الأثير، والإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، والبيان والتبيين للجاحظ، وأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، وصبح الأعشى في كتابة الإنشا لأبي العباس الفلقشندي، والعمدة في صناعة الشّعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني، ومفتاح العلوم للسكاكي، والشّعر والشّعراء لابن قتيبة، والطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلوي اليمني، وغيرها.

ومن المراجع الحديثة أفدت من كتاب آثار الإمام نعمد البشير الإبراهيمي لأحمد طالب الإبراهيمي، ومن كتاب علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته لصالح فضل، ومبادئ علم الأسلوب العربي لشكري محمد عياد، واللغة والأسلوب لعنان بن نريل، والصورة الفنيّة في المثل القرآني لمحمد حسين علي الصّغير، والصورة الفنيّة معياراً نقدياً لعبد الإله الصّانغ، والأسلوب لأحمد الشّايب، والأسلوب والأسلوبية لبيير جيرو- ترجمة منذر عياشي، والبلاغة والأسلوبية لمحمد عبد المطّلب، والأسلوبية والأسلوب لعبد السلام المسدي، والأسلوبية ونظرية النّص لإبراهيم خليل، وجواهر البلاغة لأحمد الهاشمي، وعلوم البلاغة والبيان والمعاني والبديع لأحمد مصطفى المراغي، والبلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع لفضل حسن عباس...

كما أفاد البحث من بعض الرّسائل الجامعيّة ذات الصّلة، نذكر منها:

- فنّ الرّسالة في العصر المملوكيّ، دراسة تحليليّة، الجامعة الإسلاميّة غزّة، الطّالبة: رشا فخري النّحال، رسالة ماجستير، إشراف عبد الخالق محمّد العفّ، سنة: 2013-2014م.

- الرّسائل الوصفيّة في العصر المملوكيّ الأوّل، رسالة ماجستير، الطّالب: عاهد طه عبد اللّطيف عيال سلمان، إشراف الدّكتور سمير الدّروبي، جامعة مؤتة، 2007.

- أدب الرّسائل في العصر الأيوبيّ، القاضي الفاضل أنونجا، أطروحة دكتوراه، الطّالب، سلطان عبد الرّؤوف الحريريّ، إشراف الدّكتور علي أبو زيد، جامعة دمشق، سوريا، 2014م.

**المنهج المتّبع في الدّراسة:** لقد وقع اختيارنا على المنهج الأسلوبيّ لتناسبه مع محتوى فنّ التّرسّل وموضوع بحثي من خلال الدّراسة الأسلوبية وآلياتها التي تدرس مكوّنات الأسلوب، كما اعتمدت على المنهج الفنّي لأدرس أدوات التّشكيل الجماليّ التي استخدمها شيخنا ببراعة كاللّغة والبيان والبديع والموسيقى.

ولكي أحقق ذلك فقد عكفت على جمع هذه الرّسائل وترتيبها، وحتّى تتحقّق أهداف هذا البحث فقد انتظمت هذه الدّراسة على مقدّمة، وأربعة فصول مسبّقة بمدخل، ومنتهيّة بخاتمة وملحق على النّحو التّالي:

- **مقدّمة:** اشتملت على إشارة لفنّ الكتابة التّثريّة وبخاصّة فنّ التّرسّل، ومكانته عند البشير الإبراهيميّ الجزائريّ، وأهميّة الموضوع والدّراسات السّابقة النّادرة، وخطّة الدّراسة ومنهجها.

- **المدخل:** تناولنا فيه فنّ التّرسّل عند الشّيخ العلامه محمّد البشير الإبراهيميّ في ثلاثة مباحث: خصّصنا الأوّل منها لمفهوم التّرسّل والنّشأة والأنواع، وخصّصنا المبحث الثّاني للعرب وفنّ التّرسّل عامّة، وفنّ التّرسّل في الجزائر خاصّة، وأفردنا المبحث الثّالث لرسائل الإبراهيميّ، من حيث أنواعها وموضوعاتها، وبنائها، مختتمين بالقيمة الفنّيّة لتلك الرّسائل.

- **الفصل الأول:** عرضنا فيه للأسلوب والأسلوبية في مبحثين، اشتمل المبحث الأول على مفهوم الأسلوب بين العرب والغرب وأهمّ رواده؛ بينما عالجنا في المبحث الثاني مفهوم الأسلوبية، ونشأتها وأشهر روادها عند الغرب وعند العرب، بالإضافة إلى أهمّ اتجاهاتها، ومداخل ومحددات التحليل الأسلوبي.

- **الفصل الثاني:** وقد خصّصناه لدراسة المستوى الصوتي في رسائل الشيخ الإبراهيمي في ثلاثة مباحث: تناولنا في المبحث الأول الإيقاع والأصوات؛ بينما تناولنا في المبحث الثاني التكرار وتجلياته، وفي المبحث الثالث عالجنا الجناس (التجنيس)، وأبرزنا بعض جمالياته ومظاهره في جزء من تلك الرسائل المختارة.

- **الفصل الثالث:** تناولناه في مبحثين، خصّصنا الأول منهما لدراسة المستوى الصرفي في بعض رسائل الشيخ الإبراهيمي، من حيث دراسة أبنية المشتقات (اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة صيغ المبالغة، واسم التفضيل).

أما المبحث الثاني فقد عالجنا فيه المستوى النحوي التركيبي في رسائل الشيخ الإبراهيمي، وقد ضمّناه: المعجم اللغوي (اللغة)، ومستويات الألفاظ، وغرابة اللغة، وبنية الجمل في تلك الرسائل، وكذا دراسة الأساليب من خبر وإنشاء، وتقديم وتأخير.

- **الفصل الرابع والأخير:** فقد تناولنا فيه دراسة المستوى البلاغي في رسائل الشيخ الإبراهيمي في مبحثين: عالجنا في الأول منهما (السمات التصويرية في رسائل الشيخ الإبراهيمي) من خلال دراسة التشبيه، الاستعارة، الكناية، المجاز، والتناص؛ بينما في المبحث الثاني تناولنا (السمات البديعية) حيث تطرقنا فيه للسجع، والطباق، والمقابلة، والموازنة في بعض الرسائل، مختتمين بسحر البيان وفرادة الأسلوب عند الشيخ الإبراهيمي.

- **الخاتمة:** وقد أنهينا الدراسة بخاتمة تضمّنت خلاصة ما توصلنا إليه، كما تضمّنت النتائج المستخلصة من خلال تناول مواضيع رسائل الإبراهيمي، وتقييماً للدور الإيجابي الذي لعبته محتوياتها في مختلف الميادين: الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية والإنسانية. كما ذيلت بحثي بملحق عن عدد من رسائل الإبراهيمي التي استطعنا جمعها، وملحق عن قائمة بأسماء الأعلام وقائمة أخرى تضمّنت ثبنا للمصادر والمراجع، وفهرسا للموضوعات.

## الصعوبات المعترضة للبحث:

وقد شابت عملية البحث بعض العراقيل، وواجهتُ طريق إنجاز هذه الدراسة صعوبات جمة ككلّ بحث؛ كانت سببا في عدم الإتيان على كلّ الرسائل ودراستها دراسة وافية تليق بمقام صاحبها العلامة البشير الإبراهيمي. ويمكن تلخيص أهمّ هذه الصعوبات التي اعترضت سبيل البحث وحصرها فيما يلي:

- الرصيد الكبير من الرسائل التي تركها الإبراهيمي وكثرتها على اختلاف أنواعها مع ضغط الوقت وكثرة الواجبات والالتزامات.

- شحّ المراجع التي تناولت رسائل الإبراهيمي بالبحث والدراسة.

- صعوبة ترجمة بعض الرسائل المخطوطة إلى خطّ النسخ وصعوبة قراءة بعضها.

- عدم إمكانية الوصول إلى بعض الشخصيات التي تملك شيئا من وثائق العلامة الإبراهيمي على الرغم من المحاولات المتكررة.

- تعذّر التنقّل إلى العواصم التي عاش فيها الإبراهيمي، والتي يُحتمل العثور فيها على بعض الرسائل كالسعودية، دمشق، مصر، باكستان، وفرنسا...

- تعذّر العثور على مراجع جديدة تناولت الأسلوب والأسلوبية لإسقاطها على المدونة بعيدا عن النمطية.

- استحالة العثور على الرسائل التي كان يبعث بها الإبراهيمي من منفاه بأفلو...

- تشعب الدراسة الأسلوبية والفنية ومحاولة إسقاطها على عشرات الرسائل.

ولست أزعم البتّة أنّ محاولتي بلغت الغاية، وأنها أتت على كلّ شيء، وأحاطت الرسائل من كلّ جانب، فذلك أمر لا يدّعيه إلاّ معجب بنفسه مغرور. فعدد الرسائل كثير، ومحتواها طويل، وعناصر دراستها متنوّعة ومتشعبة، وحسبي أنّني وضعت يدي على جزء يسير منها؛ معترفا بقصوري وتقصيري حيال إنتاج زخارٍ لعملاق في حجم محمّد البشير الإبراهيمي. وعسى أن يقيض الله من يكمل النقص ويوسع البحث أكثر.

وأخيرا لييسمح لي أستاذي الكريم المشرف الأستاذ الدكتور جمال مباركى أن أتوجه إليه بأسمى عبارات التقدير والاحترام والتبجيل لقبوله الإشراف على أطروحتي، وعلى ما منحني من وقته الثمين وتزويدي ببعض المراجع ذات الصلة بالبحث، وما بذله من جهد مضمّن في المتابعة والتصويب والتوجيه والتّحريض، وقد كانت لنصائحه وتوجيهاته القيمة وملاحظاته السديدة التي صاغت حدود هذه الدراسة التي كان لها أثرها الطيب في تقويم البحث وتصويبه، حتّى رأى النور على هذه الصّورة.

والى الأساتيد الأفاضل أعضاء اللّجنة المناقشة الذين تكرّموا بقبول قراءة البحث ومناقشته وتقويمه وتصويبه، أتوجه إليهم بأسمى التّحايا والاحترام، وأخلص عبارات الشّكر والامتنان على الجهد المبذول خدمة لهذا العمل.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشّكر الجزيل لكلّ من أمّدي بالعون، وساعدني في إنجاز هذه الدّراسة وأخصّ بالذكر الأستاذ الدكتور بوحوش مرجانة- رحمه الله - من جامعة العربي بن مهدي بولاية أمّ البواقي، والدكتور علاوة ناصري من جامعة العربي التّبسي بولاية تبسة، والدكتوران الطيب رزقي وخامر عبد الحفيظ من جامعة منتوري بولاية قسنطينة على مساعدتهم، وتزويدي بالمصادر والمراجع النّافعة، وتشجيعهم لي، وسؤالهم المستمر عن مسار البحث.

وفي الختام، أسأل الله -جلّ جلاله- التّوفيق والسّداد إنّ أصبت، والمغفرة إنّ زللت، فهذا جهد المقلّ، وحسبي أنّي حاولت واجتهدت، وما توفّيقى إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الطالب: سليم بن حملة

المدخل

فنّ التّرسل عند العرب

مفاهيم وأبعاد

# المدخل

## فنّ التّرسّل عند العرب: مفاهيم وأبعاد

أولاً / فنّ التّرسّل: النّشأة، المفهوم والأنواع.

1. مفهوم التّرسّل

2. أنواع الرّسائل

ثانياً / العرب وفنّ التّرسّل.

1. طرق وأنواع التّرسّل عند العرب

2. نماذج من رسائل العرب

3. فنّ التّرسّل في الجزائر

ثالثاً / رسائل الشّيخ محمّد البشير الإبراهيميّ

1. أنواع الرّسائل عند الشّيخ الإبراهيميّ

2. موضوعات الرّسائل عند الشّيخ الإبراهيميّ

3. بناء الرّسالة عند الشّيخ الإبراهيميّ

4. القيمة الفئتيّة لرسائل الشّيخ الإبراهيميّ

## أولاً/ فنّ الترسّل: المفهوم، النشأة والأنواع:

أبدع العرب كثيراً في فنّ الترسّل وأولوها الأهميّة التي تليق بها، وخصّصوا كُتاباً لهذا الغرض فدبّجوا الرّسائل والوصايا وتبادلوها فيما بينهم بشتّى الطّرق. فما مفهوم الترسّل؟

## 1- مفهوم الترسّل:

## أ- الترسّل لغة:

الرّسائل أو الترسّل من أشهر الصناعات الإنشائيّة، التي كانت تشكّل نوعاً بارزاً في قائمة الأنواع الأدبيّة، المرتبطة بالحضارة الإسلاميّة، حيث كانت تصوغ محتويات الأدب الإسلاميّ القديم، وحوالج النفوس عبر العصور المختلفة من تاريخ الأدب العربيّ.

ونظراً لهذه الشّهرة الواسعة، فقد فسح المجال لعديد من اللّغويين الذين اهتمّوا بتعريف هذا الفنّ، ومن أبرزهم صاحب (لسان العرب) الذي أورد المعنى اللّغويّ للكلمة قائلاً: "الإرسال: التّوجيه، وقد أرسل إليه والاسم الرّسالة والرّسول والرّسيل...، والرّسول بمعنى الرّسالة يُؤنّث ويُذكّر، والرّسول معناه في اللّغة الذي يتابع أخبار الذي بعث." (1)

أمّا صاحب (مختار الصّحاح) فيقول: "رأسله مرّاسلةً فهو مرّاسلٌ ورّسيلٌ. وأرّسله في رسالة فهو مرّسلٌ ورّسولٌ، والجمع رُسل (بتسكين السّين وضمّها)، والرّسول أيضاً الرّسالة." (2)

أمّا صاحب كتاب (نقد النثر) فيقول: "الترسّل من تراسلت أنرسلُ ترسلُ وأنا مترسلٌ، ولا يقال ذلك إلاّ لمن يكون فعله في الرّسائل قد تكرر، ورأسلَ يرأسلُ مرّاسلةً فهو مرّاسلٌ، وذلك إذا كان هو ومن يرأسله اشتركا في المرّاسلة، وأصل الاشتقاق في ذلك، أنّه كلامٌ يرأسلُ به، من بعدَ ومن غاب، فاشتقّ له اسم [الرّسالة] الترسّل والرّسالة من ذلك." (3)

## ب- الترسّل اصطلاحاً:

فنّ من فنون النثر القوليّة، عرفه العرب منذ القدم، وهو مثل فنون النثر الأخرى (القصة، المسرحيّة السيرة الدّاتيّة...) له خصائصه المميّزة التي تجعلها فناً قائماً بذاته. وهي تسميّة واسعة لأيّ نصّ موجّه إلى أفراد أو جماعة. وقد تكون الرّسالة رسميّة وجادّة في نغمتها، غير شخصيّة، أو تكون تعبيراً ذاتيّاً خاصاً أو بين الأمرين.

(1) ابن منظور: لسان العرب، (مادة رَسَل)، ج15، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1419هـ - 1999، ص: 183-284.

(2) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصّحاح، مكتبة لبنان، (دط)، سنة 1989، ص: 242.

(3) قدامة بن جعفر: نقد النثر، تح: طه حسين وعبد الحميد العبادي، مطبوعات كلية الآداب، مصر، ط15، 1983م، ص 95.

ويقول آخرون: إنّ الرّسالة هي أولى وسائل الاتّصال بين النّاس عن بعد، تلبية لحاجاتهم العلميّة أو النّفسيّة أو الفكريّة. وهي فنّ نثريّ يقوم على مخاطبة غائب أو بعيد. ولعلّ الأصل اللّغويّ لهذه الكلمة يدلّ على هذا المعنى. " فالترسّل من ترسلت أترسل ترسلًا. وأنا مترسل. يقال ذلك لمن يكون فعله في الرّسائل قد تكرر. كما لا يقال تكسر إلاّ لمن تردّد عليه الفعل في الكسر، ويقال لمن فعل مرّة واحدة أرسل، يرسل إرسالًا، وهو مرسل، والاسم الرّسالة، أو راسل يرسل مراسلة، فهو مراسل، وذلك إذا كان هو من يرسله قد اشتركا في المراسلة، وأصل الاشتقاق في ذلك أنّه كلام يرسل به من بعد أو غاب، فاشتقّ له اسم التّرسّل والرّسالة من ذلك." (1)

**وللرّسالة معنيان: أصليّ واصطلاحيّ، الأوّل يستفاد منه أنّ الرّسالة هي الكلام أو الخطاب الذي يوجّه إلى الغير، أمّا من حيث المعنى الاصطلاحيّ فالرّسالة تصبح دالّة على البحوث أو الدّراسات العلميّة التي تتناول قضايا محدّدة في اللّغة، أو الأدب أو الفقه أو الفلسفة أو غيرها من المجالات، وفي هذا الإطار يقول صاحب "صبح الأعشى": الرّسائل هي جمع رسالة، والمراد بها أمور يرتبها الكاتب، من حكاية عدوّ أو صديق، أو مدح وتقريض أو مفاخرة بين شيئين، أو غير ذلك ممّا يجري هذا المجرى وسُمّيت رسائل من حيث أنّ الأديب المنشئ لها ربما كتب بها إلى غيره، مخبرًا فيها بصورة الحال مُفَتِّحَةً بما تُفتتح به المكاتبات، ثمّ تُوسّع فيه فافتتحت بالخطب وغيرها..."** (2)

## 2- أنواع الرّسائل:

تعدّدت أنواع الرّسائل على مرّ العصور، وتنوّعت أشكالها مع تنوّع وتطوّر أنماط الحياة وفق حاجيات البشر، مع محافظتها أحيانًا على شكلها القديم، لكنّها تأخذ أضربًا عديدة، نذكر منها:

### 1-2 الوصايا:

وهي فنّ قديم عرفه العرب منذ العصر الجاهليّ كوصية ذي الأصبع العدوانيّ<sup>(\*)</sup> (ت 21ق.هـ/ 602م) لابنه أسيد، فقد ورد أنّه "لما احتضر «ذو الأصبعُ العُدوّانيّ» دعا ابنه «أسيدًا» فقال له: يا بُنَيَّ إنّ أباك قد فَنِي وهو حَيٌّ، وعاش حتّى سنِم العيش، وإني مُوصيك بما إن حَفِظْتَهُ بَلُغْتَ في قومك ما بَلُغْتَهُ، فاحْفَظْ عَنِّي، ألنّ جَانِبِكَ لِقَوْمِكَ يَجِبُوكَ، وتواضَعْ لَهُم يَرْفَعُوكَ، وابسُطْ لَهُم وَجْهَكَ يُطِيعُوكَ، ولا

(1) ماهر شعبان عيد الباري: التذوق الأدبي، دار الفكر، عمّان، ط3، 2011، ص: 61.

(2) الفلقشندي أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج14، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط)، 1409، ص: 138.

(\*) ذو الأصبع العدوانيّ (21 ق.هـ - 602 م) هو: حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة بن قيس بن عيلان. شاعر فارس من قدماء الشعراء في الجاهلية، وله غارات كثيرة في العرب ووقائع مشهورة قيل له ذو الأصبع لأن أفعى ضربت إبهام رجله فقطعنها. وقيل لأن له إصبعا زائدة في رجله. وهو أحد الحكماء، عمر طويلا حتى قيل أنه بلغ 170 سنة، وله شعر مليء بالحكمة والعظة والفخر وهو صاحب القصيدة المشهورة: أسيد إن مالا ملكت فسر به سيرا جميلا" ( ينظر ، كتاب معجم الشعراء العرب، ص: 1277).

تستأنز عليهم بشيء يسودوك، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم، ويكبر على مودتك صغارهم واسمح بمالك، واحم حريمك، وأعزز جارك وأعين من استعان بك، وأكرم ضيفك، وأسرع النهضة في الصريح، فإن لك أجلاً لا يعدوك، وصن وجهك عن مسألة أحد، فبذلك يتم سؤددك. (1)

## 2-2 الرسائل الشخصية:

وبسميها البعض (الإخوانية، أو الخاصة أو الوجدانية أو الذاتية أو الأهلية)، وهي الرسائل التي تتعلق بتصوير العلاقات الاجتماعية بين الكتاب ورؤسائهم، أو بينهم وبين أصدقائهم وأحبابهم، والقارئ يرى فيها التهنية، والتعزية، والمواساة، والشكر، والشفاعة... وما شابه ذلك من المعاني الاجتماعية التي تربط الناس بعضهم ببعض، وقد تمتزج أحياناً بالعتاب والاعتذار. (2)

وهي تلك التي يتبادلها الناس فيما بينهم في الأعياد أو النجاح أو العودة من الحج أو يتبادلونها للتعزية أو الدعوة أو إظهار الشوق والحنين. وهناك أكثر من تعريف للرسالة الشخصية وكلها تدور في فلك واحد، وهكذا، فإن الرسائل الإخوانية تصور عواطف الناس، ومشاعرهم في الخوف والرجاء والرهبة والمدح والهجاء والتّهاني والعتاب والاعتذار والاستعطاف والتعزية. وقد عدّ الفلقشندي أبو العباس أحمد (ت 821هـ) أنواع الرسائل الإخوانية حتى أوصلها إلى سبعة عشر نوعاً هي: «التّهاني، والتعازي والتّهادي، والشفاعات، والتشوق، والاستزارة، واختطاب المودة، وخطبة النساء، والاستعطاف، والاعتذار والشكوى، واستماعة الحوائج، والشكر والعتاب، والسؤال عن حال المريض، والأخبار، والمداعبة». (3)

وتتألف الرسالة الشخصية من سبعة عناصر هي:

- التاريخ: ويكتب في الطرف الأيسر من أعلى الرسالة.
- اسم المرسل وعنوانه.
- الديباجة أو المقدمة تذكر فيها لمن توجه هذه الرسالة.
- التحية: وهي أن تبلغ المرسل إليه السلام.
- الغرض: وهو صلب الموضوع أو مضمون الرسالة، تذكر فيه ما تود قوله له. وما يميز موضوع هذه الرسالة أنه يكون مليء بالعواطف الشخصية بحسب قوة العلاقة
- الخاتمة. وهي ديباجة تختتم بها رسالتك.
- التوقيع.

(1) الأصفهاني أبو فرج: كتاب الأغاني، تح: إحسان عباس و إبراهيم السعافين و بكر عباس، دار صادر، بيروت، ط3، 2008، ص: 3 / 6.

(2) قدامة بن جعفر: نقد النثر، ص: 367.

(3) الفلقشندي أبو العباس أحمد: المرجع السابق، ج9، ص: 5.

## - أهمية الرسالة الشخصية:

بناء على دراسة أجازها تشارلز جاردفيلد (Charles Garfield)، فإنّ هناك سمة مشتركة تظهر بين جميع من يتمتّعون بتميّز الأداء وهي فهم الرسالة. وتوصّل جاردفيلد إلى أن الرسالة هي مصدر للأداء المتميّز.

من هنا يمكن لنا أن نبين أهمية الرسالة مجموعة من النقاط أبرزها:

- الرسالة الشخصية تمنحنا شعورا بوجهتنا في المستقبل.
- الرسالة الشخصية تساعدنا على معرفة ما هو مهم بالنسبة لنا.
- الرسالة الشخصية تحدّد معايير وقواعد النّجاح الشّخصي والسّعادة الشّخصية.
- الرسالة الشخصية تسهّل عمليّة صنع القرار.
- الرسالة الشخصية تجعل حياتك أكثر قيمة وذات معنى.
- الرسالة الشخصية المثيرة والمنطوية على تحدّ تقويك كي تخرج أفضل طاقاتك.
- عندما تعرف ما يجب عليك فعله لا تتجرف وراء كل ما يواجهك بل تصبح متّجها إلى ما هو المهمّ لك كما تتّجه البوصلة إلى الشّمال.<sup>(1)</sup>

ونظرا للفنّيات التي تتطلّبها، ودخول الجوانب الشّخصية والعاطفة الذاتيّة في موضوعها، فإنّ هناك من يطلق عليها اسم الرسالة الفنّية، وقد أشار إلى ذلك ماهر شعبان عبد الباري إذ يقول: "يمكن أن نسمّيها بالرسالة الفنّية، لما تتوفّر عليه من عنصر الذاتيّة والعاطفة الذي يدفع الكاتب إلى تخيّر ألفاظه، وانتقاء عباراته، وتزيين أسلوبه، حتّى يعبر عن الشّعور ويؤثّر في القلوب."<sup>(2)</sup>

وقد أشار ماهر شعبان عبد الباري في كتابه التّدوق الأدبيّ إلى بعض خصائص الرسالة الإخوانيّة

يمكن حصرها في النقاط التّالية:

- استعمال الجمل القصيرة.
- الإكثار من الجمل الفعلية.
- التقليل من الجمل الاعتراضية.
- الإيجاز قدر المستطاع.
- استخدام الجمل السهلة، وتنويع الجمل.

(1) ناهد الخراشي: اللّيف كوتشنج (life coaching) - فنّ إدارة الحياة، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، ط1، 2020، ص: 137-

138.

(2) ماهر شعبان عبد الباري: التّدوق الأدبيّ، ص: 62.

• تحديد الأفكار، وتخصيص لكل فكرة فقرة مستقلة.

• أن يكون الكاتب صادقاً مخلصاً دون إسراف<sup>(1)</sup>.

### 3-2 الرسالة الأدبية:

لعلّ أبسط تعريف للرسالة الأدبية أنّها: " نصّ نثريّ سهل، يوجّه إلى إنسان مخصوص، ويمكن أن يكون الخطاب فيها عامّاً، فهي صياغة وجدانيّة حانية مؤنسة، وفي عتاب رقيق يظهر النجوى أو الشكوى، ويبوح بما في الوجدان من أحاسيس وأشجان، وتتوارد الخواطر فيه بلا ترتيب ولا انتظام، لتغدو الرسالة إن قصرت أو طالت قطعة فنية مؤثرة دافعة إلى استجابة المشاعر لها، وقبولها ما باحت به." (2)

وهي الرسائل التي خصّصت للحديث عن بعض الموضوعات الأدبية أو العلمية أو الدينية أو التاريخية، وهذا النوع من الرسائل يدخل في باب التأليف، ولا يدخل في باب الترسّل، ومن أمثله: " الرسالة القشيرية في التّصوّف" (\*).

وبعض رسائل أبي العلاء المعريّ " رسالة الغفران" ورسالة " الصّاهل والشّاحج"، ورسالة " الملائكة"...

والرسائل الأدبية هي تلك الرسائل التي يرسلها أديب إلى أديب آخر، مناقشاً إيّاه، أو متحدّثاً في قضية أدبية، أو عن خبرته في عصر من العصور، وهذه يجب نشرها بعد وفاة صاحبها؛ خدمة للأدب بعد استبعاد ما يسوء منها.

وعادة ما تعنى بالكتابة في موضوع محدّد، ممّا نسّميه اليوم باسم المقالات، وتعرض لفكرة معينة، أو تعبير عن شعور الكاتب تجاه موقف معيّن، محمّلة بروية في الكون والحياة.

والرسائل الأدبية فنّ من فنون الأدب. ازدهر في أوائل القرن المنصرم، وكانت الرسالة قطعة أدبية لأنّ الأديب يكتبها وهو في حالة صفاء ذهنيّ، فتنثال عباراته الأنيقة، وهو في غاية النجوى والإتقان.

وقد كان الجاحظ أمير بيانه من غير منازع<sup>(3)</sup> وتعدّ رسالته " التّربيع والتّدوير" (\*) التي كتبها في هجاء أحمد بن عبد الوهّاب، أشهر الرسائل الأدبية، إذ فتحت الباب لمن جاء بعده من الكتّاب للإبداع في هذا

(1) ماهر شعبان عبد الباري: المرجع السابق، ص: 62.

(2) محمّد عبد الله العوين: المقالة في الأدب السعوديّ الحديث، مطابع الشرق الأوسط، الرياض، (دط)، 1992م، ص: 243.

(\*) الرسالة القشيرية: هي مصنّف للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيريّ الشافعيّ (ت 465 هـ)، وهو شيخ صوفي، وُلد بالقرب من نيسابور، في مقاطعة خراسان بإيران الحالية، وهي رسالة كتبت عام 1045، على 54 باباً و3 فصول تناقش مفاهيم صوفية مثل المجاهدة والخلوة والصبر والشكر. وهو كتاب من أعمدة كتب السلوك والزّقانق، وُضع لأهل الارتقاء في مقامات الإحسان، المشتغلين بتحقيق معاني التقوى في أقوى مبادئها وأوسع معانيها. (ينظر، الموسوعة الحرة (ويكيبيديا)، (<https://ar.wikipedia.org>)).

اللّون من التّرسل في المشرق والمغرب والأندلس على السّواء. وهذا النّوع من الرّسائل أشبه ما يكون بالمقالات في العصر الحديث، وفيها يتناول الكاتب موضوعاً خاصاً أو عامّاً تناوياً أدبيّاً، مبنياً على إثارة عواطف القارئ ومشاعره، وهي لا توجّه إلى شخص بذاته، وإنّما يكتبها الكاتب ليقراها النّاس جميعاً. (1)

## 4-2 الرّسائل الدّيوانيّة:

وتعرف في عصرنا هذا بالرّسائل الإداريّة/الرّسميّة، و"هي تلك الرّسائل التي كانت تكتب وتصدر عن ديوان الخلفاء والأمراء والملوك، ويُعنى فيها "بأمور الدّولة وشؤونها السّياسيّة؛ ولهذا يُحرص على دقّة المعلومات ومراعاة الرّسوم المتعارف عليها في المكاتبات ذات الصّبغة الرّسميّة، ومن هذا: العهود والنّقائيد والمناشير، ... والدّعوة إلى الطّاعة والحثّ على الجهاد. (2)

وقد كان يضطلع بها كتّاب متخصصّون، تتوفّر فيهم شروط معيّنة، " فقد كان لكلّ خليفة أو ملك كاتبه الذي يتولّى الكتابة عنه، في جميع المجالات الخاصّة بتلك الرّسائل، ومع ذلك فهذا النّوع مهما بلغ في جودته الفنيّة، فإنّه لا يخرج عن كونه متّصلاً بحادث أو أمر عارض، وقلّما تكون له صفة الدّوام التي تهّم النّاس في كلّ زمان ومكان... (3)

ونخلص من كلّ ذلك إلى أنّ " الرّسالة الرّسميّة هي: ما كانت موضوعاتها تدور حول السّلطة وعلاقتها برعاياها في الأمور الدّينيّة والدّنيويّة ذات الشّأن، كما أنّها يجب أن تتعدّد كلّ البعد في صياغتها عن الأساليب الشّعريّة، وهذا لإعطاء الكلام حقّه. (4) هي إذاً رسائل سياسيّة إداريّة بحتة، ينصبّ اهتمامها على الحكم والسّلطة، كما أشار إلى ذلك صاحب الصّناعتين " أمّا الكتابة فعليها مدار السّلطان. (5)

وهي رسائل خالية من العاطفة، كلماتها محدودة، وذات نمطيّة ليس فيها الخيال، ولا الصّور البيانيّة ولا يشترط فيها الأسلوب الرّاقى، طالما الغرض منها محدود، وعدد سطورها يكون مختصراً جدّاً.

(\*) التّربيع والتّدوير: رسالة من تأليف الجاحظ (159 هـ - 255 هـ)، أغلبها سخرية من العادات والنّقائيد التي نقشت في عصره بصورة كبيرة، وفيها يهجو غريمه «أحمد بن عبد الوهاب» بأسلوبٍ ساخرٍ وممتعٍ، راسماً بلُغته المُميّزة صورةً كوميديّةً له. يستعين «الجاحظ» بكافّة ما يُمكن من الصّنع البلاغيّ للثّيل من عدوّه، ولا يتورّع عن ذكر كلّ الحجج التي تنتقص منه وتُفجّر القارئ بأنّ كلّ ما يذكّره من مُبالغاتٍ في ذمّه هي حقيقة واقعة؛ دون أن يتخلّى عن رشاقّة الكلمة وجمال الأسلوب. (ينظر، التّربيع والتّدوير، مؤسسة هنداوي، <https://www.hindawi.org/books>).

(1) عبد العزيز عتيق: في النّقد الأدبيّ، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط2، (د ت)، ص: 30.

(2) أحمد يونس عبد العال: في النثر العربيّ - قضايا وفنون ونصوص، الشّركة المصريّة للنّشر، لونغمان، مصر، ط1، 1996م، ص: 162.

(3) عبد العزيز عتيق: الأدب العربيّ في الأندلس، دار النّهضة العربيّة، بيروت، ط2، 1976، ص: 449.

(4) الفلقشنديّ أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج1، ص: 60.

(5) العسكريّ أبو هلال: الصّناعتين الكتابيّة والشّعريّة، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفصل إبراهيم، منشورات عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط2، (د ت)، ص: 142.

## 5-2 الرسائل القصيرة:

أما في عصرنا هذا فقد صارت كتابة الرسائل بفضل التكنولوجيا الحديثة، قد قضت أو كادت تقضي على فنّ الترسّل برسائل مقتضبة و قصيرة تكتب على أجهزة الهاتف النقال، أو في أحسن الظروف على البريد الإلكتروني تختصر بـ (SMS) وهي اختصار لعبارة ( Short message service )، فتأتي باردة خالية من العواطف والأحاسيس، وتعتبر حلاً عملياً قليل التكلفة، مقارنة بالمكالمات الصوتية.

## ثانياً/ العرب وفنّ الترسّل:

## 1- طرق وأنواع الترسّل عند العرب:

على الرغم من نبوغ العرب في العصر الجاهليّ في شبه الجزيرة العربية في الشعر والحكمة والمثل والبلاغة الموجزة، إلا أنّ فنّ الرسالة ظلّ متواضعاً، وربما أستثنى القليل منهم ممّن يحسن فعل ذلك ولذلك لم يصلنا من رسائل ذلك العصر إلا ما ندر، فقد كانوا يتراسلون فيما بينهم بثلاث طرق أساسية هي:

## - الطريقة الأولى: الترسّل بالإشارات

وهي أقدم وسيلة استخدمت في التّواصل بين النّاس، فقد كانوا يستخدمون عدّة إشارات، كإضرام النيران في أعالي الجبال وعلى المرتفعات لإيصال رسالة معيّنة، يُتفق عليها سلفاً بين طرفين، وقد عُرف في التّراث المثلان المعروفان: "يوم خزاري" و "نار القرى" (\*)، وتعدّ النّار في اللّيل من أهمّ الرسائل البصرية ولذا كان أجواد العرب في الجاهلية يوقدون النّار على شرف من الأرض ليهتدي بها السّاري إلى بيوتهم ليقرّوه، ويقوموا بحقه من الضيافة، وكانت لذلك تدعى "نار القرى"، نظراً للوظيفة التي تؤدّيها وإنما هي في حقيقة الأمر رسالة بصرية بسيطة بمنزلة إرسال دعوة إلى السّارين، والمنقطعين من أبناء السبيل حتّى يقدموا على بيت صاحب هذه النّار.

## - الطريقة الثانية: الترسّل الشفويّ

وهي المرحلة الثّانية في الترسّل في العصر الجاهليّ، حيث يعتمد المرسل إلى إملاء رسالته على حامل الرسالة شفويّاً ليقوم بدوره بنقلها إلى المرسل إليه، وقد يعود إليه بردّ شفويّ أيضاً، إلا أنّ هذا النوع من الترسّل لا يضمن وصوله، كما هو إلى المعني.

(\*) روي أنّ يوماً معدوداً من أيّام العرب يُعرّف بـ «يوم خزاري»، واجتمعت قبائل ربيعة ومضر، وعليها كليب بن ربيعة التّغليبي، فتوافوا بخزاري - وهو اسم جبل - لقتال جيش من جُمير يقوده صهبان. فوجه كليب السّفاح بن عمرو أمامه، وأمره إذا التقى بالقوم أن يوقدوا نارا علامة جعلها بينه وبين صهبان، فسار السّفاح ليلا حتّى وافى معسكر الملك بخزاري فأوقدوا نارا، فأقبل كليب في المجموع نحو النار، فوافاهم صباحاً فاقتتلوا فقتل الملك صهبان، وانفضت جموعه. (ينظر، جعفر آجورلو: الترسّل في العصر الجاهلي والعصر الأموي، موقع ديوان العرب، الجمعة 19 تشرين الثاني (نوفمبر) 2010). (<https://www.diwanalarab.com>)

## - الطريقة الثالثة: الترسّل المكتوب:

ففي مرحلة متقدمة من نهاية العصر الجاهليّ، وبداية العصر الذهبيّ للإسلام اتّسعت شيئاً ما رقعة الفئة التي تحسن القراءة والكتابة، فكانوا يضطلعون بكتابة الرسائل وإرسالها إلى أصحابها، ومن أمثلة هذا النوع من الرسائل نذكر:

## أ- الرسالة المكتوبة في العهد النبويّ:

وقد انتشرت الكتابة العربيّة مع انتشار الإسلام، وخرجت من الجزيرة العربيّة في كلّ الأنحاء. وقد ساعد النبيّ - صلى الله عليه وسلّم - على نشر الكتابة وتعليمها، فبعد غزوة بدر، وافق على إطلاق سراح كلّ أسير، شرط أن يعلّم الكتابة والقراءة لعشرة من صبيان المسلمين.

وكان رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلّم - يسخر الرسائل في نشر دعوته، وتبليغ دينه " كمكاتبة الأمراء والملوك ورؤساء القبائل لدعوتهم للإسلام، كرسالته إلى هرقل عظيم الروم ورسالته إلى كسرى عظيم فارس، ورسالته إلى النجاشي ملك الحبشة، يدعوهم للدخول في الإسلام"<sup>(1)</sup> بالإضافة إلى المقوقس ملك مصر ووائل بن حجر الكندي أحد أقبال حضرموت وغيرهم. " ومن رسائله أيضاً العهود والمواثيق كالعهد الذي أبرمه الرسول - صلى الله عليه وسلّم - بين المهاجرين والأنصار واليهود في المدينة، وكالمعاهدة التي وضعها الرسول بينه وبين قريش لوضع الحرب عشر سنين."<sup>(2)</sup> كما كانت وسيلة الخلفاء من بعده في تسيير شؤون الدولة وإدارة الولايات المترامية الأطراف.

## ب- الرسالة في عهد الخلفاء:

فالخلفاء الراشدون والملوك والأمراء والولاة والقادة والرؤساء والعلماء... كانت وسيلة اتّصالهم الرسالة. ولما قويت شوكة المسلمين في مجاليّ القراءة والكتابة واصلوا على العهد نفسه، فاهتمّوا بفنّ التراسل، وأنشأوا لذلك دواوين "دواوين الرسائل" أو "دواوين المكاتبات"، تهتمّ بكتابة الرسائل، وإرسالها للولاة والعاملين والرّعاء وقادة الجيوش لدواع دينية واجتماعية، وسياسية، ومالية، وعسكرية، وتشريعية وتنظيمية. " وهكذا فإنّ الرسائل في عصر الخلفاء تعمل على وضع أساس لمبادئ الدين، وتوطيد وجوده والسعي لنشره في البلاد. حيث تميّزت الرسائل في عهد الخلفاء بأنّها تسعى لوضع وتأسيس مبادئ الدين الإسلاميّ وإصلاح وتغيير المجتمع."<sup>(3)</sup>

(1) رشا فخري النّحال: فنّ الرسائل في العصر المملوكي - دراسة تحليلية - أطروحة ماجستير، إشراف عبد الخالق محمّد العف، الجامعة الإسلامية، غزّة، 2013 - 2014، ص: 4.

(2) رشا فخري النّحال: المرجع نفسه، ص: 4.

(3) شوقي ضيف: الأدب في موكب الحضارة، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط 5، سنة 1968، ص: 227.

### ت- الرسالة المكتوبة في العهد الأموي:

في عهد بني أمية أنشأ معاوية بن أبي سفيان ديوان الرسائل لإرسالها إلى الولاة والأمراء وقادة الجند وملوك الدول الأخرى. يضطلع بكتابتها كتاب الخليفة، وقد تطوّر فنّ الترسّل عندهم وبخاصّة في عهد هشام بن عبد الملك، ثمّ في عهد مروان ابن محمّد، آخر خلفاء بني أمية، الذي تولّى أمر ديوانه عبد الحميد بن يحيى الكاتب، وقد عرف عبد الحميد بالبراعة في فنّ كتابة الرسائل، حتّى غدت رسائله مضرب مثل في الإتقان، فقيل: «بُدئت الكتابة بعبد الحميد». وقد اضطلعت رسائل العصر الأموي بـ: "رسائل الدّعوة لتقوى الله -عزّ وجلّ- وطلب الصّالح، والدّعوة للعودة لصفّ المسلمين وتهديد من خرج عنهم ورسائل الخليفة لعماله، ورسالة لأهل العلم، ورسائل للجند، وتقديم نصائح حربيّة. ولقد ظهر في العصر الأموي نوع جديد من أنواع الرسائل، مثل الرسالة الوعظيّة، كرسالة إمام الرسائل الوعظيّة الحسن البصريّ إلى عمر بن عبد العزيز." (1)

### ث- الرسالة في العهد العبّاسي:

تطوّرت الرسالة في ظلّ الدولة العبّاسيّة، وأولوها اهتماما خاصّا فكثرت كُتّابها، واشتهروا خلال القرنين الثّالث والرّابع الهجريّين، حتّى وصفا بالفترة الذهبيّة لهذا الفنّ وقد كان الانخراط في ديوان الرسائل مصدر رزق، وغدا النّفوق في تدبيجها سبيلا لنيل منصب وزير أو وال. ومن أشهر أعلامها: يحيى بن خالد البرمكيّ، وابنه جعفر، ومحمّد بن عبد الملك الرّيات، وأحمد بن يوسف الكاتب، وابن العميد، والصّاحب بن عبّاد، وعبد العزيز بن يوسف وضياء الدّين بن الأثير وغيرهم ممّن حسنت سيرتهم، واستقام بيانهم وتفنّن في تطريز الرسائل "ومن رسائل العصر العبّاسي: رسائل العهود والمبايعات ورسائل الأمان، طلب الهدنة والمصالحة، ورسائل الإنذار، وطلب الطّاعة، ورسائل الخلفاء إلى الولاة والحكام والعمال في تصريف شؤون الدولة، رسائل التّهديد والوعيد، رسائل الفتوح والتّبشير بها، رسائل الإصلاح، وغير ذلك من الأغراض المتّصلة بالجوانب السّياسيّة الدّاخلية والخارجيّة." (2)

### ج- الرسالة المكتوبة في العصر الأندلسي:

حافظ فنّ الترسّل على مكانته المحترمة التي عرفها العصر العبّاسي لتوفّر أسباب توهّجها، وتسّم فرسان الشّعْر لكتابتها" وبالانتقال إلى العصر الأندلسيّ وجد أنّ الرسائل هي من أهمّ فنون النثر في العصر

(1) رشا فخريّ النّحال: المرجع السابق، ص: 6.

(2) رشا فخريّ النّحال: المرجع نفسه، ص: 6.

الأندلسي، وذلك كون كُتّاب الرّسائل من فرسان الشّعر الأندلسي، حيث استخدموا مواهبهم الشّعريّة وذوقهم الأدبيّ للارتقاء بأساليب تعبيرهم والتّفنّن به، وتتوّعت الرّسائل في شتى المجالات منها الرّسائل السّلطانيّة التي كانت تصدر عن ديوان الخليفة موجّهة للعمّال والقادة والأعداء.<sup>(1)</sup>

### ح- الرّسالة المكتوبة في عصر الانحطاط:

وفي عصور الضّعف غدت الرّسائل ضرباً من التّفنّن في جمع الألفاظ، ورصّها إلى بعضها، ثمّ ابتليت الأمتّة بعد ذلك باستعمار بغيض؛ ضعفت أثناءه الكتابة عموماً، والرّسائل خصوصاً، وعمّ هذا الضّعف حتّى كاد فنّ الترسّل أن يمّحي لولا بعض الأديباء الذين أبقوا على حياته بفضل ما سطرته أقدامهم من روائع.<sup>(2)</sup>

### 2- نماذج من رسائل العرب:

عرف المسلمون هذا الفنّ في صدر الإسلام، وأولوه أهميّة كبرى في حياتهم لتبادل المعلومات والأخبار على تواضع الإمكانيات آنذاك، وازدهر أكثر فأكثر ببعثة الرّسول - صلّى الله عليه وسلّم - وتبعه في ذلك الخلفاء والأمراء، وفيما يلي نماذج من هذه المراسلات:

#### أ- رسالة النّبويّ - صلّى الله عليه وسلّم - إلى هرقل عظيم الرّوم:

" بسم الله الرّحمن الرّحيم، من محمّد بن عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الرّوم، سلام على من اتّبع الهدى. أمّا بعد، فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم؛ يؤتكَ الله أجرك مرّتين، فإن تولّيت عليك إثم الأريسيين<sup>(\*)</sup> ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(3)</sup>

وقد تسلّم هرقل رسالة النّبويّ - صلّى الله عليه وسلّم - ودقّق في الأمر كما في الحديث الطويل المشهور بين أبي سفيان وهرقل، حين سأله عن أحوال النّبويّ - صلّى الله عليه وسلّم - وقال هرقل بعد ذلك لأبي سفيان: (إنّ كان ما تقول حقّاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنّه خارج، ولم أكن أظنّ أنّه منكم، فلو أنّي أعلم أنّي أخلص إليه لتجشّمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه).<sup>(4)</sup>

ومعنى تجشّمت: تكلفّ الوصول إليه، وارتكبت المشقّة في ذلك. وفي رواية مسلم: " لأحببت لقاءه."

(1) عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1976، ص: 448-449.

(2) هشام عودة: البريد العربي الأوّل، مجلّة القافلة الإلكترونيّة، يوليو - أغسطس 2009 م، (دس). (@QafilahMagazine).

(\*) الأريسيون: ينسبون إلى عبد الله بن أريس، رجل كانت تعظمه النصارى، ابتدع في دينهم أشياء مخالفة لدين عيسى، وقيل: إنه من قوم بعث إليهم نبي فقتلوه، فالتقدير على هذا: فإن عليك مثل إثم الأريسيين. وقال بعض أهل العلم كالإمام الطحاوي والإمام ابن حزم وغيرهما بأنّه طائفة من النصارى كانت تقول بنبوّة عيسى عليه السّلام. وهذا القول هو الرّاجح. (ينظر، موقع إسلام ويب، من هم الأريسيون؟ تاريخ النشر: الجمعة 20

جمادى الأولى 1435 هـ - 21-3-2014 م. <https://www.islamweb.net/ar>

(3) سورة آل عمران، الآية: 64.

(4) البخاري محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ج1، كتاب بدء الوحي، دار ابن كثير، بيروت، (دط)، 1987، ص: 16-18.

## ب- كتاب النّبِيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ:

وقد أرسله مع عمرو بن أميّة الضمريّ، وفيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد رسول الله إلى النّجاشيّ ملك الحبشة، أسلم أنت، فإنّي أحمد إليك الله، الذي لا إله إلاّ هو، الملك القدّوس، السّلام المؤمن المهيمن، وأشهد أنّ عيسى ابن مريم<sup>(\*)</sup>، روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول، فحملت به، فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإنّي أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاتة على طاعته، وأن تتّبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإنّي رسول الله، وإنّي أدعوك وجنودك إلى الله عزّ وجلّ، وقد بلّغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسّلام على من اتّبع الهدى.)<sup>(1)</sup>

## ت- كتاب الرّسول الكريم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى وائل بن حجر الكندي

ويخاطبه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بلسانهم الغريب<sup>(2\*\*)</sup>: "...إلى الأقبال العباهلة، والأرواح المشابيب...". وفيه: وفي التّيعة شاة لامقورة الألياط، ولا ضناك، وأنطوا التّبجة، وفي السيّوب الخمس، ومن زنى مم بكر

<sup>(\*)</sup> رأوا أن: "ابن" في "عيسى ابن مريم" لم تنطبق عليها شروط حذف الهمزة جميعها؛ فأحد الشروط ينصّ على أن تكون بين علمين ثانيهما أب للأول؛ ومريم إنما هي أم وليست أباً..! أم هل نراعي خصوصية عيسى في انقضاء الأبوة ونسبته إلى أمه، فنجعل مريم كالأب، فتصير كلمة "ابن" هنا استثناءً داخلًا في القاعدة؟؟. (ينظر، المكتبة الشاملة الحديثة: لماذا كتبت الألف في عيسى ابن مريم؟ في: 17-02-2007، 10:12) (<https://al-maktaba.org>)

<sup>(1)</sup> البيهقي؛ أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر: دلائل النبوة، المحقق: عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية - دار الريان للتراث، ط1، 1408 - 1988، ص: (187/2).

<sup>(2\*\*)</sup> ينظر: تألّق (الكاتب): شرح مفردات الحديث، منتديات أنصار محمد/ [www.ansar.com](http://www.ansar.com): pm10.59 بتاريخ 8-10-2015.

## شرح بعض مفردات الرسالة:

العباهلة: عباهلة اليمن ملوكهم الذين أقروا على ملكهم لا يزولون عنه.

الأرواح: الحسان الوجوه يقال رائع و أرواح.

المشابيب: أراد الرووس السادة الزهر الألووان وأحدهم مشبوب كأنما أوقدت ألوانهم النار.

التّيعة: الأربعون من الغنم، وقيل هي أدنى ما تجب من الصدقة في الحيوان، وتاج المصدق أسرع إلى أخذ الزكاة، وتاج رب المال إلى إعطائه فجاد به أصله من التّيع وهو القئ.

مقورة: الإقورار استرخاء الجلود أي لا مسترخية الجلد من الهزال.

الألياط: جمع ليط وهو قشر العود شبيهه بالجلد لالتزاقه باللحم، أراد غير مسترخية الجلود لهزالها.

الضناك: كثير اللحم.

انطوا: لغة يمانية في اعطوا .

التّبجة: التّبج الوسط وما بين الكاهل إلى الظهر وانطوا التّبجة أي أعطوا الوسط في الصدقة فلا تطوا من خيار المال و لا من رذالته وحشوه.

السيّوب: هو الرّكاز وقد يكون من السيب وهو العطية .

مم: أي من وهي لغة أهل اليمن يبذلون لام التعريف ميمًا وفي الحديث ليس من امبرّ امصوم في امسفر.

اصقوه: اضربوه وأصل الصقع الضرب على الرأس وقيل الضرب ببطن الكف.

استوفضوه: أي غربوه وانفوه واطردوه وأصله من استوفضت الإبل إذا تفرقت في رعيها .

ضرجوه: التضريج التّمية أي أدموه حتى يموت.

الأضاميم: يريد الرّجم والأضاميم الحجارة واحدها إضمامة قال وقد يشبه بها الجماعات المختلفة من الناس.

= لا توصيم: الوصم الكسل والتواني أي لا تغفروا في إقامة الحد ولا تحابوا فيه.

غمّة: بضم الغين أي سترّة.

يترقل: أي يتأمر و يتأمر استعارة من ترفيل الثوب وهو إسباغه وإسباله.

فاصعقوه مائة، واستوفضوه عاما، ومن زنى مم ثيب فضرجه بالأضاميم، ولا توصيم في الدين، ولا غمة في فرائض الله تعالى، وكلّ مسكر حرام. وائل بن حجر يترفل على الأقيال.<sup>(1)</sup>

### ث- كتاب والي الخليفة عمر بن عبد العزيز:

وتروي لنا كُتُب التّراجم والتّاريخ والسّير أنّ بعض ولاة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز كتب إليه كتاباً جاء فيه: "أمّا بعد، فإنّ مدينتنا قد خرّبت، فإنّ رأى أمير المؤمنين أن يقطع لها مالاً يرّمها به، فعل، فكتب إليه عمر: "أمّا بعد: فقد فهمتُ كتابك، وما ذكرت أنّ مدينتكم قد خرّبت، فإذا قرأت كتابي هذا فحصّنها بالعدل، ونقّ طرقها من الظلم؛ فإنّه مرّمّتها، والسّلام."<sup>(2)</sup>

ج- كتاب عبد الحميد بن يحيى بن سعيد: المشهور بعبد الحميد الكاتب (ت132هـ) الذي قيل في حقّه: "فتحت الرّسائل بعبد الحميد، وختمت بابن العميد" وكان يشغل منصب كاتب ديوان الخليفة هشام بن عبد الملك، ثمّ رئيسا لديوان مروان بن محمّد وأمين سرّه. ينصح كُتّاب عصره ويوجّههم فيقول: "... فتنافسوا يا معشر الكُتّاب في صنوف الآداب، وتفقهوا في الدين، وابدؤوا بعلم كتاب الله عزّ وجلّ، والفرائض، ثمّ العربيّة، فإنّها نفاق ألسنتكم، ثمّ أجيدوا الخطّ، فإنّه حلية كتبكم، وارووا الأشعار... واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها؛ فإنّ ذلك مُعين لكم على ما تسمو به هممكم..."<sup>(3)</sup>

### 3- فنّ الترسّل في الجزائر:

لم يكن فنّ الرّسالة في الجزائر متطوّرا كما في بلاد المشرق العربيّ خلال فترة الاحتلال الفرنسيّ (1830-1962م)، خاصّة وأنّ الأميّة ضربت أطنابها في أوساط المجتمع الجزائريّ ومن حظي بشيء من التّعليم كان باللّغة الفرنسيّة، ومن كان منهم على شيء من القراءة والكتابة ما كانت كتابتهم في فنّ الرّسالة يرتقي إلى مستوى هذا الفنّ الأدبيّ، يقول عبد الله ركيبي: "وقد تدهور أسلوب الرّسائل بعد ذلك أيّ في أواخر القرن الماضيّ، تدهورا ملحوظا بحيث لا نجد في هذه الفترة إلّا نوعا من الرّسائل كتبها بعض الجزائريّين، لا يهدف التّعبير عن الذات أو الكشف عمّا في النّفس، وإنّما كتبت كقوالب محفوظة جاهزة يكتب على نسقها من وقعت له حادثة ويريد أن ينقلها إلى الإدارة مثلا، فهي رسائل للشكوى والتّظلم، أو لغير ذلك من الأمور العادية التي تحدث للنّاس يوميا."<sup>(4)</sup>

(1) مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط9، (1393 هـ - 1973م)، ص: 319.

(2) الأصفهاني أحمد بن عبد الله: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، مصر، (1416 هـ - 1996م)، ص: (305 / 5).

(3) المشوق في الأدب والنصوص: وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 2009، ص: 206.

(4) عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث 1830 - 1974، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دط)، 1983، ص: 46.

وعلى العموم فإنّ رسائل ذلك العهد كانت بسيطة جدًّا بساطة المواضيع التي تعالجها، خالية من التّعابير الجميلة، والفنّيات الرّاقية، فقد جاء أسلوبها ضعيفا، ولغتها ركيكة، بعيدة عن الدّوق الرّفيع، لا يمكن تصنيفها ضمن ما يسمّى بفنّ التّراسل الذي " لا يرقى إلى أن يكون أدبا أو فنّا لا من حيث الأسلوب، ولا من حيث الموضوع، ولا أيضا من حيث المحتوى، فالأسلوب ضعيف وشخصيّة الكاتب باهتة، واللّغة عادية متهاففة في أحيان كثيرة، كذلك، فإنّ الموضوعات من نوع ما عرف بالإخوانيات أو الموضوعات الخاصّة بأصحابها."<sup>(1)</sup>

وقد مثّل هذه الفترة محمّد الشاذليّ القسنطينيّ (1807-1877)<sup>(\*)</sup>، وأبو القاسم بن سديرة (1845-1901م)، وأحمد باي (1786-1851م)، وهي رسائل أقلّ ما يقال فيها إنّها رسائل ضعيفة، شكلا ومضمونا.

وقد استثنيت رسائل الأمير عبد القادر الجزائريّ التي كان يرسلها إلى المسؤولين الفرنسيين وكذلك رسائل أحمد باي (1786م-1850م) إلى الباب العالي باسطنبول، فقد كانت رسائل الأمير يعمد فيها: " إلى البساطة والوضوح دون قصد للجمال الأدبيّ، ودون عناية كبيرة بالصياغة، بحيث اختفى أسلوب السّجّع والبديع بشكل ظاهر، وطوّعت فيه اللّغة للتّعبير بسهولة ويسر وفي بساطة تجعل منها أداة مرنة صالحة لصياغة المعاني الدّقيقة والأفكار العميقة."<sup>(2)</sup>

وقد ظلّ الحال على هذا النّحو من الضّعف والرّكاكة والبساطة في الطّرح واختيار المواضيع البسيطة والمشاكل الاجتماعية العادية، إلى أن هبّت نسائم الحركة الإصلاحية في الجزائر بقيادة العالمين الجليلين عبد الحميد بن باديس ومحمّد البشير الإبراهيميّ، ومعهما كوكبة محترمة من العلماء في إطار جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، حيث بدأ فنّ الرّسالة يأخذ منحى آخر، شهد تطوّرا لافتا من حيث الشّكل والمضمون.

فأمّا من حيث الشّكل فقد أصبحت الرّسائل أكثر تنظيما وجديّة، فاللّغة راقية، والعبارات جميلة والوضوح أصبح يطبعها، والأسلوب تطوّر بشكل كبير مع المباشرة في طرُق المواضيع.

(1) عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث 1830 - 1974، ص: 40.

(\*) محمد الشاذلي القسنطيني: (1807 - 1807) : أديب، شاعر، قاض، مشارك في بعض العلوم، من فقهاء المالكية. ولد ونشأ وتعلم بقسنطينة ولما احتلها الفرنسيون سنة 1837 م (غادرها إلى نواحي سطيف، ثم عاد إليها. واتصل بالفرنسيين، فكانت له صلوات متينة مع كبارهم من مدنيين وعسكريين. وتولى بموافقتهم قضاء المالكية حوالي عشرين سنة. كما تولى إدارة مدرسة سيدي الكتافي منذ تأسيسها سنة 1850م إلى حين وفاته. ودرس بها. قام بثلاث رحلات إلى أوروبا، كما انتدب لمؤانسة الأمير عبد القادر في معتقله في أمبواز بفرنسا. مات بطولقة. له "ديوان شعر (بنظر، عادل نوبهض: معجم أعلام الجزائر، ج1، ص: 185-186).

(2) عبد الله الركيبي: المرجع نفسه، ص: 40.

وأما من حيث المضمون، فرسائل الإصلاحيين كانت أكثر ضبطاً لأنّ الموضوعات أصبحت تنتقى بطريقة لبقّة، وطرحها لم يكن بالسذاجة القديمة، بل كانت تصبّ وفق الأهداف الإصلاحية للمجتمع الجزائريّ الذي تقاسمه الثالوث الخطير (الاستعمار، الأمية، والفقر)، فكانت أفكار الرسائل يسعى أصحابها إلى تنبيه الناس إلى الجمود الذي أصابهم، وهيمنة قوى الاستعمار على كلّ شيء تقريباً في البلاد وتُحسّسهم بالدور الفعّال الذي يُنتظر منهم للقيام بنهضة عارمة على الوضع الاجتماعيّ والدينيّ الراهن ودعوتهم للاستعداد لثورة شاملة على المستعمر المستخرب، والبعض الآخر فيه تبادل للأفكار بينهم وبين غيرهم في الخارج

ومن بين هذه الرسائل، رسائل " قدور بن رويلة، محمد الخروبي، أحمد البدوي، مصطفى ابن التهامي، الحسين بن عزوز، محمد البركاني، أحمد الطيب بن سالم [...] القاضي شعيب بن عليّ، محمد الشادلي، محمد الصالح العنتري، بلقاسم بن سديرة، محمد وعلي السحنوني، الشيخ محمد بن يوسف اطفيش، الشيخ المجاوي، العقبي، الإبراهيمي، أحمد توفيق المدني، أبو اليقضان [...] حمزة بوكوشة محمد العيد، مفدي زكريا، الأمين العمودي، محمد الهادي السنوسي، رمضان حمود، سليمان بن يحي الربيع بوشامة، الحفناوي هالي... "(1)

مع الإشارة إلى أنّ أعداداً لا تحصى من الرسائل كان الجزائريّون يتبادلونها فيما بينهم لم يبق لها أثر كرسائل المجاهدين إبان فترة الثورة التحريرية المظفرة، ورسائل رجال المقاومات الشعبية ورسائل المعتقلين من الثوار في سجون الاستعمار الفرنسيّ خلال تاريخ بقائه في الجزائر (1830-1962م) ورسائل المجنّدين الجزائريّين في صفوف الجيش الفرنسيّ إلى الفيتنام والهند الصينية وغيرهما.

### ثالثاً/ رسائل محمد البشير الإبراهيمي:

#### 1- أنواع الرسائل عند الإبراهيمي:

##### 1-1 الرسائل النثرية:

أبدع محمد البشير الإبراهيمي في كتابة فنّ الرسالة كإبداعه في فنّي المقالة والخُطبة لما يميّز به من قدرة فائقة في النّحْم اللّغويّ واختيار الألفاظ والخيال الجامح والأساليب الرّاقية والمعاني العميقة التي افتقدت في رسائل الآخرين " فقد استطاع الإبراهيمي بما عهد فيه من جمال في التّعبير وقوّة في التّفكير وموهبة في التّصوير، وبراعة في فنّ الكتابة الأدبية بوجه عام، أن يمنح هذا الفنّ قيمته، ويبوّئه مكانته في

(1) ينظر، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج8، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1998، ص: 85 إلى 95.

الجزائر، فينطلق به من لا شيء إلى منزلة حسنة؛ فيرفع بذلك رأس النثر الأدبيّ في الجزائر إلى السماء في شيء من الاعتزاز والفخر. (1)

لقد أثبت الإبراهيميّ من خلال رسائله (المخطوطة والمطبوعة) تفردّه المتفوق بلا مجادلة ولا مجاملة في هذا الفنّ الجميل، وبخاصّة تلك التي نالت من الشهرة واهتمام الدارسين بها، مثل الرسائل التي كتبها وهو في المنفى القسريّ الذي فرضته السلطات المستعمرة عليه، بأمر من رئيس الوزراء الفرنسيّ آنذ إدوار دلاديهيه (Édouard Daladier) (\* ) شخصيًّا، والذي قضّ فيه ثلاث سنوات ابتداء من 10 أبريل 1940 في آفلو (ولاية تيارت)، حيث كتب "رسالة الضّب"، ورسالة "مناجاة مبتورة لدواعي الضّرورة" وغيرهما، وقد أثبت فيها قدرة هائلة على التّعبير والتّصوير، وإفراغ ما في الكنانة من أساليب راقية وتعبير متألّفة "وبذلك وثب الإبراهيميّ فجأة بفنّ الرسالة في الجزائر، إلى قمة الفنون الجميلة، فمنحه أصالته العربيّة بما فيها من جمال وخيال وبيان، وخلّصه من تلك الرّكاكة الفظيعة التي كانت تخيّم عليه إلى نهاية العقد الرّابع من هذا القرن.

لقد خلق الإبراهيميّ هذا الفنّ من عدم، تقريبا، إذ لم يمرّ بمراحل تطوريّة تذكر - كالفنّ القصصيّ مثلا أو المسرحيّ - وبلغ به إلى هذه المنزلة الرّفيعة حين كان سجيناً بآفلو، بالرّغم من أنّنا لم نستطع الاطّلاع على جميع رسائله التي كتبها إلى أصحابه وأصدقائه. (2)

وكثيرا ما راسل الإبراهيميّ الملوك والرّؤساء والرّعاء والمؤسّسات الدّولية للتّعبير عن موقفه وموقف جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين من قضايا عصرهم، أو لطلب الإفراج عن زعيم سياسيّ مسلم أينما كان. وفي هذا السّياق كتب إلى الحكومة الباكستانيّة لإطلاق سراح الإمام أبي الأعلى المودوديّ المحكوم عليه بالإعدام لتردّ الاطمئنان إلى نفوس جميع المسلمين. كما كتب رسائل تنديد، وبرقيات للاستتكار لما يعانیه الرّعيم التّونسيّ (المنصف باي) في معتقله من معاملة مهينة لا تليق بمقامه السّياسيّ، ونضاله العادل في سبيل حرّية وطنه.

وقد عثرنا على بعض الرسائل التي بعث بها الإبراهيميّ إلى بعض إخوانه العلماء داخل الجزائر وخارجها، وإلى بعض الأصدقاء، وإلى الرّقاء، وبعضها موجّه إلى كافّة النّاس، وهي الرسائل التي اخترناها لبحثنا هذا، وسنذكرها في آخر هذه الدّراسة بأمانة كما عثرنا عليها من مصادرها.

(1) عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1981، (دط)، ص: 309-310.

(\*) إدوار دلاديهيه (Édouard Daladier) سياسي فرنسي (18 يونيو 1884 / 10-أكتوبر 1970 م) باريس. (تولى رئاسة الوزارة في فرنسا ثلاث مرات: (من 31 يناير إلى 26 أكتوبر. 1933) و ما بين ( 30يناير إلى 9 فبراير. 1934) وما بين ( 10 أبريل 1938 إلى 21 مارس 1940). - (ينظر: الموسوعة الحرة، إدوار دلاديهيه) (<https://ar.wikipedia.org/wiki>).

(2) عبد الملك مرتاض: المرجع نفسه، ص: 309-310.

## 1-2 الرسائل الأراجيز:

إنّ تفوق إبراهيمي في فنّ الترسّل لا يجادل فيه أحد، بما أبرزه من أساليب راقية وتعبير جميلة ومفردات قويّة، لكن الذي يثير الانتباه والإعجاب حقًا، هو خوضه هذا الفنّ النَّثريّ من طابعه الإنشائيّ المعروف، إلى طابع شعريّ، في شكل أراجيز شعريّة بديعة، وهي طريقة قديمة كتب بها الأوّلون رسائلهم وبعثوا بها إلى أصحابها.

وكأنّ إبراهيمي أراد أن يحيي هذا النمط من الكتابة، فكتب مجموعة منها، بعث بها إلى: الأستاذ صالح الأستر، وإلى الأستاذ الدكتور فاضل الجمّالي، وإلى الأديب عمر بهاء الدين الأميري، وإلى الأستاذ إبراهيم الكتّاني، وإلى علماء نجد، وإلى الأستاذ عبد الحميد الهاشمي... وغيرهم<sup>(\*)</sup>، وقد جاءت هذه الأراجيز متراوحة بين القصر حينا، والطول حينا آخر بحسب ما اقتضته الحاجة والظرف، وبحسب طبيعة الشّخص المرسل إليه، وبحسب مقتضى الموضوع الذي قد يتراوح بين رسالة كاملة الأوصاف، أو بين ردّ على رسالة ما، أو بين ورودها في شكل دعاية يريد الشّيخ أن يسلي عن صاحبه، أو يعبر له عن موقفه من حالته، أو معبرًا عن وقوفه إلى جانبه في محنته، كرسالته إلى الشّاعر محمّد العيد آل خليفة، أو موجّها نصيحة لمن هو أهل لها...

وقد عثرنا أثناء البحث على مجموعة من هذه الأراجيز بلغ عددها تسع قصائد خصّ بها ثلّة من النّاس، اتّفقت شكلا واختلّفت مضمونا، وربما كتب إبراهيمي أكثر من هذا العدد إلاّ أنّها لم تظهر إلى الوجود، أو تكون قد ضاعت لسبب من الأسباب، وهذه عناوينها:

- رسالة إلى ولدي الأديب عمر بهاء الدين الأميري. بعث بها يوم مغادرته باكستان في 11 جوان 1952م.
- رسالة إلى أحمد توفيق المدني. أرسلها من آفلو في أفريل 1940 على إثر وفاة العلامة عبد الحميد بن باديس.
- رسالة إلى صديقه الدكتور محمّد فاضل الجمّالي. بدون تاريخ.
- رسالة إلى الأستاذ صالح الأستر.
- رسالة إلى الأستاذ: إبراهيم الكتّاني. من تلمسان في بداية 1945.

<sup>(\*)</sup> هذه الرسائل جمعها ابنه الدكتور طالب إبراهيمي في كتابه آثار الإمام محمد البشير إبراهيمي، وبعضها منشور في كتاب "ركفاح الجزائر" لأحمد توفيق المدني، وبعضها نشرته جمعية أحمد توفيق المدني في موقعها، وسنذكرها في الملحق مع بقية الرسائل.

- رسالة إلى ولدنا الأستاذ عبد الحميد الهاشمي. في باكستان ماي 1952.
- رسالتان إلى علماء نجد. دون تاريخ.
- هدية ذات مغزى جليل. البصائر، العدد 38، بتاريخ 7-6-1948.
- بين عالم وشاعر. مجلة الشهاب، ج3، المجلد 12، جوان 1936م، ص: 135. وكان الرّد من الشّاعر في الشّهاب ج2، مجلد12 ماي 1936، ص: 64. تحت عنوان: زفرات.

## 2- موضوعات الرّسائل عند محمّد البشير الإبراهيمي:

ظلّ محمّد البشير الإبراهيميّ طوال حياته منشغلا بالكتابة والتّأليف، شعرا ونثرا، داعيا وموجّها وناصحا ومرّيا ومعلّما، وطرق مختلف الفنون الأدبيّة الرّائعة على أيّامه، شأنه شأن القدامى والفحول من أرباب القلم، فكتب في فنّ المقالة وأبداع فيها، ودبّج الخطب تديبجا، فشدّ إليه الألباب، وكتب الرّسائل المختلفة، فصبّ فيها ما جادت به قريحته، وأفرغ فيها ما زخرت به كنانته.

وقد أرسل الإبراهيميّ رسائل عدّة إلى أشخاص كثيرين، وهيئات دوليّة، وزعماء مشهورين يومها حيث كتب إلى العلماء والمفكرين والأدباء في الدّاخل والخارج، والحكّام والرّزّعاء من العرب والعجم، متناولا عدّة مواضيع متباينة أملاها الظّرف، ودفعت إليها الحاجة.

وهي من نوع الرّسائل الشّخصيّة أو الدّيوانيّة المتعارف عليه، وبعضها الآخر من الرّسائل العامّة التي عالج فيها مواضيع شتى، تهّم النّاس والمرّيين والمعلّمين، مركزا خطابه للشّباب على وجه أخصّ. وهي رسائل طويلة نسبيا، علاوة على الرّسائل القصيرة التي جاءت في شكل وصايا أو تعاز أو في شكل ردود على البعض.

وعلى الرّغم من الأعداد التي جمعناها، فإنّ كثيرا من رسائل الإبراهيميّ لم تظهر ولم تنتشر، ولا يعرف لها مصير، وربما ضاعت هنا أو هناك لسبب من الأسباب. إذ لا يعقل أبدا ألاّ نجد له رسالة بينه وبين صديقه عبد الحميد بن باديس بعد اللّقاء المبارك الذي جمع بينهما في الحجاز، واتفقا على مبدأ تأسيس جمعيّة العلماء المسلمين في سنة 1931. وكذلك من غير المنطق ألاّ نعثر له على رسائل كان يتبادلها مع أسرته وهي في المدينة المنورة، أو التي كان يرسلها لها وهو في مصر، أو أثناء إقامته بدمشق، كما لا يعقل - أبدا - أنّه وخلال فترة إقامته الجبريّة بأفلو والتي فرضتها عليه السّلطات الفرنسيّة ولمدّة ثلاث سنوات (1940 - 1942) لم يكتب إلّا رسالة واحدة أو رسالتين عامّتين!؟

فمن الطّبيعيّ جدّا أنّه كتب عددا من الرّسائل إلى أفراد الأسرة والأحباب والأصحاب أو كتب ردودا على الرّسائل التي تصله من مختلف الجهات الطّبيعيّة والمعنويّة. خاصة وقد انتقلت إليه مسؤوليّة رئاسة

الجمعية (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، بعد وفاة الرئيس ابن باديس بعد شهور قليلة من سجنه (16 أبريل 1940م)، اللهم إلا إذا كان زبانية الإقامة الفرنسيين وحراسها العسكريين يحرّمونه من أدوات الكتابة، أو يعمدون إلى تمزيق الرسائل أو حرقها وإتلافها، حتّى لا يصل صوته إلى الناس، ويبقى في عزلة عن العالم الخارجي كي لا يؤثّر فيهم، خاصّة والتحرّكات لإشعال الثّورة بدأت تلوح في الأفق. لم نعر على كثير من رسائل الإبراهيميّ لأسباب التي ذكرنا بعضها آنفاً، لكنّ العدد الذي بين أيدينا وجدناه يتراوح بين ثلاثة أنواع في عمومها: الإداريّة (السياسيّة)، والإخوانيّة (الاجتماعيّة) والفنّيّة (العامة أو الأدبيّة).

وقد حصرنا موضوعات الإداريّة منها في إدارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين باعتباره رئيساً لها بعد وفاة العلامة ابن باديس. إذ كان يتابع أشغالها ونشاطاتها، وإصدار الصّحف التي كانت تنطق باسمها، فكان يرسل الكتاب والمسؤولين والمؤسّسات السياسيّة والدينيّة للتعريف بها وبأهدافها، كما كان يرسل القادة والرّعاء في العالم للتعريف بالقضية الجزائريّة وجمعية العلماء، وكان يكتب مدافعا عن بعض الدّول التي طالها الظلم، ومنافحا عن بعض الشّخصيّات المظلومة هنا وهناك.

وبخصوص الرسائل الإخوانيّة، فقد ضاع كثير منها، ولم نعر إلاّ على القليل منها، كان قد أرسلها لشخصيّات معيّنة، فقد راسل بعض إخوانه من العلماء في الدّاخل والخارج، ناصحا وموجّها ومعبراً عن مشاعره الجياشة نحوهم، كما فعل مع الأستاذ أحمد توفيق المدنيّ، ومحمّد نصيف، ومفتي السّعوديّة سماحة العلامة محمّد بن إبراهيم، وكذا كتاباته إلى عموم الأمة وإلى السّادة المعلمين الجزائريين، وإلى طلاب العلم والتّلاميذ الرّيتونيين والقيرويين وأولياهم، فضلا عن تقديم التّعازي، والتّهاني للبعث والنّصيحة والشّكر والتأييد والتّحذير.. الخ

كما وجدنا له بعض الرسائل في شكل برقيات تعازي لأسر بعض المتوفّين، داخل الوطن وخارجه وبعضها قد أبرقها إلى هيئات علميّة عالميّة في وفاة عالم مشهور، أو تعازي لهيئات رسميّة بعد وفاة زعيم من الرّعاء، أو وفاة شخصيّة سياسيّة ذات بال؛ مثلما فعل في وفاة ابن باديس، وبرقيّة تعزيّة في وفاة المنصف باي، وأخرى في فقد السيّد الرّشيد بحطوش...

أمّا رسائله الأدبيّة (الفنّيّة) فهي - على ندرتها - الوعاء الذي صبّ فيه عصارة فكره وإبداعه، ولغته الجميلة، وأسلوبه المنفرد وأفكاره النيرة ومشاعره الوجدانيّة الرّقيقة. فقد أبدع فيها الإبداع كلّ، مرسلا إيّاهها لكافة النّاس لتعمّ الفائدة، ويأخذ كلّ واحد منها الدّرس الذي يناسب حالته. وأشهر هذه الرسائل: "مناجاة مبتورة لدواعي الصّرورة"، التي عزّى فيها صاحبه، ورفيق دربه العلامة عبد الحميد بن باديس، بعد أن انتهى إلى مسمعه نبأ وفاته، وهو في المنفى بأقلو وتعدّر حضوره الجنازة، فسكب في هذه الرّسالة كلّ

معاني الحزن على أخيه كما أبدع في رسالته "رسالة الضَّبِّ"، وقد كان سبب كتابتها هدية لنجله أحمد طالب من تلميذه وصديقه الشيخ أحمد بن أبي زيد قصيبة من مدينة الأغواط، متمثلة في ضبِّ محنط وذلك في 11 شوال 1359 هـ / نوفمبر 1940م.

إلى جانب رسالته إلى الشباب يحذِّرهم من مغبة التَّحْرَب. كما خصَّ فئة الطَّرْقِيِّين في الجزائر ببعض الرسائل توضِّح الموقف الصَّريح لجمعية العلماء من هذه الحركة التي ظلَّت لفترات طويلة في حرب ضروس معها؛ نتيجة لموقفها من الاستعمار الفرنسي، وتعاونها معه للقضاء على الجمعية ورجالها وبخاصة رئيسها عبد الحميد بن باديس، كما كتب رسالة مهمة بعث بها إلى الجزائر تحت عنوان: "تحية غائب كالآيب" في 15 ماي 1953، يخاطب فيها الوطن الحبيب، ويبثُّ إليه خواطره ومشاعره الجياشة وهو بعيد عنه في أرض الغربة.

وفي أكثر من رسالة كتب عن الظلم الذي كابده الشعب الجزائري إبان الفترة الاستعمارية، ومصادرة أرضه وأمواله، وهضم حقوقه وإذلاله، ومحاولة طمس تاريخه وهويته، فجاءت عناوين رسائله الثلاث المزلزلة تحت عنوان "حدثونا عن العدل فإننا نسيناه"، ورسالته الجميلة "عادت لعنترها لميس" وغيرها...

ولذلك فإنَّ الجزء اليسير الذي بقي من رسائل الإبراهيمي، وقد أثبت منها نجله الدكتور أحمد طالب في آثار الإبراهيمي، وبعضها القليل جدًا نشر في بعض الكتب، وبعضها في البصائر، أو على حسابات المواقع الإلكترونية، وما غاب عنا لاشكَّ أنه كثير بكلِّ تأكيد.

وقد حاولنا ضبط هذه الرسائل وتصنيفها وترتيبها، ليس بحسب الترتيب الزمني الذي كتبت فيه؛ بل بحسب المرسل إليهم، منطلقين من العام إلى الخاص:

## 1-2 الرسائل العامة:

- رسالة الضَّبِّ. أرسلها إلى تلميذه أحمد بن أبي زيد قصيبة بتاريخ 11 شوال 1359 هـ.
- رسالة مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة ( في رثاء الإمام عبد الحميد بن باديس). نشرت بجريدة البصائر، العدد 76 بتاريخ: 18-1-1949م، وقد كتبها بتاريخ: أبريل 1941م.
- إلى الأمة.
- إلى الكتاب.
- إلى القراء.
- إلى الطَّرْقِيِّين. بمناسبة رسالتهم إلى جمعية العلماء. نشرت في البصائر، العددان 80 و81 السنة الثانية، 3 و 7 سبتمبر 1937.

- رسالة: تحية غائب كالآيب، نشرت في " البصائر " العدد: 229 بتاريخ: 15-5-1953.

- رسالة ثلاث كلمات صريحة. نشرت في العدد 54 من جريدة البصائر 25-10-1948.
- رسالة: لجنة " فرانس - إسلام" 1. نشرت في البصائر العدد 114، بتاريخ: 3-4-1950.
- رسالة: لجنة " فرانس - إسلام" 2. نشرت في البصائر العدد 115، بتاريخ: 10-4-1950.
- رسالة: نصيحة وتحذير. البصائر، العدد 24، السنة 6، من السلسلة 2، في: 11-9-1953.
- نصيحة دينية. تقدمها الجمعية للأمة الجزائرية الإسلامية. البصائر، العدد 1، السنة 1 من السلسلة 2 في: 25-7-1947م.

- رسالة بخصوص إضراب التلاميذ الزيتونيين. البصائر. العدد 118، سنة 1950م.
- رسالة إلى الكاتب العام للولاية بخصوص إدارة البريد. البصائر، العدد 53 بتاريخ 30-4-1951م./ الآثار ج2، ص: 395.

- عادت لعتها لميس. البصائر، العدد: 64، في: 24-01-1949م.
- ويح المستضعفين. البصائر، العدد: 118-في: 01-05-1950م.
- حدثونا عن العدل فإننا نسيناه 1 و2 و3، البصائر، الأعداد: 119-120-121، سنة: 1950.

## 2-2 الرسائل الإخوانية:

- رسالة إلى الشيخ محمد نصيف.
- رسالة إلى الأديب أحمد بن شريف " دوالي " الملقب بـ"الطنحاوي" (مخطوط).
- رسالة إلى الأستاذ الكبير الفضيل الورثاني. أرسلها من القاهرة في أكتوبر 1955.
- رسالة إلى الأخ المحترم عمر دردور. أرسلها من الرياض في 23 شعبان 1375هـ.
- رسالة إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني. نشرت في كتاب "حياة كفاح" (مذكرات أحمد توفيق المدني) ج2، 1977.

- رسالة إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني. جريدة "الإصلاح، العدد: 60، في: 06-09-1947.
- رسالة إلى الشيخ أبي بكر الأغواطي. أرسلها من منفاه بأفلو في: 09 شوال 1359هـ.
- رسالة إلى الأستاذ أحمد قصيبة. مجلة الثقافة، العدد: 87، ماي/يونيو 1985.
- رسالة إلى المشايخ المعلمين. البصائر، العدد 51، سنة 2، في: 27-09-1948م.
- رسالة: كلمات واعظة لأبنائنا المعلمين الأحرار 1، البصائر، ع: 132، في: 09-10-1950.
- رسالة: كلمات واعظة لأبنائنا المعلمين الأحرار 2، البصائر، ع: 133، في: 23-10-1950.
- رسالة إلى أبنائنا المعلمين الأحرار. البصائر، العدد: 94، بتاريخ: 07-11-1949م.
- رسالة: إلى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل العلم. البصائر، ع: 9، في: 03-10-1947.

- رسالة إلى الطلبة الجزائريين بالزيتونة (بمناسبة ذكرى الإمام عبد الحميد بن باديس). بعث بها في أفريل 1947م، ونشرت في جريدة العبقرية العدد 03، تلمسان -الجزائر، 1366هـ.
  - رسالة إلى الأستاذ إبراهيم الكتّاني. أرسلها من تلمسان في بداية سنة 1945م.
  - رسالة إلى الأستاذ خليل مردم بك. أرسلت من القاهرة بتاريخ 17 يوليو 1954م.
  - رسالة إلى المودودي. أرسلها من القاهرة في 28 يوليو 1955م.
  - رسالة إلى الزاهري. نشرت بجريدة "البصائر" العدد 61، بتاريخ: 27-12-1948م.
  - رسالة إلى ولدي الأديب عمر بهاء الدين الأميري. بعث بها يوم مغادرته باكستان في 11 جوان 1952م.
  - رسالة إلى الأستاذ كامل كيلاني الرجل الذي انتهت إليه حكمة التربية. نشرت في "منبر الشرق" عام 1953م.
  - إلى الأستاذ صالح الأشتر، من آثار الإمام الإبراهيمي، ج4.
  - إلى الدكتور فاضل الجمالي، من آثار الإمام الإبراهيمي، ج4.
  - رسالة إلى الأستاذ عبد الله كنون. (أرسلها من القاهرة يوم: 09 أغسطس) 1962.
  - رسالة إلى الشيخ عمر بن حسن. (أرسلها من القاهرة في 13 يونيو 1958م).
  - رسالة إلى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ. (أرسلها من القاهرة في 13 يونيو 1958م).
  - رسالة إلى الأستاذ الجليل الشيخ أحمد الشرباصي. (أرسلها ضمن كلمة عن الأفغاني في 21 أكتوبر 1957م).
  - رسالة إلى الثّائرين من أبناء الجزائر والمغرب العربيّ (بدون تاريخ) مأخوذة من كتاب الجزائر الثّائرة للأستاذ فضيل الورثلاني.
  - رسالة إلى الأستاذ عبد العزيز الميمني. (وجدت في أوراق الإمام ولا يُعلم هل أرسلت نسخة منها إلى صاحبها أم لا؟).
  - رسالة إلى الأستاذ فاضل الجمالي. (نشرت في مجلة " جوهر الإسلام" السنة الرابعة، العدد 6، تونس، مارس 1972م).
- 2-3 الرسائل الإدارية:**
- رسالة: تحية الجزائر للاجتماع المنعقد يوم 8 ديسمبر، بباريس. (دت)، آثار الإمام، ج4.
  - تقرير مرفوع إلى صاحب الدولة رئيس وزراء الحكومة الباكستانية. تقرير أرسل إلى السيد رئيس حكومة باكستان السيد خواجه ناظم الدين، في ماي 1952م.

- رسالة: دعوة صارخة إلى اتحاد الأحزاب والهيئات، نشرت في جريدة "البصائر" العدد 10 بتاريخ: 13-10-1947م.
- منشور إلى الأمتين الإسلامية والفرنسية. البصائر، السنة 4، العدد 160، في: 7-4-1939م.
- كتاب مفتوح إلى الأعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري. البصائر، ع 33، في: 26-4-1948م.
- بيان من المجلس الإداري لجمعية العلماء. البصائر، ع 51، بتاريخ 27-9-1948م.
- قرار من المجلس الإداري ل ( ج ع م ج ). البصائر، ع 57، بتاريخ 22-11-1948م.
- حيّا الله تونس. البصائر، ع 60، بتاريخ: 20-9-1948.
- تنبيه أكيد إلى رؤساء الجمعيات المحلية. البصائر، ع 60، في: 20-12-1948.
- تحذير 1 البصائر، ع 61، 27 ديسمبر 1948م.
- تحذير 2 البصائر، ع 75، 11 افريل 1949م.
- مؤتمر الثقافة الإسلامية 1. البصائر، ع 90، بتاريخ: 5-9-1949.
- مؤتمر الثقافة الإسلامية 2. (لم تنشر، وجدت مسودتها بين أوراقه)، آثار الإمام، ج 2.
- رسالة إلى كتّاب البصائر. البصائر، الجمعة 15 شوال 1354هـ / 10 جانفي 1936م، وهي الكلمة التي وجّهت باسم المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين.
- رسالة إلى جريدة الإصلاح، جريدة الإصلاح، ع 19، بتاريخ: 11-01-1940م.
- رسالة: كتاب مفتوح إلى رئيس الجمهورية الفرنسية. البصائر ع 81، في: 30-05-1949م.
- رسالة: كتاب مفتوح لسعادة وزير الداخلية للجمهورية الفرنسية. نشرت بجريدة "النهضة" التونسية، في 30-01-1947م، وجريدة "الإصلاح"، ع 48 في: 8-05-1947م.
- رسالة: تحية الجزائر للاجتماع المنعقد يوم 8 ديسمبر بباريس. (مسودة رسالة وجدت في أوراق الإمام ولم يعرف طبيعة هذا الاجتماع).
- برقية تعزية في وفاة المنصف باي. البصائر، ع 49، بتاريخ: 13-09-1948م.
- كارثة الأغواط. البصائر، ع 15، بتاريخ 27-09-1948م.
- دمعة على المنصف، البصائر، ع 49، بتاريخ: 13-09-1949م. وآثار الإمام، ج 3.
- برقية احتجاج، البصائر، ع 94، بتاريخ: 07-11-1949م.
- رسالة إلى الكتّاب، البصائر، ع 86، بتاريخ 11 جويلية 1949م.
- رسالة إلى القراء، البصائر، ع 89، بتاريخ 8 أوت 1949م.
- رسالة: الرقم السجين، البصائر، ع 90، بتاريخ 5 سبتمبر 1949م.

- التهنة باستقلال ليبيا. البصائر ع178-179، بتاريخ 7جانفي 1952م.
- برقية تأييد لمطالب التلاميذ الزيتونيين. البصائر، ع 188، في: 1ماي 1950م.
- تقرير مرفوع إلى صاحب الدولة رئيس وزراء الحكومة الباكستانية(تقرير أرسل إلى السيد رئيس وزراء حكومة باكستان السيد خواجه ناظم الدين)، ماي 1952م.
- برقية إلى حاكم باكستان وإلى رئيس وزرائها في قضية المودودي.(د ت) ص: 191من الآثار.
- بقرقيات احتجاج على خلع الملك محمد الخامس وعلى المعاهدة اللبّيّة البريطانيّة. نشرت في البصائر، ع 240، في: 2، 11-09-1953م. موجهة إلى:
- رسالة إلى السيد رئيس الجمهورية الفرنسية(باريس) و السيد رئيس الوزراء الفرنسية (باريس) و السيد رئيس مجلس النواب الفرنسي (باريس).
- رسالة إلى جلالة الملك مولاي محمد بن يوسف (الرباط).
- رسالة إلى جلالة الملك إدريس السنوسي (بنغازي).
- رسالة إلى حضرة السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية(القاهرة).
- إضراب التلاميذ الزيتونيين. البصائر، ع118، بتاريخ: 01-05-1950م.
- رسالة في شكل مذكرة عن جمعية العلماء إلى الجامعة العربية، صحيفة "منبر الشرق" وصحيفة "الدعوة" في أوت 1954 بالقاهرة.
- رسالة في شكل مذكرة إيضاحية رفعت إلى وزارة المعارف المصريّة ولمشيخة الأزهر الشريف وللأمانة العامّة لجامعة الدول العربيّة في يناير 1953م.
- برقية إلى الملك سعود، أرسلها يوم 9 يناير 1955م.
- برقيتان إلى القائدين جمال عبد الناصر ومحمد أنور السادات. أرسلتا ونشرتا في الصحف المصرية في نوفمبر 1954م.
- رسالة مساعي جمعيّة العلماء في قضية الرّعيم الحبيب بورقيبة. البصائر، ع 279، في: 6-7-1954.
- رسالة: كلمتنا عن إدارة البريد، البصائر، ع 153، بتاريخ: 30-04-1951م.
- بقرقيات بمناسبة اغتيال الرّعيم فرحات حشّاد. أرسلت من القاهرة في: ديسمبر 1952م.
- برقية إلى الاتحاد العامّ التونسي للشّغل. تونس.
- برقية إلى جلالة باي توني، تونس.
- برقية إلى الأستاذين: صالح بن يوسف ومحمد بدر، نيو يورك.

- برقية إلى الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة، نيويورك.
- برقية إلى السيد فوستر دالّس وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية - واشنطن.
- برقية إلى اتحاد نقابات العمال الأمريكي - نيويورك.
- كوارث الاستعمار، رسالة تعزية، البصائر، ع5، في: 5-9-1947م.
- في تشييع جثمان الفقيد عليّ الحامي. البصائر، ع 102، في: 9-1-1950م.
- الرّميل المنستيري، البصائر، ع 106، في: 6-2-1950م.
- بيان حقيقة ورفع إيهام... كتب في مارس 1950م.
- بيانات للأمة من المكتب الإداري لجمعية العلماء في قضية الصّوم والإفطار، البصائر، ع 157 بتاريخ 28 ماي 1951م.
- تعزية في فقدان السيد الرشيد بطحوش. جريدة الإصلاح، ع 17، بتاريخ: 28-01-1940م.
- عزاء للأستاذ التبسي. البصائر، ع10، في: 13-10-1947م.
- رسالة شكر لباكستان. في أبريل 1957م.
- برقية بعنوان: ميلاد الجمهورية العربية المتحدة. أرسلها من القاهرة في فبراير 1958م.
- رسالة إلى مؤتمر التعريب بالرياض. بمناسبة انعقاده عام 1961م.
- نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد. نعيذكم بالله أن تتراجعوا. بيان نشر ووجه من القاهرة في 15-11-1954م.
- نداء إلى الشعب، البصائر، ع28، بتاريخ: 22-03-1948م.
- نداء وتحذير إلى الشعب الجزائري المسلم العربي. البصائر، ع40، في: 21-06-1948م.
- بلاغ من جمعية العلماء، البصائر، ع1، في: 25-07-1947م.
- بلاغ إلى الأمة العربية الجزائرية. البصائر، ع92، بتاريخ 29-03-1948م.
- رسالة تعزية: الشيخ أبو القاسم بن حلّوش، البصائر، ع65، في: 31-1-1949م.
- إلى الأمة. البصائر، ع 74، بتاريخ 04-04-1949م.
- رسائل إلى الأئمة بعنوان: رمضان وحدة الصوم والإفطار. البصائر، ع 84، بتاريخ: 20-06-1949م.
- بيان 1 و2 من رئاسة جمعية العلماء، البصائر، ع 136، بتاريخ 08 جانفي 1951م.
- تتصل من تهمة، البصائر، ع151، السنة 4، من السلسلة 2، في: 19-4-1951م. ر في: 3
- ذخّر من النّصائح للمجلس الجديد. آثار الإمام، ص: 444-445.

- بلاغ. البصائر، ع 176، بتاريخ 10-12-1951م.
- التهنئة باستقلال ليبيا، البصائر، العددان: 178-179، بتاريخ: 7-1-1952م.
- بلاغات. البصائر، اع 157، بتاريخ 14-1-1952م.
- مات شوقي. الشهاب، ج11، المجلد 8، نوفمبر 1932م.

- إحصاء الرسائل التي عثرنا عليها:

المجموع	الرسائل الأراجيز	الرسائل العامة	الرسائل الإدارية	الرسائل الإخوانية
127	09	14	75	29
	%7.08	%11.02	%59.05	%22.83

إحصاء المرسل إليهم:

عامة	التعازي	الثائرون	الإدارية	الهيئات الدولية	الزعماء	العلماء والأدباء	المعلمون	الكتّاب	الطلبة
22	8	4	23	18	17	31	4	4	5

3- بناء الرسالة عند الشيخ الإبراهيمي:

اهتمّ الإبراهيمي ببنية رسائله بكلّ أنواعها، ولم يكن بدعاً من الكتاب في عناصرها الفنيّة، فقد كان محترماً لها ابتداءً وانتهاءً، إلاّ أنّه كان يجدد في بعضها كبصمة خاصّة به، فلم يكن يطيل في ديباجة (الحمدله) كما كان السلف يفعل، ولم يكن يكثر من الدعاء للمرسل إليه. أمّا رسائله العامّة فقد كان يختار لها عناوينها بعناية فائقة بنفسه، وتوطئة قمة في التّشويق، مع تخلّص حسن لا تشعر معه إلاّ وهو يصحبك إلى لبّ الموضوع مع نهايات بديعة في شكل ملخّص أو توجيه أو نصيحة...

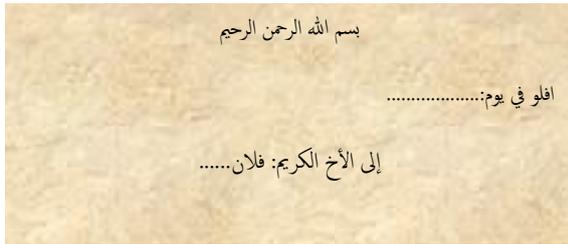
- التّرويسة (الابتداء) أو الافتتاح: أمّا من حيث عناصر الرسالة فنجد الإبراهيمي يحترم صياغتها بشكل كبير، ولم يكن بدعاً من الكتاب فيها، فكان يولي لكلّ عنصر حقّه ومستحقّه. فإذا نظرنا إلى مرحلة الابتداء (الصدر/الافتتاح) نجده أحياناً يتعمّد الاختصار، وأحياناً يطيل على حسب طبيعة النصّ والموضوع لأنّه من المنطق "إذا كان الابتداء حسناً بديعاً ومليحاً رشيقاً، كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام."<sup>(1)</sup>

(1) العسكري أبو هلال: الصناعتين، ص: 437.

ومرّة أخرى يزيد إبراهيم بن المدبّر هذا الأمر توضيحاً فيقول: «وليكن في صدر كتابك دليل واضح على مرادك، وافتتاح كلامك برهان شاهد على مقصدك... فإنّ ذلك أجزل لمعناك، وأحسن لاتّساق كلامك، ولا تطيلنّ صدر كلامك إطالة تخرجه عن حدّه، ولا تقصر به عن حقّه.»<sup>(1)</sup>

ففي الرّسائل الإخوانيّة التي دأب الإبراهيميّ على إرسالها إلى بعض الشّخصيّات داخل الوطن وخارجه، كان حريصاً على ديباجة التّرويسة (الدّمغة) بشكل مختصر جدّاً، على عكس الرّسائل القديمة التي كان الكتاب يعمدون إلى كتابتها، فقد كانت المقدّمات طويلة، يعتمد فيها على الصّنع، وكثرة السّجّع، بعد البسملة والتّحميد والتّصلية.

بيد أنّ العلامة الإبراهيميّ كان يهتم بلبّ الموضوع (الغرض)، دونما إعطاء أهميّة كبرى للتّرويسة (المقدّمة)، فكان يكتفي بذكر:



أ - البسملة.

ب - عبارة: إلى الأخ الكريم: فلان...

- حُسْنُ التّخْلِص: ينبغي الإشارة إلى أنّ بين

الصّدر والغرض روابط لا بدّ من الإشارة إليها، لأنّ الكاتب لا ينتقل مباشرة إلى غرضه، بل يمهدّ له بعبارات تنبّه المتلقّي إلى ما سيأتي. وهو ما يعرف بـ "التّخْلِص"، وقد عرّفه السيوطي (ت 911هـ) بقوله: "هو أن ينتقل ممّا ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه يختلسه اختلاصاً دقيق المعنى بحيث لا يشعر السّامع بالانتقال من المعنى الأوّل إلّا وقد وقع الثّاني بشدّة الالتئام بينهما"<sup>(2)</sup> ويشترط في هذا الانتقال التّناسب بين مفتتح الكلام والغرض، يقول الثّهانويّ (ت بعد 1158): "وعلى الانتقال ممّا افتتح به الكلام إلى المقصود مع رعاية المناسبة."<sup>(3)</sup>

ومن التّخْلِص استعمال الإشارة إلى غرض الرّسالة: قال أبو الفتح ابن جنّي: "وإذا كان المرسل حاذقاً، أشار في تحميده إلى ما جاء بالرّسالة من أجله"<sup>(4)</sup> أي أشار إلى غرضه من كتابه إعداداً للمرسل إليه أو تنبيهاً.

يتخلّص الكاتب، إذًا، في ابتداء الخطاب إلى غرض الرّسالة بألفاظ مثل: كتبت وكتابي، وغيرهما، أمّا في ردّ الجواب فيستعملون ألفاظاً من قبيل: ورد، ووصل، وغيرهما. كما قد يستعملون العبارة المشهورة (أمّا

(1) إبراهيم بن المدبّر: الرّسالة العذراء، شرح زكي مبارك، مطبعة دار الكتاب المصريّة، القاهرة، ط2، 1931م، ص: 22.

(2) السيوطي جلال الدّين: الإتيان في علوم القرآن، ج2، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، (د ط) 1988م، ص: 291.

(3) الثّهانويّ محمد عليّ بن عليّ بن محمّد: كشاف اصطلاحات الفنون، ج2، المحقّق: رفيق العجم و عليّ دحدوح، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1996م، ص: 46.

(4) الكلاعي أبو القاسم محمد بن الغفور: إحكام صنعة الكلام، تح: محمد رضوان الدّاية، دار الثقافة، بيروت، (دط)، 1966، ص: 73.

بعد)، يقول عمر بن الخطاب في رسالته إلى أبي عبيدة بن الجراح (40 ق هـ/584م - 18 هـ/639م): "بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن أبا بكر الصديق خليفة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد توفي، فإنا لله وإنا إليه راجعون ورحمة الله وبركاته على أبي بكر الصديق العامل بالحق والامر بالقسط والآخذ بالعرف اللين السثير الوادع السهل القريب الحكيم، ونحتسب مصيبتنا فيه ومصيبة المسلمين عامّة عند الله تعالى." (1)

#### - العناوين:

حرص الإبراهيمي دائماً على حسن اختيار عناوين الرسائل التي كان يكتبها حرصه على اختيار المواضيع والأساليب والألفاظ والصّور، فلا يكتب رسالة - مهما كان نوعها - إلاّ وينتقي لها أجمل العناوين وأقواها جذباً، وتشويقاً للقارئ، فكان يكتبها في شكل جمل فعلية أو جمل اسمية تستهوي المخاطب، وبخاصّة في الرسائل الوصفية (العامة)، فيجتزئ لها عناوين من لبّ المواضيع تارة، ومن التراث العربي القديم الأصيل تارة أخرى، من أمثال وحكم كرسالته الموسومة بـ (عادت لعثرها لميس). وكان يحرص على تضمينها السّجع - وهو كثير عنده - كما في رسالته التي كتبها بمناسبة وفاة صديقه العلامة عبد الحميد بن باديس - رحمه الله - الموسومة بـ (مناجاة مبثورة لدواعي الضرورة).

وربما اشتقّ عناوينه من قاموس الحيوانات التي اختزنت بذاكرته منذ الصّغر، مثل رسالته المشهورة (رسالة الضبّ)، ليدخل القارئ في دوامة من التفكير عن سرّ هذا الحيوان العجيب وكنهه، حيث استطاع الإبراهيمي أن يبرز أسرار الغريبة التي استوحاها من ذاكرته الجبارة التي حوت النصوص الشعرية، والآثار التراثية، والقصص القديمة عن هذا الحيوان الصّحراوي، والرّمزية الرائعة التي يحملها.

#### - لبّ الموضوع (العرض):

أمّا العنصر الرابع في الرسالة فهو العرض، ويسمّيه البعض بـ "المتن"، ويعدّ الجزء الأساس في أيّ رسالة. لذا يحرص الكتاب على التمهيد له، وحسن عرضه وتقديمه، وجمال التعبير عنه، ليلقى الاستجابة والإقبال من طرف المتلقّي، وليحقّق المقصد منه، غير أنّ أغراض الرسالة تختلف من نوع إلى آخر. فإذا جاء الإبراهيمي إلى العرض (المقصد)، والذي يعرف في عصرنا بلبّ الموضوع، وجدناه يفرغ كنانته بسيل زخار من الأفكار، والألفاظ الرّاقية، والمعاني السّامية، والأساليب الممتعة، والخيال الخصب بعد إضفاء لمسة ساحرة من عنصر (حسن التخلّص) بطريقة سلسة لا يشعر معها المتلقّي بشيء.

(1) ينظر، سيد كسروي حسن: موسوعة آثار الصحابة، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط)، 1997، ص: 264.

ف"التخلّص: هو أن ينتقل ممّا ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا دقيقا المعنى، بحيث لا يشعر السّامع بالانتقال من المعنى الأوّل إلّا وقد وقع الثّاني بشدّة الالتئام بينهما."<sup>(1)</sup> وهي المساحة التي يستغلّها لكتابة المقصود، وإيصال ما في نفسه من أفكار وشعور وإحساس ووجدان وخواطر تجاه المرسل إليه بلغة راقية، وأسلوب جذّاب، وعبارات رقراقة جميلة تنبئ عن صفاء السريرة، ونقاوة القلب تجاه الأخ الكريم المعني، فيسأل عن أحواله ويرفع من معنوياته، ويشجّعه على مشروعه، ويبثّ إليه أشواقه الحيّاشة...

وربما لم تكفه الورقة الواحدة، فيلجأ إلى أخرى، أو إلى استغلال الهامش الأيمن للورقة لتكملة الرّسالة بخطّ عموديّ، فإذا اضطرّ إلى أكثر من صفحة عمد إلى ترقيم الصّفحات.

#### - الخاتمة:

وتسمّى قديما (المقطع) ويقابله المقدّمة أو الابتداء، يقول أبو هلال العسكريّ: "والابتداء أوّل ما يقع في السّمع من كلامك، والمقطع آخر ما يبقى في النّفس من قولك، فينبغي أن يكونا مؤثّقين، فالتّجويد والتّحسين فيهما مطلوبان لأثرهما في النّفس."<sup>(2)</sup>

وقد ظلّ الإبراهيميّ طوال حياته مهتمّا بحسن خاتمة رسائله بعد جولة قد تستغرق صفحات عدّة بشكل عبقريّ، يتمنّى القارئ معها لو أنّه لم يمه خطابه. وهي مرحلة لا بدّ منها، وإلّا وقع الملل في النّفوس، وعنده الاختتام يكون مختلفا عن خواتيم الرّسائل القديمة، والتي -عادة - تُختتم ببديهة وعظية طويلة مشبّعة بالسّجع والآيات والأحاديث النّبويّة... بينما الإبراهيميّ كان يكتفي برفع الدّعاء أحيانا للمرسل إليه، ثمّ إثبات التّوقيع الرّسميّ الخاصّ به، والذي يحمل اسمه "محمّد البشير الإبراهيميّ" وأحيانا يلصقه بعبارة "أخوكم"، فالاعتناء، إذًا، بـ"الخاتمة" من حيث تجويدها وتحسينها أمر مطلوب لما له من أثر في النّفس.

#### 4- القيمة الفنّيّة لرسائل الشّيخ الإبراهيميّ:

في الوقت الذي ضعفت فيها اللّغة، وترهّلت فيه الفنون الأدبيّة، وبدأ اللّسان الجزائريّ يصيبه العيّ وطغت عليه مفردات اللّغة الفرنسيّة؛ خرج محمّد البشير الإبراهيميّ كعلم من أكبر الأعلام العرب إبداعا في مختلف الفنون النثريّة والشّعريّة على حدّ سواء ومنها فنّ الترسّل.

(1) السيوطي جلال الدّين: الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص: 291.

(2) العسكريّ أبو هلال: الصناعتين الكتابة والشعر، ص: 131.

فكان اهتمام الإبراهيمي بالرسائل بمختلف أنواعها وموضوعاتها، وكانت وسيلته إلى جانب المقالة والخطابة للتواصل مع الآخرين، وتبليغ آرائه وآراء الجمعية ومواقفها، وللتعبير عن قناعاته الشخصيّة إزاء قضايا عصره، الدعويّة والسياسيّة والاجتماعيّة والوطنية والعالمية... وللتواصل مع إخوانه الدعاة والعلماء والأدباء والزعماء السياسيين داخل الوطن وخارجه، إلى جانب خوضه مجال الرسائل الأدبيّة التي أبدع في كتابتها، وأحسن اختيار مواضيعها التي تراوحت بين الوجدانية والسياسيّة والوطنية...

فرسائل الإبراهيمي لوحة فنيّة وفسيّفاء رائعة، ما إنْ ينهي الابتداء وأبجديّة التخلّص القصيرة جدًّا في مختلف ما كتب، حتّى يشرع في الموضوع مباشرة كأنه في عجلة من أمره لإيصال الفكرة إلى المرسل إليه، أو الدخول في لبّ الموضوع إذا كان من النوع الأدبيّ.

لقد زاحم الإبراهيمي كبار الكتّاب في زمانه، بل يكاد يكون هو المتفوق عليهم بلا منازع؛ لما اتّصف به من براعة لغويّة، وخيال واسع، قلّ نظيره في عصره، وكذا قاموسه الموسوعيّ الثريّ بزخم لفظيّ زاخر حقّقه بعد حصاد سنوات من الحفظ والدراسة في أمّات الكتب المعتمدة في الشّعْر والخطب والرسائل والحكم والأمثال العربيّة، فضلا عن حفظه لكتاب الله (القرآن الكريم) وتفاسيره وحفظ الأحاديث النبويّة الشريفة وشروحاتها، واطّلاعه الواسع في كتب السير العطرة وأيامها وتاريخ الرجال والأمصار وأسرارها... إلى درجة أنّ البعض يشبّهه بالجاحظ وابن المقفّع؛ بسبب كتاباته الموسوعيّة في مختلف الفنون الأدبيّة وأسلوبه الرّاقّي ولغته البديعة.

وعلى الرّغم من ضياع كثير من الرسائل التي يكون الإبراهيمي قد كتبها خلال مسيرته الطويلة التي نيفت عن سبعة عقود، فإنّ ما تبقى منها يدلّ دلالة قاطعة على ما وصل إليه الرّجل من مكانة مرموقة في فنّ الترسّل، في زمن قلّ فيه الناطقون بلغة الضّاد؛ بفعل سياسة التّجهيل التي انتهجها الاستعمار الفرنسيّ الغاشم.

والرّصيد الذي بيّن أيدينا من رسائل الإبراهيمي على اختلاف أنواعها (إخوانيّة، ديوانيّة وأدبيّة) تنبئ عن مكانة فنيّة لمحتوياتها. لقد ظلّ قلّة منها محطّ اهتمام الكتّاب والنقاد بدراستها وتحليلها والإشادة بأسلوبها الأنيق، ولغتها الرّاقية، وبلاغتها الثّرية، وهندسة عناوينها الموحية كما فعل الدكتوران: عبد الملك مرتاض في كتابه: فنون النثر في الجزائر، وعبد الملك بومنجل في كتابه: النثر الفنّي عند البشير الإبراهيمي<sup>(1)</sup>.

(1) أحصى الباحث مسعود فلّوسي أربعين دراسة ما بين أطروحة دكتوراه وماجستير في بحث له بعنوان: الشيخ الإبراهيمي في البحوث الجامعيّة والمؤلّفات الفكرية. (ينظر، المكتبة الجزائرية الشاملة، <https://shamela-dz.net>)

لقد احتلت رسائل الإبراهيمي مكانة محترمة لا تقل أهمية عن بقية الفنون الأدبية الأخرى التي كتب فيها، كالمقالات والمسرحيات والمقامات والخطب والشعر... طالما أنها تخرج من مشكاة واحدة، وقلب حيّ، وإحساس مرهف أضنته المتاعب، وأزقتها الظروف العصيبة التي فرضتها سياسة الاستعمار الفرنسي.

فالإبراهيمي يتخير ألفاظ رسائله بعناية فائقة، وبقدرة عجيبة في استدعاء القاموس الضخم الذي حفظه منذ الصغر، فيحرص على وضعها في مكانها اللائق، بعد أن يزنها، فتأتي معبرة عن الموقف الزاهن كما ينبغي، وكما آمن به. وقد أشار إلى هذا المعنى أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي (ت 328هـ) صاحب العقد الفريد حيث يقول: «فإن حاولت صنعة رسالة فزن اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف إذا عرضت، وعاير الكلمة بمعيارها إذا سحنت»<sup>(1)</sup>.

ومما زاد رسائل الإبراهيمي مكانة فنية عالية؛ احتفاؤه بالفارسي (المتلقي) سواء أكان من الأصدقاء المقربين، أم من الطلاب الجزائريين، أم من النخب الفاعلة، أم من عامة الناس؛ فمع كل صنف من هؤلاء يراعي قدراتهم العقلية، ومستوياتهم المعرفية، ومكانتهم الاجتماعية، حيث يخاطب كل منهم بما يناسبه. يقول أبو هلال العسكري (ت 395): "فأول ما ينبغي أن تستعمله في كتابتك [...] مكاتبة كل فريق منهم على مقدار طبقتهم وقوتهم في المنطق."<sup>(2)</sup> وإلى نحو ذلك أشار إبراهيم بن المدبر (195-279هـ) في رسالته (العذراء) المشهورة "ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن تراعيها في مراسلتك إيّاهم في كتبك، فتزن كلامك في مخاطبتهم بميزانه، وتعطيه قسمه، وتوفيه نصيبه..."<sup>(3)</sup> ويزيد الأمر توضيحا فيقول: «ولا تخاطبنا خاصا بكلام عام، ولا عاما بكلام خاص، فمتى خاطبت أحدا بغير ما يشاكله، فقد أجريت الكلام غير مجراه...»<sup>(4)</sup>.

ثم بعد هذا كله يختار الإبراهيمي لرسائله العامة - خصوصا- عناوين جذابة موحية ومشوقة تلخص المحتوى، وتدفع المتلقي إلى الإقبال على قراءته بكل شغف، مثل عنوان (عادت لعترها لميس)، (حدثونا عن العدل فإنا نسيناه)، (رسالة الضب)، (مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة)...

ولم يكن الإبراهيمي قد أبدع في فنّ الترسل النثريّ فحسب؛ بل لقد خاض تجربته في كتابته شعرا في شكل أرجوزات، وهو طابع كتب به القدامى رسائلهم، واشتهر فيه الأدباء الأندلسيون<sup>(5)</sup> فقد كانوا «يطلقون

(1) إبراهيم بن المدبر: الرسالة العذراء، ص: 26.

(2) العسكري أبو هلال: الصناعتين الكتابة والشعر، ص: 48.

(3) إبراهيم بن المدبر: المرجع نفسه، ص: 22.

(4) إبراهيم بن المدبر: المرجع نفسه، ص: 35.

(5) ينظر: أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي: العقد الفريد، ج2، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ص: 61.

لفظ رسالة أحيانا على القصائد والمقطوعات الشعريّة التي ينظمها الشاعر على شكل خطاب موجّه إلى صديق أو غيره في أيّ موضوع.<sup>(1)</sup> لكن مع تقدّم العصر ابتعد عنها الكتاب لسهولة كتابتها نثرا، وصعوبة إخضاع فنّ نثريّ للقواعد الشعريّة، وقد سجّل الإبراهيمي بصمته في هذا الفنّ وتفرّد فيه.

فإذا جئنا إلى العاطفة التي كتب الإبراهيمي بها رسائله وجدناها ملوّنة كألوان الطيف الجميلة، حيث تعدّدت بين العاطفة الدنيّة والعاطفة الوطنيّة، وبين عاطفة حبّ الوطن والدّود عنه، وبين عاطفة الكره والبغض للاستعمار الجاثم على رقاب الجزائريين، وبين عاطفة الدّفاع عن الشّعوب المقهورة، وبين عاطفة الدّعوة إلى التّهوض على الأوضاع المزريّة. وبين عاطفة الدّعوة إلى العلم والمعرفة، وعاطفة المعركة لمحاربة الجهل والأميّة، وبين عاطفة البناء والنّهضة، وعاطفة الألم بسبب التخلّف والهوان في كلّ الرّبع وبين عاطفة الدّعوة لمحاربة المستعمر وتحقيق الحرّية والاستقلال، وعاطفة القهر والإذلال والجبروت وبين عاطفة المطالبة بالعدل والإنصاف، وعاطفة الشّعور بالقيّد والتّقي وزنانات السّجون، وبين عاطفة تجنيد الشّباب للالتحاق بصفوف الثّوار، والانخراط في صفوف جمعيّة العلماء، وعاطفة الإحباط ومرارة الطّعن في الظّهر من أبناء الجلدة وأخوة التّراب والدّم، وبين عاطفة التّضييق في الوطن المكّوم، وعاطفة الشّعور بحرقه الغربة، والابتعاد عن الدّيار، وبين عاطفة الجدّ والصّرامة والانضباط، وبين عاطفة الدّعابة والسّخرية.

فإذا تأملنا عنصر الأفكار والمعاني في رسائل الإبراهيمي، فلا يمكن لأحد الادّعاء بسطحيتها، فكلّ الأفكار التي يعالجها تتدقّق بمعان سامية وراقية؛ لأنّها في معظمها نابغة من قلب مخلص، ووجدان محترق، صادرة من واقع معيش تتخبّط فيه الإنسانيّة برمتها من استعمار وظلم وفقر وجهل وأدواء وسجون وتعذيب وغربة و...

ولم يكن الإبراهيمي يعالج في رسائله قضايا عصره بالسّطحيّة المعهودة عند البعض ممّن يكتفون بالإشارة إليها وتحليلها ووصفها وتصويرها ودعوة النّاس للانتباه إليها، وهذا نوع من الخطاب السّلبّي لا يورث إلّا معاني سلبية، وأنّما وجدنا الإبراهيمي يكتب في مواضيع كثيرة بعمق، وبتحليل واقعيّ، يحيطه من كلّ الجوانب، ويقدم التّفسير الصّحيح للمشكلات، خاصّة إذا كانت متعلّقة بفكرة الإصلاح والنّهضة والاهتمام بالشّباب والدّعوة إلى التّغيير، ولم يكن يكتفي بتشخيص العلل، بل يقترح الحلول المناسبة شفيعه في ذلك الإقناع باستحضار الحجج والدلائل والبراهين، وهو ما يسمّيه البعض بالمعاني الإيجابية.

وعلى الرّغم من هذه الإيجابية في الطّرح، إلّا أنّ الإبراهيمي يضع كلّ رسائله في قالب من روح الخيال الواسع كعنصر مهمّ لأيّ عمل أدبيّ محترم؛ فالخيال هو ملكة التّصوّر و التّصوير، كما يعني

(1) فايز عبد النبي فلاح القيسي: أدب الرسائل في الأندلس في ق 5، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1989م، ص: 79 .

الخيال في النصّ الأدبيّ الصّور الأدبيّة المترجمة لعواطف الأديب، فتستقرّ المتلقّي، وتثير مشاعره، وتولّد المعاني الرّاقية في نفسه.

يبقى أن نشير إلى أنّ كلّ هذه العناصر على أهمّيّتها لا بدّ لها من حاضن يحتويها ألا وهو الأسلوب فمهما أبدع الأديب في اختيار اللفظ، وصدق العاطفة، والأفكار والمعاني العميقة والخيال الواسع، ولم يعرّز ذلك بأسلوب جميل، كان عمله باردا لا حرارة فيه!

فالأسلوب بمعناه الواسع هو طريقة الأديب في التّفكير والانفعال والتّصوير والتّعبير؛ أي: هو نتاج عناصر الأدب كلّها، وهو الأمر الذي أبدع فيه الإبراهيميّ إلى درجة أصبح أسلوبه مُتميّزا ومُميّزا عن غيره حتّى أصبح يعرف به، شهد بمكانته المشاركة والمغاربة على حدّ سواء.

# الفصل الأول

# الفصل الأوّل

## الأسلوب والأسلوبية: المفهوم – النشأة – الاتجاهات

أولا / الأسلوب بين العرب والغرب

1. الأسلوب لغة واصطلاحاً
2. الأسلوب عند العرب
3. الأسلوب عند الغرب (الأوروبيين)

ثانيا / الأسلوبية بين العرب والغرب

1. مفهوم الأسلوبية
2. الأسلوبية بين العرب والغرب: النشأة والتّرواد
3. اتجاهات الأسلوبية في الدّراسات المعاصرة
4. مداخل ومحدّدات التّحليل الأسلوبيّ

## تمهيد:

اهتمّ النقاد القدامي بالأسلوب وضبطوا مفهومه وقعدوا له قواعد، واعتبروه جزءاً من البلاغة العربيّة وجعلوه قسماً مهماً في الدراسات اللغوية والنقدية والأدبية على حدّ سواء، بل اعتبروه علماً مستقلاً بذاته فالأفكار والمواقف والقناعات تكون في ذهن المبدع ونفسه، ثمّ يقوم بترجمتها إلى أرض الواقع بواسطة الأسلوب الذي يختلف من شخص إلى آخر، فتنتهي صورة الإبداع إلى وجه من الخلق والجمال والأناقة ممّا يوّلّد تأثيراً يهزّ المتلقّي، وتحريكا لانفعالاته وعواطفه. ثمّ جاء الغرب وطوّر مصطلح الأسلوب وأضفى عليه كثيراً من القواعد والنظريات بعضها اندثر وبعضها ما يزال يجد مكانه في الدراسات النقدية الحديثة وقد أطلقوا عليه مصطلح "الأسلوبية" التي وجدت طريقها إلى النقد العربيّ، ولقيت ترحيباً من النقاد العرب فاحتضنوها وترجموا نظرياتها وراحوا يطبقونها على الإبداع الأدبيّ، شعره ونثره. وقبل أن نستفيض في التفاصيل، لا بدّ أن نتعرّف على مفهوم المصطلحين كما تقتضيه البحوث والدراسات المنهجية.

## أولاً: الأسلوب بين العرب والغرب:

## 1- الأسلوب لغة واصطلاحاً:

الأسلوب لغة: إنّ مفهوم كلمة (أسلوب) قديم قديم استعمله، ولعلّ أقدم إشارة وصلت إلينا ما نقله الجاحظ في البيان والتبيين من كلام الهنود عن خصائص الأسلوب.<sup>(1)</sup>

لم يكن مصطلح "أسلوب" معروفاً في القرون الأولى كما هو الشأن اليوم، وربما استخدمه بعض العرب للدلالة على أشياء أخرى لا علاقة لها بالأدب. فهذا ابن منظور (1232 م - 1311 م) (630 هـ - 711 هـ) يقول: "يقال للسّطر من النّخيل، وكلّ طريق ممتد فهو أسلوب، فالأسلوب الطّريقة والوجهة والمذهب، يقال أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب، والأسلوب الطّريق تأخذ فيه، والأسلوب الفنّ، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي: في أفانين منه."<sup>(2)</sup>

ففي قول ابن منظور الأسلوب الفنّ، أو أساليب من القول أي أفانين منه يدلّ على أنّ مفهوم الأسلوب لم يبقَ محصوراً في التّحديد اللّغويّ، وإنّما جاوزه إلى معنى الاصطلاح أو قارب ذلك.

أمّا الأسلوب عند الزّمخشريّ (ت538هـ) فيقول في مادة سَلَبَ: "سلبه ثوبه وهو سلب، وأخذ سَلَبَ القتيل، وأسلاب القتلى ولبست النّكلى السّلاب، وهو الحداد، وتسلبت وسلبت على ميتّها فهي مسلب والإحداد على الرّوج والتّسليب عام وسلكت أسلوب فلان: طريقته وكلامه على أساليب حسنة.

(1) الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، شرح وتحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1985م، ص: 92.

(2) ابن منظور: لسان العرب، ص: 456.

ومن المجاز: سلبه فؤاده وعقله وأستلبه، وهو مسلب العقل، وشجرة سليب: أخذ ورقها وثمارها... وناقاة سلوب: أخذ ولدها، ونوق سلاب، ويقال للمتكبر: "أنفه في أسلوب إذا لم يلتفت يمناً ولا يسرة".<sup>(1)</sup>

**الأسلوب اصطلاحاً:** هو طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه.<sup>(2)</sup>

## 2 - الأسلوب عند العرب:

لم يستعمل مصطلح (أسلوب) في كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ، واستعمل مرة واحدة عند عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، وفي مرّات عدّة عند حازم القرطاجني (ت684هـ) في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء". و"استقرت كلمة الأسلوب في صيغتها الاسميّة في "لسان العرب" لابن منظور وفي فصل "صناعة الشعر" من مقدّمة ابن خلدون (ت808هـ)، وتحدّدت للأسلوب في هذين المصدرين بعض معالمه اللغويّة والاصطلاحية المهمّة.<sup>(3)</sup>

والأسلوب لم يستخدمه العرب بهذا اللفظ كما ذكرنا آنفاً إذ لم يكن مصطلح الأسلوب متداولاً بهذا الاسم عند البلاغيين العرب القدامى، وإنّما كانوا يستخدمون بدلاً منه مصطلحات أخرى للدلالة عليه مثل "الصياغة، وحسن السبك، وجمال التركيب وغيرها من المصطلحات".<sup>(4)</sup> يقول الجاحظ (ت255هـ): "والمعاني مطروحة في الطّريق، يعرفها العجميّ والعربيّ، والبدويّ والقرويّ، والمدنيّ، وإنّما الشّأن في إقامة الوزن وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحّة الطّبع، وجودة السّبك، فإنّما الشّعْر صناعة من النّسيج، وجنس من التّصوير".<sup>(5)</sup>

بيد أنّ هذه المعاني قد اتّسعت عند البلاغيين والنقاد العرب؛ الذين ربطوا معناها بعدّة مسارات فالأسلوب عند بعضهم يدلّ على طريقة العرب في أداء المعنى، مثلما نجد ذلك عند:

1- ابن قتيبة (ت276هـ) ربط الأسلوب بمراعاة مقتضى الحال، حيث يقول: "فالخطيب إذا ارتجل كلاماً لم يأت به من واد واحد، بل يتقنن، فيختصر تارة وإرادة التّخفيف، ويطيل تارة وإرادة الإفهام، ويكرّر تارة وإرادة التّوكيد، ويخفي بعض معانيه حتّى يغمض على أكثر السّامعين، ويكشف بعضها حتّى يفهمه

(1) الزّمخشري جار الله: أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1984، ص: 304.

(2) الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1992، ص: 361.

(3) يوسف أبو العدوس: الأسلوبية، الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للطباعة والنشر، الأردن - عمان، ط4، سنة: 2016، ص: 23.

(4) نصر الدّين بن زروق: الأسلوب في التراث العربي والدراسات الحديثة، حوليات جامعة الجزائر، العدد 22، جويلية 2012، ص: 69.

(5) الجاحظ: الحيوان، ج4، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دط)، (دت)، ص: 131.

بعض الأعجميين، ويشير إلى شيء، ويكتفي عنه، وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال، وكثرة الحشد وجلالة المقام.<sup>(1)</sup>

**2- القاضي محمد بن الخطيب الباقلائي (ت403هـ)** ربط الدرس الأسلوبية بالدراسات حول الإعجاز القرآني، فالنظم القرآني تفرّد بأسلوب مميّز لا نظير له، لا أحد يضاهيه، يقول: "إنّ نظم القرآن على تصرف وجوهه وتباين مذهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختصّ به، ويتميّز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد."<sup>(2)</sup>

**3- وتابعه في هذا المعنى القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (-392هـ)** الذي رأى أنّ اختلاف القوم في نظم أشعارهم إنّما هو نابع من اختلاف طبائعهم، وتركيب خلقهم. ونادى بضرورة مناسبة **المقال للمقام**، فلا يكون الغزل كالافتخار، ولا المديح كالوعيد، ولا الهجاء كالاستبطاء، ولا الهزل بمنزلة الجدّ، "فإنّ المدح بالشجاعة، والبأس يتميّز عن المدح باللباقة والظرف، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام، فكلّ واحد من الأمرين نهج هو أملك به، وطريق لا يشاركه الآخر فيه."<sup>(3)</sup> وقد يتّصل مفهوم (الأسلوب) عند آخرين **بالغرض والموضوع**، مثلما نجد ذلك عند **الحاتميّ (388هـ)** و**الباقلائي (403هـ)** و**ابن رشيق القيرواني (456هـ)**<sup>(4)</sup>. وربما اقترب من مفهوم النظم الذي يمثّل الخواصّ التعبيرية في الكلام، وذلك نجده ماثلاً في كتابات **عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)**، إذ قال: "واعلم أنّ الاحتذاء عند الشعراء، وأهل العلم بالشعر، وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض أسلوبيا - والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه- فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره فيشبهه بمن يقطع من أديمه نعلا على مثال قد قطعها صاحبها؛ فيقال قد احتذى على مثاله."<sup>(5)</sup>

وقد ورد ذكر الأسلوب في كثير من الدراسات في التراث العربيّ، وهو يعني عندهم الكيفية التي يشمل بها المنكّم كلامه، سواء أكان شعرا أم نثرا، فهذا أبو سليمان الخطّابيّ (319-388هـ) في تحديد نوع من الموازنة بين المعارضة والمقابلة: "وهو أن يجري أحد الشعارين في أسلوب من أساليب الكلام

<sup>(1)</sup> ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري: تأويل مشكل القرآن، شرح أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، مصر، ط2، 1973، ص: 10-

.11

<sup>(2)</sup> الباقلائي محمد بن الخطيب: إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، القاهرة، مصر، 1972، ص: 35.

<sup>(3)</sup> عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبّي وخصومه، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مصر، ط3، (دت)، ص: 24 .

<sup>(4)</sup> ينظر: محمد حسين عبد الله المهداوي: نظرة في الأسلوب والأسلوبية (محاولة في التنظير لمنهج أسلوب عربي)، مجلة أهل البيت، جامعة

كربلاء، العراق، العدد2، 2005م، ص: 152.

<sup>(5)</sup> عبد القاهر لجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 411.

وواد من أوديته، فيكون أحدهما أبلغ في وصف ما كان من باله من الآخر في وصف ما هو بإزائه، وذلك مثل أن يتأمل شعر أبي داود الأيادي والنابغة الجعدي في صفة الخيل، وشعر الأعشى والأخطل في نعت الخمر<sup>(1)</sup> وغير ذلك.

والمتمأمل في تناول النقاد والبلاغيين لمصطلح أسلوب يجد أنهم يفهمون مدلول هذا المصطلح فهمًا جيّدًا، وسوف نتبيّن ذلك عندما نقف على بعضهم، الذين تحدّثوا في الأسلوب، منهم:

– ابن رشيق ( ت 456 هـ ): يتّجه بالأسلوب إلى الصياغة اللفظية وما يتوفّر فيها من تلاؤم الأجزاء وسهولة المخرج، وعذوبة النطق. حيث يقول: قال أبو عثمان الجاحظ: "أجود الشعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه أفرغ إفرًاغًا واحدًا، وسُبك سبكا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"<sup>(2)</sup>. وإذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذي ذكره الجاحظ لذّ سماعه وخفّ محتمله، وقرب فهمه، وعذب النطق به، وحلّى في فم سامعه، فإذا كان متنافرا متباينا عسر حفظه، وثقل على اللسان النطق به، ومجته المسامع، فلم يستقر فيها منه شيء"<sup>(3)</sup>.

– أبو يعقوب السكاكي ( ت 626 هـ ): ربط بين الأسلوب والخاصية التعبيرية كما فعل الرّمخشريّ ولذلك تحدّث عن أسلوب الالتفات، وبيّن أثره في المتلقّي.

– ابن الأثير ( ت 637 هـ ): ربط بين الأسلوب وأوجه التصرّفات في المعنى والافتتان فيها باعتبار أنّ الشّاعر المفلّق، والكاتب البليغ هو الذي إذا أخذ في معنى من المعاني تصرّف فيه بوجوه التصرّفات وأخرجه في ضروب الأساليب. ومثّل لذلك بهجاء جرير للفرزدق، ووصفه له بالمفلّق...<sup>(4)</sup>

– حازم القرطاجني ( ت: 684 هـ ): في كتابه ( منهاج البلغاء وسراج الأدباء ) فصل مطوّل بعنوان: "المنهج الثالث في الإبانة عن الأساليب الشعريّة، وأنحاء الاعتمادات فيها". وقد تحدّث فيه عن ملاءمة الأساليب للأغراض، وأنّ الأساليب تختلف باختلاف الأغراض وأحوال المخاطبين، حيث قال: "إنّ أساليب الشعر تتوّع بحسب مسالك الشعراء في كلّ طريقة من طرق الشعر، وبحسب تصعيد النفوس فيها إلى حزونة الخشونة، أو تصويبها إلى سهولة الرّقة، أو سلوكها مذهبًا وسطًا بين ما لان وما خشن

(1) نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، مطبعة دار هومة، الجزائر، (دط)، سنة 2010، ص: 143-144.

(2) الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص: 66.

(3) القيرواني ابن رشيق أبو علي الحسن: العمدة في صناعة الشعر وأدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط4، 1972م، ص: 257/1.

(4) محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، مصر، ط1، 1994، ص: 12-14.

من ذلك، فإنّ الكلام منه ما يكون موافقا لأغراض النفوس الضعيفة الكثيرة، والإشفاق ممّا ينوبها أو ينوب غيرها، ومنه ما يكون موافقا لأغراض النفوس الخشنة القليلة المبالاة بالأحداث...<sup>(1)</sup>

بينما نجد البلاغي **ابن طباطبا العلوي** (ت 322هـ)، يعرّف الأسلوب وهو من الأوائل المهمين به دون أن يسمّيه بالاسم، وقد ربطه بصناعة الشاعر لشعره، فهو يصوغ: "المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه فكره نثرا، وأعدّه له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه. فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر، وترتيب لفظون القول فيه، بل يتعلق كلّ بيت يتفق نظمه، على تفاوت ما بينه وبين ما قبله. فإذا كملت له المعاني، وكثرت الأبيات وقّ بينها بأبيات تكون نظما لها وسلكا جامعا لما تشنّت منها."<sup>(2)</sup>

**– يحيى بن يحيى العلوي (ت 749 هـ):** في كتابه "الطرّاز المتضمّن لعلوم البلاغة وحقائق الإعجاز" يسوّي بين الأسلوب والنّظم، وهو في هذا متأثر بالإمام عبد القاهر الجرجاني، حيث يقول: "يجب على النّاطم والنّاثّر فيما يقصد من أساليب الكلام مراعاة ما يقتضيه علم النّحو، أصوله وفروعه من تعريف المبتدأ أو تقديمه، وجوبا إذا كان استفهاما أو شرطا، وجوازا في غير ذلك، ومراعاة تنكير الخبر وتقديمه إذا كان المبتدأ نكرة، وأن يراعى في الشّروط والجزاء كون الجملة الأولى فعلية وجوبا، والثّانية بالفاء إذا كانت جملة اسمية أو فعلية إنشائية كالأمر والنّهي، أو خبرية ماضية."<sup>(3)</sup>

فالأسلوب صورة تتمثّل فيها العلاقات النّحوية من حيث تركيب الجمل، ومن حيث إنّ لكلّ شاعر طريقته الخاصّة في استخدام هذا النّحو... كما أنّه ربط بين الأسلوب وطرق أداء المعنى في حديثه عن الإبهام والتّفسير، وهو هنا متأثر بابن الأثير.

وممّا سبق يتّضح أنّ الأسلوب عند البلاغيين هو النّمط من التّركيب، أو الطّريقة التي يأتي عليها الكلام، فالوصل أسلوب، والفصل أسلوب، والقصر أسلوب، والدّكر أسلوب والإعجاز أسلوب، والإطناب أسلوب... وهكذا.

(1) القرطاجني أبو الحسن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1986، ص: 113.

(2) العلوي ابن طباطبا: عيار الشعر، تح: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، 1983، ص: 24.

(3) العلوي يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليميني: الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج3، دار الكتب العلمية – بيروت، (دط)، 1995، ص: 222 – 223.

وعلى الرغم من تباين مفاهيم الأسلوب التي أطلقها كل هؤلاء النقاد عبر عدّة قرون فقد وجدنا العلامة **ابن خلدون (ت808هـ)** يربطه بالصناعة الشعرية المتميّزة، حيث تبلورت عنده فكرة الأسلوب وضبط مفهومه، إذ اتّجه إلى محاولة تنظيرية مباشرة له استلهم فيها خلاصات جهود سابقه من البلاغيين والنقاد العرب حيث يذكر هذا المصطلح (الأسلوب) بهذا اللفظ فيقول: "ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بها إطلاقهم. فاعلم أنّها عبارة عندهم عن المنوال الذي تسنح فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، ولا اعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة العروض"<sup>(1)</sup>، ثمّ حدّد مفهوم الأسلوب في الإبداع الأدبيّ، فذكر أنّه يرجع "إلى صورة ذهنيّة للتراكيب المنتظمة كلية، باعتبار انطباقها على تركيب خاصّ، وتلك الصّورة ينتزعها الذّهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثمّ ينتقي التراكيب الصّحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان، فيرصّها فيه رصًا كما يفعل البناء في القالب، أو النسّاج في المنوال ثمّ ينتقي التراكيب الصّحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصّها فيه رصًا كما يفعله البناء في القالب أو النسّاج في المنوال حتّى يتّسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام، ويقع على الصّورة الصّحيحة باعتبار ملكة اللسان العربيّ فيه، فإنّ لكلّ فنّ من الكلام أساليب تختصّ فيه."<sup>(2)</sup>

وقد لخصّ **حسين تروش** رؤية ابن خلدون للأسلوب في نقاط مهمّة نذكرها فيما يلي:

- اختيار التراكيب من الخيال.

- اختيار التراكيب الصّحيحة من لغة العرب.

- التّأليف كالبناء في القالب والنسّاج في المنوال.

- المؤالفة بين التراكيب الوافية ومقصود الكلام.

- اختيار الصّورة الصّحيحة اعتمادا على الملكة والفطرة."<sup>(3)</sup>

وأما **المحدثون** من النقاد العرب فقد طوّروا هذه المعاني، وزادوا عليها بما يناسب كتابات العصر. يقول **محمد حسين عبد الله المهداوي** في مقال له: "لقد استوعب المحدثون العرب المعاني التي طرقتها القدماء في تعريفهم الأسلوب، لذلك جاءت هذه التعريفات مقارنة لتلك المعاني في مضمونها العام، وكان أبرز تلك التعريفات قولهم إنّ الأسلوب هو "طريقة الكاتب أو الشّاعر الخاصّة في اختيار الألفاظ وتأليف

(1) عبد الرحمن بن خلدون: المقدّمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (دط)، 1982، ص: 474.

(2) عبد الرحمن بن خلدون: المرجع نفسه، ص: 353.

(3) حسين تروش: محاضرات مقياس علم الأسلوب، نظرية وتطبيق، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، الجزائر، 2015-2016، ص: 10-11.

الكلام"، وإته "طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير". (1)

والحق أنّ مصطلح (أسلوب) بعد التطور الذي شهدته العصور المتعاقبة لم يعد مقترنا بالأدب (شعرا ونثرا) فحسب، بل أصبحت معظم الفنون تستخدمه وتضع له ضوابط للتمييز بينها وبين غيرها من الفنون فقد أصبح لهندسة البناء أسلوبها، وللسياقة أسلوبها، وللألعاب الرياضية المختلفة أساليبها، وللسياحة أسلوبها، وللموسيقى أسلوبها، وللموضة أسلوبها، بل حتّى للعيش في الحياة أسلوبه وهكذا: يقول أحمد الشايب: "إنّ كلمة الأسلوب صارت هذه الأيام حقًا مشتركًا بين البيئات المختلفة يستعملها العلماء ليدلوا بها على منهج من مناهج البحث العلمي، ويستعملها الأدباء في الفنّ الأدبيّ قصصًا أو جدلا أو تقريرًا وفي العنصر اللفظي سهلا أو معقدًا، وفي إيراد الأفكار منطقية أو مضطربة، وفي طريق التخيل جميلة ملائمة أو مشوّهة نابية، وكذلك الموسيقيّون يتخذونها دليلا على طرق التلحين، وتأليف الأنغام للتعبير عمّا يحسّون أو... ومثلهم الرسّامون، فهي عندهم دليل على طريقة تأليف الألوان ومراعاة التّناسب بينها وهكذا حتّى أصبحت هذه الكلمة (أسلوب) تكاد ترادف كلمة الشّخصيّة في المعنى". (2)

– مجدي وهبة: في معجم مصطلحات الأدب ورد مفهوم الأسلوب على أنّه: "طريقة الإنسان في التعبير عن نفسه كتابة، وهذا هو المعنى المشتقّ من الأصل اللاتيني للكلمة الأجنبية الذي يعني القلم". (3)

– حمّادي صمود: فيعرّف الأسلوب بأنّه: "معطى يستعصى على التّحديد والضّبط، إذ هو نتاج عمليات معقّدة معاضلة لا تنفك إحداها عن أخرى، إلّا عن صعوبة نادرة، مخاض عسير، فهو طريقة الكاتب في الانتقال بفنّه الفسيولوجي، واللّذة الحسيّة إلى تشكّل علامي ظاهري يستقطب دلالة الحضارة ويصل الكون بالتاريخ، إنّه مسار في اتّجاهين ما بين (النّص الوهم) و (النّص الظّاهرة) في المعنى الواسع لكلمة النّص". (4)

(1) ينظر: محمد حسين عبد الله المهداوي: نظرة في الأسلوب والأسلوبية، مجلة جامعة كربلاء، العراق، العدد: 2، 2005.

(2) أحمد الشايب: الأسلوب. دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8، 1991، ص: 40-41.

(3) نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص: 25.

(4) حمّادي صمود: المناهج اللغوية في دراسة الظاهرة الأدبية، مجلة أقلام، تونس. العدد7، يوليو 1979، ص: 5.

- أحمد أمين: " وهناك بعض الأدباء مثلهم الأعلى هو الدقة والضبط والإتقان، ومتى قصد إلى الدقة يجب عليه اختيار كلمة معينة بدل أخرى، والأديب الذي يريد الدقة يرغم على أن يتخير الكلمات بكلّ اعتناء وبطء وجهد، حتّى يلائم بين الكلمات والمعنى الدقيق الذي يريد"<sup>(1)</sup>.

وقد لخص منذر عياشي بعض هذه التعاريف للأسلوب بقوله: " نستطيع أن نضيف إلى تعريف بيفون (Buffon) "الأسلوب هو الرجل". (Le Style C'est L'homme) تعاريف أخرى، هي إرث الماضي، وعطاء الإنسانية، فالأسلوب هو: "طريق في الكتابة"، وهو "طريق في الكتابة لكاتب من الكتاب" و " طريق في الكتابة لجنس من الأجناس" و " طريق في الكتابة لعصر من العصور". ولعلّ الصيغة التعميمية التي تنطوي عليها هذه التعاريف هي سبب شيوعها.<sup>(2)</sup>

أمّا بعض النقاد فقد وضعوا قواعد للعناصر<sup>(3)</sup> التي يجب توافرها لتكوين أسلوب جيد منها:

- 1 - العناصر الفكرية: وهي الصّحة الناتجة عن الاستعمال الصّحيح للكلمات.
- 2- الوضوح: الذي ينتج عن الوضع الصّحيح لها والانسجام بين الشيء.
- 3 - الانسجام: بين الشيء والذي يقال فيه.
- 4 - الكيفيّة: التي يعبر بها عنه وهكذا.
- 5 - العناصر العاطفيّة: وهي القوّة والجدة والإيحاء، بحيث لا يعبر الكاتب عن فكرة فقط، بل عن عاطفته أيضا، مثيرا في قارئه عواطف وانفعالات مماثلة لعواطفه وانفعالاته.
- 6 - العناصر الجماليّة: من موسيقى وروعة وسحر تجعل الأسلوب لذيذا في حدّ ذاته بصرف النّظر عن الفكرة.

### 3 - الأسلوب عند الغرب (الأوروبيين):

أمّا الأسلوب في الدّراسات الغربيّة، فقد أخذوا كلمة (أسلوب) (Style) من كلمة لاتينية (Stylus) وتعني قضيبا من الحديد كان القدماء يكتبون به على ألواح الشّمع<sup>(4)</sup>، ويعني عندهم اصطلاحا " استخدام الكاتب لأدوات تعبيرية من أجل غايات أدبية، ويتميّز في النّتيجة من القواعد التي تحدّد معنى الأشكال وصوابها"<sup>(5)</sup>، ويرى بعضهم أنّ الأسلوب "يكنم في الاختيار الواعي لأدوات التّعبير"<sup>(6)</sup>، وهو أيضا "وجه

(1) أحمد أمين إبراهيم الطباخ: النقد الأدبي، ج1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (دط)، 2012، ص: 90.

(2) منذر عطا عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار المحبّة/ دار الأمانة، دمشق، دط، 3، 2009، ص: 33.

(3) حمادي صمود: المرجع السابق، ص: 5.

(4) شكري محمد عياد: مبادئ علم الأسلوب العربي، مطبعة انترناشيونال، باريس، ط1، 1988م، ص: 22.

(5) محمّد حسين عبد الله المهداوي: نظرة في الأسلوب والأسلوبية، ص: 149.

(6) محمّد حسين عبد الله المهداوي: المرجع نفسه، ص: 149.

للملفوظ ينتج عن اختيار أدوات التعبير، وتحدده طبيعة المتكلم أو الكاتب ومقاصده<sup>(1)</sup>، وعند بول فاليري (Paul Valeri): "إنّ الأسلوب انزياح بالنسبة للقواعد"<sup>(2)</sup>، ويبدو أنه يعني بالقواعد، اللغة الأم. وتفرد رولان بارت (Roland Barthes) بتعريف فريد للأسلوب، فيقول إنّه: "لغة مكتفية بذاتها، ولا تغوص إلا في الأسطورة الشخصية والخفية للكاتب، كما تغوص في المادة التحتية للكلام حيث يتشكّل أول زوج للكلمات والأشياء، وحيث تستقرّ نهائياً الموضوعات الشفوية الكبرى لوجوده، ... ويعتبر ظاهرة ذات نظام وراثي بكل معنى الكلمة، وهو بالإضافة لهذا تحويل المزاج"<sup>(3)</sup>، وبالتالي يضحى الأسلوب "هو الإنسان نفسه"<sup>(4)</sup> على حد تعبير بيفون (Buffon)، أو كما قال أفلاطون: "الأسلوب شبيه بالسمة الشخصية."<sup>(5)</sup>

أمّا الأسلوب عند اليونانيين القدامى كان مصطلحاً معروفاً منذ عهد أرسطو (Aristotle) (384 ق.م - 322 ق.م) ومن بعده وكانت تُستخدم أصلاً للقلم والرّيشة، ثمّ استخدمت لفنّ النّحت والعمارة، ثمّ دخلت في مجال الدّراسات الأدبية، حيث صارت تعني أيّ طريق خاصّ لاستعمال اللّغة بحيث تكون هذه الطّريقة صفة مميزة للكاتب أو الخطيب.<sup>(6)</sup>

ونجد لفظ (أسلوب) في كلام (أرسطو) حيث أراد به طريقة التعبير، فقال: "حقاً لو أنّنا نستطيع أن نستجيب إلى الصّواب، ونرعى الأمانة من حيث هي لما كانت لنا حاجة إلى الأسلوب ومقتضياته، ولكن علينا أن لا نعتمد في الدّفاع عن رأينا على شيء سوى البرهنة على الحقيقة، ولكن كثيراً ممّن يصغون إلى براهيننا يتأثّرون بمشاعرهم أكثر ممّا يتأثّرون بعقولهم، فهم في حاجة إلى وسائل الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحجّة."<sup>(7)</sup>

كما عندهم إحدى وسائل إقناع الجماهير، فكان يندرج تحت علم الخطابة، وخاصة الجزء الخاصّ باختيار الكلمات المناسبة لمقتضى الحال.

(1) محمد حسين عبد الله المهداوي: نظرة في الأسلوب والأسلوبية، مجلّة أهل البيت؟، جامعة أهل البيت - العراق، العدد 2، ص: 149.

(2) محمد حسين عبد الله المهداوي: المرجع نفسه، ص: 149.

(3) محمد حسين عبد الله المهداوي: المرجع نفسه، ص: 149-150.

(4) Buffon: Discourse sur le Style، Librairie Haiter، Paris 1920، p. 17.

(5) بيير جيرو: الأسلوب والأسلوبية، ترجمة و تحقيق: منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، دمشق، دط، 1985م، ص: 23.

(6) عدنان رضا النحوي: الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم في الإسلام، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1999م، ص: 145.

(7) محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (دط)، 1979، و دار العودة، بيروت، 1997م، ص: 116.

أما علماء اللغة الأوربيون في العصور الوسطى، فقد قرروا انقسام الأسلوب إلى ثلاثة أقسام: البسيط أو الوطيء، والوسيط، والسامي أو الوقور، واعتبروا أعمال الشاعر "فيرجيل" (Verjille) نماذج للأقسام الثلاثة: فالرعائيات نموذج للوطيء، والزراعات نموذج للوسيط، والإنياذة نموذج للسامي أو الوقور<sup>(1)</sup>. ويرى مجدي وهبة أن النقاد الأوربيين يفرقون بين مضمون الكلام، وطريقة التعبير عنه أو صيغته فاعتبروا اللغة أو التعبير بمثابة ثوب للمعنى، والأسلوب بمثابة طراز هذا الثوب.

كما اعتبر الرومانيون الأسلوب جزءاً لا يتجزأ من طبيعة المؤلف نفسه، أما في الوقت الحديث أصبح الأسلوب موضوعاً من الموضوعات التي يعالجها علماء اللغة عامة، وعلماء الأسلوب خاصة، فيعتبرونه بمنزلة تعبير عن الاختلاف الذي يقوم به مؤلف النص<sup>(2)</sup>.

وقد اختلفت تعاريف الأسلوب و تعددت إلى أكثر من عشرين تعريفاً عند المحدثين: "وارتبط عند بعضهم بنظرية التبليغ أو الإخبار حيث لا بدّ في أيّ عملية تخاطب من توقّر ثلاثة عناصر أساسية هي: المخاطب والمخاطب والخطاب (مرسل، مرسل إليه، رسالة)، ولذلك فإنّه عندهم من غير الممكن تعريف هذا المصطلح دون النّظر إلى هذه العناصر الثلاثة، وقد أدّى الاهتمام بهذه العناصر إلى تعدّد تعريفات الأسلوب واختلافها، لكن مهما تعددت هذه التعريفات فإنّه يمكن إرجاعها إلى العناصر الثلاثة السالفة الذّكر"<sup>(3)</sup>.

أما فون جل (Von j) فقال: "الأسلوب: هو "ثمرة عمل بشريّ" كالتّحات وضع تمثاله البديع من المادة الصّماء، وكذلك يشكّل الشّاعر أو النّائر جملة وإيقاعاته ومجازاته من اللّغة، وقد يعني الأسلوب "الاختلاف"<sup>(4)</sup>.

ويذكر حسيب إلياس حديد مترجماً عن جيرفيس مندوز (Gervais Mendoze) "ويعناه الواسع لا يأخذ الأسلوب بنظر الاعتبار طرائق الحياة فقط وإنما التّنتاجات الفنّية. وفي علوم الكلام يعني الأسلوب اختيار طرائق التعبير الخاصّة بمؤلف ما والصّيغة المكتوبة أو الشّفوية التي ينسّم بها تفكيره... وبالنسبة لعالم اللّغة الألماني ليو سبترز (Leo Spitzer) فإنّ الأسلوب عبارة عن وضع منهجيّ لعناصر تقدّمها اللّغة، وبناءً على ذلك فإنّ الأسلوبية تمثّل هذا العلم الذي يقمّ موضوعاً لدراسة الأسلوب"<sup>(5)</sup>.

(1) محمد غنيمي هلال: المرجع السابق، ص: 116.

(2) عدنان رضا النحوي: المرجع السابق، ص: 145.

(3) نصر الدين بن زروق: الأسلوب في التراث العربي والدراسات الحديثة، حوليات جامعة الجزائر، العدد 22، جويلية 2012م، ص: 82.

(4) ينظر: طالب خليف جاسم السلطاني: محاضرة الأسلوب، شبكة جامعة بابل، يوم: 19-10-2014م، في: 19:18:59.

<http://staff.uobabylon.edu.iq>

(5) جيرفيس مندوزي: الأسلوب والأسلوبية: المنهجيات الأسلوبية للنص التحريبي أو الشفوي، ترجمة حسيب إلياس حديد، صحيفة المثقف، العدد:

3311، يوم: 29-09-2015 في الساعة: 00:55:35. <https://www.almothaqaf.com>

أما نور الدين السد فيقول: " فالأسلوب خاصية لغوية يسهم المنشئ للكلام من خلاله في تطوير اللغة، وإغناء نتائجها الثقافي، وتراثها المجتمعي، وهنا يتجلى المظهر الإبداعي في اللغة، لأن اللغة نتاج عقلي يتحدّد باستمرار، ومن الجدير بالذكر أنّ قضية الإبداعية في اللغة أثبتت في كثير من المجالات المعرفية، وأشار إليها بصورة مفصلة الباحث (نعوم شوميسكي) (ChomskyNoam ) في نظريته التوليدية التحويلية<sup>(1)</sup>.

في حين يرى "بيار جيرو" (p/guiraud) أنّ مختلف مفاهيم الأسلوب ترتدّ إلى التعريف التالي: "الأسلوب هو وجه للمفوض، ينتج عن اختيار أدوات التعبير، وتحدده طبيعة المتكلم أو الكاتب ومقاصده."<sup>(2)</sup> وهذا تعريف فضفاض جداً، فهو يضم التعبير ومنحاه والمتكلم وطبيعة مقاصده.

## ثانياً/ الأسلوبية (Stylistique) بين الغرب والعرب:

### 1. مفهوم الأسلوبية (Stylistique):

دراسة الأسلوب دراسة علمية، في مختلف تمثلاته اللسانية والبنوية والسيميائية والهيرمونيطيقية<sup>(3)</sup> وتعدّ الأسلوبية أيضاً فرعاً حديثاً من فروع اللسانيات إلى جانب الشعرية والسيميائيات والتداوليات. وتهتم بوصف الأسلوب بنية ودلالة ومقصدية. ويعني هذا أنّها تختلف عن البلاغة الكلاسيكية ذات الطابع المعياريّ التعليمي، والتي كانت تهتمّ بالكتابة والخلق والإبداع، وتجويد الأسلوب بيانا ودلالة وسياقا وزخرفة، وتقدّم للكاتب الناشئ مجموعة من الصفات الجاهزة في عملية الكتابة وتنميق الأسلوب بلاغة وفصاحة وتأثيراً. ومن هنا " فإنّ الأسلوبية هي دراسة الأسلوب في مختلف تجلياته الصوتية والمقطعية والدلالية والتركيبيّة والتداوليّة."<sup>(4)</sup>

أما التعريف الذي اقترحه شارل بالي (Charles Bally) " فإنّه يستند إلى بنوية دي سوسير (De Saussure) ويجعلنا نلاحظ أنّ الأسلوبية تراعي المجال الكلي للغة، ولكنها تحنّظ بنشاطها الخاص ولا تشكّل أيّ إرباك مع أية دراسة أخرى للغة. وتهدف الأسلوبية إلى تشخيص التعبيرات المؤثرة ومن ثمّ تحليلها. ويتضمّن هذا التحليل نظرية الكلام ونظرية الأسلوبية. وتهدف الأسلوبية أيضاً إلى موضوع

(1) نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص:145.

(2) بيار جيرو: الأسلوب والأسلوبية، ص: 9.

(3) الهيرمونيطيقا (Hermeneutics) تعني: الشرح والتفسير والتأويل.

(4) جميل حمداوي: اتجاهات الأسلوبية، دار النشر الألوكة، الطبعة الأولى، السنة 2015، ص: 5-6.

أساس في اللغة التلقائية ليس بصفاتها الفردية. وشهدت الأسلوبية تطوراً كبيراً منذ نشأتها مع البلاغة وحتى الوقت الحاضر". (1)

ويرى **عدنان بن ذريل أن**: "مصطلح الأسلوبية وليد الدراسات النقدية المعاصرة أطلقه الباحث (فونودو جابلنس) 1875م على دراسة الأسلوب عبر الانزياح اللغوي، والبلاغة في الكتابة الإبلاغية. وأصله شارل بالي عام 1902 وأسس قراءة علم الأسلوب النهائية". (2)

اشتقت كلمة الأسلوبية (Stylistique) في الثقافة الغربية من الكلمة اللاتينية (Stilus) ومن الكلمة الإغريقية (Stylos)، ومن الكلمة الفرنسية أو الإنجليزية (Style)، وتعني هذه المشتقات، في دلالتها الأصلية، أداة الكتابة، وبعد ذلك استخدمت الكلمة للدلالة على طريقة الكتابة أو فن الكتابة". (3) كما "يرجع أصلها إلى اللغة الألمانية (Stylistic)، وقد ظهرت في النصف الثاني من القرن 19م على يد العالم الألماني "هانز فان جابلارتز" (Hans Van Gabilartiz) في عام 1875م، ثم انتقلت بعد ذلك إلى سائر لغات العالم". (4)

وقد أطلق الباحث مصطلح الأسلوبية على دراسة الأسلوب عبر الانزياحات اللغوية والبلاغية في الكتابة الأدبية، أو هي ما يختاره الكاتب من الكلمات والتراكيب، وما يؤثره في كلامه عما سواه لأنه يجده أكثر تعبيراً عن أفكاره ورؤاه". (5)

ويجمع أغلب مؤرخي الأسلوبية أن شارل بالي (Charles Bally) أصل عام 1902 علم الأسلوب وأسس قواعده النهائية، ثم جاء **جولس ماروزو (Jules Marouzeau)** و **كراسو**، ونادى كل منهما بشرعية الأسلوبية، وعدّها علماً له مقوماته، وأدواته الإجرائية وموضوعه، ودعم هذا الرأي **جاكسون (R.jakobson)** و **ميشال رفاتير (Michel Refaterre)** و **ستيفن أولمان (Stephen Ullmann)** و **دي لوفر (De louvre)** و **باختين (paktin)** و **هنريش بليث (Henrich Bleth.)** وسواهم من الباحثين". (6)

(1) جيرفيس مندوزي: المرجع السابق (صحيفة المنقف، العدد: 3311).

(2) عدنان بن ذريل: اللغة والأسلوب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، سنة 1980، ص: 141.

(3) جميل حمداوي: المرجع السابق، ص: 7.

(4) طالب خليف جاسم السلطاني: محاضرة الأسلوب: محاضرة الأسلوب، شبكة جامعة بابل.

(5) نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص: 11.

(6) المرجع نفسه، ص: 11.

ويرى ميشال ريفاتير (Michel Refaterre) أنّ الأسلوبية ما هي (سوى هذا التأثير المفاجئ الذي يحدثه اللامتوقع في عنصر من السلسلة الكلامية بالنسبة إلى عنصر سابق. ويستشهد ريفاتير ببيت شعر لكوريني: (هذه عتمة مضيئة تسقط نجوماً)، ويقول: هذه مفارقة غير متوقعة. (1)

ولقد كان الأسلوب منذ زمن محصوراً بين شارل بالي (Charles Bally) "الأسلوب هو انحراف كلام الفرد" إلى زمن ميشال ريفاتير (Michel Refaterre) الذي عرّف الأسلوب بأنه: "عدول ولكن ليس بالقياس إلى قاعدة خارجية هي لغة مطلقة، أو هي لغة الخطاب العادي مطلقاً، وإنما إلى القاعدة التي يمثلها النص ولغة الأص نفسه. (2)

بينما يرى جيرار جنجمبر (G. Gengembre) " أنّ الأسلوبية المعاصرة تقدّم نفسها على أنها مطمح (هدف) علمي يحيل على السمة الفردية لمدرسة أو جنس في استعمال اللغة. (3)

ونلاحظ كثرة تعريفات الأسلوبية، وهي متباينة من حيث صياغتها ومنطلقاتها، ومن تلك التعريفات ما يركّز على كون الأسلوبية منهجاً علمياً في دراسة أسلوب النصوص، ممّا يشير إلى الأصل الذي انبثقت عنه الأسلوبية وهي الألسنية.

ويمكن تلخيص تلك التعريفات للأسلوبية بصياغة شاملة وهي أنّ: الأسلوبية علم لغوي مهمته الكشف عن خصائص الأسلوب وظواهره اللغوية، ووظائفه الفنية التي تعكس ذات المبدع، وتؤثر في المتلقي. (4)

## 2. الأسلوبية بين الغرب والعرب: النشأة والرواد:

يعدّ ميلاد الأسلوبية حديثاً جداً إذا ما قورن بميلاد الأسلوب العربي، والبلاغة العربية القديمة. وربما القصور المسجّل على النقاد العرب القدامى والمحدثين أنّهم كانوا عاجزين عن الرقي بالأسلوب إلى مستوى منهج بلاغي، له أسس وخصائص مقننة، وآليات فنية تضبط التعامل مع النصوص الأدبية؛ وهي الثغرة التي دخل منها الغربيون، وأسّسوا بعدها الأسلوبية كمنهج حديث منذ فترة لا تتجاوز في أقصى عمرها قرنين من الزمان.

ولهذا وجدنا من يقرّر حقيقة نشأة الأسلوبية فيقول: "تعدّ الأسلوبية في نظر كثير من الدارسين الوريث الشرعي للبلاغة، فقد ظهرت الأسلوبية متأخرة، قياساً للعلوم اللغوية الأخرى في نهاية القرن التاسع عشر

(1) طارق البكري: الأسلوبية عند ميشال ريفاتير: مجلة الموقف الأدبي، العدد: 402، تشرين الأول، 2004م، (نسخة إلكترونية من موقع ديوان العرب)، (<https://www.diwanalarab.com/>) تاريخ النشر: 2 جوان 2006، (دس).

(2) طارق البكري: المرجع نفسه، مجلة الموقف الأدبي، العدد: 402،

(3) يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط1، 2007، ص: 83.

(4) بديعة خليل الهاشمي: بين البلاغة واللسانيات، جذور منهج الأسلوبية في البيان العربي، مجلة الزاقد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، العدد: 184، ديسمبر 2012م.

والقرن العشرين الميلاديين؛ فالأسلوبية حديثة النشأة بالقياس للأسلوب الذي لا يزال يشكّل المصدر الأساسي المباشر لها. (1)

لقد كانت البداية الأولى للأسلوبية مع العالم السويسري فرديناند دي سوسير (1857-1913) (\*) الذي أسس علم اللغة الحديث، وفتح المجال أمام أحد تلاميذه ليؤسس هذا المنهج وهو شارل بالي (\*\*) (1865-1947م) فوضع علم الأسلوبية كجزء من المدرسة الألسنية، وأصبحت الأسلوبية هي الأداة الجامعة بين علم اللغة والأدب (2) وبذلك فقد ارتبطت نشأة الأسلوبية من الناحية التاريخية ارتباطاً واضحاً بنشأة علوم اللغة الحديثة.

## 1.2 الأسلوبية عند الغرب: الجذور والرواد

ظهرت الأسلوبية بوصفها مصطلحاً حديثاً في أوروبا خلال القرون الثلاثة الأخيرة. ويعتقد أنّ جذورها تعود إلى الثقافة اليونانية القديمة، حيث استعملها أرسطو (Aristotle) (384 ق.م - 322 ق.م). أمّا الأسلوبية الحديثة فيعتقد أنّها ولدت من رحم البلاغة العربية القديمة، فـ: "بالرغم من عدم وجود مصطلح الأسلوب بصيغته هذه لدى الجاحظ، إلا أنّ نظريته القائمة على مبدأ اختيار اللفظ، قد توافقت مع طروحات المحدثين من الغربيين حول الأسلوبية. فهي تتوافق مع ما يسميه الأسلوبيون "الانتظام النوعي"، وهو ما يعبر عنه الجاحظ بقوله: "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتّى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أقرب من معناه إلى قلبك". (3)

بينما يرى بعض الباحثين الغربيين أنّ البداية الفعلية لتأسيس منهج الأسلوبية تعود إلى بداية القرن التاسع عشر، حيث: "تمّ استعمال الأسلوبية لأول مرة عام (1800م من قبل الألماني غراهام الذي جعل من ألمانيا مهداً للأسلوبية، وقد تمّ إدخال الأسلوبية إلى فرنسا في بداية القرن العشرين من قبل شارل بالي (1865-1947). ويعدّ بالي تلميذ عالم اللغة فيردناند دي ساسور الذي اتخذ موقفاً معارضاً للمفهوم المعياري لتفاسير فنّ الكتابة وقام بتأسيس الأسلوبية". (4)

(1) حرشاي جمال: الخصائص الأسلوبية في شعر الصعاليك، أطروحة دكتوراه، إشراف: بوقرية الشيخ، جامعة وهران، 2015-2016، ص: 22.  
 (\*) فرديناند دي سوسير: سويسري درس في جنيف ثم في ليزنغ ثم استقر بباريس ودرس النحو المقارن ثم عاد إلى جنيف ودرس اللغة السنسكريتية ثم الألسنية عاش بين (1857-1913). (ينظر كتاب: الأسلوب والأسلوبية، عبد السلام المسدي، ص: 244).  
 (\*\*) هو ألسني سويسري ولد بجنيف ومات بها تتلمذ على سوسير وبرع في الألسنية وعكف على دراسة الأسلوب فأرسى قواعد الأسلوبية في العصر الحديث ومن مؤلفاته (مصنف الأسلوبية الفرنسية). (ينظر كتاب: الأسلوب والأسلوبية، عبد السلام المسدي، ص: 237).  
 (2) ينظر: محمد اللويحي: في الأسلوب والأسلوبية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، سنة: 1426هـ - 2005م، ص: 41، و يوسف أبو العدوس: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص: 38.  
 (3) الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص: 115.  
 (4) جيرفيس مندوزي: الأسلوب والأسلوبية، صحيفة المتقف، العدد: 3311.

وفي عام 1875 أطلق فون درجابلنتس مصطلح (الأسلوبية) على دراسة الأسلوب، عبر الانزياحات اللغوية والبلاغية في الكتابة الأدبية، والتي اعتبرها (تفضيلات) خاصة يؤثرها الكاتب على حدّ قوله، إذ إنّ الكاتب في إنشائه يختار عدداً من الكلمات، والصيغ دون غيرها يؤثرها، ويجدها تعبر عن نفسه.<sup>(1)</sup> ولم تكن (الأسلوبية) وقتها قد اتضحت معالمها، لذلك فقد ارتبطت نشأة الأسلوبية في بداية القرن العشرين بالتطور الذي لحق الدراسات اللسانية على يد عالم اللغة السويسريّ فرديناند دي سوسير – أستاذ علم اللغة العام – بجامعة جنيف الذي أسس لأصول الألسنية الحديثة. فقد كانت جهوده اللغوية متاحة أمام أحد طلابه وهو شارل بالي الذي جزم عام (1902) بأن علم الأسلوب قد تأسست قواعده النهائية وذلك بعد أن أصدر كتابه (في الأسلوبية الفرنسية)، و(المجمل في الأسلوب 1905) اللذين يعتبران اللبنة الأولى في صرح الأسلوبية العلمية. فالأسلوبية إذاً – كما يتضح من نشأتها – فنّ من أفنان شجرة الألسنية وهي جسر الألسنية إلى تاريخ الأدب، فالألسنية إذا كرّست نفسها في خدمة الأدب استحالت أسلوبية ولذلك فإنّ الأسلوبية تعدّ حلقة الوصل بين علم اللغة والدراسة الأدبية للنصوص.<sup>(2)</sup>

#### – رواد الأسلوبية من الغرب:

أغلب مؤرخي الأسلوبية أجمعوا على أنّ شارل بالي (Charles Bally) (1865-1947) هو مؤصل علم الأسلوب ومؤسس قواعده النهائية، ثمّ جاء بعده ماروزو و(كراسو) و(ر- جاكسون R.jakobson) و ميشال رفاتير ( Michel Refaterre) و ستيفن أولمان (Ollman Stephen) و دي لوفر وميخائيل باختين وهنريش بليث. وهذه بعض أعلام المدرسة الأسلوبية الغربية من القديم والحديث.

أرسطو (Aristotle) (384 ق.م – 322 ق.م).

أفلاطون (Plato) عاش 427 ق.م – 347 ق.م

ألخيرداس جوليان غريماس (Algirdas Julien Greimas) (1917 – 1992).

ألكسندر فاندت (Wendt Alexendr) الملقب بأبي البنائية.

بنديتو كروتشييه (Benedetto Croce)

بول فاليريك (Poul Valeri)

ليو سبيتزر (Leo spitzer)

بيفون (Buffon)

(1) بديعة خليل الهاشمي: بين البلاغة واللسانيات، مجلة الرافد، العدد: 184.

(2) بديعة خليل الهاشمي: المرجع نفسه، العدد: 184.

- بول فاليري ( Poul Valeri )  
 بيير غيرو ( P/guiraud )  
 جان ستاروبينسكي ( Jean Starobinski ) ( 17 نوفمبر 1920م - 4 مارس 2019م ).  
 جان كوهين (Jean Cohen).  
 جورج مونان ( George Mounin )  
 جوستاف فلوبيير (Gustave Flaubert) ( 12 ديسمبر 1821 - 8 مايو 1880 ).  
 جولس ماروزو (Jules Marouzeau).  
 جيرار جنمبر (G. Gengembre) .  
 جيرفيس مندوزي (Gervais Mendoze).  
 رولان بارت ( Roland Barthes ) ( 12 نوفمبر 1915 - 25 مارس 1980 ).  
 رومان جاكبسون (R.jakobson).  
 ستيفن أولمان (Stephen ullmann) ( 31 يوليو 1914 - مات في 10 يناير 1976م ).  
 شارل بالي (Charles – Baley)  
 فريديناند دي سوسير ( De Saussure ) ( 1857-1913 ).  
 فون جل ( Von j )  
 فيرجيل " (Verjille)  
 كارل فوستير ( Vosster Karl )  
 الكونت بوفون (Buffoon)  
 ليو سبتزر (Spitzer Leo)  
 ماريو شوساردت ( Mario Schuchardt ) .  
 نوفاليس (Novalis) واسمه الحقيقي: فريدرش فرايهير فون هاردنبرج (1772-1801).  
 هانز فان جابلارتز " (Hans Van Gabilartiz).  
 هيلانغ (Hilang).

لكن عملية البحث ساقتنا إلى معلومة أخرى مفادها أنّ الفضل في تأسيس الأسلوبية لا يعود إلى شارل بالي (Charles – Baley) كما هو مشاع ومقرّر. وإنّما يعود إلى شخص آخر: "لعلّ أول من استعمل هذا المصطلح شخص اسمه نوفاليس (Novalis)، وكانت الأسلوبية عنده تختلط مع البلاغة

وقد تبعه في هذا المفهوم هيلانغ (Hilang) الذي يقول إنّ الأسلوبية (عمل بلاغي)، ثم انفصلت عنها والتحقت بميدان الدراسات اللسانية التي يعدّ العالم السويسري دي سوسير رائدها الأول<sup>(1)</sup>.

وقد علّق الناقد محمد عبد المطلب على هذا الرأي بقوله: "ومما يثير الانتباه أنّ هذا التيار الأسلوبيّ كان يشقّ طريقه في مطلع هذا القرن بين الشكوك المتزايدة في جدواه؛ بل وفي شرعية وجوده ذاتها، وبين ترحيب بمقدمه أملا في العثور على عطاء جديد في الأدب من خلال صورته الأسلوبية، غير أنّ هذا الترحيب كانت تحالطه كثير من مشاعر التوجس والخوف عندما كانت الدراسة الأسلوبية تتحوّل إلى قواعد تعليمية، لها جفاف البحث البلاغيّ في مرحلة جموده، أو عندما تتحوّل إلى أشكال ضبابية لا تفرز قيمة فنية، أو عندما تتحوّل إلى عملية إحصاء مبنية تقدّم النصّ الأدبيّ في شكل بعيد عن أدبيته، وتصله بما هو غريب عليه وبعيد عنه." (2)

ومهما يكن فإنّ الأسلوبية كمنهج حديث متعدّد المفاهيم، كثير الأعلام، واسع الانتشار يبدو أنّه قد رسا على ضوابط نهائية فرضت نفسها فقد: "ظهرت كلمة (الأسلوبية) خلال القرن التاسع عشر عند الغربيين، ولكن معناها المحدّد لم يظهر إلّا في أوائل القرن العشرين، وقد أعلن الألماني ستيفن أولمان سنة 1969 استقرار الأسلوبية علماً ألسنياً نقدياً تحيطه المنهجية والموضوعية، وبذلك اعتبر هذا المنهج من أحدث ما أنتجته علوم اللغة في العصر الحديث" (3)

ويؤيد هذا الرأي محمد عبد المطلب الذي أقرّ في كتابه هذه الحقيقة إذ يقول: "وتتوجبا لجهد المدرسة الألمانية يبارك أولمان (Stephen Ullmann) استقرار الأسلوبية علماً ألسنياً نقدياً سنة 1969 قائلاً: "إنّ الأسلوبية اليوم هي أكثر أفنان الألسنية صرامة، على ما يعترني غائيات هذا العلم الوليد ومناهجه ومصطلحاته من تردّد، ولنا أن نتنبأ بما سيكون للبحوث الأسلوبية من فضل على النقد الأدبيّ والألسنية معا." (4)

كانت هذه النظرة وليدة نظرية بيفون (Buffon) التي تنصّ على أنّ: "المعاني وحدها هي المجسّمة لجوهر الأسلوب. فما الأسلوب سوى ما نضفي على أفكارنا من نسق وحركة." (5)

(1) عبد السلام المسدي: الأسلوبية و الأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط5، 2006، ص: 5.

(2) محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ص: 170.

(3) بديعة خليل الهاشمي: بين البلاغة واللسانيات، مجلة الرافد، العدد: 184.

(4) محمد عبد المطلب: المرجع نفسه، ص: 182.

(5) عبد السلام المسدي: المرجع نفسه، ص: 61.

## 2.2 الأسلوبية عند العرب: الجذور والرواد:

اهتمّ العرب القدامى كثيرا بالأسلوب سواء بهذا اللفظ - على قلته - أو بألفاظ أخرى تخدم المعنى نفسه: "مثل الصياغة، واللفظ، والبناء، والطريقة، والضرب، والنظم، والبيان، والفصاحة، والبلاغة والكتابة والتعبير، والأسلوب نفسه..."<sup>(1)</sup> ونظير اهتمامهم ألقوا في البلاغة العربية علوما ما تزال تدرس إلى يوم الناس هذا (البدیع، البيان، والمعاني)، وفصلوا في جزئياتها تفصيلا دقيقا، لكنهم لم يهتموا أبدا بإعطاء الأسلوب مفهوما اصطلاحيا دقيقا حتى ظهر ابن خلدون (ت 808هـ).

وقد ألفت في ذلك كتب كثيرة منذ القرن الثالث للهجرة، واشتهر أعلام كثيرون، ما تزال مصنفاتهم تُداول، ومع تعدد المصنفات البلاغية العربية القديمة وكثرتها فإن الإجماع في تأسيس الأسلوب كان حول علمين كبيرين هما: **عبد القاهر الجرجاني (ت 474هـ)** صاحب دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة فهو رائد الأسلوبية العربية وشيخها بلا منازع، وهو أول من استعمل مصطلح الأسلوب، وحدد له مفهوما دقيقا حيث يقول: "والأسلوب ضرب من النظم، والطريقة فيه فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب، فيجاء به في شعره..."<sup>(2)</sup>، والرجل الثاني هو **حازم القرطاجني (ت 684هـ)**: "فهو أول من خصص للأسلوب فصلا، معتبرا إياه فنا مستقلا بذاته في كتابه الشهير (منهاج البلغاء وسراج الأدباء).

وعلى الرغم من هذا السبق التاريخي للبلاغة العربية، والتصنيف فيها، إلا أن النقاد يقررون قصورها عن أية إشارة مقحمة إلى ما حول النص: "وفي المقابل يلاحظ غياب نسبي للدراسة الأسلوبية تنظيرا وتطبيقا، وفي هذا السياق، يرى محمد الهادي الطرابلسي أن: "التنظير للأسلوب عند العرب قليل. أما التطبيق فمعدوم. ويعني بالتطبيق التوفر على الأدب العربي، والنظر في خصائصه الأسلوبية، وهو يعتبر - على حق - أن التطبيق هو الممهّد للتنظير، والمسير له، والمساعد على التقدّم به."<sup>(3)</sup>

ولم يثبت النقاد القدامى على اتجاه واحد في تحديد معنى الأسلوب. فقد ربطوه مرّة بالناحية المعنوية في التأليفات، وربطوه مرّة ثانية بطبيعة الجنس الأدبي، ومرّة ثالثة بالفصاحة والبلاغة.

وقد تحدّث النقاد العرب القدامى عن الانحرافات السياقية، مثل: التقديم والتأخير والحذف والتكرار والالتفات بالرغم من عدم وجود مصطلح الأسلوب بصيغته هذه لدى الجاحظ، إلا أن نظريته القائمة على مبدأ اختيار اللفظ، قد توافقت مع طروحات المحدثين من الغربيين حول الأسلوبية. فهي تتوافق مع ما

(1) جميل حمداوي: اتجاهات الأسلوبية، ص: 20.

(2) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 468 - 469 .

(3) جميل حمداوي: المرجع نفسه، ص: 20.

يسميه الأسلوبيون: "الانتظام النوعي"، وهو ما يعبر عنه الجاحظ بقوله: "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أقرب من معناه إلى قلبك." (1)

## 2.2-1 رواد الأسلوبية من العرب القدامى:

يمكننا القول: إن في الدرس النقدي/البلاغي العربي بواكير للرؤية الأسلوبية في النقد الحديث وسنذكر بعض هؤلاء الأعلام العرب، وأشهر مصنفاتهم في الأسلوب مرتبين حسب حروف الهجاء، من أمثال:

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (1332 - 1406م).

- ابن سنان الخفاجي (423 - 466 هـ / 1032 - 1073م).

- ابن منظور أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين: (630 هـ - 711 هـ) (1232 م - 1311 م).

- القرطاجني أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن بن حازم (608 - 684 هـ / 1211 - 1285 م).  
- النحوي أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار، البغدادي، الشيباني أو ثعلب (200 هـ - 291 هـ) / 816 (904- م).

- الأمدني أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى. توفي في: (370 هـ / 980 م).

- عبد القاهر الجرجاني (1009-1078 أو 1081م) - (400-471 أو 474 هـ).

- الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب (ت 403 هـ - 1012 م).

- القيرواني أبو علي الحسن بن رشيق المعروف (456-390 هـ) / (999-1070 م).

- الحاتمي أبو علي محمد بن الحسن المظفر البغدادي (310-388 هـ) - (922-998 م).

- الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (213 هـ - 15 رجب 276 هـ) / (828 م - 13 نوفمبر 889 م).

- السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد (626 - 555 هـ) - (1160 - 1229 م).

- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري (159 هـ - 255 هـ).

- الرّمخسري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، ولد في رَمخسَر يوم

الأربعاء 27 رجب سنة (467 هـ - 1074م) وتوفي ليلة عرفة سنة (538 هـ - 1143 م).

- السّجلّماسي، محمد بن أبي القاسم بن محمد (ت نحو 704 هـ - 1305 م).

(1) الجاحظ: البيان والتبيين ج1، ص: 110.

- عبد الله ابن المعتز ( 247هـ-861 م / 296هـ-909م).

- العلويّ يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليميني (794هـ).

- عبد العزيز الجرجانيّ (ت392هـ).

## 2.2.2 رواد الأسلوبية من العرب المحدثين:

وقد سار النقاد العرب المحدثون على المنهج الأسلوبيّ، و تعرّفوا على الأسلوبية الغربية، فكان توجّههم نحو القديم، محاولة لاستكشاف معاني الأسلوبية الحديثة في الطرح القديم، وهذا أجده في كثير من تعبيرات النقاد المحدثين، حين يشيرون إلى صورة أسلوبية اصطلاحية في القديم، فإنّهم يقولون على سبيل المثال: " وهذه النظرية تجد ما يقابلها في أسس النظرية الأسلوبية الحديثة".<sup>(1)</sup> وأحسب أنّ هذا الطرح يشير إلى أنّ هؤلاء النقاد، إنّما كان سعيهم في سبيل إثبات أصالة الدرس الأسلوبيّ العربيّ، وليس مجرد أن يكون درساً تابعاً للغرب، أو خالياً من المضامين النقدية.<sup>(2)</sup>

وقد حاول النقاد العرب خصوصاً المحدثين البحث في الأسلوبية، وحاول العديد منهم تقديم تعريفات لضبط مفهوم وأبعاد هذا المفهوم، ومن بين هذه التعريفات نذكر:

**أحمد الشايب:** عرّف الشايب الأسلوب تعريفات مختلفة، دارت حول محاور ثلاثة: فنّ الكلام وطريقة الكتابة، والصورة اللفظية التي نعبر بها عن المعاني. ويلاحظ أنّ تعريفه جمع بين الفنّ والطريقة والصورة وهي عناصر تشترك في تفاعلها عناصر ثلاثة، هي: المنشئ للأدب، والمتلقّي له، والأدب نفسه.

**عبد السلام المسدي:** عرّف الأسلوبية انطلاقاً من محاور ثلاثة: المخاطب (صاحب الأدب) والمخاطب (متلقّي الأدب)، والخطاب (النص الأدبيّ). وقد كان تعريفه منطلقاً من تعريفات الغربيين للأسلوب. فقد كانت تعريفاته للأسلوبية محالةً إلى مصادرها الغربية ورجالها الذين عرّفوها. وينطلق في ذلك انطلاقاً لسانياً وأدبياً كمنطلقه لتعريف الأسلوبية، حيث جاء تعريفها لديه بأنّها "علم تحليليّ تجريديّ يرمي إلى إدراك الموضوعية في حقل إنسانيّ عبر منهج عقلائيّ يكشف البصمات التي تجعل السلوك الألسنيّ ذا مفارقات عمودية" وكما يُلاحظ على الصيغة التي صاغ بها المسديّ تعريفه، فإنّها مليئة بالزخم المعرفيّ والعمق الفلسفيّ، ما يستوجب البحث عن معجم يفسّر كلّ كلمة في التعريف.

فهذا **عبد السلام المسديّ** يرى أنّها: " هي علم لسانيّ يُعنى بدراسة مجال التصرّف في حدود القواعد البنيوية لانتظام جهاز اللغة، وقد كان سباقاً إلى نقله وترويجه بين الباحثين، وبترجم مصطلح

(1) إبراهيم عبد الجواد: الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، الجامعة الأردنية، الأردن، (دط)، 1982، ص: 64.

(2) ناصر الشيحان: الأسلوبية، مفهوماً ونظرة تطبيقية، مدونة ناصر الشيحان. <https://twitter.com/nasershehan> يوم: الاثنين: 16 افريل 2012م.

(**Stylistique**) بالأسلوبية، ويرد عنده (علم الأسلوب) أحيانا. فهو يرى أنّ المصطلح حامل لثنائية أصولية، فسواء انطلقنا من الدال اللاتيني، وما تولّد عنه في مختلف اللغات الفرعية، أو انطلقنا من المصطلح الذي استقرّ ترجمة له بالعربية وقفنا على دالّ مركّب " أسلوب" (**Style**) ولاحقة "ية" (**Ique**) وخصائص الأصل تقابل انطلاقا أبعاد اللاحقة، فالأسلوب ذو مدلول إنساني ذاتي، وبالتالي اللاحقة تختصّ بالبعد العلماني العقلي، وبالتالي الموضوعي. ويمكن في كلتا الحالتين تفكيك الدال الاصطلاحي إلى مدلولية بما يطابق عبارة "علم الأسلوب" (**Science du style**)، لذلك تعرّف الأسلوبية بداهة بالبحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب.<sup>(1)</sup>

أما منذر عياشي فيرى أنّ الأسلوبية: علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب، ولكنها - أيضاً - علم يدرس الخطاب موزعاً على مبدأ هوية الأجناس؛ ولذا، كان موضوع هذا العلم متعدّد المستويات، مختلف المشارب والاهتمامات، متنوع الأهداف والاتجاهات.<sup>(2)</sup>

وعند صلاح فضل: "الأسلوبية أو (علم الأسلوب) وريث شرعيّ للبلاغة العجوز التي أدركها سنّ اليأس وحكم عليها تطوّر الفنون والآداب الحديثة بالعقم، ينحدر من أصلاب مختلفة ترجع إلى أبوين فنيين هما: علم اللغة الحديث - أو الألسنية، إن شئنا أن نطلق عليها تسمية أشدّ توافقاً مع دورها في أمومة علم الأسلوب - من جانب، وعلم الجمال الذي أدى مهمّة الأبوة الأولى من جانب آخر.<sup>(3)</sup> وعنده أنّ علم الأسلوب مقابل لـ (**Stylistique**) ويراها جزءاً من علم اللغة، وذهب كثير من الباحثين في هذا الحقل المعرفي إلى استعمال مصطلح "الأسلوبية" ترجمة وتأليفاً.

في حين يحدّد عدنان بن ذريل الأسلوبية أو (علم الأسلوب) بأنّها: "علم لغويّ حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب العادي، أو الأدبيّ خصائصه التعبيرية والشعرية، فتميّزه عن غيره...إنّها تتقرى (الظاهرة الأسلوبية) بالمنهجية العلمية اللغوية، وتعتبر (الأسلوب) ظاهرة هي في الأساس لغوية، تدرسها في نصوصها وسياقاته."<sup>(4)</sup>

فالجميع متفق على أنّ الأسلوبية وعلم الأسلوب والأسلوبيات هي الدرس العلميّ للأسلوب الأدبيّ، ولا ضير من استعمال هذه المصطلحات الثلاث، وهناك من يفضل مصطلح "الأسلوبية" لرواجه بين الدارسين العرب.

(1) نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص: 12.

(2) منذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص: 27.

(3) صلاح فضل: علم الأسلوب - مبادئه وإجراءاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2، 1985، ص: 3.

(4) يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ص: 83.

وقد اهتمّ الدرس النقديّ العربيّ الحديث - متأخراً - بالظواهر الأسلوبية، والحدائثية في النقد العربيّ القديم، وحاول كثير من النقاد في المشرق العربيّ والمغرب الكشف عن تلك الظواهر في التراث النقديّ والبلاغيّ العربيّ أبرزهم: عبد السلام المسدي، عبد الله الغدّامي، حسن ناظم، يميني العيد، محمّد عبد المطلب، أحمد مطلوب، عواطف كنوش، عدنان بن ذريل، رجاء عيد، وغيرهم... كلّ هؤلاء وعوا أنّ بواكير الحدائث والرؤية الأسلوبية إنّما هي بضاعتنا، وكانوا يشيرون - ضمناً - إلى وحدة الثقافة العربية وما كتبه هؤلاء إنّما هي ردود فعل لما اكتشفوه من أوهام التبعيّة للمترجم والمنهج الخاطيء في معالجة النصوص على وفق الرؤية الأسلوبية عند الغربيين.<sup>(1)</sup>

وفي دراسة ليوسف سامي اليوسف (1938-2013)، التي انطلق فيها من قراءته لمعلقات الشعر الجاهليّ من ثنائية "الصورة والأسلوب"، انتهى إلى "نقض ما درج عليه كثير من النقاد، من أنّ الصورة إقحامٌ خارجيٌّ على الشعور، يمكن أن يظلّ قائماً داخله ومستقلاً عنه معاً، أو يمكن أن يختفي بتواجده فيه، حتّى وإن ذاب داخل أليافه وخلاياه" ويقرّر اليوسف في النهاية أنّ: "الصورة كفلذة شعورية تغدو مرآة تقتنص فيها الحاجة التي يتمثلها الشعور، إلى حدّ أنّها تُكوّنه، وتحليلها إذن، أسلوب لغز الذات واستنبارها؛ لأنّ الشاعر يفضّ ذاته عبر الصورة".<sup>(2)</sup>

أمّا لطفي عبد البديع فيقرّر في كتابه: "التركيب اللغوي للأدب"، بعد تحليل نوعيّة العمل الأسلوبية "أنّ الخصائص الأسلوبية في الخطاب ليست صيغاً تالية يوتى بها للتزيين والتّحسين، وإنّما هي جوهرية لا تتحقّق المادة الإنشائية إلّا بها. فالأسلوب، أو ما يسمّيه بـ "اللغة الشعريّة" ليس من قبيل المعاني الثّانوية، التي تطرأ على المعاني الأوّل، ولا من قبيل "الأفكار، التي تهبط على الألفاظ كما تهبط الرّوح إلى الجسد".<sup>(3)</sup>

وهذا أحمد الشّايب صاحب كتاب "الأسلوب" التي تعدّ أوّل دراسة عربية في الأسلوب. كما وردت إشارات في كتب مثل: " في فلسفة النقد" لزكي نجيب محمود، و "اللغة والإبداع" لشكري عياد، وغيرها دراسة عدنان حسين قاسم "الاتجاه الأسلوبية البنيوي في نقد الشعر العربيّ حيث تحدّث في كتابه هذا عن نشأة النقد الأسلوبية البنيويّ وتطوّره مع تطبيقات على نماذج من الشعر العربيّ، ودراسة كمال أبو ديب "الرؤى المقنّعة". من نشر الهيئة المصرية العامة (1986م)، ودراسة فؤاد منصور "النقد البنيوي الحديث". من نشر دار الجيل، بيروت (1985م).

(1) شاكر التميمي: إشكالية المنهج الأسلوبية وخصوصيّة اللغة، منتديات ستار تايمز، 2010-04-24. في الساعة: 8 و5د

(http://www.alefya.com)

(2) يوسف اليوسف: مقالات في الشعر الجاهلي، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1983، ص: 195-196.

(3) لطفي عبد البديع: التركيب اللغوي للأدب، بحث في فلسفة اللغة والإستيقا، دار المريخ للنشر - الرياض، (دط)، 1989، ص: 89.

ويضاف إلى جملة هذه الدراسات، ما قدّمه عبد السلام المسدي في كتابه "الأسلوب والأسلوبية" وأحمد درويش وكتابه "الأسلوب والأسلوبية"، وصلاح فضل، وكتابه "علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته" حيث قدّمت في هذه الدراسات ملامح الأسلوبية البنوية، مع إبراز روادها وطرق دراستها.

فقد انطلق في قراءته لمعلقات الشعر الجاهلي من ثنائية "الصورة والأسلوب"، وانتهى إلى "نقض ما درج عليه كثير من النقاد، من أن الصورة إقحامٌ خارجي على الشعور، يمكن أن يظل قائماً داخله ومستقلاً عنه معاً، أو يمكن أن يختفي بتواجده فيه، حتّى وإن ذاب داخل أليافه وخلاياه".

وعندما ظهرت بوادر الدّعوة إلى التّجديد، وبرزت ملامح التّأثر بالغرب، بدأ التّحرك العربيّ نحو الأسلوبية الحديثة، وألّفت فيها الكتب، وخرج إلى الوجود أنصارها من العرب فدرّسوها في الجامعات العربية، وحلّوا على ضوئها نصوصاً، وأعمالاً أدبية عربية في الشّعر والنثر. وقد برزت أسماء كثيرة جدّاً ملأت المكتبة العربية بمؤلفات عديدة في الأسلوبية متأثرة بالمدرسة الغربية الحديثة، ومن هذه الأقسام نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر، مرتبة ترتيباً أبجدياً:

- أحمد الشّايب: الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة 8، سنة 1991.

- أحمد درويش: دراسة الأسلوبية بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر، والتوزيع القاهرة مصر، طبعة 1998م.

- أحمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر - القاهرة.

- إدريس قصوري: أسلوبية الرواية مقارنة أسلوبية لرواية زقاق المدق لنجيب محفوظ منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، بنمسك، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 2001م.

- أمين الخولي: فنّ القول، الطبعة الأولى 1947م.

- بشير تاويرت: محاضرات في مقياس النقد، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2003 - 2004م.

- بكّاي خذاري: تحليل الخطاب الشعري، قراءة أسلوبية في "قدي بعينيك للخساء"، وزارة الثقافة الجزائر، الطبعة الأولى، 2007م.

- جميل حمداوي: اتجاهات الأسلوبية، شبكة الالوكة، ط1، السنة 2015.

- جميل نصيف التكريتي: ميخائيل باختين - شعرية دويستفسكي، ترجمة دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، سنة 1986م.

- جيرفيس مندوزي: الأسلوب والأسلوبية- المنهجيات الأسلوبية للنص التحريري أو الشفوي، ترجمة: حسيب إلياس حديد، صحيفة المثقف، العدد: 3311، في 29-09-2015م،  
<https://www.almothaqaf.com> يوم: في الساعة: 00:55:35 -
- حمادي صمود: المناهج اللغوية في دراسة الظاهرة الأدبية، مجلة أقلام، تونس، العدد 7، يوليو 1979.
- حميد لحميداني: أسلوبية الرواية-مدخل نظري. منشورات دراسات سال، مطبعة النّجاح الحديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 1989م.
- رجاء عيد: البحث الأسلوبي، منشأة المعارف، 1993م.
- زكي نجيب محمود: في فلسفة النقد.
- شكري عياد: اللغة والإبداع.
- شكري عياد: اتجاهات البحث الأسلوبي دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1985.
- صلاح فضل: علم الأسلوب. مبادئه وإجراءاته، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط1، 1985م.
- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002م.
- صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته.
- طارق البكري: الأسلوبية عند ميشال ريفاتير، دنيا الوطن، 23-01-2005م.(دس).
- طالب خليف جاسم السلطاني: محاضرة الأسلوب، شبكة جامعة بابل، 19-10-2014، في الساعة: 19:18:59.
- عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، 1982م.
- عبد الله الغدّامي: الخطيئة والتكفير، جدّة 1985م./الرياض 1989/الكويت-القاهرة 1993/مصر 1997م
- عبد الملك مرتاض: بنية الخطاب الشعري، دار الحداثة بيروت، لبنان، ط1، 1986م.
- عدنان النّحوي: الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام، دار النحوي، ط1، 1419هـ.
- عدنان بن ذريل: اللّغة والأسلوب، منشورات اتحاد كتّاب العرب، دمشق- سورية، 1980م.
- عدنان بن ذريل: النّص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد كتّاب العرب دمشق ط1، سنة 2000م.

- عدنان حسين قاسم: الاتجاه الأسلوبيّ البنيويّ في نقد الشعر العربيّ. الدار العربيّة للنشر والتّوزيع 2001م.
- عواطف كَنُوش المصطفى: الدّلالة السياقيّة عند اللّغويين، دار السياب، 2007م.
- فؤاد منصور: النّقد البنيويّ الحديث، من نشر دار الجيل، بيروت، 1985م.
- كمال أبو ديب: الرّؤى المقنّعة، من نشر الهيئة المصريّة العامّة، 1986م.
- محمّد الهادي الطرابلسي: الشوقيات، دراسة أسلوبيّة، المجلس الأعلى للثقافة، تونس، ط 1996م.
- محمّد برادة: أسئلة الرواية وأسئلة النقد، شركة الرابطة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1996م.
- ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة محمّد برادة، دار الأمان الرّباط، المغرب، ط 2، 1987م.
- محمّد عبد الله جبر: الأسلوب والنحو، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ط 1، 1988م.
- محمّد عبد المطلب: البلاغة والأسلوب، الهيئة العامّة المصريّة للكتاب، القاهرة، ط 1، 1984م.
- محمّد عبد المنعم الخفاجي ومحمّد السّعدى فرهود وعبد العزيز شرف: الأسلوبية والبيان العربي. (كتاب مشترك)، الدار اللبنانيّة لمصريّة، ط 1، 1992م.
- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر 1979م ودار العودة، بيروت، 1997.
- منذر عطا العياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ط 2، 2008.
- موسى ربابعة: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، جامعة الكويت، دار الكندي، ط 1، 2003 م.
- نور الدّين السّدّ: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج 1 و 2، دار هومة، الجزائر، 2010 م.
- الهادي الجطلابي: مدخل إلى الأسلوبية، عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1992.
- يمنى العيد: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت-لبنان، ط 3، 2010.
- يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبيّ، جسور للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط 1، 2007.
- يوسف اليوسف: مقالات في الشعر الجاهلي، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط 3، 1983.
- وما كثرة انتشار الأسلوبية في ربوع العالم إلّا دليل على فرض وجودها ربما في العالم العربيّ أكثر منها في مهدها في العواصم الغربيّة، حيث عبّت المكتبات العربيّة بالمؤلّفات الأسلوبية، وامتلأت رفوف

الجامعات بالبحوث النظرية والتطبيقية عن الأسلوبية كمنهج حديث وتطبيقه على المدونات كدراسات أسلوبية في مختلف الشهادات ( ليسانس، ماستر، ماجستير، دكتوراه )، فضلا عن البحوث العلمية والأكاديمية والثقافية التي لا تكاد تدخل تحت حصر، إلى درجة أصبحنا نجد كثيرا من الباحثين يزهد في الدراسات الأسلوبية القديمة، بل وجدنا من يدعو إلى موت البلاغة العربية القديمة المعيارية.

### 3. اتجاهات الأسلوبية في الدراسات المعاصرة:

مع أنّ الأسلوبية حديثة النشأة، واستفادتها من الدرس البلاغي العربي القديم غير خافية على أحد و استقرارها كمنهج في نهاية الستينيات - بعد أن كادت تندثر - شرع أقطابها المتعدّون في البحث عن اتجاهاتها المتعدّدة التي تتكئ عليها في عملية التعامل مع النصوص الأدبية.

يقول حسيب إلياس حديد في مقاله المترجم عن جيرفيس مندوزي: "وبغية إثارة المداخل الخاصة بهذا المجال، نقترح هنا معرفة الاتجاهات الأسلوبية الكبرى، وللقيام بذلك لابدّ من معرفة المدارس الأسلوبية الرئيسية، من أجل فهم أفضل للمنهج الأسلوبي للخطاب: الأسلوبية الوصفية أو التعبيرية ( شارل بالي ) والأسلوبية الخاصة بالفرد ( ليو سبيتزر )، والأسلوبية التركيبية ( ميكائيل ريفاتير )، والأسلوبية الوظيفية (رومان جاكوبسون)، والأسلوبية السيميائية (مولينييه )، والأسلوبية التسلسلية ( لاثورماس )، والأسلوبية الإحصائية ( بيير غيرو)، وأخيرا الأسلوبية الإثنية ( جيرفيس مندوزي )".<sup>(1)</sup>

وقد تأثر النقاد والأسلوبيون العرب بالاتجاهات الأسلوبية الغربية التي أضحت مدارس أسلوبية، لها موضوعاتها، وآلياتها الفنية، فراحوا هم أيضا ينظرون لهذه الاتجاهات ويكيفونها وفق الحاجيات العربية ويقسمونها تقسيمات محدودة، على طريقة التقسيمات الغربية للأسلوبية، فهذا عدنان بن نريل راح يقسمها إلى ثلاثة اتجاهات كبرى هي:

1 - أسلوبية التعبير: والتي اهتمت بالتعبير اللغوي.

2 - الأسلوبية التكوينية: والتي اهتمت بظروف الكتابة.

3 - الأسلوبية البنيوية: والتي اهتمت بالنص الأدبي وجهازه اللغوي.

والى نحو ذلك قسمها محمد عزّام: الأسلوبية التعبيرية، الأسلوبية الفردية (أسلوبية الكاتب) والأسلوبية البنيوية.

(1) جيرفيس مندوزي : الأسلوب والأسلوبية، صحيفة المنقف، العدد: 3311.

بينما قسمها (نور الدين السد) إلى أربعة اتجاهات أسلوبية هي: الأسلوبية التعبيرية، الأسلوبية النفسية، الأسلوبية البنيوية، الأسلوبية الإحصائية. مع دعوته الضمنية إلى أسلوبية جديدة، يمكن وصفها بأنها أسلوبية تركيبية أو تكاملية، ويسمّيها (السيمائية الأسلوبية)<sup>(1)</sup>.

في حين ارتأى الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض الخوض في صنفين من الأسلوبية هما:

أ - الأسلوبية التاريخية: التي يجعلها مقابلا للمصطلح **S.Génétique** وموضوعها الجواب عن

السؤال: لماذا الكاتب ؟

ب - الأسلوبية الوصفية: والتي تجيب - في نظره - عن سؤال آخر هو: كيف يكتب الكاتب؟<sup>(2)</sup>

بيد أن تلميذه يوسف وغليسي ردّ عليه بخصوص الصنفين المذكورين على أنه كلام تبسيط إشكالي من شأنه أن يخلط المفاهيم، لأنّ الجواب عن السؤال الأخير قد يكون أيضا من اختصاص الأسلوبية الأولى، والتي يسمّيها مرتاض تاريخية، ويسمّيها آخرون: (تكوينية أو أدبية أو نقدية أو أسلوبية الفرد أو أسلوبية الكاتب)، كما أنّ السؤال الأول (لماذا يكتب الأديب؟) قد تضلع بالإجابة عنه أسلوبية أخرى يسمّيها جأسلوبية الوظيفية) ويمثّل لها بجهود رومان جاكسون...<sup>(3)</sup>

وفي هذا السياق يعلّق بشير تاويريرت فيقول: "الخطاب الأدبي زئبقي، فالخطاب: ليس مجرد بناء هرمي أو قوالب لغوية فحسب، بل هو دلالات وانزياحات عن المعاني الظاهرة والمألوفة، لا يمكن حصر ناتجها الدلالي في زاوية معينة تبعا لذلك، فقد تباينت اتجاهات الأسلوبية بتباين مرتكزها الأسلوبية".<sup>(4)</sup>

ونظرا لهذه الزئبقية الخطابية التي أشار إليها بشير تاويريرت، كان لزاما أن تتنوع الأسلوبيات، خاصة وهي ترتبط بعلوم أخرى. وقد أحصى النقاد ما يربو عن عشرين نوعا من الأسلوبيات بسبب تداخلها مع تخصصات أخرى، فهناك الأسلوبية اللسانية، والأسلوبية العامة، والأسلوبية الأدبية، والأسلوبية التعبيرية والأسلوبية التأثيرية، والأسلوبية الشفرة، والأسلوبية الرسالة، والأسلوبية الشعرية، والأسلوبية الجنس الأدبي والأسلوبية الخطاب، والأسلوبية المبدع أو الكاتب، والأسلوبية المدرسة أو الحركة أو التيار الأدبي، والأسلوبية التكوينية، والأسلوبية الإحصائية، والأسلوبية الذاتية، والأسلوبية الموضوعية، والأسلوبية الوظيفية والأسلوبية الشكلانية، والأسلوبية الموضوعاتية، والأسلوبية السيمائية، والأسلوبية الوصفية، والأسلوبية

(1) ينظر، نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص: 62 وما بعدها.

(2) يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ص: 89.

(3) يوسف وغليسي: المرجع نفسه، ص: 89-90.

(4) بشير تاويريرت: محاضرات في مقياس النقد الحديث والمعاصر، جامعة بسكرة، 2003-2004، ص: 118.

التأويلية (التفسيرية)، والأسلوبية النحوية...<sup>(1)</sup>. وسنحاول أن نشير إلى بعض هذه الأسلوبيات بشيء من الاختصار:

### أ - الأسلوبية التعبيرية (الوصفية) (Stylistique De L'expression):

رائدها هو شارل بالي (Charles - Baley) تلميذ فيرديناند دي سوسير، صاحب المقال المشهور "الأسلوبية الفرنسية" (1902)، وكتاب (الوجيز في الأسلوبية) ثم (مصنّف الأسلوبية الفرنسية) (و اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية)، و (اللغة والحياة)، " إنَّ الأسلوبية كما يراها شارل بالي يمكن تعريفها بأنها دراسة وقائع تعبير الكلام، ابتداءً من المضمون التعبيري من حيث التعبير الأسلوبية للكلام أو الأسلوبية التعبيرية. وتعمل هذه الأسلوبية على دراسة القيم التعبيرية المؤثرة خاصة بالوسائل المختلفة للتعبير الذي تمتلكه اللغة، وترتبط هذه القيم بوجود صيغ مختلفة من أجل التعبير عن الفكرة ذاتها. وأدى ذلك كله إلى أن يؤكد بالي على أن الأسلوبية تدرس وقائع تعبير الكلام من وجهة نظر مضمونها المؤثر أي التعبير عن وقائع لها آثار يتم التعبير عنها بالكلام."<sup>(2)</sup>

وقد انطلق شارل بالي في اتجاهه هذا من خلال دراسته للبلاغة القديمة، والتي اهتم فيها بالنبر والصّور والأساليب، وتعدّها إلى دراسة القيم التعبيرية والانطباعية، " فالأسلوبية تدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية، أي: أنها تدرس تعبير الوقائع للحساسية المعبر عنها لغويًا، كما تدرس فعل الوقائع على حساسياته."<sup>(3)</sup>

بينما يرى محمد عزّام: " أنَّ الأسلوبية التعبيرية تُعنى بالقيم التعبيرية، والمتغيّرات الأسلوبية، وذلك من خلال دراسة العلاقة بين الصيغ والفكر، فهي لا تخرج عن نطاق اللغة ولا تتعدى وقائعها، ويعتدّ فيها بالأبنية اللغوية، ووظائفها اعتدادا وصفياً بحتاً."<sup>(4)</sup>

وإلى نحو ذلك ذهب الأستاذ بشير تاوريرت حيث يقول: " فأسلوبية التعبير تهدف إلى دراسة القيم التعبيرية (اللغوية) الكامنة في الكلام أو المثارة فيه، وهي تختلف عن الدرس البلاغي القديم في كونها لا تقف عند الأنماط التقليدية المتعارف عليها، بل تمتدّ إلى الكلام في مقولة "اللامتناهية"، وتقف على نحو خاصّ أمام الكلام المنطوق؛ لتلاحظ العلاقة القائمة بين المحتوى الوجداني (المضمون العاطفي) والتركييب الذي جاء عليه الكلام."<sup>(5)</sup>

(1) ينظر، جميل حمدوي: اتجاهات الأسلوبية، ص: 11.

(2) جيرفيس مندوزي: الأسلوب والأسلوبية، صحيفة المتقف، العدد: 3311.

(3) بيير جيرو: الأسلوب والأسلوبية، ص: 34-37.

(4) محمد عزّام: الأسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط1، 1989، ص: 45.

(5) بشير تاوريرت: المرجع السابق، ص: 119.

وقد حاول الناقد منذر عياشي أن يلخص خصائص الأسلوبية التعبيرية في النقاط التالية:

1 - إن أسلوبية التعبير عبارة عن دراسة علاقات الشكل مع التفكير، أي التفكير عموماً، وهي تتناسب مع تعبير القديما.

2 - إن أسلوبية التعبير لا تخرج عن إطار اللغة أو عن الحدث اللساني المعتبر لنفسه.

3 - وتنتظر أسلوبية التعبير إلى البنى ووظائفها داخل النظام اللغوي، وبهذا تعتبر وصفية.

4 - إن أسلوبية التعبير أسلوبية للأثر، وتتعلق بعلم الدلالة أو بدراسة المعاني.<sup>(1)</sup>

ومن هنا يتبين قصور الأسلوبية التعبيرية، والالتكاء على جزئية في الخطاب، فهذا الأخير ليس تعبير فحسب، بل له جوانب أخرى تشكله ليكون متكاملًا من كل الجوانب، ف: "اهتمام (بالي) بالمحتوى العاطفي أعماه عن الاهتمام الكبير بالجوانب الجمالية، واهتمامه وتركيزه على الكلام المنطوق أعماه عن الاهتمام بالأسلوب الأدبي، وتصنيفه للإمكانات الكامنة أو المثارة في اللغة جعله يهتم بدراسة القوة التعبيرية في لغة الجماعة، وأعماه عن الاهتمام بالتطبيقات الفردية لها".<sup>(2)</sup>

#### ب - الأسلوبية الأدبية (الفردية):

ويمثلها العالم النمساوي ليو بيدزر (Leo Pidzer) الذي حولها إلى نظرية متكاملة في النقد اللغوي أو الأسلوبية الأدبية، ومجال دراستها هو علاقة التعبير بالفرد والجماعة، ومن ثم علاقة هذا التعبير بالمتحدثين به وتحدد بواعث اللغة وأسبابها.

وقد ركز بيدزر على دراسة الأسلوب الفردي لكاتب من الكُتّاب، أو أسلوب أمة عبر الأفراد، أسلوب جنس، عصر. كما اهتم بدراسة اللغة، وحسم العادات اللسانية الحديثة لفرد من الأفراد بهدف الوصول إلى توضيح علاقة اللغة بالأدب، من خلال جسر أقامه بين علم اللغة والأدب.<sup>(3)</sup> وهو الرأي الذي ذهب إليه بشير تاوريرت حيث يقول: "كما تُعنى الأسلوبية الفردية أيضاً بدراسة الخطاب الأدبي، وهذا ليس من ناحية النظام اللغوي فقط، بل هي تركز وتبحث في حالة الأديب، الذي هو قائل أو كاتب هذا الخطاب الأدبي، ولهذا فهي تسعى إلى أن تُقيم علاقة بين النص الأدبي، وتربطه بحالة مُبدعه النفسية"، ويقول أيضاً: "لقد نشأت أسلوبية (بيدزر) على أنقاض أسلوبية (بالي) التعبيرية، وتعتمد الأولى في دراستها للكلام المتداول بين أفراد المجتمع، إذ أنها تعدّ وليدة التفاعلات الاجتماعية..."<sup>(4)</sup>

(1) منذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص: 42.

(2) بشير تاوريرت: محاضرات في مقياس النقد الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص: 119.

(3) بيير جيرو: الأسلوب والأسلوبية، ص: 48.

(4) بشير تاوريرت: المرجع نفسه.

ومنهم من يرى: "إنَّ كُلاًّ من الأسلوبية الفردية والتعبيرية يلتقيان في أنَّ كليهما يدرس الخطاب الأدبيّ بهدف التحليل الأسلوبيّ من خلال البنى اللغويّة، ووظائفها داخل النّظام اللّغويّ." (1)

وهناك رأي آخر يخدم هذا المنحى، فيقول: "وتعني دراسة الأسلوب الأدبيّ، وتهتمّ بالنصوص الأدبيّة بالذات، وينصبّ اهتمامها على تأويلها عن طريق دراسة منظومة اللّغة، وانتقاء السمات الأسلوبية المهمّة عن طريق الحدس لبيان وظائفها، ويسعى أصحاب هذا الاتّجاه إلى اكتشاف الوظيفة الفنيّة للغة النّص الأدبيّ، وذلك عن طريق التّكامل بين الجانب الأدبيّ والجماليّ الذي يهتمّ به النّاقّد، والجانب اللّغويّ اللّسانيّ." (2)

فهو إذاً يقرن بين الأسلوبية الأدبيّة، وبين عمليّة التّأويل لبنى تفرضها عملية العدول والانزياح، وبين وظائف السمات الأسلوبية المنتقاة، فضلاً عن اهتمامها بالجانب الفني الذي أهملته الأسلوبية التعبيرية.

### ج - الأسلوبية الفردية (أسلوبية الكاتب) (Stylistique Génétique) :

وتسمّى كذلك الأسلوبية النّفسية، وتتمثّل في دراسة علاقة التّعبير بالفرد، أو الجماعة التي تدعاه، وتدرس التّعبير في علاقته بالأشخاص المتحدّثين به، وتحدّد بواعث اللّغة وأسبابها، فهي توليديّة، ترتبط بالنّقد الأدبيّ، ومن أشهر ممثليها: ليو سبيدزر الذي اهتمّ بالمبدع وتفردّه في طريقة الكتابة، فيكون النّص كاشفاً عن شخصيّة صاحبه من خلال تحليل سماته الأسلوبية. (3)

وهي (أسلوبية الفرد) تمتاز بجملة من الخصائص التّالية:

1- إنّ أسلوبية الفرد هي في الواقع، نقد للأسلوب، ودراسة لعلاقات التّعبير مع الفرد أو مع المجتمع الذي أنشأها واستعملها.

2- وهي ما دامت كذلك، يمكن النّظر إليها بوصفها دراسة تكوينية إذاً، وليست معيارية، أو تقريرية فقط.

3- وإذا كانت أسلوبية التّعبير تدرس الحدث اللّسانيّ المعتبر لنفسه، فإنّ أسلوبية الفرد تدرس هذا التّعبير نفسه إزاء المتكلّمين.

4- تذهب أسلوبية الفرد إلى تحديد الأسباب، وبهذا تعدّ تكوينية، وهي - من أجل هذا - تنتسب إلى النّقد الأدبيّ. (4)

(1) عدنان رضا النحوي: الأسلوب والأسلوبية- العلمانية والأدب الملتزم في الإسلام، ط1، 1999، ص:164.

(2) جيرفيس مندوزي: الأسلوب والأسلوبية، صحيفة المثقف، العدد: 3311.

(3) بديعة خليل الهاشمي: بين البلاغة واللسانيات، مجلة الوافد، العدد: 184.

(4) منذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص: 43.

وقد اهتمّ لويس بيدزر بثنائيتي الشكل والمضمون، لكن مع إهمال جوانب أخرى لا يمكن أن يرى إليها، بصرف النظر عن عناصر أخرى مهمة لأيّ خطاب أدبيّ، ولهذا فقد حُكم عليها هي الأخرى بشيء من القصور. يقول بشير تاويريت: "وبهذا التصور يمكن القول: إنّ الأسلوبية الفردية قد نظرت إلى العمل الأدبيّ نظرة ناقد انطباعي، اكتفى برصد الملاحظات الذاتية التي اعترضته من خلال لقائه بالنص لقاء مباشراً، استهدفت فيه المقاربة الأسلوبية الفرد أو الشخص مهمة بذلك عناصر الأبنية اللغوية، وما تكتنزه هذه العناصر من إحياءات ودلالات، يكشف عنها جملة من العلاقات التي تربط بين مكونات هذه النّفاص، أدت إلى ميلاد اتجاه أسلوبيّ جديد عني ببنية النصّ إنّه الأسلوبية البنيوية".<sup>(1)</sup>

### أ- الأسلوبية البنيوية: (Stylistique Structural)

وقطباها هما العالمان رومان جاكوبسون و ميشال ريفاتير. حيث النصّ عندهما بنية تشكّل جوهرها قائماً بذاته، بل هو بنية متكاملة، يحكم العلاقات بين عناصرها قوانين خاصة بها، والعنصر فيها ليس له وجود فيزيولوجي أو سيكولوجي إلا في إطار البنية الكلية للنسق، ولا يمكن تعريف أيّ عنصر منفصل إلا من خلال علاقاته التقابلية والتضادية بالعناصر الأخرى في إطار بنية الكل".<sup>(2)</sup>

بينما يرى ريفاتير: "أنّ الأسلوبية تتحوّل إلى قوّة ضاغطة، تتسلّط على حساسية القارئ، وذلك عن طريق إبراز بعض عناصر السلسلة الكلامية، ومن ثمّة حمل القارئ على الانتباه إليها، بحيث إذا ما غفل عنها تشوّه النصّ، وفقد أبعاده الجمالية، ويتجلّى ذلك في اهتزاز بنيات النصّ الأدبيّ، لأنّ النصّ قائم على هذه البنى، وإذا قام الناقد أو الدارس بتحليل هذه البنى، وجدها ذات دلالات خاصة، وهي التي تسمح بتقرير أنّ الكلام يعبرّ والأسلوب يبرز ويظهر".<sup>(3)</sup>

كما يرى حبيب إلياس حديد أنّها تعتبر امتداداً لنظريات دي سوسير، فيقول: "تعدّ الأسلوبية البنيوية مدّاً مباشراً من اللسانيات البنيوية التي تعتمد أساساً على دراسات دي سوسير، فهي والبنيوية تنطلق دراساتها من النصّ بوصفه بنية مغلقة، وتركّز الأسلوبية البنيوية على تناسق أجزاء النصّ اللغوية، وهي تهتمّ بتحليل النصّ الأدبيّ بعلاقات التكامل بين العناصر اللغوية في النصّ وبالدلالات والإحياءات التي تحقّقها تلك الوحدات اللغوية".<sup>(4)</sup>

فهي إذاً أسلوبية مغلقة على نفسها - إن صحّ هذا الوصف - تنظر إلى النصّ مجرد بنية مجردة مغلقة على ذاتها، تتشاكل فيها عناصر منفردة معينة، لا قيمة جمالية لها إلا من خلال علاقات مشتركة

(1) بشير تاويريت: محاضرات في مقياس النقد الحديث والمعاصر، ص: 122.

(2) صلاح فضل: علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، ص: 150.

(3) بيار جيرو: الأسلوب والأسلوبية، ص: 32.

(4) جيرفيس مندوزي: الأسلوب والأسلوبية، صحيفة المتقف، العدد: 3311.

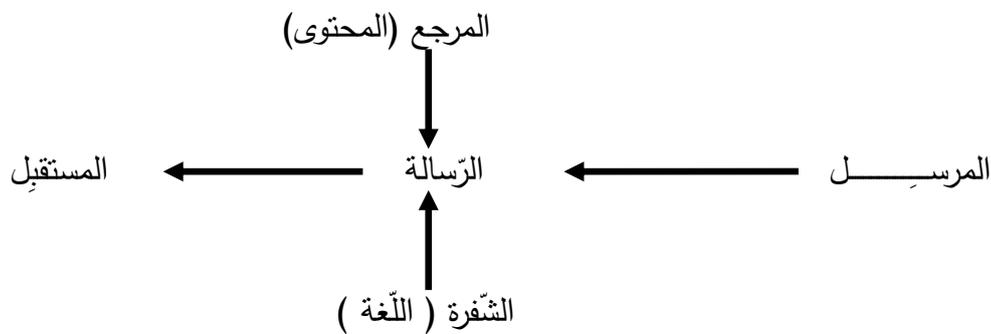
ويعلق بشير تاويريرت على ذلك فيقول: "ومما سبق نخلص إلى أنّ الأسلوبية البنيوية هي رؤية نقدية مزدوجة أو مركبة من زمرتين نقديتين هما: البنيوية والأسلوبية، حيث يتحوّل النصّ في ضوء هذا الاتجاه إلى بنية قائمة بذاتها، تتخلّلها علاقات داخلية تجمع بين عناصر هذه البنية، ولا يكون لأيّ عنصر قيمة جمالية إلاّ من خلال علاقته بالعناصر الأخرى، ويستهدف التحليل الأسلوبيّ القيمة الأسلوبية الإشارة في تموضعها البنيويّ، وقد لخصّ "محمد عزّام" هذه الاتجاهات الثلاثة بشيء من الوضوح والتفصيل." (1)

ويصنّف ريفاتير مع الأسلوبية البنيوية، ومن الذين يقولون بأنّ الأدب شكل راق من أشكال الإيصال وأنّ النصّ الإبداعيّ ما إن يتمّ خلقاً، ويكتمل نصّاً، حتّى ينقطع عن مرسله لتبقى العلاقة بين الرّسالة والمستقلّ زمناً لا ينتهي دوامه. وهو بذلك خالف جاكوبسون الذي يهتمّ بالمرسل والمرسل إليه، وينصبّ اهتمامه بالدّرجة الأولى على القارئ دون أن ننسى الوظيفة الشعريّة." (2)

ويقرّر النقاد أنّ الأسلوبية البنيوية بدأت "مع ميشال ريفاتير بدأت الأسلوبية البنيوية مساراً مهماً في تناول الأسلوب في النصّ الأدبيّ، وقد أفرد كتاباً خاصّاً لهذا الغرض وسماه (محاولات في الأسلوبية البنيوية) صدر عام 1976. وتمثّلت غاية الكاتب في أنّ الأسلوبية البنيوية تقوم على تحليل الخطاب الأدبيّ، لأنّ الأسلوب يكمن في اللّغة، ووظائفها، ولذلك ليس ثمة أسلوب أدبيّ إلاّ في النصّ." وقد عرّف ريفاتير الأسلوب الأدبيّ بأنّه كلّ شيء مكتوب وفرديّ قصد به أن يكون أدباً." (3)

#### هـ - الأسلوبية الوظيفية:

ورائدها رومان جاكوبسون وهي تعنى بوظائف اللّغة ونظريات التّواصل، وقد اشتهر بترسيمة الرّسالة الاتّصالية، وتحليله من خلالها للوظيفة الشعريّة في اللّغة، حيث تصوّر خريطة تجسديّة توضّح المراحل التي تمرّ بها (الرّسالة) بين المرسل (المُتكلّم والمؤلّف) والمستقبل (السّامع أو القارئ)، وهذه الخريطة يمكن أن ترسم على الشكل التّالي:



(1) بشير تاويريرت: المرجع السابق، ص:123.

(2) طارق البكري: الأسلوبية عند ريفاتير، مجلة الموقف الأدبي، العدد402، تشرين الأول 2004م.

(3) طارق البكري: المرجع نفسه.

ففي كل اتصال بشري لغوي ينبغي توقّر هذه العناصر سواء أكان الاتصال مباشراً أو غير مباشر والوسائل اللغوية للتواصل تختلف تبعاً لعوامل كثيرة، ولكن تبقى بعض الثوابت التي تتحكّم في هيكل البناء اللغوي، وقد تكون مفتاحاً له. وهذه الثوابت يسمّيها **جاكوبسون** الموصّلات أو مغيّرات السرعة، ومن بينها التقسيم الثلاثي للضمائر المتكلم والمخاطب والغائب، وهو التقسيم الذي يتقاطع مع تقسيم ثلاثي آخر يتمثّل في الوظيفة التعبيرية (**أنا المتكلم**)، والوظيفة التأثيرية (**أنت المخاطب**)، والوظيفة الذهنية (**هو الغائب**) ويلتقي أيضاً مع التقسيم الثلاثي في العمل الأدبي، ويتمثّل في المؤلف (**أنا**) والقارئ (**أنت**) والشخصيات (**هو**).<sup>(1)</sup>

وقد ركّز **جاكوبسون** على الوظيفة الشعريّة من حيث هي وظيفة إبلاغيّة زمن هذه الزاوية. وقد عرّف (**ريفاتير**) الأسلوبية الوظيفية بأنّها الأسلوبية التي تدرس عملية الإبلاغ من خلال النصوص، مع التركيز على العناصر التي تساعد على إبراز شخصية الكاتب أو المنشئ، وجذب انتباه المتلقّي، وهذا لا يأتي إلاّ بإخضاع كلّ العناصر الأسلوبية الموجودة في النصّ للتحليل من غير انتقاء بهدف الكشف عن معايير نوعيّة جديدة للأسلوب.

وأبرز هذه المعايير الجديدة عند **ريفاتير** هو الاستعانة بالمتلقّي، والذي يسمّيه القارئ العمدة (**Architecture**)، وهو القادر على الاستجابة لكلّ مثير أو متواليّة أسلوبية، وبعد أن يتمّ جمع المثيرات الأسلوبية في النصّ، توضع على شريحة الفاحص الأسلوبية الذي يستخرج منها الصّور المتكرّرة لبنية أو بنيات متعدّدة، مشيراً إلى أنّ هذه الصّور المتكرّرة هي التي تميّز أسلوب عمل أدبيّ معيّن.<sup>(2)</sup>

وكنقويم لما سبق يقرّر النقاد أنّ الاتجاهات الأسلوبية ينبغي التعامل معها ككلّ متكامل، ولا يمكن التعامل معها على حدة: "وأحبّ أن أشير إلى أنّ هذه الاتجاهات الأربع ليست منفصلة أو مستقلة عن بعضها البعض، خاصّة على المستوى الإجماليّ، فالأسلوبية التعبيرية، أو الوصفية كاتّجاه أرسى معالمه **شارل بالي** لا تخرج عن الإطار العام الذي حدّده **جورج مونان (George Mounin)**، حينما قسم الأسلوبية إلى (لغوية ومقارنة وأدبية)، يضاف إلى ذلك أنّ هذه الاتجاهات جميعاً باستثناء الأسلوبية الأدبية تنطلق من النصّ لتعود إليه في استقرائها للبنية الأسلوبية. ولا يخفى علينا التداخل الكبير بين الأسلوبية البنوية والأسلوبية الوظيفية، حتّى أنّ هناك من اعتبرها اتّجاهاً أسلوبياً واحداً، وهذا التداخل مرده إلى انتماء هذه الاتجاهات إلى فصيلة علمية واحدة هي اللسانيّات".<sup>(3)</sup>

(1) بيير جيرو: الأسلوب والأسلوبية، ص: 75-76.

(2) محمد كريم الكواز: علم الأسلوبية، مفاهيم وتطبيقات، منشورات جامعة السابع من أفريل، الزاوية، ليبيا، ط1، 1997، ص: 100-101.

(3) بشير تاويرت: محاضرات في مقياس النقد الحديث والمعاصر، ص: 125.

## و- الأسلوبية المثالية (La Stylistique Idéaliste):

رؤاد هذا الاتجاه فاندت (wendt)، ماريو شوساردت (Mario Schuchardt)، وكارل فوستير (Vosster Karl)، وبنديتو كروتشييه (Benedetto Croce)، والأسلوب عند هؤلاء نتاج فكر فرديّ يعكس شخصية الكاتب أو المؤلف، ويستجلي إرادته ومزاجه وثقافته وعوالمه النفسية و الاجتماعية أو المثالية الفلسفية. (1)

والعقل أو الذهن عندهم هو المصدر الحقيقي للإبداع الأدبي، "ومن هنا فإنّ الأسلوب هو أسّ الانسجام والاتساق المتحققين في النصّ الإبداعي، ومن ثمّ يعبر عن شخصية المبدع وفرديته، ومن ثمّ فالأسلوب هو صورة الروح. (2)"

## ز- الأسلوبية الإحصائية (La Stylistique Statistique):

وهذا الاتجاه يُعنى بالكمّ، وإحصاء الظواهر اللغوية في النصّ، ويبني أحكامه بناء على نتائج هذا الإحصاء، ولكن هذا الاتجاه إذا تفرّد فإنه لا يفي الجانب الأدبيّ حقّه، فإنه لا يستطيع وصف الطابع الخاص، والتفرد في العمل الأدبيّ، وإنما يحسن هذا الاتجاه إذا كان مكملًا للمناهج الأسلوبية الأخرى. (3)

ويبقى أنّ المنهج الإحصائيّ أسهل طريق لمن يتحرّى الدقة العلمية، ويتحاشى الذاتية في النقد فيجب أن يستخدم هذا المنهج كوسيلة للإثبات، والاستدلال على موضوعيّة الناقد أي بعد أن نتعامل مع النصّ بالمناهج الأخرى التي تبرز جوانب التميّز في النصّ (4).

وتعتمد الأسلوبية الإحصائية على الإحصاء الرياضيّ في محاولة الكشف عن خصائص الأسلوب الأدبيّ في عمل معيّن، ويرى أصحابها أنّ اعتماد الإحصاء وسيلة علمية موضوعية يجنب الباحث مغبة الوقوع في الذاتية.

ومن الذين اقترحوا نماذج للإحصاء الأسلوبيّ زيمب (Zemb) الذي جاء بمصطلح (القياس الأسلوبيّ)، ويقوم على إحصاء كلمات النصّ، وتصنيفها حسب نوع الكلمة، ووضع متوسط تلك الكلمات في شكل نجمة، وهكذا تنتج أشكال ونماذج متنوّعة، يمكن مقارنة بعضها ببعض.

(1) جميل حمداوي: اتجاهات الأسلوبية، شبكة الالوكة، ط1، السنة 2015.

(2) جميل حمداوي: المرجع نفسه.

(3) ينظر، سعد أبو الرضا: النقد الأدبي الحديث، أسسه الجمالية ومناهجه المعاصرة، مجلة الأدب الإسلامي، مج 15، ع58، حزيران، 2008، ص: 115. و محمد اللويحي: في الأسلوب والأسلوبية، ص: 46.

(4) ينظر، محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ص: 198.

ولهذا يحفل هذا الاتجاه بقيم الأعداد ويبعد عن الحدس، ومما أخذ عليه عدم قدرته على وصف تفرد العمل الأدبي وطابعه الخاص، إلا أن هذا الاتجاه المعتمد على الإحصاء يمكن له أن يكمل مناهج أسلوبية أخرى.<sup>(1)</sup>

ويمكن اعتبار سعد مصلوح و عبد الملك مرتاض أكثر النقاد العرب اعتدادا لهذه الأسلوبية الإحصائية القائمة على استخدام اللسانيات الرياضية في تحليل الأسلوب عند كاتب ما<sup>(2)</sup>. وهناك من يضمّنه تحت مسمى (نقد النسبة) الذي يقوم على التدقيق في العمل الأدبي، والتحقق والتحقق والتحقق المضادة، حيث يتمّ البحث بطريقة بوليسية في عدد من الأعمال الأدبية الأخرى التي تنتمي إلى الفترة نفسها.

### ح - أسلوبية الانزياح: (Statistique des écarts)

وهذا النوع من الأسلوبية يقوم على مبدأ انزياح اللغة الأسلوبية عن اللغة العادية، ويعرّف الأسلوب على أنه انزياح عن المعيار المتعارف عليه، وأنصار هذا الاتجاه يعتقدون أن الأسلوب الجيد، هو الذي ينحرف عن اللغة الأصلية، وطريقتها الاعتيادية، على اختلافهم في مدى هذا الانحراف والانزياح، فمنهم من يدعو إلى الخروج عن كلّ قواعد اللغة، وهذا ما طبقه أهل الحداثة في أدبهم، والمعتدل منهم يقول: إن الانزياح يكون في حدود قواعد اللغة، حيث يكون الإبداع بسلوك طرق جديدة غفل عنها الآخرون لكنّها لا تخالف قواعد اللغة أي النحو.<sup>(3)</sup>

وبسميها جون كوهين " الانتهاك "، حيث إنّ المبدع يعتمد في إبداعه على اختراق المستوى المثالي في اللغة وانتهاكه.<sup>(4)</sup>

وأسلوبية الانزياح ( الانحراف ) تقوم على المبدأ الأسلوبي الذي يفهم الخواصّ الأسلوبية على أنها انزياح عن اللغة الاعتيادية، ويعرّف الأسلوب هنا بأنه انزياح أو انحراف عن المعيار المتعارف عليه (القواعد اللغوية المقررة)، وبذلك يعرّف البحث الأسلوبي بأنه (علم الانحرافات)، ويؤخذ على هذا الاتجاه عدم تحديد معيار الانزياح تحديداً دقيقاً، وكذلك إغفاله مقولتي المتلقّي والمبدع.<sup>(5)</sup>

(1) بديعة خليل الهاشمي: بين البلاغة واللسانيات، مجلة الوافد، العدد: 184.

(2) بديعة خليل الهاشمي: المرجع نفسه، ص: 91.

(3) محمد اللويحي: في الأسلوب والأسلوبية، ص: 46.

(4) محمد عبد المطلب: المرجع السابق، ص: 268.

(5) جيرفيس مندوزي: الأسلوب والأسلوبية، صحيفة المتقف، العدد: 3311.

## ط- الأسلوبية التأثيرية:

وهي أسلوبية تعتمد في منهجها على مدى قوة تأثير الخطاب على المتلقي، سلبا وإيجابا، ومدى استجابته للمحتوى، وملاحم الردود والانفعالات بعد الانتهاء من قراءة النص، ولهذا قرر النقاد أن هذا النوع من الأسلوبيات: "ينصب اهتمامها على تأثيرات النص على القارئ، من خلال استجابته، وردود أفعاله، وتناميها مع قراءة النص. ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن القارئ مؤلف جديد للنص، له الحق في توسيع دلالاته من خلال تجربته هو. وقد أنتقدت الأسلوبية التأثيرية بأنه ليس هناك معايير تضبط استجابة القارئ للنص، وليس هناك تحليل لردود أفعال القارئ." (1)

## ي- الأسلوبية الصوتية:

وهي تعتمد على الجانب الصوتي من خلال النص المكتوب، وما يترتب عنها من دلالات معينة تفهم من السياق، وهي أسلوبية " يقابلها في العربية (علم الجمال اللغوي)، فموضوعها دراسة الوحدات الصوتية، والسياق الصوتي في النص الأدبي، وتفسير العلامات التي أدت معاني وإيحاءات، وصوراً ساعدت في نقل الفكرة، وتعتمد على مفهوم المتغيرات الصوتية الأسلوبية، وبمقدار ما يكون للغة حرية التصرف ببعض العناصر الصوتية للسلسلة الكلامية، بمقدار ما تستطيع أن تستخدم تلك العناصر لغايات أسلوبية." (2)

## 4. مداخل ومحددات التحليل الأسلوبي:

## 1-4 مداخل التحليل الأسلوبي:

يرى بعض النقاد الأسلوبيين أنه من الضروري التفرقة بين مصطلحي مداخل التحليل والتحليل الأسلوبي، فهما أمران مختلفان تماما، وما يهتما هنا هو الإشارة إلى المصطلح الأول. وفي سياق الإطار الذي ينظم الأسلوبية يرى (محمد الهادي الطرابلسي) أن التحليل الأسلوبي يختلف باختلاف مداخل التحليل، وفيما يلي نشير إلى بعض هذه المداخل:

**1- المدخل بنيويًا:** وهو مدخل ينطلق من أبنية الخطاب البسيطة، التي تكوّن نسيج النص، انطلاقاً من بناء المفردات (الكلمات)، ودراسة تركيبية الجمل (الاسمية أو الفعلية)، وكذا الأنماط المختلفة الغالبة على التصوص الأدبية شعراً ونثراً.

**2- المدخل دلاليًا:** وهو مدخل يهتم بدراسة الدلالات، والمعاني الدقيقة والجزئية، والموضوعات المختلفة، وأغراضه الغالبة ومقاصده العامة، وأجناسه المعتمدة.

(1) جيرفيس مندوزي: الأسلوب والأسلوبية، صحيفة المتقف، العدد: 3311.

(2) جيرفيس مندوزي: المرجع نفسه.

3- **المدخل بلاغيًا:** وهو مدخل يهتم بمعالجة الصور البيانية والمحسنات البديعية، والظواهر البلاغية على اختلاف أنواعها المشكّلة للجوانب الأسلوبية ضمن النصوص المكتوبة.

4 - **المدخل تقنيًا:** وهو مدخل ينطلق فيه من الجوانب التقنية لتقويم النصوص الأدبية " فتعتمد فيه المقارنة أو الموازنة أو تقنيات المقايسة والإحصاء." (1)

وهي مداخل تقترب من النص فردية فتعالجه من زاوية معينة، ثم تجتمع لإعطاء صورة شاملة ومتكاملة من الناحية الأسلوبية. وهو أكبر دليل على أنّ الأسلوبية لم ترتق إلى مستوى المنهج العلمي ولذلك فهي تتكىء على تلك الآليات (المدخل) مستشفعة بعلوم أخرى، للقيام بعملية التحليل الأسلوبية. وقد وجدنا الناقد الجزائري يوسف وغليسي يعلّق على هذه الأنواع من مداخل التحليل الأسلوبية، فيقول: " يفهم من هذا الكلام أنّ الأسلوبية ليست منهجا قائما بذاته، مستوفيا لضوابطه المنهجية... وأنها ليست علما مستقلا الاختصاص، فكأنّها إذا ممارسة علمية تستعين - في تحليلها للنص الأدبي - بآليات منهجية مستمدة من علوم ومناهج أخرى (علم الدلالة، علوم البلاغة، البنيوية، الإحصاء المقارنة...)، على نحو ما يؤكده محمد عزام الذي يرى: " أنّ التحليل الأسلوبية يمكن أن يطبق على نصّ أدبيّ مستقل أو نتاج مؤلّف أو مقارنات أسلوبية أو تغيير الأسلوب حسب الأمكنة والأزمنة والموضوعات بإجراءات مختلفة منها: منهج إمكانيات النحو، ومنهج النظم، ومنهج الكلمات المفاتيح، ومنهج تحليل الانحراف، ومنهج المستوى الوظيفي... " (2).

#### 4-2 محددات التحليل الأسلوبية:

لكلّ أسلوب محددات تكون عند المبدع سلفا كرصيد ثري، يؤهّله لعملية الإبداع، ويمكن للنقاد أن ينطلقوا منها لضبط أسلوب المبدع، وتقويمه، وتمييزه عن غيره من الأساليب. ولعلّ أهمّ هذه المحددات نذكر مايلي:

**أولا - الاختيار:** عندما يقرّر بيفون (Buffon) أنّ الأسلوب: " هو الإنسان نفسه"، ولذلك تعذر انتزاعه أو تحويله أو سلخه، فالأسلوب لا يمكن نقله أو تعديله، فهو سمة شخصية في استعمال اللغة ولا يمكن تكرارها.

ولذلك فالمبدع شخص مستقل بذاته له ثقافته وعلمه وأفكاره وطريقة تفكيره، ولا يمكن أن يستنسخ شخصية أخرى، ولأنّه كذلك، فهو ملزم بالالتكّاء على محصوله العلمي، فيختار من رصيده اللغوي الثري

(1) يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ص: 90.

(2) يوسف وغليسي: المرجع نفسه، ص: 90-91.

ومن قاموسه الغني ما يؤهله لبناء نصّ مستقل، منسجم النّسج، مترابط الألفاظ في شكل لغويّ ينفرد به عن الآخرين، ويميّزه عن غيره. وهو ما يصطلح عليه بالأسلوب الخاصّ.

**ثانيا - التّركيب:** يعتمد التّركيب في المنظور الأسلوبيّ على مبدأ الاختيار، الذي يفقد قوّته إذا لم يتم تركيب الكلمات، بمستوييها الحضوريّ والغيابيّ، فظاهرة التّركيب هي تنضيد الكلام ونظمه لتشكيل سياق الخطاب الأدبيّ. وهي التي عناها (الفارابيّ) بمصطلح "القرمطيقا" والتي تشمل علم قوانين الألفاظ عندما تتركّب، وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة.

فاللغة بناء يخضع لنحو معيّن، ونظام له خصوصيّة ومقومات قيامها هي الملكة اللسانية فالأغراض المعقولة، والمعاني المدريّة لا يوصل إليها إلاّ باللّغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف. فالكاتب لا يتسنّى له الإفصاح عن حسّه ولاعن تصوّره للوجود، إلاّ انطلاقا من تركيب الأدوات اللغويّة تركيبا يفضي إلى إفراز الصّورة المنشودة، والانفعالات المقصودة، فهي (اللّغة) تركيبة قائمة بذاتها، أي أنّها "كلّ" يقوم على ظواهر مترابطة العناصر، وماهية كلّ عنصر وقف على بقية العناصر مترابطة عضويّا، بحيث لا يتغيّر عنصر إلاّ انجرّ عنه تغيير بقية العناصر.

إنّ اختيار الكلمات لا يكون مفيدا، إلاّ إذا أحكم توزيع هذه الكلمات، ونظم الكلام بعضه إلى بعض تسبقه عمليّة الاختيار، ومن خلاله يحدث التّمايز بين المنشئين للغة، وهو اختيار وحدات لغويّة تناسب المقام الذي يرغب المنشئ في التّعبير عنه.

وفي عمليّة التّركيب يسعى المنشئ إلى تحديد موقع كلّ وحدة من صاحبها، ومراعاة ما يستتبعها من تقديم أو تأخير أو حذف أو إظهار أو إضمار أو... مع ظهور المقدرة في طرق الارتباط الدّاخليّ بين الصيغ، بما يتلاءم مع القوانين اللغويّة العامّة من تعريف أو تكبير، أو مراعاة للجنس أو النوع من تذكير أو تأنيث، أو أفراد وتثنية وجمع.

وعند النّقاد العرب، الأسلوب تركيب لغويّ ذو قيمة جماليّة وفنّيّة، وهذا التّركيب يحوّل الخطاب الأدبيّ إلى عمل فنّي من خلال وحدته وانسجامه الدّاخليّ.

### ثالثا - الانزياح (الانحراف):

**الانزياح:** هو انحراف لكلام عن نسقه المألوف، ويمكن بواسطته التّعريف إلى طبيعة الأسلوب الأدبيّ (ويُصطلح عليه كذلك بـ: الانحراف أو الإخلال أو العُدول أو خرق السُنن). ولذلك قسّم الأسلوبيون اللّغة إلى مستويين:

#### 1 - المستوى العاديّ: والذي يهتمّ بالوظيفة الإبلاغيّة على أساليب الخطاب.

**2- المستوى الإبداعي:** والذي يخترق الاستعمال المألوف للغة، وينتهك صيغ الأساليب الجاهزة بهدف الحصول على طاقات أسلوبية وجمالية في الخطاب، طلبا لتعدد المدلولات في النص غير العادي سواء كان الانزياح إحصائيا أو معنويا دلاليا أو نحويا تركيبيا.<sup>(1)</sup> وقد اشتهرت ثلة من النقاد بميلها للانزياح والتأليف فيه، ومن هؤلاء نذكر: (سبيتزر)، (ماروزو)، (بيير جيرو)، (غيرو)، وغيرهم. ويرى يوسف وغليسي: "أن الانحراف والانزياح قد كان أكثر الفرعيات الأسلوبية دورانا في لغة الخطاب التقدي الأسلوبية العربي، ولأن تحليل الانزياح غالبا ما يستدعي التسلح بالإجراء الإحصائي من باب أن الإحصاء هو - على وجه التدقيق - علم الانزياحات مع اعتراف (غيرو) بأنها من قبيل المسألة الخلافية المشكوك في صحتها وجدواها"<sup>(2)</sup>.

وقد أفصح (ريفاتير) - صراحة - عن امتعاضه و انتقاده لهذا المحدد الأسلوبية (الانزياح) لاقتناعه بتبعيه للدلالة في الأفكار المراد التعبير عنها" إن الانزياح يعدم الوظيفة المرجعية للدوال في الخطاب ويحدث في المتلقي خيبة الانتظار، وقد عبر (ريفاتير) عن ذلك بالمفاجأة وسن لها قانونين

**1- القانون الأول:** يتمثل في أن المفاجأة كلما كانت غير منتظرة كلما كان وقعها أكثر في المتلقي.

**2- القانون الثاني:** يتمثل في أن تكرار الخاصية الأسلوبية مفقد شحنتها التأثيرية في المتلقي.<sup>3</sup>

فالأولوية عنده إنما هي لعنصر "المفاجأة" غير المنتظرة، فهي التي تترك القارئ وتصدمه فيكون لها تأثير قوي على قدراته؛ فيستقبلها بشغف، ويتفاعل معها، ومن ثم تحصل القابلية للتلقي والانخراط في معرفة الجديد، بينما يبرر ريفاتير قناعته تلك بما اصطلح عليه القانون الثاني المتمثل في " التكرار" تكرار الخاصية الأسلوبية الذي يراه عنصرا هداما ومثبطا لعملية التأثير في المتلقي أثناء عملية التلقي لأن عملية الاتصال حينئذ تصبح روتينية، لا حرارة فيها، ولا يبقى سوى عنصر " المفاجأة " وحده الذي يضمن النجاح، ويحقق حسن الاستقبال.

(1) ينظر، بن عودة دولات سروري: محاضرة: محددات الأسلوب، جامعة علي لونيبي، البليدة 2، ص: 5 - <https://elearning.univ-blida2.dz>

(2) يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ص: 91.

(3) نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، ص: 179.

## الفصل الثاني

# الفصل الثاني

## المستوى الصوتي في رسائل الشيخ الإبراهيمي

أولاً/ الإيقاع والأصوات في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

1. الإيقاع (Rhythm): مفاهيم وتعريفات

2. تجليات الإيقاع في رسائل الإبراهيمي

ثانياً/ التكرار في رسائل الشيخ الإبراهيمي

1. التكرار: مفاهيم وتعريفات

2. تجليات التكرار في رسائل الشيخ الإبراهيمي

ثالثاً/ الجناس في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

1. الجناس (التجنيس): (Alliteration)

2. جماليات الجناس في رسائل الشيخ الإبراهيمي

## أولاً/ الإيقاع والأصوات في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

لا يخفى على أيّ دارس أنّ دراسة الإيقاع والأصوات تدخل ضمن الدراسة الأدبية، لما لها من تأثير في فهم أبعادها ومقاصدها ونواحي الجمال فيها، وكشف مكامن الميولات النفسية والانفعالات الذاتية التي انطوت عليها طبيعة المخاطب. فالأصوات تبعث في التصوص موسيقى وأنغاما من خلال مفرداتها فتؤثر في المتلقّي سلبا أو إيجابا، قوة أو ضعفا بالتفاعل مع الخطاب أو النفور منه، فإذا كان الإيقاع قويا ازداد انتباه المتلقّي، وأصغى السمع أكثر فأكثر، فيستجيب فورا ويظهر عليه الانفعال، حزنا أو فرحا استسلاما أو حماسا بحسب مقتضى الحال. أمّا إذا كان الإيقاع باهتا، وأصواته ميتة، أورث تأثيرا بليدا في المتلقّي ولا بدّ.

## 1- الإيقاع (Rhythm): مفاهيم وتعريفات:

## 1-1 الإيقاع الداخلي:

أ- الإيقاع لغة: جاء في لسان العرب مادة " وقع على الشيء يقع وقعا وقوعا: سقط." (1) وفيه الإيقاع هو: " من إيقاع اللحن والغناء، وهو أن يوقع الألحان ويبينها." (2)

ب- الإيقاع اصطلاحا: يعرفه محمد التونجي، بأنه: " تواتر الحركة النغمية، وتكرار الوقوع المطرد للنبرة في الإلقاء، وتدقق الكلام المنظوم والمنثور عن طريق تألف مختصر للعناصر الموسيقية." (3)

ويرى محمد التونجي في كتابه " الإيقاع" أنّ هذا الأخير: " وهو يبرز في الشعر خاصة عند اجتماع النبر مع عدد من المقاطع، يزيده تساوق الحروف الموسيقية والصّفيرية وحروف العلة بنسق رتيب، ويحسن الإيقاع في الغزل والرّثاء، وهو يقع في النثر عن طريق السّجع، وتوازن التّركيب، وتنوّع الحركات والتنوّيع المنتظم للجمل الطويلة." (4)

وفي تعريف آخر لإبراهيم أنيس، الإيقاع هو: " تتابع الأحداث الصوتية في الزمن." (5)

أمّا إيمان محمد أمين حضر الكيلاني فتري أنّ الإيقاع الداخلي هو: " كلّ موسيقى تتأتّى من غير الوزن العروضي أو القافية، وإن كانت تؤازره وتعضده لخلق إيقاع شامل للقصيد يثريها ويعزز رؤيا الشعر." (6)

(1) ابن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، ج15، 1999، ص: 329.

(2) ابن منظور: المرجع نفسه، ص: 373.

(3) محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، ج1، دار الكتب العملية، بيروت- لبنان، ط1، 1993، ص: 129.

(4) محمد التونجي: المرجع نفسه، ص: 129.

(5) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 87.

(6) إيمان محمد أمين حضر الكيلاني: بدر شاكر السياب، دراسة أسلوبية لشعره، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص: 27.

## 1-2- مخارج الأصوات (الحروف):

اهتمّ القدماء من علماء العرب بمخارج الأصوات (الحروف)، وحاولوا تحديد مخرج كلّ حرف على حدة، بدراسة الحلق والقم والفم والفكين واللّسان والشفتين... وازدادت دقتهم لهذا العلم خاصّة عندما تعلّق الأمر بتلاوة القرآن الكريم فأعطوا لكلّ حرف حقه ومستحقّة من الدّراسة، حتّى أصبحت علما لسانيا يعرف بمخارج الحروف.

أ. المخرج لغة: على وزن (مفعل) وهو محلّ الخروج.

ب. المخرج اصطلاحا:

هو محلّ خروج الحرف، وتمييزه عن غيره، أو هو عبارة عن الحيز المولّد للحرف أو هو أيضا المحلّ الذي يعتمد عليه الحرف للخروج، يقول إبراهيم عبود السامرائي: "إنّ عمليّة تشكيل الصّوت تمرّ بمراحل، وأولى هذه المراحل هي: الأعضاء التي تتدخّل معترضة الهواء الخارج من الرّئتين، وقد أطلق العلماء على هذه الأعضاء اسم مخارج الأصوات."<sup>(1)</sup>

وقد قسم أحمد بن أبي عمر المخارج إلى ستّة أقسام حيث قال: "ومخارج حروف العربيّة ستّة عشر، وهي على ستّة أقسام: حروف الحلق، وحروف أقصى اللّسان، وحروف حافة اللّسان، وحروف طرف اللّسان، وحروف وسط اللّسان، وحروف الشفتين."<sup>(2)</sup> وقد زاد علماء التّجويد قسمين آخرين هما: الخياشيم، والجوف.

أمّا الخليل فقد قسمها إلى تسعة أقسام هي: حلقيّة، ولهويّة، وشجريّة، وأسليّة، ونطعيّة ولثويّة وذليّة وشفويّة، وهوائيّة (جوفيّة)."<sup>(3)</sup>

في حين نجد مخارج الأصوات العربيّة لدى ابن جنّي ستّة عشر مخرجا. يقول: "اعلم أنّ مخارج هذه الحروف ستّة عشر، ثلاثة منها في الحلق:

- فأولها من أسفله وأقصاه مخارج الهمزة والألف والهاء.
- ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء.
- وممّا فوق ذلك مع أول الفم مخرج الغين والحاء.
- وممّا فوق ذلك من أقصى اللّسان مخرج القاف.
- ومن أسفل من ذلك إلى أدنى، وإلى مقدم الفم مخرج الكاف.
- ومن وسط اللّسان، بينه ومن وسط الحنك الأعلى مخارج الجيم والشين والياء.
- ومن أول حافة اللّسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلّا أنّك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر.

(1) السامرائي إبراهيم عبود: المصطلحات الصوتية بين القدماء والمحدثين، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، (د ط)، 2011، ص: 59

(2) الحمد غانم فدوري: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مطبعة خلود، بغداد، ط1، 1986، ص: 187.

(3) الفراهيدي الخليل بن أحمد: العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، (دت)، ص: 58.

- ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ومن بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، ممّا فوق الضاحك والتّاب والرّباعيّة والثّنية، مخرج اللّام.
  - ومن طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثّنايا مخرج النّون.
  - ومن مخرج النّون غير أنّه أدخل في ظهر اللسان قليلاً - لانحرافه إلى اللّام - مخرج الرّاء.
  - وممّا بين طرف اللسان وأصول الثّنايا مخرج الطّاء والدّال والتّاء.
  - وممّا بين الثّنايا وطرف اللسان مخرج الصّاد والزّاي والسّين.
  - وممّا بين طرف اللسان وأطراف الثّنايا (العليا والسّفلى) مخرج الظّاء والدّال و النّاء.
  - ومن باطن الشّفة السّفلى أو أطراف الثّنايا العليا مخرج الفاء.
  - وممّا بين الشّفتين مخرج الباء والميم والواو.
  - ومن الخياشيم مخرج النّون الخفيفة ويقال لها الخفية، وهي الساكنة.<sup>(1)</sup>
- وقد وضّح الخليل بن أحمد هذا التقسيم توضيحاً، وفصله عملياً في كتابه العين مبتدئاً من الحلق حتّى الشّفتين:

- العين والحاء والحاء والغين حلقيّة؛ لأنّ مبتدأها من الحلق.
- القاف والكاف لهويّتان؛ لأنّ مبتدأها من اللّهاة.
- الجيم والشّين و الضّاد شجرية؛ لأنّ مبتدأها من شجر الفم. (أي مخرج الفم).
- الصّاد والسّين أسلية؛ لأنّ مبدأهما من أسلة اللسان، وهي مستدقّ طرف اللسان.
- والطّاء والتّاء والدّال نطعية؛ لأنّ مبتدأها من نطع الغار الأعلى.
- والظّاء والدّال والتّاء لثوية؛ لأنّ مبتدأها من اللّثويّة.
- والرّاء واللّام والنّون ذلقية؛ لأنّ مبدأها من ذلق اللسان، وهو تحديد طرفي ذلق اللسان.
- والفاء والباء والميم شفويّة؛ لأنّ مبتدأها من الشّفة... فنسب كلّ حرف إلى مدرجته وموضعه الذي يبدأ منه.

فعدّد مخارج الحروف عنده ثمانية، أمّا الياء والواو والألف والهمزة فهي عنده هوائيّة في حيز واحد؛ لأنّها لا يتعلّق بها شيء.<sup>(2)</sup>

### 1-3- الأصوات الصّامتة و الصّائتة:

#### 3- أ- الأصوات الصّامتة: ( Consonants ):

**الصّوت الصّامت:** هو الصّوت الذي يعترض معترض في الفم أو الأنف عموداً الهواء بعد مروره من بين الوترين الصّوتيين ( فيكون مهموساً أو مجهوراً أو لا بالمهموس ولا بالمجهور ) ممّا يؤدّي إلى سماع انفجار أو احتكاك، وعدد الأصوات العربيّة الصّامتة هو ثمانية وعشرون صوتاً، منها ستّة وعشرون صوتاً

(1) ابن جنّي أبو الفتح عثمان: سرّ صناعة الإعراب، تح: مصطفى السّقا وأصحابه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة مصر، (د ط)، 1954، ص: 52/1.

(2) الفراهيدي الخليل بن أحمد: العين، ص: 58/1.

صحيحاً: (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ)، وصوتان شبيهان بالصّحيحة، وهما الواو والياء (و، ي) (محرّكين وساكنين) نحو: ولد يركض، بيت، وقد أضفى عليها العلماء صفات عُرِفَتْ بها، منها:

### 3-أ-1 الصّوامت الانفجارية:

وتسمّى أيضا الوقفية (stops) باعتبار التّوقّف أو الانحباس لكمية الهواء التي يُصنع منها الصّوت، وذلك بأنّ يحبس عند خروجه " من الرّيتين حبسا تاما في موضع من المواضع، ونتج عن هذا الحبس أو التّوقّف أن يضغط الهواء ثمّ يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا".<sup>(1)</sup> وترتّب هذه الأصوات حسب خروجها من الخارج إلى الدّاخل كما أشار إلى ذلك عبد القادر عبد الجليل في كتابه الأصوات اللّغوية.<sup>(2)</sup>

- الباء: بحيث تنطبق الشّفتان بشكل تامّ وفيهما ينتج صوت (الباء).

- التّاء، الدّال، الضّاء، الطّاء: بحيث يلتقي طرف اللّسان بالأسنان العليا ومقدّمة اللّثة.

- الكاف: وينتج هذا الصوت بالتقاء اللّسان بالحنك الأعلى (السّقف العلويّ للفم).

- الهمزة القطعية: وينتج هذا الصّوت من الحنجرّة مباشرة.<sup>(3)</sup>

### 3-أ-2 الأصوات الاحتكاكية:

وتتشكّل هذه الأصوات عندما يضيق مجرى الهواء بدرجات متفاوتة النّسب تسمح له بالمرور، بحيث يحدث الهواء عند خروجه احتكاكا مسموعا ويدعى الصّوت الناتج عن هذه العملية بالصّوت الاحتكاكيّ.<sup>(4)</sup> وتشتمل على ثلاثة عشر صوتا وهي: ف. ذ. ث. ظ. ز. س. ص. ش. خ. غ. ع. ج. هـ.

### 3-أ-3 الأصوات المكرّرة أو التّرددية:

وتتكوّن من خلال " تكرار ضربات اللّسان على اللّثة بشكل متسارع، ولذا سمّي بالصّوت المكرّر".<sup>(5)</sup> ويحدث ذلك بأنّ " يندفع الهواء من الرّيتين حيث تنذب الأوتار الصّوتية في الحنجرّة، ويشقّ الهواء طريقه إلى التّجويف الفمويّ، حيث يصادق اللّسان مسترخيا، فيضرب طرفه اللّثة ضربات متكرّرة عدّها البعض من اثنين إلى ثلاث ضربات".<sup>(6)</sup> فينتج بذلك صوت (الرّاء) الذي يمثّل هذه الأصوات. وَالْحَرْفُ الْمُكْرَّرُ هُوَ (الرّاء). قَالَ سَبِيوِيهِ وَغَيْرُهُ: "هُوَ حَرْفٌ شَدِيدٌ جَرَى فِيهِ الصَّوْتُ لِتَكَرُّرِهِ وَأَنْحِرَافِهِ إِلَى اللَّامِ فَصَارَ كَالرَّخْوَةِ، وَلَوْ لَمْ يُكْرَرْ لَمْ يَجِرْ فِيهِ الصَّوْتُ، وَقَالَ الْمُحَقِّقُونَ: هُوَ بَيْنَ الشَّدَّةِ وَالرَّخَاوَةِ.

(1) محمّد الشّعران: علم اللّغة، مقدّمة للقارئ العربيّ، دار الكتب المصريّة، القاهرة، (دظ)، 1992، ص: 127.

(2) عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللّغوية، المرجع السابق، ص: 143.

(3) عبد القادر عبد الجليل: المرجع نفسه، ص: 143.

(4) عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللّغوية، المرجع السابق، ص: 144.

(5) عبد القادر عبد الجليل: المرجع نفسه، ص: 145.

(6) عبد القادر عبد الجليل: المرجع نفسه، ص: 175.

وَزَاهِرُ كَلَامٍ سَبِيْبِيهِ أَنَّ التَّكْرِيْرَ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ فِي الرَّاءِ، وَالِي ذَلِكَ ذَهَبَ الْمُحَقَّقُونَ، فَتَكْرِيْرُهَا رُبُوْهَا فِي اللَّفْظِ  
وَإِعَادَتُهَا بَعْدَ قَطْعِهَا وَيَبْتَحَقُّوْنَ مِنْ إِظْهَارِ تَكْرِيْرِهَا خُصُوصًا إِذَا شَدَّدَتْ وَيَعْدُونَ ذَلِكَ عَيْبًا فِي الْقِرَاءَةِ  
وَبِذَلِكَ قَرَأْنَا عَلَى جَمِيْعٍ مَنْ قَرَأْنَا عَلَيْهِ وَبِهِ نَأْخُذُ. (1)

### 3-أ-4 الأصوات الجانبية:

ويمثلها صوت (اللام) ويتشكل عن طريق اتصال طرف اللسان باللثة، ويحدث حين يندفع الهواء من الرتتين في الحنجرة بحيث تهتز الأوتار الصوتية مروراً بالحلق والتجويف الفموي فيمرّ الهواء من أحد جانبي اللسان لحيلولة اتصال طرف اللسان باللثة وعدم سماحه بالمرور وسط الفم. (2) واللام صوت لثوي جانبي مجهور.

### 3-أ-5 الأصوات الأنفية:

تتكون الأصوات الأنفية عن طريق انحباس كمية من الهواء خارجة من الرتتين في منطقة معينة من التجويف الفمي، حيث يتعدّل المجرى الهوائي بخفض الحنك، ويسلك طريق الأنف ويمثل صوتاً (الميم والنون) هذه المجموعة الصوتية<sup>(3)</sup>، وهي من: "أكثر الصوامت وضوحاً في السمع، فهي من جملة الأصوات التي تسمى بأشباه الصوائت وهي (اللام، والراء، الميم، النون) لأنها تقترب منها في المخرج وتشارك في صفة الوضوح السمي كما إنها تعتبر من الأصوات الشائعة والسهلة من حيث النطق بها". (4) و(صوت الميم) من الأصوات المجهورة، وهو صوت شفوي أنفي.

### 3-أ-6 الأصوات المعجمة والمهملة:

وهي قسمان: أولها الحروف المعجمة: وهي الحروف المنقوطة، مثل (ض، ظ، غ، ز، ف، ق، ج، خ...)، أما القسم الثاني فهي الحروف المهملة: وهي الحروف غير المنقوطة، مثل: (س، ص، هـ، ر، د، ل، ع...)، ويتجلى أثر الإعجام والإهمال في تغيير المعنى مثل الكلمات: (النضج، النضخ، النضح) حيث يختلف معناها بناء على إعجام أو إهمال الحرف الأخير اختلافاً بيناً. (5)

### 3-ب الأصوات الصائتة: ( Vowels )

(1) ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج1، تح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط) (د ت) ص: 159.

(2) عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص: 174.

(3) عبد القادر عبد الجليل: المرجع نفسه، ص: 146.

(4) نجاح مدلل: بناء الأسلوب في ديوان عولمة الحب، عولمة النار، للشاعر عز الدين ميهوبي، رسالة ماجستير، إشراف بلفاسم دقة، جامعة محمد

خيضر، بسكرة- الجزائر، 2006-2007، ص: 73.

(5) هلا السعيد: نظرة متعمقة في علم الأصوات، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 2015، ص: 35.

**الصّوت الصّائت (الحركة):** هو الصّوت الذي يخرج عمود الهواء بعد مروره من بين الوترين الصّوتيين دون أن يعترضه معترض في الفم أو في الأنف، بحيث يؤدي الاعتراض إلى سماع دويّ انفجار أو احتكاك كما هو في الأصوات الصّامتة. وعدد الأصوات الصّائتة ( الحركات ) ستّة، وهي نوعان:

أ. حركات قصيرة: وهي الفتحة، والضّمة، والكسرة.

ب. حركات طويلة: وهي الفتحة الطويلة(الألف)، الضّمة الطويلة(الواو)، الكسرة الطويلة(الياء). وهذا يعني أنّ مجموع الأصوات في العربيّة هي أربعة وثلاثون صوتاً.

### 1-3- صفات الأصوات (الحروف) وأنواعها:

اهتمّ علماء اللّغة واللّسانيّات منذ القديم بالحروف والأصوات ومخارجها، وحدّدوا صفاتها وأنواعها حتّى أصبحت علماً يدرّس في المعاهد والجامعات، وألّفوا فيها المصنّفات الكثيرة، وأثبتوا مواقعها من الفم واللّسان والحلق، و قاموا بتقسيمها إلى أنواع، فمنها ما هو مجهور، ومنها ما هو مهموس، ومنها الرّخو والشّديد وغيرها.

**والصفات لغة:** جمع صفة، وهي ما قام بالشّيء من المعاني، أما اصطلاحاً فهي الكيفيّات العارضة للحروف عند النّطق بها كالهمس، والجهر، وما شابه ذلك. يقول **محمد داود:** " يقصد بصفات الأصوات: الخواصّ والملاحم المميّزة لكلّ صوت، من همس أو جهر، وشدّة أو رخاوة، واستعلاء أو استفال، وإطباق أو انفتاح، وغير ذلك من الصفات التي تحدّد الحالة التي يكون عليها الصّوت عند النّطق به...ورحم الله القديّم من علماء الأئمّة الأوائل؛ فقد كان لهم بصر وبصيرة بصفات الأصوات العربيّة، وبحسب اللّغويّ المرفه استطاعوا تحديد معظم صفات الأصوات العربيّة بدقّة ووضوح."<sup>(1)</sup>

وصفات الحروف كثيرة ومتنوّعة، وعلى أساسها تمّ تصنيف الحروف في مجموعات معيّنة، وهنا نستعرض أشهر هذه الصفات على سبيل المثال لا الحصر:

### 4-1 الصفات التي لها ضدّ:

وعدها إحدى عشرة صفة، وهي:

- 1- الجهر 2- الهمس 3- الشدّة 4- الرخاوة 5- التّوسط 6- الاستعلاء 7- الاستفال 8- الإطباق
- 9- الانفتاح 10- الإصمات 11- الإذلاق.

وفيما يلي شرح لهذه الأصوات (الحروف) بعد هذا الإجمال.

(1) محمد محمد داود: العربية وعلم اللّغة الحديث، دار غريب، القاهرة، (دط)، 2001م، ص: 122-123.

## 4-1-1 الأصوات (الحروف) المجهورة والمهموسة:

فَمِنْهَا الْمَجْهُورَةُ وَضِدُّهَا الْمَهْمُوسَةُ، وَالْهَمْسُ مِنْ صِفَاتِ الضَّعْفِ، كَمَا أَنَّ الْجَهْرَ مِنْ صِفَاتِ الْقُوَّةِ وَالْمَهْمُوسَةَ عَشْرَةَ يَجْمَعُهَا قَوْلُكَ (سَكَتَ فَحْتَهُ شَخْصًا)، وَالْهَمْسُ الصَّوْتُ الْخَفِيُّ، فَإِذَا جَرَى مَعَ الْحَرْفِ النَّفْسُ لِضَعْفِ الْإِعْتِمَادِ عَلَيْهِ كَانَ مَهْمُوسًا وَالصَّادُ وَالْحَاءُ الْمُعْجَمَةُ أَقْوَى مِمَّا عَدَاهُمَا، وَإِذَا مَنَعَ الْحَرْفُ النَّفْسَ أَنْ يَجْرِيَ مَعَهُ حَتَّى يَنْقُضِيَ الْإِعْتِمَادُ كَانَ مَجْهُورًا. قَالَ سَبِيوِيهِ: إِلَّا أَنَّ التَّوْنَ وَالْمِيمَ قَدْ يَعْتَمِدُ لهُمَا فِي الْفَمِّ وَالْحَيَاشِيمِ فَيَصِيرُ فِيهِمَا عُنَّةً... وتتوزع حروف الهجاء العربية بين الهمس والجهر على النحو التالي:<sup>(1)</sup>

## أ- الأصوات المجهورة: ( Voiced )

المعنى اللغوي للجهر: قال صاحب اللسان: "يقال جهر بالقول إذا رفع به صوته فهو جهير، وأجهر، فهو مجهر إذا عرف بحدّة الصوت، وجهر الشيء: أعلن وبدا وجهر بكلامه ودعائه وصوته وقراءته يجهر جهرا وجهارا، وأجهر بقراءته لغة، وأجهر جهورا: أعلن به وأظهر."<sup>(2)</sup>

## المعنى الاصطلاحي:

الجهر هو اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بالصوت، فالصوت المجهور هو الذي يهتزّ معه الوتران الصوتيان، ومصطلح الجهر من مصطلحات سيبويه إلا أنّ الزجاج نسب هذا المصطلح إلى الخليل قائلا: "وهذا يحتاج صاحبه إلى أن يعرف الحروف المجهورة والمهموسة، وهي فيما زعم الخليل ضربان: فالمجهور حرف أشبع الاعتماد عليه في موضعه ومنع النفس أن يجري معه، والمهموس أضعف الاعتماد في موضعه وجرى معه النفس."<sup>(3)</sup>

والأصوات المجهورة ( Voiced )، تضمّ خمسة عشر صوتًا، هي باقي أصوات العربية بعد استبعاد الأصوات المهموسة: "ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن، و، ي".

## ب- الأصوات المهموسة: ( Voiceless )

المعنى اللغوي للهمس: الهمس هو الكلام الخفي لا يكاد يفهم. قال صاحب اللسان: "الهمس: الخفي من الصوت والوطء والأكل وقد همسوا الملاك همسا. وفي التنزيل: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾.<sup>(4)</sup> وفي التهذيب يعني

(1) ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف: النشر في القراءات العشر، ج1، ص: 202.

(2) ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص: 150.

(3) الزجاج إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق: معاني القرآن وإعرابه، ج1، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988، ص: 419.

(4) سورة طه، الآية: 108.

به والله أعلم خفق الأقدام على الأرض... وروي عن ابن الأعرابي قال: ويقال: "اهمس وصه أي: امش خفيا واسكت."، وفي الحديث: «فجعل بعضنا يهمس إلى بعض». (1)

قال أبو الهيثم: إذا أسرّ الكلام وأخفاه فذلك الهمس من الكلام قال شمر: "الهمس من الصّوت والكلام ما لا غور له في الصّدر وهو ما همس في الفم." (2)

### المعنى الاصطلاحيّ للهمس:

الهمس هو عدم اهتزاز الوترين الصّوتيين. فالصّوت المهموس هو الذي لا يهتّر معه الوتران الصّوتيان ولا يسمع لهما رنين حين النّطق به. (3)

وهي ثلاثة عشر صوتاً؛ هي: "ء، ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ."، وتجمع في قولنا: "أقط، فحثه، شخص، سكت."

ويلاحظ هنا زيادة ثلاثة أحرف على ما ذكره القدماء، هي: "ء، ق، ط"، وتفسير ذلك يكون بأحد احتمالين:

الأول: تطوّر صوتيّ: القاف والطاء في النّطق العربيّ مع توالي القرون.

الثاني: عدم دقّة القدماء في تحديد صفة الهمس والجهر بسبب عدم معرفتهم بالوترين الصّوتيين، ويتأكد لنا ذلك بتأمّل تعريف سيبويه وابن الجزري للصّوت المهموس بأنّه: كلّ حرف جرى معه النّفس بسبب ضعف الاعتماد على هذا المعيار "معيّار جريان النّفس" تكون الحركات "الصّوائت في مقدّمة الأصوات المهموسة، لخروجها مع تيار هواء طليق لا يعترضه شيء.

لكن الحركات "الصّوائت" أصوات مجهورة عند سيبويه وابن الجزري وسائر القدماء والمحدثين أيضاً. (4)

أما صوت الهمزة فلم تكن صفاته واضحة لدى القدماء بسبب نقص معرفتهم التّشريحية للحنجرة والحلق وغيرها.

ومصطلح الهمس من مصطلحات سيبويه، وليس صحيحاً ما أكّده بعض الباحثين المحدثين من أنّ الخليل هو واضع هذا المصطلح قائلاً: وجد أنّ الحروف التي يجري معها النّفس عشرة هي: "الهاء والحاء والحاء، والكاف، والشّين، والسّين، والتّاء، والصاد، والتّاء، والفاء، وسمّاها الحروف المهموسة." (5)

(1) الترمذى محمد بن عيسى السلمي: سنن الترمذى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دط)، 1978م، رقم الحديث: 3340.

(2) ابن منظور: لسان العرب، ص: 250/6.

(3) عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص: 20.

(4) ابن الجزري: المرجع نفسه، ص: 202.

(5) الفراهيدي الخليل بن أحمد: كتاب العين، ص: 434/4.

وإذا كان سيبويه قد لخص في آخر كتابه المشهور (آراء الخليل في أصوات اللغة) فليس هذا دليلاً مؤكداً على نسبة هذا المصطلح وغيره إليه، وليس في كتاب العين المنسوب إلى الخليل ما يرجح ذلك، بل عن صفة الإطباق خص بها صوت الميم وهي لغيره. وتعريف الهمس هو التعريف المشهور الذي نجده في كتب علماء العربية، وهو الذي صاغه سيبويه قائلاً: «وأما الهموس حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النَّقْسُ معه»<sup>(1)</sup> وهو تعريف غامض، وغموضه يجيء من عدم معرفة سيبويه بالوترين الصوتيين. وقد أدى هذا الغموض وعدم معرفة الوترين إلى ترديد هذا التعريف في كتب العلماء من بعده. أما المبرّد فقد عرفه قائلاً: «ومنها حروف إذا رددتها في اللسان جرى معها الصوت» وهي الهموسة<sup>(2)</sup>. فالهمس عنده جريان الصوت عند التطق بالحرف. وقد عرف السكاكي الهمس بعبارة تقترب من تعريف المبرّد قائلاً: «الجهر انحصار النفس من مخرج الحرف والهمس جرى ذلك فيه»<sup>(3)</sup>.

وهذان التعريفان يصحان على مصطلح الرخاوة أكثر من صحتهما على مصطلح الهمس. أما تعريف سيبويه فقد جاء بنصّه في كتب العلماء من بعده نذكر منهم الرّجّاج في (الجمال) وابن جنّي في (سرّ الصناعة) ومكيّ في (الرعاية) والقرطبيّ في (الموضح) و الخفاجي في (سرّ الفصاحة) والرّمخشري في (المفصل) وابن الطّحان في (مخارج الحروف) وابن الأنباريّ في (أسرار العربية) وابن يعيش في (شرح المفصل) وابن الجزريّ في (النشر) والباقلانيّ في (إعجاز القرآن)<sup>(4)</sup>.

#### 4-1-2 الأصوات (الحروف) الرخوة والشديدة والمتوسطة:

ومنها الحروف الرخوة وصدّها الشديدة والمتوسطة، فالشديدة وهي ثمانية: "أجد قط بكت"، والشدة امتناع الصوت أن يجري في الحروف، وهو من صفات القوة، المتوسطة بين الشدة والرخاوة خمسة يجمعها قولك: "لن عمر"، وأضاف بعضهم إليها الياء والواو، والهموسة كلها غير التاء والكاف رخوة والمجهورة الرخوة خمسة: الغين، والضاد، والظاء، والدال المعجمات، والراء، والمجهورة الشديدة ستة يجمعها قولك: "طبق أجد".

ومعيار الشدة والرخاوة يرجع إلى درجة الاعتراض لتيار هواء الرّفير، ومعيار التوسط خروج الصوت دون انفجار أو احتكاك، ومعيار التركيب المزج بين صوتين. وفيما يلي تفصيل لهذه الصفات:

(1) الفراهيدي الخليل بن أحمد: المرجع السابق، ص: 434/4.

(2) المبرّد أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، تح: محمّد عبد الخالق عظيمية، وزارة الأوقاف، القاهرة، ط1، 1994، ص: 193/1.

(3) السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر: مفتاح العلوم، صححه أحمد سعد علي، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، ط1، 1937م، ص: 109.

(4) بنظر، خليل إبراهيم العطية: صفات الأصوات، منتديات ستار تايمز (www.startimes.com) بتاريخ 06 أوت 2007 في الساعة 22:42.

أ - الرخاوة "الاحتكاكية": (Fricative) يقصد بها خروج الصوت مستمراً في صورة تسرب للهواء محتكاً بالمخرج، أي أنّ اعتراض هواء الزفير هنا يكون اعتراضاً متوسطاً، وحروف الرخاوة هي: "ث، ذ، ظ، ح، ع، م، هـ، خ، غ، ش، س، ز، ص".

ب - الشدة "الانفجارية": (Plosives) يقصد بها خروج الصوت فجأة في صورة انفجار للهواء عقب احتباسه عند المخرج، أي: أنّ اعتراض هواء الزفير هنا يكون اعتراضاً تاماً، وحروف الشدة ثمانية، هي: "ء، ب، ت، د، ذ، ض، ط، ق، ك"، وتجمع في قولنا: "أطلق ضد بكت"، والقدماء يضمون إلى هذه الأصوات الشديدة صوت "الجيم المعطشة"، والصواب أنّها صوت مزجي مركب من انفجاريّ واحتكاكيّ، أي: هو صوت مزدوج.

ج - التوسط: يقصد به خروج الصوت دون انفجار أو احتكاك عند المخرج، ولذلك أطلق عليها الأصوات المائعة، وهي: "الراء، اللام، الميم، النون" وتجمع في قولنا: "لن مر". والقدماء يضمون إلى الأصوات المتوسطة حرف العين "لن عمر"، في حين أنّ النطق المعاصر لها يجعلها ضمن الأصوات الرخوة؛ لاحتكاك الهواء بأقصى الحلق، فهي "أي العين" تماثل صوت الحاء في الرخاوة، والصفة المميّزة بينهما هي الهمس أو الجهر، فالعين مجهورة في حين أنّ الخاء مهموسة.

د - التركيب: ويقصد به أن يكون الصوت مزيجاً من الشدة والرخاوة "من الانفجار والاحتكاك"، وهي صفة خاصة بحرف "الجيم المعطشة"، كما تنطق في تلاوة القرآن الكريم.

والتعطيش يعني: أن يبدأ الصوت باحتباس الهواء بين وسط اللسان وما يوازيه من الحنك الأعلى "الغار"، ثم ينفرج فجأة، ولما كانت المساحة التي يشغلها اللسان من الحنك الأعلى كبيرة نسبياً إذا قيست بالاحتباس عند اللثة مثلاً، فإن انفصال ظهر اللسان عن الحنك الأعلى لا يحدث متزامناً؛ وبذلك يتخلف أثر احتكاكي يقويه الناطق بعض التقوية لتكون الجيم مركبة من بعض الشدة وبعض الرخاوة، ولذلك جرى رسم هذه الجيم في الكتابات الأجنبية برمزين هما "dj"، فالرمز "d" لقيمة الشدة، والرمز "j" لقيمة الرخاوة<sup>(1)</sup>.

#### 4-1-3 الحروف المستقلة والمستعلية:

وَمِنْهُ الْحُرُوفُ الْمُسْتَقْلَةُ وَضِدُّهَا الْمُسْتَعْلِيَّةُ، وَالْإِسْتِعْلَاءُ مِنْ صِفَاتِ الْقُوَّةِ وَهِيَ سَبْعَةٌ يَجْمَعُهَا قَوْلُكَ: "خُصَّ ضَغُطٍ قِطْ". وَهِيَ حُرُوفُ التَّفْخِيمِ عَلَى الصَّوَابِ وَأَعْلَاهَا الطَّاءُ كَمَا أَنَّ أَسْفَلَ الْمُسْتَقْلَةِ الْيَاءُ، وَقِيلَ: حُرُوفُ التَّفْخِيمِ هِيَ حُرُوفُ الْإِطْبَاقِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهَا أَقْوَاهَا تَفْخِيمًا، وَزَادَ مَكِّيٌّ عَلَيْهَا الْأَلِفَ، وَهُوَ وَهْمٌ، فَإِنَّ الْأَلِفَ تَنْبُعُ مَا قَبْلَهَا فَلَا تُوصَفُ بِتَرْقِيقٍ وَلَا تَفْخِيمٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.<sup>(2)</sup>

#### 4-1-4 الحروف المنفتحة والمنطبقة:

وَمِنْهَا الْحُرُوفُ الْمُنْفَتِحَةُ وَضِدُّهَا: الْمُنْطَبِقَةُ وَالْمُطْبِقَةُ.

(1) برتيل مالمرج: علم الأصوات، ترجمة ودراسة: عيد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، 1984، ص: 114.

(2) ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ص: 202-203.

- وَالْإِنْطِبَاقُ: وهو تلاقي طائفتي اللسان والحنك الأعلى عند النطق بالحرف، أو هو أيضا كما قال المرعشي: "هو استعلاء أقصى اللسان ووسطه إلى جهة الحنك الأعلى، وانطباق الحنك الأعلى على وسط اللسان بحيث ينحصر الصوت بينهما." (1)

والإطباق من صفات القوة وحروفه أربعة هي: « الصَّادُ، وَالضَّادُ، وَالطَّاءُ، وَالظَّاءُ » وهذه الأحرف الأربعة هي أقوى حروف التقخيم، وما بقي من الحروف فهي حروف الانفتاح.

- والافتتاح: هو تجافي كل من طائفتي اللسان والحنك الأعلى عن الأخرى حتى يخرج النفس من بينهما عند النطق بالحرف، وهو من صفات الضعف. وحروفها خمسة وعشرون، وهي ما عدا حروف الإطباق.

#### 4-1-5 الإصمات والإذلاق:

أ- الإصمات: هو منع انفراد حروفه أصولا في الكلمة الرباعية أو الخماسية لثقل النطق بها، بل لا بد أن يكون في الكلمة حرف مذلق فأكثر حتى تكون عريية، والإصمات صفة بين القوة والضعف وضده الإذلاق، وحروفه: خمسة وعشرون حرفاً الباقية بعد حروف الإذلاق.

ب- الإذلاق: وهو إخراج الحرف محكما من طرف اللسان والشفة، والإذلاق صفة بين الضعف والقوة. وهي خفة النطق بالحرف. وحروف الإذلاق ستة «الفاء، الراء، الميم، النون، اللام، الباء»، وهي مجموعة في كلمة " فر من لب "، كما قال ابن الجزري - رحمه الله -:

..... \* \* \* \* \* وَفَرِمَنَّ لُبُّ الْحُرُوفِ الْمَذْلَقَةِ (2)

وما بقي من حروف فحروف الإصمات.

#### 4-2 الصفات التي لا ضد لها: وعددها تسع صفات، وهي:

1- الصّفير 2- التكرار 3- التّفشي.

4- اللّين 5- القلقله 6- الاستطالة.

7- الانحراف 8- الخفاء 9- الغنة.

وهذا شرح مختصر لبعضها:

#### 4-2-أ الصّفير: يقصد به شدة وضوح الصوت في السمع، بسبب الاحتكاك الشديد في المخرج، فيخرج

الصوت مصحوباً بدرجة من الصّفير، وأصواته ثلاثة: "الصّاد، الرّاي، السّين".

قال ابن الجزري - رحمه الله -

(1) جمال بن إبراهيم القرشي: دراسة المخارج والصفات، مكتبة طالب العلم (ناشرون)، مصر، (ط1)، (2012م)، ص: 156.

(2) جمال بن إبراهيم القرشي: المرجع نفسه، ص: 163.

صَفِيرُهَا صَادٌ وَرَآي سِين \*\*\* ..... (1)

قوة الصّفير: صفير السّين أبين من صفير الصّاد للإطباق الذي في الصّاد، لأنّ الإطباق يحصر الرّيح. والصّفير هو الصّوت الخارج مع الرّيح، والظاهر أنّ صفيرهما أبين من الرّاي لأنّها مجهورة وهما مهموستان. (2)

4-2- ب التكرار: صفة خاصّة بالرّاء، وينبغي الحذر من المبالغة في تكرار الرّاء بتوالي ضربات اللّسان ممّا ينشأ عنه راء مكرّرة، وليس صوت الرّاء المطلوب ظهوره. والتكرار نوعان:

الأول: مذموم بإجماع القراء: وهو المبالغة في طريقة الرّاء أو رعداها ممّا يؤدّي إلى توليد عدّة راءات فذلك مرفوض بإجماع القراء، لاسيما عند التّشديد. قال ابن الجزري:

..... \*\*\* وَأَخْفِ تَكْرِيْرًا إِذَا تَشَدَّدُ

والثاني: مطلوب: وهو طرق اللّسان مرّة واحدة، واعتبارها صفة ملازمة للحرف، يؤتى بها دون مبالغة كي لا تؤدّي إلى توليد عدّة راءات، وهو الرّاجح. (3)

4-2- ج التّفشّي: هو صفة ناتجة عن وضع اللّسان عند النّطق بالشّين، حيث يشغل مخرجها مساحة كبيرة ينتج عنه انتشار الهواء في الفم، فلا ينحصر مرور الهواء في مخرج الشّين فقط، ولولا هذا التّفشّي لصارت الشّين سيّئا. وَحُرُوفُ التّفشّي هُوَ الشّينُ انْفَاقًا؛ لِأَنَّهُ تَفَشَّى مِنْ مَخْرَجِهِ حَتَّى انْتَصَلَ بِمَخْرَجِ الطّاءِ وَأَضَافَ بَعْضُهُمْ إِلَيْهَا الْفَاءَ وَالضّادَ، وَبَعْضَ الرّاءِ وَالصّادَ وَالسّينَ وَالْيَاءَ وَالنّاءَ وَالْمِيمَ.

4-2- د اللّين: اللّين صفة لصوتي الواو والياء حال سكونهما، ويكون ما قبلهما مفتوحًا؛ كما في: "خَوْفٌ، بَيْتٌ." وسمّيتا بذلك لأنّهما يخرجان في لين وقلة كلفة على اللّسان، فهما يتميّزان بسهولة النّطق بهما، وعدم الكلفة في إخراجهما من مخرجهما. (4)

(1) جمال بن إبراهيم القرشي: دراسة المخارج والصفات، ص: 167.

(2) مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تج: حمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، ط3، 1997، ص: 100.

(3) جمال بن إبراهيم القرشي: المرجع نفسه، ص: 177.

(4) جمال بن إبراهيم القرشي: المرجع نفسه، ص: 173.

4-2-4 هـ القلقة: وهى صفة خاصة بتلاوة القرآن الكريم، وتكون في أصوات: "ب، ج، د، ط، ق" المجموعة في كلمتي: "قطب جد"، بشرط أن تكون هذه الأصوات ساكنة، ولها مراتب ثلاث. (\*)

تسميتها: " سميت قلقة بذلك لظهور صوت يشبه النبرة عند الوقف عليهن، وإرادة إتمام النطق بهن. فذلك الصوت في الوقف عليهنّ أبين منه في الوصل بهنّ." (1)

4-2-4 و الاستطالة: وهى صفة خاصة بصوت الضاد، والمراد بها استطالة المخرج واتصاله بمخرج اللام الجانبية، ويتبع استطالة المخرج استطالة الصوت، حيث يستغرق زمناً أكبر. وألحرفُ المُستطِيلُ هُو الضاد؛ لِأَنَّهُ اسْتَطَالَ عَنِ الْفَهْمِ عِنْدَ النُّطْقِ بِهِ حَتَّى اتَّصَلَ بِمَخْرَجِ اللَّامِ، وَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْقُوَّةِ بِالْجَهْرِ وَالْإِطْبَاقِ وَالِاسْتِعْلَاءِ. (2)

4-2-4 ز الانحراف: وهو صفة لصوت يتصل في إنتاجه طرف اللسان مع اللثة فينحرف مرور الهواء فيخرج من جانبي اللسان. (3)

ويجمع العلماء على أنّ الانحراف يتعلّق بصوت (اللام)، وهو من مصطلحات سيبويه، وقد عدّه من أصوات بين الشديدة والرّخوة، وكذلك فعل المبرّد مستعملاً هذا المصطلح صفة للّلام. (4)

#### 4-2-4 ح الخفاء:

لغة: الاستتار.

اصطلاحاً: خفاء صوت الحرف عند النطق به.

حروفه: صفة الخفاء أربعة: حروف المدّ مع الهاء، جمعت في (هاوي).

سبب تسميتها: لأنها تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها.

(\*) للقلقة ثلاث مراتب هي:

أ- قلقة كبرى: وذلك في الحرف المشدد الموقوف عليه، نحو (الحقّ) (وتبّ) (أشدّ) (الحجّ..).

ب- قلقة وسطى: وذلك في الحرف المتطرف غير المشدّد حال الوقف عليه سواء أكان متحرّكاً وعرض له السكون، أم ساكناً في الحالين نحو: (المجيد)، (لم يلد)...

ج- قلقة صغرى: وذلك في الحرف الساكن المتوسط نحو: (ادخلوا)، (وجهه) أو الساكن المتطرف الموصول بما بعده نحو: (ولا تشطط واهدنا)، (ومن لم يتب فأولئك)، (ذق إنك)، (ولقد أرسلنا). (ينظر، مراتب القلقة، شبكة مزامير ال داود. <https://www.mazameer.com> 17 فبراير 2012).

(1) مكي بن أبي طالب القيسي: المرجع السابق، ص: 124.

(2) يُنظر، نداء الإيمان، موقع نداء الإيمان موقع كلّ المسلمين، صفات الحروف، -www.al-eman.com (د ت)، (د س).

(3) عبد العزيز الصيّغ: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر المعاصر (بيروت)، دار الفكر، (دمشق)، ط1، 2000، ص: 177.

(4) عبد العزيز الصيّغ: المرجع نفسه، ص: 177.

أما (ا، و، ي) فسبب خفائها سعة مخرجها، لأن مخرجها مقدر، فهي لا تخرج من حيز محدود، ومن أجل ذلك قوي خفاء حروف المد بتطويل الصوت فيها زمنًا، أقله حركتان. وتؤكد التقوية إذا جاء بعدها همز أو سكون، خوفًا من سقوطها عند الإسراع لخفائها، وصعوبة الهمزة بعدها.

في حين سبب خفائها (هـ) فذلك لأن صفاتها كلها ضعيفة، وبُعد مخرجها، فهي تخرج من أقصى الحلق ومن أجل هذا قويت بالصلة، ولذلك كان الواجب التحفظ ببيانها حيث وقعت، بتقوية ضغط مخرجها، فلو لم يتحفظ على تقوية ضغط مخرجها لمال الطبع إلى توسيع مخرجها لعسر تضيقه لبعده عن الفم، فيكاد أن يندم في التلّفظ.<sup>(1)</sup>

#### 4-2- ط الغنة:

فالغنة لغة: صوت له رنين في الخيشوم.

وفي اصطلاح علماء التجويد: صوت خفيف يخرج من الخيشوم، ولا عمل فيه للسان، وتمد الغنة بمقدار حركتين، والحركة هي: بمقدار ما يقبض الإنسان إصبعه أو يبسطه، من غير عجلة أو تأن. وقيل: إنّه شبيه بصوت الغزالة إذا ضاع ولدها.

وهي - أيضا - من مصطلحات سيبويه، ويقسمها العلماء إلى غنة خالصة، وغنة غير خالصة. " والغنة الخالصة هي صوت (النون) الخفيفة، في مثل (عنك) و(منك) الذي يخرج من الخياشيم، أو التجويد الأنفي.

أما الغنة غير الخالصة فهي التي تكون مع صوتي (الميم والنون)، حيث يشترك في نطقهما الأنف بالغنة والفم بالتصويت الناتج عن ابتعاد عضوي النطق.<sup>(2)</sup>

وفي باب صفات الحروف قال محمد بن الجزري الشافعي (المتوفى سنة 833 هـ):<sup>(3)</sup>

صِفَاتُهَا جَهْرٌ وَرِخْوٌ مُسْتَفِلٌ \*\*\* مُنْفَتِحٌ مُصَمَّتَةٌ وَالضُّدُّ قُلٌّ  
مَهْمُوسٌهَا (فَحْتُهُ شَخْصٌ سَكَّتْ) \*\*\* شَدِيدٌهَا لَفْظٌ (أَجْدُ قَطٍ بَكَتْ)  
وَبَيْنَ رِخْوٍ وَالشَّدِيدِ (لِنْ عَمَزْ) \*\*\* وَسَبْعُ عُلوٍ (خَصَّ ضَغْطٍ قِظْ) حَصْرٌ  
وَصَادٌ ضَادٌ طَاءٌ ظَاءٌ مُطَبِّقَةٌ \*\*\* وَ (فَرٌّ مِنْ لُبٍّ) الْحُرُوفِ الْمُذَلِّقَةُ  
صَفِيرٌهَا صَادٌ وَزَائِي سِينٌ \*\*\* قَلَقَاءَةٌ (قُطْبُ جَدٍّ) وَاللَّيْنُ  
وَإِوَاءٌ سَكْنًا وَأَنْفَتَحًا \*\*\* قَبْلَهُمَا وَالْأَنْجِرَافُ صُحْحًا

(1) ينظر، جمال بن إبراهيم القرشي: دراسة مخارج والصفات، ص: 183-184 .

(2) عبد العزيز الصبيغ: المرجع السابق، ص: 165.

(3) ابن الجزري: منظومة المقدمة، فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، تح: أيمن رشدي سويد، دار نور المكتبات، جدة، ط4، 2006، ص3/2

فِي اللَّامِ وَالرَّاءِ وَبِتَكْرِيرِ جُعَلٍ \* \* \* وَالتَّنْقِشِي الشَّيْنُ ضَاذًا اسْتَطَلَّ

## 1- تجليات الإيقاع في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

ليس يخفى ما للدراسة الصوتية من أهمية في خلق موسيقى مناسبة وإيقاع يتناسب والحالة التي يتطلبها الظرف الذي كتب فيه النص، فهي إلى حد كبير تعكس ما تعانیه نفسية المبدع؛ ولذلك يرى صلاح فضل أنّ الدراسة الصوتية تنطوي على: "إمكانات تعبيرية هائلة؛ فالأصوات وتوافقها، وألعاب النغم، والإيقاع والكثافة والاستمرار والتكرار، والفواصل الصامتة، كلّ هذا يتضمّن بمادته طاقة تعبيرية فذة." (1)

وتبرز آثار الدراسة الإيقاعية بصفة خاصة في الشعر بحكم خضوعه للوزن والقافية. ويكفي أن نرى أثر الحزن أو السرور أو الغضب أو الارتياح أو الانفعال الإيجابي أو الردود السلبية، أو الردود الإيجابية على المتلقي، حتّى ندرك أهمية ما في الشعر من موسيقى وإيقاع ونغم، وما تحدثه في المتلقين من تأثير وانفعال" فإذا سيطر النغم الشعري على السامع وجدنا له انفعالا في صورة الحزن حيناً، والبهجة حيناً آخر، والحماس أحياناً، وصحب هذا الانفعال النفسي هزات جسمانية معبرة ومنظمة" (2)، وكذلك الشأن بالنسبة للأعمال النثرية التي تخضع للتوازن الإيقاعي من صور ومحسنات وتكرار تشكّل تأثيراً في المخاطب ليس بعيداً عن التأثير الشعري.

وسنحاول في هذه الدراسة الإشارة إلى بعض أثر هذا الإيقاع من خلال أربعة نماذج من رسائل الإبراهيمي، ونبدأ دراسة الإيقاع في بعض رسائله الشعرية، وبعض رسائله النثرية، لأنّ الأمر يختلف بين النوعين، إذ هو "إيقاع في نطاق التوازن، لا إيقاع في نطاق الوزن، فالوزن في العربية للشعر، والتوازن في الإيقاع للنثر." (3)

## 1-2 الإيقاع في رسائل الإبراهيمي الشعرية:

### - النموذج الأول:

في رسالة الإبراهيمي الشعرية التي كتبها إلى الأستاذ (عبد الحميد الهاشمي) (\*) من باكستان في شهر ماي 1952، وهي رسالة لم تتعدّ تسع أبيات كتبها الإبراهيمي ردّاً على هدية تتمثل في زجاجة عطر

(1) صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص: 25.

(2) إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، دار القلم، بيروت، لبنان، ط4، 1972، ص: 13.

(3) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993، ص: 269.

(\*) عبد الحميد الهاشمي: (حاولنا البحث عن ترجمة له فلم نجد له أثراً).

أهداها الهاشمي إياه، فكانت رسالة في شكل دعاية شعرية لطيفة<sup>(\*)</sup>، وقد انطوت المقطوعة على مجموعة أصوات نصّفها كالتالي:

الجدول رقم(1): يوضّح تردّد الأصوات في رسالة الإبراهيمي إلى الأستاذ عبد الحميد الهاشمي.

الأصوات	الهمزة	الباء	الجيم	الذال	الهاء	الواو	الزاي	الحاء	الطاء	الياء
التردد	19	09	06	06	06	21	06	05	02	24
الأصوات	الكاف	اللام	الميم	النون	السين	العين	الفاء	الصاد	القاف	الراء
التردد	09	27	12	23	07	10	13	04	01	24
الأصوات	الشين	التاء	الثاء	الخاء	الذال	الضاد	الطاء	الغين		
التردد	03	15	03	13	04	00	02	04		

حيث يتبين من خلال الجدول تردّد صوت اللّام (27 مرّة)، ويليه صوتا الياء والراء بـ (24 مرّة) على التوالي، وتكرار حرف الراء في كامل القصيدة (24 مرّة)، منها تسع (9 مرّات) تكرّر في الرّوي.

ويتميّز صوت الراء بأنه صوت تكراري، والتكرير صفة قوّة" ومنها (المكرّر)، وهو حرف شديد"<sup>(1)</sup> وجاءت هذه الصّفة التكرارية المميّزة للراء من تكرّر ملامسة اللسان للحنك عند النطق به، وصوته من الأصوات ذات الوضوح السّمعّي العالي، وكان لتكراره دور في تعميم المعنى المقصود ونشره. فيأتي لينسجم مع حالة الإبراهيمي الواضحة من انشراح الصّدر، والحبّ المتبادل والإخلاص في الصّدّاقة بينه وبين الهاشمي ليعبّر له بقوّة البيان وقوّة حبةً ولينه كهدية شعرية ردّاً للجميل المتمثّل في قنينة عطر تلقّاها الإبراهيمي منه كعربون محبّة. (عطر، العبير، النّيريين<sup>(2)</sup>، ثغورا، ذكر، شكر، وبعث بأخرى).

أمّا حرف الرّويّ في هذه النّصّ القصير فقد جاء على صوت واحد متمثلاً في الراء المطلقة بالألف: (فخرا، زخرا، صخرا، نخرا، بخرا، مخرا، دخرا، نخرا، أخرى). ويأتي المدّ بعد صوت الرّويّ في

(\*) يمكن الاطلاع على نصّ هذه القصيدة في الملحق من هذا البحث، ص: 420

(1) الفراهيدي: العين، ج4، ص: 435.

(2) منتزّه (النيريين) واحد من محاسن الشام، وهو روض يجمع بين الأشجار والفاواكه والأزهار مع عيون الماء. تظهر منه إلى (مرجة جسر ابن شواس) به مقاصفي وبيع وشراء ويُنوّصل منه إلى أراضي (حمص) مابين رياض وغياض. ويعلوها محلّة (النيريين)، وهي أعظم المحلات وأخضرها وأنظرها... (ينظر، البدي أبو البقاء عبد الله: نزهة الأنام في محاسن الشام | منتزه البهنسية والنيريين، دار الرائد العربي، لبنان، ط1، 1980م، ص: 47.

القصيدة ليمدّ بصوته آيات الاحترام والتقدير لشخص الهاشمي، الذي لا تحدّه حدود، ولا يوقفه بُعد المسافات.

وقد أشاعت في الرسالة الشعرية موسيقى عذبة من خلال حركة الفتحة الطويلة (الألف، 42 مرة) وحركة الكسرة الطويلة (الياء، 24 مرة)، وحركة الضمة الطويلة (الواو، 21 مرة)، فأضفت ليونة وطلاوة تجذب الأسماع وتشدّ الحواس، لما في أصوات المدّ من تطريب وجمال ونعم، وقد كان لشيوع هذه الأصوات أثره في الرسالة، حيث أحدث فيها انسجاماً جميلاً بين أصواتها وإيقاعاً رقيقاً زاد من جمالها. كما جاء صوت الفتحة الطويلة في (أنفاس، زجاجة، تيه، فخرا، خزائن، ذخرا، أنوفا، ثغورا رجال التفانس، هفا، جزاء، أخرى...). أما الضمة الطويلة فقد تكرّرت في أكثر من موضع نحو (مزجوه، أوتيت الصّون، يذرو، يألون). وصوت الكسرة الطويلة تردّد لتساهم في إعلاء صوت الدّعابة، وروح الملحّة وطيب اللّطافة مع الهاشمي بكلّ أريحية وصدق وصفاء (النّيربين، نازعتيه، العبير، الجميل).

#### - النموذج الثاني:

أما في رسالته الشعرية (الأرجوزة) التي بعث بها الإبراهيمي إلى الأستاذ صالح الأشر (\*) والتي بلغت ثمانية عشر (18) بيتاً، نجده قد كرّر مجموعة من الأصوات يمكن توضيحها في الجدول التالي:

الجدول رقم (2) يوضّح تردّد الأصوات في رسالة الإبراهيمي إلى الأستاذ صالح الأشر

الأصوات	الهمزة	الباء	الجيم	الذال	الهاء	الواو	الزاي	الحاء	الطاء	الياء
التردد	26	09	03	06	21	16	00	04	03	08
الأصوات	الكاف	اللام	الميم	النون	السين	العين	الفاء	الصاد	القاف	الراء
التردد	10	20	19	20	10	09	11	04	06	33
الأصوات	الشين	التاء	الثاء	الخاء	الذال	الضاد	الظاء	الغين		
التردد	08	31	02	06	01	04	01	00		

حيث تكرّرت مجموعة من الأصوات في الرسالة الشعرية قد يكون لها دلالات معيّنة وسنحاول الوقوف عند بعضها، فقد تكرّر صوت الشين (8 مرّات) " فهو صوت صفيريّ صامت احتكاكيّ مهموس وهو من حروف التقسي، و" سميت بذلك، لأنّها تقشّت في مخرجها... ومعنى (التقسي): هو كثرة خروج

(\*) صالح بن محمد الأشر (1927 - 1992 م) أديب سوري، متحصّل على درجة الدكتوراه من السوربون بباريس (1954م). له عدة مؤلفات ومقالات، وأعمال شعرية منها: الجلاب والبحر، قبل الرحيل... (ينظر، صالح الأشر، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. <https://ar.wikipedia.org>).

الريح بين اللسان والحنك، وانبساطه في الخروج عند النطق بها"<sup>(1)</sup>. وقد دلّ على صفات قبيحة متفشية في مُناوئ الأديب صالح الأشر (شانك، التّشتر، شرّه، لا تشتر).

بينما كرّر الإبراهيمي صوت الميم في رسالته الشعريّة (19 مرّة )، وهو صوت صامت أنفيّ يصاحب إنتاجه صوت الغنة، وقد ترك تكراره وضوحاً سمعياً وجمالاً صوتياً، وقد أنزل على عرب مصر أوصافاً مشينه ربّما نكاية في مُناوئ الأشر السّوريّ. وقد عاش الإبراهيمي معهم فترة من الزّمن فاختر أحوالهم وأخلاقهم (مصر، كالعجم، أنثاهم زن، بنتهم دختر\*)، يومهم جور، قلبهم أفتر، أمسهم كلّ، بيتهم دفتر، سواتهم كثر، ما ضمّها دفتر).

## 2-2 تجليات الإيقاع في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

### 2-3 رسائل الشيخ الإبراهيمي النثرية:

#### - النموذج الأول:

في رسالة التّعزية التي بعث بها الإبراهيمي إلى تلميذه (أحمد توفيق المدني)\*\* (\*\*) بمناسبة وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس<sup>(2)</sup>. وظّف عددا من الأصوات يمكن دراسة دلالاتها من خلال الجدول التالي:  
الجدول رقم(3): يوضح تردّد الأصوات في رسالة إلى تلميذه (أحمد توفيق المدني).

الأصوات	الهمزة	الباء	الجيم	الدا	الهاء	الواو	الزاي	الحاء	الطاء	الياء
التردد	34	25	5	19	17	27	17	20	2	33
الأصوات	الكاف	اللام	الميم	النون	السين	العين	الفاء	الصاد	القاف	الراء
التردد	14	79	28	35	12	24	19	00	16	21
الأصوات	الشين	التاء	الثاء	الخاء	الذال	الضاد	الظاء	الغين		
التردد	06	16	04	08	5	06	04	03		

(1) القيسي، أبو مكي محمد بن أبي طالب: الرعاية، ص: 109.

(\*) زن: أنثى، امرأة، زوجة. دختر: بمعنى: امرأة فاجرة. (أصلهما فارسي) (ينظر، شاكر كسراني: قاموس فارسي-عربي، دار العربية للموسوعات - بيروت - لبنان، (1ط)، 2014).

(\*\*) أحمد توفيق بن محمد بن أحمد بن محمد المدني القي الغرناطي الجزائري. عالم، مؤرخ، وزير جزائري. ولد بتونس 1 نوفمبر 1899م. توفي بالجزائر العاصمة يوم 18 أكتوبر. ناضل ضد الاستعمار الفرنسي سياسيا بتونس وسجن ثم نفي إلى بلده الأصلي الجزائر في 5 جويلية 1925 ساهم في تأسيس (ج ع م ج) وكان أمينها العام وله مساهمات فعالة في البصائر والشهاب، بعد استقلال الجزائر في 1962م عين وزيرا للأوقاف ولشؤون الدينية. وساند الحكومة أنشأها المجلس الثوري برئاسة العقيد هواري بومدين سنة 1965م، وعين سفيراً ووزيراً مفوضاً في أكثر من بلد إسلامي. له مؤلفات كثيرة منها:

- حياة كفاح (مذكرات). المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988 م، 3 أجزاء.

- حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانية. المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1984 م، ط 3.

- كتاب الجزائر: تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها. المطبعة العربية، 1931 م.

- هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956 م. (ينظر، أحمد توفيق المدني، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <https://ar.wikipedia.org>).

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات أحمد توفيق المدني)، ج2، ش و ن ت، الجزائر، 1977، ص:

337. وآثار الإمام، ج2، ص: 37.

وظّف الإبراهيمي جملة من الأصوات في رسالته لتلميذه موسيا أحبابه في ذكرى وفاة صاحبه ابن باديس (\*)، وقد تضمّنت صوت الزّاي، الذي تكرر (17 مرة)، وقد ساهم في تقوية معنى الكلمات من خلال مَلَمَحَه القويّ البارز الصّفيريّ الذي يشنّد وقعه في الآذان، ومن خلال إيقاعه المدويّ. فعندما أراد أن يعبر عن مدى المكانة الكبيرة للراحل في قلبه، كرّر عبارة "العزیز" مرتين، في أوّل الرّسالة وفي آخرها. كما عبّر باستخدام صوت الزّاي مشدّداً ومتتابعاً للتعبير عن واجب العزاء الذي لم يتيسّر تقديمه في وقته المناسب، فقد قال: "لهذا بعثت لأعزّيكم... كما يعزّي مغيب الشّمس بشفقها"، ورافعا الحرج عن تلميذه قائلاً: "وظني في أخي أنه لو كان يعرف عنواني لكان أوّل معزّي لأوّل معزّي... إلى كبد تتنزّي حزنا." (1)

وللتعبير عن يقينه برحيل الرّجل، وحزنه الشّديد عليه، واستمطار الرّحمت من الرّحمن الرّحيم فقد وظّف صوت الحاء (20 مرّة) في أكثر من موضع (الراحل، واحسرتاه! رحم الله الراحل... أعتقد أنّ الراحل أخي العزيز لم يكن لأحد دون أحد... وأعتقد أنّ فقده لا يحزن قريباً دون بعيد... وإنا لفقّدك يا عبد الحميد لمحزونون). (2)

وعندما أراد الإشارة إلى الخسارة التي مُنيت بها الأمّة في فقد رجل النّهضة الأوّل، وظّف الإبراهيمي صوت القاف (16 مرّة) بشكل متتابع في قوله: "وأنّ أوفر النّاس حظاً من الأسى لهذا الخطب هم أعرف النّاس بقيمة الفقيد وبقيمة الخسارة بفقده للعلم والإسلام، لا للجزائر وحدها." (3)

كما نجد توظيفا لصوت الضّاد (6 مرّات) متبوعاً بحركة مفتوحة طويلة للدلالة على مكانة الراحل وآثاره الطّيبة التي تركها من ورائه حيث نقرأ في الرّسالة ذاتها: "فلهذا بعثت أعزّيكم على فقد ذلك البحر الذي غاض، بعد أن فاض، ببقاء آثاره في الحياض، وأنهاره في الرياض." (4)

- النموذج الثاني:

وقع الاختيار على رسالة الإبراهيمي إلى العالمة (أحمد الشّرباصي) (5) بمناسبة إحياء ذكرى وفاة العالم المصلح المجدّد جمال الدّين الأفغانيّ، يعتذر فيها عن عدم قدرته على حضور المؤتمر بسبب

(\* ) ينظر، نصّ الرسالة كاملاً في الملحق، ص: 397.

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني، آثار الإمام، ج2، ص: 37.

(2) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 37.

(3) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 37.

(4) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 37.

(5) أحمد الشّرباصي (17 نوفمبر 1918م - 14 أغسطس 1980م): رجل دين وخطيب مصري من مواليد البجلات مديرية الدقهلية، تخرج في كلية اللغة العربية ثم نال شهادة التخصص.. عمل مدرساً في وزارة المعارف ثم في "معهد الزقازيق" ف"معهد القاهرة" ف"معهد سوهاج" ثم أميناً للجنة الفتوى بالأزهر. كان مبعوثاً علمياً للأزهر الشريف في الكويت ثم أسندت إليه أمانة الفتوى في الأزهر. كان عضواً في المجلس الأعلى لهيئة التحرير ألف أكثر من عشرين كتاباً في مباحث الدين والتاريخ والأدب والاجتماع: منها حركة الكشف، الخطب الشرباصية، شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام. (ينظر، أحمد الشّرباصي، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة: <https://ar.wikipedia.org>).

المرض. واكتفى بإرسال رسالة لتقرأ في الحاضرين نيابة عنه، وعلى الرغم من صغر حجم الرسالة إلا أنها انطوت على أصوات متعدّدة ومنسجمة، قد تحمل دلالات معيّنة نتعرّف عليها بعد إحصائها في هذا الجدول.

الجدول رقم(4): تردد الأصوات في رسالة إلى العلامة أحمد الشرباصي

الأصوات	الهمزة	الباء	الجيم	الذال	الهاء	الواو	الزاي	الحاء	الطاء	الياء
التردد	35	30	15	17	28	36	04	14	03	62
الأصوات	الكاف	اللام	الميم	النون	السين	العين	الفاء	الصاد	القاف	الراء
التردد	17	101	37	45	14	40	20	05	12	34
الأصوات	الشين	التاء	الثاء	الحاء	الذال	الضاد	الظاء	الغين		
التردد	06	39	02	08	09	06	02	03		

فقد جاءت هذه الرسالة متعدّدة الأصوات، بينها انسجام إيقاعيّ حقّق شيئاً من الجرس داخل الرسالة، متناغماً مع المعاني التي أراد الإبراهيمي إيصالها للمخاطب.

واستناداً إلى ما سبق في الجدول (رقم4) نجد أنّ الحصة الأكبر تعود لصوت (اللام)، حيث تكرر (101 مرة)، وهو من علامات التعريف، فقد وظّفه بشكل مكرّر ومتوال بلغ (11 مرة) في جملة واحدة عندما أراد التعبير عن الظرف الذي كتب فيه كلمته للمؤتمر (فإنني أملت بصعوبة على الكاتب كلمة في آخر لحظة أملاها خاطر كليل، ولسان غير ليليل)<sup>(1)</sup>. وحرف اللام يدلّ على الأسى والعجز والضعف والحزن والاستسلام. كما أكثر من أفعال المضارع المسبوقة بلام النقي أو النقي مع الجزم (لا أشارككم، لا يتحرّك، لا يستجيب، ولم يعمل فيها نظر، ولم يهدّبها انتقاد).

وفي المقابل نجد صوت اللام أفاد الدلالة على الصفات الإيجابية التي تعكس روح الإبراهيمي والثقة التي كانت بينه وبينها مودّة ورحمة وصدق وصدّاقة، حيث نجد توظيفاً لكلمات تتضمّن ذلك (الأبّر الجليل، الخلال، الحفلة، رجلا، سلفا، الصالحة، اللسان، كلمة، جمال الدّين، للإخوان).

= وقد أرسل له الإبراهيمي هذه الرسالة مع كلمة عن جمال الدين الأفغاني لتقرأ في الحاضرين في مركز جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، بتاريخ: 21 أكتوبر 1957، ونشرها نجله أحمد الإبراهيمي في آثار الإمام، ج5، ص: 192.  
(1) الإبراهيمي: رسالة إلى العلامة أحمد الشرباصي، آثار الإمام، ج5، ص: 192.

ومن حيث ترتيب الأصوات نجد صوت (الياء) في المرتبة الثانية، حيث تكرر (62 مرة)، وهو صوت مجهور منفتح، وروده يدلّ على الانفعال، وقد برزت بشكل لافت عندما أراد إبراهيمي أن يتحدث عن حالته، ويقدم اعتذاراته (عليّ، إخواني، بي، أقعدني، فكري، لساني، أنني، عذري، عني).

أما حرف النون فقد احتلّ المرتبة الثالثة، حيث تكرر (45 مرة)، وهو حرف يحمل دلالة التكريم والتشريف والاعتزاز والمعاناة والحزن والبكاء والألم... وللتدليل على ذلك نذكر بعض العبارات من الخطاب (ولدنا، نعدّه، لنا، الأفغاني، الشبان، عند إخواني، الدين، وإنني، أقعدني).

وعند توظيفه للأصوات الصّفيرية (س ص ف ز) التي بلغت مجتمعة في الرسالة (43 مرة) محتلة المرتبة الرابعة، وهي أصوات تمتاز بصفير عال يوحى بنفس قلقه، ويدلّ على الحرقه والانحدار والعلو وينسجم هذا مع حالة إبراهيمي النفسية التي حالت دون حضوره المؤتمر كما في أفاظ رسالته (لا يستجيب، العجز، يعزّ..).

أما صوت العين وَرَدَ كحرف (40 مرة) محتلاً المرتبة الخامسة، وهو صوت يعطي حسب موقعه إيقاعاً مميزاً إضافة إلى كونه صوتاً احتكاكياً تتراوح دلالاته بين العبودية والدّل والعجز والصعوبة، وهو ما يظهر في بعض كلمات الرسالة (يعزّ، أقعدني، القعود، الاعتذار، عاجز، بصعوبة...).

بينما احتلّ حرف (الراء) المرتبة السادسة بـ(34 مرة)، وهو صوت جهوريّ مكرّر، وهذا التكرار ولّد إيقاعاً تردّد بين درجتي الانخفاض والارتفاع. وهذا ما أدى إلى انسجام الدلالة. فالإبراهيمي يرتفع بالقوة والحزم والمدح حيناً؛ وينخفض بالضعف والدعة حيناً آخر (الأبّر، رحمة الله، رجلا، كثير، منبر، ارتفع أرجاؤها، ذكرى؛ وإنني لفقير، برح بي، عذري، عدم الرضى...).

واحتلّ حرف (الباء) المرتبة السابعة بـ(30 مرة)، وهو صوت انفجاريّ مجهور يمنح الكلام قوّة وحزماً، وهو أيضاً صوت جهوريّ احتكاكيّ، ويتلاءم مع الحالة النفسية للإبراهيمي الذي يصرخ من أعماقه ويأمل في الحضور للمؤتمر ولكن هيهات، حيث نقرأ له في آخر الرسالة هذه الجملة التي تشعّرنا بالعطف والشفقة نحوه (فإنني أمليت بصعوبة على الكاتب كلمة في آخر لحظة أملاها خاطر كليل ولسان غير لبليل، فجاءت خشبية لم يهدبها انتقاد، ولم يعمل فيها معاد، وأنتم أولى من يقوم بالاعتذار عني عند إخواني).<sup>(1)</sup>

والحرف الذي احتلّ المرتبة الثامنة هو (الهاء) بـ(20 مرة)، وهو صوت رخو مهموس عند النطق به، يصل المزمار منبسّطاً دون أن يتحرّك الوتران الصوتيان، ولكن اندفاع الهواء يحدث نوعاً من الحفيف

(1)الإبراهيمي: رسالة إلى العلامة أحمد الشرباصي، المرجع السابق، ص: 192.

يسمع في أقصى الحلق. وهو مرقق غاية في العذوبة و اللطافة لما يمتاز به من الجمال والرقة. والهاء تدل على الدعاء والاهتزاز والاضطراب والمدح والتشريف والإتقان ويعزز هذه الدلالة (أبقاه الله، الجهر منتجع هواها، منبرها، قاعتها، أرجاؤها، يهدبها).

### ثانياً/ التكرار في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

إن ظاهرة التكرار ظاهرة لغوية عرفت في اللغة العربية في أقدم نصوصها التي وصلت إلينا كالشعر الجاهلي، وقد استعملها القرآن الكريم، ووظفها الرسول الكريم في أحاديثه الشريفة، وكذلك وردت في كلام العرب شعراً ونثراً، أمثالا وحكما... وفي العربية نجد تكراراً للحروف والجمل الاسمية والفعلية، ونجد كذلك ألواناً تكرارية إيقاعية يقصد بها إحداث نوع من الموسيقى اللفظية المؤثرة.

يعدّ التكرار من الظواهر الأسلوبية التي تُستخدم لفهم النص الأدبي، وهو مصطلح عربي كان له حضوره عند البلاغيين العرب القدامى. فهو في اللغة من الكرّ بمعنى الرجوع، ويأتي بمعنى الإعادة والعطف.

#### 1- التكرار ( Reiteration ): مفاهيم وتعريفات:

##### 1-1 التكرار في اللغة والاصطلاح:

التكرار لغة: جاء في لسان العرب: "الكرّ: الرجوع. يقال: كرهه وكرّ بنفسه، يتعدى ولا يتعدى. والكرّ: مصدر كرّ عليه يكرّ كراً وكُروراً وتكراراً: عطف. وكرّ عنه: رجع، وكرّ على العدو يكرّ؛ ورجل كَرَّار ومكرّ، وكذلك الفرس. وكرّر الشيء وكرّره: أعاده مرّة بعد أخرى. والكرّة: المرّة، والجمع الكرّات. ويقال: كرّرت عليه الحديث وكرّرتّه إذا رددته عليه. وكرّرتّه عن كذا كرّرتّه إذا رددته. والكرّ: الرجوع على الشيء، ومنه التكرار." (1)

وفي الاصطلاح: "تكرار الكلمة أو اللفظة أكثر من مرّة في سياق واحد، إمّا للتوكيد أو لزيادة التنبيه أو التهويل أو التعظيم أو للتأذّن بذكر المكرر." (2)

يعرّف السجلماسي (ت 704هـ) التكرار بعد أن يعطي معناه بأنّه: "إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو النوع، أو المعنى الواحد بالعدد أو النوع، في القول مرتين فصاعداً، وهي اسم لمحمول يشابه به شيء

(1) ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص: 390.

(2) صفي الدين الحلي: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة، تح: نسيب نشاوي، مجمع اللغة العربية، (دط)، 1982، ص: 134.

شيئاً في جوهره" (1)، وروى صاحب التاج أنّ السيوطي ذكر في بعض أجوبته: "أنّ التكرار هو التجديد للفظ الأول، ويفيد ضرباً من التأكيد." (2)

وقد عدّ السجلماسي التكرار الجنس العاشر من أجناس أساليب علم البيان وصنعة البلاغة والبديع، وقد رأى أنّه "هو جنس عالٍ تحته نوعان: أحدهما التكرير اللفظي، ولتسمّه مُشاكلةً. والثاني التكرير المعنوي، ولتسمّه مناسبةً، وذلك لأنّه إمّا أن يعيد اللفظ وإمّا أن يعيد المعنى، فأعادة اللفظ هو التكرير اللفظي وهو المشاكلة، وإعادة المعنى هو التكرير المعنوي وهو المناسبة." (3)

ولم يغفل علماء العربية ما لظاهرة التكرار من أثرٍ في سبك الكلام وجودته، سواءً أكانوا مفسرين أم نحاة، أم بلاغيين... فالزّمخشري يرى أنّ: "جدوى التأكيد أنّك إذا كرّرت فقد قرّرت المؤكّد، وما علقَ به في نفس السّامع ومكّننه في قلبه، وأمطت شبهةً ربما خالجتّه أو توهمت غفلةً أو ذهاباً عمّاً أنت بصدده فأزلته." (4)

ووصّفه ابن الأثير بكلامٍ بديع، فقال: "اعلم أنّ هذا النوع من مقائل علم البيان، وهو دقيق المأخذ. وحدّه هو: دلالة اللفظ على المعنى مردداً." ويرى ابن الأثير أنّهُ صنفان: الأول المفيد، والثاني غير المفيد، وعنى بالمفيد أنّ "يأتي في الكلام تأكيداً له وتشبيهاً من أمره. وإنّما يُفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كرّرت فيه كلامك؛ إمّا مبالغةً في مدحه، أو في ذمّه أو غير ذلك؛ أمّا غير المفيد فهو الذي لا يضيف معنى آخر إلى الكلام، وإنّما هو "التكرير الفاحش الذي يؤثّر في الكلام نقصاً." (5) وأمّا محمّد البادي فيرى فيه: "ظاهرة موسيقية ومعنوية تقتضي الإتيان بلفظ متعلّق بمعنى، ثم إعادة اللفظ مع معنى آخر في نفس الكلام." (6)

وفي النّد الحديث نجد اهتماماً بالتكرار من قبل النقاد والكتّاب المحدثين، فعند نازك الملائكة التكرار: "يسلّط الضوء على نقطة حسّاسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلّم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلّل نفسيّة كاتبه." (7)

(1) السجلماسي أبو محمد: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تح: غلال الغازي، مكتبة المعارف، المغرب، (دط)، 1980، ص: 476.

(2) السجلماسي أبو محمد: المرجع نفسه، ص: 476 - 477.

(3) السجلماسي أبو محمد: المرجع نفسه، ص: 476-477.

(4) الزّمخشري جار الله: المفصل في صنعة الإعراب تح: علي بو ملح، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993م، ص: 111-112.

(5) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،

مصر، ط1، 1959، ص: 146/2

(6) محمد البادي: التجريب وانهييار الثوابت، مجلة الآداب، بيروت - لبنان، العدد5، حزيران، 1997، ص: 192.

(7) نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، مطبعة دار التضامن، بغداد، ط3، 1965، ص: 242.

وهذا محمد عبد المطلب يقول: "إنّ التكرار هو الممثل للبنية العميقة التي تحكم حركة المعنى في مختلف أنواع البديع، ولا يمكن الكشف عن هذه الحقيقة إلاّ بتتبع المفردات البديعية في شكلها السطحيّ ثم ربطها بحركة المعنى." (1)

أما عبد الرحمن تبرماسين فيربطه بالحالة النفسية للشاعر حيث يقول: "التكرار أسلوب تعبيريّ يصوّر اضطراب النفس ويدلّ على تصاعد انفعالات الشاعر، وهو منبّه صوتيّ يعتمد الحروف المكوّنة للكلمة في الإثارة وعلى الحركات أيضا." (2)

وتتشكّل ظاهرة التكرار في الشعر العربيّ بأشكال مختلفة متنوّعة، فهي تبدأ من الحرف وتمتدّ إلى الكلمة أو العبارة وإلى بيت الشعر، وكلّ جانب يعمل على إبراز جانب تأثيريّ خاصّ للتكرار.

## 2-1 أنواع التكرار:

يقسم علماء اللّغة التكرار إلى عدّة أقسام، يتفق بعضها، ويختلف بعضها عند آخرين، لكنّ معظمهم يقسمها إلى الأنواع التالية:

**1-2-1 تكرار الصّوت:** من المعروف أنّ الصّوت هو أصغر وحدة لغويّة غير قابلة للتّحليل، وذلك من خلال توظيف حروف تتناسب والسيّاق العام للنّص، كتوظيف الحروف المهموسة أو الحروف المجهورة، ف« الصّوت هو اللبنة التي تشكّل اللّغة، أو هو المادة الخام التي تبنى منها الكلمات أو العبارات». (3) ولهذا فالصّوت هو وحدة أساسيّة، فكّل النّاس يتفاهمون أساسا عن طريق الأصوات الكلاميّة.

**1-2-2 تكرار الكلمات والألفاظ:** حيث يلجأ المبدع إلى تكرار بعض الكلمات بعينها لإغناء المعاني والدلالات وإكسابها قوّة، أو رغبة في تحقيق هدف معيّن، وقد اهتمّ القدامى بهذا النوع من التكرار ودرسوه بإسهاب، وهم الذين «أسموه التكرار اللفظي، و لعلّ القاعدة الأولى لمثل هذا التكرار أن يكون اللفظ المكرّر وثيق الصّلة بالمعنى العامّ للسياق الذي يرد فيه» (4) ذلك أنّ اللفظة تبقى جزءا أساسيا لا يمكن تجاهله و جاءت الكلمات من حيث ورودها مكرّرة حسب تقسيم النّحويين لها من حيث اشتمالها على الرّمن، أو إلى اسم و فعل و ضمير.

(1) محمد عبد المطلب: بناء الأسلوب في شعر الحداثة- التكوين البديعي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1995، ص: 109.

(2) عبد الرحمن تبرماسين: البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003 ص: 194.

(3) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 1997، ص: 40.

(4) فهد ناصر عاشور: التكرار في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 2004، ص: 60.

**1-2-3 تكرار العبارات والجمل:** فالعبارات والجمل هي مفاتيح مهمة لفهم مضامين ودلالات النصوص وهذا النوع كان شائعاً في الشعر القديم، وهو بنسبة أقل في الشعر المعاصر، وهو الرأي الذي تميل إليه نازك الملائكة إذ تقرّر "أن تكرار العبارة أقل شيوعاً في شعرنا المعاصر من تكرار الكلمة".<sup>(1)</sup> فهذا النوع من التكرار يوحي بدلالات معينة تضيف نغماً موسيقياً مع دلالة الجمل، لهذا كان التكرار «يعكس الأهمية التي يوليها المتكلم لمضمون تلك الجمل المكررة، باعتبارها مفتاحاً لفهم المضمون العام الذي يتوخاه المتكلم، إضافة إلى ما تحقّقه من توازن هندسي وعاطفي بين الكلام ومعناه». <sup>(2)</sup>

## 2- تجليات التكرار في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

في رسائل محمد البشير الإبراهيمي نجد توظيف التكرار بكثرة، فقد يكرّر الحروف حيناً، ويكرّر الأفعال حيناً، ويكرّر الأسماء حيناً آخر، بل وجدناه يكرّر الجمل، وأحياناً يوظف تكرار المفردات ومعانيها. ولأنه كثير، لا يمكن أن نعالجه جميعاً. اخترنا بعض النماذج لتوضيح نقشي هذه الظاهرة في رسائله.

ففي رسالته الشعرية "تساؤل نفس" \* التي نشرها أحمد قصيبة في مجلة "الثقافة"، العدد 87، بتاريخ ماي- يونيو 1985، والظاهر أنه بعث بها إلى جمعية العلماء، عزاءً لصاحبه العلامة عبد الحميد ابن باديس<sup>(3)</sup> حيث نجد الإبراهيمي قد كرّر أداة الاستفهام (أين) مرّات عدّة بلغت تسعاً وكرّرها مع عبارة (يا أخت) ست مرّات كلّها في صدور القصيدة. يقول:

- أَيْنَ - يَا أُخْتُ - الْحُسَامُ الْمُنتَضَى؟... لِصُرُوفِ الدَّهْرِ فِي الْيَوْمِ الْعَصِيبِ
- أَيْنَ - يَا أُخْتُ - الْإِمَامُ الْمُرتَضَى؟... دُوَ الْبَيَانِ الْحُرِّ وَالرَّأْيِ الْمُصِيبِ
- أَيْنَ مَنْ أَنْ أَمَحَلَ الْفِكْرَ مَضَى؟... يَدْحَضُ الْمُحَالَ بِالْفِكْرِ الْخَصِيبِ
- أَيْنَ - يَا أُخْتُ - هَلَالُ الدَّاجِيَةِ؟... فَارِسُ الْحَلْبَةِ كَشَّافُ الْكُورِ
- أَيْنَ - يَا أُخْتُ - إِمَامُ التَّاجِيَةِ؟... وَأَمِينُ اللَّهِ عَنْ مَجْدِ الْعَرَبِ
- أَيْنَ حَامِي الدِّينِ مِنْ شَوْبِ الضَّلَالِ؟... وَمُجِيرُ الْحَقِّ مِنْ إِفْكِ الْهُوَى

(1) نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص: 309.

(2) نازك الملائكة: المرجع نفسه، ص: 233 .

(\*) ينظر، نصّ الرسالة كاملاً في الملحق، ص: 397.

(3) نصّ القصيدة بعثها من أفلو يوم السبت 18 أغسطس 1940، ونشرها ابنه أحمد في آثار الإمام، ج2، ص: 38. وذكرها أحمد قصيبة في

مجلة "الثقافة"، الجزائر، مايو- يونيو، العدد 87، 1985.

- أَيْنَ - يَا أُخْتُ - حَوَارِي الْجَلَالِ؟ ... صَيَقِلْ الْأُدْهَانَ إِكْسِيرُ الْقِيَمَى
- أَيْنَ لَيْتُ كَانَ بِالْأَمْسِ هُنَا؟ ... خَادِرًا قَدْ مَلَأَ الدُّنْيَا زِيْبِر
- مَا وَنَى عَنْ فُرْصَةٍ أَوْ وَهَنًا... هل رأيتَ المخدّمَ العَضْبَ الطَّرِيْر؟
- أَيْنَ مِنَّا الْيَوْمَ - يَا أُخْتُ- الرَّئِيسُ... كم به قد رفَعَ القَوْمُ الرُّؤُوسَ؟
- ماله غاب؟ فما منه حسيْس... ماله أقصر واليوم عبوس؟
- مَنْ رَمَى الْأُمَّةَ بِالْجِدِّ التَّعْيِيسِ؟... وَسَقَاهَا جَرَعَ الْعَمِّ كُؤُوس

كما كرّر كلمة الفكر مرّتين في البيت الثالث.

أَيْنَ مَنْ أَنْ أَمَحَلَ الْفِكْرَ مَضَى \*\*\* يَدْحَضُ الْمَحَالَ بِالْفِكْرِ الْخَصِيبِ؟

مع تكرار المتشابه في البيت نفسه..(أمحل/ المحال).

وتكرار الاستفهام مرّتين في البيت ما قبل الأخير (ماله غاب...؟ / ماله أقصر...؟)

مَالَهُ غَابَ؟ فَمَا مِنْهُ حَسِيسٌ \*\*\* مَالَهُ أَقْصَرَ؟ وَ الْيَوْمَ عَبُوسٌ

الجدول رقم(5): التكرار في الرسالة الشعريّة " تساؤل نفس" في عزاء صاحبه ابن باديس

التكرار	نوعه	مرات التردّد
أَيْنَ؟	تكرار تام/ محض	9 مرّات
يا أُخْتُ	تكرار تام/ محض	6 مرّات
الفكر	تكرار تام/ محض	مرّتان
ماله..؟	تكرار تام/ محض	مرّتان
أمحل /المحال	تكرار اشتقائي	مرّتان

فتكرار اسم الاستفهام (أين) تسع مرّات في النّص في بداية كلّ بيت يوحي بتساؤل الإبراهيميّ المُضني عن غيَاب الرّجل الذي كان اسمه يملأ المكان والزّمان، وذاع صيته في الآفاق بسبب آثاره الطّيبة. فراح الإبراهيميّ يستفهم بـ (أين) التي يُعرّفونها بأنّها: " ظرف يستفهم به عن المكان الذي حلّ فيه الشّيء، نحو: " أين أخوك؟ أين كنت؟ أين تتعلّم؟"<sup>(1)</sup>

وقد كرّرها الإبراهيميّ ليستفهم بها عن الشّخص العزيز، وعن المكان الذي غاب عنه [الإمام المرتضى، إمام النّاجية، الرّئيس، حامي الدّين، ومُجبر الحقّ، الحسام واللّيث ]. كأنّ الإبراهيميّ - من شدّة الصّدمة- لم يصدّق خبر الوفاة، فقد تركه قبل أن يسجنه الاستعمار، في قَمّة الحيويّة والنّشاط والتّقلّ

(1) مصطفى غلابيني: جامع الدروس العربيّة، ج1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط23، 1991، ص: 142 - 143.

والدعوة، في عنفوان الرجولة، مفعما بالحركة والتحرك والجهاد العلمي والإصلاحي في كل مكان. فكيف لهذا الجبل الشامخ أن يختفي بسرعة ولم يأت له من العمر سوى إحدى وخمسين عاما؟! ومن هذا الذي يمكنه أن يحل محله أو يعتلي منبره؟!

بينما نجده يكرّر عبارة - يا أخت - ستّ مرّات وهي المقصودة بالاستفهام للدلالة على العاطفة الجياشة والشّعور الفيّاض الذي لا يستوعبه إلاّ قلب كبير كقلب أنثى مفعمة بالأنوثة. وكذلك نجده يضع العبارة نفسها - يا أخت - بين عارضتين في كلّ مرّة كجملة اعتراضية، ربما للدلالة على معرفة الجواب - مسبقا - عن كلّ استفهام تفضّل به، فالجواب دوما حاضر تماما في خله كراي العين. لكن هول الصدمة أريكه فلم يستوعب الموقف. فمن هي هذه الأخت؟

وفي رسالته إلى شاعر الشباب يومها محمد العيد آل خليفة\* كرّر الفعل (تاب) مرّتين مقترنا بضمير المتكلم (التاء): "ويقول تبتُّ ياربّ تبتُّ" (1). وفي الرسالة ذاتها نجد التكرار في اسم الاستفهام (كيف؟) في قوله: "وكيف ييأس الشاعر وهو ملك مملكة الآمال، وسلطان جوّ الخيال؟ فإن كان تقيا رجع من رجاء الله إلى ما لا يحده له أمد. فكيف تياأس نفس الشاعر لولا ذلك الشذوذ؟" (2) فجاءت (كيف) مكرّرة مع الفعل المضارع (يياأس/ تياأس) مقترنة بكلمة "الشاعر" في الجملة الأولى، ومقترنة "بنفس الشاعر" في الجملة الثانية للدلالة على استغراب الإبراهيمي لحالة اليأس عند الشاعر، واصطبغ نفسيته بروح اليأس والقنوط والإحباط؟!

وكيف كما هو مقرّر: "اسم يُستفهم به عن حالة الشيء، نحو: كيف أنت؟ أي: على أية حالة أنت؟" (3) وقد برّر الإبراهيمي ذلك الاستغراب بقوله: "وهو ملك مملكة الآمال، وسلطان جوّ الخيال...". فملك مملكة الآمال لا يمكن أن يتسلّل إليه اليأس، خاصّة وهو صاحب سلطان الخيال الذي لا يتمتّع به غيره بالحجم ذاته.

واليأس مصدر من الفعل يئس، يياأس، يبيئس، يياأسا ويأسة فهو يئس ويؤوس: الشّخص منه: انقطع أمله فيه، وانتفى طمعه فيه ﴿الْيَوْمَ يئسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ (4). ويئس: قانط (هو يئس من الحياة).

(\*) ينظر نصّ الرسالة كاملة في الملحق من هذا البحث، ص: 385.

(1) الإبراهيمي: بين عالم وشاعر، مجلة الشهاب، المطبعة الجزائرية الإسلامية، الجزائر، ج3، المجلّد12، جوان 1936، ص: 135. وأثار الإمام، ج1، ص: 227- 229.

(2) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 228.

(3) مصطفى غلابيني: المرجع السابق، ص: 143.

(4) سورة المائدة، الآية: 3.

فعبارة (كيف) توحى أيضا بالتعجب مما يعانيه الشاعر الكبير، يفترض فيه زرع الأمل في النفوس المحبطة، اليائسة، والصدور الضيقة البائسة، فإذا هو نفسه يصبح أسيرا لغول اليأس والقنوط، والدخول في عزلة رهيبة لا يكاد يخرج منها، وهو الهمام المخول لزرع الأمل في الأمة لبث روح التفاؤل، خاصة وهي تعاني من ضنك المعيشة، وضرر المستدمر. لذلك عليه أن ينتصر على هذه الحالة البئيسة، ويتوب منها توبة نصوحا، ويعود إلى صف إخوانه، وإلى مملكة الشعر الذي هجره لفترة لا بأس بها، وليكن شعاره دوما " تبت يارب تبت".

الجدول رقم(6): التكرار في رسالته إلى شاعر الشباب محمد العيد آل خليفة

التكرار	نوعه	التردد
ويقول: تبت يا رب تبت.	تكرار تام	مرتان
وكيف ييأس الشاعر؟/ فكيف تياأس نفس الشاعر؟	تكرار بالتأداف	مرتان

كما نجد تكرارا لمفردة (أحد) في الرسالة المقتضبة التي بعث بها إلى الأستاذ (أحمد توفيق المدني) في قوله: "أعتقد أن الراحل أخي العزيز لم يكن لأحد دون أحد، بل كان كالشمس لجميع الناس، وأعتقد أن فقده لا يحزن قريبا دون بعيد..."<sup>(1)</sup>. فيه تأكيد على أن العلامة الرئيس لم يكن يميز بين إخوانه العلماء أو بين أتباع الجمعية من الطلبة والمتعاطفين، فالجميع متساوون عنده، وهو يتعامل مع الجميع من مسافة واحدة، ولم يكن يظهر الود للبعث دون البعض، فقد كان كالشمس تطلع على الجميع، ويستتير بنورها الجميع دون تمييز.

أما في رسالته الرائعة (مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة)<sup>(\*)</sup>، يخاطب فيها قبر صاحبه العلامة ابن باديس نجده يكرر اسم الاستفهام (أي) خمس (5) مرّات، قائلا له: "ياقبر، أيدي من خطك، وقارب شطك: أي بحر ستضم حافتك؟ وأي معدن سترن كفتاك؟ وأي ضرغام غاب ستحتل كفتاك؟ وأي شيخ كشيخك، وأي فتى كفتاك..."<sup>(2)</sup>

(1) رسالة بعثها من أفلو في أبريل 1940، ونشرت في كتاب "حياة كفاح" لأحمد توفيق المدني، ج2، ش و ن ت الجزائر، (دط)، 1977، ص:337.

(\*) يمكن الاطلاع على نص هذه الرسالة في الملحق من هذا البحث، ص: 410.

(2) محمد البشير الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، البصائر، العدد: 76، في: 18-04-1949.

فأَيّ هي أداة" يطلب بها تعيين الشيء"<sup>(1)</sup>، وتكرارها فيه دلالة على: التّعظيم والإشادة بمكانة ابن باديس المرموقة التي حازها بين الناس بما اتّصف به من علم واسع، وتقوى وإخلاص، وتضحية بكلّ ما يملك في سبيل نهضة الدّين، ونهضة الجزائر، وهذا تعجب من الإبراهيمي كأنّه لم يستوعب الموقف. كيف لهذا القبر الصّغير أن يحتوي هذا البحر الرّخّار، هذا الدّهب الإبريز، هذا الأسد الهزير، وهذا الشّيخ الذي تزاخمت أمام ركبتيه رُكْبُ المشايخ، وهذا الفتى الذي شاب شعره خدمة للعباد والبلاد!!؟

وفي الفقرة نفسها نجد تكرّرا لحرف (ضمير) الكاف (ك) في نهاية كلّ جملة بمعدّل سبع (7) مرّات؛ ممّا قد يوحي بتأكيد الخطاب الموجه للقبر دون سواه، فالقبر وحده هو الذي غيّب عبد الحميد عن الأنظار، وهو وحده الذي ضمّ الجسد الطاهر، ولم يعبأ بالآلاف المشيعين والمحبين، وهو وحده دون سواه الذي وارى الرّجل، ولم تهزّه هيبه البطل، ولا وزنه النّقييل في الملائن الأعلى والأدنى، وهذا الجدول يوضّح ذلك.

الجدول رقم(7): التكرار في رسالة "مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة"

التكرار	نوعه	التردّد
أَيّ	تكرار تام/ توكيد	5 مرّات
الكاف	تكرار حرفي/تام	7مرّات

وفي رسالة "الضّب"<sup>(\*)</sup> المشهورة، وهو يخاطب تلميذه أحمد بن أبي قصبية، يقول: "يا بني، إنّ ممّا آسف عليه أسفا لا ينقضي، ضياع هذا العلم من بيننا، علم أنساب العرب وأيام العرب وأمثال العرب، وإنّها لكنوز من المعارف وأجزاء كاملة من التّاريخ والأدب، ومحال أن يزدهر الأدب العربيّ ويؤثر آثاره المرغوبة في ناشئتنا إلّا إذا استكمل الأدياء هذه الأجزاء المفقودة."<sup>(2)</sup> فهو في هذه الفقرة يكرّر كلمة (العرب) عدّة مرّات بلفظها، ويكرّر كلمة(أسف) بمشتقها (أسفا).

الجدول رقم(8): التكرار في رسالة "الضّب".

التكرار	نوعه	التردّد
العرب	تكرار تام/ توكيدي	3 مرّات
أسف.../أسفا	تكرار اشتقاقي	مرّتان

(1) مصطفى غلابيني: جامع الدروس العربية، ج1، ص:144.

(\*) ينظر، نصّ الرّسالة كاملا في الملحق من هذا البحث، ص: 412.

(2) الإبراهيمي: رسالة الضّب، آثار الإمام، ج2، ص:51.

ففي هذا التكرار لكلمة (العرب) تأكيد واضح للحسرة التي تعتصر قلب العلامة الإبراهيمي وهو يخاطب تلميذه، مستغربا غياب علوم مهمة - في عهده - كان لها شأن عظيم عند أسلافنا العرب من علم الأنساب، وعلم أيام العرب، وأمثال العرب... وهي علوم لا يمكن لأهل العلم أن يكون لهم كرسي إلا إذا تم لهم تحصيلها.

فالعرب الذين صاروا في ذيل الأمم علمياً وتكنولوجياً وحضارياً؛ كانوا سادة الأمم في العلوم بمختلف أنواعها ومشاربها، وظلوا لقرون مقصداً لطلاب العلم من أرجاء المعمورة، وبلادهم ظلت لزمن طويل قبلة العلماء والفلاسفة والمستشرقين لينهلوا من علوم العرب ومعينها. وقد صحب هذه الحسرة لدى الإبراهيمي أسف على ضياع تلك العلوم التي تربى هو عليها، ولم يبق لها ذكر إلا في أمات المجلدات، وللتعبير عن ذلك كرر الإبراهيمي أسفه مرتين، مرة بتوظيف الفعل (أسف) ومرة بتوظيف المفعول المطلق (أسفا).

والأسف هو: "المبالغة في الحزن والغضب وأسف أسفاً فهو أسف وأسفان وأسف وأسوف وأسيف والجمع أسفاء، وقد أسف على ما فاتته وتأسف أي تلّهف وأسف عليه أسفاً أي غضب وأسفه أغضبه وفي التنزيل العزيز " فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ" (\*). معنى آسَفُونَا أَغْضَبُونَا وَأَسْخَطُونَا. (1)

بينما وظف الإبراهيمي التكرار في رسالته إلى "كتاب البصائر"، يمكن أن نشير إلى بعضه، كقوله مثلاً: "إن جريدة البصائر هي لسان حال جمعية العلماء المسلمين. ومعنى هذا أن مبدأ الجريدة هو مبدأ الجمعية، ومبدأ الجمعية وإن تعددت مناحيه يرجع إلى كلمتين ذواتي مدلول واسع وهما (العلم والدين). فالجمعية لم تخرج منذ تأسست عن مبدئها الواضح الجلي وهو خدمة العلم والدين والدعوة إليهما. (2) وقال أيضاً: "ولسنا نقيم وزنا لما رماها به المتخرفون الذين لا يفرقون بين من يعمل لشخصه وبين من يعمل لفكرة عامة... لا نقيم لهؤلاء وأمثالهم وزنا ما دما نعمل عن عقيدة في الحق وإخلاص له. (3)"

وفي هذه الرسالة نفسها نجد تكراراً عجبياً وهو يتحدث عن الجمعية: "إن الجمعية قد جرت على سنة الله في تطور الكائنات، وقد كان من أطوارها طور للتمهيد، وطور لإزالة الأنقاض، وهي الآن في طورها الثالث، وهو طور البناء والتشييد. ولكل طور من هذه الأطوار حكمه وحكمته وظروفه وملابساته وأسبابه ومقتضياته، كما كان لجرائدها السابقة."

(\* سورة الزخرف، الآية: 55. وتام الآية الكريمة ﴿ فَأَعْرِضْنَا لَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة (أسف).

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى كتاب البصائر، البصائر، السنة الأولى، العدد 2، الجمعة 15 شوال 1354هـ.

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى كتاب البصائر، آثار الإمام، ج 1، ص: 208.

كما نجد فيها أيضا: " فدعوا الكتابة في هذا الأصل - إن لزمتم الكتابة فيه - لإخوانكم أعضاء مجلس الإدارة المطلعين المسيرين لسفينة الجمعية المطلعين على دقائق الأحوال وجلائلها." (1)

فقد كرّر الإبراهيمي في هذه الفقرة وحدها عدّة كلمات وهي: (جريدة، الجمعية، مبدأ، العلم والدين نقيم وزنا، نعم، مصدر الفعل حكم، طور، الكتابة، المطلعين). ولعلّ الجدول الآتي يوضّح هذا التكرار.

الجدول رقم(9): التكرار في رسالة" إلى كتاب البصائر"

التكرار	نوعه	التردّد
جريدة	تكرار كلمة	3 مرّات
الجمعية	توكيد كلمة	5 مرّات
مبدأ	توكيد كلمة	4 مرّات
العلم والدين	تكرار جملة	مرّتان
لسنا نقيم وزنا/ لا نقيم لهؤلاء وأمثالهم وزنا	تكرار جملة	مرّتان
بين من يعمل/ بين من يعمل/..نعمل	تكرار جملة	3 مرّات
حكمه../حكيمته	تكرار اشتقائي	مرّتان
طور	تكرار كلمة	5 مرّات
يطوّر / يطوّرها/أطوار	تكرار اشتقائي	3 مرّات
الكتابة	تكرار كلمة	مرّتان
المطلعين	تكرار كلمة	مرّتان

حيث يتبيّن من خلال الجدول تكرار بارز لكلمة (الجمعية) في إشارة إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أنشأها الإبراهيمي بجمعية صديقة عبد الحميد بن باديس، فجمعية العلماء هي بيئتهم ومقرهم وحياتهم وعملهم وروحهم... فهي كلّ شيء في بياض نهارهم وسواد ليلهم، نذروا أعمارهم لخدمة البلاد والعباد من خلالها، وقد ذكرها الإبراهيمي خمس مرّات، منها ثلاث مرّات جاءت مقترنة بكلمة (مبدأ) في إشارة إلى أنّ جمعية العلماء لم تُبنَ على أساس من الهوى أو هي جزء من إملاءات الاستعمار، وإنّما هي جمعية أُسست على مبدأ أصيل من أوّل يوم، مبدأ لخصه الإبراهيمي في كلمتين لا ثالث لهما (العلم والدين)، وتأكيدا لذلك كرّر ذكر المبدأ مرّتين في فقرة واحدة. وترجمان هذا التزاوج جريدة (البصائر) هي لسان الحال فذكرها مكرّرة ثلاث مرّات.

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى كتاب البصائر، المرجع السابق، ص: 210.

أما تكرار عبارة (لا نقيم لهم وزنا) والتي تثنى عليها بعبارة مماثلة بإضافة اسم الإشارة (هؤلاء) في تلميح للطرقيتين المتخريصين ومن لف لفهم دون ذكرهم بالاسم (لا نقيم لهؤلاء وأمثالهم وزنا)، فيه دلالة على احتقارهم، وعدم إعطائهم أي قيمة تذكر لأنهم ليسوا أهلا للاحترام والتقدير؛ ولأنهم قوم باعوا دينهم ووطنهم بثمن بخس، وكانوا فيه من الخائنين.

لكن التكرار الممل في هذه الرسالة ما كتبه عن أطوار الجمعية، حيث كرر مفردة (طور) بصيغ متعددة ثماني مرات لا نجد لها وقعا أو دلالة إيقاعية معينة. في شكل إطناب كان بإمكان الكاتب أن يختصره ويعبر عن الفكرة ذاتها دون الحاجة إلى تكرار المفردة بالعدد المذكور.

وفي رسالته المشهورة "دمعة على المنصف" (\*) نجد الإبراهيمي يكرر عبارة " يعز على هذا القلم" خمس مرات، على رأس كل جملة.

- يعز على هذا القلم الذي لا يكاد يجف مداده ولا تنقطع من القريحة أمداه...
- يعز على هذا القلم الذي براه الباري لينضح العسل المصقى للمقسطين، وينطف الصاب والحنظل للقاسطين، ويرسل الحُم مدارا على المستعمرين...
- يعز على هذا القلم الذي شد الحق أزره وسدد المنطق رمايته...
- يعز على هذا القلم إن يصرخ الناعي لموت المنصف فلا يجري...
- يعز على هذا القلم أن تقف به الأقدار موقف السيف من يد الجبان...<sup>(1)</sup>

وفي الرسالة نفسها نجده يكرر لفظة "مات" أربعاً وثلاثين (34) مرة بصيغ متعددة (ماض، مضارع مصدر) وقد وظف لفظين آخرين لهما المدلول ذاته لمعنى الموت هما (مُصيبة والمنايا).

الجدول رقم (10): تكرار مادة(مات) في رسالة "دمعة على المنصف"

الصيغ	الماضي	المضارع	المصدر	صيغ أخرى
الفعل	مات	يموت	الموت	المصيبة/المنايا
التردّد	16	2	14	2

الجدول رقم (11): التكرار مختلف في رسالة "دمعة على المنصف"

التكرار	نوعه	التردّد
يعز على هذا القلم	تكرار جملة	5 مرّات
تقف به الأقدار موقف السيف	تكرار اشتقائي	مرّتان
في دار غير داره	تكرار كلمة	مرّتان

(\*) ينظر، نصّ الرسالة كاملا في الملحق من هذا البحث، ص: 373.

(1) الإبراهيمي: دمعة على المنصف، البصائر، العدد: 49، في: 13 - 9 - 1949، وآثار الإمام، ج3، ص: 555.

مَرَّتَان	تكرار كلمة	ووطن غير وطنه
مَرَّتَان	تكرار كلمة	ناس غير ناسه
مَرَّتَان	اشتقائي	نفسا من أنفاس وطنه
مَرَّتَان	تكرار كلمة	في سبيله إلى أن مات في سبيله
مَرَّتَان	جمع	بمنظر من تلك المناظر
مَرَّتَان	توكيد	مظلوما، مسلوب التاج
مَرَّتَان	اشتقائي	براه الباري

كما نجده يكرّر عبارة (مظلوم) و (مسلوب التاج) في هذه الرسالة في الجملتين التاليتين:

" يعزّ على هذا القلم الذي شدّ الحقّ أزره، وسدّد المنطق رمايته، أن يموت المُنصِف غريبا مظلوما، مسلوب التاج، فلا ينفث كلمة تبعث الشّجى وتثير الشّجن وتحلّ عقدة الرواية." (1)

ثمّ يكرّر ذلك بالعبارة نفسها - تقريبا - في الصّفحة الأخيرة من الرسالة ذاتها فيقول: " ولكن... ولكن موت المُنصِف في قرية نائية من قرى فرنسا - غريبا عن وطنه وأمه، مظلوما في عرشه ومُلكه، مسلوب التاج، مخفور الدّمام - مصيبة يزيد في معناها الشّنيع معنى...". (2)

لقد حرّز أمر (المنصف) في نفس الإبراهيمي وفؤاده لشعوره وإحساسه بمدى الدّل والإذلال الذي تعرّض له، خاصّة وقد كان يتمتّع بالتّاج والتّيجان، والهيل والهيلمان، والصّول والصّولجان، ثمّ يجرد من كلّ ذلك، ويقتل بعيدا عن الشّعب والأهل والأبناء والوطن، إنّها فعلا لإحدى المظالم الكبر!؛

كما نجد تكرارا متقارب التّسج في جملة واحدة في قول الإبراهيمي وهو يبكي المُنصِف: "...ولكنّه مات بـ "بو" (\*)، في دار غير داره ووطن غير وطنه وناس غير ناسه، لم يستنشق مع حشيرة الموت نفسا من أنفاس وطنه العزيز، الذي لقي الأذى في سبيله، إلى أن مات في سبيله. ولم يكتحل عند إغماضة الموت بمنظر من تلك المناظر التي كانت هوى قلبه، وشغل خواطره، وصبابة نفسه...". (3)

(1) الإبراهيمي: دمعة على المنصف، المرجع السابق، ص: 555.

(2) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 555.

(\* بو (Pau): مدينة فرنسية. تقع جنوب غرب فرنسا، محافظة لإقليم البرانيس الأطلسية، منطقة نوفال-أكيتين (Nouvelle-Aquitaine). تقع في قلب الولاية القديمة سوفرو بيارن (Souverain du Béarn)، التي هي العاصمة منذ 1464. محاطة بنهر غاف دو بو (Gave De Pau) تبعد بـ 100 كلم من المحيط الأطلسي وعلى بعد 50 كم من إسبانيا. (ينظر، بو "فرنسا"، الموسوعة، (www.wikiwant.com)).

(3) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 556.

لقد عجت هذه الرسالة بتكرارات متعددة تعدد المحن التي تعرض لها المنصف التونسي، فقد بكاه الإبراهيمي بكاء مرًا، وحزن عليه حزنا يعتصر الأحشاء، لا لشيء إلا لأنه يحب الرجل حبًا كبيرًا، ويحترم موافقه الوطنيّة. لقد مات المنصف، وقتلته فرنسا في بلادها، وأكد ذلك الإبراهيمي أربعًا وثلاثين (34) مرة بصيغ مختلفة، فالموت هو الأسلوب الوحيد الذي تعرفه فرنسا، وهو دأبها ودينها، تنفذه بأبشع الإمكانيات وأقسى الأسلحة، يمارسه قادتها كما جنودها على الضعفاء من الناس العزل من أي وسيلة للدفاع، لا يملكون حولًا ولا قوة إلا الاستسلام أمام الزبانية المدججين حتى تُزهق أرواحهم الطاهرة البريئة، فلا أمل في الرجوع. وازداد ألم الإبراهيمي وحسرتة أكثر على المنصف؛ لأنه مات خارج وطنه (في مدينة "بو" الفرنسية) في (وطن غير وطنه وفي دار غير داره، وبين ناس غير ناسه)، كرر ذلك الإبراهيمي ست مرّات ليؤكد للعالم الحرّ كيف تتصرّف فرنسا (الديمقراطية) مع الأحرار.

كما كرر الإبراهيمي اسم (المنصف) في كلّ الرسالة إحدى عشرة (11) مرّة، ثماني (8) مرّات منها يُذكره مقتربًا بـ "ال" فيتكلم عنه باسم (المنصف)، وعندما يريد مناداته بأداة النداء "يا" يجعله مجردًا من "ال" (يا منصف...).<sup>(1)</sup>

فقد تحدّث عن (المنصف) انطلاقًا من العنوان، فجعله جزءًا منه (دمعة على المنصف): "يعزّ على هذا القلم الذي براه الباري لينضح العسل المصفى للمقسطين، وينطف الصّاب والحنظل للقاسطين ويرسل الجمم مدرارا على المُستعمِرين، أن تنتهي مظلمة المنصف إلى غايتها الشنّاء من موت الغربة ومهانة الأسر، وتعنّت الاستعمار، فلا يشنّها شعواء على التّعنت والمتعنّتين".<sup>(2)</sup>

ثمّ يذكره مجردًا من "ال" فيخاطبه ثلاث مرّات مستخدماً النداء في قوله: "عزاء للوطن المفجوع فيك يا منصف، وسلوى للقلوب المكلومة بموتك - وما أكثرها - يا منصف!"، وكذلك في قوله وهو يختتم الرسالة: "جهد المقلّ يا منصف! ونظار حتى يعاود النشاط هذا القلم، وينحسر الرّكود عن هذه القريحة وتنجلي غمرة الأسي، فيتوافى القلم والقريحة على تجلية العبر، من سيرة ليست كالسير".<sup>(3)</sup>

وفي كلتا الحالتين فهو لا يخرج عن كونه معرفة، فقد أصبح حديث العام والخاصّ في وقته وتكرار اسم (المنصف) لدى الإبراهيمي دليل على اهتمامه بقضيته ومتابعتها والدود عنها والتتويه بها لإطلاع الرّأي العالمي والإنساني عليها.

(1) الإبراهيمي: دمعة على المنصف، المرجع السابق، ص: 557.

(2) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 555.

(3) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 557.

الجدول رقم(12): تكرار اسم (المنصف) في رسالة "دمعة على المنصف"

يا منصف	المنصف	الصيغة
3 مرّات	8 مرّات	التّرّد

لقد كرّر الإبراهيمي اسم الزعيم التونسي المنصف إحدى عشرة (11) مرّة للدلالة على تأكيد قضيتته العادلة، وتأكيدا على الظلم الكبير الذي تعرّض له من السلطات الفرنسية، وتأكيدا للتّعذيب الذي تعرّض له، وسياسة الإبعاد التي حرمته من حقوقه الخاصّة والعامّة حتى مات خارج دياره، بعيدا عن الأهل والبلاد. لقد تابع الإبراهيمي قضية المنصف - على تواضع الوسائل الإخبارية وقتها - لحظة لحظة إلى أن مات؛ فبكاه بكاء مرّا.

وعلى الرّغم من بكاء الإبراهيمي على (المنصف) والكتابة عنه إلّا أنّه يشعر بالتّقصير في حقّه كأنّه لم يفه حقّه من الإشادة والحديث عن خصاله السامية والتذكير بمآثره و مواقفه الوطنية في وجه الاستعمار الفرنسي؛ ولهذا راح الإبراهيمي يعبر عن ذلك التّقصير - وهو لم يقصر - بتكرار عبارة " يعزّ على هذا القلم" خمس (5) مرّات. كأنّي به شعر بصعوبة الكتابة عنه، واشتدّت، وشقّ عليه الأمر فلا يكاد يقوى عليه.

وفي رسالته إلى "كُتّاب البصائر"(\*) نجده قد كرّر كثيرا عبارة (أمامكم) وهو يخاطبهم في ذيل الرّسالة بصيغ أوامر كثيرة، يوجّههم إلى أعمال جليّة، وأخلاق عديدة، ومبادئ سامية، ومواضيع تنفد الأعمار ولا تنفد.

وقد كرّر عبارة (أمامكم) ثمان (8) مرّات، وثنى عليها بأفعال (أمر) عديدة لتتناسب مع التّوجيهات التي أسداها لكُتّاب البصائر ليستأنسوا بها، ويجتهدوا في العمل على تحقيقها في الميدان، وهذه بعض الجمل نذكرها على سبيل المثال لا الحصر فيما يلي:

1- "أمامكم حقائق الدّين وفضائله وآداب الإسلام وحكمه فاشرحوها وبيّنوها.

2- أمامكم أمراضنا الاجتماعية وجوانحنا النّفسية والخُلقيّة التي حجبت عنّا وجه الحياة، وأخفت علينا مسالكة فاشرحوا الدّاء وبيّنوا الدّواء، ومرّقوا الجلابيب التي أضفاها الجهل على عقولنا فلم تفقه معني الحياة.

3- أمامكم اللّغة وعلومها وآدابها فابحثوا ونقّبوا واحذّوا ركبها وطربوا واسعوا لبيان فضلها سعيكم

لتعليمها، وأشربوا قلوب أولاد هذه الأمّة: إنّه ما غرّد بلبل بغير حنجرته. (1)

(\*) ينظر نصّ الرّسالة كاملا في الملحق من هذا البحث، ص: 418.

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى كُتّاب البصائر، البصائر، العدد: 2.

## 4- الجدول رقم (13): تكرار عبارة (أمامكم) في رسالة "كتاب البصائر"

الصيغة	أمامكم	فعل الأمر
التردّد	8 مرّات	17 مرّة + إغراء

وفي هذا التكرار لكلمة (أمامكم) لكتاب البصائر تأكيد لهم لكي ينتبهوا إلى المسائل المهمة التي أمامهم بوصفها حقائق معيشة في يومياتهم، مستوحاة من واقعهم، والتي يحتاجها الشعب ويحتاج إليها الوطن؛ بعيدا عن الخيال أو السباحة في الرمال، والاهتمام بالأشياء المرتبطة بأحوال الناس المباشرة، دون أن يشردوا عنها، أو يغفلوا لحظة عن معالجتها، أو ينشغلوا بأمر أخرى ليست من الأولويات. ومن هذه الأمور المهمة التي طالبهم الإبراهيمي بوضعها نصب أعينهم: حقائق الدين وفضائله وآداب الإسلام أمراضنا الاجتماعية، وحوائجنا النفسية والخلقية، اللغة وعلومها وآدابها... وقد عزز الإبراهيمي كلامه بعد هذه التكرارات بأفعال أمر بلغت ثمانية عشر (18) فعلا (ابحثوا، نقّبوا، احدّوا، طرّبوا، اسعوا، أشربوا...) تأكيدا آخر على ضرورة العمل على تحقيق تلك المواقف والقيم.

وفي رسالته " إلى المعلمين الجزائريين الأحرار"<sup>(1)</sup> تكرار متعدّد لعدّة مفردات وعبارات ربما يكون الإبراهيمي قد قصد إليها لتحقيق دلالات معينة. فعند قراءتنا للرسالة نجد يكرّر عبارة "أبناء" عدّة مرّات وبصيغ متنوّعة، (أيّها الأبناء، يا أبنائي، أيّ أبنائي)، بلغت ستّا، وفي ذلك دلالة واضحة على تواضع الشيخ الإبراهيمي، واعتبار نفسه أبًا معلّمًا ومرتبًا رحيما، واعتبر المعلمين جميعا أبناء له، لذلك يكرّر بين الحين والحين عبارة " أبنائي" ليشعرهم بالبنوة ويشعر نفسه بالأبوة، وفيها إيحاء بالعطف والحنان والرّحمة كأنهم جزء من صلبه؛ ليأخذ بأيديهم إلى برّ الأمان، ويربّيهم على حسن تحمّل المسؤولية، ويهيئهم للإصغاء الحسن، وتقبّل التوجيه والنصح، ويعلمهم أن يكونوا مع تلاميذهم بمنزلة الأب الرّحيم بأبنائه البررة، ويكون هو كالرسول بينهم "يا أبنائي..."<sup>(\*)</sup>

## الجدول رقم (14): التكرار في رسالة " إلى أبنائنا المعلمين الأحرار"

الصيغة	أيّها الأبناء	يا أبنائي	أيّ أبنائي	إلى أبنائنا	المجموع
التردّد	مرّة واحدة	3 مرّات	مرّة واحدة	مرّة واحدة	6 مرّات

وفي الرّسالة نفسها كرّر الإبراهيمي كلمة " تربية" بصيغ متعدّدة، بلغت سبع (7) مرّات، وهو يسدي توجيهات ووصايا ونصائح لأبنائه المعلمين، فمرّة يأتي بها معرفة ب"ال" "التربية"، وتارة يُوردها

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى أبنائنا المعلمين الأحرار، جريدة البصائر، العدد: 94، في 7-11-1949. وآثار الإمام، ج3، ص: 262.

(\*) ينظر نصّ الرّسالة كاملا في الملحق من هذا البحث، ص: 376.

نكرة " تربية " وفي ذلك إشارة إلى أهمية التربية كأمانة تحملها المعلمون ليضطلعوا بها في الميدان مع تلاميذهم بكل إخلاص ونزاهة، ولأنها هي الأهم، فقد قدمها على (التعليم)، هذه الأخيرة التي لم يذكرها سوى مرة واحدة في الرسالة.

جدول رقم(15): تكرار (مصطلح تربية والتعليم) في رسالة "إلى أبنائنا المعلمين الأحرار"

الصيغة	تربية	التربية	التعليم	المجموع
التردد	3 مرّات	4 مرّات	1 مرّة واحدة	1+7

وفي رسالة الإبراهيمي إلى صديقه الأستاذ الدكتور محمد فاضل الجمالي<sup>(\*)</sup> التي نشرت بمجلة "جوهر الإسلام"<sup>(1)</sup>، والتي أرسلها إليه في شهر جانفي 1954م، تحت عنوان: "حضرة صاحب الفخامة الدكتور محمد فاضل الجمالي"، رئيس الوزارة العراقية ورئيس مجلس الجامعة العربية. فقد كرّر عددا من المفردات والعبارات بين ثنايا الرسالة التي بلغت أربع صفحات، قد تكون لها دلالات معينة نبينها فيما يلي:

الجدول رقم (16): التكرار في رسالة "إلى الأستاذ الدكتور محمد فاضل الجمالي"

الصيغ	صيغ مشابهة	التردد	المجموع
جامعة الدول العربية	الجامعة	9 مرّات	9 مرّات
جمعية العلماء	جمعية /الجمعية	20 مرّة	20 مرّة
المدارس	مدرسة	6 مرّات	6 مرّات
المعهد	المعاهد	12 مرّة	12 مرّة
المسجد	المساجد	5 مرّات	5 مرّات
المعلمون	/	7 مرّات	7 مرّات

(\*) محمد فاضل الجمالي: (1903 م - 1997م)، هو وزير وسياسي ومفكر ومؤلف عراقي ألف العديد من الكتب والمقالات في مجال الوحدة العربية والعلوم التربوية. شغل منصب رئيس وزراء العراق خلال عامي 1953-1954، كما أنه أول شخصية عراقية تحمل شهادة دكتوراه في علوم التربية من جامعة هارفارد ويعتبر من المؤسسين للأمم المتحدة في عام 1945. له العديد من المؤلفات منها علمية وتربوية ومنها في مجال الوحدة والقومية العربية، منها: التعليم الريفي في العراق 1934، التربية والتعليم في تركيا الحديثة، اتجاهات التعليم في ألمانيا وانكلترا وفرنسا 1935، اتجاه التعليم في العالم العربي 1935، الخطر الصهيوني، الصهيونية الأمريكية والمأساة الفلسطينية. (ينظر، محمد فاضل الجمالي، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <https://ar.wikipedia.org>).

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الدكتور محمد فاضل الجمالي، مجلة "جوهر الإسلام"، العدد: 6، السنة 4، تونس، مارس 1972. (ينظر نص الرسالة كاملا في الملحق من هذا البحث، ص: 387).

التلميذ	التلاميذ/الطالبة/الطلاب/ من يحملون الشهادة الابتدائية	8 مرّات	8 مرّات
---------	---	---------	---------

في هذه الفترة مازالت جامعة الدّول العربيّة حديثة عهد بالإنشاء. والمواقف العربيّة كان لها وزنها في الشّؤون التي تخصّها، والتّعاون فيما بين الدّول المنخرطة فيها كان فعليا؛ لذلك راسل الإبراهيميّ مسؤول مجلسها الأوّل يومها طمعا في تقديم يد العون للجزائر سياسيا وتربويا وماديا، لأننا مازلنا تحت القبضة الاستعماريّة الغاشمة؛ حيث أخذ يكرّر عبارة **(جامعة الدّول العربيّة)** تسع (9) مرّات باعتبارها الجهة الأكثر تخويلا في تحقيق متطلّبات الشعب الجزائريّ وحاجياته.

ولأنّ جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين كانت مضطّعة بالجانب التّوعويّ والثّقافيّ والدينيّ والتّربويّ، مكتسحة السّاحة يومها في كلّ ربوع الوطن إلى درجة استطاعت أن تبني عشرات المدارس وتكوّن آلاف التّلاميذ والطّلبة الجزائريين، وترسل المتفوّقين منهم إلى الجامعات العربيّة صاحبة الشّهرة كالزيتونة بتونس، والأزهر الشّريف بالقاهرة و... ونظرا لهذا النّشاط المكثّف الذي ذاع صيته، وطارت سمعته نحو الخارج؛ نجد الإبراهيميّ فخورا بما حقّقه الجمعيّة بفضل جهود قادتها وعلمائها وشيوخها، إلى حدّ كرّر ذكرها في هذه الرّسالة عشرين (20) مرّة في رسالة واحدة يفترض فيها طلب المساعدة وحسب.

وإذا كان من الضّرورة بمكان حيّر يجتمع فيه المتعلّمون فإنّ الإبراهيميّ كرّر ذكر مفردة **(مدرسة)** عدّة مرّات لأهمّيّتها، تذكيرا بإنجازات الجمعيّة، ورغبة في تكريم الجامعة العربيّة ببناء المزيد منها، فقد كرّر كلمة **(مدرسة)** ستّ (6) مرّات، و**(المعاهد)** اثنتا عشرة (12) مرّة. و مادامت هذه المرافق لا معنى لها إلّا بوجود المعلّمين والتّلاميذ، فقد كرّر كلمة **(معلّمين)** سبع (7) مرّات بينما كرّر مفردة **(التّلاميذ)** ثمان (8) مرّات. أمّا عن الجانب الدينيّ والوعظ والإرشاد فلا بدّ لها من إشراف المختصّين في الفقه والدّعوة، ولا بدّ لهم من المساجد ليتعلّم النّاس فيها أمر دينهم، ونظرا لهذه الأهميّة الكبيرة فقد كرّر الإبراهيميّ كلمة **(المسجد)** خمس (5) مرّات.

وفي رسالة الإبراهيميّ " **إلى الطّرفيين** " المبتدعين في عهده، والتي وجّهها لهم كردّ على رسالتهم إلى جمعيّة العلماء التي نشرت بجريدة البصائر، العددان: 80 و81، السّنة الثّانية، بتاريخ 3 و17 سبتمبر 1937م، نجد جملة من المفردات المتكرّرة قد تكون لها مدلولات رمي إليها الإبراهيميّ ليطلّع عليها العامّ والخاصّ؛ ليكتشفوا حقيقة الطّرقية الضّالة التي كانت في أغلب حالاتها صنيعة الاستعمار الفرنسيّ والتي حاربت الدّين والعلم في الجزائر باسم الدّين والعلم، والتي وقفت موقفا سلبيا وغير مشرف، بعد بوادر إرهابات التّحرّك المسلّح ضدّ فرنسا المستعمرة المعتدية " **فرنسا دخّلها ربّي إخرجها ربّي!** " وفيما يلي بعض التّكرار في هذه الرّسالة من خلال هذا الجدول:

الجدول رقم(17): التكرار في رسالة " إلى الطرقيين "

التكرار	الطَّرِيقِيَّة /مصادرها	الشيخ/مشايخ	الكذب/مصادره	العلماء	الأمة
التَّرْدَد	39 مرّة	11 مرّة	11 مرّة	19 مرّة	29 مرّة
المجموع	39 مرّة	11 مرّة	11 مرّة	19 مرّة	29 مرّة

فتكرار كلمة (الطَّرِيقِيَّة) وما يدخل تحتها (الطَّرِيقَة، الطَّرِيقِي، الطَّرِيق) تسعًا وثلاثين (39) مرّة جاء متناغمًا مع اكتساحها السّاحة بعد سنوات من العمل على عين الاستعمار الفرنسيّ، واستغلال جهل النّاس، والأميّة، وحالات الفقر والحرمان الذي كان يتخبّط فيه أفراد الشّعب الجزائريّ، والضّحك عليهم بادّعاء العِلْم والحِكْمَة والبركة وجريان الخوارق على يد المشايخ، وحصر الدّين في جملة من الطّوقس والرّرد والحضرات و(التّهوال) (\*) مستغلّين غيَاب العلماء الحقيقيّين أو تغييبهم.

وفي الرّسالة نفسها نجد تكرارًا لكلمة (الشيخ) في فقرة واحدة، يقول: "وهذا البلبه المستحکم الذي أنساهم خالقهم، وحقائق دينهم وتاريخهم وأذهلهم عن أنفسهم، وانتزع منهم أخلاق الرّجال وعزائم الرّجال وصيرهم آلة مسخّرة في يد الشيخ، وأبناء الشيخ، والمقرّبين من الشيخ، ثمّ صيرهم آلة في يد كلّ ظالم للأمة، ومعتمد على صفوفها، ثمّ مطيّة لكلّ راكبة، ثمّ حجّة على انحطاط المسلمين، ثمّ حجّة على الإسلام نفسه." (1)

فتكرار كلمة (الشيخ) ثلاث مرّات في فقرة واحدة، وتكرارها إحدى عشرة مرّة في كلّ الرّسالة ليس اعتباطيًا. فالشيخ في الطَّرِيقِيَّة هو كلّ شيء، هو الأمر والنّاهي، وكلمته مسموعة لا يقبل إلاّ الطّاعة المطلقة، لا أحد يسأل أو يشكّك في تصرّفاته، وزيارته ينبغي أن تكون بتقديم قرّبان ثمين، فإذا مات (الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر) تولّى المشيخة بعده ابنه، فإذا انقطع الوصال تولّى المشيخة بعدهما أحد المقرّبين من الشيخ.

وقد كرّر الإبراهيميّ مفردة (الشيخ) وما يشبهها إحدى عشرة (11) مرّة للدلالة على السّيّطرة الكاملة لشيوخ الطَّرِيقِيَّة على عقول وقلوب المرّيدين، والعوام من النّاس، يظهرون لهم بمظهر القداسة والكمال دافعين ببعض أعوانهم (المقدّمين) (\*) للترويج لطرقتهم الضّالّة المضلّة باسم الصّوفيّة والرّهذ والولاية والقطيبة...!؟

(\*) التّهوال: كلمة عاميّة تعني الرقص بطريقة هستيرية على أنغام الرّدة تنتهي عادة بالإغماء (مصطلح شعبي).

(1) الإبراهيمي: إلى الطّرقيين، البصائر، العددان 81/80 السنة الثانية بتاريخ 3 و17 سبتمبر 1937. وآثار الإمام، ج1، ص: 296.

(\*\*) المقدّم: مريد طرقيّ تدرّج في خدمة الشيخ حتّى أصبح المسؤول الأوّل في خدمة الشيخ، واستقبال الزوّار (مصطلح شعبي).

ومن عجائب الصّدْف تكرّرت مفردة (الكذب) وما يشبهها إحدى عشرة (11) مرّة أيضا لتتناسب مع عدد شيوخهم للدلالة على تحلّي مشيخة الطّرقية بالكذب والافتراء والادّعاء والبهتان للتّرويج لبرامجهم والكسب غير الشرعيّ للأموال، والطمع في حصد المزيد من الهدايا، وتحقيق أهداف المُستعمر في إطالة عُمره في الوطن بتخدير الشّعب، ونفث روح اليأس في نفسه.

ثمّ كرّر الإبراهيميّ مفردة (الأمّة) تسعا وعشرين (29) مرّة، ومفردة (العلماء) كرّرها تسع عشرة (19) مرّة، وفيه إشارة إلى أنّ الأمّة أكبر من أن يفتّ فيها شِرْذمة من مشايخ البدع والضّلالات، وهي أكبر من أن يلعب بها أذنان الاستعمار من بني جلدتنا، ولذلك انبرت جمعيّة العلماء الجزائريين بعلمائها ومصلحيها ودعاتها ومعلّمها لصدّ أباطيل الطّرقية، والوقوف سداً منيعاً أمام ألعبيها وضلالاتها وبدعها التي سخّرتها لتحنيط الشّعب الجزائري، والزّج به في كهوف أتون الظّلام والتّخلف والجهل...

وفي موضع آخر من رسالته " إلى الطّرقيين " نجد تكراراً آخر في عبارة جميلة لها دلالة مهمّة. يقول: " وإنّ لنا في الدّعوة الإصلاحية سلفاً صالحاً يبتدئ بأصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولا ينتهي إلّا بقيام الساعة؛ وإنّ لهم في بدعهم وضلالاتهم سلفاً طالحاً يبتدئ من الشّيطان، ولا ينتهي إلّا بقيام الساعة." (1) فنكرار عبارة " ولا ينتهي إلّا بقيام الساعة " مرتين في فقرة وجيزة فيه انسجام إيقاعي رائع للبنيات اللفظية ذاتها، يوحي بالصّراع الدائم بين الحقّ والباطل، بين العلم والجهل، بين العالم والجاهل، بين السّنة والبدعة، بين أهل الصّلاح وأهل الطّلاح، وهو صراع أزلي وسيظلّ، تشير إليه عبارة (قيام الساعة) وسيستمر إلى أن يرث الله الأرض و من عليها.

أخيراً: لقد عبّت رسائل الإبراهيميّ بالتّكرار، ولا يمكن الجزم إذا كان ذلك متعمّداً أو عرضاً؛ لأنّ هناك من يعدّ التّكرار من عيوب الكتابة، ومن الوسائل التي تفسد الخطاب. فقديمًا قال الفيلسوف أرسطو (Aristotle) ( 384 ق.م - 322 ق.م ) في التّكرار إنّه: " العامل الذي يمزّق ويحطّم الأسلوب الجيد." (2)

فليس عيباً أن يكرّر الإبراهيميّ لأتفه يكتب بالأسلوب الأدبيّ لا العلميّ. يقول أحمد الشّايب: " ومن ناحية التّكرار لا ترى في الأسلوب العلميّ تكرار الفكرة وتردّدها، ولكن الأسلوب الأدبيّ يأخذ المعنى الواحد، ويعرضه علينا في عدّة صور بيانية مختلفة، تمثّل الإجلال والإعظام ثمّ انظر إلى فكرة الضّخامة

(1) محمّد البشير الإبراهيمي: المرجعان السابقان.

(2) Michael Tilmouth: "Repeat", The New Dictionary of Music. P.66 .

تجدها مرّة في صورة علم، وأخرى في صورة هضبة، وثالثة فوق الجبال والهضاب، وكذلك فكرة الخلود تجدها مصوّرة عدّة صور، والخلاصة أنّ بينّ الأسلوبين فرقا في المصدر والغاية والوسيلة.<sup>(1)</sup> وهاهو ذا الجاحظ يعزّز هذا المنحى فيقول: "وليس التكرار عبثا مادام لحكمة كتقرير المعنى أو الخطاب الغبيّ أو السّاهي، كما أنّ ترداد الألفاظ ليس بعبث ما لم يجاوز مقدار الحاجة ويخرج إلى العبث..."<sup>(2)</sup>

والإبراهيمي بما أوتي من رصيد لغويّ وبلاغيّ محترم، لم يفته أن يستفيد من التكرار بأنواعه، كما تبيّن، لتأكيد فكرة أو تنبيه لأمر ما أو تحذير من حدث جلل، وكما لاحظنا فقد زاد التكرار في نصوصه نغما وموسيقى، أضفت على جملة الجمال والألق، لا يشعر القارئ معه بالملل، ولا يُستثنى من ذلك إلاّ النّزر القليل جدّا من التكرار في رسائله - كما وضّحناه آنفا - ربما أملتته ضرورة عدم مراجعة المکتوب لانشغالاته الكثيرة، وعدم اضطلاع غيره بمهمّة إعادة النّظر قبل النّشر، فورد فيها شيء من التكرار المملّ دون قصد.

(1) أحمد الشّايب: الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ص: 60.

(2) الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص: 79.

## ثالثاً/ الجناس في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

## 1. الجناس (التجنيس): (Alliteration)

الجناس فنّ من الفنون البديعية اللفظية، وهو أحد علوم البلاغة العربية التي درسها العلماء، وكتبوا فيها، وبيّنوا أنواعها و أثرها في الجمل والتّصووص. وهو علم يختصّ بتحسين أوجه الكلام اللفظية، وقد تعاقب على ضبطه كمصطلح بلاغيّ كثير من البلاغيين من أمثال الخليفة العباسيّ الأديب عبد الله ابن المعتزّ، وقدامة بن جعفر وغيرهما، وأطلقوا عليه أسماء عديدة ومشابهة، نحو: (التّجنيس)، و (المجانسة) و (المجانس)، ليستقرّ أخيراً على مصطلح (الجناس). فما هو الجناس؟

## 1.1. تعريف الجناس:

وهو من المحسنات البديعية، ومن الوسائل التي يستعين بها الأديب لإظهار مشاعره وعواطفه وللتأثير في النفس، وهذه المحسنات تكون رائعة إذا كانت قليلة ومؤدبة المعنى الذي يقصده الأديب. أمّا إذا جاءت كثيرة ومتكلفة فقدت جمالها وتأثيرها وأصبحت دليل ضعف الأسلوب، وعجز الأديب.

وقد "وجدنا أنّ هذا الفنّ لم يكن ليستقرّ حتّى في اسمه بتباعد زمن العلماء القدماء، فمنهم من أسماه (تجنيساً)، والآخر أطلق عليه اسم (المجانس)، أو (الجناس) أو (المجانسة)".<sup>(1)</sup> أمّا صاحب العمدة فقد عرّف الجناس بقوله: "ما اتّفقت فيه الحروف دون الوزن رجع إلى الاشتقاق أم لم يرجع".<sup>(2)</sup>

وغير بعيد عن هذا التعريف أورد صاحب "الصناعتين" مفهومه للجناس بقوله: "التّجنيس أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كلّ واحدة منهما صاحبتهما في تأليف حروفها".<sup>(3)</sup> ومعناه: "استعمال لفظين يرجعان إلى مادّتين مختلفتين أو مادّة واحدة تمخّضت مع كلّ دالّ من الاثنتين إلى التعبير عن معنى خاصّ، متقاربتين أو متحدتين في الأصوات، ومختلفتين في المعنى".<sup>(4)</sup> وفي تعريف آخر للجناس: هو ضرب آخر من التكرار اللفظيّ وذلك بأن تُعطى للفظة أكثر من معنى، وإذا لم تتحقّق في الجناس هذه الفائدة العقلية كان ضعيفاً أو مستهجناً.<sup>(5)</sup>

(1) ثويني حميد آدم: البلاغة العربية، المفهوم والتّطبيق، دار المناهج للتوزيع والنشر، عمان، ط1، 2007، ص: 349 .

(2) القيرواني أبو علي الحسين بن رشيق: العمدة في صناعة الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط4، 1972، ص: 28/1.

(3) العسكري أبو هلال: الصناعتين، الكتابة والشعر، ص: 321.

(4) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشّوقيات، المطبعة الرسمية للجامعة التونسية، تونس، ط1، 1981، ص: 65.

(5) محمد خلف الله أحمد: في الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، مطبعة لجنة التّأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (دط)، 1947، ص: 116.

وقد جاء في كتاب "علوم البلاغة"<sup>(1)</sup>: الجناس (التجنيس): لغة هو: مصدر جانس الشيء الشيء شاكله، واتحد معه في الجنس.

## 2.1 أنواع الجناس:

أ- الجناس التام (الموجب): وهو ما اتفقت فيه الكلمتان في أربعة أمور: نوع الحروف وعددها وترتيبها وضبطها، مثل: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾.<sup>(2)</sup>  
ونحو (صليت المغرب في أحد مساجد المغرب)، ونحو: (يقيني بالله يقيني)، ونحو: (أرضهم مادمت في أرضهم)، وكقول القسطلي<sup>(\*)</sup>:

فَمِنْ رَاحَةٍ رِيحِهَا الْأَزْتِيَاخُ \* \* \* وَمِنْ مَاءٍ صَادٍ إِلَى كُلِّ صَادٍ

صاد الأولى: بمعنى أصيد؛ وصاد الثانية: بمعنى الظامئ.

ب - الجناس الناقص (غير التام): فهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من نوع الحروف أو عددها أو هيئتها أو ترتيبها.<sup>(3)</sup>

1 - الاختلاف في نوع الحروف: مثل قول أبي فراس الحمداني<sup>(\*\*)</sup>:

مِنْ بَحْرِ شِعْرِكَ أَعْتَرِفُ... وَيَفْضُلُ عِلْمِكَ أَعْتَرِفُ

2 - الاختلاف<sup>(\*\*\*)</sup> في عدد الحروف: كقول الشاعر ابن جبير:

فَيَا رَاكِبَ الْوَجْنَاءِ هَلْ أَنْتَ عَالِمٌ \* \* \* فِدَاؤُكَ نَفْسِي كَيْفَ تَلِكَ الْمَعَالِمُ

معنى الوجناء: الناقة الشديدة.

(1) أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الثالثة، 2012.

(2) سورة الزوم، الآية: 55.

(\*) ابن دراج القسطلي: (347 هـ/958م) - (421 هـ/1030م) كاتب وشاعر الحاجب المنصور. ولد في قرطبة لأسرة أصولها ن بربر صنهاجة كانت تسكن قرية « قسطلة دراج » غرب الأندلسه، ولابن دراج ديوان شعر مطبوع. توفي في 16 جمادى الآخرة 421 هـ. (ينظر، ابن دراج القسطلي (الموسوعة) <https://www.wikiwand.com/ar>).

(3) أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية بيروت، (دط)، 1999م.

(\*\*) أبو فراس الحمداني هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني التغلبي الرّبيعي، (320 - 357 هـ / 932 - 968 م) [هو شاعر وقائد عسكري حمداني، وهو ابن عم سيف الدولة الحمداني أمير الدولة الحمدانية التي شملت أجزاء من شمالي سوريا والعراق وكانت عاصمتها حلب في القرن العاشر للميلاد. عاصر المتنبّي وأسير في إحدى المعارك مع الروم. (ينظر، أبو فراس الحمداني، الموسوعة الحرّة) ويكيبيديا، (<https://ar.wikipedia.org>).

(\*\*\*) وهناك صور أخرى للاختلاف منها: - الاختلاف في الترتيب : مثاله قول الشاب الطريف وهو من شعراء العصر المملوكي:

سَاقٍ يُرِينِي قَلْبُهُ قَسْوَةٌ \* \* \* وَكَلَّ سَاقٍ قَلْبُهُ قَاسِي

الجناس في كلمتي: "ساقٍ وقاسي" وهو جناس ناقص وقع في ترتيب الحروف إذ اختلفت اللفظتان في المعنى وفي ترتيب الحروف، واتفقتا في عدد الحروف ونوعها وهيئتها.

- الاختلاف في الضبط : كقول المعري: وَالْحُسْنُ يَظْهَرُ فِي بَيْتَيْنِ رَوْنَقُهُ \* \* \* بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ

- (ينظر، الفرق بين الجناس الناقص والجناس التام، موقع سطور (<https://sotor.com>)).

وهناك أنواع أخرى للجناس كالمتكافئ، والمحرف، والمقلوب، والمزدوج، والمستوفى، والتركيب والمضارع، واللاحق، والمطرف، والمكتنف، والمذيل، والمحرف، والمصحف، والقلب (القلب الكلي، قلب بعض، المجرع، المستوي) (1). وإنما يأتي الأديب بهما (الكلمتين) هكذا ليثير السامع مرتين: **أولاهما: حين يوهمه للوهلة الأولى بأنّ المعنى منهما واحد.**

**والثانية: حين تنتبه قدرات السامع لمعرفة المعنى المراد من الكلمة الثانية، عندما يدرك أنّ المقصود بها معنى آخر.** (2)

والجناس - كما يراه النقاد - خداع وإيهام وإثارة، وهو ما ذهب إليه الجرجاني في كتابه المشهور (دلائل الإعجاز): "ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة، وكأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك أنه لم يزدك، وقد أحسن الزيادة ووقاها... ولهذه النكتة كان التجنيس، وخصوصا المستوفى منه من حلى الشعر." (3)

**3.1 جماليات الجناس:** الجناس يحدث نغماً موسيقياً يثير النفس، وتطرب إليه الأذن. كما يؤدي إلى حركة ذهنية تثير الانتباه عن طريق الاختلاف في المعنى، ويزداد الجناس جمالاً إذا كان نابعاً من طبيعة المعاني التي يعبر عنها الأديب، ولم يكن متكلفاً، وإلا كان زينة شكلية لا قيمة لها. يقول **عبد القاهر الجرجاني** عن جمال الجناس في أسرار البلاغة: "وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً، ولا سجعا حسناً، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه، وساق نحوه، وحتى تجده لا تتبغى به بدلاً، ولا تجد عنه طولاً، ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقه بالحسن وأولاه: ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه وتأهّب لطلبه، أو ما هو لحسن ملاءمته وإن كان مطلوباً بهذه المنزلة وفي هذه الصورة." (4)

وللجناس أيضاً أهمية أخرى من جانب الإيقاع الصوتي، فهو يعطي انسجاماً صوتياً، وتوافقاً موسيقياً بين الكلمات والألفاظ لما بينهما من تشابه في الوزن والصوت: "فالانسجام هو سرّ الجمال والجناس لما فيه من عاملي التشابه في الوزن والصوت، من أقوى العوامل في إحداث هذا الانسجام، وسرّ قوته كامن في كونه يقرب بين مدلول اللفظ وصوته من جهة وبين الوزن الموضوع في اللفظ بما يسبغه عليه من الدنونة من جهة أخرى." (5)

(1) ينظر، عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، المجلد الرابع، مكتبة الآداب، ط 17، 1426هـ-2005م، ص: 640 إلى 646.

(2) سلطان محمد: البلاغة العربية في فنونها (البدع والبيان)، دار العصماء، دمشق، ط1، 2005، ص: 55.

(3) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 242.

(4) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تع على حواشيه: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988، ص: 7.

(5) عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط3، 1989، ص: 262.

## 2.جماليّات الجناس في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

الظاهر أنّ الإبراهيميّ وهو يجنح إلى استخدام الجناس بوصفه محسنًا بديعيًا ليس لضعف لغويّ يريد أن يداريه، أو متكلّف لهذه البلاغة ليظهر براعته اللغويّة والبلاغيّة. إنّما هو توظيف سلس يخرج عن عبقرية فذة أصيلة نابعة من رجل فحل لانت له أسرار البلاغة، وأساليبيها، فهي تصدر عنه بكلّ عفوية كالماء الزلال ينساب من منبع صاف رقيق من قلب الأرض؛ ليحقّق نغما موسيقيًا في جملة، بل في نصوصه كافة، على طريقة العرب القدامى الذين أتقنوا الصنعة، فاتّهموا بالتصنّع. "والجناس في مذهب كثير من أهل الأدب غير محبوب؛ لأنّه يؤديّ إلى التّعقيد، ويحوّل بين البليغ وانطلاق عنانه في مضمار المعاني، اللهمّ إلّا ما جاء منه عفوا وسمح به الطّبع من غير تكلف." (1)

وقد وجدنا أنواعا من الجناس، وهو كثير جدًا لا يكاد القارئ يمرّ على نصّ إلاّ ويجد فيه جناسا بديعا؛ نظرا لإيمان الكاتب بضرورة توظيفه؛ لما له من جمال على النصوص، وفي الجمل والعبارات المختلفة بعيدا عن التكلّف، والتصنّع التقليديّ المقوت. ومن أمثلة الجناس في رسائل الإبراهيميّ ما يلي:

## 7- أ الجناس الناقص في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

وظّف الإبراهيميّ في رسائله تجنيسا كثيرا وبشكل لافت، وبخاصّة الجناس الناقص، وقد تفتّن في استخدامه. فإذا تأملنا رسائله، نجده قد نوع في تشكيله تشكيلا رائعا وبديعا، فهو لا يكتفي فقط بتوظيفه تقليديًا (كلمة، كلمة) كما هو متعارف عليه؛ وأنّما يتفتّن في رسمه بشكل أعطى مسحة إبداعية على جملة ونصوصه كما سنبيّن لاحقا.

يقول الإبراهيميّ في إحدى رسائله متحدّثا عن اشتياقه للجزائر ولجمعيّة العلماء: "و الله ما أنسانيهما تبدّل المناظر، وتنوع الأشخاص، ولا لفتني عنهما تعاقب المحاسن على بصري، وتوارد معانيها على بصيرتي، بل كانتا دائما شغلّ خاطري، ونجوى سرائري، وطالما طرقتني منهما أطياف كأنّها أسياف، فأرتاع وألتاع، وأكاد أظير شوقًا، ثمّ يمسح ذلك كلّه عن نفسي أنّ في سبيلهما سكوني واضطرابي، ولو خرجتُ تاجرا لكنت في الأخسرين صفقة، ولو خرجتُ متروحا لكنت كمن هجر الجامّ ومديره، والرّوض وغديره، إلى جفّة السّفَر (المسافرين)، وجفّاء القفر." (2)

فهو - هنا - يجانس بين (بصري و بصيرتي)، وما بين (أطياف و أسياف)، وما بين (أرتاع و ألتاع) وما بين (مديره - غديره)، وبين (جفّة السّفَر - جفّاء القفر).

(1) علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، دار المعارف، مصر، (د ط)، 1999، ص: 265.

(2) الإبراهيمي: رسالة تحية غائب كالآيب، البصائر، العدد: 229، في 15-05-1953. (يمكن الاطلاع على نص الرسالة كاملا في الملحق،

ص: 362).

وفي رسالته مخاطبا الطلبة الجزائريين المهاجرين\*: " لا يعذلكم في حبّ وطنكم إلا ظالم، ولا يصرفكم عن إتقان وسائل النّفع له إلا أظلم منه، أنتم اليوم جنود العِلْم، فاستعدّوا لتكونوا غدا جنود العمل".<sup>(1)</sup>

وفي هذه الفقرة يجانس بين (ظالم و أظلم)؛ وما بين (العِلْم و العمل).

وفي موضع آخر كتب متحدثا عن الإدارة الفرنسيّة: "وعادت لعرها (لميسنا) في كلّ ما جرى من انتخابات في السّنة الماضيّة، لما رأّت المسلمين بدأوا يقدّرون الانتخاب حقّ قدره، ويعرفون له قيمته وبدأوا يتذوّقون معنى الديمقراطيّة التي أمات الاستعمار معناها الإسلاميّ في نفوسهم، فكدرت لهم شربها بتدخّلها العلنيّ، وبما تستخدمه من وسائل التّريغيب والتّرهيب، إلى أن كشفت في الانتخابات الأخيرة عن سرّها، وصرّحت عن سرّها، وكان ما كان، ممّا صدق الخبر فيه العيان".<sup>(2)</sup>

" إنّ بُعدك، أتعب من بُعدك."

" سلام يتنفّس عنه الأقاح بأزهاره وإيراقه، ويتبسّم عنه الصّباح بنوره وإشراقه."

"وثناء يتوهّج به من عنبر الشّجر عبيره، ويتبلّج به من بدر التّمام على الرّكاب الخابط في الظّلام منيره".

" أمّا الحكومة الجزائريّة فإنّها تتعمّد تلك المعنويات بالقتل الوجيّ، عمدا مع الإصرار وجها ليس فيه إسرار".

جناس بين كلمتي (الإصرار وإسرار). فقد تشابهتا في معظم الحروف واختلفتا في حرف واحد هو الحرف الثّاني. فالإصرار هو: الثّبات على الأمر ولزومه، والإسرار هو: الكتمان. يقول: " ولو علموا أنّ العرب تقول: خطيب وِعْوَعُ فيكون مدحا، وخطيب وِعْوَاعُ فيكون ذمّا، ولهم في كلّ كلمة مرمي من الاشتقاق مصيب، لو علموا ذلك ونحوه من أسرار الاشتقاق، وهو باب من أبواب، وفصل من كتاب، وقزعة من سحاب، لأقلعوا عن غيهم وكفّوا من غلوائهم، ولكنّه الجهل يعمي ويصمي".<sup>(3)</sup>

فالجناس -هنا- جعله بين (وِعْوَعُ - وِعْوَاعُ)، وما بين الفعلين المضارعين (يعمي - يصمي)، وقد اتّفقت في معظم الحروف؛ واختلفت في البعض.

والمعنى: وِعْوَعُ: خَطِيبٌ وِعْوَعٌ: بليغٌ. - وِعْوَاعُ: خطيب مهذّرٌ.

والفعل يعمي. يعني: يجعله أعمى. - يصمي. يعني: يجعله أصمّ.

(\* ينظر، نصّ الرسالة كاملا في الملحق من هذا البحث، ص: 381.

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الطلبة المهاجرين، آثار الإمام، ج1، ص: 204.

(2) الإبراهيمي: عادت لعرها لميس، آثار الإمام، ج3، ص: 343.

(3) الإبراهيمي: رسالة الضّب، آثار الإمام، ج2، ص: 42.

وفي رسالته إلى تلميذه الأستاذ أحمد قصبية، نجد في الفقرة السادسة جناساً جميلاً، حيث يقول: "إن في الجوّ عَبْرَةً، يثيرها الفجرة، ولا يطفئ وهجها إلاّ الأبناء البررة، وإياكم أعني، وإن في الأرض أحابيل منصوية، لذوي الحقوق المغصوبة، تُنسي جميع ما سبقها من الأحابيل، والجور الوبيل." (1)

فقد جانس بين كلمتي: **منصوبة** و**المغصوبة**، وهو جناس ناقص، جاء على صيغة اسم المفعول. وهو توظيف عاديّ للجناس الناقص يأتي بمفرده ثمّ يجانسها مع مفردة أخرى أو أكثر تختلف في حرف أو حرفين في الغالب. لكن ما يلفت الانتباه هو خرق الإبراهيمي لهذه القاعدة، وتمرّده على استخدام الجناس الناقص بشكل جديد و بديع، يبرهن فيه على مدى قدرته على التلاعب باللغة وتحكمه فيها وتشكيلها كيفما يريد، إلى درجة أبداع في الإتيان بتجسيات بديعة، لا يمكن لأيّ كان أن يجاريه فيها إلاّ ما ندر. ويمكن أن نشير إلى بعض مظاهرها فيما يلي:

### 7-أ-1 التّجانس بين عناصر الجمل الاسميّة:

لقد تفنّن الإبراهيمي في توظيف نوع جديد من الجناس. حيث أبداع في الإتيان بنوع لا قبل للأدباء به، فهو يأتي بجملتين اسميتين قصيرتين، تشكّل الأولى جناساً مع عنصريّ التّانية، على نحو: "ومحاضراتي في المحافل الحاشدة في الشرفين هي فضائلها شائعة، ومفاخرها ذائعة، ومباخرها ضائعة وأعمالها تمجيد لها ورفع لشأنها..." (2)

فالكلمة الأولى (**مفاخرها**) جناس مع كلمة (**مباخرها**)، وكلمة (**ذائعة**) جناس مع كلمة (**ضائعة**) فتكون الجملة الاسميّة الأولى بعنصريّها جناساً مع الجملة الاسميّة التي تليها، وهو ما يمكن أن نصطلح عليه بالجناس الجُمليّ، وهو نادر جدّاً في استخدامات الأدباء، وربما تفرّد الإبراهيمي بذلك.

والجناس ما بين (**مفاخرها و مباخرها**) من نوع **الجناس اللاحق** "وهو ما كان الحرفان فيه متباعدين في المخرج." (3)

وفي مثال آخر من الجناس اللاحق نجده بين عنصرين في جملة، متجانسا مع عنصرين في جملة موالية، كما في قوله: "ولو خرجت تاجرا لكنت في الأخرسين صفقة، ولو خرجت متروّحا لكنت كمن هجر الجامّ ومديره، والرّوض وغديره، إلى **جفاة السّفَر** (المسافرون)، و**جفاء القفر**." (4)

فلاحظ كيف وظّف كلمة (**جفاة**) من الجملة الأولى وجانسها مع مفردة (**جفاء**) من الجملة التّانية مع اختلاف في الحرف الأخير، وأورد كلمة (**السّفَر**) في الجملة الأولى و جانسها مع مفردة (**القفر**) من

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى أحمد قصبية، مجلة الثقافة، العدد: 87، ماي/يونيو 1985.

(2) الإبراهيمي: تحية غائب كالآيب، آثار الإمام، ج 4، ص: 183-184. /البصائر، العدد: 229.

(3) عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية، ص: 202.

(4) الإبراهيمي: تحية غائب كالآيب، ج 4، ص: 184.

الجملة الثانية، مع اختلاف في الحرف الأول، فيكون بذلك قد جانس عنصرين اسميين مع عنصرين اسميين آخرين.

والجناس ما بين (ذائعة وضائعة) من الجناس المضارع، وهو ما كان فيه الحرفان اللذان وقع فيهما الاختلاف متقاربين في المخرج<sup>(1)</sup> وقد وقع الاختلاف - هنا - في أول الكلمتين.

### 7-أ- 2 الجمع بين الجناس والطباق:

وقد جمع الإبراهيمي في سابقة بلاغية فنيّة فريدة، بين الجناس الناقص، وبين الطباق في كثير من الرسائل، فلا يمكن أن تجزم معه هل هو يقصد الجناس لذاته؛ أم هو ساعٍ للطباق ليحقق رغبة فنيّة في نفسه وفي المتلقّي؟

فعلى سبيل المثال قول الإبراهيمي وهو يتحدّث عن تلاعب فرنسا المستعمرة بالانتخابات في الجزائر: "فكّرت لهم شربها بتدخلها العليّ، وبما تستخدمه من وسائل التّرهيب و التّرهيب، إلى أن كشفت في الانتخابات الأخيرة عن سرّها، وصرّحت عن سرّها، وكان ما كان ممّا صدق الخبر فيه العيان."<sup>(2)</sup> نلاحظ كيف جمع بين كلمتي ( التّرهيب و التّرهيب )، وكتاهما تشكّان جناسا ناقصا، وفي الوقت نفسه تشكّان طباق السّلب.

### 7-أ- 3 تعدّد في الجناس المسجوع:

يميل الإبراهيمي كثيرا إلى تكرار الجناس الناقص إلى أكثر من مفردتين، فنجده يجانس بين ثلاث كلمات وفي الوقت ذاته تشكّل فواصلها سجعا. فهاهو ذا يتملّ ذلك في قوله: "ومحاضراتي في المحافل الحاشدة في الشّرقين هي فضائلها شائعة، ومفاخرها ذائعة، ومباخرها ضائعة، وأعمالي تمجيد لها ورفع لشانها، وتنويه بنهضتها وتشريف " لجمعية علمائها"، وما الجزائر إلّا جمعية العلماء، لولاها لكانت الجزائر مثل جزائر واق الواق اسما يجري على اللسان، ومسمّى معدوما في الوجود، لا ينكر هذا إلّا صبيّ أو غبيّ، أو عقل وراءه خبيّ."<sup>(3)</sup>

فالكلمات الثلاث (شائعة؛ ذائعة؛ ضائعة) تشكّل جناسا ناقصا جميلا، اتّقت كلماته في معظم الحروف (ائعة)؛ واختلفت في الحرف الأوّل (ش، ذ، ض) وقد تعدّدت في فقرة واحدة، على صيغة اسم الفاعل المؤنّث (فاعلة)، يمكن أن نصلح عليها الجناس المتعدّد، أو تعدّد الجناس.

(1) عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية، ص: 201.

(2) الإبراهيمي: عادت لعرثها لميس، آثار الإمام، ج3، 343/البصائر، العدد: 64، في: 24-01-1949.

(3) الإبراهيمي: تحية غائب كالأيب، آثار الإمام، ج4، ص: 184، والبصائر، العدد: 229.

والشأن نفسه في الكلمات الثلاث في الجزء الأخير من الفقرة حيث جانس متعددا بينها فأورد (صبي؛ غبي؛ خبي) على صيغة الصفة المشبهة (فعل). حيث تجانست في الحرفين الثاني والثالث (الباء والياء المشددة)؛ واختلفت في الحرف الأول (ص، غ، خ).

وكذلك نجد هذا الجناس المتكرر (المتعدد) في قوله وهو يوجه خطابه للزاهري الطريقي: "أزم دينك باسم دينك، واخذع أمتك باسم أمتك، واكذب على تاريخك باسمه، وعف رسومه بما بقي من رسمه... أجهز على البقية الباقية ولك مني الجنة الواقية، والمنزلة الراقية، وفي خدمتك المذيع، وفي نصرتك الأتباع والأشياء..."<sup>(1)</sup> فقد جانس متعددا بين ثلاث كلمات هي (الباقية، الواقية، الراقية)، جاءت كلها على وزن (اسم الفاعل)، مع ملاحظة تكرار حروف السجع في كل الجناس.

وفي رسالته إلى العلامة (أبي الأعلى المودودي\*)<sup>(2)</sup> نقرأ مجموعة من التجنيسات في فقرة واحدة يقول فيها: "وصلتني رسالتكم فوردت على قلب مفعم بحبكم في الله، وعلى نفس مملوءة بعرفان قدركم والتعالي في قيمتكم، وذهن عامر بأعمالكم للإسلام، وتفانيكم في تجلية حقائقه والذود عن حياضه في وقت قل فيه الذادة عنه، والقادة إليه، والسادة به، فما منّا إلا المذود المقود المسود."<sup>(2)</sup> فيها جناس ناقص بين ثلاث مفردات، ثم جانس بين ثلاث أخرى من جنس الثلاثة الأولى. الجدول رقم(1) الجناس الناقص بين الثلاث المتجانس.

نوع الجناس	العبارة	نوع الجناس	العبارة
ناقص	المذود	ناقص	الذود - الذادة عنه
ناقص	المقود	ناقص	الذادة عنه - والقادة إليه
ناقص	المسود	ناقص	والقادة إليه - والسادة به

وهذا النوع من الجناس يطلق عليه علماء البلاغة الجناس المصحف: "هو ما اتفق فيه ركنا

الجناس، أي لفظاه في عدد الحروف وترتيبها، واختلفا في النطق."<sup>3</sup>

بل وجدناه يعدد في الجناس الناقص في فقرة أربع مرات بأسلوب أقسم فيه بالله - تعالى - مستخدما كلمات قصيرة جدا. يقول: "فوالذي خلق الضبّ والدبّ، وأنبت النجم والأبّ، فخلق النوى والحبّ لقد أذكرني ضبكم بما كنت أحفظه عما قيل في الضبّ وعلى لسانه، وما ضرب من الأمثال المتعلقة به ما لو خلعت عليه أيام الصبا جُودا، ونفضت عليه ماء الشباب مِدادا ومُددا، لم أكن لأذكره."<sup>(4)</sup>

(1) الإبراهيمي: عادت لعتراها لميس، آثار الإمام، ج3، ص: 341. والبصائر، العدد: 64.

(\*) ينظر، نص الرسالة كاملا في الملحق من هذا البحث، ص: 394.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى أبي الأعلى المودودي، آثار الإمام، ج5، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، ص: 161.

(3) عبد العزيز عتيق، المرجع السابق، ص: 210.

(4) الإبراهيمي: رسالة الضبّ، آثار الإمام، ج2، ص: 40.

فقد عدّ الجناس الناقص بين عدد من المفردات، حيث جانس بين أربعة أسماء هي: (الضَبّ والدَّبّ والأبّ والحبّ)، فجانس بين الكلمتين الأوليين وهما اسمان لحيوانين؛ وأتبعهما باسمين لثمار تؤكل. وهو من نوع اللّاحق، حيث اختلفت الأسماء في الحرف الأوّل (الضاد، الدال، الباء، الحاء) مع الشّكل.

ثمّ عدّ الجناس بين ثلاث كلمات مرّة أخرى هي: (جُددا مِدادا ومُددا).

وفي إحدى رسائله إلى تلميذه الأستاذ (أحمد توفيق المدني) نجد الجناس التّالي: "... فهذا بعثتُ أعزّيكم على فُقْدِ ذلك البحر الذي غاض، بعد أن فاض، ببقاء آثاره في الحياض وأنهاره في الرّياض."<sup>(1)</sup> هنا أيضا نجده قد عدّ في جناسه بين أربع كلمات، الأوليان بين فعلين ماضيين (غاض-فاض) والأخيران بين اسمين هما (الحياض - الرّياض).<sup>(2)</sup>

فقد اختلف الفعلان في الحرف الأوّل فقط ( الغين، الفاء)؛ وكذلك اختلف الاسمان في أوّل الحرف (الحاء، الرّاء).

#### 7-أ- 4 التّجانس بين أقطاب الجمل:

أبدع الإبراهيمي في الإتيان بمظهر آخر من الجناس الناقص، وأتقن صياغته، كأن يأتي بجمليتين في فقرة تتضمّن كلّ منهما كلمتين، فيجانس الكلمة الأولى من الجملة الأولى، مع الكلمة الأولى من الجملة التّانية، ثمّ يجانس الكلمة الأخيرة من الجملة الأولى مع الكلمة الأخيرة من الجملة التّانية. تماما كما في رسالته البديعة "مناجاة مبتورة لدواعي الضّرورة" وهو يؤنّن أخاه العلّامة ابن باديس بعد سنة من رحيله: "وسلامٌ من أصحاب اليمين، وغيوثٌ من صوادق الوعود، لا صوادق الرّعود لا تخلف ولا تميم وسحائب من الرّحمت تنهل سواكبها، وكتائب من المبشّرات تزجي مواكبها."<sup>(3)</sup>

وهو جناس ناقص من نوع الجناس اللّاحق، وهو عكس الجناس المضارع. فإذا كان هذا الأخير اختلافه يكون متقارب المخرج فاللّاحق على عكس ذلك. فالاختلاف جاء في أوّل الحروف (السّين مع الكاف)، و(السّين مع الميم). وهو ما يكشف القدرة العجيبة للإبراهيمي في صياغة الجناس بشكل ربما لم يعهده النّاس من قبل. فللّه كيف تسنّى له أن يجانس بين (سحائب وكتائب) وما بين (سواكبها ومواكبها)؟!

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى أحمد توفيق المدني، آثار الإمام، ج2، ص: 37.

(2) غاض: [غ ي ض]، يغيض، مص. غيَض. "غاض الماء": غاب في الأرض. "غاض ماء التّرع ولم يبق منه شيء"، ويقال: "غيض الماء فاض: فاض النّهْر: كثرت مياهه وسالت من ضيفته. (ينظر، معجم المعاني الجامع، مادة " ف ي ض ").

الحياض: مفردة: حوض، ويجمع على أحواض، و حياض، و حضان، وهو: مجتمع الماء. (ينظر، معجم المعاني الجامع، مادة " حوض ").

الرّياض: ج م روضة، وهي: الأرض المخضرة بأنواع النباتات، سميت بذلك لاستراحة الماء فيها.

والاستراحة: كثرة الكأ والماء في المكان، ولم يسموا بالجمع "روض"، ولكنهم سموا: "رياض". وقال تعالى بصيغة الجمع: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ [الشورى: من الآية 22] أي في أطيب بقاع الجنّة وأنزهها. (ينظر، قاموس معاني الأسماء: مادة " روضة").

(3) محمّد البشير الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لدواعي الضّرورة، البصائر، العدد: 76.

## 7-أ-5 التجانس بين المادي والمعنوي:

مرة أخرى نجد الإبراهيمي قد وظّف الجناس الناقص، وجمع فيه بين المعنوي والمادي حيناً؛ وما بين المادي والمعنوي حيناً آخر، كما في قوله: "...وكلّهم لا يعرفون معنى للعيب، إذا امتلأ الجيب، ولا يأبه للعار، وإن دخل النار، ولا كعاصمي الزرد يأكل الدنيا بالدين، ويضل عن سبيل المهتدين."<sup>(1)</sup>

فقد جانس ما بين (العيب والجيب)، وما بين (العار والنار)، فالعيب والعار مفردتان لأمرين معنويين في حين (الجيب والنار) مفردتان لشيئين ماديين، بينما استخدم في نهاية الفقرة ذاتها تجنيساً بين المادي والمعنوي في قوله (الدنيا بالدين).

العيب + الجيب ← مادي + معنوي

العار + النار ← معنوي + مادي

الدنيا + الدين ← مادي + معنوي

## 7-أ-6 التجانس بين الأسماء:

بدا الإبراهيمي قادراً على اختيار الجناس، فمرة يجانس بين الأفعال، ومرة يجانس بين الأسماء يربط بينها برابط معيّن كقوله مثلاً: "وعادت لعترها (لميسنا) في كلّ ما جرى من انتخابات في السنة الماضية لما رأت المسلمين بدأوا يقدرّون الانتخاب حقّ قدره، ويعرفون له قيمته، وبدأوا يتدوّقون معنى الديمقراطية التي أمت الاستعمار معناها الإسلامي في نفوسهم، فكدرت لهم شربها بتدخلها العنّي وبما تستخدمه من وسائل التّرعيب والتّرهيب، إلى أن كشفت في الانتخابات الأخيرة عن سرها، وصرحت عن سرها، وكان ما كان، مما صدق الخبر فيه العيان."<sup>(2)</sup>، حيث جانس بين كلمتي (التّرعيب و التّرهيب)، وكلاهما اسمان جاءا على وزن (تَفْعِيل) من الفعلين (رَعَبَ/ رَهَبَ)، وهما كلمتان متضادتان في المعنى ومتجانستان، فقد تجانستا في معظم الحروف (1و2/4و5)، (التّاء، الرّاء/الياء الباء)، واختلفتا في الحرف الثالث (3)، (الغين/الهاء). وهما في الوقت ذاته يشكّلان طباقاً إيجاباً جميل.

والتّرعيب: كلّ ما يشوّق المدعوّ إلى الاستجابة، وقبول الحقّ والنّبات عليه.<sup>(3)</sup>

أما التّرهيب فهو: كلّ ما يخيف ويحدّر المدعوّ من عدم الاستجابة، أو رفض الحقّ، أو عدم

النّبات عليه قبوله.<sup>(4)</sup>

(1) محمّد البشير الإبراهيمي: عادت لعترها لميس، المرجع السابق، ج3، ص:341.

(2) الإبراهيمي: عادت لعترها لميس، آثار الإمام، ج3، ص: 343 .

(3) عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1993م، ص:437.

(4) عبد الكريم زيدان: المرجع نفسه، ص: 437.

وفي رسالة الإبراهيمي (دمعة على المنصف) نجده يستخدم جناسا ناقصا بديعا في أول الرسالة حيث يقول: "يعزّ على هذا القلم الذي لا يكاد يجفّ مدادُه، ولا تتقطع من القريحة أمداؤه، أن تصاب تونس العزيزة في مناط أملها، بل في نياط قلبها، فلا يسمع له جرس، ولا يصرّ بكلمة على طرس".<sup>(1)</sup> فقد جانس بين (مدادُه وأمداؤه)، وما بين: (مناط ونياط)، وأخيرا بين: (جرس و طرس)<sup>(2\*)</sup> وكلّها أسماء كما هو بيّن وواضح.

ففي هذا التّجنيس يقرّ الإبراهيمي بمدى سيولة حبره (مداده)، ومدى زخارة وغنى قريحته الولادة التي لا تكاد تنفد، فعزّ عليه أن لا يرثي (المنصف التّونسيّ) عزيز تونس الذي يعتبر (مناط) أملها في إخراجها من رجز الاستعمار الفرنسيّ، وهو (نياط) قلبها التّابض لبثّ روح النّورة ونفض الغبار على النفوس ألاّ تستسلم أو تخنع حتّى تحقّق الاستقلال لوطنها. فأمام أسر هذا الرّجل العظيم عزّ على قلم الإبراهيمي السّيال أن يبقى صامتا فلا يسمع له (جرس)، ولا يصرّ<sup>(\*)</sup> ولو بكلمة - في حقّ المظلوم، وفي باطل الاستعمار الغشوم - على (طرس)!

#### 7-أ- 7 التّجانس بين الأفعال:

كذلك نجد الإبراهيمي يجانس بين الأفعال كما في قوله: "ولكنّه الجهل يعمي ويصمي". فقد جانس بين الفعلين المضارعين (يعمي و يصمي)، وكلاهما متعلّق بتعلّط حاسّة من الحواس، البصر والسمع كأنّما الجهل مرض عضال، إذا حلّ بالعقل أفقده أثمن حواسّه. فلا يكاد يستبين السّبيل. وهو ما يتطابق مع الآية القرآنيّة الكريمة ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.<sup>(3)</sup>

(1) الإبراهيمي: دمعة على المنصف، البصائر، العدد: 49.

(\*) فالمداد: سائل يُكتب به، ويقال له جبر.

والإمداد: إمدادٌ - الجمع: إمدادات. [مدد]، (مصدر: أمدّ)، "إمدادُه بمُساعدَة": تَقْدِيمُ إِعَانَةٍ. (ينظر، عبد الغني أبو العزم: المعجم الغني، الزاهر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، مارس 2013م، مادة (إمداد)).

المناط هو: موضع التّعليق.

النّياط: جمع: أنوطَة، و نوط: عرقٌ غليظٌ علّق به القلبُ إلى الرّيتين. (ينظر، معجم المعاني الجامع، مادة "نياط").  
الجرس: أداة من نحاسٍ أو نحوه، مجوّفة، إذا حُرِّكَتْ تَتَدَبَّبُ فيها قطعةٌ صغيرةٌ صُلْبَةٌ، فيُسمعُ صوتُها. والجمع: أجراس.  
الطّرس: الكتابُ الذي مُجّي ثمّ كُتِبَ. والجمع: طُروسٌ، وأطرأس.

(\*) جاء في معجم المعاني الجامع، صرّ: صوت القلم على الورق، صرير الأقلام.

(3) سورة الأعراف، الآية: 179.

## 7-أ-8 التجانس في الجمل القصيرة والطويلة:

وقد جانس الإبراهيمي في رسائله بين كلمتين، تكون الأولى في نهاية جملة قصيرة؛ بينما تكون الثانية في نهاية جملة طويلة كقوله مثلاً: "وثناء يتوهج به من عنبر الشجر عبيره، ويتلجج به من بدر التمام على الزاكب الخابط في الظلام منيره."<sup>(1)</sup> حيث جانس بين كلمة (عبيره) وهي آخر كلمة في الجملة القصيرة نسبياً؛ وقد جانسها مع كلمة (منيره) وقد وردت في نهاية الجملة الطويلة.

وكذلك في قوله وهو يخاطب صاحبه ابن باديس في قبره: "يا ساكن الصريح، أكنّي؟ أم أنت كعهدي بك تُؤثر التصريح؟"<sup>(2)</sup>، فقد جانس بين كلمة (الصريح) وقد جاءت في نهاية جملة قصيرة جداً بينما جانسها مع كلمة (التصريح) وقد وردت في نهاية جملة طويلة. وهو ضرب من ضروب الجناس اللاحق.

## 7-أ-9 التجانس في الجمل الطويلة و القصيرة:

وأحياناً يوظف عكس هذا الجناس بحيث يجعل الكلمة الأولى في جملة طويلة، بينما يكون جناسها في جملة قصيرة، كما في قوله: "إلى أن كشفت في الانتخابات الأخيرة عن سرّها، وصرحت عن سرّها."<sup>(3)</sup> فكلمة (سرّها) جاءت في نهاية جملة طويلة نسبياً؛ بينما جانسها مع كلمة (سرّها) في نهاية جملة قصيرة جداً. فالاختلاف ورد في الحرف الأول من الكلمتين (السّين و الشّين).

## 7-أ-10 التجانس في الجمل المنسوخة:

ومن أروع ما وجدنا عند الإبراهيمي في رسائله أن جعل اسم النَّاسخ وخبره متجانسين في مثل قوله: "إنَّ الغَابِطَ لنا على هذه النّيباة خَابِطٌ في ضلالة."<sup>(4)</sup> فكلمة (الغابط) اسم إن منصوب، وظّفها متجانسة مع كلمة (خابط)، وهي واقعة خبراً مرفوعاً متأخراً نسبياً للنّاسخ نفسه (إنّ)، وهي من التّوظيف التّجنيسيّ النّادر جدّاً عند الأدباء.

كما قال جرير من البسيط، يهجو الأخطل:

يَأْرِبُّ غَابِطَنَا لَوْ كَانَ يَعْرِفُكُمْ \* \* \* لَأَقَى مُبَاعِدَةً مِنْكُمْ وَحَرَمَانًا<sup>(5)</sup>

(1) الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، آثار الإمام، ج2، ص: 54. / البصائر، العدد: 76.

(2) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 57.

(3) محمّد البشير الإبراهيمي: عادت لعترها لميس، آثار الإمام، ج3، ص: 343.

(4) محمّد البشير الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإبتنا نسيناه، ج3، ص: 367.

الخابط، كقولهم: تخبط الليل: تسير فيه على غير هدى. والغابط: هو من يتمنى مثل ما عند غيره لنفسه. وقيل المسرور. (ينظر، الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص: 491-492).

(5) جرير بن عطية الخطفي: ديوان جرير، دار صادر - بيروت - لبنان، ط3، السنة 2011، ص: 163.

وكقول ذي الرمة (77 - 117 هـ) من الطويل:

سَرَتْ تَخْبِطُ الظُّلْمَاءَ مِنْ جَانِبِي قَسًا \*\*\* وَحَبَّ بِهَا مِنْ خَابِطِ اللَّيْلِ زَائِرٍ<sup>(1)</sup>

### 7-أ- 11 التجانس بين أسماء الفاعلين وأسماء المفعولين:

وفي نمط آخر من الجناس الناقص لعلّه من خصوصيات الإبراهيمي، فقد تفتن في الاتيان بجناس يتوسّط جناسا آخر، وهي طريقة في التّوظيف لا قبل للكاتب والشّعراء بها، قديما وحديثا، وهاهو مرّة أخرى في " المناجاة المبتورة " يبرهن على تحكّمه في ناصية اللّغة بهذا النوع من الجناس، يمكن أن نصلح عليه "جناس يتوسّط جناسا" أو "الجناس المتداخل" أو "الجناس المحتضّن". يقول: " وسلام (... ) على مساجد كانت بعلمه ومواعظه معمورة، وعلى مدارس كانت بفيضه الزّاهر، ونوره الزّاهر مغمورة، وعلى جمعيات كان شملها بوجوده مجموعا، وكان صوته الجهير، كصوت الحقّ الشّهير، مدوّيا في جنباتها مسموعا."<sup>(2)</sup>

فقد جانس بين كلمتين على الصيغة نفسها (اسم المفعول) وتوسّطه بجناس على وزن (اسم الفاعل) ما بين (الزّاهر - الزّاهر) محتضنا بين جناس (معمورة - مغمورة)، ثم أعاد الكرة، فأتى بتجنيس آخر ما بين (الجهير - الشّهير)، وجعله محتضنا بين جناس (مجموعا - مسموعا).

### 7-أ- 12 التجانس بين صيغ المبالغة:

كما وجدنا الإبراهيمي يجانس بين كلمات متعدّدة، لكن هذه المرّة على وزن (صيغة المبالغة) مثل قوله في تأبينية صديق عمره، وتوأم روحه العلّامة عبد الحميد بن باديس الموسومة بـ (مناجاة مبتورة لدواعي الضّرورة): "يا ساكن الضّريح، متّ فمات اللسان القوال، والعزم الصّوال، والفكر الجوال"<sup>(3)</sup>.  
فالكلمات الثلاث (قوال، صوال، جوال) شكّلت جناسا ناقصا متعدّدا ومختلفا في الحرف الأوّل (القاف، الصاد، الجيم)، وهي مشتقات من أفعال معتلّة جوفاء وهي: (قال، صال، جال) على صيغة مبالغة واحدة هي: (فقال).

وهو جناس جاء منسجما مع شخصية العلّامة ابن باديس، فمنّ مثله ينقول إذا قال؟ ومن مثله زهد في كلّ شيء ليتفرّغ إلى الصّولان والجولان في كلّ مكان ليبلغ كلمة الله، وليصلح ما أفسده الدّهر والاستعمار وأشباه العلماء من أهل البدع والزّرد؟!

(1) ذو الرمة غيلان: ديوان ذي الرمة، تحقيق عبد القدوس، دار الكتب العلمية (دط)، 1415 - 1995، ص: 1683/3.

(2) الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لدواعي الضّرورة، آثار الإمام، ج2، ص: 55.

(3) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 55.

## 7-أ- 13 التّجانس بين المتباعد والمتقارب:

كما وجدنا الإبراهيمي قد وظّف جناساً من أروع التّجنيسات، حيث فرّق بين جناس في جملتين منفصلتين (جلال و جمال)، ثمّ عمد إلى الجمع بينهما في الجملة الموالية بحرف العطف (الواو) (جلالا و جمالا)، ثمّ جانس بينهما وبين كلمة قَمّة في الكمال التّجنيسيّ هي (كَمالاً) كما في قوله: "إنّ موت العظماء حياة لأممهم، فإنّ كانت في الغربية زادت (جلالا)، فإنّ كانت نتيجة للظلم زادت جمالا، فإنّ كانت في سبيل الوطن كانت (جلالا وجمالا)، فإنّ صاحبها سلب العزّ والملك كانت حلية و(كمالا)؛ وكلّ ذلك اجتمع في موت المُنصِف".<sup>(1)</sup>

## 7- ب الجناس التّام في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

بعد دراسة رسائل الإبراهيمي لم نعثر له على توظيف للجناس التّام إلا نادراً جداً. وهذا دليل على عفوية إبداعه الإجناسي، وابتعاده عن التّكلف والتّصنّع اللفظيّ الممجوح، وإلاّ وجدناه يتصنّع الجناس التّام بسهولة، خاصّة وهو يمتلك ناصية اللّغة العربيّة، وله من المعجم اللفظيّ ما لم يتح لغيره في زمانه، بل وحتّى في زماننا هذا.

ففي رسالته "مناجاة مبتورة لدواعي الضّرورة" وهو يخاطب قبر صاحبه العلّامة ابن باديس نجده قد استخدم جناساً تاماً واحداً حيث يقول: "ياقبر، أيّدري من خطك، وقارب شطك: أيّ بحر ستضمّ حافتاك؟ وأيّ معدن ستزّن كفتاك؟ وأيّ ضيرغامه غاب ستحتلّ كفتاك؟ وأيّ شيخ كشيخك، وأيّ فتى كفتاك...؟"<sup>(2)</sup>

وهذا النوع من الجناس يسمّى الجناس المماثل: "وهو ما كان ركناه أي لفظاه من نوع واحد من أنواع الكلمة، بمعنى أن يكونا اسمين، أو فعلين، أو حرفين."<sup>(3)</sup>

فكلمة (كفتاك) الأولى تعني وحدة الميزان التي توزن فيها البضائع؛ بينما تعني كلمة (كفتاك) الثانية راحة اليدين. وقد تشابهتا في كلّ الحروف والعدد والترتيب والضبط.

وفي آخر رسالته "هدية ذات مغزى جليل" التي أرسل فيها تحيات كُتاب البصائر إلى الأخ العربيّ الحرّ محمّد جعفر مال الله ببغداد نقرأ هذا الجناس التّام الجميل: "أما تلك العين التي رسمها الفنّان فوق اسم البصائر" فيقينا أنّه لم يصورها وهماً وإتماً فوقها سهماً، والعين البصيرة لا تترك إلاّ بنفاذ البصيرة."<sup>(4)</sup>

(1) الإبراهيمي: دمعة على المنصف، آثار الإمام، ج3، ص: 556. / البصائر، العدد: 49.

(2) الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لدواعي الضّرورة، آثار الإمام، ج2، ص: 55.

(3) عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربيّة، ص: 200.

(4) الإبراهيمي: هدية ذات مغزى جليل، آثار الإمام، ج2، ص: 203 / البصائر، العدد: 38.

والعين البصيرة: العين الرائية، المشاهدة، الثاقبة، المدركة...

قال ذو الرمة:

تَمُرُّ بِنَا الْإَيَّامُ مَا لَمَحَتْ بِنَا \*\*\* بِصِيرَةِ عَيْنٍ مِنْ سَوَانَا عَلَى شَفْرِ (1)

أي: ما نظرت عين منا إلى إنسان سوانا.

[نفاذ البصيرة]: هي: "قوة الإدراك والفطنة." (2)

وهي أيضا: "عقل وإدراك وفطنة ونظر نافذ إلى خفايا الأشياء ذو بصيرة وبُعد نظر." (3)

**الخلاصة:** مما تقدّم يبدو واضحا أنّ الإبراهيمي ينتمي إلى مدرسة الصنعة اللفظية؛ لذلك فالتعبير عنده ينتوّج بين الإيقاع وحسنه، والجناس وعذوبته، والتكرار ونغماته، وهو ما يؤكّد ذلك الانتماء. وكما هو معلوم فمدرسة الصنعة تتكئ على كثافة المحسنات البديعية، المعنوية و اللفظية في الكلام، واستخدام الصور البيانية، كما تهتمّ بانتقاء الألفاظ و العبارة و البيان و البديع دون إهمال للمعنى، وتوظيف اللغة الراقية القوية الجزلة، وكذا العناية بالأصوات وحسن تأليفها، لتحقيق العذوبة والجزالة والسهولة والرّصانة مع السلاسة والتّصاعق والرونق والطلاوة، قدوتهم في ذلك "أوس بن حجر" زعيم مدرسة الصنعة الأول والتي أصبح من روادها بعد ذلك زهير بن أبي سلمى، والحطيئة، وابن المقفع، وسهل بن هارون والجاحظ، وعدي بن الرّقاع، وسويد بن كراع، وأبو تمام، والبحثري قديما، ومن روادها حديثا عبد الرحمن الكواكبي و محمد البشير الإبراهيمي...

(1) ذو الرمة غيلان بن عقبة بن مسعود: ديوان ذي الرمة، ص: 268.

(2) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، (دط)، 1379 هـ/1960م، / دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، إستانبول، تركيا، ط2، 1989م، مادة (ب ص ر).

(3) معجم المعاني الجامع. مادة (ب ص ر).

## الفصل الثالث

# الفصل الثالث

## المستوى الصّرفيّ والمستوى التركيبيّ في رسائل الشيخ الإبراهيميّ أولاً/ المستوى الصّرفيّ في رسائل الشيخ الإبراهيميّ

1- أبنية المشتقات في رسائل الشيخ الإبراهيميّ

2- صيغ المبالغة واسم التّفصيل في رسائل الشيخ الإبراهيميّ

## ثانياً/ المستوى التركيبيّ في رسائل الشيخ الإبراهيميّ

1- اللّغة في رسائل الشيخ الإبراهيميّ

2- بنية الجُمْل في رسائل الشيخ الإبراهيميّ

3- الأساليب في رسائل الشيخ الإبراهيميّ

## أولاً/ المستوى الصرفي في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

## - أبنية المشتقات في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

عمد الإبراهيمي في رسائله إلى استخدام المشتقات استخداماً كثيراً، وبخاصة صيغ اسم الفاعل واسم المفعول، وصيغ المبالغة، وقد حملت هذه الصيغ دلالات وإيحاءات جمالية أضفت على التعبير عمقا ورونقا، وتأثيرا في المتلقي، لا يخفى على أحد. وسنحاول دراسة بعض هذه الصيغ بما يسمح به حجم البحث.

**1- اسم الفاعل:** فباستقراء رسائل الإبراهيمي، وجدناها تعجّ باستخدام هذه المشتقات استخداماً متعدداً وقد تبين أنّ صيغة اسم الفاعل أكثر شيوعاً، حيث وردت مشحونة بمعان ودلالات خصبة، وإيحاءات عميقة تبرهن على مدى قوة الإبراهيمي التوظيفية.

**اسم الفاعل:** اسم مشتق، يدلّ على معنى مجرّد، حادث، وعلى فاعله.<sup>(1)</sup>

**وفي تعريف آخر لاسم الفاعل هو:** صفة تؤخذ من الفعل المعلوم لتدلّ على فاعل الفعل.

واسم الفاعل يعدّ صفة في المعنى، وهي صفة تدلّ على الموصوف بما تحمله من معنى الحدث وهو ما أشار إليه الزمخشري في قوله: "الصفة هي الاسم الدالّ على أحوال الذات وذلك نحو طويل وقصير، وعاقل، وقائم، وقاعد."<sup>(2)</sup>

فهو وصف مشتقّ يدلّ على حدث متغيّر (غير ثابت)، وعلى من قام بذلك الحدث (الفعل) وبذلك يدلّ على شيئين معاً (الفعل وفاعله)، ويمكن اشتقاقه من مصدر الثلاثي وغير الثلاثي متعدّياً أو لازماً وصياغته على النحو التالي:

أ- من الثلاثي: يُصاغ من مصدر الفعل الثلاثي على وزن فاعل مثل:

(شكر - شاكِر)؛ (أعب - لاعِب)؛ (سأل - سائل)؛ (قرّ اللّص - فهو فارٌّ)؛ (كُتِبَ - كاتب)؛ (عَلِمَ - عالم).

ب- من غير الثلاثي: يُصاغ على صورة مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الآخر. مثال: (أكرم - مُكْرِم)؛ (قَدِمَ - مُقَدِّم)؛ (انتقد - مُنْقِد)؛ (استنبط - مُسْتَنْبِط).

**3- عمل اسم الفاعل:** يعمل اسم الفاعل عمل فعله، فيرفع فاعلاً، وينصب مفعولاً به. مثال: أُنْجِرُ أبوك وعدّه.

(1) عباس حسن: النحو الوافي، ج3، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1980م، ص: 238.

(2) ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت (د ط)، (د ت)، ص: 46/3.

## 3- اسم الفاعل في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

وهو مشتقّ من أكثر المشتقات توظيفا في رسائل الإبراهيمي، إلى درجة لا يمكن إحصاؤها لكثرتها ففي رسالة واحدة نجد عشراتٍ منها. فقد وظّف الإبراهيمي كثيرا من أسماء الفاعلين في رسائله بالصيغتين، جاءت - في الأغلب - على وزن (فاعل) من الفعل الثلاثي أو على وزن المضارع المبني للمعلوم.

حيث نلاحظ هذا الامتداد الصوتي، كما في رسالته إلى الأستاذ (إبراهيم الكتاني)<sup>(1)</sup> مجموعة من أسماء الفاعلين بما يوحي بإضفاء بعض الأوصاف على الموصوف، أوصافا دائمة، منها: "الناقد الواصف، العابس، سالحة، لامعة، التّالّد."<sup>(2)</sup>

الجدول رقم(1) أسماء الفاعلين في رسالة إلى الأستاذ (إبراهيم الكتاني)

اسم الفاعل	وزنه	فعله
الناقد	فَاعِل	نقد
الواصل	فَاعِل	وصف
العبس	فَاعِل	عبس
سالحة	فَاعِلَة	صلح
لامعة	فَاعِلَة	لمع
مجتاحة	على وزن المضارع	اجتاح
مرابطة	على وزن المضارع	رابط
التّالّد	فاعل	تلد

فقد وقع وصفه لأناس معينين ليسوا أهلا للاحترام والإكبار، فقد ذكرهم في قطعة من قطع ملحمة في شكل " تراجم لرجال سواسية في الحسّ كأسنان الحمار، قد أبصروا بعماهم، وعرفوا بسيماهم فإذا رأيت أحدهم رأيتهم جميعا، وإذا سمعت اللغو كنت لكلامهم سميعا، وبذلك أراحوا الناقد والواصل."<sup>(3)</sup> فمن سوء طبع هؤلاء القوم من حسّ وقول وشكل، لم يبق لهم من تفاهتهم ما يمكن للناقد البصير بالعيوب، الباحث عن خبايا الأمور أن ينقده فيهم، ولا الواصف الحاذق أن ينقل أوصافهم وصفاتهم للغير.

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى إبراهيم الكتاني، آثار الإمام، ج2، ص: 149-151.

(2) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 149-151.

(3) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 149.

ثم يعترف الإبراهيمي لـ(أبان بن عبد الحميد) على أراجيزه الصالحة في الأمثال والحكم " فقد قرأنا في تاريخ أدب هذه اللغة أن لأبان بن عبد الحميد أرجوزة في الحكم والأمثال بلغت آلاف الأبيات، وقرأنا منها قطعاً صالحة".

فقد وظّف اسم الفاعل (صالحة) من الفعل الصحيح (صَلَحَ) مقترناً بالتاء؛ وقد وردت نعتاً لتلك القطع الشعرية بالصلاح، فليست كل الأراجيز كذلك، وربما استغلّها البعض في كتابة قطع نابية فيها أخلاق فاضحة. وقد كان لأبي العلاء المعريّ فيها رأي آخر إذ عدّها من سفاسف القريض<sup>(\*)</sup>، إلا أن الإبراهيمي مصمّم على قناعته.

وعند وصف الإبراهيمي الزمن - في عصره- وصفه بأنّه (عابس) حيث يقول: " إذا قرأتم هذا الفصل وأعجبكم فإني أوافيكم مع كل رسالة بفصل، وستجدون في فصول الشيطان ما يضحكم في هذا الزمن العابس".<sup>(1)</sup>

ولعلّ الظروف المأساوية التي كانت الجزائر تمرّ بها في هذه الفترة من سنة (1945)، من الحرب العالمية الثانية، والمجاعة، والمجازر التي ارتكبتها فرنسا، هي التي جعلت الإبراهيمي يصفه بالزمن (العابس)، وهو اسم مشتقّ من الفعل الثلاثي (عبس)، وهو اسم فاعل دلّته التحوّية نعت للزمن كأفضل وصف له، وهي كلمة مشتقة من الفعل "عبس يعبس عبسا وعبوسا، عبس الشخص: قطّب ما بين عينيه وتجهّم لإبداء الاستياء وعدم الرضا، وظهر الحزن على وجهه، اكفهر، وكلح".<sup>(2)</sup> وهي صفة غير دائمة وسيأتي اليوم الذي يبتهج هذا الزمن، وتشرق فيه الأنوار، أنوار الحرية والسعادة والفرح والسرور، فليس هناك شيء دائم، حيث " يقرّر علماء اللغة أن النّبوت في اسم الفاعل طارئ، والأصل فيه الحدوث".<sup>(3)</sup> وفي رسالة الإبراهيمي الجميلة "دمعة على المنصف"<sup>(4)</sup> نجده قد وظّف (اسم الفاعل) خمسا وأربعين (45) مرّة بالصيغتين المذكورتين، يمكن سرد بعضها فيما يلي:

" يعزّ على هذا القلم الذي براه الباري لينضح العسل المصقّى للمقسطين، وينطف الصاب<sup>(\*\*)</sup> والحنظل للقاسطين، ويرسل الجمم مدرارا على المستعمرين، أن تنتهي مظلمة المنصف إلى

(\*) السفساف: الرديء، الحقير من كل شيء وعمل. والجمع: سفاسف. (معجم الوسيط). والقريض: الشّعْر، ويطلق على الرجز، لأن الرجز " من سفاسف القريض"، وهي عبارة تنسب للمعريّ (رسالة الغفران: 366 - 367).

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى إبراهيم الكتاني، آثار الإمام، ج2، ص: 150.

(2) معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (ع ب س).

(3) أبو عبد الله جمال الدين محمد بن مالك: شرح الكافية الشافية، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 2010، ص: 205.

(4) الإبراهيمي: دمعة على المنصف، البصائر، العدد: 49. وآثار الإمام، ج3، ص: 555.

(\*\* نطف: بمعنى: صبّ (معجم الزائد) - الصاب: شجر مرّ له عصارة بيضاء كاللبن بالغة المرارة إذا أصابت العين أتلفتها. (معجم الوسيط).

غابتها الشنعاء من موت الغربية، ومهانة الأسر، وتعتت الاستعمار، فلا يشنها شعواء على التعتت والمتعتين. (1)

فقد جاء اسم الفاعل هنا (الباري) للدلالة على المبالغة في صفة القلم في البري، لاختياره اسماً وصفةً لله سبحانه وتعالى. ثم وضّح بأنّه سيكون منتصراً (للمقسطين)، قاصماً ظهور (القاسطين المستعمرين المتعتين)، في إشارة إلى الفرنسيين، فدلّ اسم الفاعل الأوّل على التعاطف معهم؛ وفي بقية أسماء الفاعلين دلالة على الشدة معهم، لأنّهم لم يعدلوا مع الزعيم (محمد المنصف باي)، الذي لم يُنصف؛ فهم لذلك ليسوا أهلاً للرحمة.

ويمكن أن نتساءل بعد هذا التوظيف، ما الفرق بين (المقسطين والقاسطين)، وهما كلمتان متشابهتان في المعنى، ومن جذور متقاربة، فالمقسطون من الفعل الرباعي (أقسط)، والذي يعني: العادل المنصف، والمقسط، وهو اسم من أسماء الله الحسنى. ويتناسب مع القرآن الكريم ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاتِنًا فَاصِلًا لِيُنصِفَ عَنْهُ اللَّهُ وَاللَّهُ يَفْعَلُ الْخَيْرَ وَهُوَ عَلِيمٌ ذِكْرًا﴾ (2) وأقسطوا الله يحبّ المقسطين (3)

أما القاسط: وجمعه: قساط. فهو اسم فاعل من الفعل الثلاثي (قسط)، والذي يعني: الجائر الظالم. وهو ما أشار إليه القرآن الكريم ﴿وَأَنَا مِمَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (4) ولذلك توعدّ الإبراهيمي كلّ فريق بما هو أهله.

ودلالة اسمي الفاعل في ( القاسطين و المقسطين) الواردين معرفة، توحى بالثبوت والدوام، فالمقسط - دوماً - يكون ثابتاً على مبادئه لا يغيّره طمع الدنيا، ولا بهرجة الجاه؛ والقاسط دأب على أخذ حقّه وحقوق الغير، وهي الدلالة التي اختلف فيها علماء اللغة قديماً، لذلك قام الدكتور فاضل السامرائي في كتابه معاني الأبنية بحلّ هذا الإشكال (الحدوث والثبوت) بقوله: "إنّما يقع اسم الفاعل وسطاً بين الفعل والصفة المشبهة، فالفعل يدلّ على التجدّد والحدوث، أمّا اسم الفاعل فهو أدوم وأثبت من الفعل ولكنّه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبهة، فإنّ كلمة (قائم) أدوم وأثبت من (قام أو يقوم...)" (4)

ويقول الإبراهيمي أيضاً متحدّثاً عن موت (المنصف التونسي): "ولو مات بأية بقعة من أرض الجزائر لكانت هي تونس نضرة واخضراراً، ولاكتسبت الجزائر بجميع أقطارها شرفاً ممّن مات ميتة

(1) الإبراهيمي: دمعة على المنصف، المرجع السابق، ص: 555.

(2) سورة الحجرات، الآية: 9.

(3) سورة الجن، الآية: 15.

(4) السامرائي فاضل صالح: معاني الأبنية في العربية، دار عمار، عمان، ط2، 2007، ص: 41-42.

الشرف فيها، ولقبت معاني عالية من الفداء والتضحية بغير عهدا، ولفغمتها نفحة ساطعة من عزّ الإمارة حرمتها الأنوف الشّم من أبنائها منذ أيام عبد القادر، ولتسمعت نغمة ساحرة عطلت آذانها منها من عهد عهيد.<sup>(1)</sup>

فقد دلّ اسم الفاعل (عالية، ساطعة، ساحرة) مجتمعة على صفات لموصوفاتها، فلو مات (المنصف) في قُطر من أقطارنا لنالت شرف المعاني العالية، والنّفحة السّاطعة، والنّغمة السّاحرة. أمّا اسم الفاعل (القادر) ورد معرّفا بـ(ال) مأخوذ من الفعل الصّحيح (قَدَرَ) وهو يدلّ على الله - جلّ جلاله - اسما وصفة. و يعني: أنّ الله هو القادر على ما يشاء، لا يعجزه شيء، ولا يفوته مطلوب. وقد ذُكر في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرّة، ويدور معناه كلّ على تسليط القوّة، والسّيطة والتّمكّن، والهيمنة. ومن ثمّ فدلالته تفيد الثّبوت والدّوام، وكلّ من سواه عاجز قاصر لا يلوي على شيء. الجدول رقم(2) أسماء الفاعلين في رسالة (دمعة على المنصف):

اسم الفاعل	فعله	وزنه	اسم الفاعل	فعله	وزنه
المُنْصِف	أنصف	وزن مضارعه	ساطعة	سطع	فاعل
الباري	برى	فاعل	القادر	قَدَرَ	فاعل
المُقْسِطِينَ	أقسط	وزن مضارعه	ساحرة	سحر	فاعل
القاسِطِينَ	قسط	فاعل	المستعمرين	استعمر	وزن مضارعه
المُتَعَنِّتِينَ	تعننت	وزن مضارعه	العالية	علا	فاعل

ومن خلال تأملنا لهذه الصيغ (أسماء الفاعلين) نجدها قد تعددت صورها وأشكالها في الرّسالة، حيث ورد بعضها في صورة (مفرد) في مثل: (المُنْصِف، الباري، القادر، ساحرة، العالية، ساطعة)، وكذلك ورودها في هيئة الجمع (جمع المذكر السّالم) نحو: (لمقسطين، القاسطين، المتعنّتين، المستعمرين). وفي رسالته إلى (كُتّاب البصائر)<sup>(2)</sup> وظّف (اسم الفاعل) خمس عشرة مرّة يمكن سردها في الجدول التالي:

(1) الإبراهيمي: دمعة على المنصف: آثار الإمام، ج3، 556./البصائر، العدد: 49.

(2) الإبراهيمي: إلى كُتّاب البصائر، آثار الإمام، ج1، ص: 208.

الجدول رقم(3) يتضمّن أسماء الفاعين في رسالة" إلى كتاب البصائر"

اسم الفاعل	وزنه	فعله	اسم الفاعل	وزنه	فعله	اسم الفاعل	وزنه	فعله
القائم	فاعل	قام	الصابرين	فاعل	صبر	المتحاملين	ع و م	تحامل
المسلمين	ع و م (*)	أسلم	ظاهرين	فاعل	ظهر	الكافرون	فاعل	كفر
معتقدين	ع و م	اعتقد	المصلحين	ع و م	أصلح	المتسعة	ع و م	اتسع
الواضح	فاعل	وضح	المطلعين	ع و م	اطّلع	السامي	فاعل	سما
واسع	فاعل	وسع	المسيرين	ع و م	سير	الضّال	فاعل	ضلّ

وهي صيغ جاءت مناسبة للمقام فيها دلالة على الصفات التي كان الإبراهيمي يتمنى أن يتحلّى بها

الكتاب (كتاب البصائر)، من مثل (الإسلام، الاطلاع، الاعتقاد، الصبر، الإصلاح...)

والمتمم في الجدول يجد نوعين من الصفات:

**الأولى:** تعبّر عن فريق المصلحين الصالحين التي يجدر بالكتاب الاتصاف بها، من (القوامة، الإسلام

الاعتقاد، الوضوح، الصبر، الصلح، الاطلاع...).

**الثانية:** الصفات الأخرى التي تضمّنها الجدول على التقيض تماما، وهي صفات تعكس الفريق الآخر

والتي لا يجدر الاتصاف بها (التحامل، الكفر، الضلال...).

وفي رسالته إلى (المعلمين الجزائريين) نجد كمّا هائلا من أسماء الفاعلين من الصيغتين يمكن الإشارة

إليها من خلال الجدول التالي:

(\*) (ع و م): على وزن مضارعه .

## الجدول رقم (4) يتضمّن أسماء الفاعلين في رسالة إلى "المعلّمين الجزائريين"

اسم الفاعل	الفاعل						
الخالصة	1	الجاري	1	المتقين	1	المؤدّبون	1
صادرة	1	المقصرّون	1	صاغرة	1	ناصل	1
واجبا	2	واجباتهم	6	داخرة	1	الصّالحة	2
عاملون	1	عواقب	2	باطل	1	الفوائت	1
مسؤولون	1	الظّالمين	1	جابرا	1	الخافطة	1
زاجر	1	الغافلون	2	عاذرا	1	الماضية	1
معوقون	1	المخجل	1	المقنع	1	المكبّرة	1
الصّابرين	2	زائل	1	الصّائع	1	الجائع	1
حائل	1						

ومن خلال الجدول رقم (4) يتبيّن أكبر تردّد لأسماء الفاعلين أمام الكلمة التي جذرها (و ج ب ) فقد تكرّرت كلمة واجب (اسم الفاعل) من الثلاثي، ثمانية مرّات، ورد منها بصيغة المفرد (الواجب) مرّتين (2) وبصيغة الجمع المؤنث السالم (واجبات) ست (6) مرّات، وفي ذلك دلالة بيّنة على حرص الإبراهيمي على تأكيد الخطاب للسادة المعلّمين، وتذكيرهم بالمهمّة التي تحمّلوها، وبالواجب الثقل الذي نيط بهم أمام تلاميذهم من تربيّة وتعليم ورحمة وشفقة و... والواجب يُملّي عليهم الأداء على أكمل وجه، خدمة لأبناء شعبهم ووطنهم.

والمتمأل في أسماء الفاعلين الأخرى، يجد معظمها صفات، وكأنّ الإبراهيمي يشير إلى ضرورة اتّصاف المعلّمين بها وهم يؤدّون رسالتهم النبيلة، لأنّها صفات أخلاقية تجعل الجيل يقتدي بها، ويجعلها جزءا من أخلاقيّاته اليومية (الخالصة، العاملون، الصادقون، الواجب، المتقين، المؤدّبون، الصّالحة المقنع، المؤمنون...) وأسماء الفاعلين الأخرى تحمل صفات سلبية، كأنّ الإبراهيمي يحذّر المعلّمين من الاتّصاف بها، ومنها (المقصرّون، الظّالمون، الغافلون، المخجل، صاغرة، باطلة، مثبّطات، مُتغلّغ...).

وفي رسالة الإبراهيمي (إلى الأستاذ العلامة أبي الأعلى المودودي)<sup>(1)</sup> أمير الجماعة الإسلاميّة بلاهور بباكستان، التي كتبها من القاهرة في 28 يوليو 1955 فيها عدد من أسماء الفاعلين، نذكرها في الجدول التالي:

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ العلامة أبي الأعلى المودودي، آثار الإمام، ج5، ص: 161.

الجدول رقم(5): أسماء الفاعلين في رسالة (إلى الأستاذ العلامة أبي الأعلى المودودي):

الوزن	اسم الفاعل
فاعل	التَّاصِر. صاحبها. سامية. السَّامِي. العالِيَّة. عامر. ناسيا. صارخة. جاعل. الذَّائِبِن. خارقة. حاملِها. الحالك. صادق. السَّاعِين. واجب. صاحب. الغامر. الهائم. البادئ. السَّابِق. العامل.
المضارعة	المؤمنين×2. متألثة. مشرقة. متصل. مجليه. مستبقيكم. مقدمات×2. المهني متفرقة. متدرجة. المنتصرين. المتعلقة.

وكنموذج لاسم الفاعل نختار هذين المثالين من رسالته إلى المودودي: "وكنت على يقين كراي العين بأن الله جاعلٌ لكم من أمركم مخرجاً... وتبين ما كنت أعتقده من اللطائف، وهو أن الله فيكم سرا هو مجليه لوقته." (1)

بقي أن نشير إلى إن لصيغ أسماء الفاعلين دلالات نحويّة مختلفة، فهي تصطبغ بكلّ محلّ إعرابيّ تفرضه صياغة الجملة، وربما عملت عمل فعلها أحيانا، وقد لا تعمل كما في الجملة السابقة، فقد جاء اسم الفاعل (جاعل) خبرا للناسخ (أن)، وقد عمل عمل فعله فنصب مفعولا به (مخرجا). أما في الشقّ الثنائي من الجملة فقد ورد اسم الفاعل (مجليه) خبرا للمبتدأ (الضمير هو).

فاسم الفاعل (جاعل) دلّ على قدرة الله - سبحانه وتعالى - فيها دلالة على الاستمرارية والثبوت والاستقبال - في أن يُفرج عن العلامة المودوديّ رغم حكم الإعدام الذي صدر في حقّه من دولة باكستان\*، وفيه إيحاء عن إيمان الإبراهيميّ ويقينه في الله، كراي العين ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (2) أما الامتداد الصوتي لاسم الفاعل (مجليه)، فهو اسم صيغ من الفعل غير الثلاثي (جلى) الذي أفاد قرب الانفراج، ودلّ على الاستقبال والثبوت، فالله - وحده - مجليّ الكُرُبات، ورافع الهموم، وفكّ الأسر عن المظلومين. وسبب هذا اليقين عند الإبراهيمي ما يتمتع به المودودي من أسرار ربّانية، فهو من عباد

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ العلامة أبي الأعلى المودودي، المرجع السابق، ص: 162.

(\*) يذكر أنّ الإبراهيمي أرسل برقية إلى حاكم باكستان العام السيد غلام محمد، وإلى السيد محمد عليّ رئيس الوزارة الباكستانية يلتبس فيها الإفراج عن المودودي. (ينظر آثار الإمام الإبراهيمي، ج4، ص: 191). (ينظر النص كامل في الملحق، ص: 364).

(2) سورة الطلاق، الآية: 2.

الله المتقين، وأوليائه الصالحين، فقد عُرف بروحانيته الكبيرة، وقربه الكبير من الله، اللطيف، خافي الألفاظ، الذي من تلطف به كفاه.

## 2- اسم المفعول

2-1 اسم المفعول: " اسم مشتق، يدلّ على معنى مجرد، غير دائم، وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى." (1)

**تعريف آخر:** اسم المفعول صفة تؤخذ من الفعل المبني للمجهول لتدلّ على من وقع عليه الفعل.

وهو أيضا: " ما دلّ على الحدث والحدوث وذات المفعول كـمقتول ومساور، فهو لا يفترق عن اسم الفاعل إلا في الدلالة على الموصوف، فإنه في اسم الفاعل يدلّ على ذات الفاعل كقائم، وفي اسم المفعول يدلّ على ذات المفعول كمنصور." (2)

## 2-2 صوغ اسم المفعول:

يُصاغ اسم المفعول من الثلاثي المجرد المبني للمجهول على وزن (مَفْعُول). نحو: حُفِظَ - مَحْفُوظٌ، ومن غير الثلاثي على وزن المضارع المبني للمجهول، بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وفتح ما قبل الآخر. نحو: يُكْرَمُ، مُكْرَمٌ / أُسْتُخْرَجَ، مُسْتُخْرَجٌ.

2-3 عمل اسم المفعول: يعمل اسم المفعول عملَ الفعل المبني للمجهول فيرفع نائب الفاعل مثال: سامي مُحْتَرَمٌ اسمه.

## ❖ اسم المفعول في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

وظّف البشير الإبراهيمي أسماء المفعولين في رسائله المختلفة بالصيغتين المعروفتين، وقد جاءت لتحقق وزنا موسيقيًا، وانسجامًا صوتيًا ساعد على إبراز المعاني وتوضيحها، وهذا يتجلى في كونها مصوغة من فعل ثلاثي، ومن غير الثلاثي.

فهاهو الإبراهيمي في رسالته " **دمعة على المنصف**" نجده قد وظّف (اسم المفعول) إحدى عشرة مرة بالصيغتين، يمكن سرد بعضها فيما يلي:

يقول: " يعزّ على هذا القلم الذي شدّ الحقّ أزره، وسدّد المنطق رمايته، أن يموت المنصف غريباً

مظلوماً، مسلوب التّاج، فلا ينفث كلمة تبعث الشّجى، وتثير الشّجن وتحلّ عقدة الرّواية."

(1) عباس حسن: النحو الوافي، ج3، ص: 271.

(2) السامرائي فاضل صالح: معاني الأبنية في العربية، ص: 52.

ثم يكرّر ذلك في الصّفحة الأخيرة من الرّسالة ذاتها فيقول: "ولكن... ولكن موت المنصف في قرية نائيّة من قرى فرنسا - غريبا عن وطنه وأمّته، مظلوما في عرشه وملكه، مسلوب التّاج، مخفور الدّمام(\*) - مصيبة يزيد في معناها الشّنيع معنى... "

وفيها أيضا في ذيل الرّسالة نجد توظيفا لاسم المفعول، كما في قوله: "عزاء للوطن المفجوع فيك يا منصف، وسلوى للقلوب المكلومة بموتك - وما أكثرها - يا منصف!"<sup>(1)</sup> ويمكن تلخيص ذلك في الجدول التّالي:

الجدول رقم(1): أسماء المفعولين في رسالة "دمعة على المنصف"

اسم المفعول	فعله المبني للمجهول	وزنه
مظلوم	ظُلِمَ	مَفْعُول
مسلوب	سُلِبَ	مَفْعُول
مخفور	خُفِرَ	مَفْعُول
المفجوع	فُجِعَ	مَفْعُول
مكلومة	كُلِمَ	مَفْعُول

مما سبق نشير إلى الامتداد النحويّ لأسماء الفاعلين، فقد وقع (مظلوماً) الأولى حالا لبيّن هيئة المُنصِف، وعطف عليها بحال ثانٍ (مسلوب) للدلالة على حالة الضيم الذي تعرّض له، وقد كرّر الإبراهيميّ الكلمتين نفسيهما، وأضاف لهما حالا ثالثا (مخفور). أمّا اسم المفعول الأخير في الفقرة (مُصِيبَة) فقد وقع خيرا متأخرا جدّا للنّاسخ (لكنّ).

أمّا الدّلالة من حيث الوزن الذي يضيف امتدادا صوتيا ورنينا جرسيا (مَفْعُول) مثلما نلاحظ في مفاعيله التي تحمل دلالة (الظلم والفجع) (مظلوما، مسلوب) الذي تعرّض له المنصف التّونسيّ، وكذا المصائب التي لحقته من فرنسا فأضحى (مسلوب) الحرّية، (مخفور) بلا هيبة ولا حراسة، في غياهب المكان الذي اختاروه له، (مكلوم) الرّوح والجسد، وهو مع ذلك محتسب مما تعرّض له من (مُصِيبَة). وقد ورد التّرتيب مقصودا (مظلوما، مسلوب، مكلوم)، لأنّه ظلم في وطنه، وسلب منه التّاج؛ فأصبح مذلولاً (ارحموا عزيز قوم ذلّ)، ثم بات مكلوم النّفس قبل الجسد، لِعَلِمِهِ أَنَّهُم لَنْ يَرْحَمُوهُ حَتَّى يَقْتُلُوهُ، ولذلك صاغ الإبراهيميّ المشتقّات من صيغ أسماء المفعولين لفهمه أنّه إذا " أتى اسم المفعول لجميع الأزمنة فهو يأتي للدلالة على الماضي، أو الحاضر، أو المستقبل، أو الاستمرار والدوام، وقد يأتي للدلالة على

(\*) [خَفَرَ] بفلان: نقض عهده وغدر به. [الدّمَامُ]: العهد والأمان والكفالة و الحق والحرمة. والجمع: أذمّة. (ينظر، المعجم الوسيط (الدّمَام)).

(1) الإبراهيمي: دمعة على المنصف، آثار الإمام، ج3، ص: 557. البصائر، العدد: 49.

التبوت في جميع الأزمنة." (1)؛ لأنّ الاسم في كنهه وبعده أثبت من الفعل في الدلالة على الاستمرار والديمومة "والاسم أقوى في الوصف من الفعل." (2)  
وفي رسالته "إلى كتاب البصائر" (3) نجده قد وظّف عددا من أسماء المفعولين نجمها في الجدول التالي:

الجدول رقم (2): أسماء المفعولين في رسالة "إلى كتاب البصائر"

اسم المفعول	وزنه	فعله المبني للمجهول
مدلول	مَفْعُول	دَلَّ
المعقول	مَفْعُول	عقل
المشروع	مَفْعُول	شَرَعَ
الموضوع	مَفْعُول	وَضَعَ
محدّد	ع و م م للمجهول (*)	حدّد
منكر	ع و م م للمجهول	أنكر
مستضعفين	ع و م م للمجهول	استضعف
محقّق	ع و م م للمجهول	حقّق

فقد وردت أسماء المفعولين منسجمة بين الصيغتين بتردد أربع مرّات لكلّ صيغة. وسنحاول دراسة بعضها من خلال الجملة التالية: "وقد كُنّا بالأمس قليلا (مُستضعفين) فأصبحنا - بحمد الله - كثيرا ظاهرين، وسيعمّ الإصلاح الدينيّ هذه الأمة، لا بقوتنا بل بقوة الله، وسيتفق الناس عليه حتّى كان لم يكن بينهم فيه خلاف." (4)

فمن حيث البعد والدلالة النحويّة فإنّ اسم المفعول جاء خبرا ثان للناسخ (كان)، والخبر الأوّل (قليلا)، فجمعه بين الخبرين (قليلا مستضعفين) دلّ على الحالة التي كان عليها أعضاء جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، قليلو العدد، ومستضعفون في الأرض ماديا واستعماريا وكيديا من أذئاب فرنسا.

(1) منى يوسف الشّمرى: اسم المفعول، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، شبكة جامعة بابل 5/30/2011 6:03:49 .uobabylon.edu.iq

(2) محمود عكاشة: التحليل اللّغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط2، سنة 2011، ص: 66.

(3) الإبراهيمي: إلى كتاب البصائر، البصائر، العدد 2. وآثار الإمام، ج1، ص: 208 وما بعدها.

(\*) ع و م م للمجهول: تعني: على وزن مضارعه المبني للمجهول.

(4) الإبراهيمي: إلى كتاب البصائر، المرجع نفسه. ص: 209.

وفي معرض حديثه عن مبادئ المجلس الإداري للجمعية في تعاملها مع الإدارة "وهو كما تعهدونه لاينام عن حقّ ديني أو علمي لهذه الأمة، تخولها إياه القوانين والمبادئ الجمهوريّة، ولا يسكت حيث يجب النطق، ولا يركب لمطالبه إلاّ المشروع المعقول من الوسائل."<sup>(1)</sup>

فعلى الرّغم من التّعامل إدارياً مع الإدارة الفرنسيّة المحتلّة إلاّ أنّ الإبراهيمي يفرّ أنّ مبادئ الجمعية لا تسمح بالغشّ أو المراوغة، بل إنّ الوسائل التي يتطلّبها العمل الإصلاحيّ ينبغي أن تكون وفق المشروع منها والمعقول؛ لأنّ الغاية مشروعة، تستوجب - قطعاً - وسائل مشروعة.

واسم المفعول (المشروع المعقول) ورد مفعولاً به، وكلاهما معرّف بـ (ال) ضمن أسلوب حصر (لا/إلاّ) للدلالة على حصر تعامل الجمعية في كلّ ما هو مشروع ومعقول.

وفي رسالته إلى العلامة أبي الأعلى المودوديّ - رحمه الله - وردت مجموعة من أسماء المفعولين، يمكن أن نجملها في الجدول التّالي:

الجدول رقم (3): أسماء المفعولين في رسالة " إلى العلامة أبي الأعلى المودوديّ "

اسم المفعول	فعله م م (*)	وزنه	اسم المفعول	فعله م م (*)	وزنه
مزوّرة	زوّر	وزن المضارع م م	معطرة المأسوف	عطرّ	وزن المضارع م م
مفعم	أفعم	وزن المضارع م م	المرتقب المألوف	أسف	مفعول
مملوءة	ملئ	مفعول	المهنأ	ارتقب	وزن المضارع م م
المذوذ	ذيد	وزن المضارع م م	محتاج	ألف	مفعول
المقود	قيد	مفعول	هنئ	هنئ	وزن المضارع م م
المسود	سيد	مفعول	احتيج	احتيج	وزن المضارع م م

وسنقف على دلالة الأسماء الثّلاث المتشابهة (المذوذ، المقود، المسود)، حيث قال الإبراهيمي مخاطباً المودوديّ: "وصلتني رسالتكم فوردت على قلب مفعم بحبكم في الله، وعلى نفس مملوءة بعرفان قدركم والتّغالي في قيمتكم، وذهن عامر بأعمالكم للإسلام، وتفانيكم في تجلية حقائقه والدّود عن حياضه في وقت قلّ فيه الدّادة عنه، والقادة إليه، والسّادة به، فما منّا إلاّ المذوذ المقود المسود."<sup>(2)</sup>

ففي هذه الفقرة نستشفّ التّوحيه الذي أبداه الإبراهيمي حيال جهود المودوديّ في خدمة الإسلام، في بلاد الباكستان، والدّود عنه والدّعوة إليه، في زمن (1955 م) قلّ فيه الدّادة، والقادة، والسّادة به، بحكم

(1) الإبراهيمي: إلى كتّاب البصائر، المرجع السابق، ص: 209.

(\*) فعله م م: تعني فطه المبني للمجهول.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ المودودي، آثار الإمام، ج5، ص: 161.

الاستعمار والفقر والجوع والاضطهاد والجهل... فأُمسى كل واحد من المسلمين - بحكم ذلك (المُدود المقود المسود). وهي صيغ على وزن اسم المفعول، اشتقت من الأفعال الثلاثية المعتلة الوسط (الأجوف) المبنية للمجهول (زيد، قيد، سيد).

وقد وردت كلها معرفة بـ (ال) للدلالة على العموم والخنوع والاستسلام، وترك الزمات للآخرين ليكونوا هم: الذادة، والقادة، والسادة!

أما الدلالة التحويلية: فأسماء المفعولين واقعة مبتدأ مؤخر محصور بأداة الحصر (إلا) والأصل فيه التقديم، وهو ما يعكس حالة التأخر التي آل إليها المسلمون، الذين ظلوا لقرون يتسّمون المراتب الأولى من بين الأمم فأصبحوا في ذيل القافلة!

### 3- الصفة المشبهة: اسم مشتق؛ يدل على ثبوت صفة لصاحبها ثبوتاً عاماً. (1)

وهي صيغة تشتق من الفعل اللازم لتدل على صفة دائمة في الموصوف. مثال: فَرِحَ، عَطِشَانٌ، أَسْمَرَ.

3-1 عمل الصفة المشبهة: تعمل الصفة المشبهة عمل اسم الفاعل المتعدّي إلى واحد. مثال: اشتريت الكتاب الأخضر لونه.

### ❖ الصفة المشبهة في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

وظف محمد البشير الإبراهيمي الصفة المشبهة في معظم رسائله التي كتبها. ففي رسالته (بين عالم وشاعر) (2) نجد توظيفه للصفات المشبهة التالية:

الجدول رقم (1): الصفات المشبهة في رسالة "بين عالم وشاعر"

عنوان الرسالة	الصفة المشبهة	وزنها	الصفة المشبهة	وزنها
بين عالم وشاعر	الدّفين	فعليل	الكبيرة	فعليل
	كسير	فعليل	الصّغير	فعليل
	طريح	فعليل	قرير	فعليل
	كسيف	فعليل	عسير	فعليل
	قصير	فعليل	نضير	فعليل
	العجيبة	فعليل	سمّح	فعل
	الدّقيق	فعليل		

وهي صفات تعكس في معظمها الحالة البائسة واليائسة والحزينة التي مرّ به الشاعر الكبير محمد العيد آل خليفة في فترة ما من حياته، والتي أدخلته في دوامة نفسية رهيبية؛ جعلته ينطوي على نفسه

(1) عباس حسن: النحو الوافي، ج3، ص: 284.

(2) الإبراهيمي: بين عالم وشاعر، مجلة الشهاب، ج3، ص: 135.

ويبتعد عن الحياة الفكرية، وينعزل في بيته، ويهجر الشعر، خاصة وهو الناطق الرّسمي للجمعيّة. لم يكشف الإبراهيمي في رسالته أسباب هذه الحالة التي ألمّت بتلميذه وولده كما يحلو له أن يسميه، ولكنّه شخّص الحالة التي لبسته من خلال سرد تلك الصّفات المشبّهة، والتي جاءت كلّها على وزن واحد هو (فَعِيل).

فالإبراهيمي بحكم حكمته وبصيرته لمح بصيص حزن على الشّاعر الذي يغلب عليه الكتمان وقد حاول أن يستبين حالة الهمّ والأسى (الدّفين) فلم يستطع " طالما قرأت في وجهك الشّاحب آيات الحزن وتلمّحت في قسماتك دلائل الهمّ والأسى، وكم حرّكتك بمعاريض من القول علنيّ أستبين شيئا من حقيقة هذا الهمّ (الدّفين) الذي تنطوي عليه أحنائك، وهذا الأسى المبرح الذي أعلم أنّك تقاسيه، فكنت كمن يستجلي المعنى الدّقيق من اللفظ المعقد." (1)

واعترافا للشّاعر محمّد العيد آل خليفة و بشخصيّة الشّابّة، وظّف الإبراهيمي صفات مشبّهة، يقول متسائلا: " ما لهذه النّفس الكبيرة في هذا الهيكل الصّغير يهفو بها الشعر في مضطربه الواسع فلا يبلغ مداه حتّى يقول:

خَلَا الْقَلْبُ مِنْ حُبِّ الْعِبَادِ وَيُغْضِبُهُمْ \* \* \* وَأَصْبَحَ بَيْنًا لِلَّذِي حَرَّمَ الْبَيْتَا

فبرغم جسمه (الصّغير) - يومها - فهو يداري نفسا (كبيرة) كبر شعره الجميل.

وفي رسالته (دمعة على المنصف) (2) نجده قد وظّف عديدا من الصّفات المشبّهة بلغت ستّا وعشرين صفة.

الجدول رقم(2): الصفات المشبّهة في رسالة "دمعة على المنصف "

عدد المرّات	الصّفة المشبّهة
26 مرّة	العزيزة، الشّنعاء، شعواء، غريبا، الولهانة، جبان، نقيه، العزيز، اللّطيف، الرّكية، حمراء، غريبا، بيضاء، رفيعة، الغريبة، أسيرا، غريبا (3×)، الشّنيع، طليقة، خليقة، طيب، ثمين، عهد، وفيّة

نلاحظ من خلال الجدول تردّد الصّفة المشبّهة من الجذر (غ ر ب) (غريبا)، ثلاث مرّات و (الغريبة) مرّة واحدة، وهو تردّد يناسب حالة (المنصف باي التّونسي)، الذي قبضت عليه فرنسا، وجردته من كلّ شيء، فأصبح - بحكم جبروتها - غريبا. وازدادت غرته أكثر عندما أخذ إلى فرنسا، وتحديدا إلى مدينة

(1) الإبراهيمي: بين عالم وشاعر، المرجع السابق، ص: 135.

(2) الإبراهيمي: رسالة "دمعة على المنصف"، البصائر، العدد: 49.

(بو) فأمسى غريبا في وطن غير وطنه، غريبا عن شعبه، وغريبا عن أهله، حتى إذا قتلتها فرنسا مات مينة (غريبة) (\*) عن كل ذلك.

وهي صفات كما هو واضح في مجملها أورثت حزنا وكآبة انتابت الإبراهيمي رثاء لحال الزعيم المنصف باي الذي لم ينصف. ولازمت الشيخ زما طويلا، وازداد حزنه عليه أكثر فأكثر عندما قُتل ببرودة دم.

لقد صعب الأمر على الإبراهيمي، إذ قال: "يعزّ على هذا القلم الذي شدّ الحقّ أزره، وسدّد المنطق رمائته، أن يموت المنصف غريبا، مظلوما، مسلوب التاج." (1)

فالدلالة النحوية - هنا - لكلمة (غريبا) في محلّ نصب حال، لتعكس صدق الحالة والهيئة لزعيم تونس الكبير.

وقد شبّه الإبراهيمي موت المنصف بكونه (غريبا) كما مات نابليون الفرنسي (غريبا)، وقد أوردها (حالا) منصوبة أيضا، لكنّ الفرق بينهما كما جاء في الرسالة " مات نابليون غريبا في جزيرة القديسة" هيلانة"، ونابليون ممّن زادوا في تاريخ فرنسا صحائف بيضاء، وفي مجدها الحربي أساطين رفيعة، فما كانت موته الغريبة ثلثة في فرنسا، لأنّه مات وفرنسا بيد الفرنسيين." (2)

فالدلالة النحوية لصفة (الغريبة) أنّها وردت (نعنا) لموتة نابليون، أما موتة المنصف كانت (حالا) لذلك أخذ الإبراهيمي يكرّرها أكثر من مرّة "ولكن... ولكن موت المنصف في قرية نائية من قرى فرنسا - غريبا عن وطنه وأمته، مظلوما في عرشه وملكه، مسلوب التاج، مخفور الذمام - مصيبة يزيد في معناها الشنيع معنى، وهو: أنّه مات وتونس ليست للتونسيين!! وأنّه مات وتونس ليست طليقة، وهي بالانطلاق خليفة!" (3) وهو الأمر الذي زاد مصيبتة معناها (الشنيع) والبشع أنّ تونس محرومة من الحرية لكونها ماتزال محتلة غير (طليقة)، ولا بدّ لها - يوما - من انطلاقة على المستعمر، هي بها (خليفة).

#### 4- صيغ المبالغة في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

صيغ المبالغة أسماء تشتقّ من الأفعال للدلالة على معنى اسم الفاعل مع تأكيد المعنى وتقويته والمبالغة فيه. ومن ثمّ سمّيت صيغ مبالغة. وهي لا تشتقّ إلاّ من الفعل الثلاثي. (4)

(\*) يقال: إن فرنسا تخلّصت منه بقتله بحقنة هواء أو سمّ.

(1) رسالة "دمعة على المنصف"، آثار الإمام، ج3، ص: 555.

(2) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 556.

(3) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 557.

(4) السامرائي فاضل صالح: الصرف العربي، أحكام ومعان، دار ابن كثير، دمشق/ بيروت، ط1، 2013، ص: 99.

ولها خمسة أوزان قياسية مشهورة هي:

- 1 - فعَّال. مثل: صَبَّار - شَكَّار - عَلَّام - سَتَّار.
- 2- مِفْعَال. مثل: مِشْكُور - مِقْدَام - مِمْرَاح.
- 3 - فَعُول. مثل: صَبُور - شَكُور - أَكُول - ضَحُوك.
- 4 - فَعِيل. مثل: عَلِيم - فَهِيم.
- 5 - فَعِل. مثل: حَذِر - قَتِل.

وهناك صيغة سادسة أضافها المجمع اللغوي هي صيغة فَعِيل مثل: صَدِيق، سَكَّير، شَرِير، غَرِيد.

ويؤتى بصيغ المبالغة "للدلالة على الكثرة والمبالغة في اتِّصاف الذات بالحدث"<sup>(1)</sup> وتأتي صيغها

متنوعة الأوزان والصيغ للدلالة على معانيها واتِّصاف الذات بها على سبيل الدوام والكثرة.

**فائدة:** بعض صيغ المبالغة سماعية على الرغم من أنها جاءت على أوزان قياسية، والسبب في ذلك أنها صيغت من أفعال غير ثلاثية، مثل: نذير على وزن فَعِيل من الفعل أنذر (رباعي) ومنها مِعْوَان ومِعْطَاء على وزن مِفْعَال من الفعلين (أعان، أعطى) على الترتيب، ومنها كذلك (دراك) على وزن فَعَال من الفعل (أدرك).

وقد وضع علماؤنا عبارة تجمع أوزان صيغ المبالغة القياسية هي: "هو مِقْوَال كَذَاب، وأنت حَذِر والله

غَفُور رَحِيم."

وهي عند مصطفى الغلاييني "ألفاظ تدلّ على ما يدلّ عليه اسم الفاعل بزيادة وتسمّى صيغ

المبالغة". وهو يرى أنّ أوزانها كلّها سماعية، فيحفظ ما ورد منها، ولا يقاس عليه. ولها أحد عشر وزنا.

وهي: فَعَال كَجَبَّار، و مِفْعَال كَمِفْضَال، و فَعِيل كَصَدِيق، و فَعَالَة كَفَهَامَة، و مِفْعِيل كَمِسْكِين و فَعُول

كشُرُوب، و فَعِيل كَعَلِيم، فَعِل كَحَذِر، و فَعَال كَكُبَّار، و فَعُول، كَقُدُوس، و فَعُول كَقَبُوم.<sup>(2)</sup>

وظف الإبراهيمي في رسائله صيغ مبالغة متنوّعة، ولكنّها على الإجمال قليلة، نذكر منها على سبيل

المثال لا الحصر ما ورد في رسالته "حدّثونا عن العدل فإننا نسيناه":

" جَلّ دين الله أن يعلّق بهؤلاء السّماعين للكذب، الأكالين للسّحت.

ومن أشهر من تسمّى بهذا الاسم ضبّة بن أدّ بن طابخة وهي قبيلة مشهورة يعدّها "النسّابون" الجمرّة

الثالثة من جمرات العرب.

والرّقابة الفعّالة في هذا الرّمن الذي وصل طرف الحضارة الأخير بطرف البداوة الأول.

فهي (فرنسا) كالجزّار يذكر الله ويذبح.

(1) خديجة الحديثي: معاني أبنية الصّرف في كتاب سيبويه، منشورات مكتبة النهضة، بغداد - العراق، ط1، 1995، ص: 269.

(2) مصطفى غلاييني: جامع الدروس العربية، ج1، ص: 193.

... حتى يتلاقى البطء والسّراع على الغاية".<sup>(1)</sup>

الجدول رقم(1): صيغ المبالغة في رسالة "حدثونا عن العدل فإننا نسيناه"

عنوان الرسالة	صيغ المبالغة	وزنها	صيغ المبالغة	وزنها
حدثونا عن العدل فإننا نسيناه	سَمَاع	فَعَال	فَعَال	فَعَال
	أَكَّال	فَعَال	الجزّار	فَعَال
	نَسَّاب	فَعَال	البطء/السّراع	فَعَال

فهذه مجموعة من صيغ المبالغة أوردها الإبراهيمي في سياق الحديث عن الفرنسيين المتعطرسين، الظالمين، السّماعين للكذب، الأكالين للسّحت، للدّلالة على المبالغة في اتّصافهم بالأخلاق السيئة من كثرة السّماع للكذب، وكثرة أكلهم السّحت (المال الحرام)، وفيه إشارة إلى تشبيه هؤلاء بالمنافقين واليهود يجمعون بين استماع الكذب وأكل الحرام، الذين ذكرهم القرآن الكريم في مبالغتهم في ذلك. قال الله تعالى: ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.<sup>(2)</sup>

وجاءت هاتان الصّفتان ( سَمَاعُونَ و أَكَّالُونَ) - بصيغة المبالغة، للدّلالة على أنّهم محبّون حبّا جمّا لما يباهه الدّين والخلق الكريم. "وسَمَاعُونَ خبر لمبتدأ محذوف أي: هم سَمَاعُونَ. وكرّر تأكيدا لما قبله، وتمهيدا لما بعده وهو أَكَّالُونَ للسّحت".<sup>(3)</sup>

وأورد الإبراهيمي الصّيغتين جمع مذكر سالم، معرّفتين ب(ال)، للدّلالة على العموم، وهم معروفون بسيماهم لدى العامّ والخاصّ ولكلّ ذي عينين، وأنّ المجهول منهم لا يكاد يدخل تحت حصر. وقد شبّههم الإبراهيمي بضبة بن أدّ بن طابخة، القبيلة التي نسبها من كانت صنعتهم النّسب المشهورين (النّسابون) إلى جمرة من جمرات العرب الثّلاث، وهم عدّة قبائل عربية قيل لها جمرات لأنّها تجمّعت في أنفسها، ولم يدخلوا معهم غيرهم، وهي: بنو ضبة بن أدّ، وبنو نمير بن عامر، وبنو الحارث بن كعب.<sup>(4)</sup>

فالنّسابون جمع مذكر سالم، مفردة نسّاب، من الفعل الصّحيح (نسب) على وزن (فَعَال) وتطلق مبالغة على من صناعته النّسب، وفي فترة ما من التّاريخ كان علّما يُعرف بعلم الأنساب جينيولوجيا

(1) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه، آثار الإمام، ج3. والبصائر، العدد: 94.

(2) سورة المائدة، الآية: 42.

(3) ينظر: محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط، تفسير سورة المائدة، ج4، ط1، سنة 1997.

(4) ابن فرحون المالكي: كتاب الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب، تح: محمد الأحمد أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (دط)، (دت)، ص: 13.

(Genealogy)، وهو علم مهتمّ بأنسب القبائل والعشائر والأسر المحليّة، ويسمّى العالم بالأنساب نسابة. وهو أمر ضاع الآن واختفى.

وفي تشبيهه رائع لجرائم فرنسا ومبالغتها في الوحشية شبّهها بـ (الجزائر)، كأفضل وصف لها فالجزائر يذكر الله ثمّ يشرع في الذبح، وهذا دأبه ودينه دائماً، وفرنسا تدّعي الأخوة والمساواة والعدالة والديمقراطية والإنسانية، ثمّ تدبّح أفراد الشعب المقهور من الوريد إلى الوريد، وتسقيهم المرّ في كلّ صعيد، وتفصل الرّؤوس عن الأجساد، وتحولها إلى لعبة بالأقدام، وتجعلها أهدافاً للتدريب على الرمي بالرصاص؟! وفي رسالته الشّهيرة (مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة) نفسها وظّف صيغاً أخرى للمبالغة نقرأ بعضها في قوله: "يا ساكن الصّريح، متّ فمات اللسان القوال، والعزم الصّوال، والفكر الجوال... إنهم لا يدّرون أنّهم: أودعوا بناءً أجيالٍ في حفرة.."(1)

الجدول رقم(2): صيغ المبالغة في رسالة "مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة"

عنوان الرّسالة	صيغ المبالغة	وزنها	فعلها
مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة	القوال	فَعَال	قال
	الصّوال	فَعَال	صال
	الجوال	فَعَال	جال
	بناء	فَعَال	بنى

وهي صيغ مختارة بعناية لتلّيق بمقام شخصيّة العلامة ابن باديس، تعكس بصدق ودون مبالغة مدى المجهودات الجبارة التي قام بها خلال حياته، دينياً وعلمياً وتربوياً واجتماعياً وسياسياً فكان لسانه نعم القوال بتعليم الجيل القرآن الكريم، ونشر الدّعوة والإصلاح، وممارسة الخطابة وقرض الشّعور... وكان عزمه نعم الصّوال، فلا شيء كان يوقفه عن ممارسة مهامه رغم الظروف الاستعماريّة الشديدة، فظلّ ينتقل في الأرجاء لا يثنيه عن دربه حائل، أمّا فكره فكان نعم الجوال، فكان هو المرّي، نعم البناء للأجيال، لا يكلّ ولا يملّ، على مدار بياض نهاره، وسواد ليله. وكلّ هذه الصيغ جاءت على وزن (فَعَال) أوردها الإبراهيمي كصفات أضفاها على صاحبه ابن باديس، فكانت نعم الأوصاف، وكان نعم الموصوف، بحقّ وصدق.

وفي رسالته إلى الزّاهري (الطّريقي) نجد بعض صيغ المبالغة كما في قوله: "ثمّ قلنا لكم: سلام عليكم، وكلّ عام وأنتم سبابون عيابون كذابون..."(2) وقال له أيضاً: "فلما لمناك على ذلك قلت لنا

(1) الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، آثار الإمام، ج2، ص: 58.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى الزّاهري، آثار الإمام، ج3، ص: 560/ البصائر، العدد: 61.

بالحرف: " ما نَكْدَبْشْ عَلَيْكُمْ، أنا نَتَّبَعُ مَصْلِحَتِي المادية حيثما كانت" والجملة الأولى هي لازمتك المعروفة عند جميع الناس، وهي لازمة كل كَذَابٍ، إذ لا يكثر من نفي الشيء إلا المتصيف به...<sup>(1)</sup>  
الجدول رقم(3): صيغ المبالغة في رسالة "إلى الزاهري"<sup>(\*)</sup>

عنوان الرسالة	صيغ المبالغة	وزنها	فعلها
إلى الزاهري	سبَاب	فَعَال	سَبَّ
	عِيَاب	فَعَال	عَاب
	كَذَاب	فَعَال	كَذَب

وهذه الصيغ التي أوردها الإبراهيمي على وزن (فَعَال) مع صفاتها المشينة (السب، الكذب والعيب) هي الأليق بشخص من أمثال الزاهري (الطريقي)، ومن على شاكلته، فهو طريقي مشهود له بالانحراف وسوء الأخلاق، والكيد لجمعية العلماء المسلمين و رجالها المصلحين، والعمالة للاستعمار الفرنسي واسترضاء قواده، وقد دأب على ذلك طوال حياته لا لشيء إلا لتحقيق مآرب دنيوية، ومصالح شخصية فيكون بذلك قد باع دينه بديناه، وذلك هو الخسران المبين، ولذلك انتقى له الإبراهيمي صيغا من جنس سلوكه.

ومعلوم عند العرب " أن الشيء إذا كُزِّر فعله بُني على (فَعَال). وقيل: إن فعلا في المبالغة منقول عن فعّال في الصناعة... ومن المعلوم أن العرب تنسب إلى الحرف والصنعة بصيغة فعّال كالنجار والطحان والنساج واللحام."<sup>(2)</sup>

فرجال الطرقية الذين يتحدث عنهم الإبراهيمي (سبَابون)، كأنما حرفتهم السب، وهم (عِيَابون) كأنما المعنى، العيب حرفتهم وصناعتهم، وهم أيضا (كَذَابون)، كأنما المعنى هم أشخاص حرفتهم الكذب. وهذه الأخلاق السيئة متأصلة فيهم، باقية معهم "وهذا البناء يقتضي المزاولة والتجديد؛ لأن صاحب الصنعة مداوم على صنعته، ملازم لها، فعندما نقول: (هو كَذَاب) كان المعنى كأنما هو شخص حرفته الكذب، وهو مداوم على هذه الصنعة، كثير المعاناة لها مستمر على ذلك لم ينقطع."<sup>(3)</sup>

(1) الإبراهيمي: إلى الزاهري، آثار الإمام، ج3، ص: 562/ البصائر، العدد: 61.

(\*) ينظر، نص الرسالة كاملا في الملحق، ص: 383.

(2) السامرائي فاضل صالح: الصترف العربي، أحكام ومعان، ص: 99.

(3) السامرائي فاضل صالح: المرجع نفسه، ص: 99.

وفي رسالته إلى الطلبة الجزائريين نجد بعض صيغ المبالغة نذكر منها: "إِنَّ آبَاءَكُمْ يَتَخِيلُونَ مِنْ وِراءِ هَجْرَتِكُمْ مَا يَعودُ بِهِ المَجاهِدُ المَقْدَامُ مِنْ أَجرٍ وَغَنيمَةٍ، وما يَرجعُ بِهِ التَّاجِرُ المَخاطِرَ مِنْ أرباحٍ وَطِرائِفٍ." (1)

وفي رسالته إلى المودودي يقول: "ويقيني أَنَّ هَذِهِ البوارقُ سَتَتبَعُها صِواعقُ، وَأَنَّ هَذِهِ الرِّعودُ سَتَتبَعُها غِيثٌ مِذْرارٌ، وَأَنَّ وَجودَكُمُ وَوِجودَ عِصبةٍ مِنْ أُمَّتِكُمْ - مَتَفَرِّقَةٌ فِي الأَقطارِ الإِسلاميَّةِ - لِإِيدانِ مِنَ اللَّهِ جَلَّتْ قَدْرَتُهُ بِقَرَبِ تَبَلُّجِ الفَجْرِ الصَّادِقِ المَرْتَقِبِ بَعْدَ هَذَا اللَّيْلِ الطَّوِيلِ الحالِكِ." (2)

الجدول رقم(4): صيغ المبالغة في رسالتي "إلى الطلبة الجزائريين" و "إلى العلامة المودودي"

الرسالة	الصيغة	أوزانها	معانيها
رسالته إلى الطلبة الجزائريين	المقْدَام	المِفْعَال	كثير الاقدام
رسالة إلى المودودي	مِذْرارٌ	مِفْعَال	كثير الدر
	العَلامة	الفَعالة	كثير العلم

ومن هاتين الرسالتين نختار بعض هذه الصيغ للمبالغة. فقد وظّف الإبراهيمي صيغة (المقْدَام) على وزن (مِفْعَال)، وهذا النوع من صيغ المبالغة قليل الاستعمال في اللغة "وهو لمن اعتاد الفعل أو دام. نقول: (رجل مضحك ومهذّار ومُطَلِّق) إذا كان مُدِيمًا للضحك والهذر والطلاق. ومنه قولهم: (إنّه لَمُنْحَارٌ بَوَائِكُهَا)، ف(مُنْحَارٌ) كثير النحر، و(بوائكها) جمع بانكة، وهي الناقة السمينة." (3)

كما وصف الإبراهيمي الشيخ أبا الأعلى المودودي بـ(العَلامة) وهي صيغة مبالغة على وزن (فَعالة)، وهي صيغة مبالغة من الفعل(عَلِمَ)، فهو كثير العلم، واسع العلم والمعرفة، فقيه متبحر في العلوم، وهو اعتراف صريح لهذا الرجل بغزارة العلم، وكثرة الإنتاج الفكري، فهو ليس عالما عادياً، بل هو بحر من بحور العلم، ممّن شهد له الجميع بالموسوعية والإتقان، رغم أنّه أعجمي.

وعلى الرغم من محدودية صيغ المبالغة وإفادتها دلالة واحدة في الظاهر إلا أنّ دلالة المبالغة تختلف من صيغة إلى أخرى، ف(مِفْعَال) كما يقول السامرائي: "قيل: إنّ مِفْعالاً لمن اعتاد الفعل حتّى صار له كالآلة، فالأصل في (مِفْعَال) أن يكون للآلة، كالمِفْطاح وهو آلة الفتح، والمِنْشَار وهو آلة التّشّير

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الطلبة الجزائريين، آثار الإمام، ج2، ص:201/جريدة العبقرية، ع 3، تلمسان/الجزائر، سنة 1366هـ.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى المودودي، آثار الإمام، ج5، ص:162.

(3) السامرائي فاضل صالح: الصّرف العربي، ص: 100.

والمِحْرَآت وهو آلة الحرث، فاستعير إلى المبالغة، فعندما نقول: (هو مِهْدَارٌ) كان المعنى أنه كأنه آلة للهدر، وحين نقول: (هي مِعْطَارٌ) كان المعنى أنها كأنها آلة للعطر... وهكذا. (1)

فنتشبهه الإبراهيمي الطالب بالمجاهد المُقْدَام، والغيث وصفه بالمدرار، فيه دلالة على أن الإقدام في المجاهد كأنه جزء من تركيبته، لا ينفك عنه أبداً، وكذلك المدرار كأنه آلة للغيث تمدّه بالتزول الغزير والكثير ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾. (2)

## 5- اسم التفضيل في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

اسم التفضيل: هو اسم، مشتق، على وزن: "أفعل" يدلّ - في الأغلب - على أن شيئين اشتركا في معنى، وزاد أحدهما على الآخر فيه (3). مثال: أحمد أكبر من حسن.

ونحو: عليّ أكرم من سمير، والعصير أفضل من القهوة.

ويعمل اسم التفضيل عمل الفعل فينصب الاسم على التمييز. مثال: الصّدق أرفع الفضائل شأنًا.

صوغ اسم التفضيل: يصاغ اسم التفضيل بالشروط التي يصاغ بها أفعال التعجب وهي كالتالي:

1. أن يكون الفعل ثلاثيًا، مثل: كرم، علم، كفر، سمع. قال تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ (4)
2. أن يكون تامًا غير ناقص، فلا يكون من أخوات كان أو كاد وما يقوم مقامهما.
3. أن يكون مثبتًا غير منفيّ، فلا يكون مثل: ما علم، ولا ينسى.
4. أن يكون مبنياً للمعلوم، فلا يكون مبنياً للمجهول، مثل: يُقال، ويُعلم.
5. أن يكون تامّ التصرّف غير جامد، فلا يكون مثل: عسى، ونعم، وبئس، وليس، ونحوها.
6. أن يكون قابلاً للتفاوت، بمعنى أن يصلح الفعل للمفاضلة بالزيادة أو النقصان، فلا يكون مثل: ملت وغرق، وعمي، وفني، وما في مقامها.
7. ألا يكون الوصف منه على وزن أفعال التي مؤنثها على وزن فعلاء، مثل: عرج، وعور، وحول وحمير، فالوصف منها على وزن أفعال: أعرج ومؤنثه عرجاء، وأعور ومؤنثه عوراء، وأحول ومؤنثه حولاء وأحمر ومؤنثه حمراء.

(1) السامرائي فاضل صالح: المرجع السابق، ص: 100.

(2) سورة نوح، الآية: 11.

(3) عباس حسن: النحو الوافي، ج3، ص: 395.

(4) سورة القصص، الآية: 34.

(5) سورة البقرة، الآية: 282.

فإذا استوفى الفعل الشروط السابقة صغنا اسم التفضيل منه على وزن " أفعل " مباشرة. نحو قوله تعالى ﴿الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾<sup>(1)</sup>

أمّا إذا افتقد الفعل شرطاً من الشروط السابقة، فلا يصاغ اسم التفضيل منه مباشرة، وإنما يتوصّل إلى التفضيل منه بذكر مصدره الصريح مع اسم تفضيل مساعد.  
مثل: أكثر، وأكبر، وأفضل، وأجمل، وأحسن، وأشدّ، وأولى، ونظائرها، ويعرب المصدر بعدها تمييزاً. نحو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾<sup>(2)</sup>

وظّف الإبراهيمي أسماء التفضيل في رسائله وإن كانت قليلة إلا أننا سنشير إلى بعضها.  
ففي رسالته إلى الأستاذ (إبراهيم الكتاني) نقرأ بعض الجمل التي احتوت (أفعل) التفضيل منها: " هذه - أطال الله بقاء أخي - قطعة من فصل طويل من ملحمة أطول... وفي قوله: " لأنّ الحقيقة في هؤلاء أضيق من أحوص قطة. " وفي قوله: " ولئن تمت هذه الملحمة لتكون أكبر ملحمة عرفت في تاريخ العربيّة. "...وأكثر ما نظم أدباء العربيّة الملاحم و شبه الملاحم في بحر الرّجز. " <sup>(3)</sup>

- وأنا لا أستعذب من الرّجز إلاّ ما سلس وسهلت أجزاءه كرجز ابن الخطيب في "نظم الحلل" ورجز شوقي في "دول الإسلام"، ولم اسمع ولا قرأت رجزا أعذب ولا أسلس من رجز الشناقطة. " ونظمت في دخول الإسلام إلى إفريقيّة وبناء القيروان وموت عقبة ووصف مرابطة الثغور وفي طارق وموسى وطريف عدّة فصول أبلغها وصف في جبل طارق... " <sup>(4)</sup>  
وفي الأرجوزة من هذه الرّسالة:

وَذَكَرُوا كَيْفَ طَوَّيْتَ الْمَغْرِبِينَ \* \* \* فِي فَجِّكَ الْأَعْرَ بَعْدَ الْمَشْرِقِينَ <sup>(5)</sup>

الجدول رقم(1): أسماء التفضيل في رسالة" إلى إبراهيم الكتاني "

الرسالة	اسم التفضيل	وزنه	فعله
رسالة إلى إبراهيم الكتاني	أطول	أفعل	طال
	أضيق	أفعل	ضاق
	أكبر	أفعل	كبر

(1) سورة البقرة، الآية: 217.

(2) سورة النساء، الآية: 84.

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى إبراهيم الكتاني، آثار الإمام، ص: 149 - 150.

(4) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 150.

(5) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 151.

كثُر	أَفْعَل	أَكْثَر	
عذب	أَفْعَل	أَعَذَب	
سلس	أَفْعَل	أَسْلَس	
غرر	أَفْعَل	الْأَغْر	
بلغ	أَفْعَل	أَبْلَغ	

ففي هذه الرسالة أتى البشير الإبراهيمي بعدد من أسماء التفضيل، وقد ساهمت في خلق انسجام موسيقي وتعابير فيها تفاضل بين شيئين. فكُلَّمَا أتى على ذكر شيء ما إلاّ وفاضل عليه بشيء آخر. فعندما ذكر قطعة من ملحمة ذكر بأنّ هناك أطول منها، وعندما ذكر ضيق الحقيقة في نفوس بعض الناس وصفها بأنّها "أَضِيقُ من أفحوص قِطَاة". وفي ذلك إشارة إلى حديث الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الذي رواه جابر بن عبد الله، قال فيه: "من حفر ماء لم يشرب منه كبِدُ حَرَى من جنّ ولا إنس ولا طائر، إلاّ آجره الله يوم القيامة، ومن بنى مسجدا كمفحص قِطَاة أو أصغر، بنى الله له بيتا في الجنّة." (1)

والقِطَاة (نوع من الحمام الصّحراوي)، والمفحص هو: موضع بروكها على بيضها. ويضرب به المثل في الصّغر وشدّة الضيق. وكذلك صدور هؤلاء النّاس هي أَضِيقُ من مفحص قِطَاة.

وعندما أراد الإبراهيمي التّعبير عن إعجابه برجز الشّعر وصف رجز " الشّناقطة(\*)" بأنّه لم يسمع ولم يقرأ أعذب ولا أسلس منه في تاريخ الرّجز، فهو أعذب من غيره وأسلس من غيره في العالم.

وعندما ذكر للشيخ (إبراهيم الكتّاني) ما كتبه من وصف، أقرّ أنّ ما نظمه في وصف جبل طارق كان أبلغ من غيره.

وعلى الرّغم من إفادة أفعال التّفضيل أنّ شيئا أفضل من آخر ويزيد عليه إلاّ أنّ الدّلالة النّحوية له تختلف من جملة إلى أخرى ومن تركيب إلى آخر. ففي الجملة الأولى: هذه - أطل الله بقاء أخي - قطعة من فصل طويل من ملحمة أطول... " جاء اسم التّفضيل: نعتا.

وفي قوله: " لأنّ الحقيقة في هؤلاء أضيّق من أفحوص قِطَاة. " جاء خبر لـ (أنّ).

وفي قوله: " ولئن تمّت هذه الملحمة لتكون أكبر ملحمة عرفت في تاريخ العربيّة. " جاء خبرا للنّاسخ تكون.

(1) رواه البخاري في التاريخ الكبير 332/1، ابن ماجه 738، وابن خزيمة 1292، والألباني في صحيح التّرجيب، رقم: 271.

(\*) الشّناقطة: المنتسبون إلى شنقيط (Chinguetti)، وهي مدينة موريطانية، تقع إلى الشرق من ولاية أدرار، تعرف بمدينة المكتبات، ومكتبة موريطانيا بها أكثر من 30.000 مخطوطا، موزّعة على 675 مكتبة، اشتهرت بكثرة علمائها وشعرائها. (ينظر شنقيط، الموسوعة الحرّة (ويكيبيديا) <https://ar.wikipedia.org>).

وفي قوله: " وأنا لا أستعذب من الرّجز إلاّ ما سلس وسهلت أجزاءه كرجز ابن الخطيب في "نظم الحل" ورجز شوقي في "دول الإسلام"، ولم أسمع ولا قرأت رجزا أعذب ولا أسلس من رجز الشناقطة" جاء نعنا.

وفي قوله: " ونظمت في دخول الإسلام إلى إفريقيّة وبناء القيروان وموت عقبة ووصف مرابطة الثّعور وفي طارق وموسى وطريف عدّة فصول، أبلغها وصف في جبل طارق." جاء مبتدأ.

وفي رسالته إلى الزّاهري الطّريقي نجد أسماء تفضيل عدّة ساقها في معرض سرد الصّراع الأبدّي مع رأس الطّريقيّة الأوّل، وعدوّ جمعيّة العلماء البارز، حيث وظّف الإبراهيمي جملة من أسماء التّفضيل يركّي فيها نهج العلماء: " قد كان يسعنا أيّها الشّيخ أن نعمّر سنتنا بالأعمال وتعمّرون سنتكم بالأقوال، فإذا جاء رأس السنّة وحلّ وقت الحصاد، قلنا: هذه أعمالنا، وقلتم: هذه أقوالنا. وعرضنا البضاعتيّن على الأمة لتتنظر وتحكم أيّتهما أذكى طعاما وأعظم عائدة." (1)

فالحكم متروك للأمة لتتنظر أيّ البضاعة (أذكى طعاما وأعظم عائدة)؟ أي بضاعة العلماء أم بضاعة الزّاهري ومن على شاكلته؟ وقد نصب اسمًا التّفضيل -هنا- تمييز نسبة (طعامًا، عائدة). ويقول له أيضا: " أنت مدير أم مُدار؟ وأنت المكتري أم صاحب الدّار؟... أنت عبد مأمور، كما يقول بعض النّاس؟ أم أنت عامل مأجور، كما يقول آخرون؟ ... إنّ أرذل الرّجال، من يتطرّق إليه مثل هذا الاحتمال؛..."

وحيثما أراد أن يعرّي الزّاهري وصفه بـ (أرذل الرّجال) (\*) لعدم رسوّه على برّ، فهو لا يريد أن يخرج إلى النّاس على حقيقة أمره، فتتعبّج من سلوكه، فهو مدير أم مُدار؟ فهو المكتري أم صاحب الدّار... فهو عبد مأمور، أم عامل مأجور؟ إنّ مثل هذا عند الإبراهيمي هو: أرذل الرّجال، إذا كان هناك رجال أرذل؟!

وعندما أراد الإبراهيمي أن يعبر عن احتقاره للزّاهري قال له: " أتذكّر يوم ضاقت بك الحيل فعرضت همّتك وذمّتك وقلّمك في المزاد العلنيّ فكنا أزهد المشتريين فيك؟" (2)

وبعد أن دارت عليه الدّائرة، وتخلّى عنه الجميع، وأصبح مفلسا مادّيًا ومعنويًا، أقبل يعرض خدماته بين يدي الجمعيّة، لكنّها قابلته بموقفها الصّارم، فإذا كان هناك زاهد في خدماته، فالعلماء كانوا (أزهد المشتريين) فيه.

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الزّاهري، آثار الإمام، ج3، ص: 560/ والبصائر، العدد: 61.

(\*) جاء في (معجم الرائد)، أرذل، جمع أرذل وأرذلون، وهو: الرّديء، والدّون، والخسيس مادة (أرذل).

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى الزّاهري، المرجع نفسه، ص: 562.

## الجدول رقم(2): أسماء التفضيل في رسالة "إلى الزاهري"

الرسالة	اسم التفضيل	وزنه	فعله
رسالة إلى الزاهري	أزكى	أَفْعَل	زكا
	أعظم	أَفْعَل	عظم
	أرذل	أَفْعَل	رذل
	أزهد	أَفْعَل	زهد

وفي رسالة الإبراهيمي الرائعة التي وجهها إلى الدكتور محمد فاضل الجمالي رئيس الوزارة العراقية ورئيس مجلس الجامعة العربية وقتها، نجد توظيفا لبعض أسماء التفضيل، كما في قوله: "... وتُعِين هذه الجمعية على إكمال رسالتها التي لا تتم إلاّ بمئات أخرى من المدارس تستوعب أكبر عدد من الأطفال المحرومين الذين يريد لهم الاستعمار أن يبقوا مشردين".<sup>(1)</sup>

" بلَغْتُ الرّسالة على أكمل وجه، وأدّيت الأمانة غير منقوصة، وكررت وأعدت، وكانت النتيجة أن استجابت معظم الحكومات العربية، فقبلت أعدادا محدودة من تلاميذ جمعية العلماء في معاهدها وعلى نفقتها."

" والزّمان زمان تكثّل وتكاثر في العدد، ونحن نرى أقوياءه يتكاثرون بمن ليس منهم ولا تجمعهم بهم جامعة، فكيف بالأخ الأقرب المشارك في الدّم واللّسان والخصائص الجنسية؟" وهذا مجمل من حقيقة هذه الجمعية كنت قدّمت تفصيله في مذكرتين للأمانة العامة لجامعة الدول العربية من نحو سنة مضت، كما بيّنته أبلغ بيان لإخواني العرب شعوبا وحكومات في هذه الرّحلة التي استغرقت من وقتي ما يقرب من السنّتين..."<sup>(2)</sup>

وقد جاءت ثلاث صيغ منها مجردة من "ال" (أكبر، أكمل، أبلغ)، وهي مضافة، وجاء ما بعدها مضافا إليه مجرورا (أكبر عدد)، (على أكمل وجه) (كما بيّنته أبلغ بيان)، وفي كلّ هذه الحالات لم تعمل صيغة اسم التفضيل عملها أو جاءت مميّزة. أمّا الحالة الرابعة فقد أوردتها معرفة ب"ال" في قوله " فكيف بالأخ الأقرب المشارك...؟" حيث جاءت الصّيغة نعتا مجرورا لما قبلها (الأخ)، ولم تعمل أيّ عمل..

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى محمد فاضل الجمالي، آثار الإمام، ج4، ص: 278-280.

(2) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 278-280.

## ثانيا/ المستوى التركيبي في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

## 1- اللغة في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

## 1.1 المعجم اللغوي عند الشيخ الإبراهيمي:

كان الإبراهيمي - رحمه الله - نِعَمَ الفارس، ونِعَمَ الرّكّاب، وكان أسلوبه نِعَمَ المركوب، إلى درجة أنّ جُلَّ المهتمّين بنتائجِه الفنّي يصنّفه ضمن كبار الكتّاب القدامى من أمثال: الجاحظ، و الهمداني، وابن المقفّع، وعبد الحميد الكاتب، وابن العميد... فهو مثلهم تماما. فقد كان: " حريصا على دقّة اختيار الألفاظ، والاهتمام بحلاوة الإيقاع، والاعتماد على الجمل القصيرة، والعبارات الأصيلة التي تذكّرنا بأرباب البلاغة العربيّة. وهو أمر طبيعيّ بالنسبة لأديب مثله، عمّق تأثره بأسلوب القرآن الكريم والحديث الشّريف وكثُرَت معانفته لنفائس التّراث الإسلاميّ، فملك ناصية اللّغة، ولانت له ألفاظها وتراكيبها." (1)

لقد كان لُسلوب البشير الإبراهيميّ الذي دبّج به رسائله ومقالاته وخطبه ووصاياه الأثر الأكبر في جلب الانتباه إليه، نظرا لقوّة اللّغة والألفاظ الجميلة المنقّاة، والإبداع الواسع، والأسلوب الرّائع الذي عرفه النّاس به.

فالأناقة التي تميّز بها الرّجل في كتاباته لم تكن محلّ صدفة، أو حالة عرّضية، بل هي أناقة أفرزها المخزون الأدبيّ والدينيّ الذي حفظته ذاكرته الجبّارة. فكان لزاما أن تتعكس كترجمان لما فيها من ألفاظ القرآن الكريم، والأحاديث النّبويّة الشّريفة، وعيون الشّعر العربيّ القديم لفحول الشّعراء العرب القدامى، والأمثال والحكم، والسّير والتّراجم والتّراث، متأثّرا بالاتّجاهات الأدبيّة النّثريّة القديمة، معتمدا على أساليب الكُمل من رجالات البيان العربيّ، فقد تردّد بين المدرستين الشّرقية والأندلسيّة" فمن المدرسة النّثريّة الشّرقية التي يمثّلها ابن المقفّع والجاحظ وبديع الزّمان الهمدانيّ وابن العميد وعبد الحميد الكاتب أخذ كثيرا من أساليب التّعبير، كالتقسيم المنطقيّ للعبارة، والتّرادف الصّوتيّ عن الكاتب وابن المقفّع والإسهاب والتّكرار والإتيان بالأضداد والسّخرية عن الجاحظ، والرّخفة اللفظيّة والتّشبيه عن ابن العميد وبديع الزّمان، وإيراد الأمثال والافتباس عن التّراث عامّة." (2)

وهو التّأثر الذي يظهر في أدبيّات الإبراهيميّ من المدرسة الأندلسيّة التي كان يمثّلها ابن بسّام وابن عبد ربّه وغيرهما ممّن عُرف عنهم الاهتمام بالأسلوب العربيّ، والعمل على إتقانه وصناعته وأناقته؛ لهذا

(1) ثويني حميد آدم: البلاغة العربية، المفهوم والتّطبيق، ص: 349 .

(2) محمد مهداوي: البشير الإبراهيمي، نضاله وأدبه، دار الفكر، دمشق(سوريا)، ط1، 1988، ص: 223.

جاء أسلوب الإبراهيمي: " يتميز بالخفة والأناقة والقوة والرّصانة. فيه جزالة الألفاظ وقوتها، وتناسق العبارات وتجانسها وتآلفها، وكرم المعاني وعلوها وتألقها، وأصالة اللّغة وفصاحتها وفخامتها." (1)

وهذا الناقد الجزائريّ عبد الملك مرتاض انبهر بلغة الإبراهيمي، إلى درجة نجده في بعض كتاباته النقدية والتحليلية يحاول جاهداً مجارته في اللّغة والأسلوب، وهو أكبر دليل على حسن جمال الألفاظ وأناقة الأسلوب الذي يجذب الألباب، ويسحر العقول... "وإنّما ندرك ذلك من طبيعة كرائم اللّغة المنتقاة ومن سحر النّسج الأسلوبيّ المُستَميّز بشدّة الحركة، ورفعة اللّغة، وجمال الإيقاع، وتقابل الجُمْل متسلسلة مناسبة، كالماء الزّلال، الصّادر من ينبوع الثّرثار، لدى عرض الألفاظ وتركيبها... وقد تمثّل الإبراهيمي اللّغة معرضاً قائماً في سوق أنيقة تعرّض فيها كرائم الألفاظ؛ وهو بذلك يكون قد حدّد، تلقائياً، مواصفات هذه السّوق الرّفيعة التي ليست كأيّ شيء من الأسواق تعرض فيها أيّ بضاعة من البضائع المزجاة؛ بل هي سوق تُجلب إليها كرائم ألفاظ العربيّة المُؤتّفة، وعقائل المفردات المُؤتّفة..." (2)

ويُنْبَتُ هذا الافتراضُ حين نستخلص من نصّ كتبه الإبراهيمي، عن كثرة محفوظه من الشّعْر الجاهليّ عرضاً، وهو في سنّ الثّانية والعشرين. فقد ذكر الشّيخ أنّه التقى بالعلامة الشنقيطي، والشّيخ عبد العزيز الرّشيد الكويتيّ بالمدينة المنورة، فظلّوا شهراً كاملاً بها لا يفترون إلاّ للنوم، قائلاً: « وكنا للألفة التي انعقدت بيننا، نتجاذب أطراف الحديث من مسابقات في حفظ الشّعْر الجاهليّ... ». ولنتمثّل رجلاً يسابق أحمد أمين الشنقيطيّ في حفظ الشّعْر الجاهليّ وهو في ريعان الشّباب...! (3)

ومن شدّة ولّه الإبراهيميّ باللّغة العربيّة والألفاظ العربيّة الرّاقية سمّاها " كرائم اللّغة" ولعلّه أوّل من استخدم هذا المصطلح اعتزازاً بها، ورفعاً من شأنها، في الوقت الذي كان البعض يتبجّح بلغة فولتير (Voltaire) (\*) وكان في بعض مقالاته يدعو الشّباب الجزائريّ والكتّاب منهم بدرجة أخصّ إلى ضرورة الارتقاء باللّغة العربيّة، وتحسين الأسلوب، وأن يرتقوا إليه لا أن ينزل هو إليهم: " وقد يكون

(1) عبد الملك بومنجل: النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة، العلية (الجزائر)، ط1، 2009، ص: 100.

(2) عبد الملك مرتاض: محمد البشير الإبراهيمي: أمير البيان؛ كرائم اللّغة وفصاحة اللّسان، مجلة جذور، السعودية، العدد: 23، مارس 2006، ص: 377.

(3) عبد الملك مرتاض: المرجع نفسه، ص: 377.

(\*) هو فرانسوا ماري أرويه (François-Marie Arouet) ويُعرف باسم شهرته فولتير (Voltaire). ولد بباريس (21 نوفمبر 1694م)، (ت 30 مايو 1778م)، كاتب وفيلسوف فرنسي عاش خلال عصر التنوير. عُرف بنقده الساخر، وذاع صيته بسبب سخريته الفلسفية الطريفة ودفاعه عن الحريات المدنية خاصة حرية العقيدة والمساواة وكرامة الإنسان. من أشهر آثاره: "رسائل فلسفية" (1734)، و"زاديج" أو "صديق" (1747) وقد نقلها إلى العربية طه حسين، تحت اسم "القدر"، و"كانديد" أو (السادج) (1759)، و"المعجم الفلسفي" (1764). (ينظر، فولتير، الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) <https://ar.wikipedia.org>).

الإبراهيمي أول من أطلق صفة الكرائم على الألفاظ العربية الراقية، فشبَّهها ببنات الأكارم والأكابر من النساء؛ فإنما تطلق الكريمة والعقيلة على المرأة الشريفة الحسبية. فالكريمة تطلق في العربية على أرقى الشيء، وأجوده مكانه، وأشرفه منزلةً. ولما فكر الإبراهيمي في صفة بديعة تظاها على أن يصف بها ألفاظ العربية العالية لم يجد شيئاً غير صفة «الكرائم» فوصفها بها، تعظيماً من شأن اللغة وتشريفاً لمنزلتها؛ وذلك بحكم أنها مفتاح المعرفة، وأنها الأداة الأولى للتواصل بين الناس في المجتمعات المتحضرة. وأنها، بالإضافة إلى ذلك، وبالقياس إلى المسلم، هي مفتاح الإيمان بتمكينه من فهم نصي القرآن والحديث، وهما أرقى وأعلى ما في نسج العربية على الإطلاق... وبمنح هذه الصفة الكريمة لضرب من ألفاظ اللغة خرج عن ذلك، منها، كل ما لا يمكن أن ينضوي تحتها من الألفاظ السوقية، والكلمات التي ابتذلها الاستعمال فأفقدتها ما قد يكون كان في أصلها من بهاء وجمال...<sup>(1)</sup>

فاللغة العربية إذاً كريمة بنت الأكارم، ولا يتكلم بها إلا الكريم المعتر بها وبتاريخها، وكيف لا وهي مفتاح العلوم، وطريق الإيمان، والأداة التي يتواصل بها آلاف الملايين على وجه الأرض، ويكفيها فخراً أنها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة، وأنها لغة أهل الجنة. أليس من حق الناطقين بها أن يتعصبوا لها، وينافحوا عنها، ويفتخروا برصيدها، ويعتموا في قضاء حاجياتهم باستخدامها دونما عقدة أو مركب نقص؛ لذلك انبرى الإبراهيمي للاضطلاع بهذه المهمة، مطالباً أبناء اللغة العربية أن يكونوا أهلاً لها، شامخين بالانتماء إليها، رافعين رؤوسهم برفعة رايتهما الخفاقة.

## 2.1 غرابة اللغة عند الإبراهيمي:

في المعجم الوسيط: "أغرب في كلامه: أتى بالغريب البعيد عن الفهم."<sup>(2)</sup> وغير بعيد عن هذا المعنى أورد الخطابي في غريبة: "الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم كالغريب من الناس، إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل، .. ثم إنَّ الغريب من الكلام يقال على وجهين: ❖ أحدهما: أن يراد به بعيد المعنى غامضه، لا يتناولُه الفهم إلاَّ عن بُعد ومعاناة وفكر.

❖ والوجه الآخر: أن يراد به كلام من بَعُدَتْ به الدار ونأى به المحل من شواذ قبائل العرب."<sup>(3)</sup>

وقد ورد في التراث العربي كلمة (غريب) في الأحاديث النبوية الشريفة، وفي الشعر العربي وفي الأمثال، والحكم القديمة، وفي المعاجم العربية القديمة والمعاصرة، يمكن ذكر بعضها في هذه الشواهد كما أوردتها الدكتورة سيّد مصطفى أبو طالب.

أمثلة سياقية: غريب

(1) عبد الملك مرتاض: المرجع السابق، ص: 377.

(2) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ص: 647 / 3.

(3) الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم: غريب الخطابي، ج1، تح: عبد الكريم إبراهيم الغرابوي، دار الفكر، دمشق، (دط)، 1982 م، ص: 70 - 71.

إِذَا صَوَّتَ الْأَصْدَاءُ يَوْمًا أَجَابَهَا \*\*\* صَدَى وَتَوَى بِالْقَلَاةِ غَرِيبُ (شعر)

إِذَا مَا مَضَى الْقَرْنُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمْ \*\*\* وَخُلِّفْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبُ (شعر)

إِنَّ الْغَرِيبَ الطَّوِيلَ الذَّلِيلَ مَمْتَهَنَّ \*\*\* فَكَيْفَ حَالُ غَرِيبٍ مَا لَهُ قُوْتٌ (شعر)<sup>(1)</sup>

" الْمُؤْمِنُ فِي الدُّنْيَا كَالْغَرِيبِ لَا يُنَافِسُ فِي عَزِّهَا؛ وَلَا يَجْزَعُ مِنْ ذُلِّهَا. " (عامّة).

وفي الحديث النبوي الشريف: " إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ " قَالَ: قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: النَّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ. "<sup>(2)</sup>

ومن ذلك ما جاء في الشعر الجاهلي.

قال علقمة الفحل:

فَلَا تَحْرَمْنِي نَائِلًا عَنِ جَنَابَةِ \*\*\* فَإِنِّي أَمْرُؤُ وَسَطُ الْقَبَابِ غَرِيبُ (الطويل )

كما ورد في المثل: " ضربه ضرب غرائب الإبل ". وذلك أن الغريبة تزدهم على الحياض عند الورود وصاحب الحوض يطردها ويضربها بسبب إبله. يضرب في دفع الظالم عن ظلمه بأشد ما يمكن. "<sup>(3)</sup>

ومنه قول الحجاج في خطبته يهدد أهل العراق: " والله لأضربنكم ضرب غرائب الإبل. "

قال الأعمش: كَطَوَافِ الْغَرِيبَةِ وَسَطِ الْحِيَاضِ \*\*\* تَخَافُ الرَّدَى وَتُرِيدُ الْجَفَارَا

وقد سمّت العرب الغراب بهذا الاسم؛ لأنه من البعد والاعتراب عن الأمصار.

وقد ثبت عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " أَنَّهُ تَحَدَّثَ بِلُغَةِ غَرِيبَةٍ لَمْ يَفْهَمْ مِنْهَا الصَّحَابَةُ شَيْئًا فِي مَثَلٍ

قوله: " عَلَى التَّيِّعَةِ شَاةٌ، وَالتَّيِّمَةُ لِصَاحِبِهَا، وَفِي السُّيُوبِ الْخُمْسُ، لَا خِلَاطَ وَلَا وِرَاطَ وَلَا شِنَاقَ وَلَا شِعَارَ

وَمَنْ أَجَبَى فَقَدْ أَرَبَى وَهَذَا كِتَابُهُ إِلَى الْأَقْيَالِ الْعِبَاهِلَةِ... "<sup>(4)</sup>

وقد أورد الدكتور محمد كشاش في مقاله: كتب الغريب: الغريب في الاصطلاح هو: "الغامض من

الكلام، وكلمة غريبة" ويقال: " تكلم فأغرب إذا جاء بغرائب الكلام ونوداره، وقد غربت هذه الكلمة، أي:

غمضت فهي غريبة، ومنه مُصَنَّفُ الْغَرِيبِ، وأوضحوا المقصود من الكلام الغريب، بقولهم: " وكلام غريب

(1) سيد مصطفى أبو طالب: الغريب في اللغة، شبكة الألوكة، الإضافة: 14-1-2017 م / 15-4-1438 هـ. <https://www.alukah.net>.

(2) رواه مسلم في كتاب الإيمان، رقم (145)، 130/1، ورواه ابن ماجه في سننه: رقم الحديث (3986)، (2/1319-1320)، والإمام أحمد في مسنده: (2/389).

(3) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري: كتاب مجمع الأمثال، المثل رقم: 2203، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (دط)، 1987، ص: 419.

(4) ( الهروي أبو غنيد القاسم بن سلام البغدادي: غريب الحديث، ج1، تح: محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن ، ط1، 1384 هـ - 1964 م، ص: 211.

بعيد عن الفهم". بعد ما سبق، يلاحظ أنّ الكلام الغريب، أو الغرابة في اللفظة " كون الكلمة وحشيّة غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة."<sup>(1)</sup>

ولعلّه قد تبيّن ممّا سبق أنّ كلمة " غريب " تضمّنت عديدا من المعاني التي فهمها العرب، ولكنها تصبّ في مدلول يكاد يكون واحدا، مفاده أنّ هذه المفردة أو هذا الكلام مبهم وغامض وغير مألوف ونادر، بعيد عن الفهم، وحشيّ غير ظاهر المعنى ولا مأنوس، فيه لبس ومعناه خفيّ.

ثمّ وضع علماء العربيّة والبلاغة معايير وأقيسة، فرّقوا فيهما بين اللفظ الغريب، وما يقابله من فصيح. وكلمة "الغريب" مرادف للحوشيّ والشارد والنادر. قال السيوطي: "معرفة الحوشيّ والغرائب والشوارد والنوادر هذه الألفاظ متقاربة، وكلّها خلاف الفصيح."<sup>(2)</sup>

وعلى الرّغم من هذا التّأصيل لكلمة " غريب " فإنّ الإبراهيمي يرفض هذه المفردة من حيث اعتقاده أنّ اللّغة كلّ متكامل، ليس فيها الواضح وحده، والحوشيّ وحده؛ وإنّما توظيف النّاس لها واستعمالها في الحديث اليوميّ، وتوظيفها في الكلام المنطوق والمكتوب هو الذي يحكم على تداولها أو تحاشيها، ومن ثمّ يندر التّحدّث بها، ومع الوقت تصبح من الغريب اللّغويّ "والإبراهيمي بحكم تضلّعه في اللّغة، يرفض رفضا قاطعا مصطلح " غريب اللّغة " بيد أنّ الإبراهيمي لا يقرّ بوجود غريب أصلا، وذلك بحجّة أنّ الغريب ليس غريبا إلّا على من لا يعرف العربيّة؛ وكأنّ من واجب الكُتّاب الكبار أن يلمّوا بهذه الألفاظ من العربيّة، ثمّ يصطنعوها في كتاباتهم حتّى تغدي مألوفة مأنوسة، ومتداولة مفهومة..."<sup>(3)</sup>

ويمكن حصر هذه الفئحة لدى الإبراهيمي في عدم وجود غريب في اللّغة، وإنّما بعدّ استعمالها في قاموس النّاس اليوميّ هو الذي غرّب اللّغة، وجعلها غامضة عند كثير من النّاطقين بها، واللافت في كتابات الإبراهيمي امتلاكه لقواميس ضخمة من المفردات أتى على حفظها - وهو صغير - من أمّات الكتب والمصنّفات من التّراث القديم، شعرا ونثرا وأمثالا وحكما... حرص عمّه(\*) على تلقينه إيّاها ومراجعتها معه كلّ ليلة، حتّى صارت عنده مألوفة، ومعانيها حاضرة معه في كلّ حين، وعلى كلّ حال.

(1) محمد كشّاش: كتب الغريب، بين حقيقة معنى (الغريب) وواقع التّأليف، مجلة التراث العربي، اتحاد الكُتّاب العرب - دمشق، العددان 71 - 72 - السنة 18 - تموز "يوليو" 1998، ص: 149.

(2) السيوطي جلال الدين: المزهرة في علوم اللّغة وأنواعها، المحقق: محمد جاد المولى و محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (دط)(دب): ص: 185.

(3) عبد الملك مرتاض: محمد البشير الإبراهيمي، أمير البيان؛ مجلة جذور، العدد: 23، ص: 377.

(\*) يذكر أنّ الإبراهيمي حفظ القرآن الكريم، وتلقى علومه الأولى، على يد عمّه الشّيخ محمّد المكي، وكان عالم الجزائر لوقته، انتهت إليه علوم النحو والصرف والفقه (...). - (ينظر كتاب " من أنا؟ خلاصة تاريخ حياتي العلميّة و العمليّة " لمؤلفه الإبراهيمي، تح: رابح بن خوية، منشورات الوطن اليوم، سطيف - الجزائر، ط1، 2018).

يقول عبد الملك مرتاض: "ونحن نعتقد أنّ الإبراهيمي، بما أتيح لذاكرته من علوق مدهش بغريب العربية، وألفاظها البعيدة عن التناول اليومي، لم يكن يصطنع في كتابته من تالك اللغة المخزونة في ذاكرته العجيبة إلا نسبةً ضئيلة، قد لا تجاوز الربع ممّا يختزن، وذلك لإدراكه بأنّه لو استعملها كلّها كما كانت عالقةً بحافظته، لمّا كان فهم عنه كتابته إلاّ قليلًا من المتلقين حتّى لا يُقال عنه: لم لا تكتب ما يفهم؟..."<sup>(1)</sup>

وقد أصاب الإبراهيمي في قناعته هذه لإدراكه الثّاقب أنّ الأمر إذا تمّ فيه إتباع العامّة، والجنوح للسهل، والتسامح في اللغة لصاغت. وهاهي ذي التجارب أثبتت التّساهل في اللغة؛ فرض الرّكّابة في استعمالها، بل أصبح الحديث بالذّارجة (العاميّة) أقرب إلى السّنة المختصّين في الأدب العربيّ فهي لسان حالهم ومقالهم. وهو التّصرّف الذي حدّر منه الإبراهيمي "ولعلّ هذا التّصرّف لا يصدر إلاّ عن رجل ذي بُعد في النّظر، وسعة في الفكر، إذ إنّهُ كان مدركاً أنّ للغة العربية أعداء - وهم أذيان الاحتلال - سيتربّصون بها في المستقبل؛ فحاول أن يكوّن جيلاً متشبّعاً بهذه اللغة ليدافع عنها."<sup>(2)</sup>

ويشفع للإبراهيمي هذه القناعة ما قاله الجرجاني في الغريب: "ليست الغرابة تلبّيساً ولا تعمية ولا تعقيداً، إنّها فاعليّة فنيّة تتجسّد في إشغال الفكر، وفتح آفاق وفضاءات رحبة للتّفسير والتّأويل، وبذلك يكون الجرجانيّ قد برأ الغرابة من كلّ ما يقتل فيها وهجها وألقها وأثرها. إذ تصبح عنصراً أساسياً من عناصر الشّعريّة التي تبعث على الإعجاب والإدهاش. وإذا كان الجرجانيّ مع الغرابة، و ضدّ التّعمية والتّعقيد، فإنّه ضدّ الابتذال، لأنّ الابتذال سقوط وسذاجة تخاطب الحقيقة وذات بعد واحد تظّل فيه المطابقة بين الدّال والمدلول علاقة ثابتة لا تتزحزح إطلاقاً..."<sup>(3)</sup>

لقد وقف الجرجانيّ موقف الرّافض للتّعمية والتّعقيد والابتذال، وهي عناصر يراها غير قادرة على تحقيق غرابة فنيّة، فليست الغرابة مقرونة بالتّعقيد والتّعمية، ولا يكون الابتذال بديلاً لها، لأنّ هذه المصطلحات لا تقدّم وظيفة فنية قائمة على جذب القارئ وخلق التّفاعل بينه وبين ما يقرأ، وحدوث التّفاعل هو سمة الغرابة، لأنّها التي تجعل الكلام كلاماً راقياً لا يعبر عنه بالمباشرة ولا بالتّعقيد."<sup>(4)</sup>

(1) عبد الملك مرتاض: المرجع السابق، ص: 377.

(2) أحلام بالولي: بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي، أطروحة ماجستير، إشراف: د/سالم سعدون، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة - الجزائر، 2013-2014، ص: 101.

(3) موسى سامح ربابعة: الأسلوبية مناهجها وتجلياتها، جامعة الكويت، دار الكندي، ط1، 2003 م، ص: 70.

(4) موسى سامح ربابعة: المرجع نفسه، ص: 70.

## ❖ نماذج من اللغة العربية في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

جاء في رسالة (مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة)<sup>(1)</sup> قوله: "فادفعا بالمهريّة القود، في نحر الوديقة الصيخود، ولا تخشياً لذع الهواجر، وإن كنتما في شهري ناجر..."<sup>(2)</sup>

وقال فيها أيضاً: "قولاً لصاحب القبر عني: يا ساكن الصريح، نجوى نضو طليح، صادرةً عن جفن قريح، وخافق بين الضلوع جريح، يتأوبه في كل لحظة خيالك وذكرك، فيحملان إليه على أجنحة الخيال من مسراك اللهب والريح، وتؤدي عنهما شؤونه المنسرية، وشجونته الملتهبة، وعليهما شهادة التجريح."<sup>(3)</sup>

والمقصود: إنني نجوتك ونفسي هزيلة متعبة مجهدة ضعيفة مما أعانيه من الوحدة في السجن.

وقد جاء في رسالة (عادت لعترها لميس) قوله: "كل الحكومات الاستعماريّة تجعل مغنويات الشعوب المغلوبة هدفها الأول فترميها بما يُضعفها، ولكن على التدرّج لا على المغافصة وبالحيله لا بالقوة، وفي السر لا في العلن."<sup>(4)</sup>

والمقصود بالمغافصة: غافص الرجل مغافصةً وغافصاً أخذه على غرة فركبه بمساءة، والغافصة من أوزم الدهر وأنشد إذا نزلت إحدى الأمور الغوافص وفي نوادر الأعراب أخذته مغافصةً ومغابصةً ومراقصةً أي أخذته معازة.<sup>(5)</sup>

(1) الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، آثار الإمام، ج2، ص: 56.

(2) ينظر، شرح هذه المفردات في (منتدى اللغة العربية وعلومها، المكتبة الشاملة الحديثة، ص: 373).

فالمهريّة القود: هي الفرس الطويلة الظهر والعنق، والقود الطوال، ومفردها قوداء وأقود، وهذا مضمن بيت المتنبي الذي يقول فيه:  
ويُلمها خطّة، ويلمّ قابلهما \* \* \* لمثلها خلق المهريّة القود

والمقصود: الخيل المعدّة للجهاد المروضة عليه.

[القود]: طائفة من الخيل تُقاد في السفر بجوار الركب ولا تُركب، بل تُودع حتى يُحتاج إليها في الدفاع عن الركب.

الوديقة الصيخود: الوديقة: هي حرّ نصف النهار، والصيخود: الشديدة، شدة الحرّ، أو الحرّ الشديد. والمعنى: ادفعا بالفرس الطويلة في حرّ الهاجرة والحرّ الشديد. لذع الهواجر: حرّها الشديد.

شهري ناجر: قيل: صفر، وقيل: رجب، وقيل: كل شهر في صميم الحرّ فاسمه ناجر؛ لأنّ الإبل تُنجر فيه، أي يشتدّ عطشها حتى تيبس جلودها.

(3) نجوى النفس: حديثها، أي ما يوجهه المرء من حديث إلى نفسه. (3) إنّما النجوى من الشيطان (قرآن) سورة المجادلة، الآية: 10. والنضو: المهزول من الحيوان. ويقال: فلان نضو سقر: مُجهّد من السفر. وثوب نضو: خلق. وسهم نضو: فاسد من كثرة ما رُمي به. (والجمع): أنضاء.

وطليح: طليح - ج، طلحي، مؤ، طليح وطليحة، ج، طلائح.

طليح: خالي الجوف من الطعام. 2 - طليح: دابة صغيرة تتعلّق بالجمال ونحوها. 3 طليح: تعب. 4 - طليح: مهزول، ضعيف.

(4) الإبراهيمي: رسالة عادت لعترها لميس، آثار الإمام، ج3، ص: 341/البصائر، العدد: 64.

(5) ابن منظور: لسان العرب، مادة (غافص).

وقال فيها أيضا: " ولم يكتف هذا السيط الداخلي لهذه الزرد التي صاحبها يفتقر، وآديها ينتقر، فدعت الجفلى إلى الزردة الكتانية التي صاحبها " يزرد ويزيد. "(1)  
والمقصود بكلمة (الجفلى): الجفلى. الجذر: جفل. الوزن: فعلى.  
[الجفلى]: أن يدعو الرجل الناس إلى طعامه عامة من غير اختصاص، قال طرفة:

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفْلَى \*\*\* لَا تَرَى الْآدِبَ فِينَا يَنْتَقِرُ (2)

وإلى نحو ذلك ذهب صاحب معجم الزائد. جفلى: دعوة الناس إلى الطعام، دعوة عامة من غير تخصيص. "(3)

وكذلك في لغة الفقهاء (الجفلى): الجفلى: الدعوة العامة التي لا يخص بها جماعة دون جماعة، فإن خص فهي النقرى... "(4)

وجاء في رسالة (الضب) قوله: " وإن هذه الكتب الخاصة بالنبات والشجر لبرهان مستقل قائم على مقدار اتساع هذه اللغة الشريفة وإحاطتها، ودليل من جهة أخرى على فضلها على المعارف البشرية وجواب مسكت للذين يهرفون بتنقص هذه اللغة ويرمونها بضيق العطن، والقصور عن استيعاب المعارف، وتوبيخ من لزعة من أبناء العرب العاقين الذين يلون أسنتهم بمثل هذا الكلام ويشايعون لجهلهم، وفسولة أخلاقهم، وانحراف أمزجتهم العربية أعداءها على ذمها والزراية بها والتقليل من خطرهما، وأنا لا أرى دواء لهذه الزعة التي ضلت عن جهل إلا الاحتقار فما بفقدهم ينقص عديد العرب ولا برطانتهم يقل شأن العربية، ويخف وزنها. "(5)

جاء في تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيدي: « وهذا من ضيق العطن وعدم التمييز بين المطلق والمقيّد »، فدلّ قوله هذا على أن ضيق العطن تستعمل في سياق قلة العلم وضعف الاطلاع وضيق الأفق. "(6) وأصل العطن: مبرك الإبل، وفيها الضيق والواسع.  
وضيق العطن: كناية عن ضيق الصدر، أو كناية عن البخل، ويطلقها أهل العلم في سياق الكناية عن ضعف الفهم، وقلة العلم.

(1) الإبراهيمي: رسالة عادت لعثرها لميس، آثار الإمام، ج3، ص: 342/البصائر، العدد: 64.

(2) نشوان بن سعيد الحميري: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المحقق: حسين بن عبد الله العمري و مطهر بن علي الإيراني و يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ط1، 1420 هـ - 1999م، مادة (ج ف ل).

(3) جبران مسعود: معجم الزائد، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، سنة 1992، مادة (ج ف ل ي).

(4) محمد رواس قلعه جي و حامد صادق قنبي: معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1985 (مادة: الجفلى).

(5) الإبراهيمي: رسالة الضب، آثار الإمام، ج2، ص: 42.

(6) مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية للطباعة و النشر و التوزيع، الكويت، (نط)، 1965، مادة (ع ط ن).

وقال فيها الإبراهيمي أيضا: "لأشرفوا على بحر لحيّ يجدون عنده رطانتهم ضحضاحا غمرا، لا يغمر كعب إنسان، ولو علموا أنّ العرب تقول: خطيبٌ وَعَوَعٌ فيكون مدحا، وخطيبٌ وَعَوَاعٌ فيكون ذمّا ولهم في كلّ كلمة مرمى من الاشتقاق مصيب." (1)

ويقال: إنّ أصلها: من كلام عمرو بن العاص في حقّ سيّدنا عمر رضي الله عنهما - جانب غمرتها، ومشى ضحضاحها، وما ابتلت قدماه. أي: "لم يتعلّق من الدّنيا بشيء." (2)

أمّا قول الإبراهيمي "خطيبٌ وَعَوَعٌ" يعني: "خطيبٌ وَعَوَعٌ: مُحْسِنٌ؛ قالت الخنساء:

" هو القَرْمُ واللّسِنُ الوَعَوَعُ \* \* \* وربما سمّي الجبانُ وَعَوَاعًا." (3)

والوَعَوَعَةُ: من أصوات الكلاب وبنات آوى، وخطيبٌ وَعَوَعٌ: نعتٌ له حسنٌ." (4)

قال الأزهري: تقول خطيبٌ وَعَوَعٌ نعت حسن، ورجلٌ مهذارٌ وَعَوَاعٌ نعت قبيح." (5)

وقد قال صاحب العين: "خطيبٌ وَعَوَعٌ، ووَعَوَعٌ: بليغ." (6)

وخطيبٌ وَعَوَاعٌ هو: مهذار، ثرثار، يخلط في منطقه، ويتكلّم بما لا ينبغي." (7)

ويقال: رجلٌ مهذارٌ وَعَوَاعٌ: أي كثير الكلام والصّياح." (8)

وقال الإبراهيمي: "أنتم تحثون الرّكائب لغاية تزعمونها، وفي القافلة الكبرى أنضاء طلاح، إن لا تعوق عن تلك الغاية تؤخر البلوغ إليها، فهلا أدنتم في أولها بالأناة والتلبّث، وحدوتم في آخرها بالعجلة واللّحاق، حتّى يتلاقى البطء والسّراع على الغاية؟ أمّا عملكم اليوم فهو مضاعفة لقوادم الطائر حتّى يحلّق في الجوّ، وإضعاف لحركات الواقع حتّى ينبتّ في الدوّ." (9)

قوله: أنضاء. معناه: النّضو: المهزول من الحيوان.

"طلاح، طلاح، طلاح: «جمال طلاح»: تعبّة من السّفَر." (10)

"الطلّح مصدر طلّح البعير يطلّح طلّحا إذا أعبا وكلّ." (1)

(1) الإبراهيمي: رسالة الضب، آثار الإمام، ج2، ص: 42.

(2) القاضي عياض اليحصبي السبتي: إكمال المّعلّم بفوائد مُسلم، ج1، المحقق: يحيى إسماعيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1419 هـ - 1998م، ص: 455.

(3) من ديوان الخنساء، ص: 161.

(4) الفراهيدي: العين، ج2، ص: 273.

(5) جبران مسعود: معجم الرائد، مادة (و ع ع).

(6) ابن سيده أبو الحسن الأندلسي: المخصّص، ج1، تح: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط)، 2006، ص: 469.

(7) مرتضى الزبيدي: تاج العروس، مادة (و ع و ع).

(8) نشوان بن سعيد الحميري: شمس العلوم، مادة (و ع و ع).

(9) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه، آثار الإمام، ج3، ص: 372.

(10) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (دط)، 1983، مادة (ط ل ح).

وقد استخدم الإبراهيمي عددا من غرائب اللّغة العربيّة التي نجهل معانيها في عصرنا هذا. من أمثلة ذلك في رسالته للكّثاني:

" يَا دِينَ إِنَّ الدِّينَ لَيْسَ يُنْسَى بَلْ يُفْضَى مُعْجَلًا أَوْ يُنْسَى

يَادِينُ إِنَّ الصَّبْغَ لَنْ يَحُولًا وَإِنْ عِنْدَكَ لَهُمْ ذُهُولًا

وعندك التّراثُ والطّوائِلُ ممّا قرى الأوائِلُ الأوائِلُ"<sup>(2)</sup>

والطّوائِلُ، يريد أنّ النّاس إذا رأوا تفوّقي عليهم أبغضوني وحاربوني كأنّ لهم عندي ثارا يطالبونني به.

والطّوائِلُ: الأحقاد والنّار. أحدها طائلة، وبينهم طائلة، أي: عداوة وترة.

وفي أبيات لأبي العلاء المعريّ (363هـ - 449هـ) (973-1057م) استخدم هذه الكلمة.

كَأَنِّي إِذَا طَلْتُ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ \* \* \* رَجَعْتُ وَعِنْدِي لِلْأَنَامِ طَوَائِلُ<sup>(3)</sup>

وكذلك وظّفها المتنبّي:

رَجَا الرُّومُ مَنْ تُرْجَى النِّوَائِلُ كُلُّهَا \* \* \* لَدَيْهِ وَلَا تُرْجَى لَدَيْهِ الطَّوَائِلُ<sup>(4)</sup>

التّرات: جمع ترة وهي النّار.

ومعنى الطّوائِلُ التّرات: يريد أنّ النّاس إذا رأوا تفوّقي عليهم أبغضوني وحاربوني كأنّ لهم عندي ثارا

يطالبونني به.

وفي رسالته المبكية (دمعة على المنصف)<sup>(\*)</sup> نجد الإبراهيمي قد وظّف بعض الألفاظ الغريبة منها

قوله:

(1) معجم الرائد، مادة (ط ل ح).

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى إبراهيم الكّثاني، آثار الإمام، ج2، ص: 149.

(3) أبو العلاء المعريّ: ديوان أبي العلاء المعريّ (اللوزوميات)، تح: أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الهلال، بيروت/ مكتبة الخانجي، القاهرة، (دط) (دت).

(4) عبد الله العكبري البغدادي: شرح ديوان المتنبّي، ج1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1998، ص: 108.

(\*) محمد المنصف باي (حبيب الشعب) ولد في 4 مارس 1881 آخر البايات الحسينيين في تونس. سمي وليا للعهد يوم 30 أبريل 1942 واعتلى العرش الحسيني يوم 19 يونيو 1942 خلفا لابن عمه أحمد باي واستمر في الحكم 11 شهرا. لم تكن تصرفاته لتتال رضاء الحكومة الفرنسية. قام المنصف باي بتسمية وزراء وطنيين في الحكومة وفي المذكرة التي بعثها إلى الحكومة الفرنسية يوم 2 أوت 1942 والتي قدمها وزيره الأول محمد شنيق قائمة بـ16 مطلباً، لم تعجب فرنسا. فاتهمته تهماً واهية، ونفته إلى الأغواط الجزائرية، و معه الشاذلي قائد السبسي لاعانته، وذلك بهدف الضغط ليتنازل عن العرش، وهو ما قام به بالفعل بتاريخ 6 جويلية 1943 وفي يوم 31 جويلية نقل إلى تنس (ولاية الشلف)، وفي 17 أكتوبر نقل إلى مدينة بو (Pau) بالجنوب الفرنسي، والتحققت به عائلته، وكان يستقبل الزوار، إلى أن توفي يوم غرة سبتمبر 1948 وأعيد جثمانه إلى تونس ليدفن يوم 5 سبتمبر، بوصية منه بمقبرة الجلاز، وقد شارك في جنازته آلاف التونسيين لما له من شعبية واسعة. (ينظر، محمد المنصف باي، الموسوعة التونسية المفتوحة (http://www.mawsouaa.tn)).

وإلى هذا الطراز العالي من الرجال، وإلى هذا النوع اللطيف من أنواع الموت وإلى هذه الدماء الزكية التي تشعب حمراء كالحرية، نقيّة كعقيدة الحق...<sup>(1)</sup>

فقد استخدم الإبراهيمي هذا الفعل (تشعب) الماء والدمّ ونحوهما : تَعَبًا : فَجَّرَهُ فَسَالَ. وفي الحديث الشريف: « ( يَجِيءُ الشَّهِيدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَتَّعِبُ دَمًا ». انْتَعَبَ الْمَاءُ وَالِدَمُّ وَنَحْوَهُمَا : انفجر. <sup>(2)</sup> وفي لسان العرب: " تَعَبَ الْمَاءَ وَالِدَمَّ وَنَحْوَهُمَا يَتَّعِبُهُ تَعَبًا : فَجَّرَهُ، فَانْتَعَبَ كَمَا يَنْتَعِبُ الدَّمُّ مِنَ الْأَنْفِ. قَالَ اللَّيْثُ وَمَنْ اشْتُقَّ مَتَّعَبُ الْمَطَرِ. وَفِي الْحَدِيثِ يَجِيءُ الشَّهِيدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَتَّعِبُ دَمًا أَي يَجْرِي. وَمِنْهُ حَدِيثُ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- صَلَّى وَجُرْحُهُ يَتَّعِبُ دَمًا...<sup>(3)</sup>

ختامًا، ومما سبق يتبين واضحًا مدى تحكّم الإبراهيمي في اللغة العربية وبألفاظها حتّى الغريب منها، وهو ما يؤكّد حفظه لمصادرها منذ الصّغر، ومما علق بذهنه من التّراث القديم وبخاصّة القرآن الكريم والأحاديث الشّريفة، والشّعر العربيّ، والأمثال والحكم، فكان استخدامه للألفاظ الغريبة والغامضة والصّعبة بالنّسبة له أمر طبيعيّ وعاديّ، بخلاف قراءتنا نحن لها تبدو غريبة موحشة، أمّا هو فليس في قاموسه شيء يسمّى غريبًا، وإنّما نحن الغريباء عنها.

(1) الإبراهيمي: دمعّة على المنصف، آثار الإمام، ج3، ص: 556.

(2) المعجم الوسيط، مادة ( ث ع ب ).

(3) ابن منظور: لسان العرب، مادة ( ث ع ب ).

## 2- بنية الجمل في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

## 1-2 الجمل الاسميّة في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

عند قراءتنا لمحتوى رسائل الإبراهيمي تبين لنا تراوْحُ أجزاءها بين الجمل الاسميّة، والجمل الفعلية بحسب مقتضى الحال الذي فرض التعبير عن قضية ما. فما هي الجملة؟  
الجملة عند النحاة كما يرى (عبد الرّاجحي) هي: "الكلام الذي يترتب من كلمتين أو أكثر، وله معنى مفيد مستقل".<sup>(1)</sup>

والجملة عند ريمون طحان هي: "الصورة اللفظية الصغرى، أو الوحدة الكتابية الدنيا للقول أو للكلام الموضوع للفهم أو الإفهام".<sup>(2)</sup>

والجملة في عمومها تنقسم إلى نوعين هما:

1 - الجملة الاسميّة هي: كلّ جملة تبتدئ باسم. وتتكوّن من عنصرين أساسيين هما:  
المبتدأ والخبر. نحو: الطالب مجتهدٌ.

2 - الجملة الفعلية هي: كلّ جملة تبتدئ بفعل. نحو: حضر الأستاذ.

: يجتهد الطالب في دراسته.

ولها صور متعدّدة: أ - فعل لازم + فاعل.

ب - فعل متعدّد + فاعل + مفعول به.

ج - فعل مبني للمجهول + نائب فاعل.

ويبقى التساؤل قائماً هل الغرض من الجملتين الاسميّة والفعلية شيء واحد رغم اختلاف تركيبتهما أم إنّ لكلّ نوع غرضه وبعده؟ يقول اللغويون: "إنّ الجملة الاسميّة تفيد الثبوت، والجملة الفعلية تفيد التجدّد والحدوث والتغيّر. فإذا قلت: (خالدٌ مجتهدٌ) أفاد ثبوت الاجتهاد لخالد، في حين أنّك إذا قلت: (يجتهد خالدٌ) أفاد حدوث الاجتهاد له بعد أن لم يكن، وسرّ ذلك أنّ الفعل مقيد بالزمن، فالفعل الماضي مقيد بالزمن الماضي، والمضارع مقيد بزمن الحال أو الاستقبال في الغالب. في حين أنّ الاسم غير مقيد بزمن من الأزمنة فهو أشمل وأعمّ وأثبت".<sup>(3)</sup>

(1) عبده الرّاجحي: التّطبيق النّحوي، دار النّهضة العربيّة، بيروت، ط1، 2004، ص: 91.

(2) ريمون طحان: الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981، ص: 44.

(3) السامرائي فاضل صالح: معاني الأبنية في العربية، ص: 9.

تعجّ رسائل محمّد البشير الإبراهيمي المختلفة بالجمل الاسميّة للتعبير عن فكرة ما، أو موضوع ذي بال، أو مراسلة شخص معيّن، أو تهنئته، أو تعزيته... وسنتخير بعض هذه الجمل الاسميّة ودراستها من خلال بعض الرسائل.

**1- الجملة الاسميّة وصورها:** تعدّدت صور توظيف الإبراهيمي للجملة الاسميّة، ممّا يخلق سنفونيّة تركيبية متعدّدة ومتنوّعة تضيّفي جمالا على النّص، وتجذب القارئ إليها. من ذلك مثلا ما جاء في رسالته(\*) إلى الشيخ عمر بن حسن(\*\*)، رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمملكة العربيّة السّعوديّة وفق الصّور التّالية:

### 1-1 - الجملة الاسميّة المثبتة:

يقول الإبراهيمي: "هذه هي رسالتي يحملها إلى فضيلتكم وقد جبهة التحرير الجزائريّ". ويقول فيها أيضا: "فالرجاء أن تأخذوا بيد الوفد المذكور، وأن تكونوا عوناً لدى المراجع الحكوميّة العليا."<sup>(1)</sup> وفي رسالته (شكر واعتذار) نقرأ: "وأنا أتقدّم إلى هؤلاء الإخوان الصّادقين بالثناء العاطر على هذه العواطف الأخويّة السّامية."<sup>(2)</sup>

ففي هذا النّمودج جاءت كلّ الجمل الاسميّة مثبتة. أي لم تسبق بأيّ أداة من أدوات النّفي المعروفة. حيث جاء المبتدأ وتلاه الخبر مختلفا من جملة إلى أخرى. والجدول التّالي يوضّح ذلك:

الجدول رقم (1): بعض الجمل المثبتة في رسالة "شكر واعتذار"

المبتدأ	الخبر	نوع الخبر
هذه	رسالتي	اسم مفرد
الرجاء	أن تأخذوا بيد الوفد	مصدر مؤوّل
أنا	أتقدّم إلى هؤلاء الإخوان الصّادقين بالثناء	جملة فعليّة

(\*) هذه الرسالة بعثها الإبراهيمي من القاهرة مع وفد جبهة التحرير الوطني إلى السّعودية بتاريخ: 13 يونيو 1958.

(\*\*) الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ (1319 هـ - 1901م / 1395 هـ - 1975م) عالم شرعيّ، وواعظ ومحاسب سعوديّ، من نسل الشيخ محمّد بن عبد الوهاب، وهو: رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمملكة العربيّة السّعوديّة. (ينظر، عمر ابن حسن آل الشيخ، الموسوعة الحرة(ويكيبيديا). (https://ar.wikipedia.org).

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الشيخ عمر بن حسن، آثار الإمام، ج5، ص: 225.

(2) الإبراهيمي: شكر واعتذار، البصائر، العدد: 168، السنة4، السلسلة2، بتاريخ 3-9-1951.

2-1 - الجملة الاسمية المنسوخة:

يقول الإبراهيمي في رسالته مخاطبا الشيخ عمر بن حسن: "فإني أحمد لكم الله الذي لا إله إلا هو".<sup>(1)</sup>

ويقول: "إن إخوانكم في الله والعروبة مازالوا ثابتين كالجبال، ثبات رجال السلف". ويقول فيها: "وأصبح الجيشُ المقاتلُ مطالبًا بالإنفاق على أكثر من مليون مشرد".

ويقول الإبراهيمي أيضا في فقرة تشكّلت من جمل اسمية كلّها منسوخة ومؤكّدة: "إنّ من الحقائق الثابتة - أيها الأخ - أنّ القتل في الجزائر أتى على ما يقرب من مليون شخص، معظمهم من الشيوخ والصبيان والنساء، وأنّ اللاجئيين إلى مراكش غربا، وتونس شرقا يقرب تقديرهم من هذا العدد، وأنّ الجيشَ الفرنسيّ لما عجز عن قتال المجاهدين عمد إلى الفتك بالمستضعفين من الرجال والنساء والأطفال شفاء لغيظه وانتقاما لشرفه"

وفيها أيضا: "فإنّ الجهاد بالمال قرين الجهاد بالنفس، ومقدّم عليه في كتاب الله..."<sup>(2)</sup>

وفي رسالته (شكر واعتذار) نقراً: "غير أنّ إخوان الصّدق في داخل القطر وخارجه تصوّروا الحادثة كما يتصوّرها السامع، تصوّراً يصحبه التّهويل."<sup>(3)</sup>

معظم الجمل الاسمية في رسائل الإبراهيمي جاءت منسوخة ب (أنّ) ليؤكد أمراً ما. ومن خلال الجمل النماذج سنبيّن ذلك في الجدول التالي:

الجدول رقم(2): بعض الجمل المنسوخة في رسالة "شكر واعتذار"

الناسخ	المبتدأ ( اسم الناسخ)	نوعه	الخبر(خبر الناسخ)	نوعه
إنّ	الياء	ضمير متصل	أحمد لكم الله	جملة فعلية
إنّ	إخوانكم	اسم	مازالوا ثابتين	جملة اسمية
أصبح	الجيشُ المقاتلُ	اسم مفرد	مطالبًا	اسم مفرد
إنّ	أنّ القتل في الجزائر أتى على ما يقرب من مليون شخص	جملة اسمية منسوخة	من الحقائق الثابتة	شبه جملة
أنّ	اللاجئيين إلى مراكش	اسم مفرد	يقرب تقديرهم من هذا العدد	جملة فعلية
أنّ	الجيشَ الفرنسي	اسم مفرد	عمد إلى الفتك بالمستضعفين	جملة فعلية

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الشيخ عمر بن حسن، آثار الإمام، ج5، ص: 224.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى الشيخ عمر بن حسن، المرجع نفسه، ص: 225.

(3) الإبراهيمي: شكر واعتذار، آثار الإمام، ج2، ص: 421/ البصائر، العدد: 168.

(\*) ينظر، نص الرسالة كاملا في الملحق، ص: 397.

إنَّ	الجهاد بالمال	اسم مفرد	قرين الجهاد بالنفس	اسم مفرد
أَنَّ	أَنَّ إِخْوَانَ الصِّدْقِ	اسم مفرد	تصوَّروا الحادثة كما يتصوَّرها السامع	جملة فعلية

**أخيرا:** لقد وجدنا الإبراهيمي يحشد كثيرا من الجمل الاسميّة، وقد تنوّعت استخداماتها في رسائله المتعدّدة، كما تراوحت بين التراكيب المعطوفة والمتجانسة، وما بين الجمل الاسميّة المؤكّدة بتأكيدات عديدة، بل ويؤكّد في الجملة الواحدة بأكثر من تأكيد مؤكّد لترسخ الفكرة في المتلقّي وبخاصّة بأداة (إنَّ) و(أَنَّ) المشدّتين الدالّتين على إثبات ما يأتي بعدهما. وكذلك وجدنا الإبراهيمي يوظّف المعارف والتكررات بحسب الموضوعات التي يعالجها بشكل مكثّف ليحقّق أغراضا بلاغيّة معيّنة، ولدواعٍ يراها هو من أجل إثراء التراكيب بدلالات عميقة.

## 2- الجمل الفعلية في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

تراوحت الجمل الفعلية في رسائل الإبراهيمي بين الماضيّة والمضارعة المثبتة حيناً، والمنفيّة حيناً آخر، والجمل الأمرية والجمل المبنية للمجهول.

### 2-1 الجملة الفعلية الماضيّة المثبتة:

يقول الإبراهيمي في رسالة التعزية في فقدان (السيد الرشيد بطحوش)<sup>(\*)</sup>: "... رَحِمَهُ اللهُ، وَاللَّهِمَّنا جميعاً فيه الصَّبْر، واغتنام الأجر"، ويقول: "دُمت - أيها الأخ - سالمين لأخيك."<sup>(1)</sup> ففي هذه الفقرة تكررت الأفعال الماضيّة (رحم، ألهم، دُمت)، وهي ماضية تتصرف إلى المستقبل وتدلّ على الثبات والدوام والتجدّد، وفيها إحياءات عميقة في الدلالة على الدعاء للهالك بالرحمة، وللذوات المعزّين بالهامهم الصّبر، وللمرسل إليه بدوام السّلامة.

وفي رسالته إلى الشيخ (عمر بن حسن) وهو يتحدّث عن جيش التحرير الوطني: "... فنصّره الله على ضعفهم، وقلة عددهم وعددهم، وقوة عدوّهم، وتأيد الطواغيت له."<sup>(2)</sup> وفيها أيضاً: "أما الآن وقد طال الأمد، وانصبت على الشعب بلايا القتل والتشريد من الديار، فقد تناقص ذلك الإمداد."<sup>(1)</sup>

(\*) رشيد بطحوش: رجل من رجال الإصلاح العاملين الدائنين عليه، المؤمنين به قولاً وعملاً، وكان عضوا بارزا من أعضاء إدارة جمعية الشبيبة الإسلامية الجزائرية، وأحد الأعضاء العاملين في إدارة (نادي الترقّي) بالعاصمة الجزائرية الذي هو معقل الإصلاح ومركز جمعية العلماء من يوم تأسيسها إلى جزء كبير من عمرها. وقد مات، فكان لموته حزن عميق في الأوساط الإصلاحية في الجزائر كلها. (ينظر، محمد العيد آل خليفة كتاب: ديوان محمد العيد آل خليفة" في رثاء رشيد بطحوش"، دار الهدى، عين مليلة - الجزائر، 2010).

(1) الإبراهيمي: تعزية الإبراهيمي في فقدان السيد الرشيد بطحوش، الإصلاح، العدد: 17، 28-01-1940. وآثار الإمام، ج1، ص: 412.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى الشيخ عمر بن حسن، المرجع السابق، ص: 224.

وفي هذه الرسالة يستعرض حال جيش التحرير الوطني بفعل (نصرهم الله) للدلالة على ثبوت الصفة وتجدها. فالمجاهدون - بحمد الله - من نصر إلى نصر، رغم قلة العدد والعدة. لكن حالة الناس تغيرت، وتجددت صفاته، نحو الأسوأ حيث (طال) الأمد، و(تناقص) الإمداد، و(انصببت) على الشعب بلايا القتل والتشريد.

وفي رسالة الإبراهيمي (شكر واعتذار) التي كتبها ردًا للجميل لكل من وقف إلى جانبه، بعد تعرضه لحادث سيارة، حيث يقول: "قبل بضعة أسابيع أجرى عليّ القدر حادثة اصطدام بين سيارتين في الطريق بين مغنية وتلمسان..." ولكن حادثتي صاحبها لطف الله، فسببت آلاما وعطلت القلم أياما..." فانهاالت عليّ رسائلهم وبرقياتهم سائلة داعية متألمة... في وقت تضاعلت فيه الفضيلة ونزرت حظوظ الرجال منها."<sup>(2)</sup>

أما عن واقعة حادث السيارة التي تعرض له، وما أعقبها من أحداث فكانت الجملة الفعلية هي أنسب الأبنية اللغوية لوصفها وسردها في ترتيب عجيب متسلسل وسريع (أجرى القدر الحادثة، صاحبها لطف الله، سببت آلاما، عطلت قلمًا، انهاالت البرقيات، في وقت تضاعلت الفضيلة، ونزرت حظوظ الرجال منها).

## 2-2 الجملة الفعلية المضارعة:

### 2-2-1 الجملة الفعلية المضارعة المثبتة:

يقول الإبراهيمي في تعزية<sup>(\*)</sup> السيد الرشيد بطحوش: "أعزيكم - أيها الأخ - فيه وأرجو أن تبلغوا تعزيتي إلى إخوانه، وجميع المرزوين فيه، ولجميعكم طول البقاء."<sup>(3)</sup> حيث استخدم أفعالاً مضارعة تحمل أجواء الحزن (أعزيكم، أرجو، تبلغوا) فالإبراهيمي حريص على التعزية في حق الرشيد بطحوش وقد نثى بالرجاء لتبليغ التعزية لكل إخوانه وأحبابه.

ويقول في رسالته إلى الشيخ عمر بن حسن: "وأرجو أن يوزعني وإياكم شكر نعمائه، وأن يبسرنا للقيام بما افترض علينا من الجهاد بجميع أنواعه في سبيل ديننا الذي أحاطت به الخرافات والأوهام..."<sup>(4)</sup>

(1) الإبراهيمي: الشيخ عمر بن حسن، المرجع السابق، ص: 224.

(2) الإبراهيمي: شكر واعتذار، آثار الإمام، ج2، ص: 421/ البصائر، العدد: 168.

(\*) ينظر، نص رسالة التعزية كاملاً في الملحق، ص: 396.

(3) الإبراهيمي: تعزية الإبراهيمي في فقدان السيد الرشيد بطحوش، المرجع السابق، ص: 412.

(4) الإبراهيمي: رسالة إلى الشيخ عمر بن حسن، المرجع السابق، ص: 224.

وفيها أيضا: "أذكركم بإخوانكم المجاهدين في الجزائر الذين أحيوا في الزمن الأخير فريضة عفا أثرها، وانطمس رسمها في هذه العصور." (1)

" حتى يقضي حاجته ويؤدي مهمته على كامل وجه." (2)

" إن إخوانكم المجاهدين في الجزائر لا يحتاجون إلى الرجال، وإنما يفتقرون إلى المال الذي يشترون به السلاح، ويطعمون به الشعب الجائع الذي سلط عليه الاستعمار الأمراض والمجاعات." (3)

ففي هذه الفقرة رؤية الإبراهيمي للمستقبل وهو يخاطب (الشيخ عمر بن حسن) ليستلهم عونه في خدمة الثورة والثوار، حيث وظف الأفعال المضارعة التالية (أرجو، يوزعني، يبسرنا، أذكركم، يقضي يؤدي، يفتقرون، يشترون، يطعمون).

فهذه الأفعال التسع موزعة في مجملها على أربع، فالثلاثة الأولى (أرجو، يوزعني، يبسرنا) المقصود بها الله - سبحانه وتعالى - فهو المرجو والموزع وهو الميسر للأمور، والفعل (أذكركم) المعني به هو (الشيخ عمر بن حسن) لينتكر فريضة الجهاد التي أحيها المجاهدون الجزائريون، والأفعال الخمس الباقية المقصود بها المجاهدون الذين يتحملون مسؤولية كبيرة (يقضي، يؤدي، يفتقرون، يشترون يطعمون).

وفي رسالته (شكر واعتذار) مرة أخرى نقراً: "...حادثة اصطدام... من نوع ما يتكرر وقوعه كل يوم فيذهب بالأرواح، أو يحدث العاهات الملامزة" [...] "وأنتقدم بالاعتذار إلى الذين آلمهم احتجاب هذا القلم عنهم عدة أسابيع، مبشراً لهم بأنه سيعود إلى الميدان، أمضى مما كان." (4)

ومرة أخرى نعود إلى الحادث الذي وقع للشيخ الإبراهيمي، نجده يصور المشهد حاضراً ومستقبلاً عن نتائج حوادث الاصطدام بين السيارات، ثم ينتقل إلى الحديث عما يخصه هو، حاضراً ومستقبلاً. فقد وظف الأفعال المضارعة (يتكرر، يذهب، يحدث) بهذا الترتيب لينقل وصف المشهد كما هو إلى الأبد. فالاصطدام يتكرر، ويذهب بالأرواح، ويحدث العاهات، حاضراً ومستقبلاً.

ولأن الإبراهيمي يحترم قراءه المتابعين لكتاباته، فقد بادرهم بالاعتذار عن غيابه، وهو ما يزال على فراش المرض مستخدماً الفعل (أنتقدم)، وعن عودة قلمه إلى الإبداع في القريب العاجل وظف الفعل المضارع (سيعود).

(1) الإبراهيمي: المرجع السابق، ص: 224.

(2) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 225.

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى الشيخ عمر بن حسن، آثار الإمام، ج5، ص: 224.

(4) الإبراهيمي: شكر واعتذار، آثار الإمام، ج2، ص: 421/ البصائر، العدد: 168.

ويقول مخاطبا الشيخ عمر بن حسن: "وقد كان الشعب الجزائري من بداية الثورة إلى الآن هو عماد الثورة يمدّها بالمال والأقوات كما يمدّها بالرجال". ويقول: "وأنّ الإعانات المالية التي كانت تأتيه من الخارج - وهي في مجموعها قليلة - إنّما كانت نوافل".<sup>(1)</sup>

فالشعب الجزائري على ضعف إمكاناته فهو الحامل لثورته والحامي لها، فقد أمدها وما يزال (يمدها) على مدار الوقت بالمال والأقوات والرجال؛ غير معول - كثيرا - على الإعانات (النوافل) التي كانت (تأتيه) في الماضي من الخارج.

## 2-2-2 الجملة الفعلية المضارعية المنفية:

تعجّ رسائل الإبراهيمي المختلفة بالجملة الفعلية المضارعية المسبوقة بأداة من أدوات النفي، ولعلّه عمد إلى ذلك للدلالة على معان معينة.

فقد جاء في رسالة تعزية السيد رشيد بطحوش: "لم يبلغني إلا اليوم خبر وفاة الأخ العامل الخير السيد رشيد بطحوش" ... "ولا تسأل عما غمرني من الهم والأسى والأسف لموت هذا الأخ".<sup>(2)</sup>

ففي هذه الفقرة وظّف الإبراهيمي فعلين مضارعين منفيين، فالأول ورد منفيًا مجزومًا بأداة (لم) (يبلغني) لينفي عن نفسه تبليغه بالخبر منذ الوفاة الذي بات ماضيًا، ويستمرّ النفي إلى اللحظة التي بُلِّغ بها، وكأنّ الإبراهيمي يلتمس العذر، ويرفع عن نفسه اللوم عن عدم تقديم العزاء في الوقت المناسب. خاصّة وقد غمره حزن وأسى وهم لا يمكن وصفه. وللتعبير عن ذلك وظّف الفعل المضارع مسبوقة بأداة نهي (لا تسأل) للدلالة عن امتداد ذلك منذ الوهلة الأولى إلى غاية كتابة التعزية.

وفي رسالته إلى الشيخ (الطيب العقبّي)<sup>(\*)</sup> نقرأ: "فتحقق عندي مالم أكنّ أجهله من أنّ صروف الدهر، وأحداث الزمان لا تنال من النفوس الكريمة نيلا إلا من ظواهرها، ولا تغير من الأعراق الأصلية شيئا من أعراضها". ويقول: "كذلك يبئلي الزمان الجرائد بمثل ما يبئلي به النفوس، ويأخذ منها ويدع فلا يأخذ من الجرائد المؤسسة على فكرة إلا كما يأخذ السيل من الصخرة الصماء".<sup>(3)</sup>

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الشيخ عمر بن حسن، المرجع السابق، ص: 224.

(2) الإبراهيمي: تعزية في فقدان السيد الرشيد بطحوش، الإصلاح، العدد: 17.

(\*) الطيب العقبّي: هو الطيب بن محمد بن إبراهيم، ولد بمدينة سيدي عقبة بولاية بسكرة في الجزائر عام (1307 هـ، 1898م)، هاجر مع عائلته إلى المدينة المنورة. تلقى العلم في الحرم النبوي الشريف، عمل مع شريف مكة في جريدة القبلة. عاد إلى الجزائر عام (1337 هـ، 1920م). وكان من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين والناشطين فيها. توفي في 21 مايو 1960. (ينظر، الطيب العقبّي، الموسوعة الحرة ويكيبيديا). (<https://ar.wikipedia.org>).

(3) الإبراهيمي: إلى جريدة الإصلاح (رسالته إلى الشيخ الطيب العقبّي)، الإصلاح، العدد: 16، بتاريخ 11 جانفي 1940. وأثار الإمام، ج1، ص: 410-411.

وفيها أيضا: "وكل من يستحضر صورة "الإصلاح" القديم و" الإصلاح" الجديد ير أن الروح المدبرة واحدة، والفكرة المصرفة واحدة، فلم يبق من الفوارق إلا بضع سنوات، وهي ليست بذات أثر في حياة الفكر... وسرني فوق ذلك ما يسر بناء الإصلاح من معان لا تستوفيها كلمات في رسالة".<sup>(1)</sup> وختاما يقول فيها: "وإن أخاكم لا يرجو لتلك العزيمة "العقبيّة" إلا أن يزيدا الله ثباتا في الدفاع عن الحقيقة، وأن يقيها عثرات القلم وفتنة الرأي".<sup>(2)</sup>

ففي هذه الرسالة بلغت الأفعال المضارعة المنفية سبعة أفعال، اختلفت الأداة وانفقت في النفي وهي: (مالم أكن، لا تنال، لا تغير، لا يأخذ، لم يبق، لا تستوفيها، لا يرجو). فعن نفسه نفي الجهل وتحقق عنده اليقين بعبارة (مالم أكن)، وعن النفوس الكريمة نفي (أن ينال) الزمان منها أو يغير من الأعراق الأصلية شيئا (لا تنال، ولا تغير)، وعن جرائد الجمعية نفي أن يفت في الزمان أو يؤثر فيها سلبا (فلا يأخذ)، وعن تحيين جريدة الإصلاح نفي الإبراهيمي عنها الفوارق بين ما كانت عليه (فلم يبق) إلا زمن قصير، وفي مدحه لمعاني الإصلاح (لا تستوفيها) كلمات في رسالة، وتشجيعا للشيخ الطيب العقبي، بأعث الإصلاح، ومادحا لعزيمته، و متمنيا (لا يرجو إلا) أن يزيدا الله ثباتا في الحق، وبقيها عثرات القلم، وفتنة الرأي.

وفي رسالته لباكستان (حكومة وشعبا)<sup>(\*)</sup> جمع الإبراهيمي بين فعلين مضارعين اشتركا في النفي واختلفا في الأداة، يقول: "ومعنى ذلك أن باكستان لم تعش ولن تعشوا بحول الله عن سواء السبيل وما عليها إلا أن تمعن في سلوكه، وقد عرفتُه بحزم وبصيرة حتى يقتدي بها العالم الإسلامي".<sup>(3)</sup> وفي شهادته لباكستان الجديد الذي نهج إصلاحا في الحكم نفي عنه الإبراهيمي العشوا (الإعراض والمضي) في الماضي (لم تعش)، وينفي عنها العشوا حاضرا و مستقبلا (ولن تعشوا).

وفي رسالته إلى (الطلبة الجزائريين المهاجرين في سبيل العلم) خاطبهم بقوله: "لا يعذلكم في حب وطنكم إلا ظالم، ولا يصرفكم عن إتقان وسائل النفع له إلا أظلم منه، أنتم اليوم جنود العلم فاستعدوا لتكونوا غدا جنود العمل".<sup>(4)</sup>

(1) الإبراهيمي: المرجع السابق، ص: 411.

(2) الإبراهيمي: إلى جريدة الإصلاح (رسالته إلى الشيخ الطيب العقبي)، المرجع السابق، ص: 411.

(\*) قدّم الإبراهيمي هذه الكلمة شكرا لباكستان حكومة وشعبا بعد خروجه من مستشفى "جناح"، على إثر حادث أزمه الفراش، وذلك في أبريل 1957. (ينظر، رسالة شكر لباكستان، آثار الإمام، ج5، ص: 177).

(3) الإبراهيمي: رسالة شكر لباكستان، المرجع نفسه: 178.

(4) الإبراهيمي: إلى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل العلم، البصائر، العدد: 9.

ففي خطابه للطلبة الجزائريين قدّم لهم في هذه الفقرة نصيحتين ذهبيتين ثمينتين، فأتى بالفعلين المضارعين ( يعذل ) و ( يصرف ) مسبوقين بـ( لا ) النافية ضمن أسلوب حصريّ ( لا يعذلكم... إلا ظالم )، ثم أردف ( ولا يصرفكم... إلا أظلم منه )، حصر بديع، يقرر فيهما التجدد والاستمرار في حبّ الوطن وإتقان وسائل النفع له.

### 2-2-3 الجملة الفعلية المضارعية المؤكدة:

يقول الإبراهيمي مخاطبا الشيخ (عمر بن حسن) مرّة أخرى، ومتحدثا عن المجاهدين الجزائريين بالوسائل: "لئن فشلوا - لا قدر الله - أمام الكفر فلأنتقمن الاستعمار من المسلمين أجمعين، ولأبدلنهم أجمعين." (1)

فيه تأكيد للشيخ (عمر بن حسن) في حالة فشل المجاهدين الجزائريين - لا قدر الله - فإنّ انتقام فرنسا سيكون من الشعب الجزائريّ وحشياً كبيراً، لا محالة ( فلأنتقمن )، وستعمل على تبديلهم بجنسيات أخرى ( لأبدلنهم ) ودليل هذه القناعة الراسخة لام التوكيد ونون التوكيد الثقيلة مع الفعلين المضارعين وزاد التأكيد تأكيدا لفظياً ( أجمعين ).

وفي رسالة الشكر لباكستان نقرأ للإبراهيمي قوله: " وإني لأشكر لباكستان حكومةً وشعباً موقفها من الوفد الجزائريّ." (2)

فالشكر موصول ومؤكّد بأداة واحدة ( لام التوكيد + فعل مضارع ) ( لأشكر ) موجّه حصراً لدولة باكستان - حكومة وشعباً - على موقفهم من وفد جبهة التحرير الوطنيّ، ومن وقوفهم إلى جانب الإبراهيميّ شخصياً بعد الحادث الذي تعرّض له وأدخله مستشفى باكستان.

### 2-2-4 الجملة الفعلية الأمرية:

يقول الإبراهيمي في رسالته لعمر بن حسن: " فبيئوا بما أتاكم الله، وبما تملكون من وسائل لكلّ من يبلغه صوتكم... "، وفي نهاية الرسالة ختمها بقوله: " وأقبلوا في الختام تحيات الأخوة الصادقة." (3) ففي هذه الفقرة من الرسالة يتوجّه الإبراهيمي للشيخ عمر بن حسن، وهو من هو مكانة دينية في بلاد الحجاز، يلتبس منه ومن يمثلهم من العلماء أن يبيئوا للناس حقيقة الوضع في الجزائر ( فبيئوا )، وفي ختام الرسالة يأمره من باب الالتماس والاستلطاف ( وأقبلوا ) تحيات الأخوة الصادقة، وقد أردف مع فعلي الأمر ( واو الجماعة ) تعظيماً لشخص الشيخ عمر بن حسن وصفته.

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الشيخ عمر بن حسن، المرجع السابق، ص: 224.

(2) الإبراهيمي: رسالة شكر لباكستان، المرجع السابق، ص: 177.

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى الشيخ عمر بن حسن، المرجع السابق، ص: 224-225.

وفي رسالته الشهيرة الموسومة بـ (حدثونا عن العدل فإننا نسيناه) نجد هذه الجملة الأمرية المتكررة: "سألوا عقلاء الأرض الذين لم يصابوا في عقولهم بمرض الاستعمار، وسألوا علماءها الذين لم يفسد علمهم الاستعمار، سألوهم جميعاً أو أشتاتاً: هل يلتقي الاستعمار والعدل في طريق؟ وهل يتحقق العدل مع الاحتقار، والبغض بين حاكم ومحكوم؟ سألوا أرسخ الأمم عرقاً في الحرية، وأكثرها تمتعاً بها عن الأسباب التي تمكن للعدل في الأرض، وتحققه بين الناس، وتثبت أصوله بينهم."<sup>(1)</sup>

حيث كرر صيغة الأمر هنا أربع مرّات (سألوا) للتأكيد، وقد وقع فيها حذفٌ لهمازة الوصل والقطع (اسألوا)، من الفعل الأصلي، موجّهاً خطابه للفرنسيين أنفسهم للإجابة عن سؤالين اثنين:

1- هل يلتقي الاستعمار والعدل في طريق؟

2- الأسباب التي تمكن للعدل في الأرض، وتحققه بين الناس، وتثبت أصوله بينهم؟

فقد كرر الفعل (سألوا) ليفند ادعاءات فرنسا أنها أمّ العدل والعدالة والأخوة والمساواة، وهي تستعمر عشرات الدول وتستعبد ملايين الناس الأبرياء، فأراد الإبراهيمي أن يُعريها أمام العالم، ويكشف عورتها من خلال توجيه السؤال للعلماء والعقلاء وأرسخ الدول حريّة (هل يلتقي الاستعمار والعدل؟!).

وقد وجدنا في رسالته الجميلة (رسالة شكر لباكستان) بعض الجملة الفعلية التي تفيد الأمر، كما في قوله وهو يتحدث عن دولة باكستان: "فلتكن كذلك في بقائها الخالد." وفي معرض تقديمه النصيحة لأهل باكستان يقول: "فلينس إخواننا الباكستانيون كل شيء... ولينكروا باكستان، وليضعوا مصلحتها فوق كل اعتبار آخر، وهذا ما هم فاعلوه - بلا شك - إن شاء الله."<sup>(2)</sup>

وهذه الصيغة المتمثلة في المضارع المقرون بلام الأمر، وهي صيغة تخفف من وطأة الأمر المباشر، وتوحي بأن الأمر هو الأعلى في الوقت نفسه بحكم الخبرة والسّن، ووزارة العلم، وهو ما يفسر بناء صياغته واستخدامه صيغة الغائب (فلتكن، فلينس، ولينكروا، وليضعوا)، حيث نلمس فيها رائحة النصح والإرشاد والتوجيه لإخواننا الباكستانيين للمحافظة على المكاسب الجديدة.

## 2-3 الجملة الفعلية المبنية للمجهول:

يقول الإبراهيمي في رسالته (شكر واعتذار رقم 2) في أول سطر منها: "فجعت في ولد أختي، بل ولدي تربيّةً وتنشئةً."<sup>(3)</sup>

(1) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه -1، البصائر، العدد: 119، في: 15 ماي 1950.

(2) الإبراهيمي: رسالة شكر لباكستان، آثار الإمام، ج5، ص: 178.

(3) الإبراهيمي: شكر واعتذار، آثار الإمام، ج2، ص: 422.

فَقَبِضُ الأرواح كلها بيد الله، سواء أكانت على الفراش أم في أيّ مكان آخر، لكنّ موت الفجاءة غير المنتظرة، يكون وقعها على الأحياء شديداً، لذلك نسب الإبراهيمي المصيبة لمجهول (فُجِعْتُ) تأديبا مع الله - سبحانه وتعالى - لإيمانه الشّديد بأنّ الأشياء المؤلمة لا يصحّ نسبتها إليه، على الرّغم من أنّ كلّ شيء من عنده ﴿قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَمالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾<sup>(1)</sup>

وفي رسالته لباكستان وهو يتحدّث عن زيارتيه لها نقرأ فيها: "وفي أثناء هاتين الزيارتين أُتِيح لي أن أتجوّل في مختلف نواحي باكستان الغربيّة، وأن أتغلغل في داخل البلاد حتّى بلغت كشمير شمالا وكريتا شرقا."<sup>(2)</sup>

بلوغ باكستان في سنوات الخمسينيات ليس أمرا سهلا، ولا ميسرا لكلّ شخص نظرا للظروف الصّعبة التي كانت يمرّ بها الوطن في فترة الاحتلال الفرنسيّ، وفي قلب الثّورة المباركة، ولأنّ الإبراهيميّ كان يتمنّع بالسّمة الطّيبية، والمكانة السّامقة، والكلمة المسموعة، فقد أعطي فرصا لم تعط لغيره للتّنقل شرقا وغربا لنشر العلم وللتّعريف بالثّورة الجزائريّة، وحشد التأييد لها ولرجالها، وجمع المال لها، ولأنّ الجهات التي تعمل على تيسير التّحرك للنّخبة لا ترغب في الإشهار لأسمائها، فإنّ الإبراهيميّ لم يذكرها بالاسم خوفا عليها، واكتفى ببناء الفعل للمجهول فقال: "أُتِيح لي..."

أخيرا: لقد تعدّدت الجملة الفعلية في رسائل الإبراهيميّ المتعدّدة، فتراوحت أفعالها بين الماضيّة حيناً والمضارعة حيناً آخر، وما بين الأمرية والمبنيّة للمجهول حيناً آخر وآخر، كما تردّدت ما بين المثبّطة وبين المنفيّة، وما بين المؤكّدة وغير المؤكّدة. لهذا وجدناه يستخدم الأفعال الماضيّة ليرجع بالذّكرة إلى أحداث وقعت بالفعل في وقت مضى، واستخدمها أحيانا لتتصرف إلى المستقبل لتدلّ على الثّبات والدّوام والتّجدّد والتّغيّر، وفي رسائل أخرى وجدناه يحشد كثيرا من الأفعال بصيغتي الماضي والمضارع، والماضي منهما أكثر ورودا لتتناسب مع الأحداث الماضيّة التي عاشها أو مرّ بها الشّعب الجزائريّ أو الشّعوب الأخرى أو بمناسبة الحديث عن شخصيات معيّنة كان لها الأثر على شعوبها.

وفي معرض الحديث عن الحزن يكتّف الإبراهيميّ من الأفعال الدّالة على ذلك، خاصّة عندما تعلق الأمر بوفاة صاحبه ابن باديس، أو بقتل محمّد المنصف باي التّونسيّ وغيرهما. وقد اختار الجمل الفعلية لتتناسب مع الحالة، فنقل ما عاناه من العزل والتّقي والإبعاد والتّعذيب التّفسيّ الرّهيب، ونقل حزنه وخصّص جزءا من هذه الأفعال للدّلالة على الدّعاء له بما هو أهل.

(1) سورة النساء ، من الآية: 78.

(2) الإبراهيميّ: رسالة شكر لباكستان، المرجع السابق، ص: 177.

وفي معرض الحديث عن الأحداث التي لا يجب ذكرها، ولا يرغب في إضفاء الإشادة بها، بل يمضي في احتقارها، وعدم إعارتها أي اهتمام؛ وجدناه يستخدم الأفعال المبنيّة للمجهول، ماضية أو مضارعة.

### الأساليب في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

#### 1-3 الأسلوب الخبري في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

يقول ابن قتيبة: "الكلام أربعة: أمر، خبر، استخبار، ورغبة. ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب، وهي: الأمر والاستخبار والرغبة، وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر." (1) فما هو الخبر؟

**1- الخبر:** هو الكلام الذي يحتمل الصدق أو الكذب بغض النظر عن قائله. ويستثنى من هذا: القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، الحقائق العلمية.

وإلى نحو ذلك قالوا: "والخبر ما احتمل الصدق والكذب لذاته، قولنا لذاته نسجل فيه الأخبار الواجبة الصدق كأخبار الله وأخبار رسله." (2)

#### 2- أضرب الخبر: للمخاطب ثلاث حالات:

أ أن يكون خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحال يلقي عليه الخبر خالياً من أدوات التوكيد ويسمى هذا الضرب من الخبر ابتدائياً. مثل: "أخوك قادم".

ب أن يكون متردداً في الحكم طلباً أن يصل إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه، ويسمى هذا الضرب طلبياً. مثل: "إن أخاك قادم".

ج أن يكون مُنكراً له، وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفاً، ويسمى هذا الضرب إنكارياً. مثل: "والله إن أخاك قادم".

لتوكيد الخبر أدوات كثيرة منها: إن، وأن، والقسم، ولام الابتداء، ونونا التوكيد، وأحرف التنبيه والحروف الزائدة، وقد، وأما الشرطية. وينقسم إلى:

**ج-1 الخبر الحقيقي:** إذا قصد به مجرد الإخبار أي إيصال المعلومات مثل ولد الرسول - صلى الله عليه وسلم - في عام الفيل.

**ج-2 الخبر المجازي:** إذا لم يكن هدفه إيصال المعلومات، وإنما التعبير عن أحد المعاني النفسية تسمى أغراضاً أدبية أو بلاغية، مثل: رحمك الله، غرضه الدعاء.

(1) ابن قتيبة الدينوري: أدب الكاتب، المحقق: علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة، بيروت، (نط)، سنة 1429 هـ - 2008 م، ص: 15.

(2) أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ص: 40.

**3- الغرض من إلقاء الخبر: الأصل في الخبر أن يلقى لأحد الغرضين هما:**

أ - إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، ويسمى ذلك (فائدة الخبر). نحو قولك:  
حروب المستقبل جوية.

ب- إفادة المخاطب أنّ المتكلم عالم بهذا الحكم ويسمى ذلك (لأزم الفائدة). كما تقول لشخص أخفى عليك سفره فعلته من طريق آخر: أنت سافرت أمس. وقد يخرج الخبر عن ذينك الغرضين إلى أغراض أخرى تستفاد من سياق الكلام.<sup>(1)</sup>

**الأغراض البلاغية:** إذا كان الخبر مجازياً أو خرجت الأساليب الإنشائية عن معناها الحقيقي فيكون الغرض منها بلاغياً يحدّد من خلال سياق الكلام مثل: النصّح والتّوجيه، الدّعاء، الاستعطاف، التّعظيم التّحقير، المدح، التّوبيخ، التّعجب، التّحسر، السّخط، التّمّي، العتاب، الاستتكار، الالتماس، وغيرها. وكلّها تُدرّك - كما أسلفنا - من سياق الكلام و الحالة النفسيّة.<sup>(2)</sup>

وقد أضاف أحمد مصطفى المراغي قائلاً: "بل يُلقى لأغراض أخرى تستفاد من سياق الكلام أهمّها: إظهار الأسف والحسرة على فائت، إظهار الضّعف، الاسترحام، والاستعطاف، التّوبيخ، إظهار الفرح التّنشيط وتحريك الهمة لنيل ما يلزم تحصيله، التّذكير بما بين المراتب من التّفاوت، الوعظ والإرشاد."<sup>(3)</sup> في رسالته (إلى الأمة) مجموعة من الأساليب الخبيرة نختار منها: "بدأت المناورات الحكوميّة في قضية المساجد، فبدأتها من الدّنب. وفي تلمسان لعبة، وفي الجزائر لعبة، وفي غيرها لعبة وألعاب."<sup>(4)</sup>

وهو خبر يحمل تنبيهها للأمة الجزائرية إلى ألعيب الإدارة الفرنسيّة، والحكومة الاستعماريّة في إدارة المساجد في مختلف الرّبع.

و يقول: "نحذّر الحكومة من الاعتماد على جمعياتها الدّينيّة التي صنعتها بيدها. فإنّ الأمة لا ترضى، ولا تعترف إلاّ بجمعيات منتخبة انتخاباً حرّاً من المسلمين أهل الدّين، لا تدخل فيه الحكومة بأمر ولا برأي ولا بإشارة."<sup>(5)</sup>

(1) أحمد مصطفى المراغي: المرجع السابق، ص: 40-41.

(2) ينظر، لفرق بين الأسلوب الخبيري والإنشائي، موقع مملكة (<https://mamlaka.net>) (دت)(دس).

(3) أحمد مصطفى المراغي: المرجع السابق ص: 46.

(4) الإبراهيمي: رسالة إلى الأمة، البصائر، ع 74، السنة 2، السلسلة 2، في: 4-1949/ وأثار الإمام، ج2، ص: 284.

(5) الإبراهيمي: رسالة إلى الأمة، المرجع السابق، ج2، ص: 284.

وفيه تحذير للحكومة الفرنسيّة من جمعيّاتها الدّينيّة، وإقرار للزّمن الحاضر والمستقبل بعدم الرّضا والاعتراف إلاّ بالجمعيّات الدّينيّة التي اختارها الجزائريّون لتسيير المساجد. وفي رسالته (نداء إلى الشّعب) نقرأ: "إذا أصيبت الأُمّة بكارثة من كوارث الزّمان، ووجد فيها من يتألّم لتلك الكارثة، و يهتَز لها فذلك دليل قويّ على حيويّة الأُمّة ورشدها، ومقياس صحيح لتقدّمها ونهوضها." (1)

وهو خبر فيه توصيف دقيق للحالة، وتنشيط، وتحريك للهمة لتحويل المحنة إلى منحة. ويقول أيضا: "أما إذا كانت الأُمّة غافلة عن واجبها نحو المجموع، لا يفكّر أفرادها إلاّ فيما حولهم، ولا تنظر جماعاتها إلاّ إلى محيطها الخاصّ، فهي أُمّة غبيّة، ليست خليقة بالاحترام، ولا جديرة بما تصبو إليه من حريّة." (2)

فيه تنبيه إلى الغفلة والأناييّة التي يتخبّط فيها بعض أفراد الأُمّة؛ كما فيه تحسّر على مكانتها كأُمّة؛ لأنّها لا تستحق الاحترام.

ويقول أيضا: "أيتها الأُمّة الكريمة، إنّ إسعاف هؤلاء المنكوبين أمر أكيد يقتضيه منا الدّين وحقوق المواطن على مواطنه، فلا يليق بأُمّة تحترم نفسها، وتحرص على أن يحترمها غيرها أن تغضّ الطرف عن قيامها بالواجب في مثل هذه المآسي التي يلين لها الجماد." "فواجب الأُمّة أن تهتَز لهذا الحادث، وتتكلّ حوله، وتعيّره جانبا كبيرا من الأهميّة فتسرع بتشكيل لجان، وفتح اكتتابات في أهمّ مدن القطر وقراه لإسعاف من نكبوا بهذه الكارثة الجسيمة وتخفيف الوطأة عنهم، وذلك من أول مظاهر وجود الأُمّة." (3)

وهو خبر الغرض منه تقديم الوعظ والإرشاد لأفراد الأُمّة الإسلاميّة، وإظهار النّهي عن التّغاضي عن تقديم يد المساعدة لمنكوبي كارثة الفيضانات التي مسّت مدينة (الشّريعة) ولاية (تبسة) في ليلة 28 فبراير 1948.

وفي رسالته (تحية غائب كالآيب) يقول: "ومن شبّان ربّيناهم للجزائر أشبالا، ووترناهم لعدوّها قسيّا ونبالا، وصوّرنا منهم نماذج للجيل الرّاحف بالمصاحف، وعلمناهم كيف يحيون الجزائر، وكيف يحيون فيها... إنه يعتقد أنّ في كلّ جزيرة قطعة من الحسن، وفيك الحسن جميعه، لذلك كنّ مفردات

(1) الإبراهيمي: نداء إلى الشّعب، البصائر، العدد 28، السنة 1، السلسلة 2، 22-3-1948/ وأثار الإمام، ج 2، ص: 187-188.

(2) الإبراهيمي: نداء إلى الشّعب، المرجع نفسه، ص: 187-188.

(3) الإبراهيمي: نداء إلى الشّعب، المرجع نفسه، ص: 187-188.

وكنّت جمعا، فإذا قالوا: "الجزائر الخالدات" رجعنا فيك إلى توحيد الصّف وقلنا "الجزائر الخالدة"، وليس بمستنكر أن تجمع الجزائر كلّها في واحدة.<sup>(1)</sup>

وفي هذا الخبر إشارة إلى الفخر والاعتزاز بالشّبان الجزائريين، والفخر و الاعتزاز بالجزائر الخالدة التي جُمع فيها الحسن كلّه..

وفي الرّسالة الجميلة التي وجّهها الشّيخ الإبراهيمي إلى أبي بكر الأغواطي\* من منفاه بمدينة آفلو بتاريخ 9 شوال 1359هـ، نجده قد وظّف أساليب خبريّة عديدة منها:

" أنا يا ولدي كالأسير، الجناح كسير، ولكن طرف الفكر غير حسير. وإتني أفكر فأجد أنّ آماننا العلميّة في المستقبل يجب أن تكون مصحوبة بإعداد في الحاضر، وإلاّ كانت من أمانى الباطل. ويجب في هذا الإعداد أن يكون مساويا لتلك الآمال، وموفيا عليها، وهذا الإعداد مظهره الأوّل في الرّجال. ولقد كانت هذه الحرب معيارا لرجالنا الذين كنّا نعدّهم ونعدّهم ونستمد منهم ونمدّهم... غربالا لا يمكك الصّالح وي طرح الزّران. وما كنت أظنّ أنّ آثار الحرب تتغلغل هذا التّغلغل إلى مدارج ليست لها في طريق مهما كانت هذه الحرب جيّاشة عارمة."<sup>(2)</sup>

وفي هذا الخبر إظهار للضعف، خاصّة وهو يكتب من محبسه في آفلو فاقتدا الحركة والحريّة وفي الوقت نفسه يدعو إلى شحذ الهمم للآمال العلميّة مستقبلا؛ بإعداد واقعيّ موازيا له يضطلع بذلك رجال أكفاء. كما فيه توكيد على ضرورة التّحضير الجيّد لإعداد الرّجال للمراحل القادمة، معترفا بتقصيره في عدم تقديره التّقدير الصّحيح لآثار الحرب على الشّؤون المختلفة للبلاد والعباد على حدّ سواء.

ويقول أيضا: " وإتّما تفكيري الذي يملأ على خواطري بالرّعد والبرق منذ أشهر في هذه الآثار النّفسيّة السيّئة التي أثارها الحرب فينا. ومعلوم أنّنا ممّن لا ناقة له في هذه الحرب ولا جمل. فلسنا قاصدين أحدا بحرب، ولا نحن مقصودون بها قصدا أوليا. وإتّما نحن فيها على مقربة من قول الحارث ابن عبّاد في حرب البسوس: لم أكن من جناتها - علم الله وأنّ بحرّها اليوم صالي - فنحن في السّلم نشقى ليسعد غيرنا، وفي الحرب نموت ليحيا غيرنا ثمّ لا نثم."<sup>(3)</sup>

(1) الإبراهيمي: تحية غائب كالآيب، البصائر، العدد: 229.

(\* ينظر نص الرّسالة كاملا في الملحق، ص: 369.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى أبي بكر الأغواطي، هذه الرّسالة تفضّل الشّيخ الحاج عيسى محمّد، الابن الأكبر لأبي بكر الأغواطي بتقديمها إلى موقع الشّهاب على الشّبكة العنكبوتية، ولم نجد لها أثرا في آثار الإمام أو غيرها..

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى أبي بكر الأغواطي (سبق إعطاء معلومات عن مصدر هذه الرّسالة).

فيه إظهار للضعف، والتأثر بالآثار النفسية السيئة للحرب، وإبراء الذمة منها. مؤكداً أن جلّ تفكيره ظلّ محصوراً في تلك الآثار الرهيبة للحرب على نفوسنا.

وفي رسالته الشهيرة إلى المعلمين، والتي اختار لها عنوان "إلى أبنائنا المعلمين" يقول: "أيها الأبناء البررة! وصفناكم - في العدد الخاص بالمدارس - بما أنتم أهله، وذكرناكم - ذكركم الله في المأ الأعلى - بالخير والجميل، وأرسلنا إليكم تلك التحية الأبوية الخالصة صادرةً عن قلب يُكُنُّ لكم الحب والتقدير والشفقة، راجين أن يكون رجوع التحية منكم واجباً يُؤدّي على أكمل وجهه، وعملاً يُحقّق على أكمل حالاته، وغايةً توصل بأسبابها من أقرب الطرق، ويأنفع الوسائل، لا كلاماً يذهب مع الريح ولا قشوراً من الأعمال تضيع الوقت، وتُبعد الغاية، ولا أنيناً من الشكوى والتسخط يذهب بالصبر ويوهن العزيمة، وهما حلية الأبطال."<sup>(1)</sup>

وهذا الخبر يفيد التنويه بالأهلية، والمبادرة بالتحية الأبوية، وإبداء الرحمة والشفقة والطمع في الردّ بالمثل، والتحذير من الشكوى والتسخط لما لذلك من تداعيات سلبية على خلق الصبر وإضعاف العزيمة كما فيه تحذير من مغبة التظاهر بالكلام دون الأعمال.

ويقول في الرسالة نفسها: "أيها الأبناء البررة، هاأنتم هؤلاء تيؤأتم من مدارسكم ميادين جهاد فاحرصوا على أن يكون كلّ واحد منكم بطل ميدان، وهاأنتم هؤلاء خلفتم مُرابطة الثغور من سلفكم الذين حموا الدين والدنيا، ووقفوا أنفسهم لإحدى خطتين: الدفاع المجيد، أو موت الشهيد."<sup>(2)</sup>

وفي هذا الخبر تنبيه المخاطبين (المعلمين) إلى ضرورة الحرص على أن يكونوا أصحاب ميدان (أبطالاً) ورجال الدعوة إلى النَّاسِي بالسلف الصّالح في تعاملهم مع إحدى الحسينيين.

ويقول في رسالته للمعلمين أيضاً: "إننا - يا أبنائي - كنّا أوّل من نام، وآخر من استيقظ؛ فمن الحزم أن لا نقطع الوقت في العتاب والملام، والحرب بالكلام؛ فإنّ ذلك إطالة للمرض، وزيادة في البلاء على المريض. ومن الحزم أن نتحاسب على الدقائق، إذا تحاسب غيرنا على الساعات، وعلى الأيام إذا تحاسب غيرنا على الأعوام."<sup>(3)</sup>

(1) الإبراهيمي: إلى أبنائنا المعلمين الأحرار، آثار الإمام، ج3، ص: 262/ البصائر، العدد 94، في 7 نوفمبر 1949.

(2) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 262.

(3) الإبراهيمي: إلى أبنائنا المعلمين الأحرار، المرجع السابق، ص: 262.

في هذا الخبر إقرار بالحالة التي عليها الشعب الجزائري آنذاك، وفيه وعظ وإرشاد على عدم التراشق باللوم والعتاب، والدعوة إلى ضرورة التعاون ليحاسب بعضنا بعضاً. كما فيه تأكيد على أن العتاب وكثرة الملام لا فائدة منه لأنه لا يزيد الوضع إلا مرضاً وتأزماً.

ويقول فيها أيضاً: "إن وراءنا من الزمن سائفاً عنيفاً، وإن معنا من العصر وروحه زاجراً مخيفاً وإن أمامنا سبلاً وعرة، وصراطاً أدق من الشعرة، وإن عن أيماننا وعن شمائلنا عوائق من الدهر ومعوّقين من البشر، وإن في طي الغيوب من القدر المحجوب بوائق في أكامها لم تفتق، وإن أدري أقرب أم بعيد ما أوعده الله الظالمين، ولكنتي أدري أن العاقبة للمتقين، وأننا لا نغلب العوائق، ولا ننقي البوائق إلا بإيماننا بالله، ثم بديننا، ثم بلغتنا، ثم بأنفسنا، ثم بالحق الذي جعله الله ميزاناً للكون وقيوماً على الكائنات، ترجع إليه صاغرة، وتقف عنده داخرة." (1)

في هذا الخبر تنبيه وتذكير بالعراقيل والمعوقات المعترضة للسير الحسن نحو المستقبل من الدهر، ومن البشر على حدّ سواء؛ ثم ينتقل إلى الوعظ المؤكّد ليعبر أن الإيمان هو سبيل للتغلب على تلك العوائق: الإيمان بالله وبالدين وباللغة العربية وبالحق.

ويقول: "وتلك هي الحالة التي نعيذ أنفسنا ونعيذكم بالله من تسبب أسبابها، وتقريب وسائلها وقد نهى ديننا الإسلام عن التقصير في الواجبات، ونهى التفريط في الحقوق، وبيّن آثاره وعواقبه وحضّ على الأعمال في مواقيتها، وقبح الكسل والتواكل والإضاعة، فشرع لنا بذلك كله من شرائع الحزم والقوة وضبط الوقت والنفس ما لم يشرعه قانون، ولم تأت به عقلية؛ وما أخذنا بذلك إلا ليأخذ بحُجرتنا عن التهور في الكسل والبطالة، وبقينا تجرع مرارة الندم، وحرارة الحسرة... وإن من الظلم تكليف جيل بواجبات أجيال، وإن من الجور أن يحمل القرن الأخير أوزار القرون الماضية." (2)

ففي هذا الخبر تشخيص للحالة التي آلت إليها الأمة من التقصير في الواجبات، والتفريط في الحقوق، وفيه حثّ وحضّ على ضرورة أداء الأعمال في وقتها، والتمسك بما شرعه الإسلام من الحزم والقوة وضبط الوقت والنفس؛ وتحذير من الدعة والكسل والتواكل وإضاعة الأوقات، مع تأكيده على تكليف جيل بواجبات أجيال أخرى، و تحميله تبعات وأخطاء الأجيال الماضية.

وفي رسالته (إلى المعلمين) نقرأ: "هاأنتم هؤلاء تربّعتم من مدارسكم عروش ممالك؛ رعاياها أبناء الأمة وأفلاذ أكباده؛ تديرون نفوسهم على الدين وحقائقه، وألسنتهم على اللسان العربي ودقائقه

(1) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 261-262.

(2) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 263.

وتسكبون في آذانهم نغمات العربيّة، وفي أذهانهم سرّ العربيّة، وتدبرون أرواحهم بالفضيلة والخلق المتين، وتروّضونهم على الاستعداد للحياة الشريفة بعد أن تجتثوا من نفوسهم بقايا آثار المنزل الجاهل، والأب الغافل، وتقودونهم بزمام التربية إلى مواقع العبر من تاريخهم، ومواطن القدوة الصالحة من سلفهم، ومنابت العزّ والمجد من مآثر أجدادهم الأولين.<sup>(1)</sup>

وفيها أيضا: "ألا إنّ رأس مال التلميذ هو ما يأخذه عنكم من الأخلاق الصالحة بالقدوة، وأما ما يأخذه عنكم بالتلقين من العلم والمعرفة فهو ربح وفائدة."<sup>(2)</sup>

ففي هذا الخبر تنبيه يحمل التأكيد على أنّ رأس مال التلميذ ما يستفيده من أخلاق المعلمين الدّمثة، ثمّ في المرحلة الثانية الإفادة من العلم والمعرفة مع وصفه لذلك بأنّه ربح وفائدة.

وفي ذيل رسالته إلى المعلمين، مبرزا مشاعره الحيّاشة، وأحاسيسه الصادقة نحوهم فيقول: "أي أبنائي! إنّ هذا القلب الذي أحمله يحمل من الشفقة عليكم، والرّحمة بكم، والاهتمام بشؤونكم ما تنبّت منه الحبال، وتنوء بحمله الجبال، وهو يرثي لحالك من الغربة، وإلحاح الأزمات ويودّ - بقطع وتينه - لو أزيحت عنكم، ورُقّع بالسداد خللكم، ولتكنم جنود، ومتى طمع الجنديّ في رفهيّة العيش.... وأسود، ومتى عاش الأسد على التّدليل؟ وهو يشعر أنّ التّدليل تذليل."<sup>(3)</sup>

وهو خبر توسّط الإنشاء - ابتداء وذيلا - وفيه دلالة على إبداء الشفقة والرّحمة لحال المعلمين في وقته؛ ممّا يعانونه من أزمات ومحن وضيق في العيش، ثمّ ما يلبث أن يعطف على ذلك بدفعهم إلى النّشاط، وتحريك الهمة إلى الحياة البسيطة، بعيدا عن الرفهيّة (كما يسمّيها الإبراهيمي) كالجنديّ الباسل أو كالأسود الهزيرة، بعيدا عن التّدليل، بعيدا عن التّدليل.

وفي رسالة محمّد البشير الإبراهيمي التي وجّهها إلى مفتي بلاد التّوحيد (بلاد الحرمين الشريفين)<sup>(\*)</sup> في وقته سماحة الشّيخ محمّد بن إبراهيم آل الشّيخ - رحمه الله - والتي كتبها في القاهرة يوم 13 يونيو 1958. جاء فيها كثير من الأساليب الخبيرة منها: "مضى على ثورة إخوانكم الجزائريين التي انتصروا بها لله و لدينه أربع سنوات، وما فترت لهم عزيمة، ولا بردت لهم فيها حمية، وأراهم الله من آيات نصره للفئة القليلة على الفئة الكثيرة ما دلّ على إخلاصهم له، وصدقهم في معاملته، و قد شهد لهم العالم، حتّى أعداؤهم، فيما أظهره من ضروب الشّجاعة المقرونة بحسن التّدبير و التقدير، و

(1) الإبراهيمي: إلى أبنائنا المعلمين الأحرار، المرجع السابق، ص: 264.

(2) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 264.

(3) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 265.

(\*) ينظر، نص الرسالة كاملا في الملحق من هذا البحث، ص: 372.

بالمواقف الجليلة المبيّضة لوجه الإسلام التي بعدّ العهد بمثلها، غير أنّ الحرب كالحبلى لا ندري ما تلد ولا على أيّة حال تسفر. "(1)

وفي هذا الخبر يظهر الإبراهيمي مدى الإعجاب والفخر برجال جيش التحرير الوطنيّ بما أظهره من شجاعة وإخلاص وصدق وحسن التقدير... ممّا جلب إليهم اعتراف العالم بأسره. وليعرّف شيخ السّعوديّة الأسبق بقضية الثّورة الجزائريّة، ورجالها البواسل.

وفيها يقول البشير الإبراهيمي أيضا: "إنّ الواجب الذي يفرضه الدّين على أمثالكم أن تقوموا لله بحملة صادقة أنتم أهلّ للقيام بها في قضية الجزائر؛ فتوجّهوا نداءً جهيرًا إلى المسلمين الذين يشهدون الموسم ليحملوه إلى من خلفهم من المسلمين حين ينقلبون إلى أوطانهم؛ تحضّونهم فيه على مساعدة إخوانهم مجاهدي الجزائر، وتبيّتون لهم ما يترتّب على قعود المسلمين عن نصره إخوانهم الجزائريين من آثار، أيسرها أنّ الاستعمار المتساند سينتقم، إن انتصر لنفسه من المسلمين انتقامًا عاجلاً، وإنّ طرق الانتقام لكثيرة، وإنّ وسائله جميعها في يده. ثمّ توجّهوا نداءً خاصًا إلى إخواننا سكان المملكة العربيّة السّعوديّة تحرضونهم به على الجهاد بالمال، وأنّه قرين الجهاد بالنّفس، بل هو مقدّم عليه في كتاب الله العزيز، وإنّ المال لهو الرّكن الرّكين في نجاح إخوانكم المجاهدين." (2)

ففي هذا الخبر استعطاف وحثّ لمفتي بلاد الحرمين الشّريفيّن، والالتماس منه أن يقوم بواجبه كعالم كبير له كلمته المسموعة لدى العلماء وعموم النّاس، في دعوة الحجاج لنصرة إخوانهم الجزائريين إبان ثورة التحرير، والعمل على حثّ سكان المملكة لمساعدتهم بالمال، مؤكّداً أنّ الجهاد بالمال سند قويّ لانتصار المجاهدين.

و يقول الإبراهيمي: "وقد قام الشّعب الجزائريّ وحده بهذا الواجب في سنوات الثّورة كلّها، وكلّ ما وصله من إعانات مالية كان نوافل، أمّا الآن فإنّ الشّعب مضيق عليه ومحصور، وقد انقطعت به الوسائل الماليّة، فالتّجارة معطلّة والفلاحة كذلك، والشّعب الذي هو تحت قبضة العدو اشتدّ عليه الخناق وأرهقته المظالم والمغارم، وشنته القتل والتّشريد، فقد مات منه نحو مليون شخص كلّهم من المستضعفين من الرّجال والنّساء والولدان، وأخرج منه نحو ذلك العدد من ديارهم حفاة عراة لا يملكون قوت يومهم، هائمين على وجوههم إلى مراكز غربًا، وإلى تونس شرقًا، كلّ ذلك انتقام من الجيش

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى مفتي السّعوديّة سماحة الشّيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، آثار الإمام، ج5، ص: 221-223.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى مفتي السّعوديّة، آثار الإمام، ج5، ص: 222.

الفرنسي الذي عجز عن قمع الثورة، والقضاء على جيش التحرير المسلح، فلجأ إلى هذه الوسائل الوحشية." (1)

ففي هذا الخبر يبرز الإبراهيمي حالة الضعف التي يتخبط فيها جيش التحرير الوطني والشعب الجزائري على حدّ سواء، بسبب الحرب والتضييق والحصار والتشريد والقتل والتّهجير القسري للمستضعفين منهم، وانعدام المال وضياع التجارة والفلاحة. إنّه شعب - حقاً - قهرته المظالم الاستعمارية، والمغارم المختلفة.

وفي موضع آخر من رسالته إلى إمام الحرمين سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ يقول: "وقد كان جيش التحرير مؤلّفاً في أول أمره من ثلاثة آلاف مقاتل، فأصبح بعد أربع سنوات مؤلّفاً من أكثر من مائة ألف مقاتل مسلّح بما يلزم من السلاح على أكمل تنظيم وأحسن تدريب، و هو في كلّ يوم يذيق عدوّه ألواناً من الهزائم. و الحمد لله." (2)

وهو خبر يتضمّن الفخر والاعتزاز بأفراد جيش التحرير الوطني بما حقّقه من أعداد كبيرة، وإعداد العدة، وتسليح محترم، وتدريب على أعلى المستويات، وانتصارات مبهرة على العدو الغاشم.

ويقول الإبراهيمي في نهاية رسالته لسماحة إمام الحرمين يومها: "أيّها الأخ الجليل، إنّ الثورة الجزائرية تعدكم كهفها الأحمى، وإنّ موقفاً منكم في سبيلها كالمدد في وقت الحاجة إليه، فهلاًّ صيحة منكم تحرك النفوس الجامدة إلى البذل في سبيل الله، وتهزّ الهمم الخاملة فتتبارى في سوق بضاعتها شرف الدنيا وعزّ الآخرة، و قيامتها مال زائل وحال حائل." (3)

وهو خبر يتضمّن التنبية إلى ثمار الثورة الجزائرية المرجوة، وفيه تأكيد على إبراز موقف مشرف من شيخ السعودية الأكبر تجاه الثورة الجزائرية، ملتصقا منه حضّ المسلمين والحجاج على ضرورة البذل والعطاء في سبيل الله لدعم إخوانهم أصحاب الحقّ المغتصب، وتقديم يد العون، كما تضمّن الخبر شيئاً من الوعظ والإرشاد؛ لتحريك الهمم الخاملة لخدمة الثورة المباركة من أجل نيل شرفي الدنيا والآخرة.

وفي رسالة الإبراهيمي إلى الأستاذ (كامل كيلاني) المرّبي المشهور، نجد قوله: "إنني أشهد الله وأشهد أمام خلقه، بأنّ الرّجل الذي انتهت إليه حكمة التربية من طريق كتب التّعليم هو الأستاذ " كامل

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى مفتي السعودية، آثار الإمام، ج5، ص: 222.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى مفتي السعودية، المرجع نفسه، ص: 222.

(3) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 223.

الكيلاني". شهادة أنا - فيما أعد نفسي - مبشّر بالمبادئ الصّالحة والكتب الصّالحة، لأنّ التّجارب انتهت بي إلى أنّ ما أفسد العلم إلاّ الكتبُ الفاسدة.<sup>(1)</sup>

وهو خبر يتضمّن إسهادا مؤكّدا بأحقّيّة الأستاذ كامل الكيلاني<sup>(\*)</sup> في الحكمة التّربويّة، وهو إسهاد فيه اعتراف بكفاءة الرّجل في الحقل التّربويّ بلا منازع، كما تضمّن تبشيرا بالمبادئ الأساسيّة التي اتّخذها كمنهج حياة في الإصلاح بالتّربية السّليمة والكتب النّافعة؛ مختتما بإقرار جازم أنّ ما أفسد العلم و التّعليم إنّما هي الكتب الفاسدة.

وفي رسالة الإبراهيميّ إلى الشّيخ (أبي الأعلى المودوديّ) نجد الأسلوب الغالب عليها هو الأسلوب الخبريّ، نختار منها هذا الخبر: "وكنّت على يقين كرأي العين بأنّ الله جاعل لكم من أمركم مخرجا وأنّه لا يخذل عباده المؤمنين به، الدّابّين عن دينه، حتّى هتفت الأنبياء بالفرج، وتناقلت الصّحف البشائر وتبيّن ما كنت أعتقده من اللّطائف، وهو أنّ الله فيكم سرّا هو مجلّيه لوقته، وأنّه مستبقيكم لأداء أمانة وإظهار خارقة لخير الإسلام قد أطلّ زمانه، وأنّ قلبي ليحدّثني بها حتّى كأنّي أراها."<sup>(2)</sup>

وهو خبر تضمّن إظهار الإبراهيميّ اليقين في الله بأنّ محنة العلامّة أبي الأعلى المودوديّ<sup>(\*)</sup> ستشهد فرجا قريبا، وأنّ الله لا يخذل عباده المؤمنين الذين يخدمون دينه، وفيه تبشير برفع الغبن عن هذا الدّاعية الكبير، وأنّ الله مستبقيه ليؤهّله لاستكمال واجباته لخير الإسلام. وفيه إقرار مؤكّد من الإبراهيميّ أنّ ما في قلبه ليقع يقينا كأنّما يراه.

وفي رسالته إلى الأستاذ عبد الله كنون نقراً هذا الخبر: "وصلتني رسالتكم البرّة الكريمة في التّهنة بأعجوبة الزّمن، ومعجزة الدّهر: استقلال الجزائر، وما أدراكم ما استقلال الجزائر، الحدث الذي هزّ العالم كلّهُ؛ فابتهج له أقوام، وامتعض آخرون، وما امتعض له إلاّ الشّيطان وحزبه، والاستعمار وأوليّاؤه، ولا سرّوا ولا فرحوا."<sup>(3)</sup>

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى كامل كيلاني، آثار الإمام، ج4، ص: 204. (ينظر، نص الرسالة كاملا في الملحق، ص: 365).

(\*) كامل كيلاني إبراهيم كيلاني: (القاهرة 20 أكتوبر 1897 - 9 أكتوبر 1959) كاتب وأديب مصري، اشتهر بأعماله الموجهة للأطفال، وأطلق عليه النقاد لقب رائد أدب الطفل، وترجمت قصصه إلى عديد من اللّغات. (ينظر، كامل كيلاني، الموسوعة الحرّة (ويكيبيديا). <https://ar.wikipedia.org>).

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى أبي الأعلى المودوديّ، آثار الإمام، ج5، ص: 162.

(\*) أبو الأعلى المودودي: أحد كبار علماء باكستان. ولد في: (12 رجب 1321 هـ - 31 ذو القعدة 1399/ سبتمبر 1979 هـ) ولاية حيدر آباد بالهند من أسرة مسلمة، اشتغل بالصحافة، أسس الجماعة الإسلاميّة في الهند عام 1360 هـ. وقادها 30 عاما. اعتقل في باكستان ثلاث مرّات وحكم عليه بالإعدام عام 1373 هـ، ثمّ خفّف حكم الإعدام إلى السجن المؤبّد. نتيجة لردود الفعل الغاضبة والاستنكار الذي واجهته الحكومة آنذاك. (ينظر، أبو الأعلى المودودي، الموسوعة الحرّة (ويكيبيديا) <https://ar.wikipedia.org>).

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ عبد الله كنون، آثار الإمام، ج5، ص: 296.

وهو خبر تضمّن إظهار الإعجاب والفرح، وإبراز الامتعض من أعداء الجزائر، وكذا إظهار الإعجاب باستقلال الجزائر، الحدث الذي عزّ الجميع فرحا وابتهاجا، وفيه امتعض أعداء الجزائر من الدّاخل والخارج من نهاية الاستعمار الفرنسي، ووجوده الذي عمّر طويلا.

وفي الرّسالة ذاتها يقول مخاطبا عبد الله كنون\*: "أيها الأخ، أنا مريض منذ فارقتموني ولولا أنّ استقلال الجزائر أنعشني، ومستّ روعي منه ما يشبه الكهرباء، لما كانت فيّ قوّة على إملاء كلمة وكتابة حرف ولقد كنت إلى عهد قريب أخشى أن تخترمني الموت قبل أن أملاً أذني بأخبار استقلال الجزائر، ولكنّ الله منّ عليّ - تفضلا منه ورحمة - بالحياة حتّى تمّت الفرحة الكبرى فقلت: الآن ألقى الله مطمئنا." (1)

وهذا الخبر في رسالته إلى الأستاذ عبد الله كنون فيه إظهار للضعف والعجز بسبب الأمراض التي نالت من جسمه النّحيف، وفيه إقرار بالمنة والفضل لله - سبحانه وتعالى - وحده على أن مدّ له في عمره حتّى شهد الاستقلال؛ ممّا دفعه إلى إبداء الفرحة والاطمئنان قبل أن يدركه الموت.

**ختاما:** لقد اتكأ البشير الإبراهيمي كثيرا على الأسلوب الخبري على مستوى التراكيب والعبارات، وقد أبدع في توظيفه في رسائله المختلفة، على صور متعدّدة بما يخدم الأهداف التي ينشدها ويتلاءم والأغراض التي يصبو إليها، والموضوعات التي طرقها. وممّا يلاحظ أنّ الإبراهيمي وُفق في ذلك بما يحقّق الدلالات من التّنوع في التراكيب الخبرية على اختلاف صورها.

### 2-3 الأسلوب الإنشائي في رسائل الإبراهيمي:

وظّف الإبراهيمي في رسائله الأسلوب الإنشائي، وطرق جميع أغراضه المتنوّعة لتحقيق بعض الفوائد اللّغوية والبلاغية والمعاني العميقة. فما هو الإنشاء؟

**الإنشاء هو:** ما لا يحتمل الصّدق أو الكذب وهو نوعان:

1 - الإنشاء الطلبيّ: وهو الأمر والنهي والاستفهام والنّداء والتمنيّ.

2 - الإنشاء غير الطلبيّ: وهو التّعجب والقسم والمدح والذّم.

**1- الأساليب الإنشائية الطلبيّة:** والطلب معنى هام يهيمن على الجملة، وسياقه سياق فعليّ. أي: أنّ جملة فعلية تحتوي على طلب معيّن قد يكون أمرا أو نهيا أو استفهاما أو نداء أو دعاء أو ترجيا أو

(\*) ينظر، نص الرسالة كاملا في الملحق، ص: 420.

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ عبد الله كنون، المرجع نفسه، ص: 296.

تمنياً أو إعراضاً أو تخصيصاً، وسنحاول دراسة أبرز أساليب الطلب التي تكرّر استخدامها في الرسائل وهي خمس صيغ:

**1-1 الأمر:** هو طلب فعل الشيء على وجه الاستعلاء. (1) أي: الأمر يُعدّ نفسه أعلى من المُخاطَب. وفي تعريف آخر، الأمر: "هو طلب القيام بفعل في زمن المستقبل ويكون أسلوب الأمر حقيقياً إذا دلّ على الاستعلاء والإلزام." (2)

والأمر من الإنشاء الطلبي، وفيه يقول العلوي: "صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء." (3)

و صيغ الأمر:

أ - الفعل الأمر، مثل: ﴿وَاضِعَ الثُّلُكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا﴾ (4)

ب - المضارع المقرون بلام الأمر، مثل: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ (5)

ج - المصدر النائب عن فعله. مثل قول مؤيد الدين الطغرائي (ت 515 هـ):

فَصَبْرًا مَعِينِ الْمُلْكِ إِنَّ عَنِّ حَادِثٌ \*\*\* فَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلٌ

د - اسم الفعل الأمر، مثل قول أبي الفرج السّاوي (البيغاء)، أحد كتّاب الصّاحب بن عبّاد، يرثي فيها فخر الدولة.

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلءِ فِيهَا \*\*\* حَذَارِ حَذَارٍ مِّن بَطْشِي وَفَتْكِي

وَلَا يَغْرُزُكُمْ حُسْنُ ابْتِسَامِي \*\*\* فَقَوْلِي مُضْحِكٌ وَالْفِعْلُ مُبْكِي (\*)

ومن خلال قراءتنا لرسائل الإبراهيمي نجد كثيراً من الجمل الأمرية كان يرمي إليها لتحقيق دلالات معينة، وسنحاول أن نختار بعضها.

1- أ الصورة الأولى: فعل أمر + فاعل (ضمير متصل).

(1) أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ص: 64.

(2) سناء حميد البياتي: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2003، ص: 299.

(3) العلوي يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني: الطراز المتضمن أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج3، دار الكتب العلمية - بيروت، 1995، ص: 271.

(4) سورة هود، الآية: 37.

(5) سورة الطلاق، الآية: 7.

(\*) قال محمد محي الدين عبد الحميد: هذان بيتان من الوافر، وهما مشهوران يدوران على كلّ لسان، وهما من قصيدة لأبي الفرج السّاوي أحد كتّاب الصّاحب بن عبّاد يرثي فيها فخر الدولة، وقد أنشدها الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر (3/ 339) بتحقيقنا. (منتهى الأرب بتحقيق شرح شذوذ الذهب دار الطلائع، القاهرة، (دط)، (2004)، ص: 126).

يقول الإبراهيمي في رسالة يوصي السادة المعلمين: "وأوصيكم بحسن العشرة مع بعضكم إذا اجتمعتم وبحفظ العهد والغيب لبعضكم إذا افتقرتم؛ إن العامة التي ائتمنتكم على تربيّة أبنائها تنظر إلى أعمالكم بالمرآة المكبرة؛ فالصغيرة من أعمالكم تعدّها كبيرة، والخافتة من أقوالكم تسمعها جهيرة؛ فاحذروا ثم احذروا..."<sup>(1)</sup>

ففي هذه الفقرة حتّ مباشر للمعلمين على حسن العلاقة فيما بينهم حال اجتماعهم؛ و حفظ العهد حال تفرّقهم؛ وفيه تحذير مؤكّد (فاحذروا ثم احذروا) لهم من العامة (أولياء التلاميذ) لكي يعطوا الصّورة النّاصعة، ويظهروا أمامهم بمظهر القدوة الحسنة، فأعينهم دوما تراقب كلّ شأنهم، صغيره وجليله، بمرآة مكبرة.

### 1- ب الصّورة الثّانية: فعل أمر + فاعل (ضمير متّصل مثني) + شبه جملة.

فعل طريقة الشعراء القدامى، استخدم الإبراهيمي صيغة المخاطب المثني، دون الإشارة إليهما في خطابه يقول: "قولا لصاحب القبر عني: يا ساكن الضريح، نجوى نضو طليح، صادرة عن جفن قريح، وخافق بين الضلوع جريح."<sup>(2)</sup>

فالشيخ يخاطب رفيقين اثنين، كدأب الشعراء العرب في الخطاب، ثمّ يحملهما رسالة يقرّانها على الأصحاب، ويقدمانها إلى النّأوي في الضريح، من محبّ طليح، بلغة الشيخ الحزين الجريح... فيصّول ويجول، ويأتي بالدُرر البديعة التي لم نقتري لها مثيلاً لدى معاصريه في المشرق والمغرب..."<sup>(3)</sup> وهو أمر لا نستشفّ منه الاستعلاء على المخاطبين، بل نستشعر بالاستعطاف والرّجاء في أن ينقلا بأمانة رسالته إلى صاحبه ابن باديس وهو في قبره.

### 1- ج الصّورة الثّالثة: فعل أمر + فاعل (ضمير مستتر) + مفعول به.

يقول الإبراهيمي مخاطبا الشّاعر محمّد العيد آل خليفة: "فأحمد الله على أنّ في قومك من يعرفها ويتدوّقها ويترّب لها..."<sup>(4)</sup>

### 1- د الصّورة الرّابعة: فعل أمر + فاعل (ضمير متّصل) + مفعول به.

وفي رسالته التي تحمل غضبا على الاستعمار الفرنسيّ وأذيله يقول: "سلوا عقلاء الأرض الذين لم يصابوا في عقولهم بمرض الاستعمار، وسلوا علماءها الذين لم يفسد علمهم الاستعمار، سلوهم جميعا أو أشتاتا: هل يلتقي الاستعمار والعدل في طريق؟ وهل يتحقّق العدل مع الاحتقار، والبغض بين حاكم ومحكوم؟"<sup>(5)</sup>

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى أبنائنا المعلمين الأحرار، البصائر، العدد: 94.

(2) الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، البصائر، العدد: 76.

(3) عبد الملك مرتاض: الإبراهيمي: أمير البيان، مجلة جذور، ص: 377.

(4) الإبراهيمي: رسالة بين عالم وشاعر، مجلة الشهاب، ج3، المجلد12، جوان 1936م، ص: 135.

(5) الإبراهيمي: رسالة حدثونا عن العدل فأنتنا نسيناه، البصائر، العدد: 119، وآثار الإمام، ج3، ص: 364.

ف فعل الأمر (سلوا) الذي تكرر ثلاث مرّات، أصله (اسألوا)، فحذف همزة الوصل (ا)، وهمزة القطع المتوسطة (أ) وهو الأصل في المطلوب والأمر من الفعل (سأل)، ويجوز الحذف للتخفيف، وواو الجماعة (الضمير) في محلّ رفع فاعل.

وفي رسالته إلى (السادة المعلمين) مرّة أخرى، نقرأ هذه الفقرة التي تحتوي على عدّة أوامر متشابهة: "فقفوا عند هذه الحدود، واجعلوها مقدّمة على البرنامج الآلي في العمل والاعتبار، وفي السبر والاختبار؛ واحرصوا كلّ الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم، واجعلوا الحقيقة الآتية نصب أعينكم واجعلوها حادّيك في تربيّة هذا الجيل الصّغير، وهاديكم في تكوينه، وهي: أنّ هذا الجيل الذي أنتم منه لم يؤت في خيبته في الحياة من نقص في العلم، وإنّما خاب أكثر ما خاب من نقص في الأخلاق، فمنها كانت الخيبة، ومنها كان الإخفاق."<sup>(1)</sup>

وفي رسالته إلى "كتاب البصائر" يختتمها بأوامر عديدة جدّا، يوجّههم فيها إلى أعمال كثيرة. منها على سبيل المثال لا الحصر: "أمامكم أمراضنا الاجتماعية وجوانحنا النفسيّة والخلقيّة التي حجبت عنّا وجه الحياة، وأخفت علينا مسالكه فاشرحوا الداء وبيّتوا الدوّاء ومزّقوا الجلايب التي أضفاها الجهل على عقولنا فلم تفقه معنى الحياة."<sup>(2)</sup>

ففي هذه الأوامر شيء من الاستعلاء، فيه توجيهات للجزائريين المستعبدين إبان الاستعمار الفرنسيّ، مستغلّا تجربته وخبرته وعلمه، طالبا منهم أن يوجّهوا السّؤال للعقلاء والعلماء: هل يلتقي الاستعمار والعدل؟ وهل يتحقّق العدل مع الاحتقار، والبغض بين حاكم ومحكوم؟ وفي خطابه للمعلمين يوجّههم إلى ما فيه مصلحة أبناء الأمتة (قفوا، اجعلوا، احرصوا). وفي مخاطبته لكتاب البصائر، يستعمل أفعال أمر تناسب وظيفتهم في خدمة الصّالح العام (اشرحوا، بيّتوا، مزّقوا جلايب الجهل...).

### 1- هـ الصّورة الخامسة: فعل أمر + مفعول به / اسم فعل أمر + مفعول به

وفي رسالته إلى أرض الجزائر الطّيبية خاطب (الصّبا) من أرض الغربية ليحمل تحيّاته إليها وإلى من فيها. بصيغ أمر متعدّدة: "حيّ الجزائر عني يا صبا... حسّبك شرفا ياصبا أن ألتقي النّاس فيك على وصف."<sup>(3)</sup>

وفي رسالته إلى الزّاهريّ الطّرقّيّ نجد الأساليب الإنشائيّة التّالية: "هلمّ إلى الذين... الاستعمار الذي كفر بالأديان يقول بصريح القول والعمل: أما تلك الأسماء، التي تتعل بها بعض كلماتك، فاغرر بها من لا يعرفك ولا يعرفها.

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى أبنائنا المعلمين الأحرار، البصائر، العدد: 94، وأثار الإمام، 264/3.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى كتاب البصائر، البصائر، العدد: 2.

(3) الإبراهيمي: تحية غائب كالآيب، أثار الإمام، ج4، ص: 181.

إننا لم ننس يوم كنت تنسب مقالاتك في "الوفاق" إلى الأستاذ بوشاقور "والأستاذ بوشنتوف" والناس كلهم يعرفون من هما، وما هي دركتهما في الأمية."<sup>(1)</sup>

هلم: بمعنى " تعال " "أقبل".

1- و الصورة السادسة: فعل أمر + فاعل (ضمير مستتر) + صيغ مختلفة.

يقول: " واحمل إليها مئي سلاما.

ثم عمم التحية إلى كل من تدبر الجزائر من إخوان الصديق، وأحلاف الحق.

سر- يا صبا - طاب مسراك، وصفا مجراك... وخذ من آثارهم بما يجدي، فكلكما نجدي.

أد التحية عني للجزائر التي غدت وربت، وانبتت القوادم في النجاح... قل للجزائر الحبيبة..."<sup>(2)</sup>

ففي كل أفعال الأمر التي اختارها في هذه الفقرة، جاء الفاعل مستترا (احمل، عمم، سر، خذ، أد قل) كأنني به يريد إخفاء المرسل الذي كلفه بكل المهام الأنفة الذكر، متمثلا في (الصبا)، وقد اختاره بعناية لأنه الوحيد الذي يمكنه أن يقوم بالتكليف دون أن يقف في طريقه شيء.

1- ز الصورة السابعة: فعل أمر + فاعل (ضمير متصل) + مفعول به (ضمير متصل).

في رسالته إلى "كتاب البصائر" يختتمها بأوامر عديدة جدا، يوجههم فيها إلى أعمال كثيرة. منها على سبيل المثال لا الحصر:

" أمامكم حقائق الدين وفضائله وآداب الإسلام وحكمه فاشرحوها وبيئوها."

1- ح الصورة الثامنة: فعل أمر ثلاثي + فاعل (ضمير متصل) + مفعول به.

فعل أمر ثنائي + فاعل (ضمير متصل) + مفعول به.

فعل أمر فردي + فاعل (ضمير متصل) + مفعول به.

يقول الإبراهيمي مخاطبا كتاب البصائر: " أمامكم اللغة وعلومها وآدابها فابحثوا ونقبوا واحدوا ركابها واطربوا واسعوا لبيان فضلها سعيكم لتعليمها، وأشربوا قلوب أولاد هذه الأمة: إته ما غرد بلبل بغير حنجرته."

وفي رسالته إلى الأستاذ أحمد قصبية، نجد في الفقرة السادسة جملا دبجها بشكل أعطاها رونقا وجمالا، حيث يقول: " إن في الجوّ عبّرة، يثيرها الفجرة، ولا يطفئ وهجها إلاّ الأبناء البررة، وإياكم أعني وإنّ في الأرض أحابيل منصوبة، لذوي الحقوق المغصوبة، تُنسي جميع ما سبقها من الأحابيل، والجور الوبيل، فكونوا رجال اليوم والغد، وتسألوا بالأخلاق الإسلامية الحقيقية، لا هذه المظاهر التي غرنا بها الغرور، وإنّ اعتماد هذا الدين وهذه اللغة في هذا الطور على هذا الجيل الذي تتوسطونه، وتتولون زعامته، فانظروا ما أنتم فاعلون."<sup>(3)</sup>

(1) الإبراهيمي: رسالته إلى الزاهري، آثار الإمام، ج 3، ص: 559. البصائر، العدد 61.

(2) الإبراهيمي: تحية غائب كالآيب، آثار الإمام 4، ص: 181.

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى أحمد قصبية، مجلة الثقافة، العدد: 87، وآثار الإمام، ج 2، ص: 39.

### 1- ط الصورة التاسعة:

- فعل أمر + فاعل ضمير متصل + جار ومجرور.

- فعل أمر + فاعل (ضمير متصل) + مفعول به (اسم ظاهر، مصدر مؤول، جملة اسمية).

وفي رسالته إلى المعلمين الجزائريين يخاطبهم بقوله: "هاأنتم هؤلاء تبوأتم من مدارسكم ميادين جهاد؛ فاحرصوا على أن يكون كل واحد منكم بطل ميدان، وهاأنتم هؤلاء خلفتم مرابطة الثغور من سلفكم الذين حموا الدين والدنيا، ووقفوا أنفسهم لإحدى خطتين: الدفاع المجيد، أو موت الشهيد؛ فاحذروا أن تؤتى أمتكم من ثغرة يقوم على حراستها واحد منكم، فيجلب العار والهزيمة لجميعكم، واعلموا أنكم عاملون، فمسؤولون عن أعمالكم، فمجزئون عنها من الله ومن الأمة ومن التاريخ ومن الجيل الذي تقومون على تربيته كيلاً بكيل، ووزناً بوزن." (1)

### 1- ي الصورة العاشرة: الإغراء والتحذير.

وفي رسالته إلى "كتاب البصائر" يقول لهم مخاطباً: "الإحسان الإحسان - أيها الكتاب الكرام - فلا تكتبوا إلا فيما تحسنون موضوعه." (2)

وفي رسالته إلى "الطلبة المهاجرين" نجده يستعمل الإغراء و التحذير في قوله: "لا تعتمدوا على حفظ المتون وحدها، بل احفظوا كل ما يقوي مادتكم اللغوية، وينمي ثروتكم الفكرية، ويغذي ملكتكم البيانية؛ والقرآن القرآن!..." (3)

ففي هذين النصين وظف الإبراهيمي الأمر من باب الإغراء، مخاطباً الكتاب في الأول، والطلبة في الثاني: الإحسان الإحسان/ القرآن القرآن.

فالإغراء هو: تنبيه المخاطب على أمر محبوب ليفعله: نحو: "العمل العمل، فإنه مفتاح الغنى والطريق إلى المجد". فالمتكلم به، هو: "المغربي"، المخاطب هو: "المغربي"... والأمر المحبوب هو: "المغربي به". وعلى هذه الثلاثة مجتمعة يقوم أسلوب: "الإغراء" (4)

بينما التحذير لا يكاد يذكر في رسائل الإبراهيمي. وهو: "تنبيه المخاطب على أمر مكروه؛ ليجتنبه". والأصل في أسلوب التحذير أن يشتمل على ثلاثة أمور مجتمعة:

أولها: "المحذر"، وهو المتكلم الذي يوجه التنبيه لغيره.

ثانيها: "المحذّر"، وهو الذي يتّجه إليه التنبيه.

ثالثها: "المحذّور"، أو "المحذّر منه"، وهو الأمر المكروه الذي يصدر بسببه التنبيه." (5)

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى أبنائي المعلمين الأحرار، البصائر، العدد 94.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى كتاب البصائر، جريدة البصائر، العدد: 2.

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل العلم، البصائر، العدد: 9.

(4) عباس حسن: النحو الوافي، ج4، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1980، ص: 136.

(5) عباس حسن: المرجع السابق، ص: 126.

وقد وجدنا فقرة واحدة اشتملت على التّحذير في خطابه للطلّبة المهاجرين: "واعلموا أنّ كلّ من يدعوكم إلى ذلك إنّما يدعوكم ليضلّكم عن سبيل العلم فهو مضلّ وكلّ مضلّ مضرّ أو ليتكثّر بكم فهو غاشّ، وكلّ غاشّ ممقوت، أو ليلهيكم بما لا تحسنون عمّا تحسنون، فهو ماكر، وكلّ ماكر ممكور بهيّن من يريد أن يتكثّر بكم لا يتكثّر إلّا ليقالكم، ولا يتقوى بكم حساً إلّا على حساب إضعافكم معنى فالحذر الحذر!"<sup>(1)</sup>

ثمّ يختم الإبراهيمي رسالته الجميلة بجملة من الوصايا الذهبية السامية، وجهها للسادة المعلمين من أبناء الجزائر، وقد جاءت كلّها في شكل أساليب خبرية: "أوصيكم بتقوى الله فهي العدة في الشدائد والعون في الملمات، وهي مهبط الرّوح والطّمانينة، وهي متنزل الصّبر والسكينة، وهي مبعث القوّة واليقين، وهي معراج السّمو إلى السّماء، وهي التي تثبت الأقدام في المزالق، وتربط على القلوب في الفتن."<sup>(2)</sup>

ففي هذا النّص فيه حتّى المعلمين على التقوى بكلّ ما تحمل الكلمة من معان، يكون عوناً لهم على الشدائد، وحسن الخلق، وسرّ القوّة، والرّقي بالروح نحو السّماء، والثبات على الحقّ فهو الحصن الحصين أمام الفتن.

ثمّ يستطرد قائلاً: "وأوصيكم بالرّفق والأناة في أموركم كلّها، وبخفض الجناح للناس كلّهم وباتقاء مواطن الشّبّه، واجتناب مصارع الفضيلة، وما أكثرها في وطنكم هذا، وبإجرام الألسنة عن مراتع الغيبة والنّميمة، وفطمها عن مراضع اللّغو واللّجاج؛ فهي - لعمرى - مفتاح باب الشرّ، وثقاب نار العداوة والبغضاء."<sup>(3)</sup>

في هذا الفقرة وصية الإبراهيمي للمعلمين الجزائريين يحثّهم فيها على حسن العلاقة فيما بينهم تتضمّن الرّفق واللّين والتّواضع فيما بينهم، والابتعاد عن الشّبّهات، واتّقاء معايب اللّسان وآفاته من شرّ الغيبة والنّميمة، والنّأي بالنّفس عن مواطن اللّغو واللّجاج، فهي باب الشرّ والعداوة.

ويقول فيها أيضاً موجّها نصحه لفئة المعلمين: "وأوصيكم بالابتعاد عن هذه الحزبيات التي نجم بالشرّ ناجمها، وهجم - ليفتكّ بالعلم والخير - هاجمها، وسجم على الوطن بالملح الأجاج ساجمها؛ إنّ هذه الأحزاب كالميزاب، جمع الماء كدرّاً، وفرقه هدرّاً، فلا الرّلال جمع، ولا الأرض نفع."<sup>(4)</sup>

وقد اشتمل هذا النّص على وصية أوصى بها الإبراهيمي المعلمين (أوصيكم). وأوصيكم بمعنى: أحضّكم وأحثّكم و أنصحكم وأرشدكم على ضبط الميول السياسيّة، ينصحهم فيه بضرورة الابتعاد عن

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل العلم، آثار الإمام، ج3، ص: 204.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى أبنائي المعلمين الأحرار، آثار الإمام، ج3، ص: 265.

(3) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 265.

(4) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 265.

التحزب، والانخراط في الحزبيات الضيقة التي تلهي عن العلم والخير، وعدم انتفاع الوطن منها، كما فيه تأكيد على أن هذه الأحزاب على اختلاف مشاربها لا خير فيها. فهي كوادي "الميزاب"، لا يجمع ماء، ولا تنتفع منه الأرض.

2 - النهي: " هو طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء، وليس له إلا صيغته واحدة هي المضارع مع لا الناهية." (1) نحو: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْقًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (2) وقد تضمنت رسائل الإبراهيمي جملا كثيرة أفادت النهي يمكن أن نشير إلى بعضها من خلال الصور التالية:

### 2-1 الصورة الأولى: لا الناهية + فعل مضارع + فاعل (ضمير مستتر).

ففي رسالته إلى الزاهري الطريقي نجد الأساليب الإنشائية الطلبية التي تضم مجموعة من النواهي حيث يقول: "...الاستعمار الذي كفر بالأديان يقول بصريح القول والعمل: أنا أحقّ منك بالتصرف في دينك، فلا تدخل المسجد إلا بإذني، ولا تصل إلا من وراء إمامي، ولا تحج إلا برخصتي، ولا تصم إلا على رؤيتي، ولا تزك إلا بعد استشارتي، ولا تضع زكاتك إلا حيث أريد، لا حيث تريد." (3) وهو نهى تكرر ستّ مرّات. ينهى فيها الاستعمار الفرنسي الجزائريين على وجه الاستعلاء الكفّ عن أداء مجموعة شعائر على سبيل التهديد والوعيد؛ على الرغم من فرضيتها في شريعتنا، ولكنها العنجهية حيال المستضعفين، وقد وردت هذه النواهي مبنية بلام النهي وأفعال مضارعة (فلا تدخل المسجد، ولا تصل، ولا تحج، ولا تصم، ولا تزك، ولا تضع زكاتك).

### 2-2 الصورة الثانية:

- لا الناهية + فعل مضارع + فاعل (ضمير مستتر).

- لا الناهية + فعل مضارع + فاعل (ضمير مستتر) + مفعول به (اسم ظاهر).

- لا الناهية + فعل مضارع + فاعل (ضمير متصل) + مفعول به (ضمير متصل).

- لا الناهية + فعل مضارع ناقص + خبر الناسخ واسمه المتأخر.

يقول الإبراهيمي مخاطبا تلميذه الشاعر محمد العيد آل خليفة عندما ألمّت به حالة نفسية رهيبة جعلته مكتئبا حزينا منطويا على نفسه: "...فلا تيأس، يابني، ولا تكذب إمامك الذي يقول: خلق الشاعر سمحا طربا." (4)

(1) أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ص: 67.

(2) سورة الأعراف، الآية: 56.

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى الزاهري، البصائر، العدد: 61.

(4) الإبراهيمي: رسالة بين عالم وشاعر، مجلة الشهاب، ج3، ص: 135.

ففي هذا الخطاب يرشد الإمام الإبراهيمي تلميذه الشاعر الفحل محمد العيد آل خليفة ويدعوه بأسلوب الأب العطوف (يا بني) إلى عدم الركون إلى اليأس والاستسلام له، كما يلتمس منه ألا يكذبها فيما يقول.

وفي موضع آخر ينصح السادة المعلمين، قائلا: "إنكم \_ يا أبنائي \_ رجال حركة؛ فلا تشينوها بالسكون، وأبطال معركة؛ فلا يكن منكم إلى الهوينا ركون."<sup>(1)</sup>

وهو نصح أداته النهي (لا) مع الفعل المضارع (تشينوها)، أنتم معشر المعلمين رجال (حركة) تربية علمية، والتي تتطلب النشاط والحيوية، فلا ينبغي لكم أن (تشينوها)، والمعنى: لا تسينوا إليها بالحط منها والمس بها، أو تعيبوها وتشوهوها أو تلتطخوا سمعتها وتدنسوها<sup>(2)</sup>. كما يحذّره وبيناهم (فلا يكن) أن يركنوا إلى الهوينا (المشي بتؤدة ورفق)، حتى وإن كان مشي الهوينا إيجابيًا، إلا أن الإبراهيمي - هنا - يلمح إلى المشي الكسول والمتناقل في حث الخطي.

2-3 الصورة الثالثة: - لا الناهية + فعل مضارع + فاعل (ضمير متصل) + جار ومجرور.

- لا الناهية + فعل مضارع + فاعل (ضمير متصل) + مفعول به + جار ومجرور.

يقول: "الشخصيات - وما أدراكم مالشخصيات - التي ما دخلت في أمر إلا أفسدتها؛ فلا تنتزلوا لدركاتها ولا تغمسوا أقلامكم في حماتها."<sup>(3)</sup>

وهو نهي الغرض منه التحذير من فيروس الشخصيات المفسدة حتى لا (ينتزل) الناس إلى دركاتنا الأسنة، وألا (ينغمسوا) بأقلامهم في طينها بخدمتهم والدود عنهم وتبييض سوءاتهم؛ فينالهم ما ينالهم.

وعند تحذيره من المتحاملين على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وجريدتها (البصائر) قال الإبراهيمي مخاطبًا كتابها: "...فلا تتشاغلوا بهم ولا تضيعوا أوقاتكم في الرد عليهم، إلا أن يكون في الرد عليهم درء لضرر محقق."<sup>(4)</sup>

وفي رسالته إلى الطلبة المهاجرين في سبيل العلم نجد نهيا منكرًا في الصفحة إذ يقول: "لا تقنعوا بالكتاب المقرر... لا تقطعوا الفاضل من أوقاتكم في ذرع الأزقة إلا بمقدار ما تستعيدون به النشاط البدني؛ ولا في الجلوس في المقاهي إلا بقدر ما تدفعون به الملل والركود، ولا في قراءة الجرائد إلا بقدر ما تطلعون به على الحوادث الكبرى، وتصلون به مجاري التاريخ... لا تعتمدوا على حفظ المتون وحدها، بل احفظوا كل ما يقوي مادتك اللغوية، وينمي ثروتكم الفكرية ويغذي ملكتكم البيانية والقرآن القرآن!..."<sup>(5)</sup>

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى أبنائي المعلمين الأحرار، آثار الإمام، ج3، ص: 265/ البصائر، العدد: 94.

(2) معجم الغني، مادة: (ش ا ن).

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى كتاب البصائر، آثار الإمام، ج 1، ص: 210/ البصائر، العدد: 2.

(4) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 210.

(5) الإبراهيمي: رسالة إلى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل العلم، البصائر، العدد: 9.

وفي هذين النصين يعمد الإبراهيمي إلى الإرشاد والنصح. حيث وجّه كلامه للكُتّاب بعدم الانشغال بأعداء البصائر (فلا تتشاغلوا) بهم وألا (تضيّعوا) أوقاتهم في الرد عليهم لأنهم لا يستحقّون ذلك. وفي رسالته إلى الطلبة المهاجرين التي يوجّه فيها، ويقدم فيها النصح والإرشاد تفرد الإبراهيمي في نهيه، حيث أتى بنهيين (لا تقنعوا، لا تقطعوا) بأداة التّهي والفعل المضارع، ثم عطف على ذلك بنهيين آخرين، الأوّل بالأداة فقط (ولا معطوفاً، ليعود بعدها إلى التّهي بالأداة والفعل المضارع معاً) لا تعتمدوا).

### 3- الاستفهام:

الاستفهام لغة: الفهم معرفتك الشّيء بالقلب، فهمه فهما وفهّمًا، وفهمت الشّيء، عقلته وعرفته ونفهم الكلام: فهمه شيئاً بعد شيء، واستفهمه: سأله أن يفهمه.<sup>(1)</sup>

الاستفهام اصطلاحاً: الاستفهام أحد أساليب نظم الجملة، وهو من المعاني العامّة، ويدخل في دائرة الفهم لأنّه طلب الفهم.<sup>(2)</sup>

والاستفهام أسلوب لغويّ، أساسه طلب الفهم؛ والفهم صورة ذهنيّة تتعلّق بالمفرد أو النسبة، أو بحكم من الأحكام، سواء أكانت النسبة قائمة على يقين أو ظنّ أو على شكّ.<sup>(3)</sup> وهو نوعان:

- 1 - الاستفهام الحقيقي: هو طلب معرفة شيء مجهول، ويحتاج إلى جواب.
- 2 - الاستفهام البلاغي: لا يتطلّب جواباً و إنّما يحمل من المشاعر أغراضاً بلاغيّة عديدة منها:
  - أ - النفي: إذا حلّت أداة النفي محلّ أداة الاستفهام و صحّ المعنى. مثل: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.<sup>(4)</sup>
  - ب - التّقرير و التّأكيد: إذا كان الاستفهام منفيّاً. مثل: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾<sup>(5)</sup>، ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾.<sup>(6)</sup>

- ج - الإنكار: إذا كان الاستفهام عن شيء لا يصحّ أن يكون ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾.<sup>(7)</sup>
- د - التّمني: إذا قدرت مكان أداة الاستفهام أداة التّمني ليت، واستقام المعنى. مثل: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءٍ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾.<sup>(1)</sup>

(1) ابن منظر: لسان العرب، مادة (ف ه م)، م12، ص: 459.

(2) سناء حميد البياتي، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، ص: 38.

(3) مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الراشد العربي، بيروت، ط2، 1986م، ص: 264.

(4) سورة الزمر، من الآية: 9.

(5) سورة الانشراح، الآية: 1.

(6) سورة الأعراف، من الآية: 172.

(7) سورة البقرة، الآية: 44.

هـ - التَشْوِيق والإِعْرَاء: إذا كان الكلام فيه ما يغري و يثير الانتباه. مثل: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾. (2)

وتتكوّن الجملة الاستفهامية من (أداة الاستفهام، المستفهم، المستفهم منه، المستفهم عنه).  
ففي رسائل الإبراهيمي نجد توظيفاً للاستفهام بمختلف الصيغ والأدوات لتحقيق دلالات معينة وأغراض بلاغية، وقد استفهم بعدة أدوات، منها: ( الهمزة، ما، أين، هل، مَنْ، كَمْ، لماذا، كيف، لِمَ، متى... ) وسنحاول رصد بعضها في شكل أنماط:

### 3-1 النمط الأول: تركيب استفهامي يعتمد على الأداة " أي "

في رسالته التي يخاطب فيها القبر الذي وارى جسد صاحبه العلامة عبد الحميد بن باديس يستفهمه عن أشياء استنارته، فيقول: " يا قبر! أيدري من خطك، وقارب شطك: أي بحر ستضم حافتك؟ وأي معدن ستزن كفتاك؟ وأي ضرغام غاب ستحتل كفتاك؟ وأي شيخ كشيخك، وأي فتى كفتاك؟ فويح الحافرين ماذا أودعوا فيك حين أودعوا؟! (... ) إنهم لا يدرون أنهم أودعوا بناء أجيال في حفرة، وودعوا عامر أعمال بقرة، وشيعوا خدن أسفار، وطلبة استنفار، إلى آخر سفرة!" (3)

وقد استفهم بالأداة (أي) وهي أداة يطلب بها تمييز أحد المتشاركين في أمر يعمهما، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَثَلَى عَلَيْهِمْ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلَيْسَ الَّذِي آمَنُوا أَيْ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ (4) ويسأل بها عن الزمان والمكان والحال والعدد، والعامل وغير العامل على حسب ما تضاف إليه.

وهو استفهام ينبئ عن تعظيم الإبراهيمي لصاحبه ابن باديس، وحيرته من الحقارين (حفاري القبور) الذين شقوا قبره الضيق، ووضعوه فيه، وهم يجهلون حقيقة الرجل العملاق، لا يعلمون أنهم واروا بحرا أجابا، ومعدنا إبريزا، وأسدا هزبرا، وشيخا عالما، وفتى نبيها، وبناء أجيال ماهرا.

### 3-2 النمط الثاني: تركيب استفهامي يعتمد على الأداة " أين "

يقول الإبراهيمي: " وما لهذه الحكومة لا تذكر المحافظة على الصحة إلا في سياق الحديث على مدارسنا، وأين هي من هذه الألوفا المؤلفة التي تنام على الأرصفة في زمهرير الشتاء؟ أين هي من هذه العوالم من الأحياء الذين يسكنون القبور؟ أين هي من هذه المناظر المخزية... في قلب العاصمة وفي أرباضها؟... فمن أين نلتمس العدل فيها؟ أم من فرنسا؟" (5)

(1) سورة الأعراف، الآية: 53.

(2) سورة الصف، من الآية: 10.

(3) محمد البشير الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، البصائر، العدد: 76.

(4) سورة مريم، الآية: 73.

(5) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه، البصائر، العدد: 120.

وفي أرجوزته التي أرسلها مع رسالته إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني، كرر الاستفهام في كل بيت وبخاصة بأداة (أين). نذكر منها ثلاث أبيات: (\*)

أَيْنَ - يَا أُخْتُ - الْحَسَامُ الْمُتَنَصَّى \*\*\* لِصُرُوفِ الدَّهْرِ فِي الْيَوْمِ الْعَصِيبِ؟

أَيْنَ - يَا أُخْتُ - الْإِمَامُ الْمُزْتَضَى \*\*\* ذُو الْبَيَانِ الْحُرِّ وَالرَّأْيِ الْمُصِيبِ؟

أَيْنَ مَنْ أَنْ أَمَحَلَ الْفِكْرَ مَضَى \*\*\* يَدْحَضُ الْمُحَالَ بِالْفِكْرِ الْخَصِيبِ؟

ففي النص الأول ذكر الإبراهيمي أداة (أين) أربع مرّات ليدلّل على بُعد مكانة الحكومة الفرنسيّة وبُعد اهتمامها ولا مبالاتها عمّا يعانیه الشعب الجزائريّ في مجال الصّحة وهي المتسبّبة في تشريدهم واتّخاذهم القبور مسكنا لهم حتّى في قلب العاصمة، ثمّ يستبعد الإبراهيمي التّماسّ العدل من الحكومة الفرنسيّة.

وفي النصّ الثّاني (الأبيات) أكثر الإبراهيمي من توظيف أداة الاستفهام (أين)، وهي أداة يطلب بها تعيين المكان، نحو: "أين تذهب؟" لكنّ الظّاهر هنا أنّ المؤلّف لا يستفهم عن مكان صاحبه ابن باديس بعد وفاته، فهو على علم به يقينا؛ وإنّما هو يستفهم عن المكانة التي احتلّها الرّجل علّمًا وفكرًا، لغةً وبيانًا إمامة وقيادة.

### 3-3- النّمط الثّالث: تركيب استفهاميّ يعتمد على أداة " الهمزة "

في رسالته إلى (الرّاهريّ الطّريقيّ)، الذي نذر نفسه لمحاربة جمعيّة العلماء وعلمائها ومبادئها ومواقفها الثّابتة، يخاطبه مستفهما: "أأنت مدير أم مُدار؟ أأنت المكتري أم صاحب الدّار؟...أأنت عبد مأمور، كما يقول بعض النّاس؟ أم أنت عامل مأجور، كما يقول آخرون؟!"<sup>(1)</sup>

فيه تهكّم وسخرية من شخصيّة الرّاهريّ. تعكس حالة التّعجب من هستيريا الاضطراب التي يتخبّط فيها، وازدواجيّة الشّخصيّة عنده، فلا تتبيّن حقيقة أمره، أهو مدير لما يقوم به؟، أم هو مُدار من أسياده؟ أهو المستأجر؟ أم هو صاحب الدّار؟ أهو الأمر لما يصدر؟ أم هو المأمور؟! ثمّ يواصل الإبراهيمي تهكّمه من الاستعمار وسيّاسته الكاذبة، حيث يقول: "وحسب الاستعمار (ديمقراطيّة) أن يحاكم معلّمي العربيّة والإسلام، ويسجنهم على التّعليم كما يحاكم المجرمين ويسجنهم على الإجرام، في محكمة واحدة، وسجن واحد، وظرف واحد، وقد يكون يوم جمعة في الغالب. أليس هذا احتراما للإسلام؟، ومن مصلحته كما يقول العاصميّ؟ أليس هذه هي الديمقراطيّة؟ فمالكم تكذبون؟!"<sup>(2)</sup>

فيه تهكّم على سيّاسة السّاسة الفرنسيّين، وازدواجيّة المعايير عنده، يحاكم المعلّمين ويدخلهم غياهب السّجون، وربما كان ذلك يوم الجمعة، ولا يخفى ما في ذلك من دلالة معيّنّة (أليس هذا احتراما

(\*) ينظر: أبيات هذه القصيدة الأرجوزة في الملحق من هذا البحث، ص: 309.

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الرّاهريّ، البصائر، العدد: 61.

(2) الإبراهيمي: عادت لعترها لميس، آثار الإمام، ج3، ص: 345/ البصائر، العدد: 64.

للإسلام...؟) ( أليس هذه هي الديمقراطية؟). فهي محاكمة تتأقى عنها الاحترام للإسلام وتتأفت عنها الديمقراطية التي يتعتون بها.

ثم يخاطب (الزاهري) ويوجه له سهاماً حادة على ما اقترفته يداه في حق دينه، وفي حق شعبه يسأله حيناً، ويأمره حيناً آخر: " أتذكر يوم ضاقت بك الحيل فعرضت همتك وذمتك وقلمك في الحق مزاد العلني؛ فكنا أزهق المشتريين فيك؟ كن شريفاً ولو لحظة من عمرك، واعترف بهذه الحقيقة. ألم ننصحك نصيحة لو أحيأ الله أبويك لما نصحك بمثلها؟ ولكنها ضاقت كما تضيع المنة عند غير شاكر. ألم نقتصر الفرصة حين خاطبناك في صندوق الحروف الذي تملكه لنطبع به " البصائر" بالبيع أو بالكراء...؟(1)

فيه إقرار بما أتاحته الجمعية ووضعت بين يدي الزاهري، ولكنه ضيع الفرص، وفيه توبيخ ضمني - بعيداً عن النهك - عندما جاء يعرض خدماته أمام الجمعية فرفضتها، ونبذته كما ينبذ النوى من الفم كما فيه تذكير بالتصائح التي تكرمت الجمعية بإسائها له، لكنه رماها وراء ظهره وضرب بها عرض الحائط.

ومرة أخرى يجمع الإبراهيمي ما بين الدعاء والاستفهام مخاطباً الزاهري: " ويحك - يا شيخ - وويح أسيادك. أكل هذا الجهد الذي تبذلونه في حرب جمعية العلماء معدود عندكم من خدمة الوطن؟ أكل هذا الاسم الواسع الذي انتحلتموه لجريدتكم لم يتسع إلا للتحرش بجمعية العلماء والتعريض بها وبرجالها؟ فيه تعجب وإنكار على صنيع هذا الدعي فيما يقدم عليه من تحرش بالجمعية ورجالها. وأخيراً، نجد الإبراهيمي يخاطب في رسالته السادة المعلمين بقوله: " وإن أدري أقرب أم بعيد ما أوعد الله الظالمين، ولكنني أدري أن العاقبة للمتقين، وأنا لا نغلب العوائق، ولا ننقي البوائق إلا بإيماننا بالله، ثم بديننا، ثم بلغتنا، ثم بأنفسنا، ثم بالحق الذي جعله الله ميزاناً للكون، وقيوماً على الكائنات، ترجع إليه صاغرة، ونقف عنده داخرة."(2)

وهو استفهام أداته (الهمزة) أقرب؟ تدل على نفي علمه بموعد وعيد الله للظالمين المتعطرسين. كما أن سياق الجملة من بدايتها نفي النفي. إذ يقرر العلماء أن عبارة (وإن) هنا بمعنى (ما) النافية، و" إن " نافية. أي: فإن عرضوا عن دعوتك يا محمد، فقل لهم: لقد أعلمتكم جميعاً بما أمرني الله بتبليغه إليكم، وإني بعد هذا التبليغ والتحذير ما أدري وما أعرف، أقرب أم بعيد ما توعدون به من العذاب، أو من غلبة المسلمين عليكم، أو من قيام الساعة. فإن علم ذلك وغيره إلى الله - تعالى - وحده، وما أنا إلا مبلغ عنه."(3)

(1) الإبراهيمي: إلى الزاهري، آثار الإمام، ج3، ص: 562.

(2) الإبراهيمي: إلى أبنائنا المعلمين الأحرار، آثار الإمام، ج3، ص: 263/ البصائر، العدد: 94.

(3) محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط، تفسير سورة الأنبياء، المجلد 6، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة - القاهرة - ط1، 1998م.

وهي جملة فيها تناصّ مع الآية الكريمة ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلْنَا آدَٰثَكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أُذِرْتُمْ بِأَمْرِ رَبِّكُمْ أَمْ يَبْعِدُ مَا تُوْعَدُونَ﴾ (1) قال ابن كثير في تفسيره: "يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ لِنَبِيِّهِ: قُلْ وَمَا أُذِرِي مَتَى الْوَقْتُ الَّذِي يَجَلُّ بِكُمْ عِقَابَ اللَّهِ الَّذِي وَعَدَكُمْ، فَيُنْتَقِمُ بِهِ مِنْكُمْ، أَقْرَبُ نُزُولُهُ بِكُمْ أَمْ يَبْعِدُ...؟" (2)

### 3-4 النمط الرابع: تركيب استفهامي يعتمد على الأداة "ما".

وفي رسالته إلى الشيخ أبي بكر الأغواطي التي بعث بها من منفاه بمدينة آفلو يتساءل الإبراهيمي كثيرا، حيث يقول: "وما هذه الدّلة تشربها النفوس؟ ما هذا الرّعب الذي زلزل الأفتدة؟ ما هذا الجبن الذي ضرب على المشاعر الحساسة من هذه الأمة؟ ما هذا الخور المستحکم في المنهج؟ أم أنتم لا تبصرون؟" (3)

وهي استفهامات مبدوءة بالأداة "ما" والتي يطلب بها شرح الاسم أو حقيقة المسمّى. وقد أوردها الإبراهيمي - هنا - للتعبير عن مدى تعجبه من حال الجزائريين يومها أمام المستعمرين الفرنسيين، من اتصافهم بالذّلة، والرّعب، والجبن، والخور؟!

### 3-5 النمط الخامس: تركيب استفهامي يعتمد على الأداة "متى"

يقول الإبراهيمي مخاطبا السّادة المعلّمين: "أي أبنائي! إنّ هذا القلب الذي أحمله يحمل من الشّفقة عليكم، والرّحمة بكم، والاهتمام بشؤونكم ما تَنَبَّتُ منه الحبال، وتنوء بحمله الجبال، وهو يرثي لحاكم من الغربية، وإلحاح الأزمات ويودّ - بقطع وتينه - لو أزيحت علكم، ورقع بالسّداد خللكم، ولكتكم جنود، ومتى طمع الجنديّ في رفهيّة العيش؟ ومتى عاش الأسد على التّدليل؟ وهو يشعر أنّ التّدليل تذليل." (4)

وفي هذا الاستفهام نفي عن الجنديّ الطّمع في العيش الرّفه، ونفي عن الأسد عيشه على الدّلال والتّدليل، وهي دعوة ضمنية إلى الإخشيشان والتّحمّل والتّأقلم مع الأوضاع الرّاهنة، خاصّة وهم في ديار الغربية من أجل التّكوين.

### 3-6 النمط السادس: تركيب استفهامي يعتمد على الأداة "كيف"

في رسالته الجميلة إلى شاعر الشّباب يومها (محمد العيد آل خليفة) يستفهمه، بعد أن ألمت به حالة من الكآبة واليأس والحزن الشّديد: "وكيف يبأس الشّاعر وهو ملك مملكة الآمال، وسلطان جوّ الخيال؟... فكيف تياأس نفس الشّاعر لولا ذلك الشّدوذ؟" (5) حيث استفهم بالأداة "كيف"، التي يطلب بها

(1) سورة الأنبياء، الآية: 109.

(2) ابن كثير: (تفسير ابن كثير)، ج3، سورة الأنبياء، دار الحديث، القاهرة، (دط)، 2003، ص: 1931.

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى أبي بكر الأغواطي.

(4) الإبراهيمي: رسالة إلى أبنائنا المعلّمين الأحرار، آثار الإمام، ج3، ص: 265.

(5) الإبراهيمي: رسالة بين عالم وشاعر، مجلة الشهاب، ج3، ص: 135.

تعيين الحال، نحو: "كيف جئت؟" وهو هنا يبدي تعجبه من لبوس الشاعر لباس اليأس وهو "ملك مملكة الآمال"، وهو سلطان الخيال بلا منازع.

### 3-7 النمط السابع: تركيب استفهامي يعتمد على الأداة "هل".

وفي رسالته (تحية غائب كالآيب) نقرأ خطابه وهو يحيي الجزائر من بلاد غربة لم يفصح عنها: "هل يخطر ببالك من لم تغيبي قط عن باله؟ وهل طاف بك طائف السلو، وشغلك مانع الجمع، وموجب الخلو، عن مشغول بهواك، عن سواك؟"<sup>(1)</sup>

وقال فيها أيضا: "خَطَّتْ الأقدارُ في صحيفتي أن أفتح عَيْنِي عَلَيْكَ وَأَنْتِ مُوثِقَةٌ، فَهَلْ خَطَّتْ الأقدارُ أنْ أُغْمِضَ عَيْنِي فِيكَ وَأَنْتِ مُطْفِقَةٌ. وَكُتِبَتْ الأقدارُ عَلَيَّ أنْ لَا أملكُ من تُرْبَتِكَ شبرا، فَهَلْ تَكْتُبُ لي أنْ أَحوزَ في ثراكِ قبرا؟". في هاتين الفقرتين تكررت أداة الاستفهام (هل) أربع مرات. ففي قوله "فهل تكتب" جاءت الأداة هل قبل الفعل المضارع مما يوحي بصرف الفعل المضارع في المستقبل.

وهذه الجملة هي أكثر ما يحز في النفس من حزن وألم يعتصر القلب على رجل عظيم في حجم العلامة محمد البشير الإبراهيمي، لا يملك مسكنا في وطن نأفح عنه بكل ما يستطيع، ولا يحوز على قطعة أرض، ولو صغيرة، في تراب الجزائر الشاسع الفسيح، لقد كان كل همّه بثّ العلم وتربية الأجيال وبناء المدارس والترويج لثورة الجزائر، والتأليف والإبداع... حتى إذا تنبّه في خريف عمره لم يجد ما يأويه، فهو لا يريد شيئا من هذه الحياة، ولا يريد جزاء ولا شكورا حيال ما قدمه، ولا يريد مكافأة على جهاده الدؤوب طوال ستة عقود، كل ما يتمناه أن تستقلّ الجزائر وتصبح حرّة طليقة، وأن يحوز قبرا في أرض الجزائر، نعم، قبرا فقط!؟

### 3-8 النمط الثامن: تركيب استفهامي يعتمد على الأداة "متى + علام؟"

يقول: "إلى متى تتناحر الأحزاب على الانتخاب، وقد رأوا بأعينهم ما رأوا؟ وعلام تصطرع الجماعات؟ وعلام تتفق الأموال في الدعايات والاجتماعات إذا كانت الحكومة خصما في القضية لا حكما؟ وكانت تعتمد في خصومتها على القوة وهي في يدها، وكانت ضامنة لنفسها الفوز في الخصومة قبل أن تتشب."<sup>(2)</sup>

والأداة "متى" يطلب بها تعيين الزمان ماضيا كان أو مستقبلا، نحو: "متى جئت؟" و"متى تذهب؟". وعلام: [كلمة وظيفية]: أداة استفهام مركبة من حرف الجرّ (على) و(ما) الاستفهامية، وقد حذف ألفها لدخول حرف الجرّ عليها.<sup>(3)</sup>

(1) الإبراهيمي: تحية غائب كالآيب، البصائر، العدد: 229.

(2) الإبراهيمي: رسالة عادت لعترها لميس، البصائر، العدد: 64.

(3) معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (علام).

وفيه إنكار على تكالب الأحزاب على الانتخابات في ظلّ الاستعمار، وتعجّب من تبذير الأموال فيها من غير طائل، إنهم يركضون خيلهم في باطل.

**4- النداء:** عند التحوّين: "النداء طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو. وأدوات النداء ثمان: (الهمزة وأي، ويا، وآ، وأي، وأي، وأي، وهيا، ووا).<sup>(1)</sup>

وهو أيضا: "تنبية المنادى، وحمله على الالتفات، ويعبر عن هذا المعنى أدوات استعملت لهذا الغرض وهي: (يا، أي، هيا، أي، الهمزة)."<sup>(2)</sup>

وقد تكرر النداء كثيرا في رسائل محمّد البشر الإبراهيمي، وتعدّد المنادى عنده بحسب الموضوع، بين العاقل أحيانا، والجماد أحيانا أخرى، ومن هذه النداءات:

نداءه القبر الذي احتوى صديقه عبد الحميد بن باديس: "يا قبر، ما أقدر الله أن يطوي علما ملأ الدنيا في شبر، يا قبر، ما عهدنا قبلك رمسا وارى شمسا...يا قبر، أتدري من حويت؟ وعلى أيّ الجواهر احتويت؟ إنك احتويت على أمة في رمة، وعلى عالم في واحد."<sup>(3)</sup>

وفي هذا النداء المتكرر (ياقبر) تحسر وتوجّع وتأسّف من الإبراهيمي على تغييب القبر وضمه صاحبه ابن باديس: العلم الأكبر، الشمس المنير، الجوهر المكنون، إنه أمة في أمة. فتغييبه خسارة كبرى للبلاد والعباد في ظرف أحوج ما يكون لجهوده وجهاده.

ويقول: "واحسرتاه! رحم الله الراحل العزيز، جزاء ما بث من علم وزرع من خير، وثقف من نفوس، والله ذلك اللسان الجريء، وذلك الجنان المشع، وذلك الرأي الملهم، وأنا لفقدك يا عبد الحميد لمحزونون."<sup>(4)</sup>

هذا نداء فيه ندبة وإبداء حسرة وحزن على رحيل عبد الحميد بن باديس، حسرة على موته ورحيله،

وهو في عنفوان العطاء، ولم تكتمل أهدافه المسطرة بمعيرة إخوانه العلماء، وحسرة لأنّ كرسيه لن يملأه

غيره "يا ساكن الضريح، متّ فمات اللسان القوال، والعزم الصّوال، والفكر الجوال."<sup>(5)</sup>

وفي رسالته للوطن الغالي (الجزائر) "تحية غائب كالآيب" يخاطبه كأنه أمّ: "ولا منة لي يا أمّ عليك وإنما هي حقوق أوجبتها شرائع البرّ، قام بها الكرام، وخاس بعهدتها اللثام."<sup>(6)</sup>

إنّ روح الحنوّ والاشتياق وإبداء الإخلاص والطاعة لهذه الأمّ المكبلة واضحة من خلال هذا النداء الملائكيّ المشتاق (يا أمّ).

(1) علي الجارم و مصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ص: 211.

(2) مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص: 301.

(3) الإبراهيمي: رسالة مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، آثار الإمام، ج2، ص: 57. والبصائر، العدد: 76.

(4) الإبراهيمي: رسالة إلى أحمد توفيق المدني، آثار الإمام، ج2، ص: 37.

(5) الإبراهيمي: رسالة مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، المرجع نفسه، ص: 58.

(6) الإبراهيمي: تحية غائب كالآيب، البصائر، العدد: 229.

وفي رسالته إلى تلميذه (أحمد توفيق المدني) أيضا يخاطبه مخاطبة الوالد الرحيم لابنه البار المطيع: "يا بني، إنَّ ممَّا آسف عليه أسفا لا ينقضي، ضياع هذا العلم من بيننا، علم أنساب العرب وأيام العرب، وأمثال العرب." (1)

وهو نداء يعكس العاطفة الجياشة بين الأستاذ العالم وتلميذه النجيب، يبدي من خلاله التأسف والحسرة على ضياع علوم من تراثنا، كانت هي معيار التبحر في العلم (علم أنساب العرب، وأيام العرب وأمثال العرب)، وقد ضاعت في زمانه، ولم يعد أحد يلقي لها بالاً. أمَّا في زماننا هذا فحدث ولا حرج! وفي رسالة إلى تلميذه الشاعر الكبير (محمد العيد آل خليفة)، خاطبه بهذا الخطاب الأبوي الراقي بعد أن تعرّض لأزمة نفسية حادة: "إلى ولدي الروحي الأستاذ محمد العيد... ولدي..". (2)

وهو نداء ينطوي على التودد والرّحمة والحبّ (ولدي) هكذا دون أداة ليشعره بالدنوّ والحنوّ وحبج المسافات ورفع التكلّف، خاصّة والشاعر الرقيق يمرّ بمرحلة يحتاج فيها لمن يربت على كتفه. ويقول: "أي أبنائي! إنَّ هذا القلب الذي أحمله يحمل من الشفقة عليكم، والرّحمة بكم، والاهتمام بشؤونكم ما تنبّت منه الحبال، وتنوء بحمله الجبال، وهو يرثي لحالك من الغربية، وإلحاح الأزمات ويودّ - بقطع وتينه - لو أزيحت عنكم، ورقع بالسداد خللكم، ولكنكم جنود، ومتى طمع الجندي في رفهية العيش... وأسود، ومتى عاش الأسد على التدايل؟ وهو يشعر أنّ التدايل تذلّل." (3)

وظف الإبراهيمي هنا أداة النداء (أي) وهي: "كلمة وظيفية": حرف نداء للقريب بمعنى: يا (أي بني). وهي قليلة الاستعمال كتابياً وشفوياً، يخاطب الإبراهيمي من خلالها أبناءه المعلمين في بلاد الغربية وهم يطلبون العلم، ويظهر لهم الشفقة والرّحمة بهم، والاهتمام بشؤونهم، مشفقا عليهم حالهم المزريّ متمنياً لهم الفرج.

وفي رسالته إلى الشيخ (محمد بن إبراهيم آل الشيخ): "أيها الأخ الجليل، إنَّ الثورة الجزائرية تعدكم كهفها الأحمى، وإنَّ موقفاً منكم في سبيلها كالممدد في وقت الحاجة إليه، فهلاً صيحة منكم تحرك النفوس الجامدة إلى البذل في سبيل الله، و تهزّ الهمم الخاملة فتتبارى في سوق بضاعتها شرف الدنيا وعزّ الآخرة، وقيامتها مال زائل وحال حائل." (4)

في هذه الجملة أسلوب نداء راق "أيها الأخ الجليل" وهو يخاطب مفتي الحرمين الشريفين الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بما يستحقّه من احترام وإجلال، يحثّه على ضرورة بذل الجهد في تحريك النفوس للبذل في سبيل الله؛ لنصرة إخوانهم في الجزائر، وهزّ الهمم للتنافس.

(1) الإبراهيمي: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، ص: 337.

(2) الإبراهيمي: رسالة: بين عالم وشاعر، مجلة الشهاب، ج3، ص: 135.

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى أبنائنا المعلمين الأحرار، آثار الإمام، ج3، ص: 265.

(4) الإبراهيمي: رسالة إلى مفتي السعودية سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، آثار الإمام، ج5، ص: 221-223.

وفي رسالة أخرى مخاطبا الأستاذ عبد الله كنون يقول: "أيها الأخ! أنا مريض منذ فارقتموني، ولولا أن استقلال الجزائر أعشني، ومست روعي منه ما يشبه الكهرباء، لما كانت فيّ قوّة على إملاء كلمة وكتابة حرف." (1)

وفي هذا النداء الأخويّ الجميل (أيها الأخ) إبراز لحالة الضعف والإعياء التي نالت من الشيخ الإبراهيمي عشية استقلال الجزائر. كأنما الأخ يكتب لأخيه كتابا، عسى أن يجد في ذلك بعض السلوان للتخفيف من معاناته.

4- التمني: هو ما يتمنى الرّجل، والمنوة الأمنية، والتّمني، تشهّي حصول الأمر المرغوب فيه، وحديث النفس بما يكون، وما لا يكون، وتمنيت الشيء. أي: قدرته وأحببت أن يصير إليّ. (2)

قال قيس بن ذريح الليثي الكناني والملقب بمجنون لبني (625م - 680م) (\*):

أَلَا لَيْتَ لُبْنَى فِي خَلَاءِ تَزُورُنِي \*\*\* فَأَشْكُو إِلَيْهَا لَوْعَتِي ثُمَّ تَرْجِعُ (3)

وفي تعريف مبسط، التمني هو: "طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله، إما لكونه مستحيلا، وإما لكونه ممكنا، غير مطموع في نيله." (4)

واللفظ الموضوع للتمني، ليت، وقد يتمنى بـ "هل، ولو، ولعل" لغرض بلاغي. وإذا كان الأمر المحبوب ممّا يرجى حصوله كان طلبه ترجيا، ويعبر فيه بـ "لعلّ أو عسى"، وقد تستعمل فيه ليت لغرض بلاغي. (5)

وقد وظّف الإبراهيمي في رسائله أسلوب التمني، ولكن بصورة قليلة جدا. منها قوله: "ليت شعري إلى متى تتناحر الأحزاب على الانتخاب، وقد رأوا بأعينهم ما رأوا؟" (6) و"تأتي "ليت شعري" بمعنى: ليتني أعلم وتستعمل في التعجب. (7) وفي هذه الجملة تعجب من تناحر الأحزاب على الانتخابات، وأي انتخابات تحت قبة الاستعمار الفرنسي!

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ عبد الله كنون، آثار الإمام، ج 5، ص: 296.

(2) ابن منظور: لسان العرب، المجلد 15، ص: 294.

(\*) مجنون لبني واسمه قيس بن ذريح الليثي الكناني (625 - 680) هو شاعر غزل عربي، من المتيمين، من أهل الحجاز. لم يكن قيس مجنونا وإنما لقب بذلك لهيامه في حب لبني التي نشأ معها وعشقا وتزوجها ثم طلقها لكونها لا تد فهم على وجهه بنشد الأشعار ويأنس بالوحوش ويتغنى بحبه العذري، وتزوجت بعده فلما مرت فترة من الزمن ساءت حاله وهام مجدداً بعد أن رآها فخيرها زوجها بين أن تبقى معه أو أن يطلقها لترجع إلى قيس فاخترت الطلاق والرجوع إلى قيس بن ذريح غير أنها بعد الطلاق ماتت فمات على إثرها قيس بن ذريح. وهو أحد القيسيين الشاعرين المتيمين والآخر هو قيس بن الملوح "مجنون ليلي". (ينظر، مجنون لبني، الموسوعة العربية (http://ar.wikipedia.org) في : 7 فبراير 2017م.

(3) قيس بن ذريح: ديوان قيس بن ذريح، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، (ط2)، سنة 1425هـ - 2004م.

(4) علي الجارم و مصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ص: 207.

(5) علي الجارم و مصطفى أمين: المرجع نفسه، ص: 237.

(6) الإبراهيمي: عيون البصائر، ص: 382-383.

(7) أحمد العايدي وآخرون: المعجم العربي الأساسي (القاموس العربي)، لاروس، تونس، يونيو 1988م، ص: 10-11.

## ثانياً/ الأساليب الإنشائية غير الطلبيّة:

1 - القَسْم: "هو الحَلْف بالله، أو بغيره تأكيداً للكلام، وحثاً على تصديق المنكلم." (1)

والإبراهيمي وجدناه يُقسم كثيراً في رسائله، بطرق متنوّعة، يغلب عليها الصيغ القديمة التي عرفها الناس في التّراث من أمثلة: (والله، لعمرى، أيّم الله، إيّ والله...) ويمكن الإشارة إلى ذلك من خلال الصيغ التالية:

## 1-1 الصّيغة الأولى: القَسْم باسم الجلالة "والله"

يقول الإبراهيمي متحدّثاً عن الجزائر وجمعيّة العلماء: "فما عددت ذلك إلّا من سعادة الجزائر وجمعيّة العلماء، ووالله ما أنسانيهما تبدّل المناظر، وتتوّع الأشخاص، ولا لفتني عنهما تعاقب المحاسن على بصري، وتوارد معانيها على بصيرتي، بل كانتا دائماً شغل خواطري، ونجوى سرائري." (2)

وفي خطابه للزّاهري يقول: "إننا إن أخذنا بمذهب الفقهاء عاملناك بما قالوه في المتسبّب في الجريمة والمباشر لها. وإن أخذنا بمذهب الأدباء، عاملناك بما تُسلمه معنا، وهو أنّ قائل الشرّ هو الشّاعر الإنسي، لا ربيّة الجنّي. ولا والله لا نبرح هذه المرّة حتّى نهدم الصّومعة على رأس الزّاهب. فإنّ بيت الله - في جلاله - لا يجير عاصياً ولا فارّاً بخربة، وما كانت صومعتكم بيت الله، ولا كان راهبكم أبا عزّة في قومه... ولا والله لا نبرح هذه المرّة حتّى نهدم الصّومعة على رأس الزّاهب." (3)

والله: أداة القسم (حرف الواو) والمقسم به (الله) والمقسم عليه الجملة (ما أنسانيهما تبدّل المناظر، وتتوّع الأشخاص) // (لا نبرح هذه المرّة حتّى نهدم الصّومعة على رأس الزّاهب).

وهو أكثر أساليب القسم استخداماً في كلام النّاس، مصداقاً للحديث النبويّ الذي رواه ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النّبّي - صلّى الله عليه وسلّم - قال: "إنّ الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله. أو ليصمت." (4)

وقد اختار الإبراهيمي هذا النّوع من القسم لعظم الموضوع، فهو أمر جدّ وليس بالهزل، وهو صادق فيه قولاً وفعلاً.

## 1-2 الصّيغة الثانية: القَسْم بصيغة "أيّم الله"

يقول الإبراهيمي: "وأيم الله لقد تلفتت بعدك الأعناق واشربّت، وماجت الجموع واتلأبت، تبحث عن إمام لصفوف الأمة، يملأ الفراغ ويسدّ الثُّلمة(\*)، فما عادت إلّا بالخيبة، وصفر العيبة." (1)

(1) إميل بديع يعقوب: موسوعة النحو والصرف والإعراب، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1986، ص: 419 .

(2) الإبراهيمي: تحية غائب كالآيب، البصائر، العدد: 229.

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى الزّاهري، آثار الإمام، ج3، ص: 559.

(4) متفق عليه، رقم الحديث: 1707، الإمام النووي: رياض الصالحين، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1،

1992م.

وهذه الصيغة (أيم الله) كلمة قسم، وينعقد اليمين بهذه الصيغة، وهمزته همزة وصل تستعمل للقسم وأصلها: أَيْمُنُ اللهُ، وإيم الله - بكسر الهمزة - لكن حذفت منها التّون. وجاء في اللسان أيمُ الله، وربما حذفوا منه الياء فقالوا: "أم الله" وربما ابقوا الميم وحدها مضمومة قالوا: "مُ اللهُ".<sup>(2)</sup>

ويرى ابن منظور أيضا: في أَيْمُنُ اللهُ أَنَّ الألف وصلٌ عند أكثر التّحويين، ولم يجئ في الأسماء ألف وصل مفتوحة غيرها. وتدخّل عليه اللّام لتأكيد الابتداء. تقول: لِيَمِينِ اللهُ. فتذهب الألف في الوصل وهو مرفوع بالابتداء، وخبره محذوف. والتقدير: "ليمن الله قسمي".<sup>(3)</sup>

**1-3 الصيغة الثالثة: القسم بصيغة "إي والله".**

في رسالته: "دمعة على المنصف" يقسم بهذه الصيغة: "إي والله"، حيث يقول: "لو مات المنصف في الجزائر لمات في وطنه، وبين أهله، وفي أمة وفيّة متعطّشة للعزّ والسيادة..."<sup>(4)</sup>

فالقسم الذي اختاره الإبراهيمي في حديثه عن الزعيم التونسي محمد المنصف باي استخدم (إي والله)، و معنى جملة: إي والله، أي: بالتأكيد، نعم، وهي لا تقع إلا قبل القسم المحذوف فعله في نفيه أو إيجابه. كأنّ الإبراهيمي يؤكّد أنّ الجزائر تنسج للوطنيين من أمثاله، فلو مات عندنا فهو بين أهله وإخوانه يكرّم كما يكرّم الحيّ وأكثر.

#### 1-4 الصيغة الرابعة: القسم بصيغة: "والذي..."

ثمّ وجدناه يأتي بقسم على شاكلة القرآن الكريم، إذ يُقسم بالله الذي خلق المخلوقات والنباتات وأبدع عالم الكائنات: "إني شببت عن طوق هذه الأحناش، وما كان ذلك العتاب إلا عنواناً على غفلتي في ذلك الوقت - على الأقل - ثمّ فاء عليّ عازب عقلي وضائع فكري، ووضعت الضبّ أمامي، وتأمّلت خلقته مرّات في أيام، فوالذي خلق الضبّ والدّب، وأنبت النّجم والأبّ، فخلق النّوى والحبّ، لقد أذكرني ضبكم بما كنت أحفظه عمّا قيل في الضبّ وعلى لسانه، وما ضرب من الأمثال المتعلقة به، ما لو خلعت عليه أيام الصّبا جدداً، ونفضت عليه ماء الشّباب مداداً ومدداً، لم أكن لأذكره".<sup>(5)</sup>

فالواو هنا واو القسم، والمقسم به (الله) المقدر في الاسم الموصول (الذي)، أي: والله الذي خلق الضبّ والدّب، والتقدير أيضا: والله الذي أنبت النّجم والأبّ، ليأتي جواب القسم لاحقاً.

**1-5 الصيغة الخامسة: القسم بصيغة "لعمري".**

(\* التلمة: الموضع الذي قد انتلم. والجمع: تلم (معجم الوسيط) - الشقّ، الشرخ. سدّ تلمة: نُغرة، فراغا (معجم الغني).

(1) الإبراهيمي: مناجاة المبتورة لدواعي الضرورة، البصائر، العدد: 76.

(2) ابن منظور: لسان العرب، مادة (يمن)، 362/13.

(3) ابن منظور: لسان العرب، مادة (أي م ن)، 105/13.

(4) الإبراهيمي: دمعة على المنصف، آثار الإمام، ج3، ص: 556.

(5) الإبراهيمي: رسالة الضبّ، آثار الإمام، ج2، ص: 40.

يقول: "... ومنه ومن أمثاله خذل المتأدبون بكتب النحو الذين قعدت بهم همّتهم عن التأدب بلغة العرب من شعرهم وخطبهم، ولم يحصل واحد منهم ملكة صحيحة في هذه اللغة ولا ذوقاً صحيحاً في أدبها، والواجب في الأمثال أن تكون جملاً حكيمة ذات معان مستقيمة وألفاظ قوينة حتى يحصل الحافظ لها فائدتين: الحكم اللفظي والمعنى الذي يترك أثراً في النفس، ومن مجموع هذه الأمثلة يتكوّن الأدب والأديب. وقد نعى ابن خلدون في زمنه هذا الذي نعيناه، وانتقد من مزاولي النحو ما انتقدناه - وهو لعمرى - نقد صريح ما عليه غبار"<sup>(1)</sup>

ويقول أيضاً مخاطباً المعلمين: "وأوصيكم بالرّفق والأناة في أموركم كلّها، وبخفض الجناح للنّاس كلّهم، وبتقاء مواطن الشّبّه، واجتناب مصارع الفضيلة، وما أكثرها في وطنكم هذا، وبإجرار الألسنة عن مراتع الغيبة والنّميمة، وفطمها عن مراضع اللّغو و اللّجاج؛ فهي - لعمرى - مفتاح باب الشّر وثقاب نار العداوة والبغضاء."<sup>(2)</sup>

فعبارة (لعمرى) صيغة قسم قديمة، عرفها الجاهليّون، ونطق بها العرب بعد مجيء الإسلام وما يزال بعض الشعراء في عصرنا هذا يدبّجونها في أشعارهم. فاللام حرف قسم مبني على الفتح لا محلّ له من الإعراب. وعمر مبتدأ مرفوع، والياء مضاف إليه مجرور، والخبر محذوف تقديره: قسمي أو يميني.<sup>(3)</sup> وهذا النوع من القسم نقرأه في استخدام الشعراء القدامى، نذكر من ذلك:

الشاعر الجاهليّ امرؤ القيس<sup>(4)</sup> يقول:

لَعْمَرِكَ مَا قَلْبِي إِلَى أَهْلِهِ بَحْرٌ \* \* \* وَلَا مُقْصِرٌ يَوْمًا فَيَأْتِيَنِي بِقُرِّ

وهذا معاوية بن أبي سفيان يقول:

لَعْمَرِي، لَقَدْ عَمَرْتُ فِي الدَّهْرِ بُرْهَةً \* \* \* وَدَانَتْ لِي الدُّنْيَا بِوَقْعِ البَوَاتِرِ

وهذا الفرزدق<sup>(5)</sup> (العصر الأموي) يقول:

لَعْمَرِي لئن قَلَّ الحَصَى فِي بُيُوتِكُمْ \* \* \* بَنِي نَهْشَلٍ مَا لُوْمُكُمْ بِقَلِيلِ

وقد أقسم الإبراهيميّ بهذه الصيغة تأسياً بهؤلاء العرب الأفحاح. ففي التصين السابقين كأنّ لسان حاله يقول: عمري قسمي أنّ القراء لم يستفيدوا من كتب النحو وكتب الأمثال، ولم يتأدّبوا بأدبها، وهو أمر قديم، انتقده ابن خلدون في زمانه وكذلك فعلنا نحن.

(1) الإبراهيمي: رسالة الضب، آثار الإمام، ج2، ص:46.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى أبنائنا المعلمين الأحرار، آثار الإمام، ج3، ص: 265.

(3) إميل بديع يعقوب: موسوعة النحو والصرف والإعراب، ص: 467 .

(4) امرؤ القيس: ديوان امرؤ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1984م.

(5) الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة أبو فراس: ديوان الفرزدق، شرح وضبط وتقديم: علي قاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987.

وكان لسان حاله يقول أيضا: إن ما جزم به الأوائل، جزمت به، وأن اللغو واللجاج مفتاح الشر.

### 1-6 الصيغة السادسة: القسم بصيغة: وحياتك أو وأبيك.

يقول الإبراهيمي مخاطبا تلميذه الأستاذ أحمد بن أبي زيد قصيبة في مدينة الأعواط: "أما أنا وحياتك - كما يقول الزاهري - فإنني ما رأيت أصلح لمعدتي من الجمع بين السمك واللبن، والفضل لهذه الطبيعة التي لا تقلد في السفاسف." (1)

ويقول أيضا: "إنها، وأبيك، لنزوة الشعر تعتلج في الفؤاد بنزعة النقي." (2)

وهي صيغة يفهمها الناس على أنها قسم بالحياة وبالأب، من باب الحلف بغير الله، والصواب أنها صيغ تفيدهم التقرير والتأكيد، لما صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه وظف هذه الصيغ في أكثر من مناسبة. فقد ورد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرا؟ فقال - صلى الله عليه وآله وسلم -: "أما وأبيك لتنبأته؛ أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء..." (3)

وعن طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه - في حديث الرجل النجدي الذي سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإسلام، وفي آخره: فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: "أفلح وأبيه إن صدق"، أو "دخل الجنة وأبيه إن صدق." (4)

وقال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري": قال البيضاوي: "هذا اللفظ من جملة ما يرد في الكلام لمجرد التقرير والتأكيد، ولا يرد به القسم، كما تراء صيغة النداء لمجرد الاختصاص دون القصد إلى النداء." (5)

وقال الإمام النووي في "شرح صحيح مسلم": قوله - صلى الله عليه وآله وسلم - "أفلح وأبيه إن صدق" هذا مما جرت عادتهم أن يسألوا عن الجواب عنه مع قوله - صلى الله عليه وآله وسلم -: "من كان خالفا فليخلف بالله." (6)

### 1-7 الصيغة السابعة: القسم بصيغة: المصدر النائب.

(1) الإبراهيمي: رسالة الضب، المرجع السابق، ج2، ص: 46.

(2) الإبراهيمي: رسالة بين عالم و شاعر، مجلة الشهاب، ج3، ص: 135.

(3) أخرجه البخاري (1419) واللفظ له، ومسلم (1032).

(4) أخرجه مسلم في صحيحه (ج2، ) حديث رقم (93) في كتاب الزكاة، ص: 716.

(5) الحافظ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان والنذور، تح: عبد الله بن باز، ج13، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ، طبعة 2019 ص:307.

(6) يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، كتاب الإيمان، باب2، الحديث9، ط7، 2017، ص:

يقول محمد البشير الإبراهيمي موجّها خطابه للجزائر: " فإذا قالوا: "الجزائر الخالدات" رجعنا فيك إلى توحيد الصّفة وقتلنا: "الجزائر الخالدة"، وليس بمستنكر أن تُجمَع الجزائر كلّها في واحدة... ويمينا لو تبرّجت لي المواطن في حُلّها، وتطامنت لي الجبال بِقُلّها، لتفتّني عنك لما رأيت لك عديلا، ولا اتّخذت بك بديلا." (1)

فيمينا: نائب مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره ( أقسم )، أو أقسم يمينا. وهو أسلوب اختاره الإبراهيمي لينوع في قسّمه على طريقة القدامى، عندما يكون الأمر جدّيا وذا قيمة.

2-2 المدح: وهو نادر جدّا في رسائل الإبراهيمي، ومما وجدناه في مدح صاحبه ابن باديس وهو يتحدّث عن حسن تعامله مع الأمة قوله: "... فكنت لها نِعْمَ الرَّاحِم وكنت بها البرّ الرَّحِيم." (2)

وأسلوب المدح يستخدم استحسانا لأمر يستحقّ المدح والتّناء. وعكسه الذّم. وقد وظّفه الإبراهيمي لتحقيق مدح صاحبه عبد الحميد بن باديس (الرّاحم) مستشفعا بالفعل (نِعْم)، وهو: فعل جامد مبني على الفتح لإنشاء المدح، ليس له مضارع، ولا أمر، ولا يشتقّ منه، وعكسه الذّم وفعله ( بئس ).

### 2-3 التّعجب:

يقول الإبراهيمي مخاطبا كُتّاب البصائر: " وما أكثر المفاجآت في أطوار التّمهيد والتّأسيس وما أكثر ماتلد تلك المفاجآت من أشياء تسمّى خروجا عن الموضوع، وما هي إلّا من باب ما لا يتّم الواجب إلّا به...!!!!" (3)

ويقول أيضا: "... وما أكثر باعة المغرب العربيّ فيهم" (4)

وفي رسالته إلى الأستاذ (عبد الله كنون) (\*) التي أرسلها من القاهرة في: 9-8-1962، وردّا على رسالته التي تحمل التّهنئة باستقلال الجزائر: " وهي (التّهنئة) مضاعفة بكونها باسم رابطة العلماء، وما أعزّ هذا الاسم عليّ، وما أكثر غرامي به وافئتاني!" (5)

وفيها أيضا نقرأ هذا الخبر: " وصلّتي رسالتكم البرّة الكريمة في التّهنئة بأعجوبة الزّمن ومعجزة الدّهر: استقلال الجزائر، وما أدراكم ما استقلال الجزائر!" (6)

ويقول مخاطبا السّادة المعلّمين: " وأوصيكم بالرفق والأناة في أموركم كلّها، وبخفض الجناح للنّاس كلّهم، وباتّقاء مواطن الشّبه، واجتناب مصارع الفضيلة، وما أكثرها في وطنكم هذا، وبإجرام

(1) الإبراهيمي: تحية غائب كالآيب، البصائر، العدد: 229.

(2) الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، البصائر، العدد: 76.

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى كُتّاب البصائر، آثار الإمام، ج1، ص: 208.

(4) الإبراهيمي: رسالة إلى الزّاهريّ، البصائر، العدد: 61.

(\*) عبد الله كنون، ولد في: 16-9-1908، وتوفي في: 9 يوليو 1989م. فقيه وكاتب ومؤرخ وشاعر وأكاديمي وصحافي مغربي، وأمين عام سابق لرابطة علماء المغرب وأحد الكبار في إرساء قواعد النهضة الأدبية والثقافية والعلمية في المغرب، منذ منتصف العشرينيات. إلى وفاته. (ينظر، موقع مكتبة النور (https://www.noor-book.com).

(5) الإبراهيمي: رسالته إلى الأستاذ عبد الله كنون، آثار الإمام، ج5، ص: 296.

(6) الإبراهيمي: إلى الأستاذ عبد الله كنون، المرجع نفسه، ج5، ص: 296.

الألسنة عن مراتع الغيبة والنميمة، وفطمها عن مراضع اللغو واللجاج؛ فهي - لعمرى - مفتاح باب الشر، وثقاب نار العداوة والبغضاء." (1)

وقد وظّف الإبراهيمي أسلوب التّعجب بصيغة (ما أفعل!) (وما أكثر المفاجآت!... وما أكثر ماتلد تلك المفاجآت!)، (وما أكثر باعة المغرب العربي!)، (وما أعزّ هذا الاسم عليّ، وما أكثر غرامي به وافتتاني!)، (وما أدراكم ما استقلال الجزائر!)، (وما أكثرها في وطنكم هذا!). في كلّ هذه النصوص المتضمنة أساليب تعجبية تحمل في مضمونها التعبير عن الدهشة من مجموعة صفات توضع على هذه الصيغة.

وهي صيغة تعجبية اختارها الإبراهيمي من بين صيغتين للتّعجب، ف (ما) نكرة تامّة بمعنى شيء عظيم، و (أفعل) فعل ماض جامد مبني على الفتح لإنشاء التّعجب. بينما لا نجد توظيفا واحدا للصيغة الثانية لتحقيق التّعجب (أفعل به!).

ففي النّص الأوّل يعبر عن دهشته من المفاجآت في أطوار التّمهيد والتأسيس، وما تلدّه من خروج عن الموضوع.

وفي النّص الثّاني يعبر عن احتقاره لكثرة باعة المغرب العربي في سوق البدعة والطريقة يتخذونها سبيلا للزعامة.

وفي النّص الثّالث يعبر عن اعتزازه باسم رابطة العلماء المغربية به وعظم غرامه وافتتانه به.

وفي النّص الرابع يعبر عن كبير تعظيمه وإكباره لاستقلال الجزائر.

وفي النّص الخامس يعبر عن دهشته من كثرة مصارع الفضيلة، وينصح المعلمين باجتنابها.

2-4 الرجاء: هو طلب أمر محبوب ممكن حصوله مرغوب فيه، واللفظ الموضوع للترجي (لعل) نحو: قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (2)

وقال الشاعر المتنبي:

لَعَلَّ عَتَبِكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ \*\*\* فَرِيْمًا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعَلَلِ (3)

ويحصل الترجي أيضا بأفعال الرجاء (عسى، حرى، اخلوق). قال الله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي مِنْ جَمِيْعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (4)

يقول الإبراهيمي مخاطبا (الزاهري): "إنّ أسياذك - يا شيخ - بارعون في استغلال المواهب والكفاءات، ولو كنت من أصحاب المبادئ الثابتة لما صحبوك ساعة من نهار. ولكنهم يستغلّون - إلى حين - اختصاصك في السب والكذب والبهت، وتستغلّ أنت - إلى حين - جندهم المسخر لبيع المغرب

(1) الإبراهيمي: إلى أبنائنا المعلمين الأحرار، البصائر، العدد: 94.

(2) سورة آل عمران، الآية: 200.

(3) الواحدي: شرح ديوان المتنبي، تح: ياسين الأيوبي - قصي الحسين، دار الراشد العربي، بيروت، لبنان، دط، 2018، ص: 248.

(4) سورة يوسف، الآية: 83.

العربي" (وما أكثر باعة المغرب العربي فيهم)، ولعلك أعجبك منهم أنهم قوم محظوظون في الزعامة فطمعت أن تصبح زعيما بالمجاورة أو التوهم، كما قالوا في "جر ضبّ خرب" وفاتك أن شروط الزعامة عندهم أربعة، وأنت لا تملك منها إلا واحدة.<sup>(1)</sup>

ويقول الإبراهيمي في نهاية رسالة الضب بعد أن قدم اعتذارا للقراء عن القصور الذي قد يجده فيها: "وعسى أن تكون هذه الرسالة تذكرة بالحال الذي كتبت فيه، والبلدة التي صدرت عنها، والزمان الذي أنشئت فيه."<sup>(2)</sup>

وقد كتب لتلميذه الشاعر (محمد العيد آل خليفة): "قرأت زفرتك هذه الساعة في الشهاب وأنا طريح الفراش، أعالج زكاما مستعصيا، ونزلة شعبية، وسعالا مزمنا وأولادا يطلبون القوت أربع مرات في اليوم وتلاميذ يطلبون الدرس سبع مرات في اليوم والليلة فقلت: وهذه أخرى. إن ولدنا هذا لذو حق. وكتبت لك هذه الكلمات، كما يكتب الأب الشفيق إلى ولده الرقيق. وعسى أن يكون فيها ترويح لخاطرك."<sup>(3)</sup>

فقد وظّف الإبراهيمي في النصّ الأوّل كلمة (لعلك). يترجى من خلالها تعبيراً عن حال الزاهريّ المزهوّ إعجاباً بأصحاب المناصب والزعامات؛ فطمع أن يحظى بشيء من حظهم، وهيبات! ولعل كما يعرفها التحويون: حرف مشبّه بالفعل يفيد الترجي.

بينما وظّف الإبراهيمي في النصّين السابقين أسلوب الرجاء من خلال الفعل الجامد (عسى). وهي كلمة رجاء، جامد، ملحق بأفعال المقاربة. يقال: عسى أن أكون كذا. كما قال الشاعر هدبة ابن الخشرم (جاهلي):<sup>(\*)</sup>

عسى الهمّ الذي أمسيت فيه \*\*\* يكون وراءه فرج قريب<sup>(4)</sup>  
فيأمن خائف ويغاث عان \*\*\* ويأتي أهله النائي الغريب

ويجوز حذف (أن) للضرورة، والأفصح ألا تحذف لقول الله تعالى ﴿وَعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾<sup>(5)</sup>

وعسى فعل ماض جامد من أخوات كاد، يكون للترجي في الأمر المحبوب، ويكون للإشفاق في الأمر المكروه. والإبراهيمي في النصّين يترجى خيراً. ففي الأوّل يترجى ويتوقّع أن تكون رسالته تذكرة

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الزاهري، البصائر، العدد: 61.

(2) الإبراهيمي: رسالة الضب، آثار الإمام، ج2، ص: 52.

(3) الإبراهيمي: بين عالم وشاعر، مجلة الشهاب، ج3، ص: 135.

(\*) هدبة بن الخشرم بن كرز بن أبي حية من بني عامر بن ثعلبة، (ت. نحو 50 هـ / 670)، شاعر عربي؛ كثير الأمثال في شعره، فصيح مرتجل، راوية، من أهل بادية الحجاز (بين تبوك والمدينة) وكنيته أبو عمير، وقد كان راوية الحطيئة. وهو صاحب البيتين المشهورين:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه \*\*\* يكون وراءه فرج قريب

فيأمن خائف ويفكّ عان \*\*\* ويأتي أهله النائي الغريب

- ينظر، هدبة بن الخشرم، الموسوعة العربية (ويكيبيديا العربية) (https://ar.wikipedia.org).

(4) هدبة بن الخشرم: ديوان هدبة بن الخشرم، تح: يحي الجبوري، الناشر، دار القلم، الكويت، ط2، سنة النشر: 1986م.

(5) سورة البقرة، الآية: 216.

بالظرف الذي كتبت فيه (وعسى أن تكون هذه الرسالة تذكرة بالحال)؛ وفي النص الثاني يترجى أن تكون رسالته للشاعر اليناس آل خليفة فيها ترويح له عن الحالة التي ألمت به (وعسى أن يكون فيها ترويح لخطرك).

**وخلص القول:** مما تقدم يتبين أن الأساليب الإنشائية في رسائل محمد البشير الإبراهيمي لا ترمي - فقط - إلى المعاني اللغوية الظاهرة؛ وإنما يقصد من خلال توظيفها إلى التماس الدلالات العميقة والإيجاعات البعيدة والأغراض الجوهرية التي كانت في وعي المؤلف حال استشعار الحدث ومن ثم تحويله إلى رسائل رائعة الإبداع. وقد لاحظنا مدى التنوع في استخدام الإنشاء وخاصة الطلب منه الذي تردّد بين الاستفهام والأمر والنهي والنداء والترجي والتمني، وقد جاءت متفاوتة في الرسائل، من حيث عددها وأغراضها البلاغية، ودلالاتها التي أوحى بها الإبراهيمي.

### 3-3 التقديم والتأخير في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

يعتبر التقديم والتأخير من الفنون الدالة على قدرة الأديب اللغوية، ومهارته الإبداعية وتحكمه في زمام المفردات والألفاظ العربية بما يحقق المتعة والولوج إلى قلب المتلقي لما فيه من انزياح عن المألوف ومخالفة للسياق المعتاد. فالتقديم والتأخير يدخل خلا في بناء الجملة سواء على مستوى المفردة أو على مستوى الجملة، مما يجبر المتلقي على الانخراط في عملية بناء النص، و المساهمة في لبس تفكير المبدع بعد أن أحدث هذا الأخير تأثيرا ما في تفكيره. فما هو التقديم والتأخير؟

فقد وصفه الدكتور فاضل صالح السامرائي وصفا جميلا فقال: "إن فنّ التقديم والتأخير فنّ رفيع يعرفه أهل البصر بالتعبير والذين أوتوا حظًا من معرفة مواقع الكلام، وليس ادعاء يدعى أو كلمة تقال." (1)

ولعلّ أبرز المظاهر اللغوية التي لها القدرة في إعادة تركيب اللغة من مستواها العادي إلى المستوى الفني مبحث التقديم والتأخير، لما له من مكانة مرموقة في الدرس البلاغي. وهو ما يسميه النقاد "الانزياح التركيبي".

وقديما ذكر الخليل بن احمد الفراهيدي (ت 175هـ) في معجم العين: "القدمة والقدم: أي السابقة في الأمر، ومنه قوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (2) أي: سبق لهم عند الله خير..

(1) السامرائي فاضل صالح: التعبير القرآني، دار ابن كثير، دمشق و بيروت، ط3، 2018، ص: 65.

(2) سورة يونس، الآية: 2.

وقدم فلان قومه: أي: يكون أمامهم، والفُؤم: المضي، أي: يمضي فُؤماً ولا ينثني، ورجل فُؤم: مقتحم للأشياء، يتقدّم ويمضي في الحرب فُؤماً. (1)

والتقديم والتأخير بوصفه أحد مباحث علم المعاني فهو: "يعنى ببناء الجملة ودلالاتها داخل النص ولا سيما أنه يقوم على إعادة ترتيب مكونات الجملة، فيقدم ما حقه التأخير (...) و يؤخر ما حقه التقديم ولا يتم ذلك إلا لتحقيق أغراض بلاغية وأسلوبية قد يحول البناء الأصلي أو العرفي دون تحقيقها." (2)

والتقديم والتأخير في اللغة العربية صور متعدّدة ومختلفة ومتنوّعة منها:

الصورة 1: تقديم الجار والمجرور على الفاعل.

الصورة 2: تقديم الفاعل على الفعل.

الصورة 3: الفصل بين الفعل والفاعل بشبه جملة.

الصورة 4: تقديم الخبر على المبتدأ.

الصورة 5: تقديم المفعول به على الفعل والفاعل.

الصورة 6: تقديم المفعول به على الفاعل: فنقديم المفعول به على الفاعل لزمه الاختصاص وتسليط النظر إليه، ولفت انتباه المتلقي، وإثارته، والوقوف على طبيعة ترتيب الجملة. وهكذا بقية الصور الأخرى.

يُعدّ التقديم والتأخير متغيّراً أسلوبياً في اللغة لأنه عدولٌ عن القاعدة العامّة، وذلك بتحويل الألفاظ عن مواقعها الأصلية لغرض يتطلّبه المقام، إذ يكون هذا العدول بمثابة منبه فني يعمد إليه المبدع ليخلق صورة فنية متميّزة. (3)

فالتقديم: "هو تبادل في المواقع، تترك الكلمة مكانها في المقدّمة لتحلّ محلّها كلمة أخرى لتؤدّي غرضاً بلاغياً، ما كانت لتؤدّي لو أنّها بقيت في مكانها الذي حكمت به قاعدة الانضباط اللغوي." (4)

فعندما نسمع مصطلح "التقديم و التأخير" نعرف أنّنا بصدد الحديث عن ترتيب عناصر الجملة العربية. والجملة العربية إمّا فعلية وإمّا اسمية، فإذا كانت فعلية فترتيب عناصرها واضح، و الفعل هو المقدم في الترتيب على الأصل. أمّا إذا كانت اسمية واستوى طرفا التركيب، و كانا مُعرّفين معاً، فقد اختلف في أيهما يمكن أن تصدر به الجملة، وأيهما تجعله خبراً، فأما النحويون فلم يتعرّضوا للتّحديد، بل تركوا

(1) ينظر، الفراهيدي الخليل بن أحمد، العين، ج 5، ص: 122.

(2) مختار عطية: التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، (ط1)، (2005)، ص: 11.

(3) محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ص: 200.

(4) منير سلطان: بلاغة الكلمة والجملة والجمال، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط1، 1988، ص: 138.

للمتکّم الخيار، وأجازوا أن يكون كلّ منهما هو المبتدأ والثاني هو الخبر، ويعربون المقدم مبتدأ والمؤخر خبراً، " لكنّ البلاغيين بحثوا الأمر بحثاً فكرياً منطقيّاً دقيقاً، ناظرين إلى حال المخاطب، وما هو الأعراف لديه من ركني الإسناد اللذين هما من المعارف." (1)

#### - فائدة التّقديم و التّأخير:

للتّقديم و التّأخير فوائد جمّة تعبّر عن مدى سعي العربيّة إلى تحصيل جمال التّعبير و الصّيابة قبل كلّ شيء، ولو كان ذلك على حساب التّرتيب الذي وضعه العرب الأوّلون لتراكيبهم. يقول عبد القاهر الجرجانيّ - رحمه الله - متحدّثاً عن فائدته: " هذا باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التّصرّف بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقك و لطف عندك، أن قدّم فيه شيء و حول اللفظ من مكان إلى مكان." (2)

" فأحداث تغيير في بنية التّركيب يأتي لتحقيق غرض جديد يتعلّق بالبنية الداخليّة المرتبطة بالمعنى في ذهن المتكّم، فأبى تحوّل في مباني التّراكيب يحدث تغييراً في المعنى." (3)

وقد تحدّث غيره عن قيمة هذه الظّاهرة في اللّغة العربيّة، بل وصفها بأنّها: " مظهر من مظاهر شجاعة العربيّة؛ ففيها إقدام على مخالفة لقرينة من قرائن المعنى من غير خشية لبس، اعتماداً على قرائن أخرى، ووصولاً بالعبارة إلى دلالات، وفوائد تجعلها عبارة راقية ذات رونق و جمال." (4)

يحشد الشيخ الإبراهيمي من خلال رسائله، كثيراً من أساليب التّقديم والتّأخير، وقد ورد في رسائله على صور متعدّدة وبصيغ مختلفة. وسنحاول دراسة بعضها. فالشيخ محمّد البشير الإبراهيمي بما أوتي من تحكّم في ناصيّة اللّغة العربيّة ونحوها وصرفها وبلاغتها وعروضها حقيق بأن تجري اللّغة طيّعة بين يديه كما على لسانه. فقد كتب رسائله وضمّنها التّقديم والتّأخير لبلوغ الجمال اللّغويّ والسّحر البيانيّ.

(1) عبد الكريم الدخيسي: التّقديم والتّأخير في بلاغة العرب: أسبابه ومواضعه، شبكة صوت العربيّة (voiceofarabic.net)، الأربعاء، 04-07-2010

23:00 - في: 2010

(2) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 73 .

(3) خليل أحمد عامية: نحو اللّغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، عالم المعرفة للنشر، (ط1)، 1984، ص: 187.

(4) صالح الشّاعر عبد العظيم: حركة النحو والدلالة في النصّ الشعري، مصر: دار الحكمة، (ط1)، 2013م، ص: 145.

فالتقديم والتأخير: " هو أحد أساليب اللغة العربية، وهو دلالة على التمكن من الفصاحة، وحسن التصرف في الكلام، ووضعه في الموضع الذي يقتضيه المعنى." (1) وهذه بعض الجمل التي احتوت شيئاً من ذلك.

ففي رسالته إلى الأستاذ (إبراهيم الكتاني) نقراً: " وإن الطائفة من الناس لتتشارك في خلال حتى لا يكون خطأ أن تشير إليها بهذا مكان هؤلاء..." (2)

فقد قدم خبر الناسخ يكون (خطأ) على اسمه الذي وظّفه في شكل مصدر مؤول (أن تشير). دلالة على الاختصاص بعدم الإشارة بالخطأ إلى كل طائفة دينية بما يفعله هؤلاء في تلميح واضح إلى الطريقة الضالة من أصحاب الزرد والخرافات والبدع.

وفي الرسالة نفسها نقراً: " فقد قرأنا في تاريخ أدب هذه اللغة أن (أبان بن عبد الحميد) (\*) أرجوزة في الحكم والأمثال بلغت آلاف الأبيات..." (3)

فقد قدم خبر الناسخ (أن) الذي ورد في شكل شبه جملة (لأبان)، على اسمها أرجوزة. وفي هذا التقديم للخبر (لأبان) الوارد شبه جملة دلالة على الاهتمام و التنبية إلى أبان ابن عبد الحميد الذي كان مثار الفخر والاعتزاز به كشاعر فحل، كتب آلاف الأبيات في الحكم والأمثال.

وفي الرسالة نفسها أيضاً نجد هذه الجملة: " ليس لهم في موقف الحق ثبات". فقد قدم خبر ليس ( لهم ) وأخر اسمها (ثبات) للدلالة على اختصاص الإساءة لأولئك المتذبذبين في المواقف، فلا يكادون يثبتون على حال. كما أحر المبتدأ ( اسم ليس) للتنبية على أن الثبات على الموقف هو آخر اهتمام هؤلاء. أما في رسالته الرائعة (عادت لِعِثْرِهَا لِمَيْسُ) نجد التقديم والتأخير في بعض جملها انطلاقاً من العنوان، فقد جاء بالفعل (عادت) وأخر الفاعل ( لِمَيْسُ) وقدم عليه شبه الجملة من الجار والمجرور (لِعِثْرِهَا) أي: عادت لها فقد قدم العثر للدلالة على الحنين الذي يختلج نفسها إلى عاداتها في الرذيلة والعهر، فلا تقدر على فراقها، أما تأخير (لِمَيْسُ) دلّ على المكانة المنحطة التي آلت إليها، فقد سقطت من أعين الناس، ولم تعد تحظى بأيّ

(1) يوسف أبو العدوس: البلاغة والأسلوبية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان/ بيروت، (ط1)، 1999، ص: 71.

(2) الإبراهيمي: إلى إبراهيم الكتاني، آثار الإمام، ج2، ص: 149.

(\*) أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي اللاحقي (815 هـ)؛ شاعر مكث من البصرة نسب إلى جده، (عفير) وهو من الموالي. انتقل إلى بغداد، واتصل بالبرامكة، ومدحهم، وخص بالفضل بن يحيى فقلده ديوان الشعر، ونظم لهم "كليلة ودمنة" شعراً في 1400 بيت، واتصل بالرشيد، فكان من شعرائه. كما نظم من الكتب السندباد وسيرة أردشير وسيرة أنوشروان ومزدك وبلوهر وبوداشف وكتاب الصيام والزكاة (أسماء الفهرست في الصيام والاعتكاف) نظم ملحمه أسماها (ذات الحلل) وتنسب خطأ إلى أبي العتاهية. ألف كتاب حكم الهند ومجموعه رسائل، وكتبه كلها مفقوده. تضم أسرته كثيرين من الشعراء المقلين. (ينظر، كتاب معجم الشعراء العرب، جمع من موقع الموسوعة الشعرية، المكتبة الشاملة الحديثة ( <https://al-maktaba.org> )

(3) الإبراهيمي: إلى إبراهيم الكتاني، المرجع السابق، ص: 149.

احترام يذكر لدى العام والخاص. وقد اختار الإبراهيمي هذا المثل للتبنيه إلى سياسة الإدارة الفرنسية التي تعدّ الجزائريين بعود معينة، ثم ما تلبث أن تعود إلى منهجها في التحايل على الأهالي والكذب عليهم. ويقول الإبراهيمي: "أما الخطوة الأولى التي تخطوها الحكومة في حركتها الجديدة المدارس..."<sup>(1)</sup>

فقد قدّم المفعول به الذي صاغه في شكل ضمير (ها) في (تخطوها)، وأخر الفاعل (الحكومة). كما نجد تقديمًا وتأخيرًا في قوله: "إنّ للاستعمار رأيًا أصيلا في القضية..."

ففي الجملة الأولى أحرّ الإبراهيمي الفاعل (الحكومة) في إشارة إلى الحكومة الفرنسية المفقوتة التي تتقدّم بمشاريع للجزائريين، ظاهرها فيه الرّحمة، وباطنها من قبيل الكيد والمكيدة لأفراد الشعب المظلوم لغرض اختصاص ذكرها واحتقارها وتسفيه خطواتها.

وليس بعيدا عن هذه الفكرة حيث قدّم في الجملة الأخرى خبر (إنّ) الذي صاغه في شكل شبه جملة من الجارّ والمجرور (للاستعمار)، وأحرّ اسم النّاسخ (رأيًا). ليدلّ على اختصاص الاستعمار بالرأي، ظاهره الأصالة، وباطنه الهراء، لا يحمل خيرا للجزائريين؛ لذلك أحرّ المؤلف ليفيد بعدم جدواه والضرب به عرض الحائط.

أما في رسالته البديعة "حدثونا عن العدل فإننا نسيناه" نجد جملا من التّقديم والتّأخير منها قوله: "كيف لا تنسى العدل أمةً لبثت في ظلمات الظلم أحقابا؟"<sup>(2)</sup>

فقد جاء بالفعل (تنسى) المتعدّي إلى مفعول به، الذي قدّمه الكاتب (العدل)، وأحرّ الفاعل (أمةً). لقد خاطب الإبراهيمي الفرنسيين كلّهم، لإثارة انتباههم إلى ضرورة تحقيق العدل في حياة الجزائريين لأنّهم - فعلا - نسوه من قاموسهم كأمة جزائرية أكثر من غيرها بعد قرن ونيّف من الظلم والقهر؛ لذلك قام الإبراهيمي بتقديم (العدل) عن (الأمة) بعد أن بدأ السّياق بالفعل (تنسى) منفيًا.

والشأن ذاته في الجملة الأخرى: "كيف تذكره بعد أن محت آيته آية السيف". حيث قدّم المفعول به (آيته) وأحرّ الفاعل (آية السيف).

وللإشارة فإنّه لم ترد كلمة السيف ولو مرة واحدة في القرآن. ومع ذلك، فإنّ هناك آية يطلق عليها العلماء "آية السيف" ويقولون أنّها تحدّد العلاقة بين المسلمين والمشركين. هذه الآية هي الآية الخامسة من سورة التوبة، ونصّها ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا

(1) الإبراهيمي: عادت لعترها لميس، البصائر، العدد: 64 .

(2) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه-1، البصائر، العدد: 119، وآثار الإمام، ج3، ص: 366.

لَهُمْ كُلُّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ والآية واضحة تشير إلى الوثنيين العرب الذين انتهكوا معاهدات السلام عن طريق شنّ الحرب ضدّ المسلمين.

وهذه الآية الكريمة هي آية السيّف التي قال فيها الضّحّاك بن مزاحم: "إنّها نسخت كلّ عهد بين النّبّي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وبين أحد من المشركين، وكلّ عهد، وكلّ مدّة." (\*)

ويقول أيضا: "وأنّ هذه المجالس النّيابيّة خليفة أن تراقب الحكومة والحكام، وأن تناقش، وأن تحاسب، وأن تحامي عن مصالح الأمة وحقوقها، كدأبها في كلّ بلد نيابيّ، وقد يغبطنا جيراننا الأقربون عن هذه الحياة الشّوريّة التي حرّمهم الاستعمار منها...؟" (2)

ففي هذه الفقرة وردت ثلاث حالات للتّقديم والتّأخير، حيث قدّم الإبراهيميّ المفعول به (الضمير/نا) وأخر الفاعل (جيراننا) عن الفعل (يغبط)، وقد دلّ على اختصاص الأمة الجزائريّة بغبطة الجيران (وليس الحسد) عمّا تتمتع به من ممارسة الشّورى رغم أنف الاستعمار الذي أخره عن فعله (حرّم)، وقدّم المفعول به (الضمير/هم). للدّلالة على تحميلة، هو، دون سواه مسؤوليّة حرمانهم (جيراننا) من حقّهم في الحياة الشّوريّة.

ويقول في قصيدته (تساؤل نفس): "أين الحسام المنتضى (\*)؟... أين الإمام المرتضى؟... أين هلال الدّاجية (\*\*)?... أين إمام النّاجية؟... أين حامي الدّين؟... أين حواري الجلال؟... أين الرّئيس؟" (3)

ففي هذه الجمل قدّم الإبراهيميّ في تأبينيّته لصاحبه ابن باديس الخبر (أين)، وأخر المبتدأ المعبر عن الصّاحب (الحسام، الإمام، هلال، إمام النّاجية، حامي الدّين، حواري الجلال، الرّئيس...). ولعلّ في هذا التّقديم للخبر (أين) التي لها حقّ الصّدارة، فيه إشارة إلى إبراز حيرة الإبراهيميّ، وتعجّبه من غياب الإمام الأكبر من المشهد، في وقت كان الجميع (البلاد والعباد) في حاجة إلى علمه وتوجيهاته وتربيّته وإصلاحه، ولكنّ قدر الله وقضاءه سبق!

ويقول: "سلوا عقلاء الأرض الذين لم يصابوا في عقولهم بمرض الاستعمار، وسلوا علماءها الذين لم يفسد علمهم الاستعمار، سلوهم جميعا أو أشتاتا." (4)

(1) سورة التوبة، الآية: 5.

(\*) ينظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، سورة التوبة، ج 2، ص: 1327 - 1328.

(2) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه-2- المرجع نفسه، ص: 366.

(\*) الحسام المنتضى: انتضى السّيْف: أخرجه من غمّه. (ينظر، معجم المعاني الجامع، مادة(انتضى)).

(\*\*) الدّاجية: الظّلمة، والجمع: دواج(معجم الوسيط)- داجية: ظلمة(معجم الرائد).

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني، مذكرات أحمد توفيق المدني، ج2، ص: 337.

(4) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه-1- المرجع نفسه، ص: 364.

ففي هذه الجملة قدّم المفعول به (علمهم) مع الإضافة الدالة على العلماء (هم) على الفاعل (الاستعمار)، للدلالة على لفت الانتباه إلى أنّ أقدس شيء لدى العلماء الذين يحترمون أنفسهم هو (العلم)، لم يبيعه بدنيا رخيصة، أو قبلوا بدله دراهم معدودة، ولم يفسدوه بالضلّالات والبدع والفتاوى المأجورة التي تخدم المحتلّ، فهو مقدّم عندهم على كلّ المكاسب، ثمّ أحرّ (الاستعمار) في إشارة إلى احتقاره وعدم احترامه.

وفي رسالته (إلى الزاهريّ الطريقيّ) نجد بعض التّقديم والتأخير في بعض الجمل منها قوله: "ولعلّك أعجبك منهم أنّهم قوم محظوظون في الزّعامه، فطمعت أن تصبح زعيما بالمجاورة أو التّوهم... وفاتك أنّ شروط الزّعامه عندهم أربعة، وأنت لا تملك منها إلاّ واحدة."<sup>(1)</sup>

ففي هذه الفقرة قدّم المفعول به الوارد في شكل ضمير متّصل (ك) بالفعل (أعجب)؛ وأحرّ الفاعل الوارد في شكل جملة اسميّة (أنّهم قوم محظوظون). فنقدّم الكاف الدال على الزّاهريّ تعكس شخصيّة المحبّة للظهور، لأنّه يرى نفسه هو العالم الأكبر والكبريت الأحمر، كما أحرّ الفاعل (أنّهم قوم محظوظون) للدلالة على أنّه معجب بنفسه، مزهوّ بشخصه، فيرى أنّه أحظى منهم، ولكنّهم نالوا الزّعامه الدنيّة قبله فأراد أن يلبس لباسهم.

ثمّ كرّر الصّيغة نفسها في الجملة الموالية، فقدّم أيضا المفعول به الضمير (ك)، وجعله متّصلا بالفعل (فات)، وأحرّ الفاعل الذي صاغه في شكل جملة اسميّة منسوخة (أنّ شروط الزّعامه عندهم أربعة).

ويقول أيضا: "وإنّ لكم خطّة مرسومة في الاستيلاء على جميع المشاريع بقصد إفسادها وتعطيّلها لأنّكم لا تحسنون تسييرها."<sup>(2)</sup>

ففي هذه الجملة نجد الإبراهيميّ يقدّم خبر النّاسخ إنّ (لكم) الوارد في شكل شبه جملة من الجار والمجرور، وأحرّ اسم إنّ (خطّة) مقترنا بصفة له (مرسومة).

وفي هذا العدول لفتة إلى إبراز الخبر شبه جملة (لكم) وكشف حالهم وتعريّتهم أمام الملأ لأنّهم هم دون سواهم من يضعون الخطط لإفساد أيّ مشروع إصلاحيّ.

(1) الإبراهيمي: إلى الزّاهري، آثار الإمام، ج3، ص: 560/ البصائر، العدد: 61.

(2) الإبراهيمي: إلى الزّاهري، المرجع نفسه، ص: 560.

كما نجد في الرسالة ذاتها الإبراهيمي وهو يتحدّى الزاهري قائلاً: "نقَامرك على أن تصدر جريدة ليس عليها إلا اسمك ووسمك، وليس لها اعتمادٌ إلا على قيمتك الشخصية، وسمعتك الاجتماعية، فإن راجت المائة الأولى من العدد الأوّل قمنا لك بالشرط وإن ثقل."<sup>(1)</sup>

حيث أحرّ الإبراهيمي اسم ليس (اسمك)، وقدم خبرها الجار والمجرور (عليها)، ثم عطف على هذه الجملة بجملة أخرى على الصيغة نفسها (وليس لها اعتماداً)، حيث قدّم الخبر شبه جملة (لها) وأحرّ الاسم (اعتماداً). وفي ذلك دلالة على احتقار للزاهري، وإبراز لنفاخته، وتقزيم لوزنه، وهزّ لشخصيته وطعن في سمعته، وهو ما يجعل جريدته أتفه الجرائد؛ ولذلك أبدى الإبراهيمي تحديه الصارخ، لقناعته بوزن الرجل الروببضة.

أما في رسالته " إلى كتاب البصائر " فنقرأ فيها: " إن الله في هذه الجمعية وجراندها حكمة هو مجليها لوقتها."<sup>(2)</sup>

حيث جاء بجملة منسوخة بـ(إن)، فقدّم الخبر شبه الجملة من الجار والمجرور (لله)، وأحرّ اسم إن (حكمة). فتقديم المسند (الخبر) (لله) على المسند إليه المبتدأ (حكمة) قصد منه تأكيد لكلمة " حكمة " وتخصيص أثرها الدلالي، كأنما الحكمة لا توجد إلا في البصائر، وفيه تشجيع ضمني لكتاب البصائر ليرفعوا من همهم أكثر فأكثر.

وفي رسالته إلى الأستاذ (أحمد قصيبة) نجد في الفقرة السادسة جُملاً دبّجها بين التقديم والتأخير ممّا أعطاه رونقا وجمالا، حيث يقول: " إن في الجوّ غبرة، يثيرها الفجرة، ولا يطفئ وهجها إلا الأبناء البررة، وإياكم أعني، وإن في الأرض أحابيل منصوبة، لذوي الحقوق المغصوبة، تُنسي جميع ما سبقها من الأحابيل، والجور الوبيل، فكونوا رجال اليوم والغد، وتسَلّحوا بالأخلاق الإسلامية الحقيقية، لا هذه المظاهر التي غرنا بها الغرور، وإن اعتماد هذا الدين وهذه اللغة في هذا الطور على هذا الجيل الذي تتوسّطونه، وتتولّون زعامته، فانظروا ما أنتم فاعلون."<sup>(3)</sup>

ففي قوله " إن في الجوّ غبرة، يثيرها الفجرة " وقوله " وإن في الأرض أحابيل منصوبة " وقوله " يثيرها الفجرة " تقديم خبر (إن) في شكل شبه جملة من الجار والمجرور (في الجوّ/ في الأرض) على اسمها، وتقديم المفعول به (الهاء) على الفاعل (الفجرة) فيه دلالة اختصاص الجوّ بالغبرة، واختصاص نصب الأحابيل بالأرض، واختصاص إثارة الغبرة بالفجرة دون سواهم.

(1) الإبراهيمي: المرجع السابق، ص: 562.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى كتاب البصائر، آثار الإمام، ج1، ص: 208.

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى أحمد قصيبة، مجلة الثقافة، العدد: 87.

أما تقديم المفعول به وتأخير الفاعل في قوله (ولا يطفئ وهجها إلا الأبناء البررة) محصوراً بأداة الحصر (إلا)، الذي دلّ على القصر، أي: لا يطفئ وهج الغيرة إلا أبناء الجزائر البررة وليس غيرهم. وقوله "وإياكم أعني" فيه تقديم واجب للمفعول به (إياكم) الذي ورد في شكل ضمير نصب منفصل، وتأخير للفعل والفاعل (أعني) فيه دلالة على تخصيص وإبراز هؤلاء الأبناء البررة من أبناء الجزائر دون غيرهم من الناس بالعني والعناية.

وفي قوله "عزنا بها العزور" جملة فعلية قدّم فيها المفعول به (نا) وأخر الفاعل (العزور)، بينهما شبه جملة من الجار والمجرور (بها) دلّ ذلك على إلقاء التهمة، تهمة فساد أخلاقنا الإسلامية إلى العزور (الشيطان) (\*) وحده. ﴿يَتَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبُّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَضْكُمُ الْأَمَانِي حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَرْجُكُمْ بِاللَّهِ الْعَزُورُ﴾ (1)

وفي رسالته إلى الطلبة الجزائريين بالزيتونة، نقرأ هذا التقديم والتأخير في الفقرة الثانية من الصفحة الثانية: "أيها الإخوان، أيها الأبناء، لا نكون مبالغين إذا قلنا إن لفقيدنا العزيز عبد الحميد بن باديس منّة على كل من يحمل بين جنبه روحاً جديدة، أو فكرة سديدة من أبناء الجزائر أينما كانوا..." (2)

أخيراً، وفي رسالته إلى الطلبة الجزائريين بالزيتونة نجد تقديماً في خبر (إن) الذي ورد شبه جملة من الجار والمجرور في قوله "لفقيدنا" وتأخيراً في اسمها (منّة)، فيه دلالة على تخصيص عبد الحميد ابن باديس، دون غيره بالمنّة على الجميع.

**ختاماً:** لقد أبدع الإبراهيمي في استخدام فنّ التقديم والتأخير، وتقنّن فيه، ونوّع في أشكاله وصوره لتحقيق التأثير في النفوس، ولفت الانتباه، وإشراك القراء في الخلل الذي يتعمّد إحداثه في السياق لغرض ما.

وقد مرّ بنا كيف يتلاعب الإبراهيمي باللّغة العربيّة ومفرداتها، ويشكّلها ببراعة كيفما شاء فيقدّم الخبر ويؤخّر المبتدأ، ويقدم الفاعل ويؤخّر الفعل، ويقدم المفعول به ويؤخّر الفعل والفاعل ومرة أخرى يقدم خبر النَّاسِخ ويؤخّر اسمه، ويحدث ارتباكاً في عناصر الجملة الشرطيّة، وكما قدم شبه الجملة على غيرها من العناصر، وهكذا. كلّ ذلك هدَفَ إليه الإبراهيمي من أجل غايات معيّنة، وتحقيق دلالات عميقة في الجمل لخلق انزياحات يكون المتلقّي أول المشاركين في معرفة كنهها.

(\*) العزور: لغة: كل ما غرّ الإنسان من مال، أو جاه أو شهوة أو إنسان أو شيطان. واصطلاحاً: هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع (التعريفات للجراني) (وتجىء مادة "العزور" بصيغ مختلفة في القرآن الكريم، لتدل على معانٍ أهمها الانخداع والتعالى المؤدى إلى البطر ونكران نعم الله على الإنسان، الأمر الذي يحاسب عليه بقوله ﴿ما غرك بهيك الكرم﴾ (الانفطار: 6)، ولأن هذا الموقف مبنى على باطل، كان النهى عن كل أنواع العزور والاعتزاز بالدنيا أو بالدين. (ينظر، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامّة، ج1، ص: 476).

(1) سورة الحديد، الآية: 14.

(2) الإبراهيمي: إلى الطلبة الجزائريين بالزيتونة، آثار الإمام، ج2، ص: 153.

## الفصل الرابع

## الفصل الرَّابِع

### المستوى البلاغيّ في رسائل الشّيخ الإبراهيميّ

#### أولاً/ السمات التّصويريّة في رسائل الشّيخ الإبراهيميّ

1- التّشبيه في رسائل الشّيخ الإبراهيميّ

2- الاستعارة في رسائل الشّيخ الإبراهيميّ

3- الكناية في رسائل الشّيخ الإبراهيميّ

4- المجاز في رسائل الشّيخ الإبراهيميّ

5- التّناسخ في رسائل الشّيخ الإبراهيميّ

#### ثانياً: السمات البديعيّة في رسائل الشّيخ الإبراهيميّ

1- السّجع في رسائل الشّيخ الإبراهيميّ

2- الطّباق والمقابلة في رسائل الشّيخ الإبراهيميّ

3- الموازنة في رسائل الشّيخ الإبراهيميّ

## أولاً/ السمات التصويرية في رسائل الشيخ إبراهيمي:

اهتمّ الأدباء بالتصوير الفني منذ القدم، متمثلة في التصوير البلاغيّ من تشبيهات واستعارات ومجاز وكنيات وظلّت على هذا الحال لقرون طويلة، يوظفها البعض عفواً، و يوظفها آخرون تكلفاً. والتصوير الفني ليس متاحاً لكلّ مبدع، فهو يتطلّب مهارات معيّنة وخيالاً واسعاً، ورؤية للأشياء بشكل مختلف عن الواقع، وهو ماذهب إليه جميل صليبا (1902-1976م) إذ يرى أنّ الصورة الفنية تحتاج إلى عنصر الخيال (ملكة الخيال)؛ فلا يكفي الذوق والوجدان والحسّ بمكوّنات الأشياء حتّى تأتي الصورة وفق واقعها، فهي عنده: "قوة مصوّرة أو قوّة ممثّلة شريك صور الأشياء الغائبة، فيتخيّل لك أنّها حاضرة، وتسمّى هذه القوّة بالمصوّرة." (1)

ومع التطوّر الأدبيّ والبلاغيّ والنقديّ الحديث، تطوّر معه مفهوم الصورة إلى التصوير بالحقيقة الواقعية، إذ وجدوا أنّ تعابير مجردة من تلك العناصر البلاغية إلّا أنّها تكون قمة في الإبداع والعمق والدلالة، وقد أشار إلى هذا المعنى الدكتور عليّ البطل بقوله: " فلم تعد الصورة البلاغية هي وحدها المقصودة بالمصطلح، بل قد تخلو الصورة - بالمعنى الحديث - من المجاز أصلاً، فتكون عبارات حقيقية الاستعمال، مع ذلك فهي تشكّل صورة دالّة على خيال خصب." (2)

ويؤيّد هذه الفناعة مفكّرون آخرون فيربطون الصورة الفنية بالعوامل العقلية والفكرية وبالذوق والحسّ والوجدان، بغضّ النظر عن واقعية الأمور، وعلى رأس هؤلاء عزّ الدين إسماعيل الذي يرى أنّ: " الصورة الفنية تركيبية عقلية تنتمي في جوهرها إلى عالم الفكرة، أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع." (3) فالصورة - عنده - تركيبية وجدانية أكثر منها واقعية على الرّغم من أنّها مستوحاة من مجريات الواقع في عالم الشّهادة.

وإلى ذلك ذهب - أيضاً - الناقد محمّد مندور حيث يعتقد أنّ الاهتمام بالشكل البلاغيّ أصبح من الماضي، فالصياغة الفنية في عصرنا أصبحت مرتبطة بالجانب النفسيّ الوجدانيّ أكثر من إيضاح المعنى، وتقريب الصورة، فلم تعد الصورة الفنية " أمر مجازات أو تشبيهات تتعلّق بظواهر الأشياء أو تستخدم لإيضاح المعنى أو تقويته، بل أمر الخلق الفنيّ في صميم حقيقته النفسية." (4)

وهناك من أصحاب المذهب الجديد من أقحم حتّى الألوان والحركة... في التصوير الفنيّ، وجعلها تنطق، معطية إحساساً بالواقع، مدغدغة العواطف والأحاسيس بعيداً عن المجازات والكنيات، ولعلّ الناقد

(1) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (دط)، 1971، ص: 261.

(2) عليّ البطل: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن 2هـ، دراسة في أصولها وتطورها، دار الأندلس، بيروت، ط3، 1983، ص: 25.

(3) عزّ الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، (د ط)، 1981م، ص: 66.

(4) محمد مندور: في الميزان الجديد، مؤسسة هنداوي، مصر، (دط)، (2020)، ص: 126.

الأديب سيد قطب من هؤلاء، إذ يقول وهو يتحدث عن التصوير في القرآن الكريم ففيه: "تصوير باللون وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل... وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات، وتعم العبارات، وموسيقى السياق، في إبراز صورة من الصور." (1)

وقد حاولنا قدر الإمكان إبراز السيمات التصويرية الفنية من خلال بعض فقرات من رسائل الإبراهيمي، مع شيء من دلالاتها. من خلال دراسة التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، مختتمين بالتناص.

### 1- التشبيه (Simile) في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

التشبيه لغة: جاء في لسان العرب التشبيه: "وهو التمثيل أو المماثلة، يقال: شبّهت هذا بهذا تشبيها، أي: مثلته تمثيلا، والشبه والشبه والشبيه: المثل والجمع أشباه، وشبه الشيء الشيء، ماثله وبينهم أشباه، أي: أشياء يتشابهون فيها، وشبهه عليه، خلط عليه الأمر حتى اشتبه بغيره، وفيه مشابه من فلان أي أشباه." (2) يقول أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني (390هـ/456 هـ): "التشبيه صفة الشيء لما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إيّاه... فوقع التشبيه إنما هو أبدا على الأعراس لا على الجواهر." (3)

أما أبو الفرج قدامة بن جعفر (873-948م) فيرى أنّ التشبيه لا يلغي الحدود بين الأشياء. يقول: "إنّ من الأمور المعلومة أنّ الشيء لا يشبه الشيء بنفسه ولا بغيره من كلّ الجهات، إذ كان الشئان إذا تشابها من جميع الوجوه، ولم يقع بينهما تغاير البتّة اتّحدا فصارا الاثنان واحدا." (4) وإلى نحو ذلك ذهب صاحب علوم البلاغة. التشبيه: لغة: التمثيل، يقال: هذا شبيه هذا ومثيله. وشبّهت الشيء بالشيء أقمته مقامه لما بينهما من الصفة المشتركة. (5)

والتشبيه: "صورة تقوم على تمثيل شيء (حسي أو مجرد) بشيء آخر (حسي أو مجرد) لاشتراكهما في صفة (حسية أو مجردة) أو أكثر." (6)

التشبيه اصطلاحا: وهو "التماس مماثلة بين أمرين أو أكثر لقصد الاشتراك بينهما في صفة من الصفات لغرض يريد المتكلم عرضه بقصد أو بغير قصد، أو هو أن يشارك شيء أو أشياء غيرها في صفة أو

(1) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، (ط17)، 2004، ص: 37 - 38.

(2) ابن منظور: لسان العرب، مادة (ش ب هـ).

(3) ابن رشيق أبو علي الحسنين: العمدة، ج2، ص: 241-242.

(4) قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص: 107.

(5) أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ص: 179.

(6) يوسف أبو العدوس: التشبيه والاستعارة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (ط1)، 2007م، ص: 15.

أكثر بأداة هي الكاف أو مثلها ملفوظة أو ملحوظة، وهو عند علماء البلاغة يسير وفق تطورات تصوّره في عرض ما يريد القائل أو السامع من تصوّر. (1)

**أركان التشبيه:** يقوم التشبيه على أربعة أركان أساسية هي: المشبه، المشبه به، أداة التشبيه، ووجه الشبه (المعنى المشترك). وإذا كان البلاغيون يسمّون هذه الأجزاء الأربعة التي يقوم عليها التشبيه أركاناً فإنّ هذه التسمية تجيء على التوسّع؛ إذ الركن ما يتوقّف عليه الشيء، لكننا نجد التشبيه قائماً دون ذكر بعض هذه الأركان كأداة ووجه الشبه، أمّا الركنان الأساسيان اللذان لا يخلو أسلوب التشبيه منهما فهما المشبه والمشبه به. (2)

ومن هنا يتبيّن لنا أنّ التشبيه في أبسط معانيه؛ هو أن يشارك المشبه المشبه به في صفة أو أكثر، وهي أظهر في المشبه به منها في المشبه، وتجمع بينهما الأداة؛ وهذه الأداة قد تكون اسماً نحو: شبه، ومثلاً، أو فعلاً مثل: يشبه، ويضارع، ويمائل، ويحاكي، أو حرفاً مثل: الكاف، وكأنّ.

ويبقى حسن توظيف التشبيه دليلاً على امتلاك ناصية الشعر، كما تبدو شعريّة التشبيه في أنّه ينقل المتلقّي من شيء إلى شيء طريف يشبهه، وكلّما كان هذا الانتقال بعيداً عن البال، قليل الخطور بالخيال كان التشبيه أروع بالنفس وأدعى إلى إعجابها واهتزازها. (3)

**بلاغة التشبيه:** يعدّ التشبيه من الأساليب البيانية المرتكزة على المقابلة بقصد الإبانة والتوضيح لإيصال الغرض بطريقة تعتمد على الإثارة القائمة على ابتكار الصّورة القريبة للذهن والمنتاسبة مع المقصد وإثبات وجه من وجوه المدرك القريب للحسّ و العقل للطرف الآخر يلتقيان في جامع معنويّ واحد يكون أقوى في المشبه به.

يقول عبد القاهر الجرجانيّ مبيناً فضله: "فإنّ كان مدحا كان أبهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم وأهزّ للعطف، وأسرع للألف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح[...]. وإنّ كان ذمّاً كان مسّه أوجع وميسمه أذع، ووقعه أشدّ، وحدّه أهدّ. (4)

وبعد هذه التوطئة ينبغي الإشارة إلى أنّ التشبيه في رسائل الإبراهيمي لا يكاد يدخل تحت حصر ولا تكاد رسالة واحدة تخلو منه؛ إذ لا يمكن أن نقرأ رسالة من رسائل الإبراهيمي إلاّ والتشبيه حاضر على طريقة القدامى في الجاهليّة والإسلام. قال حمّاد الزاوية: "أحسن أهل الجاهليّة تشبيهاً امرؤ القيس، وذو

(1) ثويني حميد آدم: البلاغة العربية، المفهوم والتطبيق، ص: 247.

(2) عطية مختار: علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع - دراسة بلاغية - دار الوفاء للنشر والتوزيع، الإسكندرية، (د ط)، 2004، ص: 28.

(3) رابع بوحوش: اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، (د ط)، 2006، ص: 153.

(4) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص: 69.

الرّمة أحسن أهل الإسلام تشبيهاً." (1) لهذا سأحاول التّطرق إلى بعضه فقط، مركزاً الجهد في كشف النقاب عن الجوانب الجماليّة لكلّ صورة، بعيداً عن الدّراسة الشّكليّة الصّوريّة المعتادة.

### 1- التّشبيه المُجمل: هو التّشبيه الذي غاب عنه وجه الشّبه، مثل سليم كالفهد.

وهو نوع نقل فيهِ المباشرة" لأنّ (الشّاعر) أجمل الصّفات المشتركة بين طرفي التّشبيه وتركها غائمة، يضرب الخيال في كلّ اتجاه حتّى يتسنى له تحديدها." (2) وباختفاء الصّفات المشتركة بين المشبه والمشبه به يتيح للشّاعر إتمام الصّورة، وهو ما يجعل هذا النوع من التّشبيه " يكسب أبعاداً دلاليّة وإيحائيّة غير متوقّرة في التّشبيه المعلّل." (3) لذا يرتقي التّشبيه المُجمل على التّشبيه المفصل في فنّيته وإمتاعه لما يتطلّب من المتلقّي من أعمال فكر وسعة خيال، وقد تكرر هذا النوع من التّشبيه في رسائل الإبراهيمي. وهو كثير في رسائل فيه، ولعلّ مردّ ذلك أنّ بناء التّشبيه المرسل " لا يتطلّب صنعة كبيرة، ولا تفنّناً خاصّاً، ولعلّه لذلك شاع في الكلام أكثر من بقيّة أنواع التّشبيه، خاصّة وأنّه أحسن إطار ينتظر أن نجد فيه الصّور في أوضح مظهر." (4)

### 1-1 في كتاب الإبراهيميّ المفتوح إلى رئيس الجمهوريّة الفرنسيّة يومها فينسنّت أوريول

(Vincent Auriol) (27 أوت 1884-1 جانفي 1966م)، يقول له مخاطباً في جرأة واضحة (\*): "يسوء الحقيقة والواقع أن تزوروا الجزائر هذه الزّيارة التّقليديّة التي تُقابل بالمظاهر المصطنعة، والخُطب المصنوعة، وأن تُحاطوا بالموكب الرّسميّة التي تحجب عنكم الحقائق كما يحجب الضّباب نور الشّمس وأن تصافح سمعكم أصواتٌ ليس فيها صوت حرّ، فلو كنتم أجانب عن الجزائر وعمّا يجري فيها لخشنا أن تصدروا عن الجزائر وفي ذهنكم منها صورة غير صورتها." (5)

فقد شبّه الإبراهيميّ ما تقوم به الموكب الرّسميّة من بروتوكولات تحجب بها حال الشعب الجزائريّ ومعاناته عن الرّئيس الفرنسيّ تماماً، كما (أداة التّشبيه) يحجب الضّباب نور الشّمس عن الأرض. وقد تعمد الإبراهيميّ اختيار الضّباب (6) (المشبّه به) للتّعبير عن التّعظيم والتّعمية لما يجري على الواقع من انتهاكات وفقر وجهل وقتل وأمراض كانت دولة الرّئيس (الرّائر) هي سبب كلّ تلك المآسي.

(1) ذو الرمة غيلان بن عقبة بن مسعود: ديوان ذي الرمة، ص: 29.

(2) محمّد أحمد غالب العامري: الصّورة في الشّعر العربيّ في اليمن حتّى نهاية العصر العباسي، رسالة دكتوراه، إشراف: د/ سنية أحمد الجبوري، جامعة المستنصرية، العراق، 2002، ص: 156.

(3) صبحي البستاني: الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، دار الفكر اللبناني، بيروت، (ط1)، 1982م، ص: 109.

(4) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص: 143.

(\*) ينظر، نصّ الرسالة كاملاً في الملحق، ص: 367.

(5) الإبراهيمي: كتاب مفتوح إلى رئيس الجمهوريّة الفرنسيّة، البصائر، العدد: 81، في 30 ماي 1949. وآثار الإمام، ج3، ص: 91.

(6) جاء في (معجم المعاني الجامع)، مادة (ضباب). الضّباب: جمع: أضيّة: سحَابٌ يَغشى الأرض كالدّخان، ويكثر في الغدأة الباردة.

1-2 وفي رسالته الجميلة التي وجهها إلى الجزائر من بلاد الغربية والتي اختار لها عنوان (تحية غائب كالآيب) نجد هذا التشبيه المجل. فقد شبه -هنا- (الغائب) الذي هو (المشبه) العائد على شخصه هو (الإبراهيمي) بشخص (الآيب) وهو المشبه به، واختار لذلك حرف التشبيه (الكاف) على سبيل التشبيه المجل. فالإبراهيمي يشبه نفسه بالآيب في كلّ أحواله. فالمعاناة التي يكابدها الغريب في بلاد الغربية كالآيب لبلاده المقهور بسلاسل الاستعمار والدّل والتّعذيب، وحالته النفسية لن تجد الراحة والاطمئنان تماما كالآيب لوطنه المكبل لن ينعم بلحظة راحة، وهكذا فالغائب والآيب يكادان يكونان متشابهين إجمالاً.

1-3 وفي رسالة الإبراهيمي إلى الشاعر محمد العيد آل خليفة (بين عالم وشاعر) نجد هذا التشبيه: "كتبت لك هذه الكلمات كما يكتب الأب الشفيق إلى ولده الرقيق، وعسى أن يكون فيها ترويح لخاطرك." (1)

فبالأداة (كما) شبه الإبراهيمي ما يكتبه من كلمات (كتبت) وهو (المشبه) لتلميذه الشاعر الفحل محمد العيد آل خليفة تماما كما (يكتب الأب الشفيق) وهو (المشبه به) إلى ولده الرقيق. فقد شبه نفسه بالأب الشفيق، لأنه يرى نفسه هو الركن الركين الذي يحنو على شباب جمعية العلماء، ويلجأ إليه الجميع عند الحاجة، فكان يسرلهم بالعطف والرحمة والنصيحة والتوجيه والتربية والتعليم فلا يبخل - أبداً - عليهم، خاصة وهم ينظرون إليه على أنه العالم الفذ، والموسوعة الثرية التي حوت العلوم والفنون.

2- التشبيه البليغ: هو التشبيه الذي غاب عنه وجه الشبه وأداته، مثل: العلم نور، أو قفز معاذ قفزة حصان.

وهناك من أتى بتعريف بسيط حيث يرى أن: "التشبيه البليغ هو التشبيه الذي حذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه، وقد ذكر الرمانى في وصف التشبيه البليغ أنه: إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف، وورد عن عبد القاهر الجرجاني أنه قال: زيد أسد، تشبيه على حدّ المبالغة، أمّا ابن الأثير فقد قال: التشبيه لا يُعمد إليه إلا لضرب من المبالغة، فلا بُدّ فيه من تقدير لفظة "أفعل" فإن لم تُقدّر فيه لفظة أفعل فليس بتشبيه بليغ." (2)

ويرد بأشكال مختلفة، بشكل جملة اسمية أو فعلية ينعقد فيها التشبيه بين شيئين بالشكل الإضافي: المشبه مضاف، والمشبه مضاف إليه: اهتدوا بنور العلم، بشكل مفعول مطلق مبيّن للنوع: وثب الطفل وثبة الغزال... الخ

(1) الإبراهيمي: بين عالم وشاعر، آثار الإمام، ج1، ص: 228.

(2) سعد عبد الرحيم أحمد: التشبيه في الحديث الشريف - دراسة في متن صحيح البخاري، دار غيداء للنشر، عمان، ط1، 2011، ص 69-70.

فبحدف الأداة يقيم المتكلم دعوى المطابقة التامة، ويحذف وجه الشبه يجمع الصفات المشتركة وبذلك يُعدّ (أعلى مراتب التشبيه)<sup>(1)</sup> كما فيه اختصار، تكتسب الصورة عمقا أكبر ودلالة أوسع تدفع المتلقّي إلى المساهمة في إتمام الصورة وإدراك المقصد منها. وسمّي كذلك " لتجرّده من الأداة و من وجه الشبه معاً"<sup>(2)</sup> ومن هذا الحذف استمدّ عمق صورته وابتعد عن التعبير المباشر.

فإضمار الأداة في التشبيه يؤدي إلى قدر أكبر من التلاحم بين طرفي التشبيه، وكثيرا ما يكون مصحوبا بحذف وجه الشبه، وتلك هي أعلى درجات التشبيه؛ لذلك أسماه البلاغيون تشبيها بليغا. ومن هذا الحذف استمدّ العمق في الصورة المبتكرة، دون تعبير مباشر يجعل الخطاب خاليا من الخيال والإبداع.

وقد وظّف الإبراهيمي هذا النوع من التشبيه في رسائله المتنوعة، يمكن اختيار بعضها من خلال الفقرات التالية:

1-2 يقول الإبراهيمي متحدّثا عن الاستعمار عامّة والاستعمار الفرنسيّ خاصّة: "إنّ الاستعمار غشاوة على الأبصار، ورين(\*) على البصائر، فهو - كما يرمي فاعله بالعمى عن الحقائق - يرمي المبتلى به بالعمى عن المحاسن، فلو أنّ فرنسا خلعت ثوب الاستعمار، ومحت رسومه، لزلت هذه الغشاوة عن بصرها فعرفت لنا حقوقنا، ولزلت عن أبصارنا فعرفنا لها محاسنها؛ وما دام الاستعمار فالرين على البصائر، والغشاوة على الأبصار، وليس في طبائع الأشياء غير هذا."<sup>(3)</sup>

فعند فحصنا لهذه الفقرة نجدها قد تضمّنت تشبيهيّن متباينين في المعنى الظاهر، متفقين في المعنى المضمّر. فقد شبه الإبراهيمي الاستعمار بأنّه (غشاوة)\*\* على (الأبصار)، وهو (رين) على (البصائر). وتبرز براعة هذه الصورة التشبيهيّة في أنّ الإبراهيمي جمع بين شيئين هما مصدر العطف والحنان والرّحمة عندما يكونان في جوّ من الإنسانيّة والصفاء؛ لكنّ الاستعمار الفرنسيّ جاء بخلفيّة القتل

(1) القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، ص: 289.

(2) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص: 150.

(\*) ومعنى ران: "ران عليه الشّيء؛ غلبه وغطّاه ران عليه الحزن/ الهوى: غلبها وغطّى عليها ما كانوا يقترفونه من الذّنوب.

رَانَ على قلبه الذّنْب: قسا قلبه لاقتراف الذّنْب بعد الذّنْب. (ينظر، معجم المعاني الجامع)، مادة(ر.ا.ن).

(3) الإبراهيمي: حدّثونا عن العدل فإننا نسيناه، آثار الإمام، ص: 371.

\*\* ومعنى غشاوة: ﴿غِشَاوَةُ الْقَلْبِ: جِلْدَةُ الْقَلْبِ عَلَى عَيْنَيْهِ غِشَاوَةٌ: غِطَاءٌ، غِشَاءٌ يَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَرَى بِوُضُوحٍ. ﴿حَمَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ (سورة البقرة، الآية: 7). (ينظر: عبد الغني أبو العزم: معجم الغني الزاهر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، مارس 2013، مادة (غشاوة).

والاحتلال والجرائم، فكان تعامله مع الجزائريين أعمى البصر، أعمى البصيرة. فكان منه ما كان! والاستعمار (ران\*) على القلوب والأبصار والبصائر يغطيها فلا تكاد تبصر شيئاً.

ويتجلى للقارئ جمال التشبيه ومقدرته في إيصال المعنى المراد بأسلوب شيق مستمد من القرآن الكريم، فقد شبه لنا همجية الاستعمار وسلوكه الإجرامي بالغشاة والرّان اللذين غطّوا العين والقلب، فلم يعودا يبصران شيئاً، فنزعت الرّحمة والشفقة.

2-2 ويقول أيضاً: "الاستعمار عمل أوله ختل، وآخره قتل؛ وشرّ لا بقاء عليه، ثمّ لا بقاء له، ووحش مروّض آخر صرعاه رائضه، ومرض آكل يأتي على المكاسب ويثني بالمواهب، ومخلوق لنيم يدان ولا يفي..."<sup>(1)</sup>

جاء الإبراهيمي في هذه الفقرة بعدة تشبيهات بليغة، فالاستعمار - عنده - هو: عمل أوله ختل، وآخره قتل.

و شرّ لا بقاء عليه، ثمّ لا بقاء له.

ووحش مروّض آخر صرعاه رائضه.

ومرض آكل.

ومخلوق لنيم.

وفي هذه التشبيهات تتجلى أروع الصّور البيانية التي تكشف عن بشاعة الاستعمار (الاستخراب)\*\*) الفرنسي الذي ظلّ جاثماً على رقاب الجزائريين قرناً وثلاث القرن من الزّمان يمارس عليهم أبشع فنون التعذيب ويتلذذ بممارسة أنواع النّقتيل.

2-3 ويقول الإبراهيمي متحدّثاً عن العدل: "والعدل من الأقوياء هو الميزان الذي يقرّ كل شيء في

نصابه، ولكن أين هو؟ لم يبق منه إلاّ الحديث عنه، فحدّثونا عنه فإننا نسيناه!"<sup>(2)</sup>

من أروع التشبيهات عند الإبراهيمي أن يشبّه شيئاً معنوياً بشيء ماديّ ملموس، فقوله (العدل هو الميزان) يقرب الصّورة من الدّهن، و "الميزان: اسم آلة من ورّ: آلة تُوزن بها الأشياء لمعرفة مقدارها من الثّقل، وهو رمز العدل."<sup>(3)</sup> فالميزان السويّ هو الذي تتساوى فيه الكفتان دون ميلان إحداها عن الأخرى. والعدل الذي ينشده الشعب الجزائريّ على لسان الإبراهيمي هو الذي يفرض على المستعمر الفرنسيّ أن

(\* ران: ران على قلبه الذّنوب: قسا قلبه لاقتراف الذّنوب بعد الذّنوب.

(1) الإبراهيمي: حدّثونا عن العدل فإننا نسيناه - 3- ، ص: 373-374.

(\*\*) هكذا كان يفضّل المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم أن يسميه.

مولود قاسم نايت بلقاسم (1927 وتوفي 1992). تقلّد منصب مدير في وزارة الخارجية، فوزيراً للتعليم الأصلي والشؤون الدينية ومستشاراً لرئيس الجمهورية، ثمّ أصبح مسؤولاً في حزب جبهة التحرير مكلّفاً بتعميم استعمال اللغة الوطنية. ومسؤول على المجلس الأعلى للغة العربية. من مؤلفاته:

- الجزائر (باللغة الألمانية) الجامعة العربية في بون 1957- أنية وأصالة وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية. 1975.

-أصالية أم إنفصالية وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية 1980 - شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 دار البعث بقسنطينة

1985. (ينظر، مولود قاسم نايت بلقاسم، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة(https://ar.wikipedia.org))

(2) الإبراهيمي: حدّثونا عن العدل فإننا نسيناه -3-، المرجع نفسه، ص: 374.

(3) معجم المعاني الجامع، مادة ( الميزان).

يوقّره من خلال تأكيد حقوق الشعب في كلّ متطلبات الحياة الكريمة، وأولها الخروج من الأرض المغتصبة.

2-4 وفي رسالة إلى الشاعر الكبير محمد العيد آل خليفة يقول الإبراهيمي: "ولولا شذوذ نعرفه في نفوس الشعراء كأنه من معاني كمالهم، لما صدّقنا باجتماع اليأس والشعر. وكيف ييأس الشاعر وهو ملك (\*\*). مملكة الآمال وسلطان جوّ الخيال." (1)

والفرق بين المصطلحين "أنّ السلطان قوّة اليد في القهر للجمهور الأعظم وللجماعة اليسيرة أيضا ألا ترى أنّه يقال: الخليفة سلطان الدنيا وملك الدنيا، وتقول لأمير البلد سلطان البلد ولا يقال له: ملك البلد، لأنّ المَلِك هو من اتّسعت مقدرته على ما ذكرنا، فالملك هو القدرة على أشياء كثيرة، وللسلطان القدرة سواء أكان على أشياء كثيرة أو قليلة ولهذا يقال له: في داره سلطان، ولا يقال له في داره ملك. ولهذا يقال هو مسلّط علينا وإن لم يملكنا، وقيل: السلطان المانع المسلّط على غيره من أن يتصرّف عن مراده، ولهذا يقال: ليس لك على فلان سلطان فتمنعه من كذا." (2)

ومع أنّ الفرق بين المصطلحين طفيف إلا أنّهما يشتركان في الملكية، فكأنّ الإبراهيمي في معرض الحديث عن الشاعر الكبير محمد العيد آل خليفة الذي انتابته حالة من اليأس والإحباط كأنه أراد أن يخرجها منها بطريقته الخاصة، فراح يشبّهه (الشاعر) بالملك حيناً وبالسلطان حيناً آخر.

فالإبراهيمي بتشبيهه الشاعر آل خليفة بالملك والسلطان يريد أن يشعره بأنّه هو المتحكّم في زمام الأمور، فالآمال بيده والخيال بسلطانه، فلا يسمح بطيف من اليأس والإحباط يتسلّل إليه لأنّه لا يليق برجل يفترض أنّه هو الحاكم وإلا أصبح هم المحكوم.

2-5 وفي رسالته إلى الزاهري يقول: "لقد كنتم تسبّوننا بألسنتكم في المقاهي ومجالس السوء وتلقّتون صبيانكم سبّنا، حتّى أصبحت أفواهكم مستنقعات... فلم يقنعكم ذلك لأنّه سبّ بالمجان فارتقيتم إلى سبّنا بالكتابة لتتخذوا منها سلعة للبيع، ووسيلة لجمع المال. وتضيفوا إلى الهلال الأحمر هلالا أسود... ومن الغريب المضحك أنّكم تعتمدون في بيع السبّ على السبّ، فقد شهد العقلاء أنّ تسعة أعشار جريدتكم لا تباع إلا بالسبّ والتخويف والتهديد وما يشبه الإكراه، وأنّ العشر العاشر فقط يباع بالتغليب والتضليل (وعلى النيف)." (3)

(\* جاء في (معجم المعاني الجامع)، مادة (ملك): المَلِكُ: صفة مشبّهة تدلّ على الثبوت من ملك: صاحب الأمر والسلطة على أمة أو بلاد، شخص يحكم أو يتولّى الملك في منطقة بحكم الوراثة ولمدى الحياة.

(1) الإبراهيمي: رسالة بين عالم وشاعر، آثار الإمام، ج1، ص: 355.

(2) العسكري أبو هلال: معجم الفروق اللغوية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم (إيران)، (نظ)، شوال 1412هـ، ص: 282.

(3) الإبراهيمي: إلى الزاهري، البصائر، العدد: 61. وآثار الإمام، ج3، ص: 561.

لقد أساء الطرقيون إلى جمعية العلماء ورجالها إساءة بالغة، وكادوا لها المكائد بالأفعال والأقوال من سبّ وشتم وقذف ومحاربة للجهود وإنقاص من القيمة، حسدا من عند أنفسهم، مدفوعين من جهات معينة على رأسها سلطات الاستعمار الفرنسيّ الداعمة، فلم يجد الإبراهيميّ بداً من وصف (أفواههم)، وهو المشبه، بـ (المستنقعات) وهو المشبه به، وهو تشبيه بالغ في القذارة، بليغ في التصوير. وبحذف الأداة ووجه الشبه فيه دلالة على أنّ أفواه (الطرقيين) هم و المستنقعات الآسنة شيء واحد، لا فرق بينهما.

2-6 وفي رسالته إلى وطنه الجزائر التي اشتاق إليه كثيرا بعد فترة من الغياب، يقول مخاطبا الصبا: "ثم عممّ التحية إلى كلّ من تديّر الجزائر من إخوان الصّدق، وأحلاف الحقّ: من علماء جلاهم الإسلام سيوفاً، وبراهم سهاماً، وقومهم رماحاً، ثمّ وحدتهم العقيدة على غاية، وجمعهم الحقّ على بساط، وألف بينهم الجهاد في ميدان، فاجتمعت قلوبهم على هداية بها وألسنتهم على دعاية إليها وأيديهم على بناء لها. ومن أنصار كانوا للدعوة السلفية الإصلاحية خزرجها وأوسها، وكانوا للنهضة الجزائرية عمادها وأسسها، وكانوا الأحجار الأولى لبناء الجزائر الجديد، والكتائب المبكرة لإحياء مجد العرب بعزّ الإسلام."<sup>(1)</sup>

فقد رسم الإبراهيميّ في هذه الفقرة تشكيلات تشبيهية آية في الإبداع والتصوير، وهو يرسل تحياته من بلاد الغربة لإخوانه وأعدائه وأنصاره في الجزائر عامّة وفي جمعية العلماء خاصّة، فقد شبّههم (الأنصار) الذين ناصرُوا الدعوة السلفية الإصلاحية (وهم المشبه) بـ (الخزرج والأوس) وهم (المشبه به) الذين ناصرُوا الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - في المدينة المنورة. وشبّههم أيضا مرّة أخرى بأنهم (عماد وأسس) النهضة الإصلاحية في الجزائر، كما شبّههم مرّة ثالثة بـ (الأحجار الأولى) لبناء الجزائر، وشبّههم أخيرا بـ (الكتائب المبكرة) لإحياء مجد العرب بعزّ الإسلام.

فما أروع هذا التصوير الذي اشتمل على تشبيهات جميلة، رفع فيها من شأن أحبائه وأنصاره! فهم عنده الخزرج والأوس، وهم العماد والأسس، وهم الكتائب المبكرة، وهم - أخيرا - الأحجار الأولى التي تشكّلت بها القاعدة الصلبة للجمعية.

3- التشبيه المرسل: وهذا النوع من التشبيه يقوم على تعويض مشهد بآخر تعويضا لا يؤثر فيه لا عدد العناصر التي يقوم عليها ولا ترتيبها، فهو يستوفي كلّ العناصر وينتظمها على ترتيب أصليّ، فلا نجد في هذه الصّور عنصرا متفوقا على آخر، أو مؤديا دورا خاصا غير الذي ينتظر منه عادة، بل القيمة كلّها للصورة التشبيهية بكافة عناصرها."<sup>(2)</sup>

ويسمى أيضا التشبيه المفصل أو التّام، وهو التشبيه الذي يشتمل على جميع أركان التشبيه. مثال: باسم حادّ النظر كالصّقر، أو سليم سريع كالفهد، أو شعرها كالليل في سواده.

(1) الإبراهيمي: تحية غائب كالأيب، آثار الإمام، ج4، ص: 182.

(2) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص: 144.

أي: هو التشبيه الذي يتم فيه:" إلحاق أمر (المشبه) بأمر (المشبه به) في معنى مشترك (وجه الشبه) بأداة (الكاف و كأن وما في معناهما) لغرض (فائدة)".(1)

والإبراهيمي بما أتيح له من مقدرة بلاغية استخدم هذا النوع من التشبيه كثيرا في رسائله قصد به التفصيل من خلال النماذج التالية:

3-1 ففي رسالة الإبراهيمي إلى السادة المعلمين الأحرار يسدي لهم جملة من الوصايا قائلا في واحدة منها:" وأوصيكم بالابتعاد عن هذه الحزبيات التي نجم بالشر ناجمها، وهجم - ليفتك بالخير والعلم - هاجمها، وسجم على الوطن بالملح الأجاج ساجمها، إن هذه الأحزاب كالميزاب(\*)، جمع الماء كدرا، وفرقه هذرا، فلا الزلال جمع، ولا الأرض نفع".(2)

فالتشبيه - من خلال هذا الشاهد- لجأ إليه العلامة الإبراهيمي من أجل توضيح وفضح تلك الأحزاب التي برزت كالقطر البري إبان الاستعمار، وإبراز معنى الخطر الذي تشكله والسّموم التي تنفثها في نفوس الناس والمعلمين منهم على وجه الخصوص، لتطيل عُمر المستعمر، وكيف لا وهو الذي يمولها ويحتضنها. فالمشبه - هنا - ورد جمعا (أحزاب) على صيغة (جمع المؤنث السالم)، والمشبه به أوردته مفردا (ميزاب). وفي ذلك دلالة على أنّ تلك الأحزاب الكثيرة - في مجملها - لا نفع يرجى منها، فهي تفرق ولا تجمع، وتشتت ولا تؤلف، شأنها شأن (الميزاب) يسحب الماء من السطح. ثم يرميه في الشارع فلا يستفاد منه! (جمع الماء كدرا، وفرقه هذرا، فلا الزلال جمع، ولا الأرض نفع).

3-2 وفي رسالته إلى الأستاذ إبراهيم الكتاني وظّف محمد البشير الإبراهيمي هذا التشبيه الغريب في قوله وهو يخاطبه:" هذه - أطل الله بقاء أخي - قطعة من فصل طويل من ملحمة أطول، نُظمت في أوقات الفراغ في شهري ناجر(\*\*) من الصيف الماضي، وقد اشتملت على أفانين من الجد والهزل والشخّ والجزل، ووصف الرخاء والأزل، والولاية والعزل، والنكت والغزل، وتراجم لرجال سواسية في الحسّ كأسنان الحمار، قد أبصروا بعماهم، وعرفوا بسيماهم، فإذا رأيت أحدهم رأيتهم جميعا، وإذا سمعت اللغو كنت لكلامهم سميغا، وبذلك أراحوا الناقد والواصف".(3)

(1) أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ص: 213.

(\*) الميزاب: جمعه: ميازيب؛ أنبوية من حديد ونحوه تركب في جانب البيت من أعلاه؛ ليتصرف منها ماء المطر المتجمّع فوق سطحه فينسكب على الأرض بعيدا عن جدرانها. (ينظر، معجم المعاني الجامع، مادة (ميزاب)).

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى المعلمين الأحرار، البصائر، العدد: 94.

(\*\*) ناجر اسم شهر صفر في الجاهلية، وهو الشهر الثاني من شهور السنة في الجاهلية.

قال ذو الرمة: صرّي آجنّ يزوي له المرء وجهه \*\*\* إذا ذاقه ظمأن في شهر ناجر

و أصل التسمية: سمّي هذا الشهر ناجرا لأن الإبل تتجرّ فيه من شدة الحرّ، من نجرّ ينجرّ نجرأ إذا أكثر من شرب الماء ولم يكذّ يزوي. (ينظر، الموسوعة الحرة).

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ إبراهيم الكتاني، آثار الإمام، ج2، ص: 149.

في هذه الفقرة سمح الإبراهيمي لنفسه أن يسترق هذا التشبيه الغريب الذي كان سائدا وقت الجاهلية فقد شبه أصنافا من الناس (...) سواسية في حسهم البليد بأسنان الحمار المتساوية، وهو تشبيه كان الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - قد مجّه واستبدله بسواسية كأسنان المشط كما سلف الذكر.

وفي هذا التشبيه احتقار من الإبراهيمي لهذه الفئة من المجتمع التي لا تستحق الاحترام ولا أن يضيف عليهم الناس كثير كلام. ليأتي التفصيل في شأنهم مستطردا (قد أبصروا بعماهم، وعرفوا بسيماهم فإذا رأيت أحدهم رأيتهم جميعا، وإذا سمعت اللغو كنت لكلامهم سميحا، وبذلك أراحوا الناقد والواصف).

3-3 وفي حديثه عن الأحزاب الفرنسية من اليمين إلى اليسار وشأنها الاختلاف في كل شيء إلا في قهر الجزائريين. يقول: "اتفقت على احتقارنا وعدم المبالاة بنا في شيء يخصنا وهو دستور الجزائر؛ فوضع كل حزب للجزائر دستورا بنى أصوله وفروعه على ما يوافق هوى حزبه لا على ما يوافق مصلحة الجزائر ورغبة أهلها؛ كأن الوطن موات، وكأن أهله أموات، وكأن تسعة ملايين مسلم كلهم أطفال قاصرون يتحكم في مصالحهم الأوصياء والقضاة وليس فيهم رجل رشيد."<sup>(1)</sup>\*

تعدّد التشبيه في هذه الفقرة حيث كشف مدى احتقار الأحزاب الفرنسية لوطن كبير بحجم الجزائر كأنه موات، واحتقارها لأهله كأنه فقد الحياة كالأموات، واحتقار ثالث لتسعة ملايين مسلم كأنهم قصر وتفصيل وجه الشبه جاء ترتيبيا (يتحكم في مصالحهم الأوصياء والقضاة وليس فيهم رجل رشيد).

وقد استعان الإبراهيمي في هذه الصورة التشبيهية بأداة التشبيه (كأن) التي تحمل إلى جانب دورها المتمثل في الربط اللفظي بين المشبه والمشبه به معنى التخيل، فلها من القوة ما يكفيها ليجعل التشبيه بها أسمى درجة من التشبيه بالكاف.<sup>(2)</sup>

ومما كسر رتبة القاعدة المعروفة في التشبيه توظيفه للأداة (كأن) فيأتي السياق كالتالي:

(الأداة + المشبه + المشبه به + وجه الشبه "الوجه الجامع").

3-4 وفي كتابه المفتوح إلى رئيس الجمهورية الفرنسية فينسنت أوريول (Vincent Auriol)

(27 أوت 1884-1 جانفي 1966م) يقول الإبراهيمي له: "إن الشعب الجزائري لا ينتفع بنتائج شيء لا رأي له في مقدماته، وإن الدستور الجزائري على نقصه واختلاله لم يكن للأمة فيه رأي، فكيف يجني منه ثمرة؟ أو ينتفع منه بنتيجة؟ وإن المجلس الذي انبثق منه ناقص بنقصه، مختل باختلاله، وقد

(1) الإبراهيمي: كتاب مفتوح إلى الأعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري، البصائر، ع 33. وآثار الإمام، ج 3، ص: 186.

(\*) ينظر، نص الرسالة كاملا في الملحق من هذا البحث، ص: 374.

(2) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص: 147.

جالت الأيدي في تكوينه، فجاء كالمولود سقطاً، ليس فيه شيء من خصائص الحياة، فكيف ترجى منه الحياة." (1)

في هذه الفقرة شبه الإبراهيمي الدستور (المشبه المحذوف) الذي أخاطته فرنسا على مقاسها للجزائر وللشعب الجزائري بالمولود السقط (المشبه به)، الذي (ليس فيه شيء من خصائص الحياة) وهو وجه الشبه، وأداة تشبيه متمثلة في حرف (الكاف). والإتيان بالمولود السقط كمشبه به هو أفضل ردّ على فرنسا في دستورها المقترح علينا، لأنّ السقط هو: "الجنينُ يسقطُ من بطن أمّه قبل تمامه، ذكراً كان أو أنثى" (2) لا حياة فيه، ومن لا حياة له ميّت، لا ينفع نفسه ولا ينتفع به غيره. فدستور المستعمر الفرنسي وُلد ميتاً وكيف لميّت أن يهب الحياة لأمة بحجم أمة الجزائر!؟

3-5 وفي رسالة التّعزية في حقّ صاحبه ابن باديس، الموسومة بعنوان (مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة) معدداً مزاياه، قائلاً: "وسلام على مشاهد كانت بوجوده مشهودة، وعلى معاهد كانت ظلال رعايته وتعهده عليها ممدودة، وعلى مساجد كانت بعلمه ومواعظه معمورة، وعلى مدارس كانت بفيضه الزّاهر، ونوره الزّاهر، مغمورة، وعلى جمعيات كان شملها بوجوده مجموعاً، وكان صوته الجهير كصوت الحقّ الشّهير، مدوّياً في جنباتها مسموعاً." (3)

شبه صوت صاحبه العلامة ابن باديس الجهير الذي صدح به على مختلف المنابر وفي مختلف المناسبات (بصوت الحقّ) وهو المشبه به، الذي لا يخشى في الله لومة لائم، مدوّياً في كلّ الأرجاء. فانثناء الإبراهيمي لهذا المشبه به (صوت الحقّ)، فيه دلالة على أنّ ابن باديس نذر نفسه لإعلاء كلمة الحقّ والدين دون خوف أو وجل، يجاهر به في الدّاخل والخارج، يجهر به في المحافل يُسمعه للجميع، لا يقف في طريقه شيء، ولا يصدّه الصّادون ولو أرادوا.

3-6 ويقول: "إنّ الديمقراطيّة عند حكومة الجزائر كصلاة المنافقين، لا تزكي نفساً، ولا تنهى عن فحشاء. وتفضلها صلاة المنافق بأنّ فيها من الصّلاة مظهر الصّلاة فإنّ الديمقراطيّة - عند الأمم التي تنتحلها وتزعمها لنفسها - تتجلّى في عدّة مجالي أرفعها الانتخاب، فهو عندهم العنوان الواضح للحريّة والبرهان اللّائح على إطلاق الإرادة، والميزان العادل لاختيار الشعب." (4)

وفي هذه الفقرة يشكّل الإبراهيمي هذه الصّورة التّشبيهيّة الرّائعة بتشبيهه (ديمقراطيّة) الحكومة الفرنسيّة في الجزائر، ب (صلاة المنافقين) وهو المشبه به، التي (لا تزكي نفساً، ولا تنهى عن فحشاء). و(الكاف)

(1) الإبراهيمي: كتاب مفتوح إلى رئيس الجمهورية الفرنسية، البصائر، العدد: 81، و آثار الإمام، ج3، ص: 93.

(2) معجم المعاني الجامع، مادة (س ق ط).

(3) الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، البصائر، العدد: 76. و آثار الإمام، ج2، ص: 55.

(4) الإبراهيمي: عادت لعتراها لميس، البصائر، العدد: 64، و آثار الإمام، ج3، ص: 343.

هو حرف التشبيه الذي ربط بين الركنين. فكما أنّ صلاة المنافقين لا تعود ثمارها على نفس صاحبها، ولا على غيره بشيء، فكذلك ديمقراطية فرنسا فيها من مظاهر النفاق ما لا يخفي على ذي لب، فهي تطبق على شعبها بحذافيرها؛ أمّا على الشعب الجزائري المكبل لا تعدو أن تكون شكليات وتنميقات وأراجيف وواجهات برّاقة تتمظهر بها أمام العالم، وهي تعلم أنّ حقيقة الأمر كصلاة المنافقين.

3-7 وفي الرسالة نفسها يقول البشير الإبراهيمي متحدّثاً عمّا يلاقه المعلّمون من قوّات الاستعمار الفرنسيّ: "وعادت لعتها لميس في هذه الأيام، وكانت عودتها هذه المرّة للمدارس العربيّة التي تديرها جمعيّة العلماء، فبعد أن سكنت عليها سنين، اتّسق فيها سيرها، وعاد إلى الأمّة خيرها، عادت عليها في هذه الأيام بالتّضيق والتّعسير، وأخرجت ما كان مخبوءاً في جعبتها من القوانين والقرارات، وألقت بها في أيدي القضاة وحرسة الأمن ليرهقوا ويغلقوا ويحاكموا، كأنّ التّعليم جريمة يترتّب عليها العقاب وكأنّ حبل الأمن اضطرب بسبب هذه المدارس ومعلّميها وأطفالها."<sup>(1)</sup>

لا يكاد سعار فرنسا ينتهي من قمع الجزائريين في شيء حتّى تلقى بسعارها على شيء آخر إذا أحسّت أنّه قد يعود بالفائدة عليهم، وهذه المرّة تفرّغت للمنظومة التّربويّة التي تديرها جمعيّة العلماء، فقد بدأت تكيل لها ولمعلّميها الولايات والتّضيبقات والمحاكمات الباطلة؛ وجنّدت لذلك رجالها وزبانيتهما ولتقريب هذه الصّورة جاء الإبراهيميّ بهذا التشبيه الجميل (كأنّ التّعليم جريمة يترتّب عليها العقاب، وكأنّ حبل الأمن اضطرب بسبب هذه المدارس ومعلّميها وأطفالها).

فعلى غير التّرتيب الأصليّ وظّف الإبراهيميّ الأداة (كأنّ) ليقرب صورة المشبّه (التّعليم) في نظر المستعمر الفرنسيّ على أنّه يشكّل (جريمة) وهو المشبّه به، يحاسب عليها القانون (ويترتّب عليها العقاب)، بل إنّ التّعليم الذي تحاربه قوّات فرنسا الغاشمة المحتلّة، بات خطراً كبيراً على أمن فرنسا وقواتها؛ لأنّه أصبح مضطرباً ومهتزّاً كما يهتزّ الحبل في أيدي اللّاعبين، وكلّ ذلك يستوجب العقاب - عندها - ولا بد!

3-8 ويقول كذلك: "ومن العجب أنّها مع هذا تنتحل صفات الأخرى وتدعيها وتفخر بها في العالمين؛ فهي كالجزّار يذكر الله ويذبح، ونحن لا نعرف لها تلك الصّفات."<sup>(2)</sup>

أفضل وصف لفرنسا المستعمرة (المشبّه)، أنّ شبّهها بالإبراهيميّ بالجزّار وهو (المشبّه به)، مستعينا في ذلك بحرف الكاف (أداة التشبيه). فادّعاء فرنسا الدّيمقراطيّة وتنظيم الانتخابات (الشفافة) وتقديم دستور على المقاس، كلّ ذلك مظهر من المظاهر الخداعة للضحك على الجزائريين، كالبسمة ينطق بها الجزّار

(1) الإبراهيميّ: عادت لعتها لميس، المرجع السابق، ص: 344.

(2) الإبراهيميّ: حدّثونا عن العدل فإننا نسيناه-3، آثار الإمام، ج3، ص: 370.

ثم يذبح الذبيحة من الوريد إلى الوريد، وقد اختار الإبراهيمي المشبه به (الجزائر) كصيغة مبالغة للدلالة على الوحشية التي تمارسها فرنسا مع الشعب الجزائري الأعزل، وتُظهر للعالم أنها تحسن صنعا بزيفها. وهي تقتل الأبرياء وتمزق الأجسام وتحرق الجلود وتقطع الرؤوس وتصادر الأموال وتهدم البيوت وتزهق الأرواح...!

3-9 و يقول أيضا: "وحسب الاستعمار (ديمقراطية) أن يحاكم معلّمي العربية والإسلام، ويسجنهم على التعليم كما يحاكم المجرمين ويسجنهم على الإجرام، في محكمة واحدة وسجن واحد، وظرف واحد وقد يكون يوم جمعة في الغالب. أليس هذا احتراما للإسلام، ومن مصلحته كما يقول العاصمي؟ أليس هذه هي الديمقراطية؟ فمالكم تكذبون؟ (...). ولا يفعل الاستعمار إلا هذا، لأن له مذهباً في المحافظة على الأمية لئلا تزول، كمذهب العلماء في المحافظة على الحيات السامة لئلا ينقطع نسلها."<sup>(1)</sup>

فيه تشبيه مفصل جميل حيث شبه الإبراهيمي تصرفات الاستعمار في محاكمته رجال التعليم (المشبه) بالمجرمين (المشبه به)، وربط بينهما في علة ذلك بالمحاكمة والسجن وهو (وجه الشبه)، وقد اختار الإبراهيمي للتعبير عن هذه المشابهة أداة التشبيه (كما) ليقرب الصورة من الذهن، ليعرف الرأي العام العالمي كله كيف يعامل الاستعمار الفرنسي أهل التعليم (الأبرياء) في الجزائر معاملة المجرمين تماماً كأنما تعليم الأطفال (الأبرياء) وتتوير عقولهم جريمة لا تغتفر!

كما أبدع الإبراهيمي كذلك في الإتيان بهذا التشبيه الرائع الذي يعري الاستعمار الفرنسي، ويكشف سواته أمام العالم في تطبيق منهجه الذي اتخذه مذهباً (المشبه) في المحافظة على داء (الأمية) العضال، تماماً كي يبقى إلى أبد الأبد، يتوارثه الجزائريون جيلاً بعد جيل، ليظلوا متخلفين جاهلين (كالبهائم)، حيث شبه مذهبهم كمذهب العلماء (المشبه به) في المحافظة على الحيات السامة (لئلا ينقطع نسلها) وهو (وجه الشبه) بينهما. فما أشبه مذهبهم بمذهبهم! وما أشبه محافظتهم على الأمية فينا بمحافظتهم على الحيات السامة في المختبرات التجريبية!

3-10 وفي رسالته إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني يعزیه في العلامة ابن باديس نجد التشبيه التالي: "إنّ الراحل أخي العزيز لم يكن لأحد دون أحد، بل كان كالشمس لجميع الناس."<sup>(2)</sup>

في معرض وصف العلامة ابن باديس - رحمه الله - جاءنا الإبراهيمي بهذا التشبيه الجميل (بل كان كالشمس لجميع الناس)، حيث شبه صاحبه الحميد عبد الحميد بن باديس (المشبه) بالشمس (المشبه به)، لما تنطوي عليه من دلالة النور والسطوع وإضاءة الكون على مدار الساعة، دون تمييز بين أجناس

(1) الإبراهيمي: عادت لعترها لميس، المرجع السابق، ص: 345.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني، آثار الإمام، ج2، ص: 37.

البشر وألوان البشرة أو بين الأعراق والأديان... فكذاك كان ابن باديس لجميع الناس (وجه الشبه) بتعليمه وتثويره وتوعيته وتربيته لكافة الناس، كل الناس، دون تمييز.

**3-11** وفي رسالة الإبراهيمي إلى الزاهري الطريقي يقول: "إنكم أصبحتم كأصنام البابليين التي قال فيها إبراهيم: ( رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ )"<sup>(1)</sup>

في هذا النص الأخير من رسالته إلى الزاهري الطريقي، نقرأ هذا التشبيه الذي جمع فيه الإبراهيمي بين الطريقيين (المشبه)، الذين شوّهوا الدين وقزمو شعائره، وحصروها في طقوس مختلفة من البدع والضلالات والخرافات، يحسبها الناس من الدين، وما هي من الدين، وما بين أصنام البابليين (المشبه به) التي صنعوها بأيديهم، ثم ركعوا لها وسجدوا، وقدموا لها القرابين وتعبّدوا، والجذع المشترك بين الطرفين "أضللن كثيرا من الناس" (وجه الشبه) ليبرهن الإبراهيمي على النتيجة التي توصل إليها الطريقيون مدعومين من الفرنسيين المستعمرين. أما الأداة التي اختارها الإبراهيمي للربط بين الركنين هو حرف (الكاف).

**ختاما:** ومما سبق يمكن القول: إن التشبيه المفصل / المرسل يعتمد على اكتمال أركان الصورة المؤدية إلى المباشرة، ولكن المبدع يكسر هذه الرتبة ويتمرد عليها باختراق الصورة والإتيان بأساليب أخرى. وقد لاحظنا من خلال الأمثلة السابقة أن التشبيه فيها قد استوفي جميع الأركان الأربعة (المشبه، المشبه به، أداة التشبيه، ووجه الشبه)، وهو ما يصطلح عليه البلاغيون التشبيه المرسل أو المفصل - كما سبق الذكر - وهي عناصر وردت على ترتيبها المشهور - غالبا - وأداة التشبيه تراوحت بين حرف (الكاف) و(كأن) و(كما).

**4- التشبيه المؤكّد:** هو التشبيه الذي غاب عنه أدواته، مثل باسم فهّد في السرعة. وهو من أنواع التشبيه المتحوّل عن قاعدة التشبيه المفصل، لاعتماده على حذف الأداة.<sup>(2)</sup> حيث يصير الركنان الأساسيان كأنهما ركن واحد، ولذلك (فالتشبيه عموما يفيد الغيرية ولا يفيد العينية، بمعنى: أن طرفي التشبيه لا يتداخلان ولا يتفاعلان، بل يظلّ هذا غير ذلك، وممايزا عنه).<sup>(3)</sup>

ومن أمثلة هذا النوع من التشبيه نقرأ قول الإبراهيمي في إحدى رسائل:

**4-1- يقول الإبراهيمي: "أيها الوطن الحبيب:**

(1) الإبراهيمي: إلى الزاهري، البصائر، العدد: 61. وأثار الإمام، ج3، ص: 560.

(2) أحمد مطلوب: فنون بلاغية، دار البحوث العلمية، الكويت، الطبعة الأولى، 1395هـ، 1975م. ص: 49.

(3) عبد الفتاح لاشين: الخصومات النقدية في صناعة أبي تمام، دار المعارف، القاهرة، (دط)، 1982، ص: 96.

أما الشوق إليك فحدث عنه ولا حرج، وأما فراقك فشدّة يعقبها الفرج، وأما الحديث عليك فأزهار  
تضوّع منها الأرح، وأما ما رفعت من ذكرك فسيء من دبّ ودرج، وأما الانصراف عنك فأرجاف بالغّي لم  
يجاوز صاحبه اللوى والمنعرج، وأما الأوبة فما زلت أسمع الواجب يهتف بي: أن يا بشير، إذا قضيت  
المناسك، فعجّل الأوبة إلى ناسك... وسلام عليك يوم لقيت من "عقبة" وصحبه برّاً، فكنت شامخاً  
مشمخراً، ويوم لقيت من "بيجو" وحزبه سرّاً، فسلمت مضطراً، وأمست عابساً مكفهراً، وللانتقام مسرّاً  
وسلام عليك يوم تصبح حرّاً، متهللاً مفترّاً، معترّاً بالله لا معترّاً".<sup>(1)</sup>

ففي معرض تأكّيده في تعامله مع الوطن الحبيب، كرّر الإبراهيمي تشبيهات عدّة في هذه الفقرة في قوله:  
وأما فراقك فشدّة يعقبها الفرج،

وأما الحديث عليك فأزهار تضوّع منها الأرح،

وأما الانصراف عنك فأرجاف بالغّي لم يجاوز صاحبه اللوى والمنعرج.

فقد شبّه (الفراق)، فراق الوطن، بـ( شدّة) حاذفا أداة التشبيه، آتياً بوجه الشبّه (يعقبها الفرج). وفي  
الجملة الثانية شبّه (الحديث) عن الوطن بـ(أزهار) واختار لها وجه شبه لائق هو (تضوّع منها الأرح).  
وأما في الثالثة فقد شبّه (الانصراف) عن الوطن بـ(إرجاف) بالغّي (لم يجاوز صاحبه اللوى والمنعرج)<sup>(\*)</sup>  
ففي كلّ جملة يذكر كلّ أركان التشبيه ماعدا الأداة إلى درجة يخيل للقارئ أنّ المشبّه والمشبّه به شيء  
واحد.

(1) الإبراهيمي: تحية غائب كالأيّيب، آثار الإمام، ج4، ص: 185.

(\*) الإرجاف: الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب. (والجمع): أراجيف. " (ينظر: المعجم الوسيط).

واللوى: ما التوى من الرمل، أو مُنْقَطَعُ الرمل. والجمع: ألواء. (ينظر: معجم المعاني الجامع).

## 2- الاستعارة في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

يقول ابن منظور في لسان العرب: أعرته الشيء أعيره وعارة... ويقال: استعرت منه عارية فأعارنيها، واستعاره ثوباً فأعاره إياه، ومنه قولهم: كير مستعار، واستعاره الشيء واستعاره منه: طلب منه أن يعيره إياه. (1)

والاستعارة في اللغة أيضاً، من الإعارة، وهي " مأخوذة من العارية، وهي نقل الشيء من حياة شخص إلى شخص آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه. (2)

أما في معجم " محيط المحيط" لبطرس البستاني "هي مشتقة من العرية، وهي العطية. وقيل سميت العارية لتعثرها عن العوض، وقبل أخذها من العار أو العري، وهي شرحاً تملك منفعة بلا بدل. (3) وعرفها عبد العزيز عتيق (1906 - 1976م) على أنها « رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر ويقال: استعار فلان سهماً من كنانة: رفع وحوّله منها إلى يده. (4)

ومن خلال هذه التعاريف اللغوية للاستعارة يتبين أنّ جميعها تدور حول معنى واحد، وهو التداول والمناولة، والأخذ، والعطاء، و الطلب.

فالاستعارة عند الجاحظ: " تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه. (5)

وعند السكاكي هي: " أن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد له الآخر مدّعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك، بإثبات للمشبه ما يخص المشبه به. (6)

وعند عبد القاهر الجرجاني (400-474هـ) هي: " تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به، فتعيره المشبه، وتعيره عليه، تريد أن تقول: رأيت أسدا... (7) ويقول الجرجاني أيضاً: " ومن سرّ هذا الباب أنك ترى اللفظة قد استعيرت في عدة مواضع، ثم ترى لها بعض ملاحظة لا تجدها في الباقي. (8)

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة (ع و ر).

(2) محمود السيد شيخون: الاستعارة وتطورها، دار الهداية للنشر والتوزيع، ط2، 1994، ص: 5.

(3) بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة بيروت، بيروت، (دط)، 1977، ص: 263.

(4) عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية - علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، (د ط)، ص: 167/2.

(5) الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص: 153.

(6) السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر: مفتاح العلوم، ص: 585.

(7) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 60 - 61.

(8) عبد القاهر الجرجاني: المرجع نفسه، ص: 68.

ويعرفها يوسف أبو العدوس على أنها: "ضرب من المجاز اللغوي، وهي تشبيه حذف أحد طرفيه أو هي انتقال كلمة من بيئة لغوية أخرى، وعلاقتها المشابهة دائماً." (1)

ويفهم من التعاريف السابقة أن التشبيه لا بدّ فيه من ذكر الركنين الأساسيين المتمثلين في (المشبه والمشبّه به) فإذا حذف أحد الركنين لا يعدّ تشبيهاً بل يصبح استعارة.

#### أركان الاستعارة: للاستعارة أركان ثلاثة:

1. المستعار منه، وهو المشبّه به.
2. المستعار له، وهو المشبّه، ويقال لهذين: (طرفا الاستعارة).
3. المستعار، وهو اللفظ المنقول. ففي (رأيت أسداً يرمي) المستعار منه: الحيوان المفترس والمستعار له: زيد، والمستعار: لفظ أسد.

#### من خصائص الاستعارة:

للاستعارة وقع رائع في الكلام؛ لأنها تمنحه قوةً، وتضفي عليه جمالا وتصويرا بديعا. وقد تعدّ التراكيب المشتمة على الاستعارات من أبلغ التراكيب وأبدعها، وأشدّها وقعاً في نفس المخاطب؛ لأنها تدفع بالمتلقّي إلى الإسهام في فكّ أجزائها والتبجّر في خيالها والتّمتع بحسنها ورونقها. خاصّة إذا تمكّن المبدع من توظيفها توظيفا مؤثّرا، يكون له وقع في النفس حيث ستساهم الاستعارة في توضيح الخطاب وتشخيصه وإضفاء مسحة من الجمال والألق.

ومن خصائص الاستعارة أيضا: أنها تحدث اهتزازا في بنية الجملة، حتّى تصبح العلاقة بين عناصرها تسبح في الخيال، بعيدا عن ميزان الواقع والحقيقة والمنطق، كأن يسند الفعل إلى ما ليس له في الحقيقة، أو تضاف الكلمة إلى ما لا صلة له بها... الخ، " لذلك استهجن بعض القدامى قول أبي نواس الذي جعل فيه للمال صوتا أبحّ (\*) أي: جعل الصّوت مضافا إلى المال، وهذا مخالف تماما للحقيقة، ومن خصائصها أيضا تحقيق الإيجاز، وتشكيل الدلالة المطلقة المبهمة التي تتيح لنا فرصة التأمّل والتأويل." (2)

فأيّ شيء أبعد استعارة من صوت المال؟ وكيف بحّ من الشكوى والصياح مع ما أنّ له صوتا حين يوزن أو يوضح. ولم يردّه أبو نواس فيما أقدر؛ لأنّ معناه لا يتركّب على لفظه إلاّ بعيداً. (3)

(1) يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، (ط1)، 2007، ص: 186.

(\*) ينظر، (العمدة، 1/ 270): فيه إشارة إلى قول ابن رشيق: "لو كان البعيد أحسن استعارة من القريب لما استهجنوا قول أبي نواس:

بَحَّ صَوْتُ الْمَالِ هَمًّا \* \* \* مِنْكَ يَشْكُو وَ يَصِيحُ

(2) حياة معاش: الأشكال الشعرية في ديوان الششتري - دراسة أسلوبية - أطروحة دكتوراه، إشراف: د/أحمد جاب الله، جامعة الحاج لخضر، باتنة/الجزائر، 2010-2011م، ص: 193.

(3) ابن رشيق أبو علي الحسن: العمدة، ج1، ص: 270.

## أنواع الاستعارة:

1- استعارة تصريحية: هي الاستعارة التي يصرح فيها القائل بلفظة المشبه به ويحذف المشبه كقول الشاعر إيليا أبي ماضي: " نسي الطين ساعة أنه طين حقيق، فصال تيهها وعريد، وكسى الخز جسمه فتباهى وحوى المال كيسه فتمرد".

فقد شبه الشاعر الإنسان بالطين ثم حذف المشبه (الإنسان) وذكر المشبه به (الطين) على سبيل الاستعارة التصريحية.

2- استعارة مكنية: وهي التي حذف فيها المشبه به (الركن الثاني) وبقيت صفة من صفاته ترمز إليه. كقوله تعالى: ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴾<sup>(1)</sup> فالاستعارة في "جناح الذل".

## تجليات الاستعارة في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

وظف الإبراهيمي في رسائله كثيرا من الاستعارات، وبخاصة المكنية منها، وبشكل قليل جدا الاستعارة التصريحية، وقد وقع الاختيار على نماذج منها، سنحاول الإشارة إليها فيما يلي:

## 1- الاستعارة التصريحية:

## -النموذج الأول:

يقول الإبراهيمي في رسالته المشهورة (مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة): " يا قبر، ماعهدنا قبلك رسا وارى شمسا، ولا مساحة، تكال بأصابع الراحة، ثم تلتهم فلكا دائرا وتحبس كوكبا سائرا."<sup>(2)</sup>

ففي هذه الفقرة القصيرة نجد الإبراهيمي قد شبه صاحبه عبد الحميد بن باديس (المشبه) بالشمس وبالفلك الدائر، وكذلك بالكوكب السائر، حيث حذف (المشبه)، وصرح (بالمشبه به) المتعدد، على سبيل الاستعارة التصريحية.

## -النموذج الثاني:

وفي رسالته إلى الزاهري الطريقي يقول: " فإن من الميسور أن نطفئ النار ذات الوقود، وليس من الممكن أن نطفئ الحقد من صدر الحقود، وهنيئا لك هذا الذوق اللطيف في أخذك بأحد بيتي ابن الرومي في الحقد، وهي قوله:

وَمَا الْحَقْدُ إِلَّا تَوَامُّ الشُّكْرِ فِي الْفَتَى \* \* \* وَيَعْضُ السَّجَايَا يَنْتَمِينَ إِلَى بَعْضِ

وتركك للبيت الثاني وهو قوله:

فَحَيْثُ تَرَى حِقْدًا عَلَى ذِي إِسَاءَةٍ \* \* \* فَتَمَّ تَرَى شُكْرًا عَلَى أَحْسَنِ الْقَرْضِ"<sup>(3)</sup>

(1) سورة الإسراء، الآية: 24.

(2) الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، آثار الإمام، ج2، ص: 57.

(3) الإبراهيمي: إلى الزاهري: البصائر، العدد: 61، وآثار الإمام، ج3، ص: 558.

هنا شبه الشيخ الإبراهيمي الحقد بالنار، حيث صرح بالمشبه به ( الحقد) وحذف (المشبه) المتمثل في ( النار) وترك شيئاً من لوازم الأخير ليدلّ عليه متمثلاً في الفعل المضارع (نطفئ) على سبيل الاستعارة التصريحية.

#### -النموذج الثالث:

وفي رسالة إلى "الأستاذ أحمد توفيق المدني" نجد استعارة جميلة ذكرها في الفقرة التالية: " فلهذا بعثت أعزبكم على فقد ذلك البحر الذي غاض، بعد أن فاض، ببقاء آثاره في الحياض، وأنهاره في الرياض." (1)

في هذه الفقرة نجد الإبراهيمي قد شبه العلامة ابن باديس - رحمه الله- وهو (المشبه) المحذوف بالبحر وهو (المشبه به) الذي صرح به، مبقياً على شيء من لوازمه (الذي غاض، بعد أن فاض، ببقاء آثاره في الحياض، وأنهاره في الرياض) على سبيل الاستعارة التصريحية.

#### -النموذج الرابع:

أما في الرسالة التي دارت بين الشيخ الإبراهيمي والشاعر محمد العيد آل خليفة (شاعر الجزائر) بعد أن نشر الأخير قصيدة تحمل معاني اليأس والبؤس والإحباط؛ بسبب ضائقة نفسية ألمت به، وقد نشرت تلك القصيدة تحت عنوان ( زفرات ) (\*) في مجلة الشهاب، فلما قرأها الشيخ الإبراهيمي كتب رسالة إلى الشاعر، ومن بين ما قال له: " قرأت زفراتك هذه الساعة في الشهاب- يقصد مجلة الشهاب التي كانت تصدرها جمعية العلماء الجزائريين - وأنا طريح الفراش، أعالج زكاماً مستعصياً ونزلة شعبية وسعالاً مزمناً وأولاداً يطلبون القوت أربع مرات في اليوم، وتلاميذ يطلبون الدرس سبع مرات في اليوم والليلية." (2)

حيث شبه الإبراهيمي الأبيات الشعرية التي كتبها الشاعر بالزفرات، فصرح بالمشبه به ( الزفرات) وحذف المشبه ( الأبيات)، وأبقى على شيء من لوازم هذا الأخير (قرأت) على سبيل الاستعارة التصريحية.

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني، آثار الإمام، ج2، ص: 37.

(\*) والزفرات من الزفر: والزفير: أن يملأ الرجل صدره غمًا ثم هو يزفر به، والشهيق النفس ثم يزمي به. ابن سيده: زفر يزفر زفرًا وزفيرًا أخرج نفسه بعد مدّه. (ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة " ز ف ر").

(2) الإبراهيمي: بين عالم وشاعر، مجلة الشهاب، ماي 1936، ص: 74. وآثار الإمام، ج1، ص: 227-228.

## -النموذج الخامس:

وفي رسالته الحزينة (دمعة على المنصف) نجد سلسلة من الاستعارات متتالية حيث يقول في إحدى فقراتها: "يعزّ على هذا القلم الذي براه الباري لينضح العسل المصفى للمقسطين، و(ينطف الصاب) (\*) والحنظل للقاسطين، ويرسل الحُم مدرارا على المستعمرين." (1)

فأما الاستعارة الأولى فقد شبه الكلمات الطيبة الجميلة بالعسل المصفى لينضح على المقسطين، فقد صرّح بالعسل وهو (المشبه به)، وحذف الكلمات وهي (المشبه) وترك شيئا من لوازمه وهو (النضح) على سبيل الاستعارة التصريحية.

كما شبه كلماته بالصاب والحنظل ينطفها للقاسطين، فقد صرّح بالمشبه به (الصاب والحنظل) وحذف المشبه (الكلام)، ورمز إليه بما يلزمه (ينطف) على سبيل الاستعارة التصريحية.

وفي نهاية الفقرة شبه كلامه الذي يرسله للقاسطين بالحمم، حيث ذكر المشبه به وهو (الحمم) وتم حذف المشبه وهو (الكلام)، وأبقى على شيء من لوازمه (يرسل) على سبيل الاستعارة التصريحية.

أما القاسط فهو الجائر الظالم يقال: قسط يقسط قسطاً فهو قاسط إذا جار وظلم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (2). يعني الظالمين الجائرين المعتدين المتعدّين لحدود الله وهم الذين توعدّهم الله بأن يكونوا حطبا لجهنّم.

وأما المقسطنون بضم الميم: من أقسطوا. من الرّياعي فهؤلاء هم: أهل العدل الموقفون المهديون الذين يعدلون في حكمهم وفي أهليهم وفيهم ولأهم الله عليهم، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (3). يعني: يحبّ أهل العدل والاستقامة والإنصاف. ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "المقسطون على منابر من نور يوم القيامة الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا." (4)

## 2- الاستعارة المكنية:

## -النموذج الأول:

يقول الإبراهيمي وهو يتحدّث عن مآثر الشيخ عبد الحميد بن باديس: "وسلام على شيخه الذي غدّى وربّى، وأجاب داعي العلم فيه ولبيّ، وآثر في توجيهه خير الإسلام، فقلّد الإسلام منه صارماً

(\*) جاء في معجم المعاني الجامع: نطف ينطف، نطفا ونطوفا ونطفانا ونطافا، فهو ناطف، والمفعول منطوف (للمتعدّي). نطف الماء: قطر، سال قليلا قليلا نطفت القرية - إناء ناطف - جاء ينطف عرقا وسيفه ينطف دما. نطف الماء: صبّه، نطفه بعب: سبّه، قذفه به ولطّخه. - الصّاب: شجر مرّ، عصارة شجر الصّاب.

(1) الإبراهيمي: دمعة على المنصف، آثار الإمام، ج3، ص: 556.

(2) سورة الجنّ، الآية: 5.

(3) سورة الممتحنة، الآية: 8.

(4) عبد العزيز بن باز: مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز، تح: محمد بن سعد الشويعر، دار القاسم للنشر، الرياض، 1420، (6/ 452).

عضبًا، وفجر منه للمسلمين معينًا عذبًا، فلئن ضايقته الأيام في حدود عمره، فقد أبقّت له منه الصّيت العريض، والدّكر المستفيض، ولئن سلّبتة الحلية الفانية، فقد ألبسته من مآثر حلّ التّاريخ الضّافية ولئن أذاقته مرارة فقده، فقد متّعته بقلوب أمة كاملة من بعده، ولئن حرّمته لذّة ساعات معدودة، فقد أسعدته به سعادة غير محدودة.<sup>(1)</sup>

ففي هذه الفقرة شبّه الإبراهيميّ الأيام وهي (المشبّه) بالإنسان وهو (المشبّه به) حيث حذف هذا الأخير، وأبقى على شيء من لوازمه المتعدّدة وهي: (ضايقته، أبقّت له، سلّبتة، ألبسته، أذاقته، متّعته حرّمته، أسعدته)، على سبيل الاستعارة المكنيّة.

#### - النموذج الثاني:

ويقول كذلك متحدّثًا عن علماء جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين: "ثم عمّم التّحية إلى كلّ من تديرّ الجزائر من إخوان الصّدق، وأحلاف الحقّ: من علماء جلاهم الإسلام سيوفا، وبراهم سهامها وقومهم رماحا، ثمّ وحدّتهم العقيدة على غاية، وجمعهم الحقّ لها على بساط، وألف بينهم الجهاد في ميدان، فاجتمعت قلوبهم على هداية بها، وألسنتهم على دعاية إليها، وأيديهم على بناء ومن أنصار كانوا للدّعوة السلفيّة الإصلاحية خزرجهما وأوسها، وكانوا للنّهضة الجزائرية عمادها وأسسها، وكانوا الأحجار الأولى لبناء الجزائر الجديد، والكتائب المبكّرة لإحياء مجد العرب بعزّ الإسلام."<sup>(2)</sup>

حيث شبّه الإسلام بالإنسان، حيث ذكر المشبّه (الإسلام)، وحذف المشبّه به (الإنسان) وأشار إلى شيء من لوازمه (تجلّية السيوف)، (بري السّهام)، و (تقويم الرّماح) على سبيل الاستعارة المكنيّة.

#### - النموذج الثالث:

ويقول أيضا: "كان يسعنا هذا، وكان مما ركب في طباعنا هذا، ولأجله سكتنا على تحرّشكم المستمرّ سنوات، وفي استطاعتنا أن نسكت سنوات أخرى لو أنّكم اقتصرتم على السّبّ والكذب اللّذين يهدّمان صاحبهما قبل أن يهدّم بهما النّاس، ولكنكم أقمتم لنا الدلائل من أقوالكم وأعمالكم على أنّكم تحاربون العلم والدين بسبب العلماء، وتحاربون التّعليم بإفساد المعلّمين، وأنّكم تصدّرون في ذلك عن عمد وإصرار. وأنّ لكم خطّة مرسومة في الاستيلاء على جميع المشاريع بقصد إفسادها وتعطيلها لأنكم لا تحسنون تسييرها. كلّ ذلك ليخلو لكم وجه الأمة، وتحلو لكم أموالها، وإنّ هذه المقاصد منكم لم تبقّ خافيةً حتّى على الصّبيان."<sup>(3)</sup>

(1) الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لنواعي الضرورة، آثار الإمام، ج2، ص: 55.

(2) الإبراهيمي: تحية غائب كالآيب، آثار الإمام، ج4، ص: 182.

(3) الإبراهيمي: إلى الزاهري، آثار الإمام، ج3، ص: 560.

في هذه الفقرة استعار الإبراهيمي جملة من التشبيهات شكّلت استعارات زادت المعنى عمقا وتصويرا وخيالا ورونقا. فقد أتى بالمشبه (السب والكذب) وشبههما برجلين مهذّمين (المشبه به) المحذوف، تاركا بعضا من لوازمهما وهو (الهدم) على سبيل الاستعارة المكنية.

أما في الشق الآخر من الفقرة نجد الإبراهيمي يأتي بـ (العلم والدين والتعليم) وهو (المشبه) وبشبهها بأعداء ألداء، وهو (المشبه به) الذي قام بحذفه، و يقوم الطرقيون في كل مرة بمحاربتها، ودلّ على ذلك بالإشارة إلى شيء من لوازمهم ممثلا في الفعل المضارع (تحاربون) بسبب العلماء حيناً، وبإفساد المعلمين حيناً آخر على سبيل الاستعارة المكنية.

#### -النموذج الرابع:

وفي رسالة إلى الأستاذ إبراهيم الكتّاني يقول: " حاولت أن أنظم تاريخ الإسلام - وأنا في المنفى - وهيات لي خواطري ملحمة تبلغ عشرات الألوف من الأبيات، وقد رضت القوافي في عدة وقائع شهيرة كبدر واليرموك والقادسية في أول الإسلام و الأرك<sup>(\*)</sup> والعقاب بالأندلس، ونظمت في دخول الإسلام إلى إفريقية وبناء القيروان وموت عقبة ووصف مرابطة الثغور وفي طارق وموسى وطريف عدة فصول أبلغها وصف في جبل طارق لمحت فيه إلى الأحداث التاريخية التي كان سبباً فيها، ولكن القريحة<sup>(\*)</sup> جمدت من عيد الفطر فلم أصنع بيتاً واحداً." (1)

تظهر الاستعارة في (القريحة جمدت)، فقد شبه القريحة بشيء قابل للتجميد، حيث ذكر المشبه (القريحة)، وحذف المشبه به ( الشيء القابل للتجمد) وأبقى على شيء من لوازمه ألا وهو (التجميد)، على سبيل الاستعارة المكنية.

#### -النموذج الخامس:

وفي الفقرة ذاتها نجده قد شبه البيت الشعري بشيء قابل للصنع، إذ ذكر المشبه ( بيتا) وحذف المشبه به ( الشيء المصنوع) وأبقى على شيء من لوازمه (أصنع) على سبيل الاستعارة المكنية.

(\*) معركة الأرك: هي معركة وقعت في 18 يوليو 1195 بين قوات الموحدين بقيادة السلطان أبو يوسف يعقوب المنصور وقوات ملك قشتالة ألفونسو الثامن. كان للمعركة دور كبير في توطيد حكم الموحدين في الأندلس وتوسيع رقعة بلادهم فيها. وقد اضطر ألفونسو بعدها لطلب الهدنة من السلطان الموحد أبي يوسف المنصور. (ينظر، محمد عبد الرحمن: معركة الأرك.. عندما هزم المسلمون في الأندلس مملكة قشتالة ما الذي حدث؟ اليوم السابع، الأحد، 18 يولييه 2021 02:47 م (www.youm7.com).

(\*) القريحة: " الجمع: قريحات و قرائح. القريحة: ملكة يستطيع بها ابتداء الكلام وإبداء الرأي. (ينظر: معجم المعاني الجامع، مادة ( قريحة).

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ إبراهيم الكتّاني، آثار الإمام، ج2، ص: 150.

## -النموذج السادس:

وفي الرسالة عينها- أيضا- نجد الاستعارة الجميلة التالية في قول الإبراهيمي: "وهيأت لي خواطري<sup>(1)</sup> ملحمة تبلغ عشرات الألوف من الأبيات، وقد رضت القوافي في عدة وقائع شهيرة كبدر واليرموك والقادسية..."<sup>(2)</sup>

فقد شبه الإبراهيمي الخواطر بامرأة، حيث ذكر المشبه (الخواطر) وحذف المشبه به (المرأة) ورمز إليه بشيء من لوازمه (هيأت) إذ أسند الفعل (هيأ) إلى الخواطر، فتحول الفعل من معناه الحقيقي المؤلف إلى معنى مجازي منزاح على سبيل الاستعارة المكنية.

## -النموذج السابع:

وفي رسالته إلى تلميذه الشاعر محمد العيد آل خليفة ورد قوله: "طالما قرأت في وجهك الشاحب آيات الحزن، وتلمحت في قسماتك دلائل الهم والأسى..."<sup>(3)</sup>

حيث شبه الإبراهيمي الوجه بالكتاب، فذكر المشبه (الوجه) وحذف المشبه به وهو (الكتاب)، مع الإبقاء على شيء لوازم هذا الأخير (قرأت) على سبيل الاستعارة المكنية.

## -النموذج الثامن:

ويقول أيضا: "إن الاحتقار هو الأساس الخلقى الذي وضع عليه الاستعمار قواعده، وبنى عليه قوانينه، وإن ملكة الاحتقار هي الغاية في العالم الاستعماري، ينتهي إليها عالمه، وحاكمه، ومشرعه ومنفذه، ولكنه بعد أن تراءى العيانان، عيان الفاعل وعيان القابل، لم يجد فينا قابلية الاحتقار، أباهنا لنا عرق في الإباء أصيل، وإرث من "محمد" أثيل، فانقلب ذلك الاحتقار على مر الزمن حقدًا يصهر الجوانح<sup>(4)</sup>، وتحول بفعل الأحداث بغيضا يأكل الأكباد، وكل ما يراه الرائي ويسمعه السامع من البلاء النازل علينا فذلك مصدره، وهذا مورده."<sup>(5)</sup>

انطوت هذه الفقرة على جملة من الاستعارات يمكن بسطها فيما يلي:

(1) جاء في (معجم اللغة العربية المعاصرة) خاطرة: [مفرد]: جمعه خاطرات وخواطر: خاطر، هاجس، ما يرد على البال من رأي أو معنى أو فكر خطرت لي خاطرة بهذه المناسبة.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ إبراهيم الكتاني، المرجع السابق، ص: 150.

(3) الإبراهيمي: بين عالم وشاعر، آثار الإمام، ج1، ص: 355.

(4) جاء في (معجم المعاني الجامع): صهر المعدن بالنار: أذاب- صهر الشحم، ﴿يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾. صهر الحر الشخص: حمي عليه واشتد: صهرته الشمس.

والجوانح: جانحة [مفرد]: ج جانحات وجوانح: مؤنث جانح: ضلع قصيرة مما يلي الصدر وهي ست: ثلاث عن يمينك وثلاث عن شمالك " ملأت السكينة جوانحه". بين جوانحه/ في جوانحه: في قلبه أو أعماقه.

والحقد في اللغة كما عند ابن منظور: "الحقد إمساك العداوة في القلب والتربص لفرصتها".

واصطلاحاً: طلب الانتقام وتحقيقه. وقيل: هو سوء الظن في القلب على الخلاق لأجل العداوة.

(5) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه، البصائر، العدد: 119.

ففي السطر الأول نجد الإبراهيمي قد شبه الاحتقار بأرضية صلبة يبني عليها الاستعمار قواعده وقوانينه، فقد ذكر المشبه (الاحتقار)، وحذف المشبه به (الأرضية) وترك شيئاً من لوازمه (وضع القواعد بناء القوانين) على سبيل الاستعارة المكنية.

### النموذج التاسع:

قوله: "فانقلب ذلك الاحتقار على مَرِّ الزَّمنِ حَقْدًا يصهرُ الجوانح" في هذه الجملة تشبيهه بديع بين الحقد والنَّار؛ حيث ذكر الإبراهيمي الحقد وهو (المشبه)، وحذف النَّار وهي (المشبه به)، وترك شيئاً من لوازمها ألا وهو الفعل (يصهر) على سبيل الاستعارة المكنية.

وفي آخر الفقرة ذكر الإبراهيمي هذه الجملة (وتحوّل بفعل الأحداث بُغضًا يأكل الأكباد)، فقد شبهه البغض (المشبه)، واستعار الحيوان المفترس للبغض (المشبه به)، ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (يأكل الأكباد) على طريق الاستعارة بالكناية.

وفي موضع آخر يقول عن أصحاب "الزرد" والبدع والضلالات: "فإن آلمهم كلامنا هذا فليخبرنا فقيهم عن حكم الله في كل ما يقع في" وعدة عابد.<sup>(1)</sup>

ففي هذه الجملة يشبه الإبراهيمي الكلام (وهو المشبه) بألة حادة وهو (المشبه به) المحذوف، وقد أبقى في الجملة على لازمة من لوازمه (آلمهم) على سبيل الاستعارة المكنية.

### 3- الكناية (Metonymy) في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

الكناية لغة: جاء في القاموس المحيط لفيروز أبادي: "الكناية مصدر لفعل (كنيت) أو كنوت). نقول: كنيت بكذا عن كذا... تكلمت بما يستدلّ عليه، أو تكلمت بشيء أردت غيره."<sup>(2)</sup>

الكناية اصطلاحاً: جاء في المعجم الأدبي: "الكناية لفظ يراد به ما يستلزمه ذلك اللفظ ويستنتج منه، مع جواز إرادة المعنى الظاهر نفسه."<sup>(3)</sup>

### الكناية في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

انطوت رسائل العلامة الإبراهيمي على الكناية بمختلف أنواعها، بين الكناية عن صفة، والكناية عن الموصوف، وبشكل أقلّ الكناية عن نسبة، وسنحاول دراسة بعض هذه الكنايات بما يسمح به حجم البحث.

(1) الإبراهيمي: عادت لعتها ليس، آثار الإمام، ج3، ص: 343.

(2) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، مادة (ك ن ا).

(3) جَبور عيد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان، الطبعة الثانية، 1984، ص: 223.

## 1- الكناية عن الصفة:

1-1 يقول الإبراهيمي في رسالته التي خاطب فيها الجزائر: "لن أنسى- يا أم- أنك كنت لي ماخطة الغرس، وماشطة العرس(\*)، فلا تنسي أنني كنت لك من عهد التّمائم إلى عهد العمائم، ما شغلت عنك إلا بك، ولا خرجت منك إلا عائداً إليك، لا تنسي أنني ما زلت ألقى الأذى فيك لذيذاً، والعذاب في سبيلك عذباً، والنّصب في خدمتك راحة، والعقوق من بعض بنيك برّاً، والحياة في العمل لك سعادة، والموت في سبيلك شهادة." (1)

أراد المؤلف التعبير عن الفترة التي قضّاها في الجزائر، ومدى ارتباطه بوطنه في مرحلتين من عمره، منذ ولادته إلى زواجه (عزّ شبابيه) فكّتي عن ذلك بقوله (ماخطة الغرس، وماشطة العرس). وعندما أراد أن يكتي عن صفة تكريس حياته كاملة لوطنه من الطفولة المليئة بمظاهر الشّعوزة (عهد التّمائم)، إلى مرحلة الشّيوخة المفعمة بالأصالة والشّهامة والعلم (عهد العمائم). استخدم عبارة (فلا تنسي أنني كنت لك من عهد التّمائم إلى عهد العمائم).

1-2 وفي الرّسالة نفسها أيضا يقول: "خطّت الأقدار في صحيفتي أن أفتح عيني عليك وأنت موثقة فهل في غيب الأقدار أن أغمض عيني فيك وأنت مطلقة؟ وكتبت الأقدار عليّ أن لا أملك من أرضك شبرا، فهل تكتب لي أن أحوز في ثراك قبرا؟" (2)

قوله: (خطّت الأقدار، غيب الأقدار، وكتبت الأقدار) فيه إشارة إلى علم الله الذي سبق وقضائه وقدره في الماضي وما سيكون في مستقبل الأيام.

(أن أفتح عيني) كناية عن مرحلة مولده التي بدأ يدرك فيها الأشياء فوجد الجزائر مستعمرة ومقيّدة فكّتي عن ذلك بقوله (وأنت موثقة).

وعندما أراد التعبير عن أمنيته في أن تصبح الجزائر حرّة مستقلّة قبل موته كّتي عن ذلك بقوله (أن أغمض عيني فيك وأنت مطلقة).

(\*) جاء في لسان العرب: "مخط: مخطه يخطه مخطاً أي: نزعاً ومدّه.

والمأخط: الذي ينزع الجلدة الرقيقة عن وجه الحوار. ويقال: هذه ناقة إنما مخطها بنو فلان أي نبتت عندهم، وأصل ذلك أن الحوار إذا فارق الناقة مسح الناتج عن غرسه وما على أنفه من السابياء، فذلك المخط، ثم قيل للناتج مأخط، وقال ذو الرمة:

وائم القنود على عيرانة حرج \*\*\* مهريّة، مخطتها غرسها العيد

(1) الإبراهيمي: تحية غائب كالآيب، آثار الإمام، ج4، ص: 183.

(2) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 183.

1-3 وفي رسالته إلى الطلبة الجزائريين بالخارج خاطبهم قائلاً: "وإنكم يا أبناءنا فارقتم أهل وفيهم الآباء والأمهات، وفارقتم الديار التي خلعتكم فيها النّمام<sup>(1)</sup>، وفارقتم الوطن الذي له على كل حر كريم دين! وفاؤه الحُبّ، وكفاؤه النّفع والجميل، وما هوّن فراقكم على آبائكم وهوّن فراقهم عليكم إلاّ الآمال اللّائحة لكم ولهم في مستقبلكم، ولما تعودون به من علم يصحبه فخر، وحسن ذكر، وطيب أحوال<sup>(2)</sup>." (2)

لقد كان صغار الجزائريين في المرحلة ما قبل الاستقلال وبعده تزيّنهم النّمام، ملوّنة بخرق خضراء أو بيضاء؛ تُربط فيها موسى صغيرة أو مشبكا نحاسياً أو خاتماً ذهبياً أو فضياً أو قطعة رصاص صغيرة أو رزمة صغيرة جدّاً بها ملح السّابع والعشرين من رمضان... كلّ هذا يقوم بتحضير - عادة - (الطالب<sup>(\*)</sup>) تعلق في الأعناق، تتدلّى على صدور الأطفال الصّغار، وعندما يكبرون شيئاً ما يخفونها وراء ظهورهم، وما إن يشدّد عودهم حتّى يبادرون إلى نزعها وخلعها نهائياً بعد أن يعلموا أنّها لا تنفع ولا تضرّ وأنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلّم - قد نهى عن ذلك، وقال في شأنها: "من تعلق تميمة فلا أتمّ الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له." (3)

وقد كتّى الإبراهيمي عن الديار، ديار الآباء والأجداد التي ولد فيها الطلبة الجزائريون وترّبوا فيها وقضوا فيها مرحلة الطفولة والمراهقة (الديار التي خلعتكم فيها النّمام).

1-4 وفي كتابه المفتوح إلى رئيس الجمهورية الفرنسيّة يومها فينسنت أوريول (Vincent Auriol) (27 أوت 1884-1 جانفي 1966م) متحدّثاً عن التّعليم في الجزائر وفي الوطن العربيّ يقول له: "والتّعليم العربيّ في هذا الوطن العربيّ جريمة يعاقب مرتكبها بما يعاقب به المجرم من تعذيب، وتغريب وسجن ومدارسه تعاني من التّضييق والتّعطيل ألواناً متجدّدة، ورجاله عرضة في كلّ حين للمحاكمات في المحاكم الجمهوريّة التي تتسم بوسمكم، والمحاكمات على التّعليم جارية على قدّم وساق في هذه الأيام، التي تسبق زيارتكم، كأنّها إعداد لها، وابتهاج بها..." (4)

كتّى بقوله (والمحاكمات على التّعليم جارية على قدّم وساق في هذه الأيام). عن إجراءات المحاكمة للمعلّمين الجزائريين على أنّها تقام بكلّ قوّة، وبالطّاقة الكاملة، وبأقصى نشاط لتصدر الأحكام بسرعة وبحركة متزايدة ومستمرة.

(1) التّميمة : " خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقوّن بها العين في زعمهم." (ينظر، زيدان عبد الفتاح قعدان: المعجم الإسلامي، ج1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 1999، ص: 189).

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل العلم، البصائر، العدد 9، و آثار الإمام، ج3، ص: 201.

(\*) الطالب (بفتح اللّام): مصطلح شعبيّ كان يطلق على معلّم القرآن الكريم، في الكتاب الذي يكون عادة في كلّ حيّ أو نهج، وهو المخول بكتابة النّمام والحروز... (مستفاد من الثقافة الشعبيّة).

(3) رواه أحمد ( 16951 )، والحديث ضعفه الشيخ الألباني في " ضعيف الجامع " ( 5703 ).

(4) الإبراهيمي: كتاب مفتوح إلى رئيس الجمهورية الفرنسيّة، البصائر، العدد 81، و آثار الإمام، ج3، ص: 92.

5-1 ويقول الإبراهيمي في رسالته التي وجهها إلى الشاعر محمد العيد آل خليفة: "قرأت زفرائك هذه الساعة في (الشهاب) وأنا طريح الفراش أعالج زكاما ونزلة شُعبية وسعالا مزمنًا، وأولادا يطلبون القوت أربع مرّات في اليوم. وتلاميذ يطلبون الدرس سبع مرّات في اليوم والليلة."<sup>(1)</sup>

كان الإبراهيمي يهتم بكل ما ينشر في صحف الجمعية، وقد أثار انتباهه قصيدة للشاعر الفحل محمد العيد آل خليفة، كان عنوانها (زفرائك)، فقرأها وفهم مغزاها. وفي رسالته إليه أخبره بأنه قرأ القصيدة لكنّه لم يذكرها بلفظها، بل عدل عن ذلك، وكتّى عنها كما عنوانها صاحبها، فقال: (قرأت زفرائك)، على الرّغم من مرضه الشّديد الذي أفعده، لم يصرّح به مباشرة، وكتّى عنه بقوله: (وأنا طريح الفراش).

6-1 وفي رسالته إلى شيخ الطّرقية يومها المسمّى الزّاهريّ الذي أعلن حربا شعواء على جمعية العلماء بكلّ الوسائل، يقول له: "فهل أمنتُم منّا أن نجاريكم فنخلع الحياء شهرا من السنة أو يوما من الشّهر أو ساعة من اليوم فنرميكم بأحجاركم."<sup>(2)</sup>

كتّى الإبراهيمي عن احتمال معاملة الزّاهريّ وأمثاله من الطّرفيين المنحرفين بالردّ عليهم بالمثل ومعاملتهم بالأسلوب نفسه فقال (فنرميكم بأحجاركم)، لكنّ الحياء الذي يسربل العلماء في كلّ مرّة يحول دون ذلك، لكن ليس في كلّ مرّة تسلم الجرّة.

7-1 ويقول الإبراهيمي في رسالة التّعزية في موت الشيخ أبي القاسم بن حلوش<sup>(\*)</sup>: "والشيخ أبو القاسم - رحمه الله - مُصلح بطبعه وتربيته، خُلِقَ في منبع من منابع البدع، وفتح عينيه عليها فأنكرتها فطرته السليمة، وتربيته القويمة من أوّل أمره، ونشأ على نفور منها وازدراء لأهلها. ولقي منهم تجريحا وأذى، ولقوا منه تسفيها وإنكارًا، وكان كلّ ذلك مزيدًا في رفعة شأنه."<sup>(3)</sup>

فقوله (خُلِقَ في منبع من منابع البدع) كتّى الإبراهيمي فيه عن البيئة التي ترعرع فيها الشيخ أبو القاسم بن حلوش، التي كانت مرتعا للبدع والضلّالات، كما كتّى عن معرفته بها منذ الصّبا بقوله (فتح عينيه عليها)، وهو الدليل على أنّ الأجواء التي نشأ فيها توجي بثيئته للانحراف وركوب مالا صحّة للدين به.

(1) الإبراهيمي: بين عالم و شاعر، آثار الإمام، ج1، ص: 227.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى الزاهري، البصائر، العدد: 61. و آثار الإمام، ج3، ص: 561.

(\*) أبو القاسم بن أحمد بن حلوش المستغانمي هو عالم وإمام جزائري، ولد سنة 1881 م بمستغانم، فتتلمذ على علماء وفقهاء عصره في مدينة مستغانم، اشتغل بالتدريس، ثم تصدّى للتدريس والوعظ والإرشاد في مسجده، توفي الشيخ أبو القاسم - رحمه الله - في 21 يناير 1949 م. (ينظر، أبو القاسم بن أحمد بن حلوش، الموسوعة الحرة).

(3) الإبراهيمي: رسالة " الشيخ أبو القاسم بن حلوش"، البصائر، العدد: 65، و آثار الإمام، ج2، ص: 282.

1-8 أما رسالته التي وجهها إلى فضيلة الشيخ (محمد نصيف) (\*) فجاء في بعض جملها هذه الفقرة: "أنا ذاكر لعهدكم في كل لحظة وشاكر لفضلكم وإن تراخى حبل المكاتبه بيننا، وأنا مشتاق إليكم شوقاً ليس له حد، ولو أن صحتي تساعدني على السفر لما أغببت زيارتكم كل هذا الإغراب خصوصاً بعد أن أصبح السفر في النقات (\*\*\*) في العقد كالتي سافرتكم فيها سفرتكم الأخيرة من القاهرة إلى جدة." (1) (\*\*\*)

فقد كتى بقوله (وإن تراخى حبل المكاتبه بيننا) عن صفة طول الانقطاع في التواصل التراسلي بينه وبين الشيخ محمد نصيف، على الرغم من تيسير سبل السفر وإتاحته في الطائرات النفاثة التي عدل عن ذكرها، وكتى عنها بعبارة (النقات في العقد)، والتي تناصها من الآية الكريمة (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ) (2).

1-9 ويقول الإبراهيمي في رسالته كتاب مفتوح إلى رئيس الجمهورية الفرنسية فينسنت أوريول (Vincent Auriol) (27 أوت 1884-1 جانفي 1966م): "يسوء الحقيقة أن تزوروا الجزائر زيارة تعدد من أعمالكم وتسجل في تاريخكم، وتشغل نقلة الأخبار ومستمعها أياماً، ويسيل فيها نهران من مال ومداد، وأنتم لم تروا الجزائر الحقيقية بما فيها من مأس وبلايا وجهل وفقر وظلم، وشعب كامل يتألم وطائفة قليلة تتحكم..." (3)

قوله (ويسيل فيها نهران من مال ومداد) فيه كناية عن صفة الإسراف في تبديد الأموال لتغطية زيارة الرئيس الفرنسي للجزائر، ومبالغة في إضفاء الصحافيين هالة كبرى في التغطية الصحفية لتلك الزيارة في الجرائد والمجلات والأخبار التفضية والإذاعية.

1-10 وفي رسالة إلى الأستاذ عبد العزيز الميمني، يقول الإبراهيمي: "والأمر الثاني: أن هذه العبارة ذكرتني بأن استعمال الورق بالكسر اسماً للمال منقول وإن لم يكن مشهوراً، وذكرت ذكراً غامضاً أن هذا مرّ بي، ولكنني نسيته لطول العهد وليس معي ما أراجعه؛ لأنني على جناح سفر، فإذا ثبت هذا

(\*) ولد الشيخ محمد نصيف بجدة في 18 رمضان 1302 هـ. بدأ بالقرآن حتى سن الحادية والعشرين، فحصل على عدد من الإجازات العلمية المختلفة، وقد كان يخص نفسه ببعض الوقت للنظر في المسائل العلمية التي تحتاج إلى تأمل وبحث ووقت لطلاب العلم إضافة لاهتمامه الخاص بنشر الكثير من الكتب السلفية التي كانت توزع بالمجان، كما كان له مجالس يحضرها كبار العلماء أمثال الشيخ ابن عثيمين والشيخ عبد الرحمن السعدي. توفي الخميس 6 جمادى الآخرة عام 1391 هـ / 1971م بمدينة الطائف، ثم نقل جثمانه إلى جدة، ودفن في مقبرة الأسد. (ينظر، الشيخ محمد نصيف، الموسوعة الحرة).

(\*\*) والنقات تعني: السواحر. قال مجاهد: (إذا رقيت ونفتن في العقد). ينظر، تفسير سورة الفلق، تفسير ابن كثير والطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن). (1) الإبراهيمي: رسالة إلى الشيخ محمد نصيف، كتاب محمد نصيف حياته وآثاره، تأليف: محمد بن أحمد سيد أحمد و عبده بن أحمد العلوي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، (د ط)، 1998، ص: 585.

(\*\*\*) ينظر، نص الرسالة كاملاً في الملحق، ص: 362.

(2) سورة الفلق، الآية: 4.

(3) الإبراهيمي: كتاب مفتوح إلى رئيس الجمهورية الفرنسية، المرجع السابق، ج3، ص: 91.

اغْتَفَرَ تَصْمِيمَكُمْ عَلَى الْكَسْرِ، وَلَمْ يُغْتَفَرَ تَصْمِيمَكُمْ عَلَى تَفْسِيرِهِ بِالْفِضَّةِ، وَعَلَى هَذَا الْإِحْتِمَالِ - إِنْ صَحَّ - فَلَنَقْرَأَ الْوَرِقَ فِي بَيْتِ سُحَيْمٍ بِالْكَسْرِ وَلِنَفْسِرَهُ بِالْمَالِ عَامَّةً؛ لِأَنَّ حِرْصَنَا لَيْسَ عَلَى اللَّفْظِ وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي يَشْرَفُ سَحِيمًا وَيُبَيِّضُ وَجْهَهُ."<sup>(1)</sup>(\*)

بعد أن أعاب بعضهم -وعلى رأسهم الأستاذ عبد العزيز الميمني- على الإبراهيمي قراءته (الورق) بفتح الزاء، في قول (سُحَيْمٍ) في أبياته النَّاصِعَاتِ الَّتِي يَأْتِي فِي مَقَدِّمَتِهَا:

أَشْعَارُ عَبْدِ بَنِي الْحَسَّاسِ فَمَنْ لَهُ \*\*\* يَوْمَ الْفَخَّارِ مَقَامَ الْأَصْلِ وَالْوَرِقِ  
إِنْ كُنْتُ عَبْدًا فَنَفْسِي حُرَّةٌ كَرَمًا \*\*\* أَوْ أَسْوَدَ اللَّوْنِ إِنِّي أَبْيَضُ الْخُلُقِ<sup>(2)</sup>

وفي معرض إصراره على صحّة شكل الزاء بالفتح في لفظ (الورق) أو بكسرها (الورق) في رأي من قال إنّها المال عموماً، وليست لفظاً للفضّة في شعر سُحَيْمٍ عبد بني الحساس لأنّ في ذلك تشريف له وإظهاره في صورة حسنة ترفع من شأنه كشاعر. وقد كتّى عن ذلك بقوله (ويبيّض وجهه)؛ ولأنّ وصف (الورق) بالفضّة فيه إهانته لسُحَيْمٍ كمكافأة له على شعره، فالفضّة هي أرذل أنواع المعادن التي يتعامل بها.

## 2- الكناية عن الموصوف:

2-1 يقول الإبراهيمي مخاطباً شيخ الطرقيين (الزاهري): "... وَإِذَا وُضِعَتِ الْأَعْمَالُ فِي كِفَّةٍ وَالْأَقْوَالُ فِي كِفَّةٍ، وَهَبَطَ الثَّقِيلُ، وَارْتَفَعَ الْخَفِيفُ، عَلَّلَ الْفَارِغُونَ أَنْفُسَهُمْ بِأَنَّ ارْتِفَاعَ الْفَارِغِ ارْتِفَاعٌ، وَقَدْ شَهِدَ النَّاسُ بِأَنَّهُ ارْتِفَاعٌ، وَكَفَى."<sup>(3)</sup>

ما زال الزاهري يمّني نفسه بارتفاع فراغه، لكنّ الإبراهيمي يصف أعمالهم بأنّها هباء، وأعمال الجمعية فيها النّفع والأجر، ولكّنه عدل عن التّصريح بذلك مباشرة وكتّى عن أعمال العلماء النّافعة بقوله (وهبط الثّقيل)، وكتّى عن أعمال الطرقيين القبوريين بقوله (وارتفع الخفيف)، كلّ ذلك بمعيار ميزان الله القسط.

2-2 وفي الرّسالة نفسها يخاطب الزاهري: " قَدْ كَانَ يَسْعَا أَيُّهَا الشَّيْخُ أَنْ نَعْمَرَ سَنَتَنَا بِالْأَعْمَالِ وَتَعْمَرُونَ سَنَتَكُمْ بِالْأَقْوَالِ، فَإِذَا جَاءَ رَأْسُ السَّنَةِ وَحَلَّ وَقْتُ الْحِصَادِ، قَلْنَا: هَذِهِ أَعْمَالُنَا، وَقَلْتُمْ: هَذِهِ أَقْوَالُنَا. وَعَرَضْنَا الْبِضَاعَتَيْنِ عَلَى الْأُمَّةِ لِنَنْظُرَ وَتَحْكَمَ أَيُّهُمَا أَزْكَى طَعَامًا وَأَعْظَمَ عَائِدَةً."<sup>(4)</sup>

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ عبد العزيز الميمني، آثار الإمام، ج4، ص: 387.

(\*) ينظر، نصّ الرسالة كاملاً في الملحق، ص: 389.

(2) سُحَيْمٌ عَبْدُ بَنِي الْحَسَّاسِ: ديوان سُحَيْمٍ، تحقيق: محمد فليح حسن الجبوري، الناشر: دار رند للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2011م.

(3) الإبراهيمي: إلى الزاهري، البصائر، العدد: 61. وآثار الإمام، ج3، ص: 560.

(4) الإبراهيمي: المرجع السابق، ص: 560.

بعد سنة كاملة من العمل تأتي مرحلة التّقييم والحصيلة، فالعلماء يحصون أعمالهم المقدّمة والقبور يّون يقدّمون حصيلة أقوالهم الممّوجة، وعلى الأّمّة سلطة إصدار الحكم على أعمال الفريقين، وقد كنى الإبراهيمي عن ذلك كلّه بقوله (فإذا جاء رأس السنّة وحلّ وقت الحصاد).

2-3 يقول الإبراهيمي في رسالته إلى الشّاعر محمّد العيد آل خليفة: "فقلت وهذه أخرى: إنّ ولدنا هذا لذو حقّ. وكتبت لك هذه الكلمات كما يكتب الأب الشّفيق، إلى ولده الرّفيق. وعسى أن يكون فيها ترويح لخاطرك." (1)

قوله (هذه الكلمات): كناية عن موصوف، يقصد بها الرّسالة، فهي الدّالة على الشّيء المكتوب.

2-4 ويقول العلّامة البشير الإبراهيمي في رسالة التّعزية في صديقه عبد الحميد بن باديس: "قولا لصاحب القبر عني: يا ساكن الضّريح، نجوى نضو طليح، صادرة عن جفن قريح، وخافق بين الضّلوع جريح." (2)

لقد بكى الإبراهيمي صاحبه بلغة التّجوى، فلم يخاطبه مباشرة، واستعان "بصاحبيّه" الموهومين على طريقة القدامى (قولا)، وكنى عنه بكونه موصوفا، بقوله (صاحب القبر)، وطلبا منها أن يبلّغاه نجواه الحارّة التي بكاه فيها بكاءً شديدا حتّى أصاب عينه القرح، لكنّه لم يصرّح بذلك، وكنى عنها ب (جفن) (3) قريح، بل هي نجوى من قلب خافق مجروح يهتّز في صدره الذي لمّا يستوعب الموقف بعد، وقد عدل الإبراهيمي عن ذكره مباشرة، وكنى عنه بقوله (وخافق بين الضّلوع جريح).

2-5 نقرأ في كتابه المفتوح إلى الأعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري قول الإبراهيمي مخاطبا إيّاهم: "اذكروا قبل كلّ شيء أنّ "الأصوات" التي وصلتم بها إلى هذه المقاعد هي أصوات إخوانكم المسلمين. تقولون إنّها جاءت عفواً من غير ظلم، وتقول الحقيقة إنّها كانت عدواً بغير علم. وليست أصوات اليهود والإسبان، والفرنسيين والطلّيان، فكلّ جنس ألزم طائرته في عنقه." (4)

بشكل أو بآخر صوّت الجزائريون المسلمون في انتخابات الإدارة الفرنسيّة، وأفرزت نوابا. هم ملزمون بخدمة إخوانكم الجزائريين؛ لأنّها أصواتهم رغم أنوفهم، وليست لأجناس أخرى، فكلّ جنس يتحمّل مسؤوليّة عمله، وقد عبّر الإبراهيمي عن هذا باختياره كناية جميلة في قوله (فكلّ جنس ألزم طائرته في

(1) الإبراهيمي: بين عالم و شاعر، الشهاب، ج3، ص: 135. وآثار الإمام، ج1، ص: 228.

(2) الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لنواعي الضرورة، آثار الإمام، ج2، ص: 57.

(3) جاء (في معجم المعاني): الجفّن: غطاء العين من أعلاها وأسفلها، وفي المثل: إنّه لشديد جفّن العين: يضرب لمن يصبر على السّهر.

(4) الإبراهيمي: كتاب مفتوح إلى الأعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري، المرجع السابق، ص: 186-187.

عقده). فطائره كناية عن العمل، حسنا أكان أم قبيحا، وهي مقتبسة من قوله تعالى ذكره ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَتَاهُ طَائِرَةٌ فِي عُنُقِهِ وَنُخِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾<sup>(1)</sup>

وقد ذهب إلى هذا الرأي ابن عباس و قتادة، ومجاهد والطبري وغيرهم.<sup>(2)</sup>

2-6 يقول الإبراهيمي في وصف فرنسا المستعمرة: "هذه هي فرنسا التي نعرفها، أو هذا هو الجانب الذي نعرفه من جوانب فرنسا، قلنا فيه ما نعرف، وشهدنا بما نعلم، فإن كان لها جانب غير الذي عرفناه، فسلوا عن العسل من ذاق طعمه، أما نحن فقد ذقنا الحنظل، فوصفنا الحنظل."<sup>(3)</sup>

فقد كنى الإبراهيمي في هذه الفقرة عن فرنسا الظاهرة التي يريد ساستها إبداءها للعالم بـ(العسل) بما تبديه من ديمقراطية وتحضر وثقافة وتطور وتسامح وجمال؛ أما فرنسا الأخرى التي عرفها الإبراهيمي وغيره من أبناء الجزائر، فقد ذاقوا منها الأمرين، والمعاملة القاسية، والاسعاب والسجون والنفي والتفجير والتجهيل والقتل... فكناها بـ (الحنظل)<sup>(\*)</sup>، وشتان شتان بين العسل المصقى ومذاقه؛ وبين الحنظل ومرارته!

3- الكناية عن نسبة: وهي كناية تتميز ببيان اختصاص الصفة بالموصوف وإثباتها له كما قال الجرجاني: "قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، وأن للاستعارة مزية وفضلا، وأن المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة."<sup>(4)</sup>

إثبات الصفة للشيء تثبتها له إذا لم تلقه إلى السامع صريحا، وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة، كان له من الفضل والمزية، ومن الحسن والرونق ما لا يقلّ قليله، ولا يجهل موضع الفضيلة فيه."<sup>(5)</sup> ولذلك يتخذها المبدع كأسلوب لإثبات الصفة للموصوف ونسبتها إليه عن طريق تحويلها من الشخص عينه إلى شيء من متعلقاته.

3-1 ففي رسالة الإبراهيمي إلى الطلبة الجزائريين بالخارج خاطبهم قائلا: "وإنكم يا أبناءنا فارقتم الأهل وفيهم الآباء والأمهات، وفارقتم الديار التي خلعتكم فيها التمانم، وفارقتم الوطن الذي له على كل حر كريم دين! وفاؤه الحب، وكفاؤه النفع والجميل، وما هون فراقكم على آبائكم، وهون فراقهم عليكم إلا

(1) سورة الإسراء، الآية: 13.

(2) ينظر، تفسير الطبري، سورة الإسراء، الآية 13، ص: 283.

(3) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه -3-، آثار الإمام، ج3، ص: 371.

(\*) الحنظل: من فصيلة القرعيات، نباته برّي يشبه ثمرة البطيخ، لونه بين الأخضر والأصفر، بداخله حبات مرة وسامة، يستعمل في الأدوية الطبية. حتى قيل: "أمر من الحنظل" (مثل): يضرب كناية عن المرارة. (ينظر، معجم المعاني الجامع، مادة "حنظل").

(4) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 127.

(5) عبد القاهر الجرجاني: المرجع السابق، ص: 395.

الآمال اللائحة لكم ولهم في مستقبلكم، ولما تعودون به من علمٍ يصحبه فخر، وحسن ذكر، وطيب أحوثة." (1)

فقد نسب إلى الوطن صفات جليلة مرتبطة بالدين المتعلق بعنق كل مواطن حرّ، وقد كنى عن ذلك بقوله (وفاؤه الحبّ، وكفاؤه النّفع).

وعن وصفه لما يهون الفراق، كنى عنه بنسب هذه الصفات (مستقبلكم، علم يصحبه فخر، وحسن ذكر، وطيب أحوثة).

3-2 أما في رسالة الإبراهيمي المشهورة (مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة) نقرأ فيها: "يا ساكن الصّريح، متّ فمات اللسان القول، والعزم الصّوال، والفكر الجوال، ومات الشّخص الذي كان يصطّرع حوله النّقد، ويتطّير عليه شرر الحقد." (2)

فقد كنى عن العلامة عبد الحميد بن باديس بقوله (ساكن الصّريح)، وهو الموصوف، وقد نسب إليه جملة من الصفات تميّزه عن غيره، وهي ما يحقّق كنايات نسبة ملخّصة في قوله (مات القول، الصّوال الجوال). ثمّ غير الكناية عنه فكناه ب (الشّخص)، وأضاف إليه صفتين أخريين كنى بهما عن الموصوف وهي (يصطّرع حوله النّقد، ويتطّير عليه شرر الحقد).

3-3 وفي رسالته المبكية (دمعة على المنصف) يقول: "يعزّ على هذا القلم الذي شدّ الحقّ أزره وسدّد المنطق رمايته، أن يموت المنصف غريباً، مظلوماً، مسلوب التّاج، فلا ينفث كلمة تبعث الشّجى وتثير الشّجن وتحلّ عقدة الرّواية." (3)

المعروف عن الإبراهيمي أنّه رجل مؤازر مؤازرة مطلقة للحقّ، موقّق دائماً في كتاباته، لكنّه عدل عن التّصريح بهذه الصفات، ( شدّ الحقّ، وسدّد المنطق)، ولم ينسبها لشخصه مباشرة، بل كنى عنها بالإشارة إليها، ونسبها للقلم الذي يكتب به، وذلك من خلال قوله: (أزره، ورمايته). كما كنى عن انتزاع الملك انتزاعاً من المنصف عنوة وبالقوة من خلال عبارة (مسلوب التّاج).

3-4 وفي رسالته البديعة (عادت لعزتها لميس) نقرأ قوله وهو يسرد حالة المعلّمين إبان الفترة الاستعماريّة: "بدأت دعوة المعلّمين إلى المحاكم نقرى(\*)، ونحن نقدّر أنّها ستعمّ، وإنّ أول المطر قطر...

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل العلم، البصائر، العدد: 9، وأثار الإمام، ج 3، ص: 201.

(2) الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، أثار الإمام، ج2، ص: 58.

(3) الإبراهيمي: دمعة على المنصف، البصائر، العدد: 49، وأثار الإمام، ج3، ص: 555.

(\*) جاء في (المعجم الوسيط) النقرى: الدعوة الخاصّة، يقال: إنّ المولمّ منّا لا يدعو النقرى.

وفي معجم الزائد "دعاهم النقرى" دعا بعضهم دون بعضهم الآخر، أي: دعوة خاصّة.

وإنّ الأحكام ستكون بالغرامة فالسجن، ولكننا سندخل هذه المحاكم برؤوس مرفوعة، وسنتلقى هذه الأحكام بنفوس مطمئنة بالإيمان، وسندخل السجون بأعين قريرة.<sup>(1)</sup>

نجد الإبراهيمي يضيف أوصافا على المعلمين والعلماء بشكل غير مباشر إذ نسبها إلى موصوفات متعلّقة بالفاعل (الضمير - نحن - في الفعل سندخل)، وقد كتى عنها في قوله (مرفوعة) عائدة على (رؤوس) الفاعلين، وكذلك الصفة (مطمئنة) على الموصوف (قلوب) وهي جميع تشكّل كناية عن نسبة.

3-5 وفي رسالته إلى التّواب المسلمين في البرلمان الفرنسي في الجزائر قال لهم: "ولو شئنا أن نلقنكم درسا مختصرا في معنى الشرف والرجولة لقلنا لكم: إنّه لا شرف في الوصول إلى ما وصلتكم إليه بمثل الوسائل التي وصلتكم بها، ولا رجولة لمن يرقص على الأشلاء والدّماء والسجن والتّغريم."<sup>(2)</sup>

لقد كان الإبراهيمي واضحا في خطابه للتّواب الجزائريين في البرلمان الفرنسي في الجزائر نافيا عنهم الرجولة لتبنيهم أسلوب الميكيفلية في الوصول إلى منصب النيابة، فكّتى عن موت الضمير وقسوة القلب وعدم إعطاء الاعتبار للشهداء والدّماء التي سالت ولا محن المغيبين في غياهب السجون أو المعدّبين ممّن أنقلت كاهلهم الغرامات الظّالمة. وقد لخص الإبراهيمي كلّ ذلك بقوله (ولا رجولة لمن يرقص على الأشلاء والدّماء والسجن والتّغريم).

3-6 وفي رسالة إلى تلميذه الأستاذ أحمد قصبية خاطبه قائلا: "لم تأت هذه الوصية عفواً ولكنني أرى من مجرى الأحوال والحوادث أنّ هذه اللّغة لا تزال في ليل مظلم مما تلقاه من حرب أعدائها وجفاء أبنائها، وأنّ ميدان العراك بينها وبين الحوادث لم يزل فسيحاً، فاستعدّوا للذود عن حياضها والنّضح عن حقيقتها، وستكون العاقبة لها إن استعدتتم لهذا الدّفاع الجديد."<sup>(3)</sup>

في كلّ زمان تعاني اللّغة العربيّة من الأعداء ومن الأبناء على حدّ سواء، ويدخلونها في صراعات وحروب لا هوادة فيها، وقد كتى الإبراهيمي عن حالة اللّغة، ويوصفها بأنّها (في ليل مظلم)، كما نسب إليها بسبب هذه الحرب المعلنة - في عهده- (من حرب أعدائها، وجفاء أبنائها)، وأنّ ميدان منافستها للحوادث (لم يزل فسيحاً).

3-7 يقول الإبراهيمي: "وما لهذه الحكومة لا تذكر المحافظة على الصّحة إلا في سياق الحديث على مدارسنا، وأين هي من هذه الألوف المؤلّفة التي تنام على الأرصفة في زمهرير الشّتاء؟ أين هي من هذه العوالم من الأحياء الذين يسكنون القبور؟ أين هي من هذه المناظر المحزنة التي تقع عليها

(1) الإبراهيمي: عادت لعترها لميس، البصائر، العدد64، وآثار الإمام، ج3، ص: 344.

(2) الإبراهيمي: كتاب مفتوح إلى الأعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري، المرجع السابق، ص: 186 - 187.

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ أحمد قصبية، مجلة "الثقافة"، العدد: 87. وآثار الإمام، ج2، ص: 39.

العين في قلب العاصمة وفي أرياضها؟ وأدم يحفرون لسكناهم الغيران كالفيران، ينامون فيها هم وأطفالهم، فيفتك بهم السلّ، ويغشاهم الموت من كلّ مكان، ولو أنّ طفلاً منهم خرج من غاره ودخل مدرسة عربيّة لجاأت الحكومة تسعى وهي تخشى أن يصيبه سوء من عدم المحافظة على الصّحة." (1)

لقد استطاع الإبراهيمي أن ينقل بأمانة الحالة التي كانت عليها بيوت الجزائريين إبان الفترة الاستعماريّة، فهي أشبه بجحر حقير، أو كوخ صغير لا يحمي من قرّ، ولا يقي من حر، وقد كنى الإبراهيمي عن ذلك بقوله: (هذه العوالم من الأحياء الذين يسكنون القبور)، (أوادم يحفرون لسكناهم الغيران كالفيران)، (ولو أنّ طفلاً منهم خرج من غاره). فبيوت الجزائريين (قبور مظلمة وضيقة، وهي غيران محفورة في الأرض). فالبيتوب الحقيرة هي الموصوف والمعنية بالوصف.

#### 4- المجاز (Metaphor):

الأصل في التّعبير واستخدام اللّغة يتكئ على أسلوب الحقيقة، فإذا أريد التّصوير الفنّي والجمال الأسلوبيّ والخطاب الرّاقى استتجد المُخاطب بالمجاز، ولذلك قال شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني: "فإذا عدل باللفظ عمّا يوحيه أصل اللّغة وصف بأنّه مجاز على معنى أنّهم جازوا موضعه الأصليّ أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً." (2)

"والمجاز: من أحسن الوسائل البيانيّة التي تهدي إليها الطّبيعة؛ لإيضاح المعنى؛ إذ به يخرج المعنى متّصفاً بصفة حسيّة، تكاد تعرضه على عيان السّامع؛ لهذا شُغفت العرب باستعمال «المجاز» لميلها إلى الاتساع في الكلام، وإلى الدّلالة على كثرة معاني الألفاظ، ولما فيه من الدّقة في التّعبير فيحصل للنّفس به سرور وأريحيّة، ولأمر ما كثر في كلامهم، حتّى أتوا فيه بكلّ معنّى رائق، وزيّتوا به خطيبهم وأشعارهم." (3)

وعن أنواع المجاز انتهى الجرجاني إلى أنّ المجاز على ضربين، يقول: "واعلم أنّ المجاز على ضربين: مجاز من طريق اللّغة، ومجاز من طريق المعنى والمعقول، فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة كقولنا: اليد مجاز في التّعمة، والأسد مجاز في الإنسان، وكلّ ما ليس بالسّبع المعروف، كان حكماً أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللّغة؛ لأنّا أردنا أنّ المتكلّم قد جاز باللفظة أصلها الذي وقعت له

(1) الإبراهيمي: عادت لعثرها لميس، آثار الإمام، ج3، ص: 345-346 .

(2) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، ص: 342.

(3) أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: جواهر البلاغة- في المعاني والبيان والبيدع، ص: 249.

ابتداء في اللّغة، وأوقعها على غير ذلك، إمّا تشبيها، وإمّا لصلة وملابسة بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه." (1)

أ- **المجاز العقليّ:** هو إسناد الفعل أو ما في معناه «من اسم فاعل أو اسم مفعول أو مصدر» إلى غير ما هو له في الظاهر من المتكلم؛ لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له. (2) كأن نقول: بلّط الحاكم شوارع المدينة. فإن الحاكم لم يبلّط الشوارع بنفسه ولكنه سبّب التبلّيط.

ب- **المجاز المرسل:** ويعرّف بأنه الكلمة المستعملة قصدا في غير معناها الأصليّ لملاحظة علاقة غير المشابهة، مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصليّ. (3) نحو: (جَزِيّ الأَنهار) فإنّ نسبة الجري إلى النَّهر مجاز باعتبار الإضافة إلى المكان.

والمجاز يختلف عن الاستعارة في طبيعة العلاقة التي تربط بين المعنى الأصليّ والمعنى المجازيّ والتي تتمثّل بالمشابهة في الاستعارة، وبغير المشابهة في المجاز المرسل.

#### ❖ المجاز في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

لعلّ تأثر الإبراهيمي بأسلوب القرآن الكريم والأحاديث النبويّة وعيون الشعر القديم والأمثال والحكم جعله يتكئ كثيرا في كتاباته على أسلوب المجاز، خاصّة وهو ينتمي إلى مدرسة التراث والصنعة، حيث لا تخلو رسالة من رسائله إلّا ورصّعها ببعض المجاز لغويّا أو عقليّا لتحقيق معاني بلاغيّة معيّنة. وفيما يلي سرد تحليليّ لبعض هذا المجاز، في بعض رسائله؛ لأنّه لا يمكننا أن نأتي عليه جميعا.

#### 4-1-1 المجاز العقليّ:

4-1-1 يقول الإبراهيمي: "ولو أنّ طفلا منهم خرج من غاره ودخل مدرسة عربيّة لجاأت

الحكومة تسعى وهي تخشى أن يصيبه سوء من عدم المحافظة على الصّحة." (4)

في هذه الفقرة شيء من المجاز. فقولها (لجاأت الحكومة تسعى وهي تخشى) فيه مجاز عقليّ فالحكومة كما سبق الذّكر ليست هي التي (تسعى)، وليست هي التي (تخشى). إذ لا يعقل أن تكون الحكومة الفرنسيّة كجهاز قد جاأت كلّها تسعى للاطمئنان على صحّة تلميذ فقير من التلاميذ الجزائريين (المغبونين). فالحكومة جهاز تنفيذيّ تطلق على الأشخاص الذين يمثلونها من رئيس للحكومة والوزراء المتعدّدين، وهم المقصودون في قول الإبراهيمي بالسعي والخشية، وقد عدل الإبراهيمي عن ذكر الحقيقة إلى المجاز العقليّ، علاقته السببيّة.

(1) عبد القاهر الجرجاني: المرجع السابق، ص: 355.

(2) أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: المرجع السابق، ص: 255.

(3) أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: المرجع نفسه، ص: 180.

(4) الإبراهيمي: عادت لعتراها لميس، آثار الإمام، ج3، ص: 345-346.

4-1-2 وفي رسالة الإبراهيمي إلى حاكم باكستان وإلى رئيس وزرائها في قضية الشيخ العلامة أبي الأعلى المودودي يقول: "شاع في أنحاء العالم أن المحكمة العسكرية بمدينة لاهور حكمت بالإعدام على عالم من أكبر علماء الإسلام، ومن أعظم دعائه، وهو الشيخ أبو الأعلى المودودي، ثم شاع الخبر بأن الحكومة الباكستانية خففت هذا الحكم إلى السجن أربع عشرة سنة."<sup>(1)</sup>

ففي قول الإبراهيمي (المحكمة العسكرية بمدينة لاهور حكمت بالإعدام)، فيه مجاز عقلي، علاقته المكانية (المحلية). فالمحكمة العسكرية كبناء لا تصدر الأحكام، وإنما المقصود القضاة في هذه المحكمة. وكذلك في قوله (الحكومة الباكستانية خففت هذا الحكم)، مجاز عقلي أيضا علاقته الكلية، إذ الحكومة جهاز تنفيذي يتكوّن من وزراء عدّة، يترأسهم رئيس الحكومة، ولعلّ من أصدر قرار تخفيف الحكم على الشيخ المودودي هو وزير العدل فحسب.

4-1-3 يقول الإبراهيمي مخاطبا ربح الصبا من ديار الغربة: "أدّ التّحية عني للجزائر التي غدت وربّت، وأنبتت القوادم<sup>(\*)</sup> في الجناح، وأسلفت الأيادي البيضاء، وأسدت العوارف<sup>(\*\*)</sup> الغرّ، وأشربت من الطّفولة حبّ العروبة والإسلام، وأخذت باليد إلى رياضهما، ففتّقت اللسان على أشرف لغة وسعت وحي الله ووحى العقول، وفتحت القلب لأكمل دين جمع الرّوح والمادّة، ثمّ أورثت - فيما أورثت من مآثر العرب وفضائل الإسلام - أنفاً حمياً، وفؤاداً ذكياً، ولساناً جريئاً، وهمّة بعيدة، وإباءً للمشارب الكدرة وقتناً لا تلين إلاّ للحقّ، وذياداً عن حرّمات الحمى والدين، ونفساً لو تراءت لها زخارف الدنيا من وراء الدّنيا ما خاضتها إليها، وروحانيةً أدّ طرفيها في الأرض، والآخِر في السّماء تأمر في ذلك كلّه وتنتهي."<sup>(2)</sup>

فيه مجاز عقلي، فالجزائر ليست هي من تغذي أو تربي، وليست هي التي أنبتت القوادم واستلقت الأيادي، وأسدت العوارف وأشربت... وإنما يريد أنّ أفراد شعبها هم من يقومون بكلّ هذا. فالكاتب ذكر الجزائر وأراد سكانها مجازاً على سبيل العلاقة المكانية.

(1) الإبراهيمي: برقية إلى حاكم باكستان وإلى رئيس وزرائها في قضية المودودي، آثار الإمام، ج4، ص: 191.

(\*) القوادم: ريشات في الجناح الواحدة قادمة لأنها تظهر في أول الجناح والخوافي ريشات في مؤخر الجناح بعد القوادم أو تحتها، واحدها خافية وسميت بذلك لأنّ الطائر إذا ضمّ جناحيه خفيت، ومن المعلوم أنّ الخوافي على ضعفها عادة تكسب القوادم قوّة. (ينظر، ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص: 469).

وقد ذكرها الشاعر بشار بن برد (ت 167هـ) في أبيات موضوعها الشورى والجد. (ينظر أبيات الشورى في ديوان الشاعر).

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن \*\*\* بحزم نصيح أو نصيحة حازم

ولا تحسب الشورى عليك غضاضة \*\*\* فريش الخواف يقود للقوادم

(\*\*) جاء في المعجم الوسيط، مادة (العارقة). العارقة: الإحسان. والجمع: عوارف

(2) الإبراهيمي: تحية غائب كالأيب، آثار الإمام، ج4، ص: 182.

وفيها أيضا ذكر (روحانية تأمر في ذلك كله وتتهى). من باب المجاز، فالروحانية لا تأمر ولا تنتهى، فالأمر والنهي، هو الله - جلّ جلاله - ورسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - والعلاقة هنا علاقة السببية.

#### 2-4-2 المجاز المرسل:

1-2-4 في البرقية التي أبرقها لإبراهيمي إلى حاكم باكستان وإلى رئيس وزرائها في قضية العلامة المودودي يقول: "إن فرح المسلمين بنشأة باكستان، وعطفهم عليها، وانتصارهم لقضاياها، هو رأس مال عظيم للدولة الباكستانية، الواجب أن تزكّيه بإطلاق حرية رجل من أكبر رجال الإسلام مهما كانت جريمته السياسية فإنها لا تعدو أن تكون جريمة رأي."<sup>(1)</sup>

قوله (بإطلاق حرية رجل) فيه مجاز مرسل، إذ المعنى بالإطلاق هو شخص الشيخ المودودي وليست الحرية بعينها، وهو المعنى بالتقييد وليست هي، وإنما هو تعبير جرى على الألسنة من باب المجاز في إطلاق الجزء على الكل.

2-2-4 وفي تعزية الشيخ ابن حلّوش قال: "ولم يزل متطلّعا إلى العلم الصحيح يطلع بده متشوّفاً إلى الحقّ الصريح بتبّج فجره، إلى أن ظهرت بواكير الحركة الإصلاحية العلمية في دروس الأستاذ الرئيس الشيخ عبد الحميد بن باديس، فجهّز ولده الشيخ مصطفى حلّوش لتلك الدروس ليستدرك بأحد أولاده ما فاته في نفسه، وأقرّ الله عينه ببلوغ مرامه. فكان من ذلك الولد للإصلاح ما يكون من جنديّ من جنوده المخلصين. فشارك بقلمه ولسانه في جميع الميادين."<sup>(2)</sup>

قوله (وأقرّ الله عينه ببلوغ مرامه) فيه مجاز مرسل، علاقته الجزئية؛ حيث ذكر العين وهي جزء وأراد الكل وهو الشخص.

3-2-4 وفي رسالته (مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة) في تعزية العلامة ابن باديس يقول: "يا ساكن الصريح، متّ فمات اللسان القول، والعزم الصوّال، والفكر الجوّال، ومات الشخص الذي كان يضطرّ حوله النقد، ويتطّير عليه شرر الحقد، ولكن لم يمّت الاسم الذي كانت تقفّع به البُرْد، وتحتلّى به القوافي الشرد، ولا الذكّر الذي كانت تنظنن به الأنباء، وتتجاوب به الأصداء، ولا الجلال الذي كانت تعنو له الرقاب، وتنخفض لمجلاه الغقاب، ولا الدويّ الذي كان يملأ سمع الزّمان، ولا يبيت منه إلا الحقّ في أمان."<sup>(3)</sup>

(1) الإبراهيمي: برقية إلى حاكم باكستان وإلى رئيس وزرائها في قضية المودودي، المرجع السابق، ص: 191.

(2) الإبراهيمي: رسالة الشيخ أبو القاسم بن حلّوش، آثار الإمام، ج2، ص: 283.

(3) الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، آثار الإمام، ج2، ص: 58.

قوله (وتتعلّى به القوافي\*) (الشرد) فيه مجاز مرسل، علاقته الجزئية، حيث ذكر الجزء (القوافي) وأراد الكلّ وهي القوائد الشعرية (الشرد).

وقوله (ولا الجلال الذي كانت تعنو له الرقاب)، فيه مجاز مرسل، علاقته الجزئية، حيث ذكر الجزء (الرقاب)، وأراد الكلّ وهو الإنسان (كشخص).

4-2-4 يقول الإبراهيمي في رسالته التي وجهها إلى الشاعر محمد العيد آل خليفة: "قرأت زفرك هذه الساعة في الشهاب وأنا طريح الفراش، أعالج زكاما مستعصيا ونزلة شعبية وسعالا مزمنا وأولادا يطلبون القوت أربع مرات في اليوم والليلة فقلت: وهذه أخرى. إن ولدنا هذا لذو حق. وكتبت لك هذه الكلمات كما يكتب الأب الشفيق إلى ولده الرقيق. وعسى أن يكون فيها ترويح لخاطرك."<sup>(1)</sup>

قوله (يطلبون القوت) مجاز مرسل علاقته الكلية، فقد ذكر الكلّ وهو (القوت)، وجمعه أوقات: رزق؛ ما يأكله الإنسان ويعيش به، وأراد به الجزء وهو الغذاء أو الوجبات الغذائية.

## 5- التناص في رسائل الشيخ البشير الإبراهيمي:

### 1-5 مفهوم التناص: (L' intertextualité)

اهتمّ القدامى منذ العصر الجاهليّ بالتناص، ولم يدع أحد من الشعراء الانطلاق من الصفر. فالإبداع تراكمي، وكلّ من يقرأ شيئا أو يحفظه يصبح جزءا من ثقافته. وقد اعترف كثير منهم بهذا. فهذا كعب بن زهير بن أبي سلمى (ت 26 هـ / 646م) يقرّ بهذه التراكمية في الشعر فيقول:

مَا أَرَانَا نَقُولُ إِلَّا مَعَارًا \*\*\* أَوْ مُعَادًا مِنْ قَوْلِنَا مَكْرُورًا (2)

وهذا عنتر بن شداد (525م - 608م) يذهب المذهب نفسه فيقول:

هَلْ عَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ \*\*\* أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ (3)

وربما ادعى غيرهم خلاف ذلك واعتبروا التناص سرقة أدبية وبراوا أنفسهم من ذلك. فقد ثبت عن الشاعر طرفة بن العبد (543/569م) أنه أنكر أن يكون للشعر سارقا أو مغيرا، فقال:

وَلَا أُغِيرُ عَلَى الْأَشْعَارِ أَسْرُقُهَا \*\*\* عَنْهَا غَنِيْتُ وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ سَرَقَا

(\*) جاء في (معجم المعاني الجامع): قافية شرود: منتشرة ذائعة. وقدما كانوا يطلقون كلمة الأوابد على الشرود. "والآبدة: الكلمة أو الفعلة الغريبة، وجاء فلان بآبدة: أي بداهية، يبقى ذكرها على الأبد. ويقال للشوارد من القوافي أوابد قال الفرزدق: لن تدرکوا کرمي بلوم أبيکم \*\*\* وأوابدي بتنحل الأشعار.

والأوابد أيضا: القوافي الشرد، مجاز.

(1) الإبراهيمي: بين عالم وشاعر، آثار الإمام، ج1، ص228.

(2) كعب بن زهير: الديوان، شرحه وضبط نصوصه وقدم له: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، دط، ص: 113.

(3) عنتر بن شداد: الديوان، تح: خليل شرف الدين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1988، ص: 48.

وَأَنَّ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ \* \* \* بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقًا (1)

كما حاذ حذو رأيه شاعر الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حسان بن ثابت - (563 / 674 م) رضي الله عنه - فيقول هو أيضا:

لَا أَسْرِقُ الشُّعْرَاءَ مَا نَطَقُوا \* \* \* بَلْ لَا يُوَافِقُ شِعْرَهُمْ شِعْرِي  
إِنِّي أَبِي لِي ذَلِكُمْ حَسْبِي \* \* \* وَمَقَالَةٌ كَمَقَالِ الصَّخْرِ  
وَأَخِي مِنَ الْجِنَّ الْبَصِيرُ، إِذَا \* \* \* حَاكَ الْكَلَامَ بِأَحْسَنِ الْحَبْرِ (2)

أما من الناحية الاصطلاحية فقد تعرّف العرب على هذه الظاهرة منذ العصر الجاهلي، لكن ليس بهذا الاصطلاح والتوسع الذي هو عليه اليوم، فعرفوا السرقات الشعرية والتي عرفت راجا كبيرا في العصر الجاهلي، وأول من رصد هذه الظاهرة في شعره هو الشاعر " طرفة بن العبد" حين ذم السرقة الشعرية بقوله:

وَلَا أُغِيرُ عَلَى الْأَشْعَارِ أَسْرِفَهَا \* \* \* عَنْهَا غَنِيْتُ وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ سَرَقًا (3)

وتأتي السرقات الشعرية بمعنى أخذ شاعر من شعر آخر وإغارته على بعض شعره ونسبته إلى نفسه (4)، وقد شاع هذا الصنيع بين شعراء الجاهلية لم يسرق من أشعار غيره، وهذا راجع لعدم وجود رادع آنذاك، فمثلا امرؤ القيس (500 - 540 م) سرق من شعر طرفة بن العبد.

فامرؤ القيس يقول:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ \* \* \* يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ آسَى وَتَجَمَّلِ

بينما سبقه طرفة بن العبد: فقال:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ \* \* \* يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ آسَى وَتَجَدِّدِ (5)

وهنا نجد وجه الشبه بين مصطلح التناص الحديث ومصطلح السرقات الشعرية القديم، وهو أخذ الشاعر من نص سابق أعجبه ويضمّنه لنصّه، فكأنما الجرجاني تناول بشكل عام في كتابه 'الوساطة بين المتنبي وخصومه' تعريف السرقات ودورها، ونجد أيضا أبو هلال العسكري (920م/1005م) نهج هذا الاتجاه واعتبر أنّ السرقات الشعرية جائزة لكن بحدود والتزامات وضعها، وما استخلصه من هذا كله أنّ

(1) طرفة بن العبد: الديوان، شرح: الأعمى الشنتمري، تح: درية الخطيب ولطفي الصقال، (دط-) (دت)، ص: 180.

(2) حسان بن ثابت: ديوان حسان بن ثابت، الأبيات من قصيدة: إنّ النضيرة ربة الخدر، ص: 186/1.

(3) يحيى بن مخلوف: التناص، مقارنة معرفية في ماهيته وأنواعه و أنماطه، دار قانة، باتنة، الجزائر، 2008، ص: 22.

(4) عبد العزيز عتيق: في النقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت، (دط)، 1979، ص: 311.

(5) يحيى بن مخلوف: المرجع السابق، ص: 26.

السَّرقات الشعريّة في بدايتها رفضت ولم تلق استحساناً من طرف النقاد والشعراء ولكن مع التطور الذي عرفه الأدب والنقد فإنّه تمّ قبولها على أسس ومعايير خاصّة وهي الأخذ من شعر غيرك مع تغيير لفظه أو دلالته من باب الإبداع، وهذا ما يشابه إلى حدّ كبير مصطلح التناص، ولكن هذا لا يعني أنّ نعتبر التناص هو السَّرقات الشعريّة.

كما نجد أنّ التناص في السّاحة الأدبيّة النّقدية لم يتعارض مع مصطلح السَّرقات الشعريّة فقط وإنّما تشابه مع عديد من المصطلحات العربيّة النّقدية التّراثية وأذكر بعضها:

الاهتمام: هو السَّرقة فيما دون البيت، مثل قول النّجاشي:

وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٌ صَحِيحَةٌ \* \* \* وَرَجُلٌ رَمَتْ فِيهَا يَدُ الْحَدَثَانِ

فقال: القِسم واهتمم باقي البيت عَزّة كثير فأخذ

كُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٌ صَحِيحَةٌ \* \* \* وَرَجُلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتْ (1)

الإغارة: أن يصنع الشّاعر بيتاً ويخترع معنى مليحاً، فيتناوله من هو أعظم منه ذكراً وأبعد صوتاً فيروي له دون قائله مثلما فعل الفرزدق مع جميل حينما أخذ من أبيات سمعه ينشدها. (2)

وهناك تسميات أخرى ذات صلة بالموضوع منها: المعارضة، والتّضمين، الالتقاط، والتّأليف، كشف الموارد، الاختلاس، الاقتباس...

ونظراً لأهميّة هذا الباب في رسائل الإبراهيمي، فقد حاولنا أن نسلط الأضواء على بعض النّصوص المتناصّة فيها، لكن قبل ذلك لا بأس من الإشارة إلى مصطلح التناص. فما هو التناص؟

التناص لغة: يقال " نصّ الحديث، ينصّه نصّاً: رفعه، وكلّ ما أظهر، فقد نصّ. وقال عمرو ابن دينار: ما رأيت رجلاً أنصّ للحديث من الزّهريّ. أي: أرفع له، وأسند، يقال: نصّ الحديث إلى فلان. أي: رفعه، وكذلك نصصه إليه." (3)

التناص اصطلاحاً: أجمع الباحثون والنقاد على أنّ التناص (Intertextualité) هو: " العلاقة بين نصين أو أكثر، وهي التي تؤثر في طريقة قراءة النصّ المتناصّ (Intertexte) أي الذي، تقع فيه آثار نصوص أخرى أو أصدائها" (4)

وهذا التوافق في الفكرة هو: " ذلك التناص الذي يقصد إليه الشّاعر أو الكاتب قصداً، ويعرف مصدره، ويستخدمه استخداماً فنياً، له غايته ووظيفته." (1)

(1) بدوي طبانة: السَّرقات الأدبيّة، دراسة في ابتكار الأعمال الدنيبة وتقليدها، نهضة مصر، القاهرة، (د ط)، (دت)، ص: 53 .

(2) بدوي طبانة: المرجع نفسه، ص: 55-56.

(3) ابن منظور: لسان العرب، مادة (نصّ)، ص: 97/7.

(4) محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط2، 1997، ص: 46.

أمّا موسى سامح ربابعة فيرى أنّ التناص: "ظاهرة تشكّل أبعاداً فنية وإجراءات أسلوبية تكشف عن التفاعل وأشكاله المختلفة بين النصوص، إذ يقوم استدعاء النصوص بأشكالها المتعددة؛ الدينية والتاريخية على أساس وظيفي يجسد التفاعل الخلاق بين الماضي والحاضر."<sup>(2)</sup> وهناك رأي آخر يقول: "إنّ الوقائع التناصية تقوم في تفاعلها وإنتاجها تبعاً لعلاقات مختلفة، قد تكون الاستعادة، أو التذكّر، أو التلميح، أو إيراد الشواهد، أو التقليد، أو المحاكاة الساخرة وغيرها ممّا نفع عليه من فنون أدبية، متممّة أو عفوية، بفعل (الاختطاف) أو (التملك)، أو (بمفاعيل الذاكرة) الناشطة في الكتابة."<sup>(3)</sup>

وموضوع التناص هو "تضمين نصّ لنصّ آخر أو استدعاؤه، أو هو تفاعل خلاق بين النصّ المستحضر والنصّ المستحضّر، فالنصّ ليس إلّا تولدًا لنصوص سبقته."<sup>(4)</sup> وبهذا يؤدي التناص دور الرابطة بين نصّين أو أكثر، ويكون هذا الترابط وهذا التفاعل من المبدع اللّاحق إما طوعاً أو لازماً، فإنّه لا بدّ للتناص من مصادر يستمدّ منها مادته المتناصّة.

أمّا الدّراسات الحديثة فقد كشفت عن مصطلحات عدّة منها: التناصية، النصوصية، التداخل النصّي، النصّ الغائب، الإحالة والإزاحة، وكلّ هذا التعدد ناتج عن الأزمة التي يعيشها الواقع النقدي بصفة عامّة، وهذا بسبب ترجمة المصطلحات الغربية من طرف نقادنا كلّ حسب وجهة نظره. وأول من تطرّق إلى هذه الظاهرة تحت مصطلح (التداخل النصّي) هو الناقد محمد بنّيس ثمّ استعمل مصطلح (النصّ الغائب)، والذي يدلّ على أنّ النصّ يعتمد على علاقات وقوانين وارتباطات عدّة بالنصوص الأخرى.<sup>(5)</sup> ثمّ نجد (عبد العزيز حمّودة) في كتابه (المرابا المقعّرة) يصطلح على تسمية (اللينصية). أمّا (عبد الله الغدّامي) فقد اعتمد مصطلح (التناص)، وأمّا (سعيد يقطين) نصّ على مصطلح (التفاعل النصّي) للدلالة على هذا المفهوم.<sup>(6)</sup>

وهنا نلاحظ أنّ التسميات والمصطلحات قد تعدّدت بالنسبة لهذا المفهوم وتباينت من ناقد إلى آخر لكن إذا عدنا إلى المفهوم نجدها تدور في حلقة واحدة، وهي أنّ التناص هو تعالق وتمازج النصوص مع نصوص كتبت من قبل، فيستعين بها المبدع بوعي وبشكل متممّد، أو يتناصّها بشكل عفويّ، و من دون

(1) السنجلوي إبراهيم: دلالة التضمين في خواتم قصائد أبي نواس، مجلّة جامعة دمشق، العدد: 11، سنة: 1988، ص: 55.

(2) موسى سامح ربابعة: التناص في نماذج الشعر العربي، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، الأردن، ط1، 2000، ص: 7.

(3) شريل داغر: التناص سيلا، مجلة فصول، المجموعة: 6، العدد: 1، القاهرة، سنة 1997، ص: 129.

(4) موسى سامح ربابعة: المرجع نفسه، ص: 97.

(5) ينظر، يحي مخلوف: التناص، ص: 34.

(6) يحي مخلوف: التناص، ص: 36-37.

وعى، لأنّ المعلومات أصبحت جزءاً من ثقافته الأساسية، فيستدعيها عند الحاجة كلّما اقتضى الحال ذلك.

أما مفهوم التناص في النقد الغربي فلا بدّ من تتبّع جذوره الأولى، حيث إنّ أغلب الباحثين يشير إلى أنّ إرهاباته، كانت على يد الباحث اللسانيّ الروسي ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtine) فهو أوّل من أشار إلى هذا المفهوم بالرّغم من أنّه اصطلح عليه بمصطلح "تداخل النّصوص"، ثم جاءت تلميذته البلغاريّة جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) وتوسّعت في هذا المفهوم ووضعت له أسسا ومعايير خاصّة به. وهي ترى أنّ "الممارسات النّصيّة ليست مجرد نقل بسيط لعملية كتابة علميّة ما... (إنّها تقوم بزحزحة ذات خطاب عن مركزها لتتبنى هي)".<sup>(1)</sup>

ثمّ نرى أنّ هذا المفهوم قد تطوّر أكثر مع الباحثين الغربيين على غرار: مارك أنجينو، وجيرار جينيت، ورولان بارت، وهو "مزج أمامي بما هو خلفي لأنّه عملية لسانية تواصلية بُعديّة".<sup>(2)</sup> بعد ظهور مصطلح التناص مع النّاقدة جوليا كريستيفا في السّاحة النّقدية الغربيّة استقطب هذا المصطلح اهتمام جلّ الباحثين الغربيين أمثال: رولان بارت، جيرار جينيت، ميشل آرفي، لوران جيني ميشل ريفاتير وغيرهم.

ويرى الحداثيون أنّ للتناص تعريفات شتّى، إذ يرى الباحثان الإيطاليان بوغراند (Eaugrande) وريسالر (Ressler) التناص بأنّه "ترابط بين إنتاج نصّ بعينه أو قبوله، وبين المعارف التي يملكها مشاركو التّواصل عن نصوص أخرى".<sup>(3)</sup>

ولذا يرى تودوروف (T.TODOROV) أنّه من الوهم أن نعتقد بأنّ العمل الأدبيّ له وجود مستقل، إنّه يظهر مندمجا داخل مجال أدبيّ ممتلئ بالأعمال السّابقة، إنّ كلّ عمل فنّي يدخل في علاقة معقّدة مع أعمال الماضي التي تكون حسب المراحل التّاريخيّة، تراتبيّة مختلفة".<sup>(4)</sup>

## 5-2 التناص في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

لم يكن العلامة الإبراهيمي بدعا من المبدعين، فقد اهتمّ في كتاباته المختلفة بالتناص، فلا نكاد نقرأ له نصّا من النّصوص -حتّى وإن قلّ- إلّا ونجد إشارة إلى ما يوافق فكرته بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ممّا علق بذهنه من مخزون ديني أو تراثي من شعر وأمثال وحكم وأقوال مأثورة ذكرها الأولون وألفاظ

(1) جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال، المغرب، (دط)، 1991م، ص: 13.

(2) عبد الجليل مرتاض: التناص، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)، 2011، ص: 5.

(3) شريل داغر: التناص سيلا، المرجع السابق، ص: 128.

(4) أنور المرتجي: سيميائية النص الأدبي، إفريقيا الشرق -الدار البيضاء -المغرب، (دط)، 1987، ص: 45 / أو ينظر، T.Todorov-

"Catégorie du récit littéraire" Communication n°8-P126.

اشتهرت في قواميس العرب المتعدّدة، إلى درجة أُعتبر "البشير الإبراهيمي من أكثر الأدباء والكتّاب الذي جرفهم تيار التناص جرفا بارزا في نصوصهم الواحدة تلو الأخرى، فنصوص البشير الإبراهيمي بجميع أصنافها الجنسيّة لا تكاد تخلو خلوا صريحا أو تلميحا ممّا داخل لاحقها بنصوص سابقة، وفي جميع المستويات الإفراديّة والتّركيبية والمعاني البعيدة، والإشارات القريبة سواء أشعر بذلك قارئها إذا كان له حظّ من ثقافة لسانيّة وأدبيّة ولغويّة...وتحصيل لمتون شعريّة وأراجيز وأقوال العرب المأثورة، ...أم لم يشعر...".<sup>(1)</sup>

إنّ الباحث في كتابات الإبراهيمي ليستشفّ موسوعيّته النادرة. فهو ينهل ممّا علق بذهنه من المحفوظ القديم والمتمزّن (النص الغائب)، ويجعله رافدا في رسائله المتنوّعة. والقارئ الحصيف يلاحظ تداخل النصوص وتفاعلها مع تلك الرّوابط التي استنصص منها الإبراهيمي بما يخدم السّياق ويستدعي منها ما يحتاجه بشكل جليّ أو خفيّ ويوظفه توظيفا فنيا.

والإبراهيمي بمأوتي من ملكة حافظّة جيّارة لم يكن ليعجزه التّعامل مع النّصوص (الأصليّة والمركزيّة) أو مع اللّانصوص (الإشارات والرّموز) وإعادة صياغتها صياغة جديدة بكفاءة راقية شكّلت تقاربا لغويّا ودلاليّا وموضوعاتيّا.

وبهذا التناص الرّآخر أمكن للإبراهيمي من إثراء رسائله، وبهرجة فقراتها، وإغناء معانيها؛ حتّى استحالت إلى فسيفساء بديعة تشعّ سحرا وجمالا وعمقا. حيث وجدنا أن رسائل الإبراهيمي تعجّ بالنصوص المتناصّة، وتتنوع روابط التناص فيها بما يتمتع به من مخزون ثري من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والتراث القديم؛ مما خلق تفاعلا بين النصوص الحاضرة والنصوص الغائبة، الأمر الذي ولد جماليات فنية وإيحاءات ذات أبعاد لغوية ودلالية وموضوعاتية؛ للتعبير عن صورة معاصرة مماثلة لتلك التي وقعت في الماضي، واستحضرتها في متون رسائله المتنوّعة.

## التناص من القرآن الكريم:

### 1- التناص الدّيني:

1-1 النّمودج الأوّل: خاطب الإبراهيمي قبر صاحبه ابن باديس قائلا: "يا قبر، لا نستسقي لك كلّ وطفاء سكوب، تهمني على تربتك الرّكيّة وتصوب، ولا نستدعي لترويض ثراك المثقلات الدّوالح والغواصي والرّوائح، ولا نحذو في الدّعاء لك حذو الشّريف الرّضي، فنستعير للنّبت جنيئا ترضعه المراضع، من السّحب الهوامع، تلك أودية هامت فيها أخيلة الشّعراء، فنبتّتهم بالعراء، وزاغوا بها عن أدب الإسلام ومنهاجه، وراغوا عن طينته ومزاجه. بل تلك بقيّة من بقايا الجهل، ما أنت ولا صاحبك لها بأهل".<sup>(2)</sup>

(1) عبد الجليل مرتاض: البنية اللسانية في رسالة الضّب للبشير الإبراهيمي، دار هومة، الجزائر، (دط)، 2014.

(2) الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لدواعي الضّرورة، آثار الإمام، ج2، ص: 57.

الشاهد: (تلك أودية هامت فيها أخيلة الشعراء)... (فنبذتهم بالعراء).

فيه أكثر من تناص مع آي القرآن الكريم، الأول في قوله تعالى ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ ﴾<sup>(1)</sup>

والثاني في قوله: (فنبذتهم بالعراء) مع قول الله تعالى عن يونس - عليه السلام -: ﴿ لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾<sup>(2)</sup> وكذلك مع قوله تعالى ( فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَبْنَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَشْطِينِ)<sup>(3)</sup>. (فَنَبَذْنَاهُ) أي: طرحناه (بالعراء) يعني: على وجه الأرض، قال السدي: بالساحل، والعراء: الأرض الخالية عن الشجر والنبات.<sup>(4)</sup>

وقول الإبراهيمي: (وزاغوا بها عن أدب الإسلام ومنهاجه) فيه تناص مع قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤَدُّونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾<sup>(5)</sup>

قوله: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ أي: " فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به، أزاع الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان."<sup>(6)</sup>

1-2 النموذج الثاني: كما نجد له تناصاً في قوله من رسالته الأرجوزة التي أرسلها إلى الأستاذ

إبراهيم الكتاني:

" وَسَحَرُوا أَعْيُنَهُمْ وَاسْتَرْهَبُوا \*\*\* وَرَعَبُوا بِعَاجِلٍ وَرَهَبُوا"<sup>(7)</sup>

الشاهد: (وسحروا أعينهم واسترهبوا).

فيه تناص مع الآية القرآنية الكريمة التي تتحدث عن سحرة فرعون: ﴿ قَالَ أَتَقْوُونَ \* فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴾<sup>(8)</sup>

أي: "خيلوا إلى الأبصار أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج، ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال."<sup>(9)</sup>

(1) سورة الشعراء، الآيتان: 224 - 225.

(2) سورة القلم، الآية: 49.

(3) سورة الصافات، الآية: 145.

(4) محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، تفسير سورة الصافات، المجلد 12، ص: 69.

(5) سورة الصف، الآية: 5.

(6) ينظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، سورة الصف، ج4، الآية 5، ص: 2883.

(7) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ إبراهيم الكتاني، آثار الإمام، ج2، ص: 151.

(8) سورة الأعراف، الآية: 116.

(9) ينظر، ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج2، سورة الأعراف، ص: 1195-1196.

فيه استنجاد بالآية ليعزي حقيقة الطرقيين الدجالين الذين نصبتهم الإدارة الفرنسية الاستعمارية كأعلام للدين السمح، بعد أن بهرتهم بسحرها الحضاريّ حيناً، وأرهبتهم بتهديدها لهم حيناً آخر؛ كي يسمعوا وبطبعوا ويلبوا تعاليم الإسلام كما أرادت هي؛ لا كما أراد الدين الحنيف الحيّ.

1-3 النموذج الثالث: يقول الإبراهيمي: "كيف لا تنسى العدل أمةً لبثت في ظلمات الظلم أحقاباً وعقت في ظلّ يحمومه أعقاباً؟ أم كيف تذكره (العدل) بعد أن محت آيته آية السيف، فلم تنعم منه بالممامة الطيف".<sup>(1)</sup>

فيه تناس مع الآية القرآنية ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْضِرُوا أَعْيُنَهُمْ لِكُلِّ مَرْصِدٍ لَّئِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(2)</sup> حيث يطلق العلماء على هذه الآية اسم (آية السيف). قال ابن كثير: "وهذه الآية الكريمة هي آية السيف ونزلت ناسخة لجميع الآيات التي فيها الصّح والكفّ عن المشركين، أمره بقتالهم".<sup>(3)</sup> فقد استثمر الإبراهيمي في الآية الكريمة ليفند مزاعم فرنسا. فرغم ادّعاءها العدل والمساواة والديمقراطية في حقّ الجزائريين، إلّا أنّها تناست كلّ ذلك ومحت ادّعاءاتها بآية السيف؛ فلم ير الشعب منها سوى القتل والتعذيب والتجهيل والتفقير والتشريد والتقي...<sup>(4)</sup>

1-4 النموذج الرابع: يقول الإبراهيمي: "لئن كان في الرياح لواقح للأشجار، ففبك وحدك لقاح النفوس، ولئن كان فيها ما يحرق الورق، ففبك وحدك ما يطفئ الحرق".<sup>(4)</sup> الشاهد: (لئن كان في الرياح لواقح للأشجار).

في هذه الفقرة تناس مع الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَائِفِينَ﴾<sup>(5)</sup> قوله: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ)، أي: تلتح السحاب فتدرّ ماء، وتلتح الشجر فتفتّح عن أوراقها وأكمامها.

هذه "الرياح" ذكرها بصيغة الجمع؛ ليكون منها الإنتاج، بخلاف الريح العقيم فإنّه أفردها، ووصفها بالعقيم، وهو عدم الإنتاج؛ لأنّه لا يكون إلّا من شيئين فصاعداً. وقال الأعمش، عن المنهال ابن عمرو

(1) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه، آثار الإمام، ج3، ص: 362.

(2) سورة التوبة، الآية: 5.

(3) ينظر: تفسير ابن كثير، ج2، سورة التوبة، الآية5، ص: 1327-1328.

(4) الإبراهيمي: تحية غائب كالأيب، آثار الإمام، ج4، ص: 181.

(5) سورة الحجر، الآية: 22.

عن قيس بن السّكن، عن عبد الله بن مسعود في قوله: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ). قال: ترسل الرّيح، فتحمل الماء من السّماء، ثمّ تمرى السّحاب، حتّى تدرّ كما تدرّ اللّقحة.<sup>(1)</sup>

فقد استعان الإبراهيمي بصريح لفظ الآية القرآنيّة ليشبّه صاحبه ابن باديس بالرّيح الطّيبة اللّواقح فهو يعترف له بالفضل على النّاس، بما بثّه فيهم من قرآن وعلم وتفسير ونصح وتربية وبناء للمدارس والمعاهد، فانتفع الجميع بسحائب علمه، وغيّوث معرفته.

1-5 النموذج الخامس: يقول الإبراهيمي: "تريدنا فرنسا الاستعماريّة على أن نحمدها بما لم تفعل، فنقول: عسى ولعلّ... ثمّ تريدنا على أن نحمدها بما فعلت معنا من ظلم وعدوان، وأن نصوّر مساوئها فينا محاسن وأن نسّمى شرّها خيرا، وجورها عدلا، وإساءتها إحسانا، وإهانتها تشريفا."<sup>(2)</sup>

فيه تناص واضح مع الآية الكريمة ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْهُمْ بِمَقَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(3)</sup>

جاء في تفسير البغويّ "معالم التنزيل": ﴿وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾، قَالَ عِكْرِمَةُ: نَزَلَتْ فِي الْأَحْبَارِ يَفْرَحُونَ بِإِضْلَالِهِمُ النَّاسَ، بِنِسْبَةِ النَّاسِ إِيَّاهُمْ إِلَى الْعِلْمِ وَلَيْسُوا بِأَهْلَ عِلْمٍ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُمُ الْيَهُودُ فَرِحُوا بِإِعْجَابِ النَّاسِ بِتَبْدِيلِهِمُ الْكِتَابَ وَحَمْدِهِمْ إِيَّاهُمْ عَلَيْهِ."<sup>(4)</sup>

فرنسا ترتكب الجرائم في حقّ الجزائريين ثمّ تطلب من النّخبة والعلماء أن يبيّضوا وجهها أمام العالم بتزكيّة ما تنظّمه من انتخابات، والإشادة ببعض المعونات، والتّويه بمكاتبها التي تشبه البرلمانات وتحسب أنّها تحسن صنعا.

1-6 النموذج السادس: يقول الإبراهيمي: "وما لهذه الحكومة لا تذكر المحافظة على الصّحة إلّا في سياق الحديث على مدارسنا، وأين هي من هذه الألوّف المؤلّفة التي تنام على الأرصفة في زمهرير الشّتاء؟ أين هي من هذه العوالم من الأحياء الذين يسكنون القبور؟ أين هي من هذه المناظر المحزنة التي تقع عليها العين في قلب العاصمة وفي أرياضها؟ وأوادم يحفرون لسكناهم الغيران كالفيران ينامون فيها هم وأطفالهم، فيفتكّ بهم السلّ ويغشاهم الموت من كلّ مكان."<sup>(5)</sup>

(1) ينظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج2، تفسير سورة الحجر (الآية22)، ص: 1604-1605.

(2) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه، المرجع السابق، ص: 371.

(3) سورة آل عمران، الآية: (188).

(4) ينظر: البغويّ أبو محمّد الحسين بن مسعود الفراء، تفسير البغوي، معالم التنزيل، تفسير سورة آل عمران، المجلّد الثاني، تح: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية و سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، (دط)، 1989 م.

(5) الإبراهيمي: عادت لعترها لميس، البصائر، آثار الإمام، ج3، ص: 345.

فيه تناص اقتباسي من صريح النص القرآني الكريم في قوله تعالى ﴿يَجْرَعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۗ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾<sup>(1)</sup>

المعنى: ( وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ) أي: يألم له جميع بدنه وجوارحه وأعضائه. قال ميمون بن مهران: من كلِّ عَظْم، وَعِزْق، وَعَصَب. "<sup>(2)</sup> وقال عكرمة: " حتّى من أطراف شعره. "<sup>(3)</sup>

وقال إبراهيم النّيمي: " من موضع كلِّ شعرة، أي: من جسده، حتّى من أطراف شعره. وقال ابن جرير: أي: من أمامه وورائه، وعن يمينه وشماله، ومن فوقه ومن تحت أرجله ومن سائر أعضاء جسده. "<sup>(4)</sup>

وقال الضّحّاك، عن ابن عباس: يأتيه الموت من كلِّ مكان. قال: أنواع العذاب الذي يعذّبه الله بها يوم القيامة في نار جهنّم، وليس منها نوع إلاّ الموت يأتيه منه لو كان يموت، ولكن لا يموت؛ لأنّ الله تعالى قال: ﴿ لَا يَشْعُرُ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴾<sup>(5)</sup> سورة فاطر، الآية: 36.

وهذه الاستعارة للإبراهيمي من الآية الكريمة تدلّ على مدى المعاناة التي يعانيها الشعب الجزائري وأطفالهم بسبب الاستعمار الفرنسي الذي حرّمهم من المأوى المحترم، فاتخذوا من الغيران مأوى لهم كأنّهم فئران، وتداعت الأمراض إلى أجسامهم تصيبهم بآلام قاتلة؛ وبخاصّة مرض السل الذي يجلب إليهم الموت من كلِّ مكان، وما هم بميتين!

## 2- التناص من الحديث النبوي الشريف:

نلمح تأثر الأدباء ومنهم الإبراهيمي بالحديث النبوي لما له من مكانة بلاغية ولغوية، حيث تأثروا به " فراحوا يستحضرونه في نصوصهم وينهلون من معينه ويعيدون كتابته "<sup>(6)</sup> ويأتي التناص في رسائل الإبراهيمي من منطلق حبه للرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - ومتولّدا من شدة إعجابه بسنته القولية والفعليّة، فلا تخلو رسالة منها إلاّ ونجده يستحضر الحديث الشريف أو جزءا منه ويجعله ضمن متنّها. وهذه بعض النماذج من تناص الإبراهيمي الحديثي:

(1) سورة إبراهيم، الآية: (17).

(2) السيوطي جلال الدين: سورة إبراهيم، تفسير السيوطي (الدر المنثور في التفسير بالمأثور)، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2011، ص: 139.

(3) ينظر، ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج2، سورة إبراهيم (الآية17)، ص: 1574.

(4) ابن كثير: المرجع نفسه، ج2، ص: 1574.

(5) ابن كثير: المرجع نفسه، ص: 1574.

(6) جمال مبارك: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، منشورات رابطة إبداع، دار هومة، الجزائر، (دط)، 2001، ص: 199.

## 2-1 النموذج الأول:

يقول الإبراهيمي: "غِبْتُ عن الجزائر بجسمي سنة وبعض السنّة، ولكنني ما غِبْتُ عنها بروحي وفكري دقيقة ولا بعض الدّقيقة، وما عملت لغيرها عملا ولا جزءا من عمل فلساني رطب بذكرها، وشخصي عنوان عليها ورمز إليها، وأحاديثي تعريف بها وإغلاء لقيمتها... (1)"

فهذا النصّ يحيلنا إلى الحديث النبويّ الشريف: عن عبد الله بن بسر قال: "أتى النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رجلاً، فقال: يا رسول الله! إنَّ شرائع الإسلام قد كثُرت علينا، فبابٌ نتمسكُ به جامع؟ قال: لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله عزَّ وجلَّ." (2)

فالتّصيحة كانت بالمداومة على ذكر الله، وألّا يزال لسانه رطباً من ذكره، والذّكر يكون عامّاً وخاصّاً، والذّكر العام يدخل فيه الصلوات وقراءة القرآن وتعلّم العلم وتعليمه وحمد الله والثّناء عليه وتنزيهه وتقديسه عن كلّ ما لا يليق به، والذّكر الخاصّ حمد الله والثّناء عليه وتسيحه وتهليله وتكبيره وتحميده.

فقد استثمر الإبراهيمي في عبارة (رطباً بذكرها) من الحديث السابق ليعبر عن مدى صدقه في حبّه للجزائر، فهو في كلّ خطواته وكتاباتاته ولقاءاته وأسفاره يظلّ يلهج بذكرها في المحافل الدّوليّة، وفي مختلف المناسبات العلميّة، لم ينسها يوماً.

## 2-2 النموذج الثاني:

في رسالة الإبراهيمي إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني يقول: "...رحم الله الراحل العزيز، جزاء ما بثّ من علم وزرع من خير، وثقف من نفوس، والله ذلك اللسان الجريء، وذلك الجنان المشعّ، وذلك الرأي الملهم، وإنا لفقدك يا عبد الحميد لمحزونون." (3)

وقد استتصص الإبراهيمي الجزء الأخير عندما تعنّنت سلطات الاستعمار الفرنسيّ، ورفضت طلبه لإخراجه من محبسه بأقلو لحضور تأبينية حبيبه عبد الحميد -أغدق الله عليه من شآبيب رحمته- حيث تناص مع قول الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حين مات ابنه إبراهيم حيث: "رُوي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: دخلنا مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على أبي سيف القين و كان ظنّراً لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إبراهيم فقبله و شمّه ثم دخلنا عليه بعد ذلك و إبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تدمعان فقال له عبد الرحمن ابن عوف - رضي الله عنه -: و أنت يا رسول الله ؟ فقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: يا بن عوف إنّها رحمة ثمّ

(1) الإبراهيمي: تحية غائب كالأيب، آثار الإمام، ج4، ص: 183.

(2) خرّجه الإمام أحمد بهذا اللفظ، وخرّجه الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه بمعناه، وقال الترمذي: "حسن غريب".

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى أحمد توفيق المدني، كفاح الشعب الجزائري، ص: 701.

اتبعتها أخرى فقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَ الْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَ لَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضِي رَبَّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ." (1)

وقد تناصَّ قول الإبراهيمي مع الجزء الأخير من الحديث الشريف (وإنَّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون) تعبيراً عن تأكيد حزنه العميق على فقد صاحبه العلامة ابن باديس الذي ترك موته فراغاً من الصعاب أن يملأه غيره.

### 2-3- النموذج الثالث:

يقول الإبراهيمي مخاطباً وطنه الجزائر من بلد الغربة وقد أحرقه الحب والشوق: "وإذا كانت أوطان الإسلام كلها وطن المسلم بحكم الدين، فإن اختصاصك بالهوى والحب من حكم الفطرة السليمة، ولنا في رسول الله أسوة حسنة في حبه لمكة وحنينه إليها." (2)

فيه تناص مع الآية القرآنية: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾، (3) كما فيه تناص مع الحديث النبوي الشريف: "والذي نصّه: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِمَكَّةَ: مَا أَطْيَبَ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبُّ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ." (4)

فقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: أن تتأسوا به وتكونوا معه حيث كان، ولا تتخلفوا عنه. (5)

وكذلك يتناص مع الحديث الشريف ما نصّه "وَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْغَارِ - انْتَفَتَ إِلَى مَكَّةَ - فَقَالَ: أَنْتِ أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ إِلَيَّ، وَأَنْتِ أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ إِلَيَّ، فَلَوْ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يُخْرِجُونِي لَمْ أَخْرُجْ مِنْكَ." (6)

واستنصاه من الحديثين الشريفين المذكورين بهذا الشكل فيه إشارة من الإبراهيمي على أن حب الأوطان ليس بدعة، فقدوة المسلمين محمّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الذي يتأسى به الجميع في شؤون دينهم وديناهم كان يحب مكة حباً جمّاً وقد عبّر صراحة عن ذلك في أحاديث كثيرة (والله يا مكة إنني لأحبك) وهو التأسى الذي اتّخذه الإبراهيمي في حياته سنة؛ فراح يتغنى بوطنه الجزائر في كلّ مكان، وفي كلّ آن.

### 2-4- النموذج الرابع:

(1) رواه البخاري (1220)، ومسلم (4279).

(2) الإبراهيمي: تحية غائب كالإيب، آثار الإمام، ج4، ص: 184.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 21.

(4) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، تحت الرقم: 1927.

(5) الطبري: تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن)، سورة الأحزاب، الآية 21، ج20، ص: 420.

(6) رواه الطبري في (تفسيره)، (26 / 48)؛ وابن كثير في (تفسيره)، (4 / 176). وصححه القرطبي في (تفسيره)، (16 / 235).

يقول الإبراهيمي: "حلت المصائب بهذه الأمة، وتتابعت المكائد التي تدبرها حكومتها الاستعمارية، فرفعت صوتها إلى آخر ملجأ حكم عليها القدر بالالتجاء إليه، وهو فرنسا، فلم تظفر منها بشيء يداوي الجروح، ويسلي النفوس، ولا رأت منها عناية- ولو مصطنعة- بهذه القضايا الخطيرة، ولا نهياً عن تلك المنكرات التي تنتظ منها السماء والأرض، ومظهر العناية من دولة عريضة في الجمهورية".<sup>(1)</sup>

فيه تتناص مع الحديث الشريف الوارد في رياض الصالحين، شرح حديث أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إني أرى ما لا ترون، أظت السماء، وحق لها أن تظت، ما فيها موضع أربعة أصابع إلا ومك وأضع جبهته ساجداً لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصُّعَدَاتِ تجأرون إلى الله تعالى".<sup>(2)</sup> قوله: (أظت السماء، وحق لها أن تظت)، أظت، والأظيط(\*) هو: كل هذه الأصوات يقال لها: الأظيط، فالشيء الثقيل إذا كان عليه كان ذلك الصوت، وقيل له: أظيط، فهنا السماء لكثرة من عليها من الملائكة لها صوت كصوت الرجل إذا جلس عليه الركاب. حُق لها، أي: أنها حقيقة، يحق لها، جديرة بذلك.

استقى الإبراهيمي هذه العبارة صراحة من الحديث النبوي لإجراء مقارنة بين أظيط السماء بسبب ما يصيب الأرض من منكرات ومعاصٍ تهتت لها السماء، وتنتظ من اكتظاظ الملائكة ساجدين لله على عكس البشر، وكذلك تنتظ السماء حسرة على ما يتعرض له الجزائريون من منكرات لا إنسانية من فرنسا المستعمرة الغاشمة المتعطرسة كان آخرها: حوادث 5 أوت 1934، و حوادث 8 ماي 1945 المروعة. كما فيه رسالة مشفرة إلى العالم ليطلع على ما يجري في الجزائر الجريحة من مأس قاسية طمست حقائقها وسائل الإعلام الفرنسية وأزلامها في الدّاخل والخارج.

## 2-5- النّودج الخامس:

قال الإبراهيمي: "إنّ الأمم الضّعيفة قد لدغت من جحر واحد مرتين فاحذروا الثّالثة، وقد أصبحت هذه الأمم تلقب أميركا بلقب لا يشرفها، وهو أنّها نصيرة الاستعمار".<sup>(3)</sup>

(1) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه، آثار الإمام، ج3، ص: 368.

(2) رواه الترمذي وقال: حديث حسن. (556/4)، رقم: (2312)، وصححه الألباني في السلسلة، رقم: (1722).

(\*) الأظيط: أظيط صوت الرجل والإبل من ثقل أحمالها. قال ابن بري: قال علي بن حمزة صوت الإبل هو الرغاء، وإنما الأظيط صوت أجوافها من الكظّة إذا شربت. والأظيط أيضاً: صوت الشّع الجديد وصوت الرّجل وصوت الباب، ولا أفعل ذلك ما أظت الإبل. (ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة (أظط)).

(3) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه، آثار الإمام، ج3، ص: 373.

فيه تناص مع الحديث المُخرج في الصّحّاحين وغيرهما، ولفظه كما في صحيح البخاري: " لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرّتين." (1)

ويؤيد هذا المعنى سبب ورود الحديث كما في كتب السيرة أنّ النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قاله عندما ظفر بأبي عزة القرشيّ الجمحيّ الشاعر بعد أحد، وكان قد منّ عليه في بدر عندما أخذ مع الأسرى بعدما تعهد أن لا يقاتل النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ولا يحرض على قتاله بشعره، فنقض هذا العهد واشترك مع قريش في قتال المسلمين يوم أحد، فأمر النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بقتله وقال: لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرّتين.

ومعناه إجمالاً: التحذير من التّغفّل وتكرار الخطأ، والحثّ على التّيقّظ واستعمال الفطنة.

ونقل الحافظ في الفتح عن أبي عبيد قال: " معناه لا ينبغي للمؤمن إذا نكب من وجه أن يعود إليه." (2)

وقال بعضهم: " الحديث لفظه خبر ومعناه أمر"، أي ليكن المؤمن حازماً حذراً لا يؤتى من ناحية الغفلة فيخدع مرّة بعد أخرى، وقد يكون ذلك في أمر الدّين كما يكون في أمر الدّنيا وهو أُولاهما بالحدز. ومعناه: أنه ينبغي لمن ناله الضّرر أو المكروه من جهة أن يتجنّبها ويحدّر منها حتّى لا يقع فيها ثانية. كما أراد أبو عزة أن يفعل بالنبيّ، فقال له: " والله لا تمسح عارضيك بمكّة وتقول: خدعت محمداً مرّتين." (3)

والمعنى الذي أراده الإبراهيمي أنّ الأمم الضّعيفة المستعمرة لدغت بدل المرّة لدغت مرّتين، ممّا يوحي بالغفلة والنّوم والبلاهة، و ليست من صفات المؤمن في شيء، وهي تنق في الاستعمار وتصدّقه فيما يقول وهو يخادعها في كلّ مرّة، وفيه تحذير من اللّدغ مرّة ثالثة، مع واجب التّحلّي بالحزم والفطنة والكياسة والنّباهة والحكمة ووضع كلّ شيء في موضعه.

## 2-6 النموذج السادس:

يقول الإبراهيمي: " إنّ الغابط لنا على هذه النّيابة خابط في ضلالة، وإنّ الحاسد لنا عليها حاسد على الموت، وإنّ الممتنّ بها علينا ممتنّ بالسراب على العطاش." (4)

فيه تناص مع الحديث النبويّ الشريف عن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "سئل هل يضرّ الغبط(\*)؟ قال: لا، إلاّ كما يضرّ العضاة الخبّط." (1)

(1) أخرجه البخاري (6133) في كتاب الأدب، ومسلم (2998) في كتاب الزهد والرفائق.

(2) الحافظ بن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، رقم الحديث: 6133، تح: عبد العزيز بن باز، (دط)، دار الفكر، بيروت، (2019).

(3) الحافظ بن حجر العسقلاني: المرجع نفسه، ص: 129.

(4) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه، آثار الإمام، ج 3، 367.

بينما يرى ابن منظور: " أَنَّ الْغَبْطَ لَا يَضُرُّ ضَرَرَ الْحَسَدِ، وَأَنَّ مَا يَلْحَقُ الْغَابِطَ مِنَ الضَّرْرِ الرَّاجِعِ إِلَى نُفْسَانِ الثَّوَابِ دُونَ الْإِحْبَابِ، يَقْدِرُ مَا يَلْحَقُ الْعِضَاءَ مِنْ حَبْطٍ وَرَقِهَا الَّذِي هُوَ دُونَ قَطْعِهَا وَاسْتِنْصَالِهَا؛ وَلِأَنَّهُ يَعُودُ بَعْدَ الْحَبْطِ وَرَقِهَا، فَهُوَ وَإِنْ كَانَ فِيهِ طَرْفٌ مِنَ الْحَسَدِ دُونَهُ فِي الْإِثْمِ. "(2)

أما الخَبْطُ: ما سقط من ورق الشجر بالخبط والنفض، وفي الحديث: " خرج في سرية إلى أرض جُهينة، فأصابهم جوعٌ فأكلوا الخَبْطَ، فسموا جيش الخَبْطِ. "(3)

وكذلك خَبَطَ الشجرة: ضربها بشيء صلب؛ لِيَسْقُطَ ورقها أو ثمرها (خبط الشجرة بالمخبط). (4)

وقد قيل الغابط كالخابط. وخبط الليل يخبطه خبطا: سار فيه على غير هدى، قال ذو الرمة:

سَرَتْ تَخْبِطُ الظُّلْمَاءُ مِنْ جَانِبِي قَسَا \* \* \* وَحُبُّ بِهَا مِنْ خَابِطِ اللَّيْلِ زَائِرٍ

وقد جاء في شرح هذا البيت كما في كتاب شرح الشواهد الشعرية: " قاله ذو الرمة، نعت خيال الحبيبية، فجعل له ضميرها، و قوله: يخبط الظلماء، أي: يسير فيها على غير هدى، و "قسا" موضع . قوله حبّ بها، أي: أحبب بها. "(5)

ولعلّ هذا المعنى الأخير هو الذي قصد إليه الإبراهيمي، إذ اعتبر الغابط على الانتخابات النيابية في الجزائر إبان الاحتلال كالخابط في الظلام الدامس يخبط خبط عشواء، لا يقوى على وضع قدميه ثابتتين على الأرض. فالغبطة التي تكون على نيابة أدار تنظيمها العدو، لا تستحق الاعتبار ولا الحسد ولا الامتنان. فالممتنّ بها " كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الطُّفَّانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ! "(6)

### ثانيا/التناص من التراث العربي:

ويشمل التراث ما ورث عن القدامى من أمثال وحكم وسير وشعر وأساطير وتاريخ... قد اتكأ الإبراهيمي على هذا الزخم من التراث، و يمكن أن يكتشفه القارئ بسهولة، من خلال حضوره في

(\* الغبط: من مادة: "غَبَطَ يَغْبِطُ، غَبْطًا، فهو غَابِطٌ والجمع: غُبْطٌ، والمفعول مَغْبُوطٌ.

غَبَطَ فُلَانًا: تَمَنَّى مِثْلَ مَا لَهُ مِنَ النِّعْمَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْسَدَهُ أَوْ يَرِيدَ زَوَالَهَا عَنْهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: "أَقْرَبُ مَقَامًا يَغْبِطُنِي فِيهِ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ." (ينظر، معجم المعاني الجامع، مادة(غبط).

(1) أخرجه أبو عبيد في الغريب 414/5. وقال الحافظ: ذكره ثابت السرقسطي في الغريب هكذا بغير إسناد. وأخرجه إبراهيم الحربي في الغريب من طريق ابن أبي حسين " أن سائلا سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - أياض الناس الغبط؟ قال: نعم كما يضر العضاة الخبط". ينظر: وليد بن أحمد الحسين الزبيرى: موسوعة الحافظ ابن حجر العسقلاني الحديثية، باب الغبطة، كتاب الأدب، ج 5، مجلة الحكمة، 2002، ص: 536.

(2) ابن منظور: لسان العرب مادة ( غبط). ج7، ص:282.

(3) معجم المعاني الجامع، مادة ( خَبِطُ).

(4) أحمد مختار عمر وآخرون: معجم العربية المعاصرة، صدر: 1429هـ-2008م.

(5) محمّد حسن شرّاب: شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية، ج 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2007، ص: 497.

(6) سورة النور، الآية: 39.

نصوصه الجديدة، وتفاعله مع النصوص القديمة من خلال التداخل النصي، أو من خلال استنصاح المعاني والدلالات.

### 1- التناص من الأمثال:

1-1 النموذج الأول: في رسالته إلى وطنه الجزائر يقول: "سر - يا صبا - طاب مسراك، وصفا مجراك في جو ضاحك الصفحة، وفضاء سافر الغرة، لا جبلا نعمان يعترضان مهبتك، ولا عواصف الدبور تعارض مدبك، فإذا لاحت لك بواذخ الأطلس فاسلك منها ما سلك بنو هلال، فرقة عن اليمين وفرقة عن الشمال."<sup>(1)</sup>

فيه تناص مع شعر قيس بن الملوح (مجنون ليلي) (24هـ - 68هـ)، كما وردت في كتاب الأغاني (لأبي الفرج الأصفهاني (284هـ - 356هـ): "أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلبى قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: قال محمد بن الحكم عن عوانة إته حدثه وواقفه ابن نصر وابن حبيب قالوا: إن أهل المجنون خرجوا به معهم إلى وادي القرى قبل توحيش ليمتاروا<sup>(\*)</sup> خوفا عليه من أن يضيع أو يهلك، فمروا في طريقهم بجبلي نعمان، فقال له بعض فتيان الحي: هذان جبلا نعمان، وقد كانت ليلى تنزل بهما. قال: فأبي الرياح يأتي من ناحيتهما؟ قالوا: الصبا\*\*. قال: فوالله لا أريم هذا الموضع حتى تهب الصبا، فأقام ومضوا فامتاروا لأنفسهم، ثم أتوا عليه فأقاموا معه ثلاثة أيام حتى هبت الصبا، ثم انطلق معهم فأنشأ يقول:

أَيَا جَبَلِي نُعْمَانَ بِاللَّهِ خَلَّيَا \*\*\* نَسِيمَ الصَّبَا يَخْلُصُ إِلَيَّ نَسِيمُهَا  
أَجْدُ بَرْدَهَا أَوْ تَشْفُ مِنِّي حَرَارَتُهَا \*\*\* عَلَى كَبِدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا صَمِيمُهَا  
فَإِنَّ الصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَسَمْتُ \*\*\* عَلَى نَفْسٍ مَهْمُومٍ تَجَلَّتْ هُمُومُهَا<sup>(2)</sup>

يريد الإبراهيمي أن يقول مخاطبا ريح الصبا: انطلق وبلغ سلامي للجزائر، ولا توقفك جبال نعمان وتماسك فلا تترك العواصف تعبت بك كما تعبت بالدبور، فتأخذها إلى أماكن بعيدة. وريح الدبور هي: الرياح التي تعاكس الصبا، وتأتي من الغرب إلى الشرق، وهي تهب أول الليل و آخر النهار، وتنقطع سريعا بعد أول الليل، كما أنها أشد من الصبا وهي ريح الهلاك و العذاب فتهدج كما يهدج الأسد المغضب.

(1) الإبراهيمي : نحية غائب كالأيب، آثار الإمام، ج4، ص: 182.

(\*) امتار: الرجل لأهله أو لنفسه جمع الميرة، أي: الطعام من الحب والقوت قصد المدينة يمتار لصغاره. (معجم المعاني الجامع-مادة ( امتار).

(\*\*) الصبا: صبت الريح: هبت من جهة الشرق. صبا [مفرد]: ج صبات وأصبا: ريح مهبطها جهة الشرق، وعكسها دبور (مؤنثة) "هبت ريح الصبا- نسيم الصبا." - ريح الصبا: "ريح لطيفة تأتي من المشرق." (ينظر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة(صبا).

(2) ينظر، الأصفهاني أبو فرج، كتاب الأغاني، ج1، ص: 25- 26.

وفي الحديث: حدثنا مسلم قال: حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "نصرتُ بالصبا وأهلكتُ عاداً بالدبور".<sup>(1)</sup>

1-2 النموذج الثاني: يقول الإبراهيمي مخاطباً الأستاذ إبراهيم الكتاني: "هذه - أطل الله بقاء أخي - قطعة من فصل طويل من ملحمة أطول، نُظمت في أوقات الفراغ في شهري ناخر من الصيف الماضي، وقد اشتملت على أفانين من الجدّ والهزل، والشخّث والجزل، ووصف الرّخاء والأزل، والولاية والعزل، والتكث والغزل، وتراجم لرجال سواسية في الحسّ كأسنان الحمار، قد أبصروا بعماهم، وعرفوا بسيماهم، فإذا رأيت أحدهم رأيتهم جميعاً، وإذا سمعت اللغو كنت لكلامهم سميعاً، وبذلك أراحوا الناقد والواصف".<sup>(2)</sup>

كانت العرب تقول: (الناس سواسية كأسنان الحمار)، فجاء نبيّنا - عليه السلام - وقال: "الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربيّ على عجمي، إنّما الفضل بالتقوى".<sup>(3)</sup>

قال الأصمعيّ وأبو عمرو: ما أشدّ ما هجا القائل "سواسية كأسنان الحمار".

قال الشاعر عمرو بن أحمر الباهليّ<sup>(\*)</sup> (ت75هـ - 694م):

سَوَاسٍ كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ، فَلَا تَرَى \*\*\* لِدِي شَيْبَةً مِنْهُمْ عَلَى نَاشِيٍّ فَضْلاً

وهذا المثل القديم (أسنان الحمار) يضرب في التماثل والتساوي، ومن أمثال العرب (سواسية كأسنان الحمار) يقال: هو سيكّ بتشديد الياء. أي: هو مثلك، وهما سواء وسواسية وسواس إذا كانا متساويين. قال بعضهم لا تكون السّواسية إلا في الشّر. قال ابن أحمر (وأشد البيت).

وقد كان يضرب هذا المثل في السّواسية في الشّر. وقد استنجد الإبراهيميّ به كأفضل ما يصف به رجالاً هم عنوان السّوء والشّر في الجزائر، والظاهر أنّه يشير إلى رجال الطّرقية المنحرفين الذين باعوا ضمائرهم لفرنسا، ونصبوا العداء لجمعية العلماء ورجاليتها؛ لمواقفها النبيلة، ونهجها القويم، وباعوا دينهم بدنياهم، وانساقوا وراء أباليس الاستعمار الفرنسي، يلغون أحذيتهم، ويستجدون فتات عطاءاتهم مقابل تنفيذ

(1) الحافظ: فتح الباري شرح صحيح البخاري. رقم: 988.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ إبراهيم الكتاني، آثار الإمام، ج2، ص: 149.

(3) أخرجه ابن لال بلفظ قريب عن سهل بن سعد «الناس كأسنان المشط، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى» (سبل السلام: 3/129). رواه ابن عدي في الضعفاء، وحكم عليه بالوضع - أي أنه مكذوب - وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات، وتعقبه السيوطي بذكر طريق أخرى له، ولكنها ضعيفة جداً، كما قال العلامة الألباني. وخلاصة القول فيه أنه ضعيف جداً، ومن أراد طرقه وأسانيده فلينظرها مجموعة في سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني رقم: 596.

(\*) عمرو بن أحمر الباهليّ (ت75هـ - 694م): شاعر جاهلي مخصرم، ولد ونشأ في نجد، أدرك الإسلام وأسلم وشارك في الفتوحات ويروى أنه شارك في الفتوحات مع خالد بن الوليد، وكذلك في مغازي الروم. استشهد سيبويه بالكثير من أبياته لماعرفت به قبيلته من فصاحة وسلامة لغة. كان شاعراً فصيحاً مقدماً على غيره من الشعراء المخصرّمين في فنون الشعر وغريبه. (ينظر، عمرو بن أحمر الباهلي، معجم الشعراء العرب، ص: 1800).

الأوامر، والتّيل من أبناء جلدتهم والتّاليب على علماء أمتهم الذين فضّلوا التّخندق مع شعبهم والتّضحية من أجله، والوقوف حاجزا منيعا أمام تجّار الدّين وطُلاب الدّنيا فهم سواسية في الوسيلة، وسواسية في الهدف، وسواسية حتّى في الهدام الذي سربلوهم فيه.

### 1-3 النموذج الثالث:

يقول الإبراهيمي: "بدأت دعوة المعلمين إلى المحاكم نقرى، ونحن نقدر أنّها ستعم، وإنّ أول المطر قطر... وإنّ الأحكام ستكون بالغرامة فالسجن، ولكننا سندخل هذه المحاكم برؤوس مرفوعة، وستنلقى هذه الأحكام بنفوس مطمئنة بالإيمان، وسندخل السجون بأعين قريرة وسنلتقي (بإخواننا) المجرمين في مجالس الأحكام ومقاعد الاتهام... وحسبنا شرفاً أن يكون." (1)

فيه تناص مع الحكمة العربيّة القديمة المعروفة "أول الغيث قطر ثمّ ينهمر".

وفيه تناص مع البيت الشعريّ لشاعر تونس الكبير أبي القاسم الشّابي في قصيدته المشهورة "إذا الشعب يوماً أراد الحياة" الموسومة بعنوان: يا شعب تونس، والتي مطلعها:

يَا شَعْبَ تُونُسَ مَا أَبْكَأكَ \*\*\* أَبْكَأْنَا جُرْحَ الْعُرُوبَةِ وَ الْإِسْلَامِ أَدْمَانَا (2)

ثمّ يختمها بهذا البيت:

وَ أَوَّلُ الْغَيْثِ قَطْرٌ ثُمَّ يَنْهَمِرُ \*\*\* يَا تُونُسَ الْخَيْرِ هَلْ أَسْمَعْتِ جِيرَانَا !؟

لقد استتصص الإبراهيمي صراحة هذه الصّورة للتعبير على أنّ بداية محاكمة المعلمين هي أول الغيث، ثم سينهمر هذا الغيث ليصبح طوفانا يجرّ أمامه كلّ من له علاقة بالتّدرّيس من علماء ومشايخ ومعلمي القرآن الكريم والأئمة، فهم - وحدهم - من حمل لواء التّربية و التّعليم فيما تبقى من مساجد وكتاتيب وأقباء ودور فتحت لهذا الغرض، وفيها إشارة إلى أنّ تلك المحاكمة الجائرة، ستنبعها محاكمات أخرى، لفئات أخرى من الشعب الجزائريّ؛ لبسط الحصار والخنق على الجميع، حتّى إذا خافت النّخبة وتراجع عموم الشعب؛ تمكّن المستعمر وفعل ما الأباطيل، وبسط شرّاسته؛ وحقّق مآرب سياسته الخبيثة.

### 1-4 لنموذج الرابع:

يقول الإبراهيمي: "للحكومة في كلّ مذهب تذهب عاصمي، وإن لم تسمّه مفتياً حنفيّاً. وكلّ هؤلاء عاصمي في حرفته، "سودته" عبوديته، ولو ساعده الوزن لقلب المثل، وقال: نفس عاصمي سودت عاصميّاً... وكلّهم لا يعرفون معنى للعب، إذا امتلأ الجيب، ولا يأبه للعار، وإن دخل النّار." (3)

هذا النّص له أصل، حيث تناصّ مع المثل العربيّ القديم الذي تضمّنه البيت الشعريّ الشّهير:

(1) الإبراهيمي: عادت لعترها لميس، آثار الإمام، ج3، ص: 344.

(2) أبو القاسم الشّابي: ديوان أبي القاسم الشّابي، المحقق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2005م.

(3) الإبراهيمي: عادت لعترها لميس، المرجع السابق، ص: 342.

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامًا

وَعَلَّمَتْهُ الْكُرَّ وَالْإِقْدَامَا

وَصَيَّرَتْهُ مَلِكًا هُمَامَا

قيل: هو عصام بن شهبر حاجب النعمان بن المنذر الذي قال له التابغة الدبباني حين حجبته عن عبادة النعمان من قصيدة له:

فَأِنِّي لَا أَلُومُكَ فِي دُخُولِ \*\*\* وَلَكِنْ مَا وَرَاعَكَ يَا عِصَامُ ؟

يُضْرَبُ فِي نَبَاهَةِ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ إِرْثٍ قَدِيمٍ وَهُوَ الَّذِي تَسْمِيهِ الْعَرَبُ " الْخَارِجِيَّ " يَعْنِي أَنَّهُ خَرَجَ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ أَوْلِيَّةٍ كَانَتْ لَهُ، وَفِي الْمَثَلِ " كُنْ عِصَامِيًّا وَلَا تَكُنْ عِظَامِيًّا. "(1)

وقد استعار الإبراهيمي هذا المثل في بنية النص الحاضر بطريقة بدعية، حققت اندماج النص الغائب في متن النص الحاضر للدلالة على أن فرنسا جمعت حولها (برادع)، وألبستهم لباس التقوى والورع والهيبة والوقار، تقدمهم للناس لإقناعهم بسياساتها الاستعمارية الماكرة، وهم في حقيقة الأمر جهال لا دين لهم، ولا علم، ولا فقه، ولا ضمير، استغلوا الظرف فقدموا أنفسهم للعامة على أنهم علماء، وما هم بالعلماء. ولكن هيهات أن ينخدع الشعب الجزائري بمكر هؤلاء، فقد تنبه إلى حيلهم، وتفطن إلى كيدهم، ولا يحق المكر السيء إلا بأهله.

### 5-1 النموذج الخامس:

يقول الإبراهيمي مخاطبا تلميذه أحمد بن أبي قصبية بعد أن أرسل له هدية متمثلة في (ضب) محشو بالصوف: " وما زلت أنعتكم في رسائي إليكم بالفيلسوف تنادرا ومباشطة وتظرفا، وأنا لا أجهل أنكم تنطون على شمائل فيلسوف أو تحملون روحه بالتعبير العصري، حتى جاءت هديتكم لأحمد على يدي وهي عبارة عن ضب وورل محنطين بالنخالة لا بالموميا، فعاتبتكم - فيما أذكر - عتاب مغفل بما معناه: أتني شبيت عن طوق هذه الأحناش، وما كان ذلك العتاب إلا عنوانا على غفلتي في ذلك الوقت. "(2)

فيه تناص وإشارة إلى المثل العربي المعروف " كبر عمرو عن الطوق " أو " شب عمرو عن الطوق ". ويضرب هذا المثل دائما للدلالة على تقدم عمر (سن) الصغير، وتركه لمرحلة الطفولة.

(1) ينظر، محمد إسماعيل المقدم: علو الهمة، ص: 91.

(2) الإبراهيمي: رسالة الضب، آثار الإمام، ج2، ص: 40.

**قصة المثل:** كان للملك جذيمة الأبرش ابن أخت صغير اسمه عمرو، وكان يحبه جداً، ولما بلغ عمرو ثمان سنوات بدأ في الخروج مع الخدم، وذات مرة خرج عمرو، ولم يعد، فحزن جذيمة لذلك كثيراً وبحثوا عنه طويلاً فلم يجده.

وفي يوم ما جاء رجلان لزيارة الملك جذيمة، وقد وجدا الصبي في طريقهما، فحملاه إلى الملك ففرح بعودته، وأرسل إلى أمه فنظفته، وألبسته ثياباً جميلة، وعطرته، ثم زينته بالطوق الذهبي الذي كان يلبسه وهو طفل صغير، فلما رآه جذيمة ابتسم وقال: لقد شب عمرو عن الطوق. أي أنه صار صبيّاً يافعاً بفعل الزمن.<sup>(1)</sup>

وقد استعار الإبراهيمي هذا المثل ليذكر تلميذه بأنه تربي على مثل هذه الأحناس منذ الصغر، وقرأ عنها وحفظ من معلوماتها الشيء الكثير، لما كان يافعاً. واليوم كبر عن هذه الزواحف، ولم يعد في حاجة لاقتنائها أو اللعب بها، خاصة وقد بلغ من العمر واحداً وخمسين عاماً.

**1-6 النموذج السادس:** يقول الإبراهيمي والكلام عن الباش آغا: "عد مائة وعشرين سنة من استعمار فرنسا أم الدساتير وأم الشعوب النيابية في العالم - قد انتهت إلى حيث ابتدأ (الباش آغا) عبد الله قائد دوار شرق الأردن. وأن هذا التشابه لينبئ بأن ذلك الباش آغا قد استعرض في بدايته (عيّات) من النيابات، فاستوقفه نوع النياية الجزائرية في نهايتها، فاستهوتها، فاخترها فقلدها، والشكل يقع على شكله."<sup>(2)</sup>

فيه تتناص مع المثل المعروف: "الطيور على أشكالها تقع".

وقد ذكر الميداني في أمثاله ما يشبه فأورده بصيغة (الطيور على ألافها تقع)<sup>(3)</sup>، كل الطيور لمثلياتها تُصفر وتُغرّد، وتنزل على شبيهاها في العيش وفي الوزن وفي التغريد والتناسل والتوليد... وبداية من هذا الأمر صار المثل يُطلق على المتشابهين من البشر في السلوك.

ودلالة ذلك أنّ الإبراهيمي استحضر هذا المثل ليقرّر حقيقة، أنّ (الباش آغا) متأثر جداً بالثقافة الفرنسية والسياسة النيابية الاستعمارية في الجزائر، مقتنع بها، ذائب إلى النخاع في أبجديتها وديمقراطيتها، مُولع بزخارفها وبهرجتها، متشبع بسحرها، أعماه ذلك عن وجهها الآخر الحالك الظالم المجرم، فراح يقلدها ويتبنّاها أنموذجاً، ويطبّقها بحذافرها في الأردن. فالمغلوب مُولع - دائماً - بالغالِب والمهزوم - دوماً - مُقلد للقوى الهازمة.

(1) ينظر، الميداني أبو الفضل، مجمع الأمثال، المثل رقم (3017)، ص: 137.

(2) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه، آثار الإمام، ج3، ص: 366.

(3) ينظر، الميداني أبو الفضل، مجمع الأمثال، ج1، ص: 442.

## 1-7-النموذج السابع:

يقول الإبراهيمي وهو يتحدث عن الوجه الخفي لفرنسا التي لا يعرفها إلا من تظلى بناها، واكتوى بحجمها، وتعرض لإذلالها وشرها: "وأما فرنسا الثانية التي التقى تاريخها بتاريخنا من سنة 1830 إلى الآن فهي التي عرفناها فاتحة بالسيف، حاكمة بالحيف، وأياسنا من عدلها أنها حققت لنا معنى المثل: المستجير بعمره... وكيف نستدفع البلاء، بما هو أصل البلاء؟." (1)

قوله: (المستجير بعمره...). فيه تناص مع المثل العربي القديم المشهور، والذي تضمنه المثل المعروف في البيت الشعري المعروف: **الْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرُو عِنْدَ كَرَبْتِهِ \*\*\* كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ** ويقال: **إِنَّ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِهَذَا الْمَثَلِ التَّكْلَامَ الضَّبْعِيَّ، وَذَلِكَ أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْحَارِثِ مَرَّ عَلَى كَلْبِ وَأَثَلِ وَفِيهِ رَمَقٌ مِنْ طَعْنَةِ رُمَحٍ، فَاسْتَسْقَاهُ كَلْبِ، فَأَلْوَى عَلَيْهِ الْحَارِثُ فَأَجْهَرَ عَلَيْهِ؛ فَقِيلَ:**

**الْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرُو عِنْدَ كَرَبْتِهِ \*\*\* كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ**

والرَّمْضَاءُ مِنَ الرَّمَضِ وَهِيَ التُّرَابُ الْحَارُّ وَمِنْهُ سُمِّيَ رَمَضَانُ لِأَنَّهُ جَاءَهُمْ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ. ويضرب هذا المثل لمن يعدل عن أمرٍ مثلاً، فيه مشقة عليه أو خطرٍ أو نحو ذلك، يعدل إلى أمرٍ يظنُّ أنه أهون من الأول، فإذا به قد يقع في أمرٍ أشدَّ من سابقه. فهذا مثله كمثل الذي كان واقفاً في الرَّمْضَاءِ، فاستجار (طلب الحماية) بالنَّارِ.

لقد استجد الإبراهيمي بهذا المثل العربي ليكشف الوجه القبيح والمستتر لفرنسا (الثانية) الماكرة الذي يخفي حقيقتها، إذ أنها في كلِّ مرةٍ تخرج بمشروع حضاريٍّ ديمقراطيٍّ كبرمجة انتخاباتٍ معينةٍ ظاهراً الحرية والاختيار الحرّ؛ وباطنها مستعرٍ يغلي كالحميم، من أجل بسط هيمنتها، والسعي لإعطائها الشرعية الداخلية والدولية، وهي في كلِّ ذلك متلعبة، فما عجزت عن تحقيقه بالرصاص، تلجأ إلى تحقيقه بالأساليب الديمقراطية، وهي في جوهرها تضحك على الشعب الجزائري وتراوغه، وتستخفّ بعقله، ونست - لحظة - أو تناست، أنها تمارس سياسة الهروب من الرَّمْضَاءِ إلى النَّارِ، ولكن هيهات!

## 2-التناص مع الشعر العربي القديم:

دلّ التناص في رسائل الإبراهيمي مع الشعر العربي على اطلاعه الواسع وحفظه لفحول الشعراء القدامى، وقد أثبتت قدرته الفنية على استحضار النصوص الغائبة و(صبها) ودمجها (وتعشيقها) في متون رسائله بشكل كامل أو جزئي، وهذه نماذج من ذلك:

(1) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه-3، آثار الإمام، ج3، ص: 370.

## 2-1 النموذج الأول:

يقول الإبراهيمي مخاطبا صاحبيه في وفاة صاحبة ابن باديس: "قولا لصاحب القبر عني: يا ساكن الصريح، نجوى نضوٍ طليح، صادرة عن جفن قريح، وخافق بين الصلوع جريح، يتأوبه في كل لحظة خيالك وذكرك، فيحملان إليه على أجنحة الخيال من مسراك، اللهب والريح، وتؤدي عنهما شؤونه المنسربة، وشجونه الملتهبة، وعليهما شهادة التجريح."<sup>(1)</sup>

قوله ( قولا لصاحب القبر). يتناص مع نصوص شعرية عربية قديمة عديدة منها:

قول أبي المثلم الهذلي<sup>(\*)</sup> ( العصر الجاهلي )

أَلَا قَوْلًا لِعَبْدِ الْجَهْلِ إِنَّ الصَّدَّ \*\*\* صَحِيحَةٌ لَا تَحَالِيهَا التَّلَوُّثُ

أَنْسَلَ بَنِي شُعَارَةَ مِنْ لِيصَخِرِ \*\*\* فَإِنِّي عَنْ تَفَقُّرِكُمْ مَكِيثُ

و قول العباس بن الأحنف<sup>(\*\*)</sup> ( العصر العباسي ):

قَوْلًا لِمَنْ كَتَبَ الْكِتَابَ بِكَفِّهِ \*\*\* اِرْحَمْ فَدَيْنُكَ نِيَّتِي وَخُضُوعِي

مَا زِلْتُ أَبْكِي مَذُ قَرَأْتُ كِتَابَكُمْ \*\*\* حَتَّى مَحَوْتُ سَطُورَهُ بِدُمُوعِي

ومع شعر ابن الرومي ( العصر العباسي ):

قَوْلًا لِمَنْ عَابَ شِعْرَ مَا دِحِهِ \*\*\* أَمَا تَرَى كَيْفَ رُكِبَ الشَّجَرُ

رُكِبَ فِيهِ اللَّحَاءُ وَالْحَشَبُ الِ \*\*\* يَا بَيْسُ وَالشُّوكُ بَيْنَهُ النَّمْرُ

عندما حرمت السلطات الاستعمارية الشيخ من حضور جنازة ابن باديس، لتقديم العزاء، ظل يبكيه في وحدته (محبسه) لا مؤنس له إلا الله، فكان قلبه يتفطر من الغيظ والحرمان، فاستعاض عن ذلك ببث وجدته وحرزته إلى (الصاحبين) على طريقة الفحول من الشعراء القدامى؛ عسى أن يخفف ذلك عنه بعض الهم، ويحملان مناجاته - بأمانة - إلى صاحبه الذي وراه التراب، " وقد علق الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض على هذا النص بقوله: "قولا لصاحب القبر عني...": فالشيخ يخاطب رفيقين اثنين، كدأب الشعراء العرب في الخطاب، ثم يحملهما رسالة يقرآنها على الأصحاب، ويقدمانها إلى الثاوي في

(1) الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، آثار الإمام، ج2، ص: 57.

(\*) أبو المثلم الهذلي: شاعر جاهلي من بني هذيل كان له مع صخر الغي مناقضات شعرية حيث قتل صخر الغي جار أبي المثلم. ولكن أبا المثلم بعد أن مات صخر الغي رثاه بشعر... (ينظر، أبو المثلم الهذلي، كتاب معجم الشعراء العرب، ص: 322).

(\*\*) العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي، أبو الفضل (ت192هـ - 807 م) شاعر غزل رقيق، قال فيه البحري: أغزل الناس. أصله من اليمامة (في نجد) وكان أهله في البصرة، وبها مات أبوه. خالف الشعراء في طرقهم فلم يمدح ولم يهج بل كان شعره كله غزلا وتشبيها، وهو خال إبراهيم بن العباس الصولي ( ينظر، العباس بن الأحنف، كتاب معجم الشعراء العرب، ص: 732).

الضريح، من مُحَبِّ طليح، بلغة الشيخ الحزين الجريح... فيصُول ويجول، ويأتي بالذَّرر البديعة التي لم نُفْتَرِ لها مثيلاً لدى معاصريه في المشرق والمغرب...<sup>(1)</sup>

ولا أحد يعلم - فعلا - هل الإبراهيمي يخاطب صاحبين مجهولين كعادة الشعراء العرب، واستعار هذه الصيغة (المتنى) بعقريّة من الشّعْر إلى النثر؟ أم أنّه كان يخاطب صاحبين حقيقيين مقرّبين، بعد أن طاف طيفاهما بطيفه، من علماء الجمعيّة أو تلاميذها؟ أم أنّه كان يخاطب من نقل إليه خبر الوفاة؟ أم أنّه كان يخاطب اثنين من عالم الغيب ليحملا (مناجاته المبتورة) إلى روح صاحب القبر؟ المهم أنّ الخطاب كان للمتني، ويحقّ لنا التّساؤل لماذا كان الخطاب للمتني دون سواه من الصّيح؟

ويأتي الجواب سريعاً: "وارتباط هذا النداء بصيغة المتني يعيدنا إلى أوّل من قال: (قفا نيك)، والخطاب هنا أيضاً للمتني، الذي توقّف البعض عنده بالبحث والدّراسة، متسائلين: ولماذا المتني وليس المفرد أو الجمع؟ وأقرب ما قيل في هذا المجال إنّ أقلّ صور الجماعة أن يكون النّاس ثلاثة، فإذا تكلم أحدهم فإنّه يخاطب صاحبين اثنين، من هنا كان نداء امرئ القيس: قفا، وجاء من بعده من يقولون: خليليّ وصاحبيّ مؤكّدين أنّ صيغة (المتني) لها جماليّاتها التي تنفرد بها اللّغة العربيّة."<sup>(2)</sup>

2-2 النّمودج الثّاني:

يقول الإبراهيميّ مخاطباً الجزائر: "ورضيت أكمل الرّضى أنّ كان جهد المقلّ منّي يرضيك، وما هو إلّا لبنة في بنائك، وقطرة في إنائك، ورعيّ لذمتك، وسيّ في كشف غمّتك، ورضيت من الجزاء على ذلك كلّ برضى الله وقبوله، فلا يهولنك فراغك منّي أيّاماً، فعسى أن يكون المسك ختاماً، وعسى أن تسعد بآثار غيبتني أعواماً."<sup>(3)</sup>

فيه تناص مع قول الرّسول - صلى الله عليه وسلّم -: "أفضل الصّدقة جهد المقلّ، وابدأ بمن تعول."<sup>(4)</sup>

كما فيه تناص مع شعر الحلاج (من المجتث) في قوله:

" إذا هجرت فمن لي ومن يجمّل كلّي

ومن لروحي وراحي يا أكثرني وأقلّي

أحبّك البعض منّي فقد ذهب بكليّ

يا كلّ كلّيّ فكنّ لي إنّ لم تكن لي فمن لي

يا كلّ كلّيّ و أهلي عند انقطاعي وذليّ

ما لي سوى الرّوح خذها والرّوح جهد المقلّ."<sup>(5)</sup>

(1) عبد الملك مرتاض: محمد البشير الإبراهيمي أمير البيان، ص: 377.

(2) فاروق شوشة: قصيدة "عفراء" لعروة بن حزام، مجلة العربي، الكويت، العدد 638، 2012، ص: 172.

(3) الإبراهيمي: تحية غائب كالأيب، آثار الإمام، ج4، ص: 185.

(4) أخرجه أحمد و أبو داود، وصححه ابن خزيمة و ابن حبان و الحاكم، وصحّحه الألباني في: إرواء الغليل، 415/3.

(5) ينظر: قاسم محمد عباس: الأعمال الكاملة، مكتبة الاسكندرية، مصر، ط1، مارس 2002، ص: 318 - 319.

وهذا الاستتصاص مع الحديث الشريف ليس مبحثنا، ولكن وجدنا أن الإبراهيمي يكون قد استحضره من شعر الحلاج. فقد استعان الإبراهيمي بهذا (النص) رغبة منه في البوح لوطنه الجزائر، أن الجهد الذي بذلته فيك هو كل طاقتي التي أملكها، وهو أقصى ما يقدمه شخص مثلي لا حول له ولا قوة إلا لسانه وقلمه. وكأته يتوسل إلى وطنه كي يقبل منه ذلك الجهد الذي وصفه بالمقل وأن يستجديه في أن يمن عليه بالقبول، ويرضى به.

### 2-3 النموذج الثالث:

يقول الإبراهيمي مخاطبا الخائن لوطنه على لسان فرنسا المستعمرة، ممن أعدت عليهم المال والنياشين والرتب: " ازم باسمك لتغطي به اسمي، وقل بلسانك ومن ورائه لساني لأستدفع بك ما عسى أن يلحق من تهمة، أو يعلق من وصمة، فإني لم أضع للدين لجنة، ولللهال لجنة، وللحج لجنة، إلا لأمحو من أعماله أثر الهجنة... ولا تنس أن من نعمي عليك أنني أكتب وأنسب إليك... وكفاك فخرا أن وجودي هو وجودك: وكفاني نجاحا أن كان " للوظيفة" لا لله سجودك وكفاني ثقة بك أن صرحت بأن "مصلحتك هي مصلحتي". وحسبنا جميعا أننا روحان في جسد وشعرتان في حبل من مسد، وأنا دنا - على شيوع الإلحاد - بمذهب الحلول والاتحاد. "(1)

ففي الشاهد الأول تناص مع كلام الحلاج(\*) في قصيدته المشهورة (من الرمل):

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرتة

وإذا أبصرتة أبصرتنا

روحه روعي وروحي روجه

من رأى روحين حلا بدنا "(2)

فاستعارة الإبراهيمي من شعر الحلاج، لم يكن -أبدا- من باب الإعجاب به، أو التأثر بمعانيه وإنما استحضره لتحقيق صورة معينة في متن رسالته، فإن البون شاسع بين عقيدة الإبراهيمي والحلاج، طوله دهر وعرضه شهر، لكن الإبراهيمي استخلص من شعر الحلاج ليعبر على لسان حال الحكومة الفرنسية

(1) الإبراهيمي: عادت لعثرها لميس، آثار الإمام، ج3، ص: 342.

(\*) أبو عبد الله حسين بن منصور الحلاج (858م - 922م) (244 هـ - 309 هـ) من أعلام التصوف من أهل البيضاء وهي بلدة بفارس نشأ في مدينة واسط (العراق)، وصحب أبا القاسم الجنيد وغيره. فلسفته التي عبر عنها الحلاج بالممارسة لم ترض الفقيه محمد بن داود قاضي بغداد، فقد رآها متعارضة مع تعاليم الإسلام، فرفع أمر الحلاج إلى القضاء طالبا محاكمته.. وانتهى الأمر بالحكم عليه بالإعدام على يدي الوزير حامد بن العباس، تنفيذاً لأمر الخليفة المقتدر في القرن 4 هـ، فضرب ألف جلدة، ثم قطعت أطرافه الأربعة، وضربت عنقه وأحرقت جثته، ثم ذري في دجلة بعد أن أحرقت كتبه، ثم عرف بعد ذلك بشهيد العشق الإلهي. (ينظر، حسين بن منصور الحلاج، كتاب معجم الشعراء العرب، ص: 636).

(2) ينظر، قاسم محمد عباس: الأعمال الكاملة، ص: 330.

الاستعمارية في الجزائر مع واحد من صنائعها الطائعين المطيعين من الخونة و(الْحَرْكِيِّينَ) (\*) على أنهما (روحان) اجتماعا في (جسد واحد)، جمعتهما المصلحة الواحدة، ووجود الواحد منهما هو ضمان لوجود الآخر.

## 2-4 النموذج الرابع:

يقول الإبراهيمي مخاطبا الفرنسيين المستعمرين: "ويحكم! أحيوا العدل وانشروه، وأميتوا الاستعمار وأقبروه، تكن الأمم كلها معكم بقلوبها، وعقولها، وأبدانها، وأموالها، وتأمّنوا البوائق التي تخشون انفجارها، فإن لم تفعلوا فأيقنوا أنّ كلّ ما تنفقونه من جهد ووقت ومال في تمكين الاستعمار ضائع، ولا الحمد مكسوبا، ولا المال باقيا، ثمّ ما يزال بكم هذا الغول الذي تربّونه وتحضنونه حتى يردكم في هاوية." (1)

قوله (ولا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا)، فيه تناص مع البيت الشهير للشاعر أبي الطيب المتنبّي: (\*)

إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصًا مِنَ الْأَذَى \*\*\* فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلَا الْمَالُ بَاقِيًا  
وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَتَى \*\*\* أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَى أَمْ تَسَاخِيًا

فارق أبو الطيب سيف الدولة، ورحل إلى دمشق، وكاتبه كافور بالمسير إليه، فلما ورد مصر ألقى له كافور دارًا وخلع عليه، وحمل إليه آلافًا من الدراهم، فقال يمدحه وأنشده إيّاها في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاثمائة:

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا \*\*\* وَحَسَبُ الْمُنَايَا أَنْ يُكْنَ أَمَانِيًا  
تَمَنِّيَتْهَا لَمَّا تَمَنِّيْتَ أَنْ تَرَى \*\*\* صَدِيقًا فَاعِيًا أَوْ عَدُوًّا مُدَاجِيًا

يقول إذا لم يتخلص الجود من المنّ به، لم يبق المال ولم يحصل الحمد لأنّ المال يذهب الجود والأذى يبطل الحمد فالمانّ بما يعطي غير محمود ولا مأجور وشبهه (لا) بليّس فنصب الخبر. (2)

(\*) الحركيون: ج م حركي: وهو مصطلح شعبي جزائري بامتياز، ويطلق على الخونة أيام الثورة التحريرية، ويسمّون أيضا "القومية"

(1) الإبراهيمي: حدّثونا عن العدل فإننا نسيناه، آثار الإمام، ج3، ص: 373.

(\*) المتنبّي أبو الطيب: أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي أبو الطيب المتنبّي. (303هـ-354هـ/915م-965م) الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. ولد بالكوفة في محلة تسمى كندة وإليها نسبته، ونشأ بالشام، ثم تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس. قال الشعر صديبا، وتنبأ في بادية السماوة) بين الكوفة والشام (فتبعه كثيرون، وقبل أن يستقل أمره خرج إليه لؤلؤ أمير حمص ونائب الإخشيد فأسره وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه. وقد على سيف الدولة ابن حمدان صاحب حلب فمدحه وحظي عنده. ومضى إلى مصر فمدح كافور الإخشيد وطلب منه أن يوليه، فلم يوليه كافور، فغضب أبو الطيب وانصرف يهجو. قصد العراق وفارس، فمدح عضد الدولة ابن بويه الديلمي في شيراز. عاد يريد بغداد فالكوفة، فعرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي في الطريق بجماعة من أصحابه، ومع المتنبّي جماعة أيضا، فاقتتل الفريقان، فقتل أبو الطيب وابنه محسد وغلّاهم فملح بالنعمانية بالقرب من دير العاقول في الجانب الغربي من سواد بغداد. (ينظر، المتنبّي، كتاب معجم الشعراء العرب، ص: 799).

(2) الواحدي أبو الحسن: شرح ديوان المتنبّي، ص: 311.

فالمَن الذي تظهره فرنسا على بعض أتباعها ومناصريها والخونة الذين أغدقت عليهم العطايا والرَّتب والنياشين والهدايا والمراكز الموهومة كلَّها ستزول حتماً (ولا الحمد مكسوبا ولا المال باقياً)؛ لأنَّ أصل الممتنِّ مبني على باطل، وكلَّ ما تقدّمه هو هواء وهباء، وأمّا ما تزخر به من أموال لشراء الدّم وبناء الممتلكات والمرافق، هو الآخر زائل لا بقاء له؛ لأنَّ الشَّعب يوماً ما سيقول كلمته الفاصلة، وقد قالها صدقا.

## 2-5 النموذج الخامس:

يقول الإبراهيمي في رسالته (الضَّب): "ومن مزاعم العرب في الضَّب أنّه أوّل من دلّ على نفسه إذ كانت الحيوانات كلَّها تتكلّم، فزعموا أنّ صائداً مرّ بوادٍ فيه ضبّ فلم يتوجّه إلى صيده، فخاطبه الضبّ بقوله: إنك لو ذقت الكُشى<sup>(\*)</sup> بالأكباد.. لما تركت الضبّ يعدو بالواد: والكُشى جمع كُشية وهي شحمة مستطيلة في الضبّ يقول آكله إنّه لا ألدّ منها، ومعنى قوله- لو ذقت الكُشى بالأكباد- لو أكلتها ملفوفة بالأكباد أو ممزوجة بها فهو- زيادة عن كونه دلّ على نفسه- أرشد إلى كيفية ونوع من أنواع الملفوف." (1)

حديثه عن (الكُشى) فيه تناص مع البيت الشعريّ من (الرّجز) والذي ينسب إلى ابن قتيبة: (2)

وَأَنْتَ لَوْ ذُقْتَ الْكُشَى بِالْأَكْبَادِ \*\*\* لَمَا تَرَكْتَ الضَّبَّ يَعْدُو بِالْوَادِ

كما فيه تناص مع شعر ينسب إلى الشّاعر (الرياشي) (\*\*): الذي يقول فيه:

فَلَوْ كَانَ هَذَا الضَّبُّ لَا ذَنْبَ لَهُ \*\*\* وَلَا كُشِيَّةً، مَا مَسَّهُ الدَّهْرُ لِامِسِّ

وَلَكِنَّهُ مِنْ أَجْلِ طَيْبِ ذُنَيْبِهِ \*\*\* وَكُشِيَّتِهِ دَبَّتْ إِلَيْهِ الدَّهَارِسُ (3)

(\*) والكُشية: شحمة مستطيلة في الجنبين من العنق إلى أصل الفخذ، وفي المثل (أطعم أخاك من كُشية الضب)، يحثّه على المؤاساة، وقيل: بل يهزأ به. (ينظر: ابن سيده أبو الحسن الأندلسي: المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، ج7، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ص: 100).

الكُشى: "جمع كُشية وهي شحمة صفراء تمتدّ من أصل ذنب الضبّ حتّى تصل إلى أقصى حلقه. (ينظر، مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج 20، ص: 128).

(1) الإبراهيمي: رسالة الضب، آثار الإمام، ج2، ص: 47.

(2) ينظر، عبد الله بن محمد بن السيد البطلبوسي: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تح: مصطفى السقا - حامد عبد المجيد، ج2، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، (دط)، 1996 م، ص: 542.

(\*\*) الرياشي: هو محمد بن يسير من أهل البصرة، وعلى الأرجح ولد فيها، ( 230هـ - 818 م)، وهو في الأصل مولى بني رياش. عاش حياته في البصرة، وامتلك فيها بستاناً، ويوصف أنّه ظريف يُحبُّ المجالسة والمؤانسة، وكان لا يهتمُّ بمظهره، بخيل في إنفاقه، ويهوى تربية الحمام، وكان الرياشي مولعاً بالخمر، لا يقدر على تركها يوماً واحداً. من المؤكّد أنّه عاصر خلافة هارون الرشيد في الثلث الأخير من القرن الثاني الهجري ويُنسب إليه أنّه رثى أحمد بن يوسف الكاتب، الذي تُوفي قرابة 214هـ، وكان أحمد من أصدقائه المُقرَّبين، ويُقدَّر مؤرّخو الأدب العربي أنّ وفاة الرياشي كانت في نهاية العقد الثاني من القرن الثالث الهجري.. (ينظر، محمد بن يسير الرياشي، كتاب معجم الشعراء العرب، ص: 258).

(3) ينظر: ابن طرار الجريري النهرواني: الجليس الصالح الكافي والأئيس الناصح الشافي، ضبط وتحيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2005، ص: 149.

ومن سجعات الأساس التي تنسب إلى جار الله الزمخشري ( 467هـ / 538هـ): " ما الأعراب بالكُشى أُولع من القضاة بالرّشا." (1)

ولعلّ استنصاح الإبراهيمي لقصة (الكُشى) ليدلّل على إلمامه بعالم الضّب ومكوناته من الداخل والخارج وشحمته اللذيذة خاصّة إذا لُفت بها الأكباد منكئا في ذلك على أقوال العرب في الضّب وشحومه شعرا وحكما وأمثالا، وخير دليل على ذلك هو إملاؤه للرسالة كلها (رسالة الضب) في حدود ثلاث عشرة صفحة على ابنه الدكتور أحمد في جلسة واحدة وهو على فراش المرض.

**ختاما:** لقد تعددت مصادر الثقافة عند الإبراهيمي، ولعلّ القرآن الكريم كان هو الزاد الثري والمصدر الغني الذي يلجأ إليه الإبراهيمي ويستمدّ منه ما يثري لغته ويقوّي حجته، ويجملّ لغته لما فيه من سحر بيانيّ وتصوير بلاغيّ راق وألفاظ قويّة بديعة، وكذلك التّعامل نفسه مع أحاديث الرّسول الكريم - صلى الله عليه وسلّم - لذلك راح الإبراهيمي يستنجد بها - كما هي عادته - ويستدعيها، ويستعير منها ما يخدم موضوعاته المختلفة في كلّ إبداعاته شعرا ونثرا، كما في رسائله المتعدّدة، وهو أمر طبيعيّ إذ على أيّ القرآن الكريم نشأ، وعلى سورته وتفسيره شبّ، وعلى حفظ المعلّقات والأشعار العربيّة الأصيلة القديمة وكُتب التّراث من سيرٍ وحُطبٍ وأمثالٍ وحكم... ملأت مخزونه، وهو مايزال صغيرا لم يبلغ خمسة عشر عامّا فكانت هي التّبراس الذي استضاء به في كلّ ما بيدع حتّى جاءت تحفا أدبيّة قلّ نظيرها.

( 1 ) الزبيدي: تاج العروس، ج20، ص: 128.

## ثانياً/ السمات البديعية في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

لا يختلف اثنان في مسألة تشابه الفنون الأدبية سواء أكانت نثراً أدبياً أم شعراً عربياً، لكن لكل فنّ سمات إيقاعية خاصة به. وقد حرص محمد البشير الإبراهيمي على توظيف كلّ ماله صلة بعلوم البلاغة في رسائله المختلفة إيماناً منه بأنّ الصّور البيانية والمحسنات البديعية من العوامل التي تضفي على النّصوص إيقاعاً موسيقياً جميلاً تدغدغ العواطف، وتخلق رونقاً على الأسلوب، وتشدّ إليها القارئ بشدّة لما يجده من لذة في نفسه تجعله يتفاعل إيجاباً مع روح الخطاب. وسنحاول التّطرّق إلى بعض هذه السمات الإيقاعية من خلال اختيار بعض رسائل العلامة الإبراهيمي.

## 1 - السّجّع ( Assonance ) في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

السّجّع - لدى البلاغيين - هو أحد مباحث البديع، وهو: علم يعرف به وجوه تحسين الكلام و هو أيضاً محسن يعمل على تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التّتميق، إمّا بسجّع يفصله، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه، أو ترصيع يقطع، أو تورية عن المعنى المقصود بإبهام معنى خفي لعلّة مشتركة تجمع بين الألفاظ في اللّغة.

والسّجّع من المحسنات اللّفظية، وهو: تماثل الحروف في مقاطع الفصول.

أو هو: اتّفاق الفواصل في الكلام المنثور في الحرف أو في الوزن.

والسّجّع مأخوذ من صوت الحمامة الذي يسمّى السّجّع فيقال: سجعت الحمامة. بمعنى: "رَدَدَتْ صَوْتَهَا فهي ساجعةٌ وسجوعٌ، ج: سَجَّعٌ، وسَوَّجِعٌ"<sup>(1)</sup> و "سَجَعَتِ الحمامةُ والنّاقةُ سَجَعَتِ سَجْعًا: رَدَدَتْ صَوْتَهَا على طريقةٍ واحدةٍ."<sup>(2)</sup>

بينما يرى صاحب علوم البلاغة أنّ السّجّع مأخوذ من: "سجعت النّاقة إذا مدّت حنينها على جهة واحدة.

و اصطلاحاً: أنّ تتواطأ الفاصلتان في النّثر على حرف واحد."<sup>(3)</sup>

وفي تعريف آخر بسيط للسّجّع هو: "توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، وأفضله ما تساوت فقره."<sup>(4)</sup>

ولا يحسن السّجّع كلّ الحسن إلا إذا استوفى أربعة أشياء:

1- أن تكون المفردات رشيقة أنيقة خفيفة على السّمع.

(1) ينظر، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (س ج ع).

(2) ينظر، المعجم الوسيط، مادة (س ج ع ت).

(3) أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ص: 302.

(4) علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ص: 273.

2- أن تكون الألفاظ خدم المعاني إذ هي تابعة لها؛ فإذا رأيت السجع لا يدين لك إلا بزيادة في اللفظ أو نقصان فيه فاعلم أنه من المتكافئ المقوت.

3- أن تكون المعاني الحاصلة عند التركيب مألوفة غير مستكثرة.

4- أن تدلّ كلّ واحدة من السجعتين على معنى يغاير ما دلّت عليه الأخرى حتى لا يكون السجع تكراراً بلا فائدة.

ومتى استوفى هذه الشروط كان حلية ظاهرة في الكلام، ومن ثمّ لا تجد لبلوغ كلاماً يخلو منه كما لا تخلو منه سورة وإن قصرت بل ربما وقع في أوساط الآيات كقوله تعالى: ﴿أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾<sup>(1)</sup> (سورة الأعراف، الآية: 100) ولكنّه لا يسمّى سجعا في القرآن، بل يسمّى فواصل ترفعا عما سمّي بسجع الكهان.

أ- قال الله تعالى: ﴿فيها سرر مرفوعة (13) وأكواب موضوعة﴾<sup>(2)</sup>

ب- قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا جنة ربكم بسلام."<sup>(3)</sup>

وقد يطلق على الكلام السجع، أي الكلام الذي فيه السجع، ويجوز أن تسمّى الفقرة بتمامها سجعة تسمية للكلمة باسم جزئه.

وعليه فالسجع من حيث هو محسن لفظي ووسيلة تحسين وتزيين الكلام، يحتاج إليه المتكلم في خطابه حينما يريد تفسير القاعدة في الكلام ليرتفع عن مستوى النثر العادي، الذي يتحدث به الناس في يومياتهم وفي شؤونهم اليومية، إلى مستوى من النثر الفني البديع الذي يتطلب شيئاً من الكلام المهذب واختيار الصياغة الجميلة المتأنقة في التعبير عن شيء ما لإحداث التأثير في النفوس وجلب الانتباه. وقد اهتم العرب بالأسجاع ودبجوا بها شعرهم ونثرهم" لذلك أعجبوا بسجع الحماة وسجع النوق وأعرضوا عن تغريد البلايل، لما يمتاز به سجع الحمامة وحنين الناقة بالطابع الإيقاعي؛ بينما تمتاز الموسيقى عند المتحضرين بطابعها النغمي."<sup>(4)</sup>

وهو الأمر الذي ميّز العرب عن غيرهم من الاهتمام باللفظة، وانتقاء الكلام، والحرص على إظهاره في أبهى حلّة، حتى يجلب الواحد منهم انتباه الناس، والتأثير فيهم، ورغبته في نيل الشهرة ومحاولة الحصول على مدحهم، إلى درجة يتمنى معها الوصول إلى خلود كلامه في التاريخ" لقد عنيت العرب كثيراً بفنّ القول وتنميقه، لما جبلت عليه من سحر البيان ومهارة التعبير، فجعلت حديثها فناً ممتعاً يطرب

(1) ينظر: أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ص: 302-303.

(2) سورة الغاشية، الآية: 13-14.

(3) الزاوي: عبد الله بن سلام، أخرجه الترمذي، وقال: هذا حديث صحيح.

(4) أنور أبو سويلم: الإيقاع في شعر الفيتوري، جريدة حيدر آباد، الهند، 2007، ص: 111.

الأسماع، ويستميل العقول، ويهز أوتار العواطف والانفعالات النفسية، في أحوالها المختلفة، من الغضب والطرب، والحزن، والفرح، والحرب، والسلم، فكان النظم وهو قمة فنّ البيان عندها، وكان السجع في النثر خطبها ومنافراتها، ومحافلها، ومجالسها الزفيعة، ممّا أثر عنها في هذه المناسبات.<sup>(1)</sup>

#### من خصائص السجع الجميل:

أجمع البلاغيون على أنّ السجع لا يحلو في الخطاب إلا إذا اشتمل على جملة من الخصائص كتساوي فقراته في الطول، ومتانة التركيب، ووروده طبيعياً من غير تكلف أو تصنع، وألا يكون فيه تكرار. وقد جاء في كتاب البلاغة الواضحة: "...وأفضل السجع ما تساوت فقره، ولا يحسن السجع إلا إذا كان رصين التركيب، سليماً من التكلف، خالياً من التكرار في غير فائدة."<sup>(2)</sup>

ونظراً لأهمية السجع وتأثيره السحري على الأدب، عدّه البعض نوعاً من الأدب مستقلاً بذاته فلا هو بالنثر ولا هو بالشعر، بل هو نوع منفرد بذاته، نجده في النثر وفي الشعر، وتربطه علاقة وطيدة بينهما فإذا هو كالمح ضرورية لهما فاستحال التخلي عنه. يقول الدكتور محمد الهادي الطرابلسي في كتابه: "تحاليل أسلوبية": فالسجع - نوعاً كتابياً - ليس هو النثر فطعت وحدائمه وفقيت وأخره، ولا هو الشعر تتوعت قوالبه واختلفت موازينه وداخلته المرونة في المبنى والمعنى، إنما هو نوع من الكتابة ثالث له صلة بسائر الأنواع ولكن له هويةً واستقلالاً لا بدّ من النظر إليه من زاويتيها لإدراك حقيقته وتبيين خصائصه."<sup>(3)</sup>

#### أنواع السجع:

وقد حفلت كتب البلاغيين - وبخاصة المتأخرين منهم - بتقسيمات كثيرة للسجع، تحاول أن تجعل له ضروباً مختلفة، من ذلك أنهم يصنّفونه أنواعاً حسب مراعاة الساجع لاتّفاق الفاصلتين في الوزن.

**فالمتوازي:** ما اتّفتت فاصلته في الرّوي والوزن، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ. وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾<sup>(4)</sup>

**والمطرّف:** ما اتّفتت فاصلته في الرّوي واختلفتا في الوزن، من مثل قوله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾<sup>(5)</sup>

(1) محمد عمّار الأبيض: السجع في القرآن بين النقي والإثبات، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004، ص: 55.

(2) علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ص: 273.

(3) محمد الهادي الطرابلسي: تحاليل أسلوبية، عالم الكتاب، تونس، (دط)، 2006، ص: 133.

(4) سورة الغاشية، الآية: 14.

(5) سورة نوح، الآية: 14.

والمرصع: ما اتفقت فاصلتاه في الزويّ والوزن، وتساوت ألفاظ قرينته كلّها أو بعضها، مثل قول الحريري: "فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه"، وكقول أبي الفضل الهمداني: "إنّ بعد الكدر صفوا، وبعد المطر صحوا". وقول أبي الفتح السبتي: "ليكن إقدامك توكلًا وإحجامك تأملاً."<sup>(1)</sup>

ويقسم السجع بلاغيون آخرون إلى أنواع كثيرة غير متداولة من مثل: المجنح، والمتزاج، والممثل والمبالغة، وإبداع القرائن، والمجانس، والمتضادّ، والمتوأم، والمخلخل، والمردّد، والمتشابه، ومشابهة الصّورة، والمعكوس، وذوي نوعين.

#### - أثر السجع في الكلام:

يعطينا السجع جرسا موسيقيًا، وإيقاعا يجذب انتباه السّامع، ويجعل للتعبير قوّة وتأثيرا ووضوحا ويساعد على ترسيخ الفكرة، لذلك يستعمل بكثرة في القرآن الكريم والحديث النبويّ والحكم والأمثال. وعلى الرّغم من الأثر الجميل الذي يتركه السجع في الجمل، والسحر الذي تبقى معالمه في القارئ إلا أنّ الناقد الحصيف يرى للسجع أهميّة أخرى بعيدة عن الخطاب من خلال بُعديّه: المبنى والمعنى: "فليس الغرض من السجع تقديم صورة أخرى لشكل الأدب، بقدر ما هو تقديم تصوّر آخر لمفهوم الأدب ووظيفته. فالأدب في السجع مادة إخبار ومادة اعتبار، وموضوع تنصيب وموضوع تحسيس، وهو بالجملة كلام بإيقاع في معنيّه: الإيقاع بالأصوات، والإيقاع بالمتلقّي والزّجّ به في نظام النّصّ على أنّه طرف من أطرافه لا على أنّه متقبّل أجنبيّ عنه."<sup>(2)</sup>

ولأمر ما ذكر ابن الأثير في كتابه "المثل السائر": "و من له أدنى بصيرة يعلم أنّ للألفاظ في الأذن نغمة لذيذة كنغمة أوتار، و صوتا منكرا كصوت حمار، و أنّ لها في الفم أيضا حلاوة كحلاوة العسل، و مرارة كمرارة الحنظل، و هي على ذلك تجري مجرى النّغمات و الطّعوم."<sup>(3)</sup>

اهتمّ الإبراهيمي كثيرا بالسجع في كلّ نتاجه الأدبيّ، وفي مختلف إبداعاته، فلا يكاد يخلو نصّ من النّصوص التي تركها إلاّ والسجع بل الأسجاع تلوح بشكل واضح في جملة، ليس فقط لأنّه ينتمي إلى مدرسة الصنعة التقليديّة، بل لأنّ مخزونه العلميّ والأدبيّ ومحفوظاته التي لاتكاد تدخل تحت حصر من التّراث القديم جعلت السجع جزءا من كتاباته وإبداعاته في كلّ الفنون الأدبيّة، بل كاد يتخصّص في ذلك فقد خصّ جزءا من إبداعه في السجع حيث كتب عديدا منه في نصوص اعتبرت قمة في الإبداع الأدبيّ والثّقافي سمّاها "سجع الكهان."<sup>(\*)</sup>

(1) الخطيب القزويني جلال الدين: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان، ملخص تلخيص المفتاح، اعتنى به وراجعته: عماد بسيوني زغلول، دار الأرقم، بيروت، ط1، 2004، ص:220.

(2) محمد الهادي الطرابلسي: تحاليل أسلوبية، ص: 133-134.

(3) ابن الأثير ضياء الدين: المثل السائر، ص: 221.

(\*) ينظر، سجع الكهان للمؤلف، البصائر، العدد: 69، في 28 فبراير/1949/ وأثار الإمام، ج3، ص: 518 وما بعدها.

والأمر نفسه نجده في الرسائل التي تركها، بل التي استطعنا جمعها، فلا نكاد نقرأ رسالة منها إلا ووجدناها زخارة بالسجع، بل بأنواع منه، ربما لم يسبقه أحد في ذلك: "ولا يسلك الإبراهيمي في أسجاعه الطريقة المشرقية القائمة على المزوجة بين خاتمتي جملتين متعاقبتين؛ ولكنه يعمد إلى طريقة قل أن رأينا لها مثيلاً في الكتابة الفنيّة، فلم نكد نعثر لها على نظير حتى في أسجاع (الذخيرة، في محاسن أهل الجزيرة)<sup>(1)</sup>، وهو من أكبر المعارض للكتابة المسجوعة في الأدب العربي على الإطلاق.

فالإبراهيمي لا يجتري بخارجي الإيقاع، ولكنه يغالي في التماسه في داخلي السجع، فإذا أنت لا تدري ألى خواتم الجمل كان يقصد، أم إلى داخلها كان يريد، أثناء بناء الكلام؛ وكأنّ هذه الطريقة مستوحاة من طبيعة الموشحات الأندلسية التي برع فيها لسان الدين بن الخطيب وسواؤه من الوشاحين الأندلسيين؛ وذلك بالتعويل تعويلاً كاملاً على التماس الإيقاع في داخل السجع وخارجه، لتغذية السجع باستمرار بما يجعل القارئ يوزع عنايته بين الداخل والخارج فيتنازعه معاً فلا تستولي عليه الرتبة التي يسببها السجع التقليدي الثقيل."<sup>(2)</sup>

#### أولاً- السجع المتوازي:

وظّف البشير الإبراهيمي أنواعاً من الأسجاع، كالسجع المتوازي في قوله مخاطباً الشيخ إبراهيم الكتاني: "هذه - أطل الله بقاء أخي - قطعة من فصل طويل من ملحمة أطول نُظمت في أوقات الفراغ في شهري ناشر من الصيف الماضي، وقد اشتملت على أفانين من الجدّ والهزل، والشخّ والجزل<sup>(\*)</sup> ووصف الرّخاء والأزل، والولاية والعزل، والنكث<sup>(\*\*)</sup> والغزل..."<sup>(3)</sup>

ويدخل هذا اللفظ ضمن السجع المتوازي؛ لاتّفاق في الفاصلة وهي (الهزل) و(الجزل) و(الأزل) و(الغزل)، وقد اتّقت أيضاً في الوزن والتقفية وهي (اللام) كما كان الوزن في الفواصل متوازيًا في الوزن على صيغة المصدر (فعل).

(1) ألفه أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، من أعلام الكتّاب والنقاد الأندلسيين، في القرنين الخامس والسادس الهجريين (المتوفى: 542هـ).

(2) عبد الملك مرتاض: الإبراهيمي أمير البيان؛ ص: 377.

(\*) جاء في معجم المعاني الجامع: (مادة شخت): شخّ شخوثة فهو شخّ، وشخيت والجمع: شخات. شخّ: دقّ جسمه خلفة، الجمع: شخاتًا، والشخّ: الضامر خلفة، وهو شخّ العطاء؛ قليلة.

والجزل: (مادة جزل): (جزل): اسم، جزل: فاعل من جزل، الجمع: جزال. الجزل: الكثير العظيم من كل شيء. الجزل: الكريم المعطاء.

(\*\*) جاء في معجم المعاني الجامع: نكث: اسم، الجمع: أنكاث، نكث، نكث. مصدر نكث: نكث العهد: نقضه، عدم الوفاء به.

النكث: الخيط الخلق من صوف أو شعر أو وير يُنقض ثم يُعاد فتلّه.

النكث: ما نقض من الأكسية والأخبية ليُغزل ثانية. نكث الحبل: حلّه. قال تعالى: ﴿وَلَا تُكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾.

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى إبراهيم الكتاني، آثار الإمام، ج2، ص: 149.

كما جاءت السّجعات هنا مركّبة من عنصرين حرفيين هما (الزّاي و اللّام) ضمن خمسة فقرات متوازية منكوّنة من عنصرين اثنين (الجذّ والهزل)، ( والشّخت والجزل)، (ووصف الرّخاء والأزل)، (والولاية والعزل)، (والنّكت والغزل).

وفي رسالته إلى الأستاذ عبد العزيز الميمنيّ أيضا يقول متحدّثا عن عدم تمكّن المستشرقين من اللّغة العربيّة: "وعلى ذكر حظّ هؤلاء الجرامقة<sup>(1)</sup> من العربيّة أقول: إنني تقصّيت أخبار الكثير من مشهورهم فلم أجد واحدا منهم برع في العربيّة كما يبرع العربيّ في لغات الغرب نطقا وكتابة، بل جميعهم لكنّ الألسنة والأقلام، وإنّما ينبّه شأنهم عند أقوامهم وحكوماتهم لأنّ لهم فيهم مآرب أخرى، ولا أعتقد أنّ مستشقا غريبا ينبغ في العربيّة ولو ركب الصّعب، وشرب في القعب، وادّعى الولاء في بني كعب."<sup>(2)</sup>

فقد حقّق الإبراهيميّ في السّجعة الأخيرة من هذه الفقرة سجعا موازيا بين الفواصل الثّلاث على التّرتيب في (الصّعب، القعب<sup>(\*)</sup>، كعب)، فجميعها اتّفقت في الوزن (فعل)، واتفقت في الرّوي متمثّلا في (الباء). وفي رسالته إلى المعلّمين الأحرار يقول: "وأوصيكم بالابتعاد عن هذه الحزبيات التي نجم بالشّر ناجمها، وهجم - ليفتك بالخير والعلم - هاجمها، وسجم على الوطن بالملح الأجاج ساجمها، إنّ هذه الأحزاب كالميزاب، جمع الماء كدرا، وفرقه هدرا، فلا الرّلال جمع، ولا العارض نفع."<sup>(3)</sup>

حيث نجد جملة من الأسجاع المتوازية في سجعاته المتعدّدة. فقد وازى الإبراهيميّ بين هذه الكلمات، حيث توازت فيما بينها وزنا وتقنية بين أسماء الفاعلين على وزن (فاعل) (ناجمها - هاجمها - ساجمها)، وما بين المصدرين على وزن (فعل) بين الكلمتين ((كدرا- هدرا)، وكما وازى بين الفعلين الثّلاثيين (جمّع - نفع) على وزن (فعل) منتهيين بالحرف نفسه (العين).

وفي رسالة الإبراهيميّ الحزينة (دمعة على المنصف) يقول: "إنّ موت العظماء حياة لأممهم، فإنّ كانت في الغربة زادت (جلالا)، فإنّ كانت نتيجة للظلم زادت جمالا، فإنّ كانت في سبيل الوطن كانت (جلالا وجمالا)، فإنّ صاحبها سلّب العزّ والمكّ كانت حلية و(كمالا)؛ وكلّ ذلك اجتمع في موت المنصف."<sup>(4)</sup>

(1) جاء في لسان العرب: الجرّمقانيّ : واحد الجرّامقة، وهم قوم من العجم هبطوا المؤصل في أوائل الإسلام.

وفيهم قال ابن عبد ربه: يا ضبيعة الشّعريّ في بله جرّامقة \*\*\* تشابهت منهم في اللّوم أخلاق

(2) الإبراهيميّ: رسالته إلى الأستاذ عبد العزيز الميمني، آثار الإمام، ج4، ص: 383.

(\*) معجم المعاني الجامع، مادة(قعب):الجمع، قعاب، و أقعب، القعب: قدح ضخم غليظ.

وفي لسان العرب: القعب: القدح الضخم، الغليظ، الجافي؛ وقيل: قدح من خشب مقعر؛ وقيل: هو قدح إلى الصّغر، يُشبّه به الحافر، وهو يُرّوي الرجل. والجمع القليل: أقعب، عن ابن الأعرابي؛ وأشد: إذا ما أتتكَ العير فأنصح فثوقها، \* ولا تسقيّن جازيك منها بأقعب والكثير: قعاب.

(3) الإبراهيميّ: رسالته إلى المعلّمين الأحرار، البصائر، العدد: 94. و آثار الإمام، ج3، ص: 265.

(4) الإبراهيميّ: دمعة على المنصف، البصائر، العدد: 49.

ينتمي هذا النوع إلى السجع المتوازي، حيث اتفقت فواصله الأربع في الروي (اللأم المطلقة بالألف)، واتفقت فواصله كلها في الوزن، حيث جاءت على وزن المصدر (فَعَال) في الوحدات السجعية ذات العبارات الأربع (جَلَالاً، جَمَالاً، جَلَالاً وَجَمَالاً، كَمَالاً).

وفي رسالة البشير الإبراهيمي الرائعة ( تحية غائب كالآيب) نجد هذا السجع المتوازي في قوله: "لئن كان في الرياح لواقح للأشجار، ففبك وحدك لقاح النفوس، ولئن كان فيها ما يحرق الورق، ففبك وحدك ما يطفئ الحرق".<sup>(1)</sup>

حيث نجد توازيا في السجع لما اشتمل عليه من الاتفاق في الروي (القاف) في الفاصلة الأولى (الورق)، والفاصلة الثانية ( الحرق)<sup>(2)</sup> وكذلك نلمح الاتفاق في الوزن الذي جاء على وزن ( فَعَل). كما اتفقتا توازيا في السجعة(\*) المركبة من حرفين هما ( الزاء و القاف).

أما في رسالة الإبراهيمي المشهورة (مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة) نجد السجع المتوازي الجميل في قوله: "وسلام على مشاهد كانت بوجوده مشهودة، وعلى معاهد كانت ظلال رعايته وتعهدّه عليها ممدودة.

" وعلى مساجد كانت بعلمه ومواعظه معمورة، وعلى مدارس كانت بفيضه الزاخر، ونوره الزاهر مغمورة."

"... ومدارس، ما مدارس، مهدها للعلم والإصلاح مغارس، ونصبها في بحور المبطلين حصونا ومتارس، وشيدها للحق والفضيلة مرابط ومحارس".<sup>(3)</sup>

ففي الجملة الأولى نلمس اتفاقا متوازيا في الفاصلة الأولى (مشهودة)، وفي الفاصلة الثانية (ممدودة) وقد اتفقتا في الروي (الواو والدال والتاء المربوطة) ضمن تجنيس مزدوج اتفقا في التقفية، واتفقا أيضا في الوزن، حيث جاءت صياغتهما على وزن اسم المفعول المؤنث ( مفعول مع تاء تأنيث مربوطة) بين كلمتين ( مشهودة)، ( ممدودة).

وفي الجملة الموالية تسجيع رائع حيث جمع بين نوعين من الفواصل، (وعلى مساجد كانت بعلمه ومواعظه معمورة، وعلى مدارس كانت بفيضه الزاخر، ونوره الزاهر، مغمورة).

(1) الإبراهيمي: تحية غائب كالآيب، آثار الإمام، ج4، ص: 181.

(2) جاء في (معجم الغني) (مادة حرق): حرق: يَحْرُقُ، مَص. حَرَقٌ. "حَرَقَ الثُّوبُ": تَقَطَّعَ مِنَ الدَّقِّ. "حَرَقَ الشَّعْرُ": تَقَطَّعَ وَسَقَطَ. "حَرَقَ الرَّيْشُ": "حَرَقَتِ اللَّحْيَةُ": قَصُرَ فِيهَا شَعْرُ الدَّقِّ عَنِ شَعْرِ الْعَارِضِينَ. "حَرَقَ الرَّجُلُ": تَشَقَّقَتْ أَطْرَافُهُ.

وفي (معجم مختار الصحاح): الحرق: بفتح الحاء وهو أيضا احتراق يصيب الثوب من الدق وقد يسكن و أحرقه بالنار و حرقه شدد للكثرة و تحرق الشيء بالنار و احترق والاسم الحرقه و الحريق و حرق الشيء بالتخفيف برده وحك بعضه ببعض.

(\*) السجعة: الفقرة من الكلام، كلام منثور تتطابق جملها في حرفها الأخير (ينظر، معجم المعاني الجامع، مادة (السجعة).

(3) الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، آثار الإمام، ج2، ص: 57.

حيث جمع بين الفاصلتين (معمورة و مغمورة) وهما متفقتان في الروي (الراء) ضمن تسجيع ثلاثي ضمّ حروف ( الميم والواو والراء والتاء المربوطة) وهي (...مورة)، وعلى وزن واحد هو اسم المفعول (معمورة، مغمورة) ووجه الزوعة في هذا السجع المتوازي أنه خلق سجعا آخر متوازيا ضمن الجملة الأولى، اتفقت فيه الفاصلتان على الروي ذي الحرف الواحد هو (الراء)، واتفقا على وزن واحد هو وزن (اسم الفاعل) في الفاصلتين (الزاهر، والزاهر).

وفي الفقرة الأخيرة وظّف أربع سجعات من النوع المتوازي، اتفقت في حرف الروي (السين) الذي أورده ضمن حروف تركيبية ثلاث هي ( الألف والراء والسين) في نهاية كلّ فاصلة من الفواصل الأربع (مدارس، مغارس، متارس، محارس) وقد اتفقت كلّها على وزن واحد هو صيغة منتهى الجموع (مفاعِل) وقد زاد حرف (السين) جمل الفقرة موسيقى وإيقاعا جميلين.

ثمّ يقول: " فإنّ من الميسور أن نطفئ النار ذات الوقود، وليس من الممكن أن نطفئ الحقد من صدر الحقود." (1)

ففي هذه الفقرة أيضا اتفقت الفاصلتان (الوقود - الحقود) في الوزن وهو ( فَعُول) وقد أوردهما معرفتين بـ " ال" من خلال وحدتين سجعتين طويلتين، كما اتفقتا في الروي متمثلا في حرف (الدال) ضمن سبعة مركبة من ثلاثة عناصر حرفية متوازية ومتتابعة هي (القاف، الواو، والدال) (... قود). وفي رسالته (مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة) نقرأ: " يا ساكن الضريح، أكنّي؟ أم أنت كعهدي بك تؤثر التصريح؟ إنّ بَعْدَكَ، أتعب من بَعْدِكَ. لقد كانوا يلوذون من حياتك الحية بكنف حماية، ويستندون من كفاءتك للمهمات بحصن كفاية، ويستدفعون العظام منك بعظيم، وأيم الله لقد تلفتت بعدك الأعناق واشربت، وماجت الجموع واتلّبت، تبحث عن إمام لصفوف الأمة، يملأ الفراغ ويسدّ الثلثة، فما عادت إلّا بالخيبة، وصفر العيبة." (2)

ويدخل هذا اللفظ ضمن السجع المتوازي؛ لاتفاق في الفاصلة وهي (حماية- كفاية) على وزن (فِعَالَة) وما بين الفعلين (اشربت، اتلّبت) (\*) وكذلك ما بين (الثلثة، الخيبة، والعبية) في آخر السجعة، وقد اتفقت أيضا في الوزن والتقفية وهي (التاء المربوطة) في كلّ الفواصل.

(1) الإبراهيمي: إلى الزاهري، البصائر، العدد: 61. وأثار الإمام، ج3، ص: 558.

(2) الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، آثار الإمام، ج2، ص: 57-58.

(\*) جاء في ( المعجم الوسيط) : اتلّبت الشيء اتلّبتا: استنقما، وقيل انتصبت. واتلّبت الشيء والطريق: امتد واستوى، ومنه قول الأعرابي يصف فرسا: إذا انتصبت اتلّبت. والاسم: التلّبية مثل الطمّانية. واتلّبت الجمار: أقام صدره ورأسه. قال ليبيد: فأوردتها مسجورة، تحت غابة \*\*\* من القزنتين، واتلّبت يحوم وذكر الأزهري في الثلاثي الصحيح عن الأصمعي: المتلّبت المستقيم؛ قال: والمسلحج مثله. وقال الفرّاء: التلّبية من اتلّبت إذا امتدّ، والمتلّبت: الطريق الممتدّ.

وفي رسالته (حدثونا عن العدل فإننا نسيناه) نقرأ قول الإبراهيمي: "إن الحاكم إذا لم يكن له ضمير يردعه، ولا قانون يزرعه، ولا رقيب يمنعه، ولا حسيب يذوده عن الظلم ويدفعه، رجع إلى الغرائز الإنسانية الدنيا، فدفعته إلى المحاباة والعنصرية فكان على يده ضياع العدل أولاً، وضياع قوته التي يستند إليها ثانياً، وكم أهلك الظلم من أمم، وتلك هي سريرة الاستعمار، وتلك هي جريرته التي يأخذها الله بها ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾" (1)

وهنا نجد اتفاقاً في الروي متمثلاً في حرف (الهاء) من خلال عنصري الحرفين المزدوجين (العين والهاء) في الفواصل المتتالية ضمن الوحدات القصيرة في مجملها باستثناء الوحدة الأولى وهي فواصل جاءت في شكل أفعال مضارعة متوازنة على الوزن (يَفْعَل) وهي على الترتيب (يردعه، يمنعه، يدفعه). وهي أفعال توحى بالقوة والبأس، بها يستقيم حال الناس عموماً، وحال الحكام بالدرجة الأولى، وبدونها يكثر ظلم الظالم، ويسود الاعتقاد ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾!

وفي رسالته إلى العلامة عبد العزيز الميمني نقرأ في خاتمتها: "وأختم القول بما بدأت به وهو أنني أحمل لأخي العلامة الميمني كل إجلال وتقدير، وأغالي بقيمته في علمائنا العاملين، وله مني تحيات تلمع مع البروق، وتتجدد في كل غروب وشروق." (2)

حيث نجد سجة في آخر الفقرة تتضمن فاصلتين هما (البُرُوق - شُرُوق)، وقد اتفقتا على روي تركيب من ثلاثة حروف (الراء، الواو، والقاف)، واتفقتا أيضاً على وزن واحد هو (فُعُول)، وهما فاصلتان توحيان بالتوهج والضوء، وانبعاث النور، وذلك للإبانة عن الاستمرارية والديمومة في تحية الميمني وتجدها.

### ثانياً - السجع المطرف:

نجد هذا النوع من الأسجاع (السجع المطرف) في مواضع شتى من رسائل الإبراهيمي، كما في قوله وهو يحيي صاحبه عبد الحميد بن باديس في قبره: "وسلام عليك في الأولين، وسلام عليك في الآخرين، وسلام عليك في العلماء العاملين، وسلام عليك في الحكماء الربانيين، وسلام عليك إلى يوم الدين." (3)

(1) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه، البصائر، العدد: 119. و آثار الإمام، ج3، ص: 365.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ عبد العزيز الميمني، آثار الإمام، ج4، ص: 392.

(3) الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، المرجع السابق، ص: 58.

فقد اتفقت السّجّعات هنا في الرّويّ متمثلاً في حرف (النون) ضمن عناصر حرفيّة مزدوجة هما (الياء والنون) والتي وردت في آخر الفواصل من خلال الوحدات السّجّعيّة الخمس المتساويّة ولكنها اختلفت فواصلها في أوزانها وتركيبها (الأوليين، الآخرين، العاملين، الربّانيين، الدّين).

كما نقرأ قوله: "... وتراجّم لرجال سواسيّة في الحسّ كأسنان الحمار، قد أبصروا بعماهم، وعرفوا بسيماهم." (1) فقد اتفقت الفاصلتان (بعماهم - بسيماهم) في الرّويّ (الميم)، واختلفتا في تركيب الفاصلة بين المصدر (عمى) على وزن (فَعَلَ) وسيمه مصدرها (سيما) على وزن (فَعَلَةٌ) وكلمة "سيمه" [مفرد]:

ج سيمات: سومة؛ علامة، سيمه. سيمه [مفرد]: علامة، هيئة ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (2)

ويقول: "لو علموا ذلك ونحوه من أسرار الاشتقاق، وهو باب من الأبواب، وفصل من كتاب وقزعة من سحاب، لأقلعوا عن غيهم، وكفّوا من غلوائهم، ولكنّه الجهل يعمي ويصمي." (3)

ففي هذا النّص نجد نوعين من السّجّ المطرّف، فالأول منهما اختار له رويّ (الباء) في الفواصل الثّلاث الأولى (الأبواب، كتاب، سحاب) مسبوقاً بألف المدّ واختلفت في الوزن حيث جاءت على الأوزان التّالية على التّرتيب (أفعال، فعّال، فعّال)؛ بينما في الودحتين الأخيرتين اختار لهما رويّ (الميم) مسبوقاً بالهاء (غيهم، غلوائهم)، وكما هو بيّن، فهما مختلفان وزناً بين (غيّ/فَعَلَ) وبين (غُلّوا/فَعَلَاء).

ويقول في رسالته (تحية غائب كالآيب) أيضاً: "وكتبت الأقدار عليّ أن لا أملك من أرضك شبرا فهل نكتب لي أن أحوز في ثراك قبراً؟" وقد تكرّر ما ذكرناه في العبارة السّابقة من تواز في الفاصلتين (شبراً) و (قبراً)، حيث اتفقتا على الرّويّ المزدوج (الباء والرّاء) واتفقا في عدد الحروف، مع اختلاف في شكل الحرف الأول. فالأولى جاءت على وزن (فَعَلَ) بكسر الفاء، والثّانية على وزن (فَعَلَ) بفتح الفاء.

ويقول الإبراهيمي في رسالته إلى الأستاذ عبد العزيز الميمني (\*): "مازلت منذ قرأت آثار أخي الميمني، واطّلت على أعماله الجليّة لتاريخنا العلميّ، أشهد أنّه منقطع النّظير في سعة الاطلاع على

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ إبراهيم الكتاني، آثار الإمام، ج2، ص: 149.

(2) ينظر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (سيما).

(3) الإبراهيمي: رسالة الضّب، آثار الإمام، ج2، ص: 42.

(\* عبد العزيز الميمني لراچكوتي الأثري (1888-1978م) هو: أديب و لغوي و شاعر و باحث، ومحقّق وخبير بالمخطوطات ونوادر الكتب ولد بالهند، تقلد مناصب علمية كبرى بجامعة باكستان وترك مؤلفات عدة، توفي بكراتشي. من تحقيقاته:

الطرائف الأدبية - لجنة التّأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1356 هـ - سمط اللّالي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري، ط2، دار الحديث بيروت، 1404 هـ - ديوان حميد بن ثور الهلالي وفيه بائنة أبي الوفاء الإيادي - الدار القومية، القاهرة، 1384 هـ - ديوان سحيم عبد بني الحساس - الدار القومية، القاهرة، 1384 هـ - أبو العلاء وما إليه، فانت شعر أبي العلاء، رسالة الملائكة - المطبعة السلفية، القاهرة، 1344 هـ.

وقد جمعت مقالاته وبحوثه في مجلدين تحت عنوان (بحوث وتحقيقات) قام عليها محمد اليعلاوي، ونشرته دار الغرب الإسلامي ببيروت. (ينظر، عبد العزيز الميمني، الموسوعة الحرّة (ويكيبيديا) (https://ar.wikipedia.org).

تراثنا الذي تشنت، ومزقته الأحداث، فلم تبق منه إلا صُبابَةٌ (\*\*)، ولم يبق من العارفين بها إلا عصابة ولم يبق من وسائل إحيائها وربط أجزائها إلا ما يكثر فيه الخطأ وتقل الإصابة. (1)

حيث جمع العلامة الإبراهيمي في هذه الفقرة بين ثلاثة فواصل وهي (صُبابَةٌ، عِصَابَةٌ، الإِصَابَةٌ) وقد توافقت في الرُويِّ (الباء) مقرونة بقاء التأنيث المربوطة، واختلفت بين الفاصلتين الأوليتين (صُبابَةٌ / عِصَابَةٌ)، فجاءت الأولى على وزن (فُعَالَةٌ) والثانية على وزن (فِعَالَةٌ)، على سبيل السجع المطرف، بينما تشابهت الفاصلتان (عِصَابَةٌ / الإِصَابَةٌ) رويًا ووزنًا، فجاءت كلٌّ منهما على وزن (فِعَالَةٌ)، على سبيل السجع المتوازي.

ويقول في رسالته إلى المعلمين الأحرار: "واحرصوا كلَّ الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم واجعلوا الحقيقة الآتية نصب أعينكم، واجعلوها حاديكم في تربية هذا الجيل الصغير، وهاديكم في تكوينه وهي: أنَّ الجيل الذي أنتم منه لم يؤت من خيبته في الحياة من نقص في العلم، وإنما من نقص في الأخلاق، فمنها كانت الخيبة، ومنها كان الإخفاق." (2)

حيث جاءت الفاصلتان من السجعة الأخيرة من الفقرة (الأخلاق، الإخفاق) متشابهتين في معظم الحروف، مختلفتين في الوزن، منتهيتين بالرُويِّ نفسه (القاف)، على سبيل السجع المطرف. ويمكن أن تكون هذه السجعة شبه معادلة، فخبية الجيل ليس سببها نقص العلم، وإنما سببها نقص الأخلاق، والنتيجة الحتمية: الخيبة والإخفاق!

ثالثًا: السجع المرصع: وهو من الأسجاع القليلة التي نادرا ما ينسج على منوالها الكتاب والشعراء. وقد عرّف ابن الأثير التّرصيع بقوله: "إنَّ التّرصيع مأخوذ من ترصيع العقد، وذلك أن يكون في أحد جانبي العقد من اللآلئ مثل ما في الجانب الآخر." (3)

وقد وجدنا الإبراهيمي في بعض رسائله يوظف هذا النوع توظيفًا جميلًا. ففي رسالته (تحية غائب كالأيب) أيضًا، نقرأ قوله عن نفسه: "غِبْتُ عن الجزائر بجسمي سنةً وبعض السنة، ولكنني ما غبت عنها بروحي وفكري دقيقة ولا بعض الدقيقة، وما عملتُ لغيرها عملاً ولا جزءاً من عمل، فلساني رطب بذكرها، وشخصي عنوان عليها، ورمز إليها، وأحاديثي تعريف بها وإغلاء لقيمتها، ومحاضراتي في

(\*\*) الصُّبابَةُ: البقعة القليلة. [مفرد]: ج صُبَابَات: بقية قليلة من الماء ونحوه في الإناء "لا يزال في الكأس صُبَابَةٌ". (ينظر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (صِبابَة)).

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ عبد العزيز الميني، آثار الإمام، ج4، ص: 381.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى المعلمين الأحرار، البصائر، العدد: 94، وآثار الإمام، ج3، ص: 264.

(3) ابن الأثير ضياء الدين: المثل السائر، ج1، ص477.

المحافل الحاشدة في الشرقين هي فضائلها شائعة، ومفاخرها ذائعة، ومباخرها ضائعة، وأعماله تمجيد لها ورفع لشأنها، وتنويه بنهضتها وتشريف "جمعية علمائها".<sup>(1)</sup>

ففي هذه الفقرة وظّف الإبراهيمي جملة من السّجج المرصّع كعهده في تزيين الجمل ورونقة العبارات. فقد جاء الإبراهيمي بثلاث فواصل متّفقة رويًا (... ائعة)، ومتّفقة وزنا على صيغة اسم الفاعل المؤنث (شائعة، ذائعة، ضائعة)، وقد رصّعها من خلال الإتيان بفقرات تساوت ألفاظ قرينتها كلّها في شكل منتهى الجموع (فضائلها شائعة، ومفاخرها ذائعة، ومباخرها ضائعة)، ومما زاد هذه السّججة رونقا وجمالا أن أتى به الإبراهيمي في شكل جمل قصيرة، وهو ما يدلّل على قدرة المؤلف وإبداعه وتمكّنه من إنشاء السّجج في أصعب أنواعه.

وفيها أيضا يقول: "أيها الوطن الحبيب:

رضيت من قسمة الله أن لم يجعلني أبًا لأبناء الصّلب وأفلاذ القلب وحدهم، ولو خلقت لهم لحبوت وأبوت، وعثرت في مصلحتهم وكبوت، ولصنعت لهم ما تصنع الطير لأفراخها... بل جعلني أبًا لأبنائك كلّهم، يلودون من علمي بكنف رعاية، ويعودون من حلمي بسور حماية، فأسوق ضالّهم ليهتدي، وأحثّ مهتديهم ليزداد هداية".<sup>(2)</sup>

حيث رصّع ترصيعا جميلا في قوله: (يلودون من علمي بكنف رعاية، ويعودون من حلمي بسور حماية)، إذ جاء بهذه السّججة التي اتّفقت فيها الفاصلتان (رعاية - حماية) حيث جاءتا على وزن واحد هو (فعالة)، واتّفقتا أيضا في الرّويّ (الياء) مسبوقة بألف مدّ، متبوعة بتاء تأنيث مربوطة، وفي الوقت ذاته تساوت القرينة في معظم ألفاظها (يلودون/يعودون)، (من علمي/ من حلمي).

وفي رسالته إلى الأستاذ عبد العزيز الميمني نقراً: "... من بلاغة القرآن المعجزة أن يستعمل المال في مقام، والأموال في مقام أعلى منه كالجهد؛ لأنّ الجمع فيه قصد الشّمول من المال الذي هو اسم جنس، واسم الجنس شامل كاسم الجمع، ولكنّ الجَمع أشمل منهما، ولما كان الجهد يحتاج إلى الثّبال والقسي، والحبال والعصي، والرّحال والرّواحل، والأقتاب والأحلاس والوصّ، والرّاد والعلوفة، وكلّها متمولات، حسنٌ في قانون البلاغة وأسلوب التّرعيب أن يُعبّر في آيات الجهد بالأموال، وصاحبنا سحيم، الشّاعر الرّقيق، الذي أدرك النّبوة وأظنّته دولة الخلفاء الرّاشدين، لا يُحمل كلامه إلّا على الاعتبار الفطرية التي قرّرها كتاب الفطرة...".<sup>(3)</sup>

(1) الإبراهيمي: تحية غائب كالآيب، آثار الإمام، ج4، ص: 183-184.

(2) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 183-184.

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ عبد العزيز الميمني، آثار الإمام، ج4، ص: 388.

ففي هذا النَّص نجد الإبراهيمي يوظف سجعا مرصعا في قوله: "ولمّا كان الجهاد يحتاج إلى النَّبال والقسيّ، والحبال والعصيّ، " فقد اتفقت فاصلته في الرّويّ (الياء)، وجاءتا على وزن واحد على صيغة جمع التّكسير (فعل)، وتساوت ألفاظ قرينته كلّها (نِبال) في السّجعة الأولى و(حبال) في السّجعة الثّانية. وهما لفظان في صيغة جمع التّكسير أيضا على وزن (فعل). وهو سجع مرصع جمّع فيه المؤلّف بين عناصره، بين أسماء الآلة لتتناسب مع لفظة (الجهاد).

وفي موضع آخر من رسائل الإبراهيمي نقرأ هذا النَّص، وهو يخاطب الثّواب الجزائريين في البرلمان الذي أشرفت عليه إدارة الاستعمار الفرنسي: "وبين تنازع الأحزاب ومعاكسة الحكومة وُلد هذا الدّستور الأبتري الذي أنتم ومجلسكم من ثمراته. ولم يوجد في الدّنيا شيء يجمع بين كونه مسخوطا عليه كأنه نقمة، ومحسودا عليه كأنه نعمة، إلاّ هذا الدّستور، فما أشبه هذه الأمة بقول القائل: "حتّى على الموت لا أنجو من الحسد."<sup>(1)</sup>

ففي قوله " ولم يوجد في الدّنيا شيء يجمع بين كونه مسخوطا عليه كأنه نقمة، ومحسودا عليه كأنه نعمة)، نثر على هذا السّجع المرصع الجميل، حيث جمع بين سجتين اتفقت فاصلتهما وزنا على صيغة (فِعْلَة) في اللَّفظتين (نِعمَة - نِعمَة)، وتساوت ألفاظ القرينة فيهما (مسخوطا عليه كأنه...)، في مقابل (محسودا عليه كأنه...). وهو ترصيع يجسّد ردود أفعال النَّاس على دستور فرنسا بين سخط أغلبية الشّعب الجزائريّ عليه، وعلى فصوله وموادّه؛ وبين مبهور به في الدّاخل والخارج.

وفي رسالته إلى الأستاذ عبد العزيز التّيمي - دائما - نقرأ "ويؤيد ما حملنا عليه كلام صاحبنا سحيم - وهو الأولى، بل المتعيّن - أنّ العرب ما كانت تعدّ الفضة - بل ولا الذهب - مالا يزيّن صاحبه، ولا متاعا ممّا يفخر به جامعه، وإنّما يعدّونها قيما للأشياء، وكما هو الاعتبار الصّحيح الذي جاء به الإسلام بعد ذلك، فهما وسيلة لا مقصد، وهما معبر لا مستقر؛ وإنّما المال عندهم الثّاغية والراغية، وضربهم المثل بحُمر النّعم معروف، وإضافتهم ربيعة إلى الفرس مشهور، ووصفهم مضر بالحمراء معلوم، وهي ألقاب تمدّح وإعظام، ومن كلام رجل منهم - لم أذكر اسمه الآن - وقد سئل عن أفضل المال، فقال: مهرة مأمورة، وسكّة مأبورة، قيل: ثم ماذا؟ قال: عين فوّارة، في أرض خوّارة، قيل: فأين أنت من الذهب والفضّة؟ قال: حجران تصطكان، إنّ أنفقتها فقدا، وإن تركتها لم تزيديا"<sup>(2)</sup>.

في هذه الفقرة أكثر من سجع مرصع رصّع به الإبراهيمي جملة، منها (مهرة مأمورة، وسكّة مأبورة) (عين فوّارة، في أرض خوّارة)، وقد وردت فاصلتهما متّفقة في الرّويّ (الرّاء) مقترنة بالتّاء المربوطة

(1) الإبراهيمي: كتاب مفتوح إلى الأعضاء المسلمين بالمجلس الجزائريّ، البصائر، العدد: 33. وآثار الإمام، ج3، ص: 185.

(2) الإبراهيمي: إلى الأستاذ عبد العزيز الميمني، المرجع السابق، ص: 389.

(مأمورة، مأبورة )، وكتاهما وردتا على صيغة وزن واحدة متمثلة في (اسم المفعول) من الثلاثي المبني للمجهول، كما تساوت لفظ قرينتهما المفردة على وزن واحد هو ( مَفْعَل ). بينما السَّجْع المرصع الآخر نجده في السَّجعة (عين فَوَّارة ، في أرض خَوَّارة)، حيث اتفقت الفاصلتان وزنا و رويًا، فجاءت كلُّ منهما ( فَوَّارة - خَوَّارة) على وزن صيغة المبالغة (فَعَّالة)، واتفقتا في الرّويّ نفسه ( حرف الرّاء مقترنة بالتاء المربوطة)، كما تساوت قرينتهما (عين - أرض) وزنا فجاءتا على وزن (فَعَّل)، وهذا السَّجْع المرصع يعكس - بحق - الثروة المادية التي كانت العرب تعشقها وتفضلها في حياتها.

وفي موضع آخر من رسالته (إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني) نجد هذا السَّجْع المرصع الجميل والقصير كيف بنى الوجدتين بناء مرصعا وهو يعزّي صاحبه ابن باديس في قوله: " وإن كانت التعازي تعاليل، لا تطفئ الغليل، ولكنها على كل حال تحمل بعض الروح من كبد تتلظى شجنا إلى كبد تنتزى حزنًا." (1)

يدخل هذا اللفظ ضمن السَّجْع المرصع لاتفاق في الفقرتين (من كبد تتلظى شجنا) (إلى كبد تنتزى حزنًا)، حيث اتفقت الفاصلتان في الرّويّ (النون) المنونة بالفتح. حيث تكررت لفظة (كبد) في الوجدتين، وتساوى الفعل (تتلظى) مع الفعل (تنتزى)، كما اتفقت الفاصلتان السَّجعيتان (شجنا مع حزنًا). ويقول في رسالته (إلى الطرقيين) ناقلا كلامهم من رسالتهم إلى الجمعية: "أما بعد، فإنكم تعلمون علم اليقين أن ما فكك الأمة المسلمة الجزائرية، ومزق وحدتها حتى صارت متنافرة متخالفة بعد أن كانت متقاربة متألّفة هو ما أدخلتموه عليها من التشكيك في أمر دينها اعتقادا وعملا، وأفتيتموها في كل مسألة خلافيّة بما يعدّ خروجا عن دائرة الحقّ والإنصاف، وولوجا في ورطة الشذوذ و الاعتساف." (2)

حيث نجد السَّجْع المرصع في السَّجعة (ومزق وحدتها حتى صارت متنافرة متخالفة بعد أن كانت متقاربة متألّفة)، إذ اتفقت الفاصلتان في حرف الرّويّ (الفاء) مقرونة بتاء التأنيث، واتفقت وزنا، كما جاءت القرينة اللفظية في الوجدتين السَّجعيتين فقد ساوى بين (صارت و كانت)، وساوى بين (متنافرة و متقاربة) وساوى بين (متألّفة و متخالفة )، وهو ما يسميه علماءنا بالسَّجْع المرصع. ليختتم الفقرة بسجع متواز بين (الإنصاف والاعتساف).

وفي (تعزية الشيخ ابن حلّوش) يقول: " طلب العلم على فئة من الفقهاء المدارين المجارين للعامّة في أهوائها، فأخذ ما صلح من علمهم، وهجر ما قبح من أعمالهم، ووحد الله وعبدته بما شرع على الوجه الذي شرع، وابتنى لنفسه مسجداً من ماله بسوق "تاجديت" يصلّي فيه بأتباعه في السيرة، ويلقي عليهم دروساً في الوعظ والإرشاد، وفيه بدأ بنشر الإصلاح العمليّ فنبد البدع اللاصقة بالعبادات. ولم يزل

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، ص:337.

(2) الإبراهيمي: رسالة "إلى الطرقيين"، البصائر، العددان: 80-81.

متطلّعا إلى العلم الصّحيح يطلع بدره، متشوّفاً إلى الحقّ الصّريح بتبليج فجره، إلى أن ظهرت بواكير الحركة الإصلاحية العلمية في دروس الأستاذ الرّئيس الشيخ عبد الحميد بن باديس، فجهرّ ولده الشيخ مصطفى حلوش لتلك الدّروس ليستدرك بأحد أولاده ما فاتته." (1)

ونختم بهذا السّجع المرصّع من هذه الفقرة التي تضمّنت هذه السّجعة (ولم يزل متطلّعا إلى العلم الصّحيح يطلع بدره، متشوّفاً إلى الحقّ الصّريح بتبليج فجره) فقد اتّفتت الفاصلتان فيها وزنا وتقفية (بدره - فجره)، وتساوت معظم ألفاظ القرينة (متطلّعا/ متشوّفا)، (إلى العلم/ إلى الحقّ)، (الصّحيح/ الصّريح) ثمّ ختم القرينة بفعلين مضارعين متقاربين ( يطلع/ يتبليج).

أخيرا: ممّا سبق، يمكن الجزم أنّ الإبراهيميّ التزم بتوظيف السّجع في رسائله بشكل بارز على طريقة الكتاب القدامى، فلا تكاد تخلو رسالة منه، ربما تأثّر بأسلوب القرآن الكريم و الأحاديث النبوية أو تأثّر بكتابات السلف المختلفة في الشّعْر والنثر، وقد جاء السّجع في رسائله وفق ما قرره ابن الأثير، إذ يقول: "ينبغي أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة، حارة، طنانة، رنانة، لا غثّة، ولا باردة و أعني بقولي: غثّة باردة، أنّ صاحبها يصرف نظره إلى السّجع نفسه من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة، وما يشترط لها من الحُسن، ولا إلى تركيبها، وما يشترط له من الحُسن، و هو في الذي يأتي به من الألفاظ المسجوعة كمن ينقش أثوابا من الكرسف [القطن]، أو ينظّم عقدا من الخزف الملوّن." (2)

## 2- الطّباق والمقابلة في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

اتكأ محمّد البشير الإبراهيميّ في رسائله المختلفة على الطّباق والمقابلة، رغبة منه في الوصول إلى توضيح المعاني وتوكيدها. فالطّباق والمقابلة كمحسنّ يجمع بين الألفاظ وأضدادها في الجمل من شأنه أن يوضّح الأفكار المكتوبة، ويجلّي المعاني العميقة التي يرمي إليها المؤلّف و يبرز الجرس الموسيقيّ الذي يجذب انتباه القارئ، خاصّة إذا أُستخدم بشكل عفويّ بعيدا عن التكلّف.

### أ- الطّباق:

1- الطّباق لغة: الطّبق ويقال له المطابقة والتّطبيق، وقيل بل هو في اللّغة: أنّ يضع البعير رجله في موضع يده، فإذا فعل ذلك قيل طابق البعير." (3) ولذلك قال الأصمعي: " المطابقة أصلها وضع الرّجل في موضع اليد في مشي ذوات الأربع" (4)

(1) الإبراهيمي: رسالة (إلى الشيخ أبي القاسم بن حلوش)، البصائر، العدد: 65. وأثار الإمام، ج2، ص: 282.

(2) ابن الأثير: المثل السائر، ص: 197/1.

(3) مطلوب أحمد البصر كامل حسن: البلاغة والتّطبيق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجمهورية العراقية، ط1، 1982، ص: 438.

(4) عبد الله ابن المعتز: كتاب البديع في البديع، شرحه وحققه عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 2012م، ص: 27.

ويقول النابغة الجعدي: (\*)

وَحَيْلٍ تَطَابِقَ بِالدَّارِعِينَ \*\*\* طِبَاقَ الكَلَابِ يَطَّانُ الهَرَّاسَا (1)

أما الخليل بن أحمد (ت: 170هـ) فقال: «طابقت بين الشَّيئين إذا جمعت بينهما على حذو واحد ألزقتهما.» (2)

وجاء في اللسان (طبق): «تطابق الشَّيئان: تساوبا. والمطابقة: الموافقة. والتطابق: الاتِّفاق. وطابقت بين الشَّيئين: إذا جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما.» (3)

2- الطَّباق اصطلاحاً: هو الجمع بين الكلمة وضدّها في الكلام الواحد.

جاء في معجم المصطلحات: "هو الجمع بين الضدّين أو المعنيين المتقابلين في الجملة". (4) وجاء في الإيضاح: "هو الجمع بين المتضادّين، أي معنيين متقابلين في الجملة". (5)

وقد نجد للطَّباق مسمّيات أخرى عند أهل اللّغة منها: المطابقة، والتطابق، والتضاد، يقول حمزة بن العلوّي (ت749هـ) صاحب الطراز: "وللتضاد أسماء أخرى، ويقال له: الطَّباق أيضاً، والتضاد والتكافؤ والمقابلة. وحاصله الإتيان بالنقيضين والضدّين." (6)

ويقسّم أهل اللّغة الطَّباق إلى حقيقي ومجازي، وكلّ منهما إمّا لفظي أو معنوي، وإمّا طباق إيجاب أو طباق سلب.

أما الطَّباق الحقيقي: هو أن تأتي بألفاظ حقيقية كالجمع بين اسمين مثل: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ (7) أو بين فعلين نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴾ (8) ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾. (9)

(\*) أبو ليلي النابغة الجعدي (55 ق هـ/568م - 65 هـ/684م): شاعر، ولد في الفلج (الأفلاج) جنوبي نجد. اشتهر في الجاهلية، وسمي "النابغة" لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ، هجر الأوثان، ونهى عن الخمر، قبل الإسلام. جاء عنه في سير أعلام النبلاء: «... شاعر زمانه له صحبة، ووفادة، ورواية. وهو من بني عامر بن صعصعة. يقال: عاش مائة وعشرين سنة. وكان ينتقل في البلاد، ويمتدح الأمراء. قدم وهو سيد قومه مع وفد على رسول الله سنة (9هـ - 630م) فأسلم. وشهد فتح فارس، وحارب مع علي بن أبي طالب في معركة صفين. سكن الكوفة، فسيره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها، فمات فيها وقد كف بصره سنة (65هـ - 684م). صنّفه ابن سلام في رأس الطبقة الثالثة من الجاهليين مع أبي ذؤيب الهذلي والشمّاح بن ضرار، وليبيد بن ربيعة ووصفه بأنه شاعر مُفلق. (ينظر، النابغة الجعدي، الموسوعة الحرّة (ويكيبيديا) (https://ar.wikipedia.org).

(1) ينظر، النابغة الجعدي: ديوان النابغة الجعدي، تح: واضح الصمد، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1998م.

(2) الفراهيدي الخليل بن أحمد: كتاب العين، ص: 109/5.

(3) ابن منظور: لسان العرب، مادة (ط ب ق).

(4) مجدي وهبه و كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللّغة والأدب، منشورات: مكتبة لبنان، (دط)، 1984، ص: 130.

(5) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 477.

(6) العلوّي، الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم: كتاب الطراز، ص: 564.

(7) سورة الكهف، الآية: 18.

(8) سورة النجم، الآية: 43 - 44.

(9) سورة آل عمران، الآية: 26.

والطباق المجازي: أن تكون الألفاظ مجازية على غير الحقيقة، ويشترط في ذلك شروط، وهي أن يكون المعنيان المجازيان متقابلين، فإذا لم يكن كذلك يختلط بإيهام الطباق. كما في قول الله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾<sup>(1)</sup>

أما الطباق المعنوي: فيقصد به مقابلة الشيء بضده في المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْتُمْ إِلا تَكْذِبُونَ﴾ (15) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْنَا لَمَرْسَلُونَ﴾<sup>(2)</sup> فمرسلون هنا بمعنى: صادقون.

وأما التقسيم الكلاسيكي المعروف فيجعل الطباق نوعين:

أ - طباق إيجاب: إذا اجتمع في الكلام المعنى وعكسه. مثل: " لا فضل لأبيض على أسود إلا بالتقوى".<sup>(3)</sup> وطباق الإيجاب يكون فيه اللفظان المتقابلان معناهما موجبا. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾<sup>(4)</sup>

وقوله تعالى أيضا: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(5)</sup> و قديما قال دعبل الخزاعي (148هـ - 246 هـ) (\*):

لَا تَعْجَبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ \* \* \* ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

سَلْمُ: مرخم سلمى وهو اسم امرأة.

ب - طباق سلب: أما طباق السلب هو الذي يكون بين الأمر والنهي كقول الله: ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاحْشَوْنِ﴾<sup>(1)</sup> أو بين النفي والإثبات ونمثل على ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(2)</sup>

(1) سورة الأنعام، الآية: 122.

(2) سورة يس، الآية: 15-16.

(3) حديث نبوي رواه أحمد (22978) عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي "الصَّحِيحَةِ، حَمَزَةُ أَحْمَدَ الزَّيْنِ: الصَّحِيحَةُ (موسوعة الألباني الصحيحة)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (د ط)، 2013، ص: 199/6.

(4) سورة الرعد، الآية: 16.

(5) سورة آل عمران، الآيتان: 26-27.

(\* هو دعبل بن علي بن رزين بن سليمان، أبو علي الخزاعي، دعبل الخزاعي ( 246 - 148 هـ / 765 - 860 م) شاعر هجاء، أصله من الكوفة، أقام ببغداد. في شعره جودة، كان صديق البحثري وصنف كتابا في طبقات الشعراء. قال ابن خلكان: كان بذيء اللسان مولعا بالهجو والحط من أقدار الناس هجا الخلفاء، الرشيد والمأمون والمعتمد والواثق ومن دونهم. وطال عمره فكان يقول: لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أثور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك وكان طويلا ضخما أطروشا. توفي ببلدة تدعى الطيب بين واسط وخوزستان، وجمع بعض الأدباء ما تبقى من شعره في ديوان. وفي تاريخ بغداد أن اسمه عبد الرحمن وإنما لقبته دابته لدعابة كانت فيه فأرادت دعبلا فقلبت الذال دالا. ( ينظر، دعبل الخزاعي ، كتاب معجم الشعراء العرب، ص: 1263).

ويقول البحتري (\*\*):

يُفِيضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوَى \* \* \* وَيَسْرِي إِلَيَّ الشُّوقُ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ<sup>(3)</sup>

### 3- بلاغة الطَّباق وتأثيره:

يهدف الطَّباق كمحسن إلى لفت انتباه القارئ، وتقريب الفكرة إلى ذهنه بوضوح، من خلال الإتيان بالمتناقضات والأضداد، وإقامة المقارنات فيما بينها من أجل إقناع القاري والتأثير فيه. أمّا من الناحية الجماليّة، فالطَّباق يشكّل جرساً موسيقياً متعدّداً في مختلف الجمل، خاصّة إذا ورد عفويّاً تأكيداً للمعنى وتوضيحه، وزاد الكلام حسناً وطرافةً وجمالاً، ويكشف عن عبقرية المؤلف اللغويّة واللفظيّة" إنّ للطَّباق فناً بدعيّاً خالصاً له تأثيره الخاصّ المتميّز، ويتجلّى هذا التأثير في أنّه يجمعه بين الأضداد يخلق صوراً ذهنيّة ونفسية متعكسة يوازن فيما بينهما عقل القارئ ووجدانه فيتبيّن ما هو حسن منها ويفصله عن ضده ومن هنا فإنّ هذا الفنّ البديعيّ يستوي بحدّ ذاته معرضاً للمعاني الذهنيّة والنفسية والعقلية المتنافرة فتترك في الشّعور أثراً عميقة بأسلوبها الموازن المقارن".<sup>(4)</sup>

كما أنّ الطَّباق (التناقض) يُعمل العقل، وينبه ذهن القارئ، و يعمل على توضيح المعنى وإبراز الجرس الموسيقيّ الذي يجذب الانتباه خاصة إذا استخدم بشكل عفويّ بعيداً عن التكلّف.

كما أنّه قد يظهر نفسية المؤلف من خلال الحديث عن الشّيء ونقيضه. كما قال عبد القاهر الجرجاني: "والطَّباق نوع من أنواع البديع ولا تنحصر قيمة الأضداد في جانب الدلالة المفردة في الكشف عن القدرة اللغويّة، فإنّها تتعدّى إلى إظهار الأبعاد النفسية المتوتّرة وتصويرها في أدقّ حالاتها، فالصورة المبنية على الحركة القائمة بين المتناقضات هي ذات سعة وعمق داخليّ، وذلك بما تتيحه اللّغة من مترادفات وتضاد وتعاكس".<sup>(5)</sup>

### 4- الطَّباق في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

اهتمّ الإبراهيمي بتوظيف الطَّباق في رسائله كما في مختلف الأجناس الأدبيّة التي كتب فيها لما في الطَّباق من سحر جماليّ يُضفي على النصّ فإنّ: "للطَّباق أثر فنيّ في النصوص الأدبيّة سواء أكانت هذه النصوص شعريّة أم نثريّة، فالطَّباق يضيف للنصّ جماليّة رائعة في ظاهر اللفظ، ودقّة في المعنى

(1) سورة المائدة، من الآية: 44.

(2) سورة الزمر، من الآية: 9.

(\*\*) البحتري: هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي، ولد بمنبج، سوريا 820م، أحد أشهر الشعراء العرب في العصر العباسي. يقال لشعره سلاسل الذهب، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشهر أبناء عصرهم، المتنبّي وأبو تمام والبحتري، قيل لأبي العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟ فقال: المتنبّي وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحتري، وتوفي بمنبج سنة: 897 م. (ينظر، البحتري، كتاب معجم الشعراء العرب، ص: 564).

(3) البحتري: ديوان البحتري، تح: محمد كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط3، (دط).

(4) مطلوب أحمد البصر كامل حسن: البلاغة والتطبيق، ص: 443.

(5) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 108.

ويجعل للتصّ روحاً ناطقة تؤثر في سامعيه وقارئيه. وهذا الأثر نلمسه أيضاً في القرآن الكريم الكتاب المعجز، فاللفظ القرآني له خصوصية في استخدام الطباق، وكذلك في الأحاديث النبوية الشريفة فالطباق يعطي عذوبة للكلام ورونقا، ويساعد أيضاً في فهم المعنى ووضوحه.<sup>(1)</sup>

وقد أبدع الإبراهيمي في استخدام الطباق بنوعيه، ونوع في ذلك بين الأفعال والأفعال، وبين الأسماء والأسماء، وبين أشباه الجمل ومثيلاتها...

**أولاً/ طباق الإيجاب:** فمن النوع الأول (طباق الإيجاب) نجد الإبراهيمي في بعض رسائله يوظفه في أشكال متعدّدة ويأتي بأضدادها، ويمكن حصرها من خلال الصور التالية:

**1- الطباق بين الحروف:** وجدنا للإبراهيمي توظيفا للطباق بالحروف في شكل شبه جملة قصيرة - وهو قليل جداً - في استخداماته كما في قوله: "لن أنسى - يا أمّ - أنك كنت لي ماخطة الغرس، وماشطة العرس، فلا تنسي أنني كنت لك من عهد التّمائم إلى عهد العمائم، ما شغلت عنك إلا بك، ولا خرجت منك إلا عانداً إليك، لا تنسي أنني ما زلت ألقى الأذى فيك لذيداً، والعذاب في سبيلك عذاباً، والنّصب في خدمتك راحة، والعقوق من بعض بنيك برّاً، والحياة في العمل لك سعادة، والموت في سبيلك شهادة."<sup>(2)</sup>

فقد طابق بين (عنك - بك)، وهو أقصر طباق يمكن أن يوظفه كاتب في كتاباته.

## 2- الطباق بين الأفعال:

**2-أ** يقول الإبراهيمي: "ابدأ بما شئت، واختم بما شئت، من النّظم والقوانين التي تُساس بها الجزائر تجدها كلّها دائرة في مبادئها وغاياتها على محور واحد، وهو احتقار المسلم الجزائريّ وبغضه، وانظر ما شئت في أعمال الحاكمين كباراً وصغاراً، وفي ملابساتهم للنّاس، وفي شمائلهم، تجد الأعمال مفسّرة لذلك والملابسات حتّى في الحديث جارية على ذلك، والشّمائل ناطقة بذلك."<sup>(3)</sup>

طابق الإبراهيمي - هنا - بين فعلي الأمر (ابدأ و اختتم)، ولعلّه يهدف إلى إبراز التّحدّي في وجه السّاسة الفرنسيين أن يضعوا ما شاؤوا من قوانين، فلا أحد يبالي بهم، لأنّهم يوماً ما سيغادرون.

**2- ب** ويقول: "وثناءً يتوهج به من عنبر الشّجر عبيره، ويتبلّج به من بدر التّمائم، على الزّكب الخابط في الظّلام، منيره. وصلوات من الله طهورها الرّوح والرّيحان، وأركانها النّعيم والرّضوان. وتحيات زكيات تنتزل بها - من الملائكة الأعلى - الملائكة والرّوح، ونفحات زكيات تغدو بها رسل الرّحمة وتروح، وخيرات مباركات يصدّق برهان الحقّ قولها الشّارح بفعلها المشروح."<sup>(4)</sup>

فقد طابق بين الفعلين المضارعين (تغدو - تروح)، وهي مطابقة خدمت الصّورة الفنيّة التي أراد الإبراهيمي رسمها لمشهد نزول الملائكة وغدوها ورواحها. فالهدف منها إفادة معنى الحركة والحيويّة لرسول الرّحمة المتنزّلة لتبسط أجنحتها في حركة حيّة كأنّها بادية للعيان.

(1) صايل هزاع الهواوشة: أثر الطباق في الكلام، في موقع موضوع آخر ( mawdoo3.com ) تحديث: 08:12، 8 سبتمبر 2014.

(2) الإبراهيمي: تحية غائب كالآيب، آثار الإمام، ج4، ص: 183.

(3) الإبراهيمي: حدّثونا عن العدل فإننا نسيناه-1، آثار الإمام، ج3، ص: 362.

(4) الإبراهيمي: مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة، آثار الإمام، ج2، ص: 54.

وفي حديثه عن الحكومة الفرنسية في الجزائر يقول: "عادت لعتريها (لميسنا) في الصيف الماضي - وقد ماتت تلك العوائد السيئة (عادة الزرد) التي تنتهك فيها الحرمات، وتستحل المحرمات، فأوعزت إلى صنائعها أن يحيوها، ويسرت لهم كلما عسرت الأزمة المالية الخائفة، وأحضرت لهم كل ما غيبتة سنو الحرب الماحقة."<sup>(1)</sup>

فالطباق الحاصل في الأفعال الماضية (يسر - عسر)، و ما بين (أحضرت - غيبتة)، وذلك للإبانة عن تيسير الحكومة الفرنسية الأمور أمام خدامها المطيعين لكل ما عسرت الأزمة المالية؛ وكل ما غيبتة الحرب أحضرته طيعاً ووضعته بين أيديهم. كما يهدف هذا الطباق إلى لفت انتباه القارئ، ويقرب الفكرة إلى ذهنه بوضوح من خلال عقد مقارنات مختلفة لإقناع القارئ والتأثير فيه.

## 2- ج طباق بين الأفعال الماضية والأفعال المضارعة:

يقول الإبراهيمي في رسالته (إلى الطلبة الجزائريين المهاجرين): "... وأنّ الوطن حين يرضى بخلوه من أبنائه أنهم ما أخلوه إلا ليعمره، وما قطعوه إلا ليصلوه، وما فارقوه شبانا عزلا إلا ليعودوا إليه كهولا مسلحين بقوة التفكير، تظاهرها قوة العلم، تظاهرها قوة العمل."<sup>(2)</sup>

فقد حدث الطباق بين (أخلوه - يعمره)، وهو طباق إيجاب، وحدث أيضا بين (قطعوه - يصلوه) وهي أفعال حاملة لمعان على طرفي نقيض، وقد أفادت بنية المطابقة معنى عن التخلي والتخلي، فالطلبة الذين أخلوا الوطن إنما لتحقيق مصلحة العلم، ثم يعودون إليه ليقوموا بإعمارهم بما تعلموه؛ كما قطعوا صلتهم به لفترة معينة، ليس هروبا منه، بل ليصلوه بما سيجملونه من أفكار ومعرفة وعلم وعمل. وقد جاء اختيار أزمنة الأفعال متطابقة مع المعنى، فعندما عبر عن غياب الطلبة لطلب العلم استخدم الماضي، وعندما أراد التعبير عن عودتهم لخدمة الوطن وظف الأفعال المضارعة لتناسب السياق.

## 2- د طباق بين فعل مزيد وفعل مجرد:

يقول الإبراهيمي مخاطبا شيخ الطريقة (الزاهري): "فلم تقصر حقدك على من أساء إليك ولم تشكر من أقرضك القرض الحسن، واسترحت من حيث تعب الكرام. وإذا فهمنا مذهب ابن الرومي كما فهمته، فكل هذه الخصال البارزة فيك فضائل، وآمنا وسلّمنا وقتلنا: سبحان المنعم الوهاب."<sup>(3)</sup>

اختار الإبراهيمي المطابقة الحاصلة بين الفعلين (استرحت - تعب)، للإبانة عن تجسيد التعبير عن الشقي وإشفاء الغليل من قبل الزاهري، تنبيها للقارئ لمساوي هذا الشخص الذي كان دأبه دوما الوقوف

(1) الإبراهيمي: عادت لعتريها لميس، آثار الإمام، ج3، ص: 342.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل العلم، البصائر، العدد: 9. وآثار الإمام، ج3، ص: 202.

(3) الإبراهيمي: إلى الزاهري، آثار الإمام، ج3، ص: 558.

في صف الاستعمار، حتّى وفر لشخصه الراحة؛ بينما كان حربا على الجمعية فأتعب علماءها وأتعب المقتنعين بمبادئها ونهجها.

### 3- الطّباق بين الأسماء:

وظّف الإبراهيمي الطّباق في رسائله في شكل أسماء منفردة في مثل قوله: "سلوا عقلاء الأرض الذين لم يصابوا في عقولهم بمرض الاستعمار، وسلوا علماءها الذين لم يفسد علمهم الاستعمار سلوهم جميعا أو أشتاتا: هل يلتقي الاستعمار والعدل في طريق؟ وهل يتحقّق العدل مع الاحتقار، والبغض بين حاكم ومحكوم؟"<sup>(1)</sup>

فقد طابق -هنا- بين (جميعا - أشتاتا) للتعبير عن التّخيير و الشّمول ليوجّه العالم أسئلته لعقلاء الأرض وعلمائها عن بكرة أبيهم دونما استثناء بشكل جماعيّ أو فرديّ عن حقيقة العدل تحت مظلة الاستعمار، كما طابق بين (حاكم ومحكوم)، وقد أفادت بنية المطابقة تأكيد معنى الاحتقار و البغض بين الفئتين، بين من كانت صفته (اسم فاعل، وبين من صفته اسم مفعول).

ويقول أيضا: "والسلام عليكم مجتمعين على الحقّ، ومتفرّقين في خدمة الحقّ."<sup>(2)</sup>

فقد طابق بين الكلمتين (مجتمعين - متفرّقين) للدلالة على وصف الحالة التي هم عليها من الاجتماع على الحقّ والتّفرق في خدمته.

يقول الإبراهيمي: "وعادت لعترها (لميسنا) في كلّ ما جرى من انتخابات في السّنة الماضية، لما رأّت المسلمين بدأوا يقدّرون الانتخاب حقّ قدره، ويعرفون له قيمته، وبدأوا يتدوّقون معنى الديمقراطيّة التي أمت الاستعمار معناها الإسلاميّ في نفوسهم، فكدرت لهم شربها بتدخلها العلنيّ، وبما تستخدمه من وسائل التّريغيب والتّرهيب، إلى أن كشفت في الانتخابات الأخيرة عن سرّها، وصرّحت عن شرّها وكان ما كان مما صدق الخبر فيه العيان."<sup>(3)</sup>

حيث طابق الإبراهيمي بين (التّريغيب و التّرهيب) وذلك للإبانة عن صورة الاستعمار الفرنسيّ البشعة المتناقضة التي تكشف سياسته التي يمارسها في حقّ الشعب الجزائريّ للمشاركة الفعّالة في الانتخابات، ولكن سرعان ما تكشف عن سواتها ونيّتها الخبيثة فيتحول ترغيبها إلى ترهيب؛ وترهيبها إلى مجازر وإرهاب أعمى.

كما أبدع الإبراهيمي في توظيف طباقات متعدّدة ومعطوفة في الفقرة الواحدة، ممّا يوحي بقدرته العجيبة على التّحكّم في اللّغة العربيّة، والتمكّن من ناصيتها، والمقدرة على التّفنّن في الإتيان بالأضداد من الكلمات في حيز ضيقّ للتّعبير عن معانٍ معيّنة كان يصبو إلى الوصول إليها، كما في قوله: "ليس

(1) الإبراهيمي: الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه، آثار الإمام، ج3، ص: 364.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى أحمد توفيق المدني (تساؤل نفس)، مجلة "الثقافة"، العدد: 87. و آثار الإمام ج2، ص: 38.

(3) الإبراهيمي: عادت لعترها لميس، البصائر، العدد: 64، و آثار الإمام، ج3، ص: 343.

في الجزائر نيابة ولا نواب، بالمعنى التي تعرفه الأمم، وإنما هي صور بلا حقائق، وألفاظ مجردة من معانيها، وأجسام مفرغة من أرواحها...إنما هي وظائف توزعها الحكومة على أعوانها، وتضع عليها هذه الأسماء تمويهاً وتغليظاً."<sup>(1)</sup>

فقد طابق الإبراهيمي بين (صور و حقائق)، و(ألفاظ ومعانيها)، و(أجسام وأرواحها). فجاء الشقّ الأوّل (ألفاظ) دالة على أشياء حسّية فبدأ بها الطّباق (صور، ألفاظ، أجسام)، وطابقها مع كلمات أخرى وردت معنويّات (حقائق، معان، أرواح) وذكرها في الشقّ الثّاني للدّلالة على إهمالها وعدم إيلائها الأهميّة، وللتعبير عن حصر النّيابة في الجزائر إبّان الاستعمار الفرنسيّ على مجرد أشكال ومظاهر وقوالب برّاقة؛ ليمنح نفسه صوراً جميلة تغطّيّة لوجهه القبيح ليخدع العالم. والحقيقة أنّها صور بلا حقائق وألفاظ بلا معانٍ وأجسام بلا أرواح!

وفي رسالة الإبراهيمي التي بعث بها إلى تلميذه الشّاب، شاعر الشّباب محمّد العيد آل خليفة الذي ألمّت به حالة نفسيّة رهيبية، نجد الطّباق الثّالي: "ما لهذه النّفس الكبيرة في هذا الهيكل الصّغير يهفو بها الشّعور في مضطربه الواسع فلا يبلغ مداه حتّى يقول:

خَلَا الْقَلْبُ مِنْ حُبِّ الْعِبَادِ وَيُغْضِبُهُمْ \* \* \* وَأَصْبَحَ بَيْتًا لِلَّذِي حَرَّمَ الْبَيْتَا"<sup>(2)</sup>

فقد جسّد الإبراهيمي التّطابق بين (الكبيرة و الصّغير) للتعبير عن تعجّبه من نفس الشّاعر (الكبيرة) التي احتواها جسمه (الصّغير) والذي تعرّضت إلى الاضطراب النّفسيّ الذي تسلّل إليه في لحظة يأس وممل، وهو المطالب باستئصال اليأس من نفوس النّاس، وزرع الأمل بعد أن زرع الاستعمار فيها كلّ مشاهد اليأس والبأس.

ويقول كذلك في رسالته إلى تلميذه الأستاذ أحمد توفيق المدني: "وأعتقد أنّ فقدّه لا يحزن قريباً دون بعيد."<sup>(3)</sup>

فقد جرى التّطابق بين (قريباً - بعيد) و ساهم في التّعبير عن الشّمول، فموت ابن باديس والحزن عليه عمّ قلوب الجميع دون استثناء قريباً كان أم بعيداً.

وفي رسالته (كتاب مفتوح إلى رئيس الجمهوريّة الفرنسيّة) نقرأ قوله وهو يخاطبه بقوله: "لا يسبح منطق ولا عقل كيف تكون الوحدة بين سيّد وبين مسود، وكيف تتصوّر بين حاكم مزهو بعصبيّة جنسيّة تظاهرها عصبيّة دينية، وبين محكوم؟ وكيف تتفق في وطن ساكنوه صنفان، وقوانينه صنفان؟ وكيف

(1) الإبراهيمي: حدّثونا عن العدل فإننا نسيناه، آثار الإمام، ج3، ص: 366.

(2) الإبراهيمي: بين عالم وشاعر، آثار الإمام، ج1، ص: 228.

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني، آثار الإمام، ج2، ص: 37. وعلي محمّد الصلابي: كفاح الشّعب الجزائري، دار المعرفة،

بيروت- لبنان- ط1، 2017، ص: 701.

تتم في بلد كنيسته حرّة، وبيعته حرّة، ومسجده مستعبد؟ وكيف تتجاوز في عقيدة أو لسان مع كلمة السيادة الفرنسيّة التي تلوّكها الألسنة، وتنضح بها الأقاليم خصوصاً في هذه الأيام؟!<sup>(1)</sup>

فالتّبايق واضح بين تلك الثنائيات (سيّد - مسود) وبين (حاكم - محكوم) وما بين (حرّة - مستعبد). وهي ثنائيات تعكس حقيقة الوضع في الجزائر المستعمرة فرنسيّاً؛ خاصّة والخطاب موجّه إلى الرّئيس الفرنسيّ آنذاك، ردّاً على دعوته للإدماج والوحدة المزعومة بين الشّعبيين الجزائريّ والفرنسيّ. إذ لا يمكن أن تتحقّق الوحدة البتّة بين الشّعبيين، الفرنسيّ (السّيّد)، والجزائريّ (المسود)، ولا بين شعب (حاكم) بسلطته وجبروته وبين شعب (محكوم) بالحديد والنّار، ولا بين سلطات كنيستها (حرّة) تنتشط كما تشاء وبين شعب مساجده (مستعبدة) ومعرّضة دائماً للهدم والغلق والتّحويل إلى كنائس أو اسطبلات!

#### 4- التّبايق بين الفعل والاسم:

وفي رسالته إلى " كُتّاب البصائر " نجد هذا التّبايق الجميل في قوله: " وسيتفقّ الناس عليه (الإصلاح) حتّى كأنّ لم يكن بينهم فيه خلاف ".<sup>(2)</sup> حيث طابق بين (سيتفقّ - خلاف) وهو تطابق نادر، حيث قابل بين الفعل المضارع (يتفقّ) مقترناً بـ(السّين) ليفيد المستقبل القريب، وبين المصدر (خلاف) للدّلالة على الاتّفاق وتوحيد الكلمة وجمع الصّف، حتّى إذا اتّفق النّاس زال الخلاف ولا بدّ.

وكذلك نجد تعدّد التّبايق في موضع آخر من نصّه: " تريدنا فرنسا الاستعماريّة (...) وأنّ نصور مساوئها فينا محاسن، وأنّ نسمّي شرّها خيراً، وجورها عدلاً، وإساءتها إحساناً، وإهانتها تشريفاً، وأنّ ننكر إحساننا وعقولنا، وأنّ نتنكّر للمنطق وللواقع، فلا نقول إلّا ما يرضيها، وإنّ جانب الحقّ، ولا نعمل إلّا ما يوافق هواها، وإنّ أسخط الله، فنقول: لا، ثمّ لا، لأنّ ترجمة هذا كلّها أنّها تلطمنا فنشكرها على اللّطمة، وتعدّبنا فنقدّم لها شواهد الإخلاص ".<sup>(3)</sup>

حيث عدّد الإبراهيميّ في هذه الفقرة التّبايق خمس مرّات، حيث قابل ما بين (مساوئها - محاسن) (شرّها - خيراً)، (جورها - عدلاً)، (إساءتها - إحساناً)، و(إهانتها - تشريفاً). وقد أفاد التّضاد في تجسيد معنى قلب الحقائق وفرض منطق القهر ووصف ما ليس بحقّ، فالإرادة الفرنسيّة الغالبة كلّ مرّة تريد إقناع الجزائريّين أن يلوّكوا قلب الحقائق، ويوهّموا أنفسهم وغيرهم بأنّ سياسة فرنسا هي عنوان: (محاسن) و(خير)، و(عدل)، و(إحسان)، و(تشريف)، وهي شعارات مزخرفة للتّعطيّة على جوهرها، وحقيقة أمرها التي لم تكن تخفى على كلّ ذي لبّ، من (مساوئها)، و(شرّها)، و(جورها)، و(إساءتها)، و(إهانتها).

(1) الإبراهيمي: كتاب مفتوح إلى رئيس الجمهورية الفرنسيّة، البصائر، العدد: 81. و آثار الإمام، ج3، ص: 94.

(2) الإبراهيمي: إلى كُتّاب البصائر، آثار الإمام، ج1، ص: 209.

(3) الإبراهيمي: حدّثونا عن العدل فإننا نسيناه، آثار الإمام، ج3، ص: 371.

و في رسالته إلى (الزاهري الطريقي) كتب يقول: "أنت مدير أم مُدار؟ وأنت المكتري أم صاحب الدار؟". وفيها: "... ومن لنا بالدليل على أنكم مخيرون لا مسيرون؟"

وفيها "ويحك - يا شيخ - وويح أسيادك... فتحالفتم مع الاستعمار على حرب جمعية العلماء وركبتم كل عزيمة من المباهة وقلب الحقائق وإصاق كل نقيصة فيكم بنا." (1)

يُظهر الطباقي نفسية المؤلف من خلال الحديث عن الحالة ونقيضها، مثل: (مدير أم مُدار؟)، (المكتري أم صاحب الدار)، (مخيرون لا مسيرون)، وما بين (عزيمة - نقيصة).

حيث يتبين مدى الحالة النفسية للإبراهيمي وحيرته وحزنه وألمه من وجود أشخاص جزائريين من طينة الزاهري. فالأحوال النفسية تكشفها التناقضات، وهو ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني (471هـ) في قوله: "والطباقي نوع من أنواع البديع، ولا تنحصر قيمة الأضداد في جانب الدلالة المفردة في الكشف عن القدرة اللغوية، فإنها تتعدى إلى إظهار الأبعاد النفسية المتوترة وتصويرها في أدق حالاتها، فالصورة المبنية على الحركة القائمة بين المتناقضات هي ذات سعة وعمق داخلي، وذلك بما تتيحه اللغة من مترادفات وتضاد وتعاكس." (2)

وفي رسالته إلى السادة المعلمين قال: "وأوصيكم بحسن العشرة مع بعضكم إذا اجتمعتم؛ وبحفظ العهد والغيب لبعضكم إذا افترقتم؛ إن العامة التي انتمنكم على تربية أبنائها تنظر إلى أعمالكم بالمرآة المكبرة؛ فالصغيرة من أعمالكم تعدّها كبيرة، والخافتة من أقوالكم تسمعها جهيرة؛ فاحذروا ثم احذروا..." (3)

فقد طابق بين (الصغيرة و كبيرة)، وما بين (الخافتة و جهيرة)، وهو تطابق بين أسماء معرفة وأسماء وردت نكرة لإفادة معنى قلب المعايير وضيق في الرؤية. فالعامة من المجتمع تنظر إلى المعلمين نظرة كمال وجلال وقوة سالحة، فإذا ما تصرف المعلمون تصرفاً - ولو بحسن نية - أخصت العامة عليهم أنفاسهم، ووضعوا تحركاتهم تحت المجهر، وعدّوا صغيرتهم كبيرة، والخافتة منهم جهيرة!

و في رسالة (دمعة على المنصف) نجد الإبراهيمي قد وظّف طباقاً في قوله: "إن موت العظماء حياة لأممهم." (4)

حيث طابق الإبراهيمي بين (موت / حياة)، وجعل (موت) اسماً للناسخ (إن)، و(حياة) خبراً له، لإفادة معنى تأكيد استمرارية الحياة بعد فناء العظماء، لأنّ موتهم فيه درس للأحيال بما قدّموه من إنجازات ليأخذوا منها البلمس ليكملوا المسيرة؛ ليستمرّ النضال وتستمرّ الحياة.

(1) الإبراهيمي: إلى الزاهري، آثار الإمام، ج3، ص: 561.

(2) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 108.

(3) الإبراهيمي: رسالة إلى أبنائنا المعلمين الأحرار، آثار الإمام، ج3، ص: 265.

(4) الإبراهيمي: رسالة دمعة على المنصف، آثار الإمام، ج3، ص: 556.

## ثانيا/ طباق السلب:

أما النوع الثاني من الطباق وهو (طباق السلب) فنجد استخدامه عند الإبراهيمي بشكل نادر جداً. ففي إحدى رسائله نقراً قوله: "تريدنا فرنسا الاستعمارية على أن نحمدها بما لم تفعل، فنقول: عسى ولعل... ثم تريدنا على أن نحمدها بما فعلت معنا من ظلم وعدوان."<sup>(1)</sup>

فقد طابق الإبراهيمي سلبا بين (لم تفعل و فعلت)، وهذه المطابقة تمت بوساطة إثبات الفعل (فعلت)، ثم الإتيان بنفيه (لم تفعل) على سبيل مطابقة السلب للتعبير عن رغبة الاستعمار الفرنسي في الحصول على الحمد قسرا ورهبة، لأنه يريد افتكاك الحمد بما لم تفعل من خير وعدل في حق الشعب الجزائري؛ وتريد الحمد بما فعلته - قهرا- من ظلم وعدوان في حقه. وهو ما عبّر عنه القرآن الكريم ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرُخُونَ بِمَا آتَوْا وَيُجِبُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يُفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْتَهُمْ بِمَقَارَءٍ مِنَ الْعَذَابِ ۗ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(2)</sup> ومصدقا لحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم-: "من ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزد الله - عز وجل - إلا قلة"<sup>3</sup> وقال القاضي عياض اليحصبي تعليقا على الحديث الشريف في "إكمال المعلم": وهذا عام في كل دعوى يتشبع بها المرء بما لم يُعط، من مال يحتال في التّجمل به من غيره، أو نسب ينتمي إليه ليس من جذمه، أو علم يتحلى به ليس من حملته، أو دين يُرائي به ليس من أهله، فقد أعلم أنه غير مبارك في دعواه، ولا زاك ما اكتسبه<sup>(4)</sup> وفي الصحيح: "المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور."<sup>(5)</sup>

ويقول الإبراهيمي في رسالته إلى الطلبة المهاجرين وهو يذكرهم برجال السلف: "كانوا يقيّدون وأنتم لا تقيّدون، وكانوا ينسخون الأصول بأيديهم، ويضبطونها بالعرض والمقابلة حرفا حرفا، وكلمة كلمة وأنتم أراحتكم المطابع، ويسرت لكم الكتب؛ وربّ تيسير جلب التعسير؛ فإنّ هذا التيسير رمى العقول بالكسل، والأيدي بالشلل، حتى لا تجري في إصلاح الأغلاط المتفشية في تلك الكتب."<sup>(6)</sup>

الشاهد في الفقرة قوله (يقيّدون وأنتم لا تقيّدون)، وهو طباق سلب، لبنائه على الإثبات والنفي، وقد رمى في ذلك إلي لوم ومعاتبة الطلبة الجزائريين عتابا لطيفا في مقارنة جميلة بين طلاب العلم في عهد السلف، وبينهم بوصفهم طلاب علم جزائريين، حيث كان السلف يتلقون العلوم والمعارف، و(يقيّدون) كل

(1) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه، البصائر، العدد: 121.

(2) سورة آل عمران، الآية: 188.

(3) حديث صحيح أخرجه البخاري (6047)، ومسلم (110).

(4) القاضي عياض اليحصبي السبتي: إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج1، المحقق: بخي إسماعيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ط1، 1419 هـ - 1998 م، ص: 391.

(5) الحديث صحيح، أخرجه مسلم (2129)، والنسائي في (السنن الكبرى) (8920)، وأحمد (25340) واللفظ له.

(6) الإبراهيمي: رسالة إلى أبنائي الطلبة المهاجرين، آثار الإمام، ج3، ص: 202.

شيء، حتّى لا يُنسى، ويعودون إليه عند الحاجة؛ أمّا هم (لا يقيدون)، ويعولون على الذاكرة، ولكن سرعان ما تخونهم الذاكرة وتضيع المعلومة، ألم يقل القدامى: "العلم صيد والكتابة قيد؟"<sup>(1)</sup>

وفي رسالته إلى الشاعر محمّد العيد آل خليفة، قال: "إنّها وأبيك - لنزعة الشعر تغلج في الفؤاد بنزعة التقى، طالما سمعت منك كلمة" اليأس" وبودّي أن لا أسمعها منك مرّة أخرى لأنني أعدّها غميمة\* في شاعريتك، ولولا شذوذ نعرفه في نفوس الشعراء كأنّه من معاني كمالهم، لما صدّقنا باجتماع اليأس والشعر. وكيف ييأس الشاعر؟ وهو ملك مملكة الآمال وسلطان جوّ الخيال."<sup>(2)</sup>

في هذه الفقرة طابق الإبراهيمي طباقاً سلبياً بين (سمعت - لا أسمعها) تأكيداً لمعنى الالتماس والرّجاء والنّصح والحثّ على عدم لوك كلمة (اليأس) مستقبلاً في شعره؛ لأنّها في رأيه -بوصفه خبيراً- غميمة (عيب و ضعف) شابت شعره وأضفت عليه مسحة من عيب وضعف ونقص، لا تليق بشاعر في مكانة آل خليفة.

وفي رسالته ( إلى كتاب البصائر) نجده قد وظّف طباقاً سلباً في فقرة قصيرة واحدة، حيث يقول: "إنّا لا نريد التّضييق عليكم - أيّها الكتاب الكرام - وإنّما نريد إلفاتكم إلى الميادين الفسيحة والمراعي الخصيبة، وتوجيهكم إلى ناحية التّفكير العميق، والبحث المنتج، فأمامكم من المواضيع ما تنفد الأعمار ولا تنفد."<sup>(3)</sup>

فقد طابق بين (لا نريد/نريد). فيه نفي وإثبات للتعبير عن تجسيد الإرادة وحصرها في عدم التّضييق على الكتاب، وإنّما توجيههم إلى فضاءات أرحب، ومجالات أوسع للتّفكير والبحث. ثمّ طابق بين (تنفد/ لا تنفد) فيه دلالة الإثبات والنّفي، إثبات لحقيقة نفاذ الأعمار-لا محالة- ونفي عن نفاذ المواضيع التي يمكنهم الكتابة فيها لأنّها كثيرة لا تعدّ ولا يحصيها العدّ.

(1) هذه الحكمة هي شطر من شعر للإمام الشافعي في ديوانه (ينظر، ديوان الشافعي)، ومنه:

العلمُ صيدٌ والكتابةُ قيدٌ \*\*\* قيّدْ صيودكَ بالجنالِ الوائِقِ

فمِنَ الحماقةِ أنْ تصيدَ غزّالةً \*\*\* وتتركها بينَ الخلائقِ طالقَه

- هذان بيتان من بحر (الكامل) مشهوران؛ لكن الشطر الأخير منهما من بحر (الطويل)!

(\* الغميمة: به غمير: عيب. ما فيه غمير أو غميمة. كان شاعراً فحلاً لا غميمة فيه ولا وهن (ابن سلام الجمحي). (معجم الغني)، مادة (غميمة).

(2) الإبراهيمي: بين عالم وشاعر، آثار الإمام، ج1، ص: 355.

(3) الإبراهيمي: إلى كتاب البصائر، البصائر، العدد: 2. و آثار الإمام، ج1، ص: 211.

وفي الرسالة التي بعثها إلى تلميذه الأستاذ (أحمد قصبية) نجد هذا الطّباق السّلب في بعض ما قال: "رجاؤنا في الله قويّ ولكنّه رجاء الموحّدين العارفين بسننه الكونيّة، فلا نرجو أن نحيا من غير أن نستعدّ للحياة، وإنّما نرجو أن يوفّقنا الله إلى هذا الاستعداد..."<sup>(1)</sup>

وقد أفاد الطّباق ما بين ( فلا نرجو/ نرجو) معنى تحقيق الرّجاء في الله، وقد كرّر الإبراهيميّ الرّجاء بصيغ عدّة في هذه الفقرة القصيرة (رجاؤنا، رجاء، لا نرجو، وإنّما نرجو) لتأكيد ذلك استعدادا للحياة الكريمة، وتأكيذا في أن يتحقّق الرّجاء لتوفيق الله لهذا الاستعداد.

وفي رسالته إلى الطّلبة الجزائريين المهاجرين يخاطبهم بقوله: "واعلموا أنّ كلّ من يدعوكم إلى ذلك إنّما يدعوكم ليضلّكم عن سبيل العلم فهو مضلّ وكلّ مضلّ مضرّ أو ليتكثّر بكم فهو غاشّ، وكلّ غاشّ ممقوت، أو ليلهيكم بما لا تحسنون عمّا تحسنون، فهو ماهر، وكلّ ماهر مكور به؛ إنّ من يريد أن يتكثّر بكم لا يتكثّر إلّا ليقالّكم، ولا يتقوى بكم حسّا إلّا على حساب إضعافكم معنى؛ فالحذر! الحذر!"<sup>(2)</sup>

في هذه الفقرة تحذير الإبراهيميّ للطّلبة الجزائريين المهاجرين من بعض الأطراف التي تريد أن تلعب بمصيرهم ومستقبلهم، ويصدّونهم عن سواء السبيل الذي خرجوا من أجله، حيث وظّف الإبراهيميّ أكثر من طباق سلب لتحقيق المعنى الذي يصبو إليه، فقد جاء بعبارة ( لا تحسنون)، وطابقها مع (تحسنون)، كما طابق عبارة (أن يتكثّر) بإزاء عبارة (لا يتكثّر)، واختتمها بتحذير مكرّر وموكّد (فالحذر! الحذر!) مبالغة في تنبيههم إلى الخطر الذي يرد بهم.

وفي رسالته إلى الشيخ (أبي بكر الأغواطيّ)<sup>(\*)</sup> يقول له: "كنا نعلم أنّ تلك التّربية لا بدّ لها من أثر في النفوس الضّعيفة، ولكننا ما كنا نظنّ ولا نتوهّم أنّها تنتهي إلى هذا الإفلاس المريع. بل كنا نظنّ أنّها تنتج خلاف المقصود بها: تنتج صلابة في الأخلاق، ومثانة في الطّباع، وثباتا في العزائم لأنّها تربية مفضوحة المقاصد."<sup>(3)</sup>

طابق الإبراهيميّ - هنا- بين جملتين منسوختين الأولى (ما كنا نظنّ) فيها نفي الظنّ بانتهاء الأمر إلى الإفلاس الأخلاقيّ الذي وصل إليه شباب تلك المرحلة، والثانية (بل كنا نظنّ) فيها إقرار الظنّ بأنّ التّربية المنتهجة ستنتج خلاف النّتائج التي انتهت إليها.

وفي رسالة إلى الطّلبة الجزائريين المهاجرين نجد الإبراهيميّ قد جمع بين الطّباقيّن (الإيجاب والسّلب) في قوله: "يا أبناءنا، إنّ الحياة قسمان: حياة علميّة وحياة عمليّة، وأنّ الثّانية منهما تنبئ

(1) الإبراهيميّ: رسالة إلى الأستاذ أحمد قصبية، مجلة "الثقافة"، العدد: 87. و آثار الإمام، ج2، ص: 39.

(2) الإبراهيميّ: رسالة إلى أنثاء الطلبة المهاجرين في سبيل العلم، البصائر، العدد: 9، و آثار الإمام، ج3، ص: 204.

(\*) سبق إعطاء معلومات عن هذه الرّسالة.

(3) الإبراهيميّ: رسالته إلى الشيخ (أبي بكر الأغواطيّ).

على الأولى قوّة وضعفاً، وإنتاجاً وعقماً، وإتكم لا تكونون أقوياء في العمل إلا إذا كنتم أقوياء في العلم ولا تكونوا أقوياء في العلم إلا إذا انقطعتم له، ووقّفتم عليه الوقت كلّهُ؛ إنّ العلم لا يعطي القيادة إلا لمن مهرة السّهَاد، وصرف إليه أعتة الاجتهاد.<sup>(1)</sup>

فقد طابق إيجاباً ما بين الكلمتين (علميّة و عمليّة)، وما بين (الثانية و الأولى)، وما بين (قوّة و ضعفاً) وما بين ( إنتاجاً و عقماً). فكما أنّ (علميّة و عمليّة) جناس ناقص فقد أفادت المطابقة من حيث دلالة المعنى إذ أنّ لفظة (علميّة) تعني الجانب النظريّ؛ بينما لفظة (عمليّة) تعني الجانب العمليّ والتطبيقيّ في أرض الواقع، فهما إذن لفظان متناقضان متضادّان.

أمّا التّطابق بين (الثانية والأولى) فهما - هنا - متناقضان، لا من حيث أنّهما أرقام متتالية، بقدر ما هما تدلّان على مرحلتين متناقضتين، فلا تصحّ واحدة منهما إلاّ بتحقيق الأخرى. أمّا التّطابق بين (قوّة و ضعفاً)، وما بين ( إنتاجاً و عقماً) فهو واضح إذ طابق بين (قوّة) بإزاء (ضعف)؛ وطابق (إنتاجاً) بإزاء (عقماً).

وفي هذه الفقرة أيضاً طابق الإبراهيميّ طباقاً سلباً بين (لا تكونون و كنتم) للدلالة على تأكّيدهِ للطلّبة أنّ قوّة العمل لا تتحقّق إلاّ إذا تحقّقت القوّة في العلم، فالأمران متلازمان حتماً. خلاصة القول: لقد شكّل الطّباق في رسائل الإبراهيميّ سمّةً أسلوبيةً بارزة بأسلوب متقنّ، من خلال توظيف الطّباق بنوعيه من أجل لفت انتباه القارئ والمخاطب على حدّ سواء، حتّى يقرب الفكرة من ذهنه بشكل واضح وبيّن بوساطة عقد مقارنات متباينة ومتضادّة لتحقيق الإقناع في الأذهان، والتأثير في النفوس، وهزّ العواطف، والمساهمة في التّبحر في سماء الخيال إلى جانب توفير الجوانب الجماليّة في النّصوص من خلال الجرس الموسيقيّ والنّغم العذب الذي شكّله الطّباق ليتأكّد المعنى أكثر، ويكشف الستار عن الصنعة اللّفظيّة، والبراعة اللّغويّة للبشير الإبراهيميّ.

ب- المقابلة: هي أن يؤتى بمعنيين أو أكثر أو جملة، ثمّ يؤتى بما يقابل ذلك التّرتيب.

والمقابلة عند قدامة بن جعفر (873 م - 948 م) هي: "أن يصنع الشّاعر معاني يريد التّوفيق بينها وبين بعض، أو المخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصّحة، أو يشترط شروطاً ويعدّد أحوالاً في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدّده، وفيما يخالف بأضداد ذلك."<sup>(2)</sup>

(1) الإبراهيميّ: رسالة إلى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل العلم، البصائر، العدد: 9، وآثار الإمام، ج3، ص: 203.

(2) قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دط)، 1963 ص: 133.

وعند أبي هلال العسكري (920م - 1005م) المقابلة هي: "إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة." (1)

وعند السكاكي يوسف بن أبي بكر (555 - 626هـ/1160 - 1229م) المقابلة هي: أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر، وبين ضديهما، ثم إذا شرطت هنا شرطاً، شرطت هناك ضده. (2)

ومهما تعددت التعاريف فإنّ هناك من جمع بينها في قوله: "ويمكننا القول أنّ المقابلة تضادّ يجري بين تركيب، يقوم على المخالفة والمعارضة بين التركيب السابق، والتركيب اللاحق، على الترتيب والتوالي، وهي من جنس المطابقة، ورافد من روافده؛ وليس الفرق بينهما إلاّ فرقا عددياً ترتيبيّاً: فما جرى على ضدين مطابقة، وما جرى على مجموع أضداد مقابلة." (3)

مثل: ﴿ وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ (4)

ومثل: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنِّيئِرُهُ لِلْعُسْرَى. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى. فَسَنِّيئِرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ (5)

ومثل الحديث الذي رواه أبو هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْسِكًا تَلْفًا." (6) وقد روت عائشة - رضي الله عنها - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: "عليك بالرفق بإعائشة، فإنه ما كان في شيء إلاّ زانه، ولا نزع من شيء إلاّ شانه." (7) وقال أبو تمام (\*) (188 - 231 هـ):

يَا أُمَّةً كَانَ قُبْحُ الْجُورِ يَسْخَطُهَا \*\*\* دَهْرًا فَأَصْبَحَ حُسْنُ الْعَدْلِ يُرْضِيهَا

(1) أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص: 371.

(2) السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 424.

(3) عبد الكريم الرحيوي: جماليات الأسلوب في الشعر الجاهلي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014، ص: 256-257.

(4) سورة الأعراف، من الآية: 157.

(5) سورة الليل، الآيات: من 5 - 10.

(6) حديث متفق عليه. أخرجه البخاري (1442)، ومسلم (1010).

(7) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبي داود، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، (دط)، 2019، رقم الحديث: [2478].

(\*) أبو تمام (188 - 231 هـ / 803-845م) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أحد أمراء البيان، ولد بمدينة جاسم (بسورية) ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفي بها. كان أسمر، طويلًا، فصيحًا، حلو الكلام، حسن الصوت فيه تمتمة يسيرة، يحفظ 14 ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطيع. له تصانيف، منها فحول الشعراء، وديوان الحماسة، ومختار أشعار القبائل، ونقائض جرير والأخطل، توفي بالموصل، ودفن بها. (ينظر، أبو تمام، معجم الشعراء العرب ص: 351).

(فَقْبَحٌ) ضَدَّهَا (حُسْنٌ)، و (الجور) ضَدَّهُ (العدل)، و (يسخطها) ضَدَّهَا (يرضيها).

وقديما قال بعض الحكماء من السلف الصالح: "كَدَّرَ الْجَمَاعَةَ خَيْرٌ مِنْ صَفْوِ الْفُرْقَةِ".  
الأثر الفني للتضاد والمقابلة:

يعملان على إبراز المعنى وتقويته وإيضاحه و إثارة الانتباه عن طريق ذكر الشيء وضده "والمقابلة في الكلام من أسباب حسنه وإيضاح معانيه، على شرط أن تتاح للمتكلم عفا، وأمّا إذا تكلفها وجرى وراءها فإنها تعنقل المعاني وتحبسها، وتحرم الكلام رونق السلاسة والسهولة."<sup>(1)</sup>

### 5- المقابلة في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

نوع الإبراهيمي في المقابلات التي دَبَّجها في نصوصه الرسالية في أشكال متنوّعة ومتميّزة وصيغ مختلفة، وتركيبات ملوّنة بلون التعبير العربية الكثيرة الجميلة، فكأنّه يداعب اللّغة، ويداعب معها مفرداتها وفي كلّ مرّة يأتي بصياغة فيها مقابلة تختلف في صياغتها من رسالة إلى أخرى ومن نصّ إلى آخر. وقد حاولنا أن نصنّف هذه المقابلات إلى عدّة صور يمكن ترتيبها كالتالي:

أولاً/ المقابلة في معنيين: وهي أن تكون في كلمتين:

1 - جملة فعلية فعلها مضارع مع جملة فعلية فعلها ماض: كقول البشير الإبراهيمي الذي سبق ذكره: "تريدنا فرنسا الاستعمارية على أن نحمدها بما لم تفعل، فنقول: عسى ولعل... ولا نعمل إلا ما يوافق هواها، وإن أسخط الله، فنقول: لا، ثم لا، لأنّ ترجمة هذا كلّها أنّها تظمننا فنشكرها على اللّطمة، وتعدّنا فنقدّم لها شواهد الإخلاص."<sup>(2)</sup>

2- مقابلة جملة فعلية فعلها ماض بأخرى فعلية فعلها ماض أيضا من نفس الجنس: في مثل قوله:

ورضيت فوق الرضى بأبوتك لي أن رضيت ببنتي لك.

بأبوتك لي ← → ببنتي لك

وهي مقابلة ثنائية تتم عن عاطفة قلبية جيّاشة في إبداء عين الرضى بأبوة الجزائر له، مقابل عاطفة مثليها تحمل الرضى ببنته لها.

وفي فقرة من رسالة الإبراهيمي مخاطبا (الزّاهري) شيخ الطّرقية العنيد جاء فيها مقابلات بديعة عدّة متتالية، حيث يقول: "كُتِبَتْ - أيها الشيخ - كثيرا من الباطل، وسنكتب قليلا من الحقّ... قد كان يسعنا أيها الشيخ أن نعمل سنتنا بالأعمال، وتعمّرون سنتكم بالأقوال، فإذا جاء رأس السنة وحلّ وقت الحصاد، قلنا: هذه أعمالنا، وقلتم: هذه أقوالنا."<sup>(3)</sup>

(1) علي الجارم و مصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ص: 285.

(2) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه -3-، البصائر، العدد: 119، وآثار الإمام، ج3، ص: 371.

(3) الإبراهيمي: إلى الزّاهري، البصائر، العدد: 61، وآثار الإمام، ج3، ص: 558.

نلاحظ كيف قابل الجمل مقابلات تضادية:

- كتبت - أيها الشيخ - كثيرا من الباطل ≠ وسنكتب قليلا من الحق.

- أن نمر سنتنا بالأعمال ≠ وتعمرون سنتكم بالأقوال.

- قلنا: هذه أعمالنا ≠ وقلتم: هذه أقوالنا.

وهي مقابلات متعدّدة في قوله (كثير) بإزاء (قليل)، و(الباطل) بإزاء (الحق)؛ وفي قوله (أن نمر سنتنا بالأعمال) بإزاء (وتعمرون سنتكم بالأقوال)؛ وفي قوله: (قلنا: هذه أعمالنا) بإزاء (وقلتم: هذه أقوالنا) وهي ثنائيات ضدية أسفرت عن مقابلات رائعة لتكشف حقيقة أهل الحق وأهل الباطل. فالزاهري يمثل أهل الباطل الذي كتب كثيرا منه؛ والإبراهيمي ممثلاً لجمعية العلماء يمثل الحق، الذي كتبه ويكتبه ولو كان قليلا. وقد بدأ بالباطل وتتى بالحق؛ لأنّ الباطل دائما يكون في البدء، ثم يأتيه الحق فيدحضه ويقزّمه، قال الله تعالى ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾<sup>(1)</sup> وقال أيضا ﴿بَلْ تَهْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾<sup>(2)</sup> ثم قابل التزام أهل الحق بالأعمال، وأهل الباطل نعتهم بمضغ الأقوال. وشتان شتان يوم الحصاد ما بين زاد الفريقين.

3- مقابلة جملة اسمية بأخرى: يقول العلامة الإبراهيمي في كتابه المفتوح إلى أعضاء مؤتمر الثقافة الإسلامية الثاني: "وإن أكبر امتحان تمتحن به الثقافة الإسلامية في أواخرها الأخيرة أن نفتتح في تاريخ الإسلام صحائفه الأخيرة، وهي خمسة قرون ونصف قرن وننظر ماذا تحدر إلينا من أهلها من الآثار والأعمال، وقد نجد عشرات الألوف من المؤلفات، أقلها السمين وأكثرها الغث، فتكون النتيجة أننا أضعنا خمسة قرون ونصف قرن في الأقوال من غير أن نعمل شيئا."<sup>(3)</sup>

ففي هذه الفقرة قابل الإبراهيمي بين جملتين اسميتين في قوله (أقلها السمين، وأكثرها الغث) فقد قابل (أقلها) بإزاء (أكثرها)؛ وقابل كلمة (السمين) بإزاء (الغث)<sup>(\*)</sup>، وهي إشارة واضحة إلى قيمة المؤلفات التي كانت بين أيدي الناس يومها، قليل منها النافع الذي يعجّ بالعلم والفائدة والثقافة الواسعة؛ وكثير منها لا تساوي قيمة الحبر الذي كتبت به، تافهة، فقيرة، غثة، قليلة النفع، فهي غثاء كغثاء السيل.

(1) سورة الإسراء، الآية: 81.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 18.

(3) الإبراهيمي: إلى أعضاء مؤتمر الثقافة الإسلامية 2، آثار الإمام، ج2، ص: 309.

(\*) جاء في المعجم الوسيط: الغث: التحيف، خلاف السمين. يقال: هو لا يعرف الغث من السمين.

وفي الرسالة نفسها نقراً: "أيها الإخوان: إن للثقافة الإسلامية ماضياً مشرقاً وحاضراً مظلماً، فهل لكم يا أنصار الثقافة أن لا تقصروا جهودكم وأبحاثكم على ماضيها، وهل لكم أن تعطوا مستقبلها الحظ الأوفر من عنايتكم، فتخطوا لمستقبل الثقافة الإسلامية معالم جديدة يهتدي بها الجيل الجديد."<sup>(1)</sup>

في هذه الفقرة قابل البشير الإبراهيمي بين الجملة الاسمية (ماضياً مشرقاً) وبين الجملة الاسمية (حاضراً مظلماً)، وهي إشارة واضحة إلى عصر السلف الذهبي القريب من عهد النبوة في علومه وحضارته، وقيمه النبيلة، وإشعاعاته المشرقة التي سطعت على الغرب على اختلاف أجناسه؛ لكن الإبراهيمي يعترف بأن هذا الإشراق للثقافة الإسلامية يشهد فترة من الركود والضعف (مظلم) لما تعرضت الأمة من هجوم واحتلال، وإضعاف ممنهج ومدروس لطمس ثقافتنا الإسلامية العريقة.

4 - مقابلة جملة منسوخة بأخرى: يقول الإبراهيمي في رسالته (تحية غائب كالأيب) مخاطباً وطنه الجزائر من بلاد غربة لم يذكرها: "إنه يعتقد أن في كل جزيرة قطعة من الحسن وفيك الحسن جميعه، لذلك كن مفردات وكنت جمعاً، فإذا قالوا: "الجزائر الخالدات" رجعنا فيك إلى توحيد الصفة وقلنا "الجزائر الخالدة" وليس بمستنكر أن تُجمع الجزائر كلها في واحدة ... ويمينا لو تبرجت لي المواطن في خلها، وتطامنت لي الجبال بقُلها، لتفتني عنك لما رأيت لك عديلا، ولا اتخذت بك بديلا."<sup>(2)</sup>

حيث قابل هنا بين معنيين منسوخين (كن مفردات ≠ كنت جمعا)، وهي بنية تقابلية متناقضة كشفت المفارقة الكبيرة بين الجزر التي خلقها الله جميعا، وهي جميلة ورائعة بمفردها لا يخالج أحد الشك في حسنها؛ وبين الجزائر (جمع جزيرة)<sup>(\*)</sup> التي جمع فيها الحسن كله الذي قسمه الله على جزر الأرض متفرقة. وفي ذلك إشارة إلى الفخر والاعتزاز بوطنه الجزائر الذي غاب عنه لوقت معين.

ويقول الإبراهيمي في رسالته إلى المعلمين الأحرار: "إننا - يا أبنائي - كنا أول من نام وآخر من استيقظ؛ فمن الحزم أن لا نقطع الوقت في العتاب والملام، والحرب بالكلام..."<sup>(3)</sup>

كنا أول من نام ← → وآخر من استيقظ

(1) الإبراهيمي: إلى أعضاء مؤتمر الثقافة الإسلامية 2، المرجع نفسه، ص: 309.

(2) الإبراهيمي: تحية غائب كالأيب، آثار الإمام، ج4، ص: 183.

(\*) ينظر، معجم المعاني الجامع: جزيرة: (اسم)، الجمع: جزائر، و جزر.

- وفي المعجم الوسيط- مجمع اللغة العربية بالقاهرة- صدر: 1379هـ/1960م. [الجزيرة]: أرض يُحْدِقُ بها الماء. (والجمع): جزائر، وجزر.

- وفي (الصاح في اللغة للجوهري): الجزائر، الجزر: تُجمع جزيرة على جزائر، وخطأ جمعها على جزر لأن الجزر جمع للجزور: الجمل المنبوح.

(3) الإبراهيمي: إلى أبنائنا المعلمين الأحرار، البصائر، العدد: 94، وآثار الإمام، ج3، ص: 262.

في هذه الجملة مقابلة، حيث جعل (أول من نام) بإزاء (آخر من استيقظ)، بغرض التّقابل لتشخيص الحالة التي كان عليها الشعب الجزائريّ، وإقرار بالغطّعة في التّوم العميق مبكّراً، ربما بفعل الاستعمار والتّخلف والفقر، كما فيه اعتراف بالاستيقاظ المتأخّر، لكن ليس هذا المهمّ، المهمّ هو حمل النّفس على الحزم والانطلاق، وعدم تضييع الوقت في العتب واللّوم وكثرة الكلام.

5- مقابلة جملة فعلية مثبتة بأخرى، ومقابلة جملة فعلية منفية بأخرى: يقول الإبراهيمي في الرّسالة التي خاطب فيها الزّاهريّ الطّريقيّ: "وإذا وُضعت الأعمال في كفة، والأقوال في كفة، وهبط الثّقيل، وارتفع الخفيف، علّل الفارغون أنفسهم بأنّ ارتفاع الفارغ ارتفاع، وقد شهد النّاس بأنّه ارتفاع وكفى... وأنت امرؤ بادي المقاتل لخصومك، بادي الهنّات لأصدقائك، ومن كان مثلك لم يضرّ عدوّا ولم يسرّ صديقا." (1)

هنا قابل الإبراهيمي في ثنائية ضدية جميلة بتصوير بديع، ناقلا إيّاه (الزّاهريّ) إلى زمن صُبْحه يوم القيامة (هبط الثّقيل، ارتفع الخفيف) حيث يُنصبّ الميزان العادل، وتشهده الملائكة، فتهبط كفة أهل الحقّ المثقلة بالأعمال الصّالحة؛ وترتفع كفة الباطل لختها إلّا من الأقوال. ورغم ذلك يعتدّ أهل الباطل أنّ كفتهم هي الرّاجحة! ثمّ يريه الإبراهيمي حجمه الحقيقيّ مقرّما إيّاه في مقابلة مُهينة: ومن كان مثلك لم يضرّ عدوّا ← → ولم يسرّ صديقا.

وهو (الزّاهريّ) بعد ذلك لا وزن له في الأمة. فمن باع ضميره لفرنسا العدو لا يمكن أن يأتي عليه حين من الدهر ليضرّه في شيء، ولا يمكنه أن يقدم شيئا يسرّ به صديقا، لأنّه لا صديق له، ولأنّه أصبح في الأمة رويضة، تافها، نكرة، مرفوضا، ومنبوزا كما ينبذ النّوى من النّمر.

6- مقابلة بين ركني جملة استثنائية: في مثل قول الإبراهيمي وهو يخاطب الجزائر: "لن أنسى- يا أمّ- أنّك كنت لي ماخطة العرس، ومامشة العرس، فلا تنسي أنّي كنت لك من عهد التّمائم إلى عهد العمائم، ما شغلت عنك إلّا بك، ولا خرجت منك إلّا عائدا إليك، لا تنسي أنّي ما زلت ألقى الأذى فيك لذيذاً، والعذاب في سبيلك عذبا، والنّصب في خدمتك راحة، والعقوق من بعض بنيك برّاً، والحياة في العمل لك سعادة، والموت في سبيلك شهادة، ولا تنسي أنّي عشت غيظاً لعداك وشجّي في حلوهم وكدرًا لصفوهم، وأنّني ما زلت أقارع الغاصبين لحقّك في ميدان وأكافح العابثين بجرّماتك في ميدان وأعلم الغافلين من أبنائك في ميدان." (2)

(1) الإبراهيمي: إلى الزّاهريّ، آثار الإمام، ج3، ص: 560.

(2) الإبراهيمي: تحية غائب كالأيب، المرجع السابق، ص: 183.

نرصد في هذه الفقرة الجميلة مقابلة بين ثنائية متضادة متقاربة، حيث قابل بين جملة (خرجت) مكونة من (فعل + فاعل) بإزاء اسم الفاعل (عائدا)، الدال على الفعل ومن قام به، وقابل شبه الجمل (منك) العائدة على الجزائر، بالجار والمجرور (إليك)، للإبانة عن خروجه من الجزائر بمحض إرادته وتلبية لنداء الواجب الوطني في خدمة بلاده لوقت ما، ولكنه يبيّن بأنها خرجة وطنية ليست للسياحة ولا للسباحة، وهو (عائد) إليها لا محالة، بعزّ عزيز أو بذلّ ذليل.

#### 7- مقابلة جملتين معطوفتين على سبيل التخيير:

كما في قوله: "ورجز الضبّ الذي أشار إليه المعري وانتقد على ابن السكيت الاحتجاج به أصله مزعم من مزاعم العرب التي لا حقيقة لها، إذ زعموا أنّ الحيوانات كانت كلّها تتكلم ونحلوا بعضها كلمات وجملًا وأبياتًا من الشعر، وليس وضعهم لما وضعوا من هذا من ذلك النوع المعروف عند جميع الأمم، وهو وضعهم أشياء على أسنة الحيوانات إيغالا في الحكمة وتطرقا لتربيّة النفوس البشرية وسوقها لفضيلة أو صدّها عن رذيلة، فإنّ هذا النوع من الأدب السامي هو نمط من التربيّة الصالحة كما في كتاب كليلة ودمنة." (1)

فقد قابل الإبراهيمي الجملة الاسميّة (سوقها لفضيلة) بإزاء الجملة الاسميّة (صدّها عن رذيلة) حيث اختار لفظة (سوق) لما فيها من حثّ النفوس البشريّة على السير الحثيث نحو الفضيلة؛ بينما قابلها بلفظة (صدّ) حين أراد التعبير عن إبعادها عن (رذيلة). وقابل (فضيلة) بإزاء لفظة (رذيلة).

#### 8- مقابلة جملة فعلية بأخرى: كما في رسالته إلى النواب المسلمين الجزائريين في البرلمان

الفرنسيّ في الجزائر قال لهم: "ولو أنّ أحبّ الناس فيكم، وأحوجهم إليكم، وأعظمهم مصلحة في وجودكم، أراد أن يرفعكم على أعناق غير أمتكم لما استطاع، ولو استطاع لما سمحت نفسه بذلك لأنكم - وأمتكم معكم - أخطّ قدرا في نظره من ذلك؛ فاذكروا حقوق أمتكم عليكم في النهايات، إنّ لم تذكروها في البدايات، واذكروها في النتائج، وإنّ أغفلتموها في المقدمات واذكروها عند اقتسام المصالح لعلّها تغفر لكم بعض السيئات." (2)

(1) الإبراهيمي: رسالة الضب. آثار الإمام، ج2، ص: 46.

(2) الإبراهيمي: كتاب مفتوح إلى الأعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري، البصائر، العدد: 33، وآثار الإمام، ج3، ص: 187.

الجدول رقم (1) يوضّح مقابلة جملة فعلية بأخرى في معنيين:

الشق الأول	الشق الثاني
فاذكروا حقوق أمتكم	لم تذكروها
في النهايات	في البدايات

الشق الأول	الشق الثاني
واذكروها	وإن أغفلتموها
في النتائج	في المقدمات

ففي هذه الفقرة قابل الإبراهيمي مرتين في ثنائيتين متشابهتين. فقد قابل فعل الأمر المثبت (اذكروا) متبوعا بالمفعول به ( حقوق أمتكم) بإزاء الفعل المضارع المسبوق بأداة النهي (لا تذكروها)؛ وقابل شبه الجملة (في النهايات) بإزاء شبه الجملة ( في البدايات). ثم قابل مرة أخرى في ثنائية مشابهة الجملة الفعلية (اذكروها) بإزاء الجملة الفعلية (أغفلتموها)؛ كما قابل شبه الجملة (في النتائج) بإزاء شبه الجملة (في المقدمات).

فالإبراهيمي ينبّه ويذكر الأعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري إلى ضرورة الاهتمام بإخوانهم الجزائريين البسطاء الذين أوصلوهم بشكل أو بآخر إلى البرلمان، وأن يذكروا حقوقهم الضائعة ابتداءً وانتهاءً؛ وهو تنبيه لهم من خلال التجارب. فالمترشّحون يُقبلون على الناس البسطاء ويقدمون وعوداً كاذبة، حتى إذا وصلوا إلى قبة البرلمان، ونالوا من ريعه نسوا التزامهم أمام من كانوا سبباً في تربّعهم على ذلك الكرسي المريح!

ثانياً/ المقابلة في ثلاثة معان: وهي أن يكون التقابل في ثلاث كلمات.

أ- مقابلة جملة فعلية منفية بأخرى:

كما في قول الإبراهيمي وهو يتحدّث عن الانتخابات إبان الاستعمار الفرنسي في الجزائر: "ارجع البصر في الدنيا وقوانينها التي يسوسنا بها الاستعمار تجد ذلك المعنى لائحاً في كل حرف منها، فائحاً من كل كلمة من كلماتها، واضحاً في كل تأويل من تأويلاتها، بيئاً في كل تطبيق من تطبيقاتها؛ انظر إلى قوانين الانتخاب - وهو عصب الحياة وسلاح الدفاع- تقع أول نظرة منك على احتقار مفضوح بشواهد، وهو وجود صندوقين لأمتين، لم تقعد بأولاهما قلتها، ولم تغن عن أخراهما كثرتها."<sup>(1)</sup>

(1) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه، آثار الإمام، ج3، ص: 363.

وفي هذه الفقرة مقابلة ثلاثية الأضداد مرتبة ترتيباً متوالياً.

الجدول رقم (2) يوضح مقابلة في ثلاثة معان:

لم تقعدُ	بأولاهما	قلّتها
ولم تغنِ	عن أخراهما	كثرتها

فقد قابل (لم تقعدُ/ ولم تغنِ)، وقابل (بأولاهما/ عن أخراهما)، وقابل ثالثاً (قلّتها/ كثرتها).

ب- يقول الإبراهيمي في رسالته (إلى الطلبة الجزائريين المهاجرين): "... وأنّ الوطن حين يرضى بخلوه من أبنائه أنّهم ما أخلوه إلاّ ليعمّروه، وما قَطَعوه إلاّ ليصلّوه، وما فارقوه شبّانا عزلاً إلاّ ليعودوا إليه كهولاً مسلّحين بقوة التفكير، تظاهرها قوّة العلم، تظاهرها قوّة العمل." (1)

فقد قابل الإبراهيمي ما بين ثلاثة معان مقابل ثلاثة معان أخرى، حيث قابل (فارقوه شبّانا عزلاً) بإزاء (ليعودوا إليه كهولاً مسلّحين).

الجدول رقم (3) يوضح مقابلة في ثلاثة معان:

الشقّ الأوّل	فارقوه	شبّانا	عزلاً
الشقّ المقابل	ليعودوا إليه	كهولاً	مسلّحين

وهي مقابلة فيها رسالة اطمئنان من الإبراهيمي لأولياء الطلبة المهاجرين حتّى لا يفلقوا على غياب أبنائهم، فقد غادروا الوطن شبّانا عزلاً، ليس حبّاً في الغربة، ولا انبهاراً بزخرفها؛ وإنّما لهدف وضعته جمعية العلماء؛ ليتكوّنوا ويعودوا إلى الوطن مسلّحين بالعلم والخبرة والثّقافة الواسعة.

ج- يقول الإبراهيمي مخاطباً الزّاهريّ شيخ الطّرقين إذّاك: "أيّها الشّيخ، إنّ البلاء موكل بالمنطق وإنّ من قال كلّ ما يحبّ، سمع بعض ما يكره، وإنّ من اشتغل بالنّاس، يوشك أن يشغله النّاس عن نفسه." (2)

قال كلّ ما يحبّ ← سمع بعض ما يكره

في هذه الفقرة مقابلة بين ثلاثة معان، فقد قابل الإبراهيمي جملة (قال كلّ ما يحبّ) بجملة (سمع بعض ما يكره)، و يمكن حصر هذه التّنائية في الجدول التّالي:

الجدول رقم (4) يوضح مقابلة في ثلاثة معان:

الشقّ الأوّل	قال
الشقّ الثّاني	سمع
	كلّ
	بعض

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل العلم، البصائر، العدد: 9، وأثار الإمام، ج3، ص: 202.

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى الزّاهريّ، البصائر، العدد: 61. وأثار الإمام، ج3، ص: 563.

ما يحبّ	ما يكره
---------	---------

وهي مقابلة تليق أنّ تكون حكمة تُداول على الألسنة، ففيها تأكيد واستنتاج منطقيّ على أنّ من (قال كلّ ما يحبّ) مثل الزاهريّ، يستلزم تأكيداً منطقيّاً (سمع بعض ما يكره) وهي نتيجة طبيعيّة لكلّ من كثر كلامه، وقلّ أدبه.

#### د- مقابلة فعلية فعلها متعدّد بجملته نهية:

في الرّسالة التي بعث بها محمّد البشير الإبراهيميّ -رحمه الله- إلى الأستاذ عبد الكريم الميمنيّ الهنديّ خاطبه قائلاً: "واذكر في الكتاب هذه الأسماء اللامعة في شعراء العربيّة من غير العرب، اذكر سابقاً البربريّ(\*)، وأبا عطاء السنديّ(\*\*)، وعليّ بن العباس الروميّ(\*\*\*) ومهيارا الديلميّ(\*)، واذكر إبراهيم بن سهل الإشبيليّ(\*\*) لأنّه يهوديّ تعرّب ولا تذكّر السّمؤال بن عاديّا(\*\*\*) لأنّه عربيّ تهوّد." (1)

(\*) سابق بن عبد الله البربري (ت 132هـ / - 749 م): فقيه ومحدث وأحد شعراء الزهد في العهد الأموي أخذ الشعر عنه وتتلّمذ له أبو العتاهية، من أهل خراسان، سكن الرقة، عرف بأبي أمية البربري وقد صحف الزبيدي صاحب تاج العروس اسمه بقوله) سابق بن عبد الله البرقي المعروف بالبربري. أقام سابق في الشام، وكان مهتماً برواية الحديث النبوي الشريف، وقد حدّث فيها، وممن روى عن سابق الإمام الأوزاعي (ت 157هـ). واشتغل في القضاء؛ في الرقة، وإماماً لمسجدها في خلافة عمر بن عبد العزيز واشتهر بالوعظ. (ينظر، سابق بن عبد الله البربري، معجم الشعراء العرب، ص: 1361).

(\*\*) أبو عطاء أفلح بن يسار السندي (ت 180هـ/796م) شاعر فحل قوي البديهة، عربي مُحضرم، تعود أصوله إلى السند، شهد العصر الأموي والعصر العباسي الأول، اشتهر بهجائه لبني هاشم وانتصاره لبني أمية. كان عبداً أسود، من موالى بني أسد، نشأ بالكوفة، وتشيع للأموية وهجا بني هاشم، وشهد حرب بني أمية وبني العباس، فأبلى مع بني أمية. ثم انتقل على إثر الفتوحات الإسلامية إلى بغداد، فتعلم العربية، ونبغ فيها، ثم قال الشعر، وأبدع فيه فائق الإبداع، فلذا عدّه النقاد من فطاحل الشعراء، قال البغدادي: مات عقب أيام المنصور. (ينظر، معجم الشعراء العرب، ص: 399).

(\*\*\*) أبو الحسن بن جريح، (ابن الرومي): من شعراء القرن 3هـ في العصر العباسي. ذو أصل روميّ من جهة الأب، أما والدته ففارسية. وهي نقيّة صالحة، ولد بالعقبة في بغداد (2رجب 221 هـ) // (25-07-836م). أخذ العلم عن محمد بن حبيب، وعكف على نظم الشعر مبكراً، وهو شاعر كبير من طبقة بشار والمنتبي وقد تعرض للكثير من الكوارث والنكبات، حيث احترقت ضيعته، وغصبت داره، وأتى الجراد على زرعه، مات والده، ثم والدته ثم أخوه الأكبر وخالته، ثم زوجته وأولاده الثلاث؛ فجات أشعاره انعكاساً لما مر به.

توفي مسموماً ودفن ببغداد. قال العقاد: "إنّ الوزير أبا الحسين القاسم بن وهب، وزير الإمام المعتضد كان يخاف من هجوه وقلّات لسانه بالفحش، فسد عليه ابن فراس، فأطعمه حلوى مسمومة، وهو في مجلسه، فلما أكلها أحس بالسم، فقال له الوزير: إلي أين تذهب؟ فقال: إليّ الموضوع الذي بعثتني إليه، فقال له: سلم على والدي، فقال له: ما طريقي إلى النار. (ينظر، ابن الرومي، معجم الشعراء العرب، ص: 75).

(\*) مهيار أبو الحسن بن مرزويه الديلمي الفارسي (ت 428 هـ / 1037 م): شاعر كبير في أسلوبه قوة وفي معانيه ابتكار، قال الحر العاملي: جمع مهيار بين فصاحة العرب ومعاني العجم، وقال الزبيدي: (الديلمي) شاعر زمانه فارسي الأصل من أهل بغداد، كان منزله فيها بدير رباح، من الكرخ، وبها وفاته. ويرى (هوار) أنه ولد في الديلم) جنوب جيلان على بحر قزوين (وأنه استخدم في بغداد للترجمة عن الفارسية. وكان مجوسياً وأسلم سنة 494هـ على يد الشريف الرضي. وتشيع وغلا في تشييعه وسب بعض الصحابة في شعره، حتى قال له أبو القاسم ابن برهان: يا مهيار انتقلت من زاوية في النار إلى أخرى فيها. (ينظر، مهيار الديلمي، معجم الشعراء العرب، ص: 2205).

(\*\*) أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيليّ الإشبيلي (605هـ-949هـ) // (1208م - 1251م)، من أسرة ذات أصول يهودية، ولد في إشبيلية. في بلاد الأندلس واختلف إلى مجالس العلم والأدب فيها. انصرف إلى حياة اللهو والمتعة وما يتصل بهما من شعر الغزل والخمر والموشحات، حتى غدا «شاعر إشبيلية ووشاحها». دفعه سوء الأحوال السياسية إلى مغادرة إشبيلية، ثم غادرها إلى سبتة، وفيها قال أولى قصائده المدحية في أبي

الجدول رقم (5) يوضح مقابلة في ثلاثة معان:

الشق الأول	الشق الثاني والثالث
اذكر	يهوديّ تعرّب
لا تذكر	عربيّ تهوّد

حيث قابل في ثلاثيّة متضادّة بثلاثيّة أخرى، فقد قابل فعل الأمر (اذكر) بإزاء فعل المضارع المسبوق باللّام النّاهية ( لا تذكر)، وقابل عبارة (يهوديّ تعرّب) بإزاء (عربيّ تهوّد)، للإبانة عن مكانة إبراهيم بن سهل الإشبيليّ بعد أن تعرّب، من أداء مقنع وشعر راق، وبين السّمؤال العربيّ الذي تهوّد؛ فلم يعد له مقام يذكر إلّا الوفاء، فقيل: "أوفى من السّمؤال".

هـ - مقابلة شبه جملة بشبه جملة أخرى: كما في قول الإبراهيمي: "فهلّا أدنتم في أولها بالأناة والتلبّث، وحدوتم في آخرها بالعجلة واللّحاق حتّى يتلاقى البطاء والسّرّاع على الغاية." (2) وهي مقابلة بين عناصر ثلاث (في أولها بالأناة والتلبّث) مقابل ثلاثة عناصر في الجملة الموالية: (في آخرها بالعجلة واللّحاق).

الجدول (6): مقابلة شبه جملة بشبه جملة أخرى:

العنصر الأوّل	العنصر المقابل
في أولها	في آخرها

عدنان بن حكم صاحب منورقة. اختُلف في إسلام ابن سهل، ومعظم كتب التراجم القريبة من عهده تقول إنه أسلم، وتستدل بقصائد المدح التي نظمها في الرسول، ولكنه ما ثبت إسلامه ولا يدع مجالاً للشك فيه هذه البيتين التي نظمها:

= تسلّيتُ عن موسى بحبِّ محمّدٍ \* \* \* هديتُ ولولا الله ما كنتُ أهتدي  
وما عن قلّي قد كان ذاك وإيّا \* \* \* شريعةً موسى عطلتُ بمحمّدٍ

اتصل ابن سهل بالوزير أبي علي بن خلاص صاحب سبّنة وأصبح كاتبه، ولعل هذا ما يفسر اتصال لقب (الكاتب) به. نال حظوة عند ابن خلاص دفعته إلى إرساله في رحلة مع ابنه أبي القاسم بهدية إلى صاحب تونس، تلك الرحلة التي انتهت بغرقه إثر عاصفة هوجاء. (ينظر، أبو إسحاق بن سهل الإسرائيليّ الإشبيلي، الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) (<https://ar.wikipedia.org>)).

(\*\*\*) السّمؤال بن غريص بن عاديّ بن رفاعة بن الحارث الأزدّي: شاعر جاهلي يهودي عربي، ذو بيان وبلاغة. والسّمؤال اسم معرب عن العبرية (شموئيل)، من شيم: اسم، إيل: الله، أي: (سمّاه الله). كان واحداً من أكثر الشعراء شهرة في وقته. عاش في نهاية القرن 5 وفي النصف الأوّل من القرن 6 م. من سكان خيبر، كان يتنقل بينها وبين حصن له سماه حصن الأبلق في تيماء. توفي في العام 560 م. جعله ابن سلام أوّل طبقة شعراء يهود. هو شاعرٌ وأبوه شاعرٌ وأخوه سعيّة شاعر. اعتنق قومه الديانة اليهودية قبيل انتقالهم إلى خارج اليمن لقبائل ملوك نجران ثم إلى شمال الجزيرة العربية، إلى حصن الأبلق في تيماء. يضرب به المثل في الوفاء، فيقال: أوفى من السّمؤال. (ينظر، السّمؤال، الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) (<https://ar.wikipedia.org>)).

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ عبد العزيز الميمني، آثار الإمام، ج4، ص: 392.

(2) الإبراهيمي: حدثونا عن العدل فإننا نسيناه، البصائر، العدد: 121. وآثار الإمام، ج3، ص: 372.

بالعجلة	بالأنانة
واللحاق	والتلّث

و- مقابلة جملة مصدرية بأخرى: كما في قوله مخاطبا الجزائري: "خطت الأقدار في صحيفتي أن أفتح عيني عليك وأنت موثقة، فهل في غياب الأقدار أن أغمض عيني فيك وأنت مُطْلَقة؟ وكتبت الأقدار علي أن لا أملك من أرضك شبرا، فهل تكتب لي أن أحوز في ثراك قبرا؟"<sup>(1)</sup>

الجدول (7) مقابلة جملة مصدرية بأخرى:

الجملة الثانية	الجملة الأولى
أن أغمض عيني فيك وأنت مطلق	أن أفتح عيني عليك وأنت موثقة

وهي مقابلة أكثر من اثنين بمثله، وقعت بين ثلاث ثنائيات (كما في الجدول) على الترتيب والتوالي في جملتين: الأولى أفادت التعبير عن واقع الحال الخاضع للأقدار، إذ فتح عينيه منذ ميلاده (1889 م) فوجد الجزائر موثقة الكيان بسبب الاستعمار الفرنسي؛ والثانية توحى بالأمل في رؤيتها، وهي حرة مطلقا بتحقيق الحرية والاستقلال. ويمكن حصر هذه الثنائيات في الجدول التالي:

الجدول (8): مقابلة أكثر من اثنين بمثله:

الشق الأول	الشق الثاني
أن أفتح	أن أغمض
عليك	فيك
موثقة	مطلق

### ثالثا: المقابلة في أربعة معان:

1- مقابلة جملة فعلية فعلها مثبت بجملة أخرى فعلها منفي: كقول الإبراهيمي عن غيابه عن الجزائر: "غبت عن الجزائر بجسمي سنة وبعض السنة، ولكنني ما غبت عنها بروحي وفكري دقيقة ولا بعض الدقيقة."<sup>(2)</sup>

(1) الإبراهيمي: تحية غائب كالآيب، آثار الإمام، ج4، ص:183.

(2) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص:183.

الجدول (1): المقابلة في أربعة معان

الشقّ الأوّل	الشقّ الثّاني
غبت	ما غبت
بجسمي	بروحي وفكري
سنة	دقيقة
وبعض السنّة	ولا بعض الدّقيقة

وهي مقابلة بين أكثر من معنيين، متعدّدة الأضداد متناقضة جاء بها الإبراهيمي ليؤكد غيابه عن الجزائر لبعض الوقت خدمة لها، ولكنّه غياب بالجسم فحسب؛ وفي الشقّ الثّاني نفي مطلق عن استحالة غيابه بروحه وفكره ولو لدقيقة أو دون ذلك. وهو نوع من المقابلة ليس في تناول الجميع، بل هو من اختصاص الكمّل من المبدعين وأهل اللّغة والبيان.

أخيراً، وبعد هذه الجولة يمكننا أن نقنع أنّ الإبراهيمي ليس في قاموسه السّعي إلى توظيف الطّباق والمقابلة في رسائله المختلفة إلى مجرد التّكلف، وتحقيق الزّخرفة اللفظيّة، واستعراض العضلات في التّتميق والبهرجة الأسلوبية، بل كان هدفه توضيح أفكاره، وطرح معانيه العميقة التي آمن بها، بما كان يتمتّع به من زاد علمي زاخر، ومعجم لغوي راق، و خيال واسع، وحفظ كثير وثقافة دينية وسياسية وعلاقات كبيرة.

### 3- الموازنة في رسائل الشيخ الإبراهيمي:

الموازنة: هي أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التّفنية<sup>(1)</sup>. كقوله تعالى: ﴿وَمَارِقٌ مَّصْفُوفَةٌ \* وَرَزَائِيٌّ مَّبْثُوثَةٌ﴾<sup>(2)</sup>

وقد عرفها ابن الأثير والعلوي بالقول: "تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن."<sup>(3)</sup>

وتعدّ الموازنة من المحسنات اللفظية التي استخدمت في تنميق الرّسائل، وتحسينها فهي من الألوان البديعية التي تعطي الرّسالة جرساً موسيقياً جميلاً وحلاوة وطلاوة تشدّ انتباه المتلقّي وتبعده عن الملل؛ لما للموازنة من أثر واضح في الكلام، فتجعله رشيقاً جميلاً وتعطيه رونقاً وطلاوة تجذب انتباه السّامع وتترك أثراً في نفسه. فهي تساوي الفاصلتين في الوزن.<sup>(4)</sup>

(1) أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ص: 305.

(2) سورة الغاشية، الأيتان: 15 - 16.

(3) ابن الأثير: المثل السائر، ص: 1 / 272. وأيضاً العلوي يحيى بن حمزة: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ص: 38/3.

(4) أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 405.

وقد استخدمها الكُتّاب في نثرهم لما لها من إيقاع موسيقيّ جميل على رسائلهم. فالموازنة تعطي نغماً موسيقيّاً جميلاً، وإيقاعياً مؤثراً على الرّسالة تطرب السّامع، وتجذب انتباهه وإدراكه كما تدلّ على قدرة المبدع على اختيار الألفاظ اللّاتقة والمفردات المناسبة لتحقيق الانسجام، وإبراز وجوه الجمال، وعضوية الخطاب، وقوّة التّأثير في المخاطبين.

اهتمّ الإبراهيميّ بتوظيف الموازنة في رسائله بشكل يكاد يكون في كلّ نصوصه، وقد حاولنا اختيار بعضها إلى جانب دراسة السّجع في مبحث مستقلّ نظراً للرّابط الدّقيق بين المحسنين. فلولا أنّ السّجّع يُشترطُ فيه الاتّفاقُ في الحرف الأخير من سجعته لكانت الموازنة قسماً منه؛ لذلك يقال: «كلّ سجع موازنة، وليس كلّ موازنة سجعاً، وعلى هذا فالسّجع أخصّ من الموازنة.»<sup>(1)</sup> وسنلقي الضّوء على بعض مواضع الموازنة من خلال بعض رسائل الإبراهيميّ فيما يلي:

**1-** يقول العلّامة الإبراهيميّ مخاطباً صديقه الأستاذ عبد العزيز الميمنيّ: "والشّعراء بطبيعة الشّعير فيهم يؤثرون المبالغة والتّسامي في مقامات الفخر، لا التّنزّل والإسفاف، فكيف نرضى لسُحيم وهو من هو في البلاغة وعلوّ الهمة أن يحبس قصده وغرضه عند هذا المعنى القاصر المنحطّ، وأين الفضة من الذهب؟ وأين هما من حُمّ النّعْم؟"

**2-** ويقول فيها ايضاً: "وأين هما من النّجائب والجنائب؟"

**3-** إنكم يا سيّدي الفاضل بتصميمكم على كسر الرّاء وضعتم صاحبكم سحيماً (\*\*\*)-

الذي خدمتموه بطبع ديوانه - في منزلة من سقوط الهمة لا يُحسد عليها.<sup>(2)</sup>

فقد وزن الإبراهيميّ بين كلمتيّ ( الذهب و النّعْم )، وكتلّهما وردتا على وزن (فعل)، واختلّفتا في التّفقية بين (الباء) و (الميم).

**4-** وفي رسالته إلى الأستاذ عبد العزيز الميمنيّ أيضاً كتب يقول: "ويؤيّد ما حملنا عليه كلام

صاحبنا سحيم - وهو الأوّلى، بل المتعيّن - أنّ العرب ما كانت تعدّ الفضة - بل ولا

(1) ابن الأثير: المثل السائر، ص: 111.

(\*) في (معجم المعاني الجامع): النّعْم: المال السائم؛ غم وماعز وحمير وبقر وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل.

حُمّ النّعْم: هي كرائم الإبل يضرب بها المثل في الرغائب والنّفائس، الجمال الحمر.

(\*\*) جاء في المعجم الوسيط: النّجائب: نجبية: مؤنث النّجيب، الجمع: نجائب. جائبُ الإبل: خيارها. ونجائبُ الأشياء: لأبائها وخالصها.

الجنائب: جنبية. الجمع: جنائب. الجنبية: الدابة تُقاد. - الجنبية: النّاقة يعطيها الرجلُ غيره ليمتار له عليها الجنبية أطاعت جنبيته: انقاد

الجنبية: العُدلُ إلى جنبِ البعير ونحوه وهما جنبيتان والجمع: جنائب - الجنائب: فلان تُقاد بين يديه إذا كان عظيماً.

(\*\*\*) سُحيم بن وثيل بن عمرو الرياحي البريوعي الحنظلي التميمي: شاعر مخضرم ولد قبل الهجرة بأربعين سنة 583م، عاش في الجاهلية والإسلام، وناهز عمره المائة، كان شريفاً في قومه، نابه الذكر. له أخبار مع زياد بن أبيه ومفاخرة مع غالب بن صعصعة والد الفرزدق. قال ابن دريد: عاش أربعين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام. توفي سنة (60هـ - 680م). (ينظر، سحيم الرياحي، موقع "عريق" <https://areq.net>).

(2) الإبراهيمي: إلى الأستاذ عبد العزيز الميمني، آثار الإمام، ج4، ص: 386.

الذهب - مالا يزين صاحبه، ولا متاعاً مما يفتخر به جامعه، وإنما يعدونها قِيماً للأشياء (...). وإنما المال عندهم الثاغية والراغية<sup>(1)</sup>، وضربهم المثل بحُمر النعم معروف وإضافتهم ربيعة إلى الفرس مشهور، ووصفهم مضر بالحمراء معلوم.<sup>(2)</sup>

ففي هذه الفقرة وزن الإبراهيمي مرتين: الأولى بين فاصلتي (صاحبه/ جامعه)، حيث جاءتا متفتنتين على وزن واحد هو (اسم الفاعل)، واختلفتا في التفتية بين (الباء والعين). أما (الهاء) فليست أصلية في الكلمتين، وإنما لتحقيق الإضافة فحسب. والثانية تعددت فواصلها ثلاث مرات مابين (معروف، مشهور ومعلوم)، حيث اتفقت جميعها على وزن واحد هو (اسم المفعول) واختلفت في التفتية مابين (الفاء والراء والميم) على الترتيب.

4- وفي رسالة أخرى يخاطب الإبراهيمي النواب الجزائريين في البرلمان الذي أشرف عليه الاستعمار الفرنسي يقول: "... وإنما أنتم أعضاء تألف منها هيكل غير متجانس الأجزاء لا يجمع بينها إلا معنى بعيد، وعامل غريب، ومصالحة ليس لكم ولا للأمة منها شيء."<sup>(3)</sup>

فيه موازنة بين الفاصلتين (بعيد و غريب)، المنفتتين في الوزن (فعليل)، والمختلفتين في التفتية بين (الذال والباء).

5- وفيها أيضاً: "إن من لم يكن منكم عالماً، لن يخطئه أن يكون عاقلاً؛ ومهما بلغت من المكانة عند أنفسكم، أو بلغ بكم الحظ عند غيركم، فلن تستغنوا عن وعظ واعظ، ونصيحة ناصح؛ ولو شئنا أن نلقنكم درساً مختصراً في معنى الشرف والرجولة لقلنا لكم: إنه لا شرف في الوصول إلى ما وصلتكم إليه بمثل الوسائل التي وصلتكم بها، ولا رجولة لمن يرقص على الأشلاء والدماء والسجن والتعريم."<sup>(4)</sup>

ففي هذه الفقرة وزن الإبراهيمي بين الفاصلتين (واعظ/ ناصح)، وقد جاءتا على وزن (اسم الفاعل)، ومختلفتين في التفتية بين (الطاء والحاء)، وكلتاها تقتربان في المعنى، من دعوة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

6- وفيها أيضاً نقراً: "ثم إن لكل زمن موازينه للأشياء واعتباراته إياها، وموازن الأزمدة هي قوانين التطور، ولا تغلت منها الطبقات العليا في المجتمعات البشرية كالثعراء والعلماء والملوك، ولا معنى للتطور إلا اختلاف الاعتبارات، حتى يصبح القبيح حسناً، والحسن قبيحاً؛ ولهذا نرى أن معروف البداوة

(1) جاء في لسان العرب (مادة ثغا) الثاغية: الشاة. وما له ثاغ ولا راع ولا تاغية ولا راغية؛ الثاغية: الشاة. والراغية: الناقة. أي ما له شاة ولا بعير.

وتقول: سمعت ثاغية الشاة أي ثغاءها، اسم على فاعلة، وكذلك سمعت راغية الإبل وصواهل الخيل.

(2) الإبراهيمي: إلى الأستاذ عبد العزيز الميمني، المرجع السابق، ص: 389.

(3) الإبراهيمي: كتاب مفتوح إلى الأعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري، البصائر، العدد: 33. و آثار الإمام، ج3، ص: 185.

(4) الإبراهيمي: المرجع نفسه، ص: 186-187.

مُنْكَرَ فِي الْحَضَارَةِ، وَحَسَنَ الْحَضَارَةَ قَبِيحٌ فِي الْبِدَاوَةِ، وَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ بَابِ الْقَبْحِ وَالْحَسَنِ وَالْعِرْفَانِ وَالنَّكَرِ، إِلَى بَابِ السَّمَاتِ وَالْأَلْوَانِ، نَجِدُ الْقِيَاسَ مُطْرَدًا." (1)

فالموازنة قائمة بين الفاصلتين (الحضارة / البداوة)، متفتتتين في الوزن ومختلفتين في التقفية بين (الراء والواو)، والتاء مجرد علامة للتأنيث.

7- ويقول الإبراهيمي أيضا: "ولله هذه اللغة الشريفة التي بلغ من ديموقراطيتها أن تسعى هرولة إلى كل من يسعى إليها حبواً، والتي أضفت ظلها وأفاضت نهلها وعلها حتى على الإماء والعبيد، وأكلت الكبات والهبيد (\*)، ثم تبنت القرائح والألسنة من جميع الأجناس، وأذكر في الكتاب هذه الأسماء اللامعة في شعراء العربية من غير العرب؛ أذكر سابقاً البربري، وأبا عطاء السندي، وعلي بن العباس الرومي ومهياراً الديلمي، وأذكر إبراهيم بن سهل الإشبيلي؛ لأنه يهودي تعرب، ولا تذكر السموأل بن عادي؛ لأنه عربي تهود." (2)

فقد وازن الإبراهيمي في هذه الفقرة ما بين (تعرب / تهود) على وزن واحد (تفعل) وقافية مختلفة هي (الباء والدال). ولعلّ الفعل تعرب لا يقابل تهود، إذ أنّ هذا الأخير يعني دخل الديانة اليهودية، أما تعرب فتعني الجنسية، بمعنى صار عربياً، وهي هنا تعني أسلم، أي: دخل الإسلام.

7- أما في رسالته إلى أعضاء المؤتمر الإسلامي نجد موازنة في قوله: "إن علماء الدين أئمة، فإذا لم يخدموا الأمم الإسلامية في جميع الميادين النافعة، ولم يقودوها بقوة في المقاصد الصالحة، ولم يصرفوها في نواحي الخير والمصلحة، ولم يوجهوها إلى شرف الحياتين وسعادة الدارين، وإذا لم تتوجه الأمة إلى حيث وجهوها، ولم تستقبل الوجهة التي استقبلوها، فلا معنى لهذه الإمامة." (3)

انطوت هذه الفقرة على موازنة في الفاصلتين (النافعة والصالحة)، على وزن اسم الفاعل المؤنث مع اختلاف في التقفية، حيث انتهت الفاصلة الأولى بالعين والثانية بالصاد.

8- وفيها كذلك موازنة في قوله: "وقد أصبحت الأمم التي جافت الدين وصدت عنه تلتمس شعاعه تهتدي به في ظلمات الحياة، وأسبابه لتعصم به من هذه السيول الجارفة من الآراء والأحداث، فكيف بأمة لم تنقطع بينها وبين دينها الأسباب." (4)

(1) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ عبد العزيز الميمني، آثار الإمام، ج4، ص: 390.

(\*) جاء في (لسان العرب): كبات: نضيج من ثمر الأراك، حبه فويق حب الكزبرة في القدر. كبات أشقر: من الشجيرات الشائكة المتعددة في غرب أمريكا ذات أوراق ثلاثية وأزهار عطرية مائلة للون الأحمر.

- الهبئ والهبيد: الحنظل وقيل حبه، واحده هبيدة، ومنه قول بعض الأعراب: فخرجت لا ألتفع بوسيدة ولا ألقوت بهبيدة. وقال أبو الهيثم هبيد الحنظل شحمه. (ينظر ابن منظور، ج3، ص: 431).

(2) الإبراهيمي: رسالة إلى الأستاذ عبد العزيز الميمني، المرجع نفسه، ص: 392.

(3) الإبراهيمي: إلى أعضاء المؤتمر الإسلامي 2، آثار الإمام، ج2، ص: 308.

(4) الإبراهيمي: إلى أعضاء المؤتمر الإسلامي 2، المرجع السابق، ص: 308.

فالموازنة قائمة بين الفاصلتين في شكل مصدرين هما (الأحداث / الأسباب)، جاءتا متفقتين في الوزن ومختلفتين في التّفقية بين (الثاء والباء).

**ختاما:** يتبين مما سبق أنّ الموازنة في بعض فقرات رسائل الإبراهيمي لم تكن متكلّفة، ولا مصطنعة، بل جاءت عفوية سهلة، بسيطة، و واضحة، مؤافقة للطّبع، ومناسبة للذّوق ومساهمة في إبراز المعنى بصورة جميلة ومؤثّرة، وأنّ الإبراهيمي قد أجاد في توظيفه بما يخدم النّص وبما يدلّل على قدرته و براعته في تطويع اللّغة العربيّة ومفرداتها لخلق جرس موسيقيّ متنوع، و إعطاء سمة إيقاعيّة للنّص.

### ثالثا/ سحر البيان وفراة أسلوب الشيخ الإبراهيمي:

#### 1- الشيخ الإبراهيمي أمير البيان العربيّ الحديث:

يبدو أنّ المظهر المتواضع الذي كان يطبع شخصيّة العلامة محمّد البشير الإبراهيمي الجزائريّ في وقت كان الاستعمار الفرنسيّ يسيطر على كافة الرّبوع، يحارب اللّغة العربيّة، بغلق المدارس والكتاتيب وهدم أخرى، ووضع المعلمين والمشايخ تحت الرّقابة المستمرة، وسجن آخرين ومحاصرة العلماء، وفرض سياج بينهم وبين تلاميذهم ومريديهم... كلّ ذلك جعل المشرق العربيّ يكون في الواجهة، فتطوّرت عندهم الكتابة والتّأليف، وبرز عندهم العلماء والمفكّرون والأدباء والمبدعون والفنّانون والمسرحيون...

أمّا نخبتنا فلم يكن يسمع لها صوت، خاصّة، وقد ساد الاعتقاد آنذاك أنّ الجزائريّين تفرنسوا، وأنّ اللّغة الفرنسيّة أصبحت هي اللّسان الرّسميّ لهم. لكنّ الذي لم يستوعبه إخواننا العرب وبخاصّة المشاركة منهم أنّ الذي حفظ القرآن الكريم من التّحريف، ومعه لغته العربيّة من التّزييف قيّض لهذا الشعب رجالا أكفّاء، كانوا يعلمون الأجيال في صمت، ومن وراء جُدر، وبكيفيات مختلفة، وفي أماكن متعدّدة، وبطرائق متنوّعة، لم يكن لفرنسا أن تكتشفها، فحفظ الجيلُ كلام الله، والأحاديث النّبويّة الشريفة، والمتون والتّقاسير والقواعد، والبلاغة، والشّعر، والحكم والأمثال.. بل وألّفوا في هذه العلوم والفنون، وما تزال مصنّفاتهم شاهدة على ذلك.

وقد كان الإبراهيميّ واحدا من هؤلاء الشّباب الذين تربّوا، وتعلّموا في صمت بعيدا عن الأضواء كأنّ الأقدار تهيتّه لمستقبل كبير، وكأنّ شعار من عكف على تنشّته " اذفنُ وُجودك في أرضِ الحُمولِ فما نبتَ ممّا لم يُدفنْ لا يَبمّ نتاجُهُ." (1)

ونضجت مواهب الفتى، ولم يكن قد بلغ من العمر العشرين؛ حتّى بدأت تتخمر في ذهنه بمعيّة صاحبه العلامة عبد الحميد بن باديس - وهما في المدينة المنورة- فكرة تأسيس جمعيّة سمّاها "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين" في عام 1913م، والتي شهدت النّور رسميا في 26 ماي 1931م.

(1) ابن عطاء الله السكندري: الحكمة العطائيّة، الحكمة 11، شرح: العارف بالله الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد الشهير بزروق، تحقيق: رمضان محمد ابن عليّ البديري، دار الكتب العلميّة، لبنان، 2010 م.

وعلى الرغم من ذلك لم يحظَ الشيخ العلامة الموسوعي بما يستحقّه من عرفان واحترام وسمعة بين العلماء والمفكرين والأدباء، إلى أن حدث ما لم يكن في الحسبان. فقد أدهش الحاضرين بخطاب مرتجل في مؤتمر بمصر، فنزع رئيس المؤتمر منصور فهمي حذاءه وقال هذه المنصّة أصبحت من الآن مقدّسة، وأنا أبايعه على إمارة البيان فمن يبايع؟ فرغ نجيب الكيلاني يده وقال: أنا أول من يبايع؛ فبايعه كلّ من في القاعة.

وقد قال فيه الفيلسوف المرحوم الأستاذ منصور فهمي حينما استمع إلى محاضراته: "إنّ هذا المنبر الذي يقف فيه الشيخ ساحة مقدّسة، ينبغي أن يدخلها النَّاس كما يدخلون الحرم، وقال: إنّه لم يسمع ولم ير - في حياته - من هو أفصح أو أبلغ من الشيخ الإبراهيمي، ودعا جميع العلماء والأدباء في الوطن العربي إلى أن يلقوا إليه مقاليد اللّغة والبيان، ثم خاطب الشيخ قائلاً: "أنت ملك العربية لهذا العصر ملكت ناصيتها ونواصينا"، وبعد ذلك أعلن الأستاذ كامل الكيلاني المبايعه.<sup>(1)</sup>

ومهما يكن من تأثر الإبراهيمي بالمدرستين المذكورتين آنفاً - وهو أمر طبيعيّ - إلا أنّ ذلك لا يعني أنّه كان صورة طبق الأصل لأربابهما، بل، لقد شقّ طريقه بمفرده في صناعة أساليبه واختيار جُمّله وعباراته، وابتكار لغته، حريصاً على ظهور بصماته في كلّ نتاجه، حتّى أيكاد يكون الجزم في تفوّقه أحياناً كثيرة على أولئك الذين احتقروا صاحب "العُرْجَة"، لما اتّسم به من إظهار لغة راقية، وتعابير صافية، فيها ملامح الشّخصيّة الجزائريّة بامتياز.

ظلّ الإبراهيمي - رحمه الله - حريصاً جدّاً على أناقة أسلوبه، وجمال لغته، واختيار ألفاظه وانتقاء معانيه، لتتناسق مع الفكرة التي يعبر عنها، دونما تكلف كما يفهمه البعض، بالرّغم من تصنّع المحسنات البديعيّة أحياناً، وهي ليست عيباً البتّة، كما كان الاعتقاد سائداً في فترات معيّنة، أو كما أراد بعض النّقاد إقناعنا بأنّها (المحسنات البديعيّة) من مظاهر عصر الضّعف والانحطاط، يلجأ إليها الكتاب والشّعراء للتّغطية على مستواهم المنحطّ، متكلّفين إيّاهما لتحسين أساليبهم الرّكيكة، وتنميق لغتهم، وتحسين تعابيرهم. وهي عندهم نوع من العناية اللفظيّة، والجور على المعنى، وضرب من تغليب الشّكل على الموضوع. والواقع أنّ المحسنات البديعيّة ليست دائماً تأتي على هذا النّحو السّلبّيّ ف: "إنّه ما من شكّ في أنّ هذه الأشياء كانت إصباغاً، ولكنّها لم تكن دائماً على وجه دميم.. ولم تكن دائماً إصباغاً عند جميع الكتاب، وإنّما كانت كذلك عند الأدباء الذين فقدوا ألقَ الفكر (...). إنّ هذه المحسنات أدوات، والأداة ليست شيئاً... وإنّما اليد التي تستعمل هذه الأداة هي المسؤولّة عمّا تعمل بها...

(1) الإبراهيمي: آثار الإمام الإبراهيمي، ج2، ص: 8.

إنّ المحسنات البديعية لون من التطور الذي أصاب الأدب العربي في عصور ازدهاره... ولكن هذه الثمرة جفت مع الزمن... وفقدت رواءها وألقها؛ فجزّنا ذلك إلى الحكم على كل ممارسات هذا التطور بالعقم، وحملنا على أحكام ظالمة في حقّ بعض الكتاب والأدباء، وفي تقييم بعض الآثار الأدبية وليس ذلك من العدل في شيء...<sup>(1)</sup>

فالسجع والجناس والطباق والمقابلة... ليست سوى صور لفظية يلتقطها الكاتب ليشكّل بها التعبير الجميل المعبر عن الفكرة. وهذه الصور ستسيء المنظر إذا وقعت بين أيدي كاتب ضعيف يريد أن يركب سهوة الجواد الذي لا يستطيع أن يتحكّم في زمامه، كما أمكن ذلك للإبراهيمي.

## 2- الشيخ الإبراهيمي وفرادة الأسلوب:

يبدو أنّ الرّصيد اللّغويّ الذي يتمتّع به العلامة الإبراهيمي من خلال الأسباب التي ذكرناها آنفا جعلت أسلوبه مميّزا، ومتميّزا في معانيه، في مجالات النثر المختلفة (الرسالة، المقالة، الخطابة...) حتّى إنّ القارئ المهتمّ بنتاجه الفنيّ يُميّز للوهلة الأولى أسلوبه عن غيره دونما عناء.

ولا يختلف اثنان في أنّ الأسلوب الذي يكتب به أعماله ينتمي إلى المدرسة المحافظة بامتياز كيف لا، وهو ابن المدرسة القديمة التي تأثّر بها، وقرأ لها، وحفظ من رصيدها كثيرا منذ كان صغيرا، نثرا وشعرا، بل إنّ تكوينه الدينيّ، وهو في عقده الأول أهله للتأثّر بهذه المدرسة مسخرا أدواتها في كتاباته المتعدّدة وإبداعاته الكثيرة، لكن بطريقته الخاصّة، وببصمته الواضحة، وتعاييره المميّزة، حيث "يتبين لنا أنّ المدرسة الإبراهيمية كانت ذات أسلوب أنيق رشيق معا. أسلوب إذا تأمل الباحث ألفاظه، ألفاها جزلة قويّة، فيها فحولة الفحول، وأصالتهم وبيانهم، قد انتظمت في جمل متناسقة متجانسة متألّفة كأنّها عقود ذات شكل واحد، أو باقات من الزهور ذات لون واحد، وهيئة واحدة."<sup>(2)</sup>

ويكاد يجمع المهتمّون بتراث الإبراهيميّ وأسلوبه، على أنّه يحاكي الأقدمين من الأدباء كأبي عثمان الجاحظ، وابن المقفّع والمنفلوطيّ وعبد الحميد الكاتب... وأنّ أسلوبه في عموم كتاباته يمكن حصر خصائصها في النقاط التّالية:

1 - الأناقة في الأسلوب.

2 - اصطناع المحسنات اللفظية.

3 - اللّهجة الخطابية.

(1) عبد الملك بومنجل: النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، ص: 107، ونقلها شكري فيصل في مقاله: قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي، مجلّة الثقافة، العدد: 87، 1985، ص: 193-195.

(2) عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954)، ص: 337.

## 4 - السخرية.

وليس غريبا أن يكون أسلوب الإبراهيمي على شيء من الرصانة والجزالة والقوة والغرابة، إذ التلميذ مولع دائما بأستاذه، ومذهب مدرسته التي ترعرع فيها، وترى على يدها، وأخذ عنها مختلف العلوم بطريقة هي أقرب إلى المدرسة القديمة الكلاسيكية. فأساتذة الإبراهيمي الفحول كلهم ينحدرون من صلبها، فشعراء الجاهلية، وشعراء صدر الإسلام، وشعراء الدولة الأموية والعباسية، وكتّابها وأرباب الأدب الذين قرأ لهم كل هؤلاء يشكلون الاتجاه المذهبي الذي يعدّ أديبنا من أنصاره ويخضع كل كتاباته وفقه، ولا يمكنه البتة أن ينحاز إلى مدرسة غيرها، ولا يمكن لأسلوبه أن يكون خارجا عن أطرها ونهجها وبلاغتها" فإذا رأيت أسلوب الإبراهيمي قويا جزلا، ومتينا رصينا، فبما حفظه للشنفرى وامرئ القيس، ولمن جاء بعدهما من فحول الشعراء عبر العصور الأدبية المختلفة، وإذا رأيت ينجح أحيانا إلى السجع، فلا تحسبن ذلك منه تكلفا وتصنعا، وإنما هو أمر طبيعي بالقياس إلى أديب ينبغي أن يكون قد حفظ أطرافا صالحة من نهج البلاغة ومتون المقامات وأحاديث الأعراب.<sup>(1)</sup>

لقد ظلّ الإبراهيمي يضاهاى القدامى في كتاباته، موظفا الألفاظ الجزلة القويّة والأساليب المتينة مستخدما الكلمات الصعبة، منتقيا إيّاها بلباقة، جانحا للكتابة بالعبارات الغريبة، المستعصية على الفهم أحيانا، مبالغا في صناعة المحسنات اللفظية، متعمدا خلق السجع بنوعيه ليس على طريقة القدامى فحسب، بل راح يقلّد سجع القرآن الكريم (الفواصل)<sup>(2)</sup> غير مبال بالمستوى التعليمي المتواضع الذي كان يتمتع به القراء يومذاك، غير مهتمّ بما قد يجدونه من حرج في عدم فهم معانيها، فقد كان - رحمه الله - يسعى إلى التهوؤ بهمهمهم إلى اللغة العربية الرّاقية، حفاظا عليها، وإحياء لمعانيها، التي غابت طويلا بسبب ما كان يعانیه أفراد الشعب الجزائري من سياسة التّجهيل المقتّنة التي خطّط لها الاستعمار، بل قلّ معظم أفراد الشعوب العربية بنسب متفاوتة، وقد قالها الإبراهيمي مُسلّمة لا شية فيها: "وفي هذه الفصول من لبوس الألفاظ ما يعدّه المتخلفون من كتّابنا غريبا، وما غرابته في أدواقهم، إلا كغرابة الأعلاق النفسية في أسواقهم. ولو حفظوه ووعوا معانيه، وأقروه في مواضعه من كلامهم، وأحسنوا إجراءه في ألسنتهم وأقلامهم، لأحيوه فحيوا به، ولأصبح مانوسا لا غريبا، وأصبحوا به من لغتهم قريبا. ولكن

(1) عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (دط)، 1983، ص: 127.

(2) ينظر، الإبراهيمي: سجع الكهان، البصائر، العدد: 69، بتاريخ: 28 فبراير 1949. آثار الإمام، ج3، ص: 518.

أعيانهم الإحسان فعفروا في وجوه الحسان. وعجزوا في جني الثمرة عن الهصر<sup>(\*)</sup>، فرضوا من اللّغة بما يباع في سوق العصر.<sup>(1)</sup>

فالإبراهيمي على الرّغم من الظّروف التي كان النّاس يعانون منها، وهو - يقينا - كان على علم بها، إلّا أنّه لا يريد منهم، وخاصّة فئة الشّباب أن يركنوا إلى الدّعة والخمول، والبكاء على الأوضاع المزرية، وقلة الوسائل والإمكانات، إنّما كان دأبه وديدنه أن ينهضوا، ويشمروا عن ساق الجدّ، وأن تكون همهم أكبر ممّا أراد لها الأعداء، وأن يكون طموحهم فوق الثّريا، فاللّغة العربيّة ملك للجميع وهي إرث عربيّ وإنسانيّ ينبغي الحفاظ عليه بمعلومه وبسيطه، و بصعبه وغريبه.

بل إنّ القارئ لنتاج الإبراهيمي، واللّغة الرّاقية التي كان يكتب بها، والأسلوب الجميل الذي ينتهجه في كتاباته، والألفاظ الغريبة التي يختارها للتعبير عن فكرة ما؛ ليشتّم منها رائحة التّحدّي للمشاركة خصوصا، لما أظهره من نظرة للجزائريين محتقّرة، على أنّهم لا لغة عندهم، وأنّهم جهلاء بالعربيّة، وأنّ اللّسان الفرنسيّ أصبح هو التّرجمان لحوائجهم واتّصالاتهم، وهو اعتقادهم آنذاك. فهذا أحمد شوقي، نحا هذا المنحى، عندما زار الجزائر عائدا من فرنسا سنة 1904 " فقد زعموا أنّه أمير الشعراء العرب المحدثين، فهو بهذا يمثل الطبقة الرّفيعة من مثقفي العربيّة من حيث يشعر أو من حيث لا يشعر. كان قد زعم حين مكث بوطننا أربعين يوما، طلبا للاستجمام، بأنّ الجزائر " لا عيب فيها سوى أنّها قد مُسخت مسخا، فقد عهدت مساح الأُحذية فيها يستنكف النّطق بالعربيّة، وإذا خاطبته بها لا يجيبك إلّا بالفرنسيّة."<sup>(2)</sup>

وجاء الردّ بعد مدّة طويلة من الشّيخين ابن باديس والإبراهيمي على هذا الافتراء المزعوم من أحمد شوقي بردّ الأوّل صراحة في إحدى خطبه، بعد وفاة شوقي، حيث أقامت له جمعيّة المسلمين الجزائريين سنة (1934م) في نادي التّرقّي حفلَ تآبين، ألقى خلاله الإمام عبد الحميد بن باديس كلمة جاء فيها " فأعجب لمن يستدلّ على حال أمة بكاملها بمسّاح الأُحذية فيها، فلو رأى شوقي حفلنا هذا من عالم الغيب لكان له في الجزائر رأي آخر!" وكان ردّ الثّاني ميدانياً بالدليل القاطع بواسطة المقالات والخطب والرسائل التي بهرت المشاركة والمغاربة على حدّ سواء.

ومهما يكن فإنّ أسلوب الإبراهيمي لا يفتأ يخرج عن الأسلوب التّقليديّ القديم ببصمة جزائريّة وقضايا معاصرة، ولكمّ يكون العجب أكبر عندما يلقي البعض باللّائمة على رجل تربّى على أعين الثّراث

(\*) الهَصْرُ: الكسرُ. وقد هَصَرَ وَهَنْصَرَهُ، بمعنى. وَهَصَرْتُ العَصْنَ وبالعصنِ، إذا أخذت برأسه فأملّته إليك. قال امرؤ القيس: فلما تنازعنا الحديث وأسمحتُ هَصَرْتُ بغصنِ ذي شمرايخٍ ميّالٍ والهَيْصَرُ: الأسدُ؛ وهو الهِصُورُ، والهَصَاؤُ، والهَيْصَرُ. (ينظر، الصحاح في اللّغة، مادة " ه ص ر ).

(1) الإبراهيمي: سجع الكهان، المرجع السّابق، ج3، ص: 518.

(2) عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص139/ نقلا عن الشهاب ج 4، المجلد10، مارس 1934، ص146.

ونهل منه، واغترف من جواهره، وحفظ الكثير منه، كيف يمكنه أن يتمرد على طريقة القدامى في الكتابة والتأليف، وأن يكون أسلوبه حديثاً بعيداً عن الصنعة، والأناقة في الأداء والتعبير الرصين، والجنوح إلى الغريب من الألفاظ! يقول الناقد عبد الملك مرتاض: "بيد أن أسلوب الإبراهيمي في كل ذلك كان أسلوباً أدبياً "كلاسيكياً" متيناً، ولو بحثنا عن العلة لتبين لنا أن الرجل كان من أحفظ أهل زمانه، فأتيح لذاكرته أن تختزن ما شاء الله لها أن تختزن من جيد المحفوظ: شعره ونثره، وقرآنه وحديثه،... فما كان الكاتب إلا رجلاً من الناس يتأثر بما يقرأ ويحفظ، ثم يستلهم بعد ذلك ما قرأ وحفظ قبل مرحلة الكتابة وأثناءها معاً... وبقدر ما يكون محفوظ الكاتب أجود أصلاً، يكون إنتاجه أرقى وأقوى... فليس الإبراهيمي إذن بدعا من الكتاب حين كان "كلاسيكياً" في أسلوبه، طالما كان قد أتى حفظاً على كثير من الدواوين الشعرية، والمجموعات الأدبية من حُطَب ومقامات وأشعار." (1)

يبقى أن نعرف أن ما ألزم العلامة الإبراهيمي نفسه من الصرامة في الأسلوب، واختيار الألفاظ القوية المعبرة والدالة، والجنوح إلى الغرابة أحياناً، وإحياء قاموس اللغة العربية الذي كاد أن يندثر بفعل الاستعمار، وانتشار الأمية بشكل رهيب، وغلبة الفرونكوفونية على السنة الجزائريين والمغاربة بنسب متفاوتة، فقد ألزم به تلاميذه والقراء والمنتسبين إلى جمعية العلماء المسلمين، مهما كانت مستوياتهم ممن ظنوا الوصول والإبحار في علوم الدين والأدب والتحكّم في زمام اللغة وناصيتها، إلا أن نتاجهم الفني لم يكن يحظى بالقبول لدى الإبراهيمي، وكان يرفض نشره في صحف الجمعية، وبخاصة في "البصائر" التي اختار لها من الافتتاحية الأولى التفوق والتألق، ونهج المستوى العالي الذي يليق بخط الجمعية والأدب الرأقي، لذلك "لم يكن الإبراهيمي متساهلاً مع كتاب البصائر، فقد كان يغريهم بالتجويد في الأسلوب ويزجي بهم أن يرتفعوا إلى المستوى العالي من فنّ القول. ويستطيع الباحث في الصحافة العربية المعاصرة في الجزائر، أن يعتبر البصائر أرقى صحيفة عربية ظهرت في وطننا حتى الآن من حيث الأناقة اللفظية والروعة الأدبية. أقول هذا وإن كنت لا أعدم من يختلف معي فيه. وهذه البصائر نفسها تتحدث لنا عن أسلوبها، فلنصغ نحن، ولتقل هي:

للـبصائر طرفان: أعلى، وهو معرض العربية الراقية في الألفاظ والمعاني، والأساليب، وهو السوق الذي تجلب إليه كرائم اللغة من مانوس صيره الاستعمال فصيحاً، وغريب يصيره الاستعمال مانوساً. وهو مجلى الفصاحة والبلاغة في نمطها العالي، وهو أيضاً النموذج الذي لو احتذاه الناشئون من

(1) عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص: 125.

أبنائنا الكتاب لفحلت أساليبهم، واستحكمت ملكاتهم، مع إتقان القواعد، ووفرة المحفوظ. ولهذا الطرف رجاله المعدودون، وهو نمط إعجاب أدباء الشرق بهذه الجريدة.

وطرف أدنى، وهو ما ينحط عن تلك المنزلة، ولا يصل إلى درجة إسفاف، وبين الطرفين أوساط ورتب، تلو وتنزل، وهي مضطرب واسع يتقلب فيه كتابنا، من سابق إلى الغاية، مستشرف لبلوغها ومقصر عن ذلك.<sup>(1)</sup>

وإذا كان هذا اختيار الإبراهيمي في أسلوبه، فإن ذلك لم يكن ليعكس ضعفا يريد أن يغطيه، أو انحطاطا أصابه يريد أن يجمّله، أو تكلفا تعمّده ليظهر نفسه مالكا ناصية اللّغة والبيان، وهو يدور في فلك الفكرة الواحدة، أو ينقل معنى عميقا للنّاس، خاصّة، والإبراهيمي قد كلّف نفسه نقل هموم شعبه المضطهد، ووطنه المكبل إلى العالم؛ ليعرف ما يجري داخل الجزائر من استعمار كان آية في الوحشية فلا حاجة إذاً إلى تكلف الكلام، أو الاختفاء وراء محسنات (مسايق)، لا تقدّم أو تؤخّر، يقول الأديب والعالم السوريّ الدكتور شكري فيصل (1918-1985م) معلقاً على الدّعاء الذي جاء في مقدّمة العدد الأوّل من البصائر: "ولكنّ الإبراهيمي الذي يعيش الأحداث، ويواكب حركة البيان العربيّ، ويحيا معها فلا تفتنه أن تكون هذه الصّور المكثّفة وحدها والتي تدلّ عليها باسمها "التقليديّ البلاغيّ" الاستعارة، هي مظهره الفنّي، فلا بدّ له من أن تخالطه المعاصرة، وأن يسهم في حركة البيان العربيّ المستحدث، ولا بدّ أن يضمّ جديداً إلى قديم، ومفصّلاً لمجمل، والصّورة الواقعيّة إلى الصّورة الفكريّة.. وأنّ يضمّ المشهد المطوّل إلى الاستعارة المختصرة المركّزة..<sup>(2)</sup>

وما عرف عن أسلوب الإبراهيمي لا يقتصر على لون نثريّ بعينه، فهو يستخدم الطّريقة نفسها في التّعبير مع كلّ القوالب التي اشتهر بكتابتها كالمقال والخطابة والرّسالة، جامعا بين اللّغة الإصلاحيّة المتشبّعة بأيّ القرآن الكريم، وأحاديث الرّسول الكريم - صلى الله عليه وسلّم - وأقوال السلف الصّالح والمصطلحات الدّينيّة، وبين اللّغة الأدبيّة الرّاقية التي يتفنّن في اختيارها وصياغتها وبنائها بناء محكما رصينا قوياّ جزلا. يقول الدكتور الجزائريّ عبد الله ركيبي (1928م - 19 أبريل 2011م): "ولا شكّ أنّ الشيخ "الإبراهيمي" يمتاز بأسلوبه الخاصّ في النّثر خطابة أو مقالا، فهو في تعبيره يميل إلى الجزالة والفاخامة ويعنى بأساليب البلاغة العربيّة، من جناس وطباق وتورية وتشبيه واستعارة وما إلى ذلك من

(1) عبد الملك مرتاض: المرجع السابق: 112 - 113.

(2) شكري فيصل: قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي، مجلة الثقافة، العدد: 87، ص: 198 - 199.

أنواع البديع والبيان؛ فهو من هذه الجهة ينتمي إلى مدرسة بلغاء العرب وخطابهم المشهورين بالقدرة على توليد المعاني والاحتفال الذي يأتي عفو الخاطرة أو يقصد لذاته أحيانا.<sup>(1)</sup>

ولعلّ أسلوب الإبراهيمي يبرز بشكل واضح و متميز عن أقرانه من بين أعضاء جمعية العلماء ومن خارجها في نثر المقال أحسن منه في فنّ الخطابة والرّسالة والمقامة، فقد كتب كثيرا من المقالات الأدبية يبيدي وجهة نظره في قضايا الشعب الجزائريّ المضطهد، وفي أحوال الوطن الذي أنهك قواه الاستعمار الفرنسيّ، وكان يجتهد في إيصال صوت الجزائر إلى العالم أجمع ويلتفت دوما إلى قضايا أمته العربية والإسلامية في المشرق والمغرب فيكتب عنها. أمّا القضايا الداخليّة فكان قلمه سيّلا في الاهتمام بها والدفع بالشباب نحو الأفضل، خدمة لدينه وأرضه، تحقيقا لأهداف الإصلاح الذي انتهجته الجمعية بقيادة العالمين الجليلين عبد الحميد بن باديس ومحمدّ البشير الإبراهيمي. فقد كان هذا الأخير يمثّل المقال الإصلاحيّ أحسن تمثيل: "لأنّه يمثّل هذا النّمونج بأجلى صورته، فهو يجمع بين العناية بالصياغة وبين التعبير العاطفيّ والشّعور المتقدّ، كما يجمع بين الفكرة الإصلاحية في مضمونه وبين الجمال الأدبيّ في تعبيره، كما يعنى بالصّور البيانية بشكل جليّ، وتظهر الثّقافة العربية بمختلف فروعها وتنوّع منابعها، في لغته وأسلوبه، وهو من الكتاب الذين يحتفلون بالقالب اللّغويّ، ويصبّون فيه خواطرهم وأفكارهم. فاللّغة عنده ليست فقط وسيلة ولكنّها هدف أيضا، ومن ثمّ فإنّ أسلوبه يمتاز بهذه الصياغة الخاصّة التي تراعي التّوليد في المعاني والصيغ، وتهتمّ بالاستعارة اهتماما شديدا، وبالمجاز بصورة تجعل من أسلوبه ميزة خصّ بها. كما أنّ المقابلة بين المعاني والجمل من خواصّه التي تفرّد بها بين كتّاب النثر الجزائريين، وقد ساعده على ذلك اطلاع واسع على عيون الأدب العربيّ وأمّهاته

(1) عبد الله الركبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص: 30-31.

(2) عبد الله الركبي: المرجع نفسه، ص: 149.

خاتمة

### خاتمة:

في ختام هذا البحث، وبعد هذه الجولة الممتعة مع موضوع رسائل العلامة محمد البشير الإبراهيمي، وما احتوت عليه من جواهر و لآلى زاهرة بالمواضيع الجادة التي عالجت قضايا قيمة في مجالات الحياة المتنوعة في الدّاخل والخارج، وبعد الدّراسة الأسلوبية والفنية التي انطوت عليها تلك الرّسائل، حاولنا قدر الإمكان تحليلها والوقوف على بعض النّقاط فيها، وحسبنا أنّنا بذلنا الجهد والطّاقة من أجل إخراج البحث على هذا الوجه؛ ونحمد الله تعالى على توفيقه وعونه، حيث حاولنا جاهدين أن نسدل الستار عن زاوية من زوايا الإبداع في أدب محمد البشير الإبراهيمي.

**نتائج البحث (الأطروحة):** بعد دراسة طويلة للرسائل ومناقشة أجزاء منها صوتياً وصرقياً ونحوياً وأسلوبياً وبلاغياً ولغوياً وفنياً يمكن القول أنّ الدّراسة توصلت إلى مجموعة من النّتائج، التي لا نزعم أنّها نهائية في مجال البحث، ويمكن التّوسعة فيها إلى نتائج أخرى، قد يضطلع بها آخرون، وهي كالآتي:

- 1- يعدّ الإبراهيمي من أكبر العلماء، ومن أشهر أدباء العصر الحديث بلا منازع في مختلف الفنون الأدبية وعلى رأسها فنّ التّرسّل، شهد بذلك القريب والبعيد على حدّ سواء.
- 2- كشف الإبراهيمي من خلال رسائله مدى حجم المعجم اللّغويّ الذي يمتلكه بما في ذلك غريب اللفظ ممّا يبرهن على حفظه الموسوعي منذ الصّغر.
- 3- ما تركه الإبراهيمي من رسائل كثيرة جداً على الرّغم من ضياع العديد منها؛ وليس كما قيل: أنّه لم يترك سوى رسالتين.
- 4- المتأمل فيما تركه الإبراهيمي يكتشف روعة البيان، وسحر الكلام، ورونق الأسلوب كما لم يعرفه من قبل، وبخاصّة في الرّسائل الأدبية.
- 5- إنّ الإبراهيمي لم يترك نوعاً من الرّسائل إلّا وكتب فيه باقتدار.
- 6- يكتشف القارئ لرسائل الإبراهيمي مدى علاقاته الوطيدة مع مختلف الشّخصيات داخل الوطن (الجزائر) وخارجه من زعماء وعلماء وشعراء...
- 7- أثبت الإبراهيمي اقتداراً كبيراً غير مسبوق في التّحكّم في اللّغة العربيّة والأسلوب وقوّة العبارة وسعة الخيال، في وقت كان النّاطقون بالضّاد أندر من الكبريت الأحمر وأعزّ من بيض الأنوق.
- 8- يمكن اعتبار رسائل الإبراهيمي سجلاً لأحداث عصره وقضاياه المختلفة، الاجتماعية والسياسية والتّربوية والتّقافية والدينية و الوطنية والدولية...
- 9- ترك الإبراهيمي بآثاره في فنّ التّراسل وغيره سمعة طيبة ملأت الآفاق؛ فاستحقّ بذلك احترام الجميع في الدّاخل والخارج.

## خاتمة

- 10- بعض رسائله سمح للعالم بالتعرّف بصدق على الأوضاع الحقيقيّة في الجزائر وما تركه الاستعمار الفرنسيّ من خراب ماديّ ولغويّ أتى على الأخضر واليابس.
- 11- يرجع الفضل - بعد الله - إلى الإبراهيميّ في الحفاظ على الهوية واللّغة العربيّة الفصحى، بل والعمل على الرّقيّ بها.
- 12- كرّس الإبراهيميّ نمطا جديدا في كتابة الرّسائل وبخاصّة في التّرويسة والتّخلص والخاتمة.
- 13- الباحث في رسائل الإبراهيميّ يجد إحياء للتّراث العربيّ الأصيل القديم، من أمثال وحكم وشعر وقصص...
- 14- يعدّ الإبراهيميّ من القلائل الذين مزجوا بين الأجناس الأدبيّة (الأجنوسيّة)، فمقالاته رسائل وخطبه رسائل وتعازيه رسائل ونصائحه رسائل وشفاعاته رسائل وتوجيهاته للمعلّمين والطلّبة رسائل... الخ
- 15- العناوين التي يختارها الإبراهيميّ لرسائله منتقاة بعناية فائقة، فهي جذابة تستهوي القارئ نحو: " حدّثونا عن العدل فإننا نسيناه" و " عادت لعترها لميس" و " دمعة على المنصف"...
- 16- رسائل الإبراهيميّ تتضمّن جوانب بلاغيّة كثيرة فيها تقليد للقدّامى بمعان عصريّة تحتاج إلى كثير وقت للإتيان على دراستها.
- 17- في كلّ ما جمعناه من رسائل للإبراهيميّ بمختلف أنواعها، لم نعثر ولو على رسالة واحدة منها موجّهة إلى أفراد أسرته؛ ممّا يدلّ على أنّ الرّجل كان يحمل همّا ثقيلًا لدينه وأمّته وشعبه.
- 18- وظّف الإبراهيميّ التّناسخ من القرآن الكريم، ومن الحديث الشّريف، ومن الشّعْر العربيّ والأمثال والحكم؛ ممّا يدلّ على ثقافته الواسعة وقدرته على استحضار المخزون في أيّ مقارنة.
- 19- استعان الإبراهيميّ في المستوى التّركيبيّ في رسائله المتعدّدة بالأساليب الإنشائيّة من استفهام وأمر ونهي ودعاء ونداء وتعجب...، كما طرّق جميع أنواعها وأغراضها البلاغيّة.
- 20- اتّكأ الإبراهيميّ في صياغة جمل رسائله على الطّواهر اللّغويّة، النّحويّة والصّرفيّة بشكل ملفت؛ ممّا يوحي ببراعته فيها، والتّحكم في قواعدها، كالنّقد والتأخير، واختيار أنواع الفعل المناسبة للسياق.
- 21- أبدى الإبراهيميّ تحكّما فعليّا في التّشبيه بأنواعه المعروفة، ووظّفه توظيفا بديعا، ممّا يدلّ على امتلاكه خيالا واسعا، ساهم في بناء الصّورة وتكوينها، فقرب المشهد من المتلقّي ووضّح رؤيته له.
- 22- أبدع الإبراهيميّ في رسم الاستعارات (التّصوير الاستعاريّ) التي أضفت على الجمل والتّعبير جمالا خلّاقا، ورونقا حسنا، حقّق به الإيجاز والانزياح، وعمّق المعنى، ووسّع الخيال بعيدا عن السّطحيّة في الطّرح.

## خاتمة

- 23- أحسن الإبراهيميّ توظيف السّجع بمختلف أنواعه توظيفا بديعا قلّ من يصل إلى مستواه، فأعطى لجمله في الرّسائل موسيقى جميلة وإيقاعا رائعا زاد الجمال بهاء ورونقا.
- 24- كتّف الإبراهيميّ من توظيف الجناس بأنواعه، وأتى بصيغ وأنماط جديدة لا قبل للمبدعين بها، كأنّه يتلاعب باللّغة العربيّة، ويلوكها كيفما شاء ومتى شاء.
- 25- وظّف الإبراهيمي المجاز في مختلف رسائله للتعبير عن مواقف معينة، لتحقيق غايات بلاغية في نفسه.

وما يمكن قوله، إنّ الإبراهيميّ في معظم رسائله تطرّق إلى جلّ القضايا المطروحة في زمانه فعالج معاناة وطنه الحبيب(الجزائر)الذي كابد- هو وغيره- الأسر، وكذا مشاكل الاستعمار وغطرسته وألعيه، كما عالج فيها أيضا القضايا الإنسانيّة، والشباب والتّعليم والتّربية، والحثّ على طلب العلم ومحاربة الجهل والأميّة، ومخاطبة المعلّمين والطّلبة، ومناشدة العدل، ورفض الظلم، ومحاججة الطّرق الصّوفية الضّالة المضلّة بالحجّة والدليل، ووجدنا فيها السّعي لاجتثاث الشّرك ومظاهرة، والبوح عمّا في النّفس من الوجد والأحزان، ومكابدة الفقر والحرمان، كما كتب رسائل أخرى وجّهها إلى السّادة العلماء والرّعاء والشّعراء والأحباب، وفي أخرى استجداء في سبيل جلب الدّعم الماديّ والمعنويّ للثّورة الجزائريّة المباركة، موظّفا أساليب تعبيرية مناسبة لكلّ مقام، ولغة عربيّة راقية وبديعة قلّ نظيرها، مُستخدِما عبارات وألفاظا اختارها على عيّنه، من وحي حفظه الرّخار من آي القرآن الكريم، والأحاديث النّبويّة الشّريفة والنّراث القديم.

وقد تبيّن لنا كفيّة معالجة الإبراهيميّ لمحاور رسائله المتعدّدة، حيث ظلّ يعايشها بعقله ولبّه، وبقلبها على وجوهها المختلفة، مُعينا فيها بفكره المتبحّر، وعمق بصيرته الثّاقبة، وحسّه الوجدانيّ الحصيف.

والحقّ ماشهدت به عشرات الوثائق، والمواقف التي ملأت رصيد الرّجل خلال عقود، فقد كان مدرسة موسوعيّة شاملة بحقّ، برهن على أنّه عاش للدين والوطن، ورغم عرجته، كان يتجشّم عناء التّنقل من مكان إلى مكان، يرفع عقيرته بالخطب البليغة المؤثّرة، و ينشر رسائله وسائر نتاجاته في المجلات والصّحف، يُعلّم ويربّي ويبثّ روح الوعي في الأفتدة القانطة؛ فحافظ على مقومات الدّين الحنيف، وساهم في نشر اللّغة العربيّة، والدّود عن حياضها، والتّشجيع على التّهوض بها، ولم يأل جهدا في الاضطلاع بتربيّة النّشء وإصلاح أحواله، في وقت أبليت فيه الأمّة بمن تصدّر مسخ الهويّة من الاستدمار وذيوله.

لقد كتب الابراهيمى رسائله الكثيرة بلغة راقية جدّا، في وقت غلب على الأسنة الأمية والعجمة، وندر المتحدّثون بلغة الضّاد، والقلة القليلة التي كانت تقرأ و تكتب بها لم يمكنهم أن يفهموا ما ينشره الشّيخ

## خاتمة

ويعيبهم العي في معرفة معاني المفردات التي وصفوها بالغريبة؛ لكنّ الإبراهيمي أبي إلا المضي في نهجه متجاهلا طلبهم في تبسيط اللّغة، طالبا إيّاهم الصّعود إليه، بدل أن ينزل هو إليهم.

كلّ ذلك أكسب العلامة محمّد البشير الإبراهيمي المكانة السّامقة لدى المتلقّين، محقّقا احترام الجميع في الدّاخل والخارج، وأصبحت رسائله ومقالاته وأسجاعه وأشعاره مادّة ثريّة تلقى إقبال المهتمّين وشغفهم فكّبت فيها الأطاريح والبحوث المختلفة، وماتزال تتمنّع بالرّخم نفسه تنتظر من يطرقها.

تلك هي أهمّ النتائج التي توصلّ اليها، بعد جهد جهيد، وهي ليست نتائج نهائيّة، بل تبقى مفتوحة مادامت الدّراسات والبحوث حول رسائل الإبراهيمي نادرة، ولم تحظ بالاهتمام اللاّزم، ولم تنل حقّها من البحث والدّراسة والتّحليل. وعلى الرّغم من الجهد الذي بذلناه؛ فلسنا ندّعي - أبدا - أنّ البحث سيقف عند الدّراسة الأسلوبية والفنية لرسائل الإبراهيمي، لكن حسبنا أنّنا تطرّقنا إلى جانب من بحر البحث الأسلوبيّ والفني لها، على أمل أن تُقدّم دراسات أخرى مستفيضة تهتمّ برسائل الإبراهيمي خاصّة وبإبداعه الشعريّ والنثريّ عامّة.

هذا، وأرجو أن أكون قد وفّقت في العرض، وإنّ زللت في بعض الجزئيات فما زلنا نتعلّم، والتّقصير من طبيعة البشر، مع تقديم خالص الاعتذار في حالة وجود أخطاء، ولعلّ الفرص تسنح ليستدرك الباحثون ذلك، بقراءات ومقاربات أخرى، ويكملوا النّهج.

وأخيرا، أسأل الله - العليّ القدير - متضرّعا أن يكتب التّوفيق والسّداد لهذا البحث، وأن ينال الرّضا والقبول، ويكلّل مجهودي بالنّجاح ﴿إِنْ أُريدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۗ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللّهِ ۗ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

أُنِيبُ﴾ سورة هود، الآية (88).

ملحق

نماذج من رسائل الشيخ

الإبراهيمي المرسلّة

## نماذج من رسائل الشيخ إبراهيم المرسل:

## 1- رسالة من الشيخ إبراهيم إلى الشيخ محمد نصيف(\*)

محمد البشير الإبراهيمي

33 شارع مراد بك

مصر الجديدة- القاهرة 65340

القاهرة في 25 جمادى الثانية سنة 1380

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأخ الشيخ محمد نصيف أبقاه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أنا ذاك لعهدكم في كل لحظة وشاكر لفضلكم وإن تراخى حبل المكاتبه بيننا وأنا مشتاق إليكم شوقاً ليس له حد ولو أنّ صحتي تساعدني على السفر لما أغببت زيارتكم كل هذا الإغباب خصوصاً بعد أن أصبح السفر في التفاتات في العقد كالتي سافرتم فيها سفرتكم الأخيرة من القاهرة إلى جدة، وبهذه المناسبة فأرجوكم أن تكتبوا لنا في وصف تلك الرحلة التي قطعتموها في ثمانين دقيقة وصفاً مفصلاً وعن أثرها في نفوسكم، لتكون لنا زيادة تنشيط على سفرة إليكم أنا عازم عليها في رجب الآتي إن شاء الله، وأنا مصمم عليها من الآن إن تحسنت صحتي قليلاً أو دامت كما هي.

ولدنا الشيخ العباس ما زال بتونس ولم يأتنا منه خبر إلا سلاماً مع المسافرين ونحن متشوشون من جانبه كثيراً فقد أطال الغيبة في هذه المرة وأظن أنه لم يكتب حتى لأهله ومكتبه بمجدة كما هي عادته في البطء بالكتابة. بلغوا سلامنا إلى الأخ عمر وإلى العائلة كلها، وأخبرنا عن بنت حسين وهل شفاها الله؟. وعن إبراهيم زينل وهل رجع من أوربا؟. وهل عوفي مرضاه؟. وقد كتبت لهم إلى كراتشي ولم يرجع لي خبر. وتحيايقي إلى الحاج قاسم وإلى الشيخ سعيد وإلى آل زينل وإلى الشيخ حسونة البسطي وإلى الأستاذ عبد القدوس الأنصاري وإلى كل من يغشى ناديتكم ومجلسكم الموقر، وإلى الشاعر الشيخ درويش وجميع الأحباب.

ودتم سالمين محفوظين لأخيكم.

محمد البشير الإبراهيمي

## 2- رسالة: تحية غائب كالأيب(\*\*)

حيّ الجزائر عني يا صبا... واحمل إليها مني سلاماً ثباري لطافته لطافتك، وتُساري إطفاته إطفاتك، فقدّمًا حَمَل الكرام الأوفياء مثل هذه التحية إلى من يكرم عليهم، أو ما يكرم عليهم، فحملتها رَوْحًا، وأدّيتها يَوْحًا وأعلنتها شَدًى وفَوْحًا، وكنت بريد الأرواح إلى الأرواح، بالفاظ غير مكتوبة، ومعانٍ غير مكذوبة، وقدّمًا أفضى إليك الشعراء بشجونهم، واتّمنوك على جدهم ومجونهم، فاحتملت غنًا وسميًا، وكنت على الأسرار أميًا، فكأنّك كنت لهم محطة إرسال واستقبال معًا، يحملونك الرسائل تخيلاً، ويتلقون أجوبتها إحساسًا، وما عرف واش ولا شعر رقيب، وما كنت لديهم الثقة الأثير، إلا لأنك "ابن الأثير". وكانّ محطات الحقيقة اليوم وُضعت بإشارتك وتأثرت بآثارك، وكانّ شأنك وشأنهم في ذلك إرهاب بحقيقة حوّموا عليها ولم يردوا، وجمجموا عنها ولم يفصحوا، وادّخر الله تحقيقها لهذا الزمان، ولا عجب فكل حقيقة مبداهها خيال.

(\*) نُشرت في كتاب «محمد نصيف: حياته وآثاره» تأليف: محمد بن أحمد سيد أحمد وعبد بن أحمد العلوي، ط. المكتب الإسلامي، ط1، 1414هـ-1415هـ، ص: 585.

(\*\*) نُشرت في العدد 229 من جريدة «البصائر»، 15 ماي سنة 1953.

لي إليك وسيلة مرعية المتات بما أسلف أوائل فيك من مدح، وما أذاعوا لك من فضل، وما رفعوا لك من ذكر، فالذي تؤدبه عني اليوم هو "ثمن الإعلان" ورثته عن سلف، ولم يسقط حقّي فيه تقادم الزمان.

أنت يا صبا ريح، وكأن فيك قطعة من كل رُوح، يجد فيك كل غريب أنسا، وكل حبيب سلوى، وكل مكروب تنفيسا، خلال كلها جلال، وما ذلك الروح الذي يجده الواله في أنفاسك، إلا أنفاس المحبين تمتزج بأنفاسك، فيجدونها بردًا على الأبدان، وبشاشة في الأسارير ورصّي في السرائر. فلعمرك... لئن كان في الرياح لوائح للأشجار، ففبك وحدك لقاح النفوس، ولئن كان فيها ما يُحرق الورق، ففبك وحدك ما يطفئ الحرق.

حسبك شرقًا- يا صبا- أن التقى الناس فيك على وصف، وإن اختلفت بهم المنازع: جهل الجاهلون آثارك فقالوا: ما أسراك! وكل ريح سارية، وعرف العارفون فضلك وكرمك فقالوا: ما أسراك! وما كل شجرة وارية، وبين الشرى والسرو مفاوز هي مسافة ما بين الحسن والكثيف والحس الشفاف.

سر- يا صبا- طاب مسراك، وصفا مجراك، في جو ضاحك الصفحة، وفضاء سافر الغرة، لا جبلا نعمان يعترضان مهبك، ولا عواصف الدبور تعارض مدتك، فإذا لاحت لك بواذخ الأطلس فاسلك منها ما سلك بنو هلال، فرقة عن اليمن وفرقة عن الشمال، وخذ من آثارهم بما يُجدي، فكلًا كما نُجدي، وستقع في شالك على الخؤولة، وفي يمينك على العمومة، فابثُ أسرارك، وانثُ أخبارك، فهناك محطة الهوى والشوق. إذ التحية عني للجزائر التي غذت وربّت، وأنبت القوادم في الجناح، وأسلفت الأيدي البيضاء، وأسدت العوارف الغر، وأشربت من الطفولة حب العروبة والإسلام، وأخذت باليد إلى رياضها، ففتقت اللسان على أشرف لغة وسبعت وحي الله وحي العقول، وفتحت القلب لأكمل دين جمع الروح والمادة، ثم أورثت- فيما أورثت من مآثر العرب وفضائل الإسلام- أنفًا حميًا، وفؤادًا ذكيًا، ولسانًا جريئًا، وهمة بعيدة، وإباءً للمشارب الكدرة، وفناة لا تلين إلا للحق، وذيادًا عن حرمان الحمى والدين، ونفسًا لو تراءت لها زخارف الدنيا من وراء الدنايا ما خاضتها إليها، وروحانيةً أخذ طرفيها في الأرض، والآخر في السماء تأمر في ذلك كله وتتهي.

ثم عمم التحية إلى كل من تدير الجزائر من إخوان الصدق، وأحلاف الحق: من علماء جلاهم الإسلام سيوفًا، وبراهم سهامًا، وقومهم رماحًا، ثم وحدتهم العقيدة على غاية، وجمعهم الحق على بساط، وألف بينهم الجهاد في ميدان، فاجتمعت قلوبهم على هداية بها وألستهم على دعاية إليها، وأيدهم على بناء لها. ومن أنصار كانوا للدعوة السلفية الإصلاحية خزرحما وأوسها، وكانوا للنهضة الجزائرية عمادها وأسها، وكانوا الأحجار الأولى لبناء الجزائر الجديد، والكتائب المبكرة لإحياء مجد العرب بعز الإسلام.

ومن شبان ريناهم للجزائر أشبالًا، ووترناهم لعدوها قسيًا ونبالًا، وصورنا منهم نماذج للجيل الزاحف، بالمصاحف، وعلمناهم كيف يُجيبون الجزائر، وكيف يُجيبون فيها.

قل للجزائر الحبيبة هل يخطر ببالك من لم تعيبي قط عن باله؟ وهل طاف بك طائف السلو، وشغلك مانع الجمع وموجب الخلو، عن مشغول بهوك، عن سواك؟ إنه يعتقد أن في كل جزيرة قطعة من الحسن، وفيك الحسنُ جميعه، لذلك كنّ مفردات وكنّت جمعًا، فإذا قالوا: "الجزائر الخالدات" رجعنا فيك إلى توحيد الصفة وقلنا "الجزائر الخالدة"، وليس بمستنكر أن تُجمع الجزائر كلها في واحدة.

لن أنسى- يا أم- أنك كنت لي ماخطة الغرس، ومانشة العرس، فلا تنسي أي كنت لك من عهد التأمم إلى عهد العائم، ما شغلت عنك إلا بك، ولا خرجت منك إلا عائداً إليك، لا تنسي أنني ما زلت ألقى الأذى فيك لذيذًا، والعذاب في سبيلك عذبًا، والنصب في خدمتك راحة، والعقوق من بعض بنيك برًا، والحياة في العمل لك سعادة، والموت في سبيلك شهادة، ولا تنسي أنني عشت غيبًا لعداك وشجّي في حلوقهم، وكدرًا لصفوهم، وأني ما زلت أقارع الغاصبين لحقك في ميدان. وأكلغ العابثين بجُرماتك في ميدان، وأعلم الغافلين من أبنائك في ميدان، ثلاثة ميادين، استكفيتني فيها فكفيت، ورميت بي في جوانبها فأبليت، ولا مئة لي يا أم عليك، وإنما هي حقوق أوجبها شرائع البر، قام بها الكرام، وخاس بعهدا اللثام.

خطت الأقدار في صحيفتي أن أفتح عيني عليك وأنت موثقة، فهل في غيب الأقدار أن أغمض عيني فيك وأنت مطلقة؟ وكتببت الأقدار علي أن لا أملك من أرضك شبرًا، فهل تكتب لي أن أحوز في ثراك قبرًا؟

لله في تقدير السنين أسرار، فيها تحسب الأعمار، وفيها تُؤتي الأشجار الثمار، وفيها يتجدد الحنين والادّكار، وفيها يهب الشوق بين المتجانسات فينشأ بين الفعل والانفعال وجود، ولقد غبث عن الجزائر سنةً وبعض السنة، فكنت أغلب الشوق فأغلبه، فلما قيل: هذا يوم 7 مارس- وهو موثي سنة الفراق- هجم عليّ من الشوق ما لا يُغلب، فتمثلت بقول الوزير ابن الخطيب السلمي:

وجاشت جنود البين والصبر والأسى ... عليّ فكان الصبر أضعفها جندا

غبت عن الجزائر بجسمي سنةً وبعض السنة، ولكنني ما غبت عنها بروحي وفكري دقيقة ولا بعض الدقيقة، وما عملت لغيرها عملاً ولا جزءًا من عمل، فلساني رطب بذكرها، وشخصي عنوان عليها ورمز إليها، وأحاديثي تعريف بها وإعلاء لقيمتها، ومحاضراتي في المحافل الحاشدة في الشريين هي فضائلها شائعة، ومفاخرها ذائعة، وأعمالها تجميد لها ورفع لشأنها، وتنويه بنهضتها وتشريف "جمعية علمائها"، وما

الجزائر إلا جمعية العلماء، لولاها لكانت الجزائر مثل جزائر واق الواق اسماً يجري على اللسان، ومستى معدومًا في الوجود، لا يُنكر هذا إلا صبيٌّ أو غبيٌّ، أو عقل وراءه خبي.

أشهد لقد كنت ألقى في أسفاري أنواعًا من التعب فلا يهونها علي ولا يغربني بالإقدام على غيرها إلا يقيني أنها مقلد في قيمة الجزائر وقيمة جمعية العلماء، وكنت ألقى من إخواني في العروبة والإسلام إقبالاً علي واحتفاءً بي على نسق من فضلهم وتكرمهم، فلا يزدني من ذلك إلا أنه احتفاء بالجزائر وجمعية العلماء، وسعدت بلقاء كثير من عطاء الشرق وعلماؤه وأمرائه وقادة الرأي فيه، فما عدت ذلك إلا من سعادة الجزائر وجمعية العلماء، ووالله ما أنسانيها تبدل المناظر، وتنوع الأشخاص، ولا لفتني عنها تعاقب المحاسن على بصري، وتوارد معانيها على بصيرتي، بل كانتا دائماً شغلَ خواطري، ونجوى سرائري، وطالما طرفتني منها أطياب، كأنها أسياف، فأرتاع وألتاع، وأكد أطير شوقاً، ثم يسمح ذلك كله عن نفسي أن في سبيلها سكوني واضطرابي، ولو خرجت تاجرًا لكنت في الأخسرين صفقة، ولو خرجت متروخًا لكنت كمن هجر الجام ومديره، والروض وغديره، إلى جفاة السُّفر، وجفاء القفر.

أيها الوطن الحبيب:

رضيت من قسمة الله أن لم يجعلني أبا لأبناء الصلب وأفلاذ القلب وحدهم، ولو خلقت لهم لحبوت وأبوت، وعثرت في مصلحتهم وكبوت، ولصنعت لهم ما تصنع الطير لأفراخها... بل جعلني أبا لأبنائك كلهم، يلوذون من علمي بكنف رعاية، ويعوذون من حلمي بسور حماية، فأسوق ضالهم ليهتدي، وأحث مهتديهم ليزداد هداية.

ورضيت فوق الرضى بأبوتك لي أن رضيت ببنوتك لك، وبميتًا لو تبرجت لي المواطن في خلها، وتطامنت لي الجبال بقلها، لتفتنني عنك لما رأيت لك عديلاً، ولا اتخذت بك بديلاً، وإذا كانت أوطان الإسلام كلها وطن المسلم بحكم الدين، فإن اختصاصك بالهوى والحب من حكم الفطرة السليمة، ولنا في رسول الله أسوة حسنة في حبه لمكة وحنينه إليها.

ورضيت أكل الرضى أن كان جهد المقل مني يرضيك، وما هو إلا لبنة في بنائك، وقطرة في إنائك، ورعي لذمتك، وسي في كشف غمّتك، ورضيت من الجزاء على ذلك كله برضى الله وقبوله، فلا يهولتكَ فراغك مني أياماً، فعسى أن يكون المسك ختاماً، وعسى أن تسعد بأثار غيبتي أعواماً.

أيها الوطن الحبيب:

إخوتك في الوطن العربي الأكبر رفاق سفر، ولكنهم ساروا بالأمس وخلفوك، وذكر بعضهم بعضاً ونسوك، فلتنهأ اليوم أن واحداً من أبنائك أحقك بالسائرين، ثم جلى بك فأصبحت في المقدمة، وذكر بك الناسين، فلهجت باسمك الألسنة، وإنهم شركة مساهمة لم يكن لك فيها سهم، فلتقر عيناً ببنك الذي أصبحت به في الشركة ذا سهم راجح، كما كنت به في موقف النضال ذا سهم مصيب وأنت تدري من هو ذلك الابن.

أيها الوطن الحبيب:

أما الشوق إليك فحدث عنه ولا حرج، وأما فراقك فشدّة يعقبها الفرح، وأما الحديث عليك فأزهار توضع منها الأرح، وأما ما رفعت من ذكرك فسي من دب ودرج، وأما الانصراف عنك فإرجاف بالغى لم يجاوز صاحبه اللوى والمنعرج، وأما الأوبة فما زلت أسمع الواجب يهتف بي: أن يا بشير، إذا قضيت المناسك، فعجل الأوبة إلى ناسك... وسلام عليك يوم لقيت من "عقبة" وصحبه يرا، فكنت شامخاً مشمخراً، ويوم لقيت من "ييجو" وحزبه سراً، فسلمت مضطراً، وأمسيت عابساً مكفهراً، وللاتتقام مسراً، وسلام عليك يوم تصيح حزناً، متهللاً مفتراً، معتزاً بالله لا مغتراً.

ومعدرةً إليك إذا كنت ارتخيت، ثم انتخيت، فإنما هي نحوه الأوبة الأشاوس، يدفعون بها وساوس الصدور، ويدفعون بها في صدور الوسواس.

### 3- نص البرقية التي أرسلها إبراهيم إلى حاكم باكستان

#### وإلى رئيس وزرائها في قضية المودودي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّمَّانِ الرَّحِيمِ

حضرة صاحب الفخامة السيد غلام محمد حاكم باكستان العام - كراتشي،

حضرة صاحب الدولة السيد محمد علي رئيس الوزارة الباكستانية - كراتشي:

شاع في أنحاء العالم أن المحكمة العسكرية بمدينة لاهور حكمت بالإعدام على عالم من أكبر علماء الإسلام ومن أعظم دعاة، وهو الشيخ أبو الأعلى المودودي، ثم شاع الخبر بأن الحكومة الباكستانية خفت هذا الحكم إلى السجن أربع عشرة سنة.

إن هذه الأخبار أحرزت مئات الملايين من المسلمين في العالم، وسرّت أعداء الإسلام كلهم، ومهما تكن الدواعي لهذه الأحكام القاسية فإن المسلمين في جميع الدنيا لا يرضون لحكومة باكستان الإسلامية أن يسجل عليها التاريخ قتل علماء الدين أو سجنهم، لأنها لا تعدم بإعدام المودودي شخصاً، وإنما تحطم سيقاً من سيوف الإسلام، وتسكت صوتاً من أصوات الإسلام، وتطمس مفخرة من مفاخر الإسلام، ويا فرحة أعداء الإسلام بذلك.

إننا باسم جمعية العلماء الجزائريين وباسم ثلاثين مليون مسلم في المغرب العربي نتوجه في شدة وإلحاح إلى دولة باكستان الرشيدة التي نفخر بها ونعلق عليها الآمال في إعلاء كلمة الإسلام أن ترجع عن هذه الأحكام التي تزج نفوس المسلمين، وتطلق سراح المودودي عاجلاً لتردّ الاطمئنان إلى نفوس جميع المسلمين.

إن فرح المسلمين بنشأة باكستان، وعطفهم عليها، وانتصارهم لقضاياها، هو رأس مال عظيم للدولة الباكستانية، الواجب أن تزكّه بإطلاق حرية رجل من أكبر رجال الإسلام مما كانت جريمته السياسية فإنها لا تعدو أن تكون جريمة رأي.

محمد البشير الإبراهيمي / الفضيل الورتلاني

#### 4- نصّ الرسالة التي بعث بها الإبراهيمي إلى الأستاذ كامل كيلاني بالقاهرة(\*)

##### الرجل الذي انتهت إليه حكمة التربية

"أكتب إليكم مهنئاً بالعيد، وإن كانت معانيه البليغة ممسوحة من نفسي، لأنني أفهمه موقف حساب وعرض، لم يعرض فيه العرب من أعمالهم إلا المخزي، ولم يحاسب فيه المسلمون من عباداتهم إلا بغير المجزي، ولكن التهنئة أصبحت كلاماً يدور على الألسنة برغم الضائر الحية والشواعر اليقظة!

زرت الكويت ورأيت ما رأيت، وألقيت عدة محاضرات كانت- بتوفيق الله- غيثاً على جذب، وفرائداً على ظم، ولم أنس في لحظة أخي "كاملاً". وهل ينسى الإنسان جزءاً من نفسه كاملاً؟!

الحركات عند إخواننا العرب بطيئة جداً، يحتاج المتعرض لها إلى صبر متين وأناة، وإلى لطف احتيالي، أو إلى ما جمعه الشاعر الذي يقول: ليس للحاجات، الخ، وأتم أعرف بالبقية!

أنا- فيما أعد نفسي- مبشر بالمبادئ الصالحة والكتب الصالحة، لأن التجارب انتهت بي إلى أنه ما أفسد العلم ورجاله إلا الكتب الفاسدة. وما أن الحرس على استقامة الإنسان يبدأ بتقويم الطفل، ولا يستقيم الطفل إلا إذا غرس عقله في "مكتبة الأطفال"، وقد تكون هذه التعبيرات نافرة أو متنافرة، ولا يعنيني أمرها، فإن المعنى الذي أقصده هو هذا:

إنني أشهد الله، وأشهد أمام خلقه، بأن الرجل الذي انتهت إليه حكمة التربية من طريق كتب التعليم هو الأستاذ "كامل كيلاني". وستشهد هذه النهضة بهذا يوم يمدّ مدها، ويجد جدّها. أحييكم وولداً "رشاداً" وأدعو لكم بالتوفيق، وسأكتبكم من الشام. من بغداد

#### 5- نصيحة وتحذير (\*\*)

رأيت في القاهرة عدداً كثيراً من شبّان الجزائر، معظمهم وصل إليها في هذه السنة والتي قبلها بوسائل كلها أتعاب ومشاق، والتحقوا كلهم بالقسم العام في الأزهر، وهذا القسم هو الذي يحشر فيه كل مبتدئ كما يدل عليه اسمه، وزارني كثير من هؤلاء الطلبة الجزائريين يطلبون الإعانة المالية مني أو من الأزهر بوساطتي، وسألتهم وتقصيت، فسمعت من أقوالهم، وعلمت من مظاهرهم ما يجزن ويؤسف، وجر شيء إلي شيء، فعلمت بالقرآن القريبة أنهم منحدرين إلى هاوية لا قرار لها من البؤس لا يحصل معها علم، ولا يبقى عليها خلق، ولا تشرف منسوباً ولا منسوباً إليه. فملتني الشفقة عليهم وعلى سمعة الجزائر على أن أكتب هذه الكلمة محذراً من لم يقع، لكيلا يقع، فعسى أن تكون تبصرة لمن قرأها أو بلغته ممن قرأها في الجزائر، وعسى أن تكون موعظة للعابثين بهؤلاء الضحايا هنا في مصر، فبعض الناس يكونون عوناً للمصيبة على المصاب، وبعض الناس يكونون لبض ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ ﴾.

(\*) صحيفة "منبر الشرق"، مصر، سنة 1953.

(\*\*) البصائر، العدد 240، السنة السادسة من السلسلة الثانية، 11 سبتمبر 1953

كنت أسألهم واحدًا واحدًا: لماذا قدمت من الجزائر؟ فيجيبونني واحدًا واحدًا: جئت لطلب العلم، فأسألهم: وهل استرشدتم برشيد عارف بالأحوال؟ فيقولون: لا. فأعلم أنهم مغرورون بالأوهام الشائعة التي تتصور أن العلم في مصر مبذول، ولا تتصور أن الحزب فيها غير مبذول، وأعلم أن لهم قصداً حسناً، ولكن حسن القصد لا يشفع لصاحبه ولا يكون عزراً في المخاطرات التي لا تستند إلى بصيرة.

وطلب العلم شيء محمود بل واجب، والرحلة إليه شيء مستحسن، وسنة قديمة سنّها أوائلنا وكانت عندهم شرطاً في كمال العالم، وشهادة خاصة يعطيا المترجمون للرحلة حين يقولون في ترجمته: رحل ولقي الرجال. ولكن الرحلة في القديم كان لها غرض صحيح وهو استكمال العلم لا بدايته، فبعد أن يحصل الأندلسي - مثلاً - كل ما هو موجود في بلده من أنواع، ويستوعب الأخذ عن جميع علمائه تسمو نفسه إلى بقية من العلم غير موجودة، أو إلى التوسع في الموجود منها فيرحل لذلك، ثم يرجع إلى وطنه بالقلد، والعلم الجديد.

أما أبناء الجزائر الذين نكتب هذه الكلمة من أجلهم فإنهم يرحلون من الجزائر ويقطعون المراحل مشياً على الأقدام في بعض الحالات مجزاً عن ثمن الركوب، كل ذلك ليدرسوا (الأجرومية) في الأزهر، ثم إذا وصلوا إلى مصر وضائق بهم سبل المعيشة انقطعوا حتى عن الاجرومية وطلبوا العمل فلم يجده، لأن أهل الوطن أنفسهم يشكون البطالة، أو طلبهم العمل فلم يجدهم، لأنهم لا يحسنون عملاً شيئاً.

لا نصف صنيع هؤلاء بأنفسهم إلا بأنه غفلة واعتزاز وحمل بحقائق الأشياء، والجاهل يجب عليه أن يتعلم طريق العلم ووسائله قبل العلم، وأيسر وسيلة يستطيعها كل أحد هي الاستشارة، فما لهم لا يستشيرون؟ ولو أنهم استشاروا النصحاء العارفين لصدوهم عن هذا النوع من الهجرة، ولنصحوهم بتعلم المبادئ في الجزائر أو في تونس وهي تكاد تكون قطعة من وطنهم، فإذا حصلوا كل ما في جامع الزيتونة كانت رحلة الراحل منهم إلى مصر أو غيرها معقولة مقبولة، وكانت الإعانة عليها واجبة وذات قيمة.

الواجب على أبناء الجزائر أن يتبصروا في هذه القضية وأن يتدبروا عواقبها، وأن يعرفوا - قبل كل شيء - أن ساء مصر لا تطرأ الذهب والفضة ولا الورق النقدي، وأن مصر قامت بما فوق الواجب مع أبناء الأقطار العربية والإسلامية، وتساهلت حتى أذاها التساهل إلى الفوضى، وأعلنت بالكثير، ولكن فوضى الهجرة صيرته قليلاً غير مفيد، والإعانة التي لا تنفيذ هي خسارة مرتين.

إن قطع آلاف الأميال، وركوب المخاطر والأهوال، في سبيل الدراسة الابتدائية أمر لا يفعله عاقل ولا يجيزه، فهو سفه في الرأي وتبديد للقوة في غير منفعة، وهو سبب للوطن الذي هاجر منه الطالب، لأنه شهادة على أنه لا علم فيه ولا تعليم، فليتدبر هذا أبناؤنا المجازفون، فإذا زاد على ذلك تقدم السن كان من أحمس الخطأ، فقد لاحظنا في جميع من رأينا أنهم جاوزوا العشرين من أعمارهم وفيهم ابن الثلاثين. وأمثال هؤلاء فاتهم وقت التحصيل المنظم، ومتى يحصلون وهم في هذه السن؟ وكيف يحصلون وهم على هذه الحالة من البؤس؟ وكيف يطمئن الذهن للتحصيل، إذا كان العقل والجنب والبطن كلها غير مطمئنة ولا مستقرّة؟

لعل أبناءنا يحتجون اليوم بتلك الفلتات التي يسمعون بها من أن فلاناً هاجر إلى الأزهر وهو لا يملك شيئاً ثم حصل وأصبح عالماً، وفاتهم أن تلك فلتات كما سميها فهي شذوذ فردي جاء من قوة الصبر والاحتمال أو من أسباب أخرى تبنى عليها الشذوذات ولكنها لا تصبح قاعدة عامة في جميع الناس، ونحن الذين سبقنا هذا الجيل نعرف أفراداً من هؤلاء، ونعرف أنهم لم يحصلوا التحصيل الحقيقي الذي ينفعون به قومهم إذا رجعوا إليهم، وإنما حصلوا النسبة الأزهرية، وهي في كثير من أصحابها تغر ولا تسر. لا ينفع الجزائر ويشرفها، ولا يرفع مصر ويعرفها، إلا اثنان:

يافع عمره أربعة عشر عاماً يحمل الشهادة الابتدائية من مدارس جمعية العلماء أو الشهادة الابتدائية الفرنسية مع حظ في العربية يكون في قوتها، ومن ورائه من ينفق عليه إنفاقاً منظماً، فهذا تؤهله سنته ومعارفه الضرورية للدخول في المدارس الثانوية المصرية، فيمّر على مراحل التعليم الثانوي إلى البكالوريا العربية، ثم إلى التعليم الجامعي إلى آخر شهادته، كما تؤهله شهادته العربية لدخول الأزهر فيبني تعلمه حجراً عن حجر إلى تمام البناء، بشرط أن يكون عليه إشراف حكيم ورقابة شديدة تحفظ عليه نظام دروسه ونظام حياته وأخلاقه.

وشاب في العشرين أو فوقها بقليل يحمل شهادة التحصيل من جامع الزيتونة أو شهادة المعهد الباديسي في مناهجه الجديد، فهذا تؤهله سنته ومعارفه الثانوية لدخول عدة معاهد كلها مفيدة، ومنها كلية أصول الدين التابعة للأزهر وكلية دار العلوم وكلية الآداب التابعة للجامعة المصرية، ويكون من ورائه من ينفق عليه إنفاقاً منظماً ومن يشرف عليه كذلك.

هذان الصنفان هما اللذان ينفعان الجزائر، ويشرفان سمعة مصر، وتكون إعانتها وضعاً للشيء في محله.

أما أن يفارق الشاب الجزائري وطنه، وسنته مرتفعة، وعقله فارغ من العلم وجيبه فارغ من المال، فهذه الحالة هي التي نخدر منها ونصح من لم يقع أن لا يقع فيها، وحسبه أن يتعلم في وطنه ما يرفع عنه الجهل أو ما ينفع به الناس نفقاً محدوداً وهو لا يعدم ذلك في وطنه.

في الجزائر جمعية العلماء وهي تجاهد في هذا السبيل، فتفتح المدارس وتهبّ البعوث وتشرف عليها، وهي متخصصة في الاطلاع على وسائل العلم، فما هؤلاء القوم لا يستشيرونها؟ وما لهم حين يستشيرونها لا يعملون بنصائحها وتوجيهاتها؟

ألا ان جمعية العلماء لا تقرّ هذه الفوضى التي لا تعود على الجزائر إلا بسوء الأدوة، وقد بذلت جهوداً في تنظيم بعثاتها والجري بها على الشروط الواجبة، ومع ذلك فما زالت أمما أشواط دون الوصول إلى الغاية في كمال النظام، وهي لا تستطيع أن تعين بشيء من جاهها أو من

مالها إلا من أعانها على نفسه باستيفاء الشروط والتزام النظام وقبول النصيحة والتوجيه، أما من خالف شيئاً من ذلك، أو افتاد لدعاوى المغررين فلا سبيل له عليها، ولا حجة بينه وبينها.

يا أبناءنا: إن جمعية العلماء تريد لكم العلم، وقد عملت ما استطاعت، ولكنها لا ترضى لكم الفوضى والتعب الفارغ والسعي الضائع، ولا ترضى -أبداً- لابن الجزائر أن يهاجر إلى مصر في سبيل العلم من غير استعداد علمي يؤهل، واستعداد مالي يسهل.

إن الرحلة في طلب العلم كالرحلة لأداء الحج، كالتأهل لمشروطة بالاستطاعة، وإن شرط الاستطاعة في طلب العلم لأوكد، لأن مناسك الحج تقضى في أيام ومناسك العلم لا تقضى إلا في أعوام.

هذه كلمة محذرة، فعلى قرائها أن يبلغوها حتى يكون الغائب كالشاهد.

### 6- رسالة من الإبراهيمي إلى الأستاذ خليل مردم بك(\*)

حضرة معالي الوزير شيخ أدياء هذا العصر الأستاذ الكبير خليل مردم بك المحترم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بلغتني رسالتكم البرّة فدلّنتني على موطن مأهول من مواطن كرمكم وفضلكم، وما هو بالمجهول عندي ولكنه كان مغموراً في نفسي بأشياء من جنسه، وإنما نقلتني هذه اللفتة الكريمة منكم من الشك إلى اليقين بأنه ما زال من أمة الأدب من يكرم الأدب، ومن أساطين العلم من يُجِلُّ العلم بعدما كنت على شفا يأس من ذلك.

أنا أعد نفسي طبيعياً في مجمعكم العلمي الموقر والطبيعيات في غنى عن الرسميات، وقد كنت أتغنى وأتوارى في ذلك حجباً من نفسي ألا أستطيع الوفاء بحقوق المجمع عليّ لا لعجزني فأنا بحمد الله بقية من بقايا حراس لغة العرب، بل لكثرة أشغالي وتنوع ميادين جهادي، أما إذا أبي فضلكم إلا أن أكون عضواً رسمياً فأنا نازل عند رغبتكم، سعيد بعطف إخواني واهتمامهم بي، مقدر للمنزلة التي تجمعني بإخواني شيوخ الأدب وتلاميذ الأعرسة من أعضاء المجمع، بل أنا أرى أن للفتكم هذه من الآثار الجليلة ما إن أيسره وصل رحم بيني وبين إخوان أجلاء وتلاميذ أعرسة كانت شبه مجفوة، وصلكم الله به وأحاطكم برعايته وأجرى على أيديكم كل خير للعربية وتاريخها وعلومها.

أما ما طلبتموه من ترجمة حياتي وصورتي فسيأتكم بعد أيام، وسلامي إلى أستاذنا الجليل الشيخ عبد القادر المغربي وإلى جميع الإخوان. واسلموا جميعاً لأخيك المعترّ بكم:

محمد البشير الإبراهيمي

### 7- كتاب مفتوح إلى رئيس الجمهورية الفرنسية(\*\*)

أيها الرئيس:

نحيبكم- على كثرة الحوائل بيننا- كما يحيي العربي الكريم ضيفه. ويسوءنا ويسوء الحقيقة أن تزوروا الجزائر فتروا كل شيء إلا الجزائر.

يسوء الحقيقة أن تزوروا الجزائر زيارة تعدّ من أعمالكم وتسجل في تاريخكم، وتشغل نقلة الأخبار ومستعمعها أياماً، ويسيل فيها نهران من مال ومداد، وأتم لم تروا الجزائر الحقيقية بما فيها من مأس وبلايا وحمل وفقر وظلم، وشعب كامل يتألم، وطائفة قليلة تتحكم، وإنما رأيتم زمرًا لم يجدها إليكم أمل واسع ولم يحضرها إلى لقاءكم ضمير حر، ولم يعرضها أمامكم سائق من عقيدة، ولا داع من اختيار، وإنما جمعت بوسائل كالتجنيد الإجباري، وسيقت بأسباب من الترغيب والترهيب ليس فيها إيمان ولا وجدان.

يسوء الحقيقة والواقع أن تزوروا الجزائر هذه الزيادة التقليدية التي تقابل بالمظاهر المصطنعة، والخطب المصنوعة، وأن تحاطوا بالمواكب الرسمية التي تحجب عنكم الحقائق كما يحجب الضباب نور الشمس، وأن تصافح سمعكم أصوات ليس فيها صوت حر، فلو كنتم أجنب عن الجزائر وعمّا يجري فيها لحشينا أن تصدروا عن الجزائر وفي ذهنكم منها صورة غير صورتها.

كل الذي ترونه وتسمعون في زيارتكم هذه مجموعاً ومتفرقاً ليس هو الجزائر ولا صوت الجزائر، وإنما هو شيء مألوف في الجزائر لا يثير اهتماماً من عاقل، ولا حركة من مجنون!

أما حقيقة الجزائر فاستجلوها- إن كنتم تريدون الحقيقة- مما وراء المظاهر تجدها في جملة: وطن تسعة أعشار من فيه رقيق زراعي وخدم صناعي مفروض عليه الحرمان من

كل حق، وعشره العاشر سادة مفروض لهم التمتع بكل حق، وبين الفريقين فريق انفصل عن الأول ولم يصل إلى الثاني، وهو الذي ترونه. تغير الكون وما فيه، ولم تتغير الحكومة الجزائرية في نظرتها إلى الدين الإسلامي والمسلمين، فالدين الإسلامي مملوك للحكومة الجزائرية، تحتكر التصرف في

(\*) أرسلت هذه الرسالة من القاهرة بتاريخ 17 يوليو 1954.

(\*\*) نشرت في العدد 81 من جريدة «البيانات»، 30 ماي سنة 1949.

مساجده ورجاله وأوقافه وقضائه، وقضية فصل الدين عن الحكومة معلقة بين السماء والأرض، لا يهبط بها إصاف، ولا يصعد بها عدل، وواقفة بين حكومة فرنسا وحكومة الجزائر موقف التنافس، تلك تحكم بالفصل أولاً وهذه تحكم بالوصل عملاً، وهي تماطل في الفصل لأنها لا تريده، وهي تهين الوسائل لتعطيل تنفيذه، أو لجعله صورة بلا حقيقة، وجسداً بلا روح، وهي تملك من وسائل التعطيل مجلساً يقدم البحث في مرتبته وألقابه على البحث في مصالح الأمة التي لم يكن لها في تكوينه رأي، ولا في انتخابه حرية.

والتعليم الديني في هذا الوطن المسلم معطل بتعطيل المساجد، ومئات الآلاف من شباب المسلمين تنتشوق إلى تعلم دينها، ولكن مساجدهم الموقوفة لذلك مغلقة في وجوههم، والدين الإسلامي وتعلمه وتعليمه حق طبيعي وضروري لتسعة ملايين من المسلمين، ولكنهم محرومون منه، والتعليم العربي في هذا الوطن العربي جريمة يعاقب مرتكبها بما يعاقب به المجرم من تغريم، وتغريب وسجن؛ ومدارسه تعاني من التضيق والتعطيل ألواناً متجددة، ورجاله عرضة في كل حين للمحاكمات في المحاكم الجمهورية التي تنسم بوسمكم، والمحاكمات على التعليم جارية على قدم وساق في هذه الأيام، التي تسبق زيارتكم، كأنها إعداد لها، وابتهاج بها؛ ولو كانت قضايا المحاكم، وسجلات البوليس، وأعمال الحكام، مما يعرض عليكم، أو كان عمار السجون ممن يمثلون بين يديكم- لرأيتم من الأولى عشرات القضايا المتعلقة بالتعليم العربي في ضمن الجرائم والمخالفات، ولرأيتم من بين الآخرين كثيراً من المعلمين في عداد المجرمين! وإن قانوناً يمنع التعليم كيفاً كان لونه، ويعاقب المعلم كيفاً كان جنسه لهو قانون عدو للعلم!! فكيف تسيغه فرنسا (العالمة) وكيف تشرعه فرنسا (المعلمة)؟

أيها الرئيس:

إن الشعب الجزائري قد أصبح- من طول ما جرب ومارس- في حالة يأس من العدالة، وتسفيه للوعود والعهود وكفر بهذه الديمقراطية التي يسمع بها ولا يراها، وإنه أصبح لا يؤمن إلا بأركان حياته الأربعة، ذاتيته الجزائرية وجنسيته ولغته العريبتين، ودينه الإسلامي، لا يستنزل عنها برق الخطب والمواعيد، ولا يبغى عنها حولاً، ولا بها بديلاً.

وإن الشعب الجزائري لا ينتفع بنتائج شيء لا رأي له في مقدماته، وإن الدستور الجزائري على نقصه واختلاله لم يكن للأمة فيه رأي، فكيف يجني منه ثمرة؟ أو ينتفع منه بنتيجة؟ وإن المجلس الذي انبثق منه ناقص بنقصه، مختل باختلاله، وقد جالت الأيدي في تكوينه، فجاء كالمولود سقطاً، ليس فيه شيء من خصائص الحياة، فكيف ترجى منه الحياة؟

وإن الشعب الجزائري مريض متطلع للشفاء وجاهل متوثب إلى العلم، وبأس متشوق للنعيم، ومهتوك من الظلم، مستشرف إلى العدالة، ومستعبد ينشد الحرية ومضوم الحق يطلب حقه في الحياة، وديمقراطي الفطرة والدين، يحن إلى الديمقراطية الطبيعية، لا الصناعية؛ ولكنه ليس كما يقال عنه: جائع يطلب الخبز، فإن وجده سكت.

أيها الرئيس:

إن حكومات الجزائر تعاقبت في ألوان من المذاهب، ولكن الشعب الجزائري لم ينل على يدها خيراً، ولم يصل إلى قليل ولا كثير من حقه المهضوم، لا في دينه ولا في دنياه، وإنما هي مظاهر تبدل بلا فائدة، وسطحيات تغير بلا جدوى، وأساء بلا معان، والحقيقة هي هي...!! وإن هذه الحكومات المتعاقبة تجري- من يوم كانت- على أسلوب من شر أساليب الاستعمار وأقبحها، فهي تتخذ الدين الإسلامي آلة لخدمة السياسة، ولذلك تمسك هذا التمسك بمساجده وأسبابه، وهي تجعل السياسة آلة لهدم الدين الإسلامي، وهي تحارب اللغة العربية والتعليم العربي لتجعل من ذلك وسيلة إلى محو الجنسية العربية، وهي تسد أبواب العلم في وجوه المتعلمين بوسائل شتى ليبقى الشعب أمياً جاهلاً، فينسى نفسه وتاريخه، ويقع بأخس الحطوط في الحياة، وإن بقاء نحو من مليونين من أبناء الشعب محرومين من التعليم بجميع أنواعه لأصدق دليل على ذلك.

إن حكومة توسع السجون، وتضيق المدارس، حكومة سيئة الظن بنفسها قبل أن تكون سيئة الظن بالشعب.

أيها الرئيس:

ظهرت في عهد هذه الجمهورية الرابعة نغمة جديدة أنكرناها وكفرنا بها لأنها لا تنسجم مع ماضينا، ولا تتناسق مع حالنا ولا مستقبلنا، وانتقدتها الرأي العام العالمي العاقل اليقظ المنطقي لأنها ناشرة عن قرارها، مخالفة للواقع المحسوس؛ هذه النغمة هي نغمة "الوحدة الفرنسية". ولا يشك عاقل في أن كلمة الوحدة هذه مقطوعة الصلة من معناها، وكان واضعها هازئ بنفسه، أو بالناس، أو بها معاً، وكأنها سخرية ساخر، لم تسبقها روية، ولم يحكمها منطق، ولم يحكمها تدبر.

لا يسوغ منطق ولا عقل كيف تكون الوحدة بين سيد وبين مسود، وكيف تتصور بين حاكم مزهو بعصية جنسية تظاهرها عصبية دينية، وبين محكوم؟ وكيف تتفق في وطن ساكنوه صنفان، وقوانينه صنفان؟ وكيف تتم في بلاد كنيسه حرة، وبيعته حرة، ومسجده مستعبد؟ وكيف تتجاور في عقيدة أو لسان مع كلمة السيادة الفرنسية التي تلوكها الألسنة، وتنضح بها الأقلام خصوصاً في هذه الأيام؟!!

إنكم أقمتم في الجزائر في عهدها الأخير عامين، وأحطتم رؤية وعلمًا بما يجري فيها، وإنها باقية حيث تركتموها، ما تقدمت إلا في التأخر، وما ترفت إلا في الإخطاط، فنعيدكم بشرف الحرية، وحرمة الضمير الإنساني، وكرامة العلم- أن تغتروا بما تسمعون من خطب، وبما ترونه من مظاهر، فكل ذلك مهمًا لتغطية الحقيقة والتضليل عنها، فالتسوها في جذب العقول لا في خصب الأرض، وفي فوضى الحياة لا في نظام المواكب، وفي بؤس البادية لا في نعيم المدينة- تجدها ماثلة للعيان، ناطقة بالبرهان، صادقة في البيان.

## 8- كتاب مفتوح لسعادة وزير الداخلية للجمهورية الفرنسية(\*)

يا سعادة الوزير:

إن الأصدقاء المتجاوبة عن زيارتكم للقطر الجزائري أفهمت الأمة الجزائرية المسلمة أنها زيارة تمهدون بها لإصلاح سياسي واجتماعي واقتصادي يفترق إليه هذا الوطن. فالتفتت هذه الأمة إلى الماضي واستعرضت الزيارات الوزارية المتعاقبة وآثارها فهبطت درجة التفاوض فيها إلى حد بعيد، ولكن ما جاء في بعض خطبكم (إن الظروف غير الظروف) أمسك فيها رفق الأمل.

كان من تمنيات الأمة أن يقال عن زيارتكم إنها استجابات للصرخات المنبعثة من أعماقها. وإنما تمهيد لتحقيق مطالبها. وسترون بأعينكم وتذكرون بعقلكم- إن لم تحل الحوائل بينك وبين الحقيقة- ما يقع ضميركم الحي وعاطفتكم الإنسانية وفكركم الديموقراطي أن القضية الجزائرية لا تداوى بإصلاحات مما كانت سريعة وإنما تداوى بحقوق تعطي وراغائب تحقق. فإرم بعينيك- يا سعادة الوزير- إلى ما وراء الصفوف الأمامية التي تقابلك في هذه الزيارة تر الحقيقة. وأرهف سمعك إلى الأصوات المنبعثة من تلك الجهة تسمع الحقيقة، وإن الطبيب لا يبني العلاج على أقوال الأصحاء وشهادتهم للمريض، وإنما يرتب العلاج على كلام المريض لأنه ينير له سبيل الحكمة. وعلى أناته وصرخاته لأنها تثير فيه عاطفة الرحمة. وإذا اجتمعت الحكمة والرحمة في نفس الطبيب ضمنا سداد الدواء وعاجل الشفاء.

وإننا نتمنى لكم في زيارتكم هذه توفيقًا يرفع ذكركم. ويقرن بحل القضية الجزائرية اسمكم.

بقيت جهة أخرى تمس إحساس المسلمين وتحز في نفوسهم وهي الدين الإسلامي من أوقافه المهضومة إلى معابده المظلومة إلى تعاليمه المدومة إلى قضائه المشوه، وقد أغفلتم هذه الجهة في تصريحاتكم فقال قوم إن الدينيات لا تدخل في السياسات. وقال المسلمون إذا كان الأمر كذلك فما بال الحكومة الجزائرية احتكرت لنفسها كل ما يتعلق بديننا منذ قرن وزيادة فاستولت على أوقافنا ومساجدنا وأمست في يدها مقاليد رجال الدين منا. وضايقت التعليم الديني بالقرارات، ومسخت القضاء الإسلامي في الأحوال الشخصية وهي من صميم الدين.

إن الأمة الجزائرية المسلمة تعتقد أن حقها الديني لا ينبغي أن يكون محل جدال ومطل لأنه لا يتعارض مع مصلحة دين آخر. وترى أن من حقها- كأمة ذات مقومات حيوية- أن تطالب بفضل الدين الإسلامي عن الحكومة فضلًا رسميًا عاجلاً وأن تسلم لها أوقافها الدينية ومساجدها تتصرف فيها تصرفًا حقيقيًا مباشرًا وأن ترفع القيود الإدارية عن تعليمها الديني العربي وأن تتمتع في أحوالها الشخصية الدينية بقضاء نافذ صريح مبني على تعليم إسلامي واسع صحيح.

يا جناب الوزير:

إذا سمعتم صيحات طلاب الحقوق السياسية والاقتصادية فاسمعوا هذه الصيحة المنبعثة من طلاب الحقوق الدينية. وان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعبر في هذا عن رأي كل مسلم جزائري. وهي تحمل- مع هذا- لسعادتكم كل تقدير واحترام.

رئيس جمعية العلماء

محمد البشير الإبراهيمي

## 9- رسالة من الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى أبي بكر الأغواطي:

هذه وثيقة تاريخية بقلم الإمام العلامة رائد النهضة الإصلاحية الشيخ الرئيس محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله أرسلها إلى الناعية الأغواطي الكبير أبي بكر، رائد الإصلاح في إقليم الأغواط وكتب عام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عهد الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله جميعا. وهذه الوثيقة إلى جانب كونها مقطوعة أدبية من مقطوعات إمام اللغة العربية ومجدد عهدها تتضمن كثير من اللغات المهمة، التي تحتاج إلى وقفات من طرف المؤرخين .

(\*) جريدة "النهضة" التونسية، 30 أفريل 1947، وجريدة "الإصلاح"، عدد 48، 8 ماي 1947م.

قام الشيخ الحاج عيسى محمد، الابن الأكبر لأبي بكر الاغواطي والذي زدنا هذه الوثيقة، بتحرير الرسالة مع الاحتفاظ ببعض الفراغات في حالة تعذر استكمال النص من المخطوط. إننا في موقع الشهاب نهيى بكل من يملك وثيقة تاريخية خاصة ما تعلق بعهد الحركة الإصلاحية الراشدة بتحريرها ونشرها حتى لا يلفها النسيان وتبقى معلما من معالم النهضة الحضارية للأمة.

## نص الرسالة

وصلتني رسالة ولدي وخالصتي الفيلسوف وما هي برسالة وإنما هي جعبة أخبار وكثانة أفكار وكانت فيها لبصري إنارة ولبصري عمارة فتلقيتها تلقي عرابة الأوس راية المجد باليمين إذ كان كاتبها عندي ممن لا يتزبد ولا يمين وكان الثغر الذي قصده بالرحلة وخصه بالثقله من الثغور التي يهمني الاطلاع علي أحوالها وإن كانت لا تطربني نغمت سبكانها ولا مؤالها ووهاله ثغرا لم يكن في يوم من الثغور العذاب ولابعث إليه أديبا ليرق جذاب كما قيل في الرصافة وابن الجهم.

وكما ضربت ثغور الشام والأندلس من ذلك لبسهم على الحقيقة لا الوهم ولي بذلك الثغر إخوان لم أزل اسقيهم من الود صفوه ومن الإجلال مصاصه لا عفوه ولكن الحوادث تغير أو تنسى وطول العهد باللقاء يكفر أو يغشي وإخوان هذا الزمان كهذا الزمان رهين بالسرعة في كل شيء وقد أعدى كل مظر وف فيه هذه الخلة وابتلاه بهذه العلة. وأصبحت سرعة البريد كوسوسة الشيطان المرید من لم... تبك عند وروده فأغصصته ببروده وحكت نهاره وشروره حتى أصبح هذا... في معناه من سخافات هذا الزمن معايير لأخلاق النفوس وحكما في الغرائز الثابتة. وادرس ابن خلدون مثلا فهو يحكي أنه كان مقبلا بسكرة وإقامته بسكرة كانت سنوات عن... فجاءته رسالة من صاحبه الوزير بن الخطيب من غرناطة على طريق أخيه ابن يحيى بن خلدون كاتب أبي سمو بتلمسان وأقرأ الرسالة - اعلم تغررك بلجيج معانيها الزاخرة - وانظر كيف كان الوفاء في زمن الوفاء (أي البطيء) وهذا معدان تتصور وصول رسالة من غرناطة إلى بسكرة تتناولها أيدي السفار من غزاة وتجار وتعرضها عوائق من براري وتجتاز ممالك متحاربة وملوك غير متجانسة ولا متقاربة. وللفتن عواصف ورياح وقوابح اجتياح بين فرشاشة ورياح وللمرسل والمرسل إليه حزازات قتالة في صدور الدول والملوك وعقبات غير هيئة السلوك وكلاهما شجا في حلوق وشوك غير سهل العلوف. وهذا - رعاك الله - فن على حدة من الوفاء والأمانة وحفظ العهد. ثم انظر مقامه في مصر ورحلاته إلى الحجاز وكيف كانت تأتيه رسائل أصفياه كبن زمرك وقصائدهم تفيض بالوفاء والولاء وحفظ الغيب مع الحجاج الذين كانت آمالمهم ونيا تهم وطيا تهم معلقة بريح ربما تهب أو لا تهب كما قال شاعرهم الأندلسي في ثغر من ثغورهم يذمه:

بلدة لا تمار إلا بريح \*\*\* ربما قد تهب أو لا تهب

ولعلنا قد لمسنا موضوعا أديبا نفيسا تاريخيا لا نحسن العوم في آديه المترابك... الساحل منجاة. وإن هذه الحرب لحقيقة بالدراسة لا من ضحاياها وبلاياها... فالعصر عصر مادة وأهله أحرص من أن تحضهم على حصر هذه النواحي المادية وإحصائها ودراستها والتأريخ لها كأنها هي كل شيء وإنما الجهة الحقيقية بالدراسة في نظري وأخشي أن يغفلوا... الأمم هي تأثيرها في النفوس... والله كانت هذه الحرب تسجية وحدها في نسيج الطباع على غير منوالها وتركيب الأشكال وكانت غريبة الإساءة والألحام وإشرب الغرائز المتنافرة وإحاطها شر إحام. فتأمل هذا الفصل واقراه في النفوس لا في الكتب فهو لم يكتب بعد. وأحذر أن تقابل به المسامع بالصك فهو كما قالوا في الورد يشم ولا يحك وهذا أيضا من ذلك. كانت لرسالتكم عندي قيمة لا يمكن تصورها إلا لنفس كنفسي ولا يمكن تصويرها حتى لنفس كنفسم ولقد كانت وصلتي أخبار ذلك الثغر مقطعة مبتورة أو مغطاة مستورة، إذ ما من أحد من أصحابها إلا وهو كالمأسور في قبضة الأس نسور ومن الآذان أذن ساعة حتى لنجوانا ومن الأعين عين لماعة حتى للخفي من هوانا.

وراء الآذان والأعين نفوس لم تنطو لنا على خير تستخرج النتائج من غير مقدمات وتحمل الدوال غير مدلولاتها وهذا أيضا من ذلك. فكانت رسالتكم - محمد الله - سالمة من ذلك كله، فكانت مؤدية لما أدته بجلاء ووضوح وأعان على ذلك أن لكم موهبة في التنقيب ومملكة في التقصي ونفسا حريصة وذهنا صيودا وعناية بالمسألة المشتركة ووزنا للصغائر والكبائر كلا بميزانها وديببا في سرائر النفوس لتصحح القيم والحلال قلما رأيت منها حضا وافيا عند سواكم - ولست أظيركم وولأطراء في غير مقام المباشطة من خلقي ولكني رجل جعل الله - فيما جعل - من أسباب محنتي وبلائي أنني أرد كل شيء من أحوال الجماعات والأفراد إلى هذه اللطائف النفسية الروحانية التي ماتها يد الله في العجينة الإنسانية كما يماث الملح في الماء. لا أعني أنني انفردت بهذا فهذا سر الفلسفة الخلقية في أخفي مكائنها. وهو السر الذي قاد عارفون بالأمم من مصلح خير إللكائد. متبر وغما اعني أنني أغلو فيه وفي نتائجه في حين غفل عنه حتى قواد الشعوب ومربوها واستزلم عنه الاعتداد على ظواهر غرارة وقوات جرارة. ومن غرائب هذا العصر عصر البريق والاستهواء أن أساتذة هذا العلم في كليات أوروبا الراقية يقرؤون هذا العلم النفساني وما اتصل به كما يقرئ مشائخ الزيتونة والقرويين مثلا علم النحو لا على أنه ضوابط أو سلم يوصل إلى سر العربية وفقه بيانها بل على أنه علم قائم برأسه قنار وعلى رجله وفيها جوربان في خفان في (نعلان) زكارة في النحاة(1) وله يدان في إحداها عكاز وفي الأخرى قفاز وبينها عدد من... الممتاز.

كذلك حال أصحابنا النفسانيين في أوروبا الراقية يمدون هذه النفسيات بأنفسهم الرقيقة ويطبقونها على تبجحهم وزهوهم على تلك البدوات التي تبدو من الصبية في أيام الفطرة الأولى التي لا تفاوت فيها ولا تعقيد والتي كانت أعراياتنا في الجاهلية أوفر علما منهم فيها. فإذا وصلنا معهم إلى العمليات لم نجد شيئا إما انقيادا لما انقاد إليه نحوينا وانغمسا في ضلالهم وإما استخفافا بالنتائج العملية وتهاونا بالعلم وإما وهو الأكثر جريا في عنان المدنية الحرقاء التي تقطع المد على كل ذي جد وتكرم نزل كل ذي هزل والتي غابتها شهادات ورسميات وأساء بلا مسميات ولعل منهم من سمع بعض فقهاءنا ما ورد في الوعيد لكاتم العلم فأراد الاستحلال من هذا الوعيد ببيان العمليات النفسية لعباد السياسة وذياب الاستعمار يلتمهم كيف تؤق الأُم الضعيفة والشعوب الجاهلة من الثغر النفسية وكيف تمد لها حبال الغي وتسد عنها كوى النور وكيف تقدم لها الأساء الحسنة تحمل المسميات الحسنة وكيف يطال لها طول الصبا بأعابته ثم تدرج في أطوار مجردة من كل شيء إلا من مغالطة النفس للنفس وكيف يقدم لها هذا السم فتشربه درياقا نافعا ويتقدم لها اللص فتعقده ناسكا ترجو المتوبة من وراء الإحسان إليه وهكذا وهكذا هي النتائج العملية لهذا العلم الجليل عندهم. وما أراها إلا مسروقة من فنون الرياضة البدنية عندهم ولكن رياضة على قوة البلع والازدراء للأُم لا للغم وكما لا يمتحن نحائنا تلاميذهم إلا في قواعدهم وحفظها نظريات مجردة ينكرها سبويه... ولا يلتفتون إلى أثر العلم في النفس واللسان - كذلك لا يمتحن هؤلاء النفسيون تلاميذهم إلا في نحو هذه وكما لا يمتحن نحائنا تلاميذهم إلا في قواعدهم وحفظها نظريات مجردة ينكرها سبويه... ولا يلتفتون إلى أثر العلم في النفس واللسان - كذلك لا يمتحن هؤلاء النفسيون تلاميذهم إلا في نحو هذه القشور من غير اعتبار ولا التفات إلى أثره في أنفسهم. دليلي المحسوس على هذا أنني ما اجتمعت بدكتور من الفلاسفة ولا بأستاذ جليل... مشار إليه في علم النفس والأخلاق والتربية - والتربية معناها الفرق بين الفضيلة والرذيلة طبعاً ومن أول خطوة - ما اجتمعت بواحد من هؤلاء ولا من تلاميذهم من الشرق والغرب إلا ووجدتهم ابعد الناس وأشدهم خلواً من نتائج وثمرات هذا العلم وما اتصل به. وكما يسهل عليك أن تعرف دكتوراً في الطب ينهى عن الخمر ويدقق في مضارها لأنه أعلم الناس بذلك ثم يعاقرها صباحاً وعشياً.

كذلك يسهل عليك أن تجد مثله في الأخلاق وعلم النفس ثم تجده من أخصب خلق الله أخلاقاً وأشدهم فساد نفس. والفرق أن مبنى المدرسة والأستاذ والامتحان والشهادة والشهرة والجاه واللقب والمتاع - مبنى هذا كله على كلمة اعلم لا على كلمة اعمل. ومن ما رأي في هذا فالعجم بالباب وعلى المغلوب منا إقامة شهر في قرية افلو بشروط أهددها أنا قبل المناظرة بيوم وهي وإن كانت ثقيلة لكنني لا أتهم فيها بحيف لأنها إما لي وإما علي وستكون أنت من لجنة التحكيم.

أنا يا ولدي كالأسير، الجناح كسير ولكن طرف الفكر غير حسير. وإنتي أفكر فأجد أن آملنا العلمية في المستقبل يجب أن تكون مصحوبة بإعداد في الحاضر والإلا كانت من أماني الباطل ويجب في هذا الإعداد أن يكون مساوياً لتلك الآمال وموفياً عليها وهذا الإعداد مظهره الأول في الرجال. ولقد كانت هذه الحرب معياراً لرجالنا الذين كنا نعددهم ونعدهم ونستمد منهم ونمددهم... غربالاً لا يمسك الصالح ويطرح الزران. وما كنت أظن أن آثار الحرب تتغلغل هذا التغلغل إلى مدارج ليست لها في طريق مها كانت هذه الحرب جياشة عارمة. وما للحرب ولطبائع العلماء المصلحين الدينيين؟ وأين تلتقي هذه وهذه؟ كان معقولاً أن تصيب الحرب أبدانهم لأنها معرضة لذلك. فأما أن تصيب مبادئهم وأعمالهم الدينية فقد كان بعيداً.

فإذا قال قائل: إن نفوساً دينية عاملة للدين مصطبغة بالدين وحرماً مادية نهمة يثيرها الحقد ويؤثرها طلب المجد - لا يلتقيان بالطبيعة وإنما يلتقيان بالضباعة... إلا إذا كانت الحرب دينية مرجعنا إلى أن هذه الحرب غريبة عن تكيف النفوس ولو كان المجال واسعاً حاولت لتليل ذلك وتحليله.

إنتي لست أفكر ولا انشغل بالنيل من حظنا من نتائج هذه الحرب. فيقيني الذي لا يتزعزع هو أن حظوظ الأُم من الحياة هي ثمرة استعدادها للحياة، فلنستخرج حظنا مما نعلمه من أنفسنا من استعداد. وإذا أجرينا هذه العملية بلا مغالطة وجدنا حظنا من الاستعداد صفراً. وأسفاه. وإنما تفكيري الذي يملأ على خواطري بالرعد والبرق منذ أشهر في هذه الآثار النفسية السيئة التي اثرتها الحرب فينا. ومعلوم أننا ممن لا ناقة له في هذه الحرب ولا جمل. فلسنا قاصدين أحداً مجرب ولا نحن مقصودون بها قصداً أولياً. وإنما نحن فيها على مقربة من قول الحارث بن عباد في حرب البسوس: لم أكن من جناتها - علم الله وأن بحرها اليوم صالي - فنحن في السلم نشقى ليسعد غيرنا وفي الحرب نموت ليحيا غيرنا ثم لا ثم.

تلك التربية الإدارية المذبذبة التي تغلغت في القطر بعد الحرب الفارطة والتي ارتكزت على أساليب من التفريق والتزويق وتفكيك الأوصال لا يمتدي إليها حتى الشيطان - كنا نعلم أن تلك التربية لا بد لها من أثر في النفوس الضعيفة ولكننا ما كنا نظن ولا توهم أنها تنتهي إلى

هذا الإفلاس المرعب. بل كنا نظن أنها تنتج خلاف المقصود بها: تنتج صلابة في الأخلاق ومنانة في الطباع وثبات في العزائم لأنها تربية مفصوحة المقاصد بل لا أبغي إذا قلت أن الناشرين لتلك التربية لم يكونوا يرجون منها عشر من النتائج مما أسعد حظهم.

ولقد كانت الحرب الماضية أربك نتيجة على المسلم الجزائري وعلى العالم الإسلامي كله من هذه الحرب. ..في أثنائها السعة واليسار واكتسب بعدها اليقظة والانتباه والحماس ومن فضلها عليه أنها نزعته من نفسه الخوف والرعب وفتقت لسانه عن المطالبة بحقته وو التصميم من تلك المطالب إلى غير ذلك مما يعد عند المفكرين نتيجة مثمرة. أما هذه الحرب فحسبك من آثارها السيئة فينا هذا الوجوع العام، وجوع الذل والخزي. وهذا مع أن نتأجها القريبة هي ما تعلم وأعلم، فكيف لو... جرتني إلى كتابة هذه اللوحة الدالة على كثير بعض فقرات في رسالتكم حديثاً عن بعض رجالنا ذكرتني سلسلة طويلة متناسقة من الحوادث ودلنتني على أن اثر هذه الكارثة في أولئك الرجال كأثر الحمى في تغيير الطعوم. فهذا الطراز من قومنا قد تغير طعم الأشياء هي ذوقه ولا سبب لذلك إلا أن طائف الخور طاف بتلك النفوس فأصبحت تحرم اليوم ما كانت توجهه بالمس وتعد من النقائص لغيرها ما كانت تعده لنفسها من الكمالات.

حكيمت عن بعض الإخوان أنه قال: إن آخر عود من فلانة يكسر أو يعور ولا ادري أي جراحة أبقته فلانة تصلح للتكسير والتعوير؟ لعمرك إن هذا الكلام جسماني لا روحاني. أما أصحاب الأرواح العالية والهمم والشرف فعلى الجسوم العفاء. ويقولون مع المتنبي:

يهون علينا أن تصاب جسومنا \*\*\* وتسلم أعراض لنا وعقول

إن من المؤسف أن تعد الأمم هذه الحرب فاصلة بين عهد وعهد وجيل وجيل.

اتمى.

في تاريخ 9 شوال 1359 من منفاه بمدينة آفلو.

## 10- رسالة من الإبراهيمي إلى مفتي بلاد التوحيد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمهما

الله (\*)

حضرة الأخ الأستاذ الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مفتي المملكة العربية السعودية، أطال الله بقاءه. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد، فإنني أكتب إليكم (كتب الله لنا ولكم السعادة والتوفيق) وأدام علينا وعليكم نعمة الإيمان وأتمها، أذكركم ما لستم عنه غافلين من حال إخوانكم الجزائريين المجاهدين، وما هم فيه من الشدة والحاجة إلى العون والإمداد، وما أصبحت عليه الأمة الجزائرية كلها من ورائهم من البؤس والضيق.

أذكركم أنّ لكم بالجانب الغربي من وطن العروبة ومنابت الإسلام الأولى ومجرى سوابق المجاهدين الأولين لإخواناً في العروبة وهي رحم قوية، وفي الإسلام وهو سبب مرعي، وفي ذلك المعنى الخاص من الإسلام وهو السلفية التي جاهدتم وجاهد أسلافكم الأبرار في سبيل تثبيتها في أرض الله، وقد لقوا من عنت الاستعمار وجبروته ما أتهمهم وأهم كل مسلم حقيقي يعلم أنّ الإسلام رحم شابكة بين بنيه أينما كانوا، وأنّ أقل واجباته النجدة في حينها والتناصر لوقتته.

مضى على ثورة إخوانكم الجزائريين التي انتصروا بها لله ولدينه أربعة سنوات، وما فترت لهم عزيمة ولا بردت لهم فيها حمية، وأراهم الله من آيات نصره للفئة القليلة على الفئة الكثيرة ما دل على إخلاصهم له، وصدقهم في معاملته، وقد شهد لهم العالم حتى أعداؤهم فيما أظهروه من ضروب الشجاعة المقرونة بحسن التدبير والتقدير، وبالواقف الجليلة المبيضة لوجه الإسلام التي بعد العهد بمثلها، غير أنّ الحرب كالحبلى لا ندري ما تاد ولا على أية حال تسفر.

أيها الأخ، إنّ العالم المسلم (خصوصاً من أهله الله للقيادة مثلكم) مؤتمن على دين محمد صلى الله عليه وسلم، ومن تم فهو مسؤول عنه، فإمّا له إن قام بما يجب عليه من التثبيت له وتمكينه في الأرض والدفاع عن حقائقه؛ وإما عليه إن فرط في تلك الأمانة، وإنها لتقيلة.

إنّ الواجب الذي يفرضه الدين على أمثالكم أن تقوموا لله بحملة صادقة أتم أهل للقيام بها في قضية الجزائر؛ فتوجهوا نداءً جميراً إلى المسلمين الذين يشهدون الموسم ليحملوه إلى من خلفهم من المسلمين حين ينقلبون إلى أوطانهم؛ تحضونهم فيه على مساعدة إخوانهم مجاهدي الجزائر، وتبينون لهم ما يترتب على قعود المسلمين عن نصره إخوانهم الجزائريين من آثار، أيسرها أنّ الاستعمار المتساند سينتقم، إن انتصر، لنفسه من المسلمين انتقاماً عاجلاً، وإنّ طرق الانتقام لكثيرة، وإنّ وسائله جميعها في يده. ثم توجهوا نداءً خاصاً إلى إخواننا سكان المملكة العربية السعودية تحرضونهم به على الجهاد بالمال، وأنه قرين الجهاد بالنفس بل هو مقدم عليه في كتاب الله العزيز، وإنّ المال لهو الركن الركين في نجاح

(\*) نشرت بآثار الإمام الإبراهيمي، ج5، ص: 221-223.

إخوانكم المجاهدين، و قد قام الشعب الجزائري وحده بهذا الواجب في سنوات الثورة كلها، وكل ما وصله من إعانات مالية كان نوافل، أما الآن فإن الشعب مضيق عليه و محصور، و قد انقطعت به الوسائل المالية، فالتجارة معطلة و الفلاحة كذلك و الشعب الذي هو تحت قبضة العدو اشتد عليه الخناق و أرهقته المظالم و المغارم، و شنته القتل و التشريد، فقد مات منه نحو مليون شخص كلهم من المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان، و أخرج منه نحو ذلك العدد من ديارهم حفاة عراة لا يملكون قوت يومهم، هائمين على وجوههم إلى مراكش غرباً، و إلى تونس شرقاً، كل ذلك انتقام من الجيش الفرنسي الذي عجز عن قمع الثورة و القضاء على جيش التحرير المسلح، فلجأ إلى هذه الوسائل الوحشية.

و هذه البلايا التي يصعب الاستعمار على الشعب الجزائري الأعزل بهتت التكاليف المالية على جيش التحرير الجزائري، فأصبح مطالباً بالإتفاق على نفسه في التسليح و توابعه، و بالإتفاق على هؤلاء المشردين من الشعب، و نبشركم بأن الجيش و الشعب كلاهما محتفظ بمعنوياته على أكمل ما يكون و كلاهما مصمم على مواصلة الكفاح حتى النصر أو الموت.

و قد كان جيش التحرير مؤلفاً في أول أمره من ثلاثة آلاف مقاتل، فأصبح بعد أربع سنوات مؤلفاً من أكثر من مائة ألف مقاتل مسلح بما يلزم من السلاح على أكمل تنظيم و أحسن تدريب، و هو في كل يوم يذيق عدوه ألواناً من الهزائم. و الحمد لله.

نحن نعلم أن المملكة العربية السعودية قامت بواجبها في فترات متباعدة، و لكن ذلك كله كان دون ما يطالبها به الإسلام، لا في المبالغ المالية التي قدمتها، و لا في المواقيت التي كانت تقدم فيها هاتيك المبالغ، و فضيلتكم تعلمون أن المعونة كالغيث إنما تفعل فعلها و تؤتي ثمرتها إذا جاءت في الوقت المناسب.

أيها الأخ الجليل، إن الثورة الجزائرية تعدكم كهفها الأحمى، و إن موقفاً منكم في سبيلها كالمدم في وقت الحاجة إليه، فهلا صيحة منكم تحرك النفوس الجامدة إلى البذل في سبيل الله، و تهز المهم الخاملة فتتبارى في سوق بضاعتها شرف الدنيا و عز الآخرة، و قيامها مال زائل و حال حائل.

أيها الأخ الكريم، هذه رسالتي يحملها إلى مساحتكم و فد جبهة التحرير الجزائرية إلى المملكة العربية السعودية، لمناسبة موسم الحج و للاتصال بالحكومة السعودية الموقرة في شؤون المجاهدين الجزائريين التي أهمها تسلم المبالغ المالية التي تبرع بها الشعب السعودي الكريم، فالرجاء أن تأخذوا بيد الوفد المذكور و أن تكونوا عوناً لدى المراجع الحكومية العليا حتى يقضي حاجته و يؤذي مهمته على أكمل وجه.

أيها الأخ، هذا عرض عرضته عليكم و أتم تعلمون ما أكنه لساحتكم من التقدير و الاحترام و الاعتراف بمكانتكم في الدولة و الأمة. و تقبلوا في ختام حديثي إليكم تحياتي الأخوية الخاصة.

القاهرة 13 يونيو 1958

من أخيك محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين

## 11- رسالة: دمعة على المنصف(\*)

يعزّ على هذا القلم الذي لا يكاد يجف مداده، ولا تنقطع من القرية أمداده، أن تصاب تونس العزيزة في مناط أملها، بل في نياط قلبها، فلا يُسمع له جرس، ولا يصير بكلمة على طرس.

يعزّ على هذا القلم الذي يراه الباري لينضح العسل المصقّى للمقسطين، وينطف الصاب والحنظل للقاسطين، ويرسل الحُم مدراراً على المستعمرين، أن تنتهي مظلمة المنصف إلى غايتها الشنعاء من موت الغربية، ومهانة الأسر، وتعتت الاستعمار، فلا يشبها شعواء على التعتت والمتعتتين.

يعزّ على هذا القلم الذي شدّ الحق أزره، وسدّد المنطق رمايته، أن يموت المنصف غريباً، مظلوماً، مسلوب التاج، فلا ينفث كلمة تبعث الشجى وتثير الشجن وتحلّ عقدة الرواية.

يعزّ على هذا القلم أن يصرخ الناعي لموت المنصف فلا يجري، وأن يتؤّب الداعي بمرى الشؤون فلا يجري، وأن تطير نفس تونس الولهانة شعاعاً فلا يتقسّم شظايا، وأن يجب حق الجار فلا يكون أولّ الناهضين بفرضه.

يعزّ على هذا القلم أن تقف به الأقدار موقّف السيف من يد الجبان، وأن يقعد من ورائه كلالُ الذهن، وجمود القرية، وفتور الأعصاب حائلات بينه وبين القيام بالواجب.

لو مات المُصنّف بالأغواط، لطافت الجزائر بجثائه عدة أشواط، ولذهبت فيه مذهب العرب في "ذات أنواط" ولغسلته بالعبرات المسفوحة، وكفنته بألفاف القلوب، ودفنته في مستقرّ العقيدة والواجب من نفوسها.

(\*) نشرت في العدد 49 من جريدة «البصائر»، 13 سبتمبر سنة 1949.

ولو مات "بتأس" لتاهت فخرًا على الثغور، وباهت بيوم موته أيامها في غابات العصور، ومحت بهذه المنقبة جميع ما وسماها به الشعراء من شين، ووصموها به من نقص.

ولو مات بأية بقعة من أرض الجزائر لكانت هي تونس نضرة واخضرارًا، ولأكنسبت الجزائر بجميع أقطارها شرقًا من مات ميتة الشرف فيها، ولقبست معاني عالية من الفداء والتضحية بعد عهدها، ولغممها نضرة ساطعة من عز الإمارة حرمتها الأنوف الشم من أبنائها منذ أيام عبد القادر، ولتسمعت نغمة ساحرة عطلت آذانها منها من عهد عهيد.

إي والله، لو مات المنصف في الجزائر لمات في وطنه، وبين أهله، وفي أمة وفيه متعطشة للعز والسيادة، مستشرفة إلى حيث تنقطع علائق الطموح، لا يقل تقديرها للعطاء أمثال الفقيه عن تقدير أختها تونس لهم، ولا يقصر فهمها لمعاني العظمة في الرجال عن فهم أختها تونس لها، ولكنه مات بـ"بو"، في دار غير داره ووطن غير وطنه وناس غير ناسه، لم يستشقق مع حشجة الموت نفسًا من أنفاس وطنه العزيز، الذي لقي الأذى في سبيله، إلى أن مات في سبيله، ولم يكتحل عند إغاضة الموت بمنظر من تلك المناظر التي كانت هوى قلبه، وشغل خواطره، وصبابة نفسه، ولم يتجزع مع غصة الموت نطفة من ذلك الماء الذي كان يحمي حوضه، ويحرم على المكدرين حوضه.

وما زالت الموارد للتحوتف موارد، وما زالت الدنيا تُحلى المنيا! وما زالت الأوطان محتاجة إلى هذا النوع السامي من الهمم والعزائم، وإلى هذا الطراز العالي من الرجال، وإلى هذا النوع اللطيف من أنواع الموت! وإلى هذه الدماء الزكية التي تشعب حمراء كالحرية، نقيّة كعقيدة الحق، تجري فتكتسح ما في نفوس الأمم من خور وفسولة.

إن موت العطاء حياة لأهمهم، فإن كانت في الغربية زادت جلالًا، فإن كانت نتيجة للظلم زادت جلالًا، فإن كانت في سبيل الوطن كانت جلالًا وجلالًا، فإن صحبها سلب العز والملك كانت حلية وكمالًا، وكل ذلك اجتمع في موت المنصف.

مات نابليون غريبًا في جزيرة القديسة "هيلانة"، ونابليون من زادوا في تاريخ فرنسا. صحائف بيضاء، وفي مجدها الحربي أساطين رفيعة، فما كانت موته الغربية ثلثة في فرنسا، لأنه مات وفرنسا بيد الفرنسيين.

ومات عبد الحميد أسيرًا في سجنه- وعبد الحميد أكثر أساء الخلفاء سيورورة على الأفواه- فما بكت عليه سماء ولا أرض، لأنه مات وتركيا بيد الأتراك.

ومات غيرها من الملوك والعطاء في غربة وظلم، فكان من ورائهم ما يخفف الفجيعة فيهم، ويلأم ببعض العزاء ما تصدع بموتهم. ولكن... ولكن موت المنصف في قرية نائية من قرى فرنسا- غريبًا عن وطنه وأمنته، مظلومًا في عرشه وملكه، مسلوب التاج، مخفور الذمام- مصيبة يزيد في معناها الشنيع معنى، وهو: أنه مات وتونس ليست للتونسيين!! وأنه مات وتونس ليست طليقة، وهي بالانطلاق خليقة!

عزاء للوطن المنجوع فيك يا منصف، وسلوى للقلوب المكلومة بموتك- وما أكثرها- يا منصف! وجزاء تلقاه في هذه الدنيا طيب ذكر، وعند ربك ثمين ذخر، وهيات أن تجزيك الجوازي من هذه الأمة التي نهجت لها نهج الكرامة، وشرعت لها سنن التضحية، ولقنتها هذا الدرس السامي من الثبات والإباء والشم، وعلمتها كيف تموت الأسود جوعًا وظمًا، ولا تطعم الأذى، ولا ترد القذى.

حمد المقل يا منصف! ونظار حتى يعاود النشاط هذا القلم، وينحسر الركود عن هذه القريحة، وتنجلي غمرة الأسى، فيتوافى القلم والقريحة على تجلية العبر، من سيرة ليست كالسير.

## 12- برقية تعزية في وفاة المنصف باي (\*)

نص البرقية التي أرسلها الرئيس الجليل إلى الأمير محمد الرؤوف نجل الفقيه، والأمير الهاشمي، والأمير حسين، والأمير محمد إخوة الفقيه، في تعزيتهم عن الفجيعة التي حلت بهم وبالأمة التونسية جمعاء: قسنطينة يوم السبت 4 سبتمبر 1948.

إن وفاة صاحب الجلالة سيدي محمد المنصف كارثة عامة يشارككم في الحزن عليها المسلمون عمومًا وسكان شمال أفريقيا خصوصًا. ويزيد آثارها الدامية تمكثًا في النفوس ما أحاط بها من ظروف الغربية والظلم.

إنني باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومن ورائها الأمة الجزائرية أعرب لكم عن الأسف العميق لهذه المصيبة، وأتقدم إليكم وإلى الأمة التونسية بالتعزية الخالصة.

محمد البشير الإبراهيمي

## 13- كتاب مفتوح إلى الأعضاء المسلمين بالمجلس الجزائري (\*)

(\*) نشرت بجريدة " البصائر"، العدد 49، السنة الثانية، 13 سبتمبر 1948، وآثار الإمام ج2، ص: 242.

أيها السادة:

اسمحوا لنا حين سميناكم أعضاء ولم نسمكم نوابًا فإننا ممن لا يكذب على الحقيقة؛ وكل عاقل يعرف الوسيلة التي تذرّعت بها إلى هذا المنصب، يستحي أن يستيكم نوابًا بمعنى النيابة الذي يعرفه الناس؛ وإنما أتم أعضاء تألف منها هيكل غير متجانس الأجزاء لا يجمع بينها إلا معنى بعيد، وعامل غريب، ومصلة ليس لكم ولا للأمة منها شيء: وإنما أتم موظفون، لكم من النيابة لفظها وحروفها، ولكم من الوظيفة معناها وحقيقتها، وما دامت الانتخابات بالعصي فأبشروا بطول البقاء في هذه الكراسي.

النيابة وكالة عن جمهور؛ والشرط في الموكل أن يكون حرًا مختارًا مطلق التصرف. ولا أخرج عواطفكم بذكر شروط الوكيل؛ فليت شعري إذا قال النواب الأحرار: نحن وكلاء الأمة، ونحن اختارتنا الأمة. فماذا تقولون؟

إن لكل عيب سترًا يغطيه. وقد ستروكم بكلمة "مستقل" فما زاد العيب إلا افتضاحًا، لأن هذه الكلمة قد وُضعت في غير محلها.

إن من المناظر التي تثير العبر وتُسيل العبرات في هذه الانتخابات أنكم كنتم ترون كما يرى الناس صندوقين للانتخاب في قرية واحدة أو شارع واحد يدخل الأوروبي إلى أحدهما منشراح الصدر باسم الثغر حر التصرف مطلق الإرادة والاختيار، فيعطي ورقته لمن شاء، معتقدًا أنه أدى شهادة خالصة للحق لم يراع فيها إلا مصلحة جنسه ورضى ضميره.

ويدخل العربي إلى الآخر خائفًا وجلًا منزعجًا مسلوب الإرادة والحرية لا يرى حوله إلا إرهابًا وسلًا وألسنة تتوعد، وأيديًا تتهدد، وأعينًا ترمي بالشر، ويعطي ورقته لمن يُراد منه لا لمن يريد، إن من يرى هذا المنظر لا يعجب إذا رأى بعد ذلك أن الفائزين في الصندوق الأول نواب وإن اختلفوا في المبادئ، وأن الفائزين في الصندوق الثاني نواب وإن سموا أنفسهم "مستقلين".

يا قوم: نحن وأنتم من أمة جرى عليها القدر بأن يفرض عليها الاستعمار كل شيء فرضًا، وأن لا يعتبر رأيها حتى في أمس الأشياء بحياتها، وأن لا يسمع لها صوتًا ولو ردّد صدها المشرق والمغرب. آية ذلك أن الأحزاب الفرنسية من اليمين إلى اليسار - وشأنها الاختلاف في كل شيء - اتفقت على احتقارنا وعدم المبالاة بنا في شيء يخصنا وهو دستور الجزائر، فوضع كل حزب للجزائر دستورًا بنى أصوله وفروعه على ما يوافق هوى حزبه لا على ما يوافق مصلحة الجزائر ورغبة أهلها؛ كأن الوطن موات، وكأن أهله أموات، وكأن تسعة ملايين مسلم كلهم أطفال قاصرون يتحكم في مصالحهم الأوصياء والقضاة وليس فيهم رجل رشيد.

وبين تنازع الأحزاب ومعاكسة الحكومة وُلد هذا الدستور الأبر الذي أتم ومجلسكم من ثمراته. ولم يوجد في الدنيا شيء يجمع بين كونه مسخوطًا عليه كأنه نعمة، ومحسودًا عليه كأنه نعمة، إلا هذا الدستور، فما أشبه هذه الأمة بقول القائل: "حتى على الموت لا أنجو من الحسد" وبين سخط الساخط وحسد الحاسد جرت أمور، ونُصبت جسور، وصلتم منها إلى هذه المقاعد؛ فهل أتم - بعد خمود الفورة والصحو من نشوة الفوز - شاعرون بواجبكم، ومقدرون لمسؤوليتكم؟

لا نطالبكم بما هو خارج عن نصوص الدستور، فما أتم لذلك بأهل. وما نحن بالذين نكلفكم الشطط، أو نطالبكم بما ليس في الطاقة، وأتم رجال، للوطن عليكم حق الأوبة، وللأمة عليكم حق الأمومة؛ فهل أتم عارفون بحقوق الأوبين؟ إن من لم يكن منكم عالمًا لن يخطئه أن يكون عاقلًا، ومهما بلغتم من المكائنة عند أنفسكم، أو بلغ بكم الحظ عند غيركم، فلن تستغنوا عن وعظ واعظ، ونصيحة ناصح، ولو شئنا أن نلقنكم درسًا مختصرًا في معنى الشرف والرجولة لقلنا لكم: إنه لا شرف في الوصول إلى ما وصلتم إليه بمثل الوسائل التي وصلتم بها، ولا رجولة لمن يرقص على الأشلاء والدماء والسجن والتعريم؛ ولكننا نعلم أن زماننا أملك بأحوالنا، وأن أحوالنا أشبه ببعضها من الغراب بالغراب، فلا نستنكر على من فرض الدستور أن يفرض رجاله، ولا على من ضيق نصوصه أن يضيق مجاله، ولا على من استعمل الإكراه في الدين، أن يستعمل الإكراه في الدنيا؛ وقبل النيابة كانت الإمامة، وقبل جحا كان أبو دلامة، ولعلكم تعلمون ما ورد في من أم قومًا وهم له كارهون، وعلى الائتمام به مكرهون ...

إن هذا كله لا يمنعنا من تأدية ما في ذمنا من واجب النصيحة. فاذكروا قبل كل شيء أن "الأصوات" التي وصلتم بها إلى هذه المقاعد هي أصوات إخوانكم المسلمين. تقولون إنها جاءت عفواً من غير ظلم، وتقول الحقيقة إنها كانت عدوًا بغير علم. وليست أصوات اليهود والإسبان، والفرنسيين والطلليان، فكل جنس ألزم طائرته في عنقه؛ ولو أن أحب الناس فيكم، وأحوجهم إليكم، وأعظمهم مصلحة في وجودكم، أراد أن يرفعكم على أعناق غير أمتكم لما استطاع، ولو استطاع لما سمح نفسه بذلك، لأنكم - وأمتكم معكم - أحط قدرًا في نظره من ذلك، فاذكروا حقوق أمتكم عليكم في النهايات، إن لم تذكروها في البدايات، واذكروها في النتائج وإن أغفلتموها في المقدمات، واذكروها عند اقتسام المصالح لعلها تغفر لكم بعض السيئات.

(\* نُشرت في العدد 33 من جريدة «البصائر»، 26 أبريل سنة 1948.

إن دينكم ودين أمتكم الإسلام، وقد عدت عليه عوادي الاستعمار، فابتلع أوقافه، واحتكر التصرف في مساجده ورجاله، وتسامح مع الأديان كلها فبت حبلها من حباله إلا مع الإسلام، وقد طالبت الأمة بفصل دينها عن الحكومة كما انفصلت الأديان، وبتسليم مساجدها وأوقافها إلى يدها لأنها أحق بتسييرها والتصرف فيها، ولأن الإسلام نفسه يوجب عليها ذلك، كما طالبت بفصل القضاء الإسلامي - وهو جزء من دينها - عن القضاء الفرنسي، لأنه لا يتحاكم إليه إلا المسلمون فيما هو من خصائصهم، كما طالبت بحرية الحج لأنه ركن من أركان دينها لا تتمكّن من إقامته على وجهه إلا إذا كان مطلقاً من القيود.

طالبت الأمة بهذا الأصل الذي هو "الفصل" وبجميع فروعه المذكورة، وألحت في الطلب، واختارت المناسبات، واستعملت الوسائل، فما كانت تلتقي إلا الآذان الصماء، والوعود الجوفاء، إلى أن فرض عليها "دستور الجزائر"، فجاء بمادة صريحة في فصل الإسلام عن الحكومة الجزائرية، وكان النص على ذلك صريحاً لا يقبل التأويل، ووكل تنفيذ ذلك إلى المجلس الجزائري، ونحن نعلم أن هذه القضية ستعرض على المجلس، وأنه صاحب الاختصاص فيها، والمسؤولية عنها، وأن الحكومة ستريدم على إبقاء ما كان على ما كان، أو تعرض عليكم حلولاً لا تحقق رغائب الأمة، أو برنامجاً من سلاطة الدستور، فيه من مشابيه النقص والتشويه، فماذا أتم صانعون؟ إن المسألة مسألة دين وأمة، وإن الأمة بالمرصاد، وإن جميل الحكومة معكم لا يكون ثمنه مقتطعاً من حساب القضية الدينية.

وإن لغتكم العربية مصفدةً بالسلاسل والأغلال من القوانين والقرارات، وإن مدارسها - على ضعفها وقتها - معرّضة للإغلاق. وإذا كانت اللغة سائرة إلى المحو والاندثار بسبب هذه التضيقات فإن النتيجة الحتمية لذلك هي محو الدين واندثاره لأنها الوسيلة الوحيدة التي يتوقف عليها حفظه وبقاؤه.

أندرون لماذا أوقف البرلمان الفرنسي تنفيذ قانون الفصل عليكم، مع أنه لو تولى تنفيذه لأراح واستراح؟ إنها لعبة شيطانية بكم من دهابة الاستعمار، إنها توريط لكم، إنهم يريدون أن يحزّوا النار بأيديكم، إنهم كانوا على اتصال بالحكومة الجزائرية، وكانوا على ثقة من أن المجلس الجزائري سيتم كما يريدون - وقد تم كما أرادوا - وأنهم لا ينتخبون له إلا كل سامع مطيع، وأن الحكومة الجزائرية ستوحي إليهم بأن لا يرضوا بفصل الدين عنها فنكون النتيجة التي تديعها فرنسا في العالم أن المسلمين هم الذين لم يرضوا بانفصال دينهم عنها، فتفوز مرتين، ويخسر المسلمون شيئين: الدين والسمعة.

إن هذه المكيدة ستلتصق بكم سبة الدهر وستجعلكم أشأم على جنسكم ودينكم من عاقر الناقة. إن أوقافاً قبلكم وصلوا إلى ما وصلتم إليه، وارتقوا على أكتاف الأمة إلى كرسي النيابة ولكنهم خانوا العهد وأضاعوا الحقوق، فسجل عليهم التاريخ خزي الأبد وكلة المقت، فحذار حذار أن تكونوا مثلهم. وفي الماضي لمن بقي اعتبار، وإن أيام النيابة معدودة فاعمروها بالصالح الباقي.

#### 14 - إلى أبنائنا المعلمين الأحرار (\*)

أيها الأبناء البررة!

وصفناكم - في العدد الخاص بالمدارس - بما أتم أهله، وذكرناكم - ذكركم الله في الملا الأعلى - بالخير والجميل، وأرسلنا إليكم تلك التحية الأبوية الخالصة صادرة عن قلب يكن لكم الحب والتقدير والشفقة، راجين أن يكون رجح التحية منكم واجباً يؤدي على أكمل وجهه، وعملاً يحقق على أحسن حالته، وغايةً توصل بأسبابها من أقرب الطرق، وبأنفع الوسائل، لا كلاماً يذهب مع الريح، ولا قشوراً من الأعمال تضعيع الوقت، وتبعد الغاية، ولا أئيناً من الشكوى والتسخط يذهب بالصبر ويوهن العزيمة، وهما حلية الأبطال.

ها أتم هؤلاء تبوأتم من مدارسكم ميادين حماد، فاحرصوا على أن يكون كل واحد منكم بطل ميدان، وها أتم هؤلاء خلقتم مرابطة الثغور من سلفكم الذين حموا الدين والدنيا، ووقفوا أنفسهم لإحدى خطين: الدفاع الحميد، أو موت الشهيد، فاحذروا أن توثق أمتكم من ثغرة يقوم على حراستها واحد منكم، فيجلب العار والهزيمة لجميعكم، واعلموا أنكم عاملون، فمسؤولون عن أعمالكم، فمجزئون عنها من الله ومن الأمة ومن التاريخ ومن الجيل الذي تقومون على تربيته كيلاً بكيل، ووزناً بوزن.

(\*) نشرت في العدد 94 من جريدة «البصائر»، 7 نوفمبر سنة 1949

إننا- يا أبنائي- كنا أول من نام، وآخر من استيقظ، فمن الحزم أن لا تقطع الوقت في العتاب والملام، والحرب بالكلام، فإن ذلك إطالة للمرض، وزيادة في البلاء على المريض، ومن الحزم أن تتحاسب على الدقائق، إذا تحاسب غيرنا على الساعات، وعلى الأيام إذا تحاسب غيرنا على الأعوام.

إن وراءنا من الزمن سائئاً عنيماً، وإن معنا من العصر وروحه زاجراً خفيفاً، وإن أمامنا سبلاً وعرة، وصراطاً أرق من الشعرة، وإن عن أيماننا وعن شاتلنا عوائق من الدهر، ومعوقين من البشر، وإن في طي الغيوب، من القدر المحجوب، بوائق في أكمائها لم تنفق، وإن أدري أقرب أم بعيد ما أوعده الله الظالمين، ولكنني أدري أن العاقبة للمتقين، وأنا لا نغلب العوائق، ولا نتقي البوائق، إلا بإيماننا بالله، ثم بديننا، ثم بلغتنا، ثم بأنفسنا ثم بالحق الذي جعله الله ميزاناً للكون، وقيوماً على الكائنات، ترجع إليه صاغرة، وتقف عنده داخرة.

إن التقصير في الواجب يعدّ جريمة من جميع الناس، ولكنه في حقنا يضاعف مرتين، فيعدّ جريمتين، لأن المقصر من غيرنا لا يعدم جازراً أو عاذراً، فقد يغطي على تقصيره عمل قومه أو حكومته، وقد يقوم له بالعذر حاله الجاري على كمال مقنع؛ أما نحن فحالنا حال اليتيم الضائع الجائع، إذا لم يسع لنفسه مات. فإذا قصرنا في العمل لأنفسنا ولما ينعف أمتنا ويرفعها، فمن ذا يعمل لها؟ الحكومة؟ وقد رأينا من معاملتها لنا أنها تمنع الماعون، وتداوي الحمى بالطاعون، وتبارز الإسلام بالمنكرات، وتجاهر العربية بالعدوان. فمن ضل منا مع هذا فقد ضل على علم، ومن هلك فإنما هلك عن بينة.

وإن لما بيوء به المقصرون من الندامة لمرارة، تجتمع في العقبى مع الخسارة، فيكون منها حال من الحسرة يحلو معه يخج النفوس، وإتلاف المهج؛ وتلك هي الحالة التي نعيذ أنفسنا ونعيذكم بالله من تسبب أسبابها، وتقريب وسائلها؛ وقد نهى ديننا الإسلام عن التقصير في الواجبات، ونهى التنريط في الحقوق، وبيّن آثاره وعواقبه، وحضّ على الأعمال في مواقيتها، وقبح الكسل والتواكل والإضاعة، فشرع لنا بذلك كله من شرائع الحزم والقوة وضبط الوقت والنفس ما لم يشرعه قانون، ولم تأت به عقلية، وما أخذنا بذلك إلا ليأخذ بحجرتنا عن التهور في الكسل والبطالة، ويقينا تجرع مرارة الندم، وحرارة الحسرة.

قصر آباؤنا وأجدادنا في واجبات اقتضاها زمانهم، وفرطوا في حقوق تقاضاها منهم مكانهم؛ بعد ما لاحت لهم النذر، وقامت عليهم الحجج، ودمغتهم البيئات، فغالطوا في الحقائق، وكذبوا بالنذر، وموهوا بالزيف، وغشوا أنفسهم بالأمانى والأحلام، وغشونا بالضلالات والأوهام؛ حتى مات من استيقظت شواعره منهم بحسرات الندم، ومات الغافلون منهم كما يموت الغفل من النعم، فلا حسرة أولئك أجدت علينا شيئاً، ولا غفلة هؤلاء أفادتنا شيئاً؛ وإنما أضاف تفرطهم الخجل واجباتهم إلى واجباتنا، فأصبحت حملاً ثقيلاً، هو هذا الذي نوء به وبنوء بنا، هو هذه الأعباء المرومة التي نحاول النهوض بها فيقيمنا الإيمان والأمل، وتثقلنا الكثرة والثقل، وإن من الظلم تكليف جبل بواجبات أجيال، وإن من الجور أن يحمل القرن الأخير أوزار القرون الماضية. ولو أنهم- ساحمهم الله- قاموا بواجباتهم أو ببعضها، لخففوا عنا الكثير، وهونوا علينا العسير، كما خففنا نحن وهوننا على الجيل الآتي؛ ولو أنهم غرسوا الشجرة، لقرّبوا منا جني الثمرة.

هذه هي حالتنا- يا أبنائي- نهدم ونرفع الأناقض ونبنى ونعمر في آن واحد، وتؤدّي فريضة الوقت وتقضي الفوائت على غيرنا في آن واحد، ثم تؤدّي الكفارات على ذنوب لم نجتريها... كل ذلك مع محاربة من الجار، ومشاغبة من الشريك في الدار، ومع وشل من المال لا يتم به العمل، ومثبطات من سوء الحال يتضاءل معها- لولا الإيمان- الأمل، وإنما لحالة لا يثبت معها إلا المؤمنون الصابرون الصادقون المخلصون المحتسبون، المؤيّدون بروح من الله، ونحن وأتم كل ذلك، إن شاء الله.

ها أتم هؤلاء تربيتم من مدارسكم عروش ممالك؛ رعاياها أبناء الأمة وأفلاذ أكبادها؛ تديرون نفوسهم على الدين وحقائقه، وألستهم على اللسان العربي ودقائقه، وتسكبون في آذانهم نغيات العربية، وفي أذهانهم سر العربية، وتديرون أرواحهم بالفضيلة والخلق المتين، وتروضونهم على الاستعداد للحياة الشريفة بعد أن تجتثوا من نفوسهم بقايا آثار المنزل الجاهل، والأب الغافل، وتقودونهم بزمام التربية إلى مواقع العبر من تاريخهم، ومواطن القدوة الصالحة من سلفهم، ومنابت العز والمجد من مآثر أجدادهم الأولين، ففقوا عند هذه الحدود، واجعلوها مقدّمة على البرنامج الآلي في العمل والاعتبار، وفي السبر والاختبار، واحرصوا كل الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم، واجعلوا الحقيقة الآتية نصب أعينكم، واجعلوها حاديتكم في تربية هذا الجيل الصغير، وهاديتكم في تكوينه، وهي: أن هذا الجيل الذي أتم منه لم يؤت في حيبته في الحياة من نقص في العلم، وإنما خاب أكثر ما خاب من نقص في الأخلاق، فمنها كانت الحيبة، ومنها كان الإخفاق.

ثم احرصوا على أن يكون ما تلقونه لتلامذتكم من الأقوال، منطبقاً على ما يرونه ويشهدونه منكم من الأفعال؛ فإن الناشئ الصغير مرهف الحس، طلعة إلى مثل هذه الدقائق التي تغفلون عنها، ولا ينالها اهتمامكم، وإنه قوي الإدراك للمعاني والكلمات، فإذا زينت له الصدق، فكونوا صادقين، وإذا حسنتم له الصبر، فكونوا من الصابرين، واعلموا أن كل نقش تنقشونه في نفوس تلامذتكم من غير أن يكون منقوشاً في نفوسكم فهو زائل، وأن كل صبغ تنفضونه على أرواحهم من قبل أن يكون متغلغلاً في أرواحكم فهو- لا محالة- ناصل حائل، وأن كل سحر تنفتونه لاستنزاهم غير الصدق فهو باطل؛ ألا إن رأس مال التلميذ هو ما يأخذه عنكم من الأخلاق الصالحة بالقدوة، وأما ما يأخذه عنكم بالتلقين من العلم والمعرفة فهو ربح وفائدة.

أوصيكم بتقوى الله فهي العدة في الشدائد، والعون في الملمات، وهي محبط الروح والطمأنينة، وهي منزل الصبر والسكينة، وهي مبعث القوة واليقين، وهي معراج السمو إلى السماء، وهي التي تثبت الأقدام في المزالق، وترتبط على القلوب في الفتن.

وأوصيكم بالرفق والأناة في أموركم كلها، وبخفض الجناح للناس كلهم، وابتقاء مواطن الشبه، واجتناب مصارع الفضيلة، وما أكثرها في وطنكم هذا؛ وإجرازالأسنة عن مراتع الغيبة والنميمة، وقطمها عن مراضع اللغو واللجاج؛ فهي - لعمرى - مفتاح باب الشر، وثقاب نار العداوة والبغضاء.

وأوصيكم بالابتعاد عن هذه الحزيبات التي نجم بالشر ناجمها، وهجم - ليفتك بالخير والعلم - هاجمها، وسجم على الوطن بالملح الأجاج ساجمها؛ إن هذه الأحزاب، كالميزاب، جمع الماء كدرًا، وفترقه هدرًا، فلا الزلال جمع، ولا الأرض نفع.

وأوصيكم بحسن العشرة مع بعضكم إذا اجتمعتم، وبحفظ العهد والغيب لبعضكم إذا افتقرتم؛ إن العامة التي ائتمتكم على تربية أبنائها تنظر إلى أعمالكم بالمرأة المكبرة، فالصغيرة من أعمالكم تعدها كبيرة، والخافته من أقوالكم تسمعها جهميرة، فاحذروا ثم احذروا...

أي أبنائي! إن هذا القلب الذي أحمله يحمل من الشفقة عليكم، والرحمة بكم، والاهتمام بشؤونكم، ما تنبت منه الجبال، وتنوء بجماله الجبال، وهو يرثي لحالك من الغربة والحاح الأزمت ويودّ بقطع وتينه لو أزيحت عللكم، ورقع بالسداد خللكم، ولكنكم جنود، ومتى طمع الجندي في رفهية العيش؟ وأسود، ومتى عاش الأسد على التذليل؟ وهو يشعر أن التذليل تذليل.

إنكم - يا أبنائي - رجال حركة، فلا تشينوها بالسكون، وأبطال معركة، فلا يكن منكم إلى الهويونا ركون.

وإنكم رجال جمعية العلماء، فشفروا جمعية العلماء.

### 15 - كلمات واعظة لأبنائنا المعلمين الأحرار (\*) - 1 -

أيها الأبناء الأعزة!

إن هذه الحركة العلمية المباركة أمانة في أعناقنا جميعًا، وعهد إلهي محتم الوفاء علينا جميعًا، فنحن في تحمله وفي وجوب الوفاء به سواسية، ليس صغيرنا بأقل تبعه ولا أخف حملًا من كبيرنا؛ ونحن في تحمل هذه الأمانة وأدائها أمام رب يعلم ما نخفي من النيات وما نعلن من الأعمال، وأمام أمة تعين على الوسائل، وتنتظر النتائج، وتحاسب على ما بينهما، وأمام تاريخ لا يغادر سينته ولا حسنة إلا أحصاها، وأمام خصوم أشداء يحصون الأنفاس ليقعوا العقوبة ويتربون العثرة ليعلنوا الشناعة، فلنحاسب أنفسنا قبل أن يحاسبنا الناس، ولنقدّر موقع أقدامنا قبل أن نضع الأقدام، ولنجعل من ضائرنا علينا رقيبًا لا يغفل ولا يتسامح.

إننا نزيد عليكم - بعد الاشتراك في حمل الأمانة العامة - باستحكام التجربة، وعرك الأيام، وعجم الحوادث، والتمرس بالخصوم، والصبر على المكاره، والاستخفاف بالحساد الذين أكل الحسد أجسادهم، فما بالينا أطاروا أم وقعوا، وملا بسة الأمة على البر والجفاء، وعلى الإحلاء والإمرار، وعلى الحشونة واللين، وبأننا الغرض المنصوب للسهم، لأننا - دائمًا - في مكان القيادة في الصفوف، فلا تصل الرمية إلى أحدكم إلا بعد أن نخن ولا يبقى فينا موضع لسهم! فإذا رأيتونا نمسك بالشدّة أحيانًا، ونقسو عليكم في التثقيف، فذلك لكي يخلص لنا من عشرينكم آحادًا يخلفوننا في هذه الخلال، إذا خلّت أمكنتنا في المراكز الأمامية، بعد أن يقطعوا من مراحل العمر ومقامات التدريب ما يؤهلهم لذلك.

أنتم في ميادين التعليم فرسان سباق، منكم المبتدي، ومنكم الشادي، وفيكم المغبر، وفيكم المتخلف، ولا يكشف عن جواهر الأصالة والعتق فيكم إلا هذه الأعمال، التي واهمتكم في أطوار الحدائة والاقتيال، خيرة من الله، فيها الخير واليمن، وتوجيهات منه، فيها السداد والنجاح، وامتحانًا من زمنكم، فيه التربية والتمحيص، وفيه التمرس والاحتكاك، فإذا تكشف هذا الامتحان عن نتيجة صادقة كنتم غريبة في الأجيال، وفلتة في السنن، وعذرك الشفيغ في هذا التفاوت أنكم لستم أبناء مدرسة واحدة، تجمع وتوحد، وتقارب وتسدّد، وأنكم لا ترجعون جميعًا إلى تربية منزلية، أحكمتها العادات الرشيدة، وأقربها المصطلحات المفيدة، ولا إلى توجيه حكومي، يبيئكم للحياة، ويسوسكم بالمصلحة، ويروضكم على الرجولة، ويجمعكم على المنفعة، وإنما أنتم أبناء زمن عقه أبأؤكم فعقكم، وأضاعوا حقه، فأضاع حقكم، وتنكروا له فتنكر هو لكم، فما افترت شفاهكم له عن ابتسامه إلا قابلها بالتحجهم، ولا أزلتم إليه بتحقق إلا عاملكم بالتوهم، ولا مددتم إليه كف رغبة إلا ردّها بالحرمان.

أنتم - في وضعكم الاجتماعي - أبناء حياة ليس لكم في تسييرها يد، ووطن ليس لكم في أرضه مستقر، وجيل ليس لكم في تكوينه أثر، وتاريخ ليس لكم في تسطيره قلم، وقانون ليس لكم في وضعه شرك، وحاضر ليس لكم في تدبير مستقبله رأي، فجتتم على هذه الصورة التي لا تأتي إلا في فترات مجنونة من الزمن، وفي فترات شاذة من الطبيعة، أو انعكاسات غريبة من نظام الخلق.

(\*) نشرت في العدد 132 من جريدة «البصائر»، 9 أكتوبر سنة 1950. وفي آثار الإمام، ج3، ص: 266.

وأتم- في وضعكم العلمي- أبناء مدارس، وجودها في زمان، وروحها في زمان، فهي من يقظتها في حلم، وهي مع جده الزمان في قدم، وهي لا تعطي من الحياة إلا صورها الميتة، وهيكلها العظمية، وألوانها الحائلة، هذه المدارس التي بنيت بإرشاد القرآن، فأصبحت وهي أبعد شيء عن القرآن، وهدي القرآن، وخلق القرآن، بل لا يُبعد من يقول: إنها أصبحت معلول لهدم القرآن، لأنها لم تخدم القرآن، بهذه العلوم التي قالوا: إنها خادمة للقرآن، فلم تترك النفوس التي جاء القرآن لتزيينها، ولم تهيئها لسعادة الدنيا، ولا لسعادة الآخرة، ولم ترفع العقل من درجة الحجر إلى درجة الاستقلال في التعقل، ولم تصح موازينه في إدراك الحياة وفقه أسرارها، وليت شعري: هل صححت دراسة المنطق في هذه المدارس- بهذه الطريقة اللفظية العقبة- إدراكات العقول ومقاييسها، كما صححت دراسته العلمية إدراكات القدماء أو كما صححت إدراكات المعاصرين لماضي الأمم الأخرى؟ وهل طببت هذه المدارس لأخلاق أبنائها الذين أذووا زهرات أعمارهم فيها؟ وهل أفاضت البيان في قرائحهم وألسنتهم وأفلامهم؟ ليس الذنب في هذه الحالة الأليمة ذنبكم، وليست التبعة فيها واقعة عليكم. بل أتم فرائس هذه الأخلاط القاتلة، وأتم المحني عليكم لا الجناة، وإنما التبعة على الذين يملكون القدرة على التغيير، ثم لا يغيرون، وتواتيم الفرص إلى الإصلاح، ثم لا يصلحون.

إن كثيراً منكم في حاجة إلى الاستزادة من التحصيل لو تيسرت لهم أسبابه، وانفتحت في وجوههم أبوابه، ولكنهم انقطعوا عن التعلم اضطراراً، فشغلناهم بالتعليم اضطراراً، لأن حالتنا جميعاً- وأمتنا معنا- حالة اضطرار لا اختيار معه، وحالة شذوذ لا قاعدة له، وإن التعليم لإحدى طرق العلم للمعلم قبل المتعلم، إذا عرف كيف يصرف مواهبه، وكيف يستزيد وكيف يستفيد، وكيف ينفذ من قضية من العلم إلى قضية، وكيف يخرج من باب منه إلى باب؛ فاعرفوا كيف تدخلون من باب التعليم إلى العلم، ومن مدخل القراءة إلى الفهم؛ وتوسعوا في المطالعة يتسع الاطلاع، ولا يصدكم الغرور عن أن يستفيد القاصر منكم من الكامل، والكامل ممن هو أكمل منه.

إن حاجتنا إليكم هي أن تنقذوا هذا الجيل الناشئ من الأمية التي ضربت بالشلل على مواهب آباءهم، وكانت نقصاً لا يعوّض في إنسانيتهم، ثم كانت سبباً في كل ما يعانونه من بلاء وشقاء؛ وأن تحببوا إليهم العربية، وترينوها في قلوبهم، وأن تطبعوهم على التأخي والتعاون على الخير، وأن تربيوهم على الفضيلة الإسلامية التي هي مناط الشرف والكرامة والكمال، وأن تأخذوهم بممارسة الشعائر الدينية صغاراً، حتى نأمن تضييعهم لها كباراً، وأن تزرعوا في نفوسهم حب العلم والمعلم، وحب الأب والأم، وحب بعضهم بعضاً، وحب الله ورسوله والإسلام قبل ذلك ومعه وبعده.

لا يضيركم ضعف حظكم من العلم إذا وفر حظكم من الأخلاق الفاضلة، فإن أمتكم في حاجة إلى الأخلاق والفضائل؛ إن حاجتها إلى الفضائل أشد وأؤكد من حاجتها إلى العلم، لأنها ما سقطت هذه السقطة الشنيعة من نقص في العلم، ولكن من نقص في الأخلاق. أحشى أن تغيب عن بصائركم حقيقة ثابتة، وهي أنكم معلمون للصغار، وأئمة للكبار، أولئك يأخذون من أخلاقكم وعلمكم، وهؤلاء يأخذون من أخلاقكم؛ فإذا راعيت الجانب الأول، واعتقدتم أنكم معلمون للصغار، وحسب المعلم أن يؤدي وظيفته أداءً آلياً، وأغفلتم الجانب الثاني فلم تبالوا بما يأخذ منكم استقامةً واعوجاجاً، كان ضرركم أكثر من نفعكم؛ وإن الذي يلوح لي من تتبع أعمالكم، ونقصي أحوالكم، أن كثيراً منكم عن هذه الحقيقة غافلون.

يسوءني أن أرى في كثير مما يرجع إلي من شؤونكم، هنات يهونها عليكم الترخص واتساع مجال الإباحة، وتغصون النظر عن عواقبها إذا استشرثت، وسرت عداوها من بعض إلى بعض، وأصبحت سماً لكم وتعريقاً بكم، وتزونها بمعانيها عندكم لا بآثارها في الأمة، مما يدخل في معنى "الاستهانة بشعور الأمة".

## 16- كلمات واعظة لأبنائنا المعلمين الأحرار (\*) - 2 -

إنّ هذه الأمة- يا أبنائي- هي أمتنا، وهي رأس مالنا شئنا أو أيننا، وهي عوننا على العلم، وهي مددنا وملادنا وهي نصرتنا ومعادنا، وهي مناط قوتنا، ومظهر أعمالنا، فعلينا أن نراعي شعورها في غير واجب يترك، أو محرم يؤق، وأن نسير بها إلى الغاية في رفق وأناة، لا أقول لكم: سايروها على الباطل، وجاروها في البدع وواطئوها على الضلال، فذلك ميدان وقفنا فيه قبلكم موقف المنكر المتشدد، ونازلنا أبطال الباطل حتى زلزلنا أقدامهم، ونكسنا أعلاهم، وقد أرحناكم ومهدنا لكم السبيل، وإنما حديثنا فيما دون ذلك، مما مرجعه العادة لا الدين، وسبيله العرف لا السنة، ودرجته الكمال لا الضرورة، ولنا في نبينا- صلى الله عليه وسلم- القدوة الحسنة، فقد كان يجاري العرف الجاري، ما لم يناقض عقيدة دينية أو حكماً شرعياً، وإذا توقف إصلاح الأمة على هجر الشهوات، والإمساك عن بعض المباحات، فمن الواجب أن يقدم حظ الأمة على حظ النفس.

(\*) نشرت في العدد 133 من جريدة «البصائر»، 23 أكتوبر سنة 1950.

أتم جنود العلم، ولكلمة "جندي" معنى يبعث الروعة، ويوحى بالاحترام، ويجلب الشرف، ويُعلي القبة، لأنه في غاية معناه حارس مجد، وحافظ أمانة، وقيم أمة، لذلك كان من واجبات الجندي الصبر على المكاره والزلزلات، والثبات في الشدائد والأزمات، والسمع والطاعة فيما يغمض على الأذهان فهمه من العلل، ويعسر على العقول هضمه من الحكم؛ فإذا استرسل الجندي في الجزع والشكوى، أو خانه الصبر فلاذ بالضرر، - أخطأ النصر، وضاع الثغر، وإنما أتم حراس دروب، ومرابطة ثغور، فاصبروا واتبتوا، وقد كفيتم سداد الرأي، فهاتوا سداد الإرادة وسداد العمل.

وأتم ممثلو جمعية العلماء في ناحية من أهم أعمالها، وهي التربية والتعليم، فكل واحد منكم صورة مصغرة من الجمعية في نظر الأمة، وجمعية العلماء هي رمز الدين الصحيح، وهي حارس الفضيلة الإسلامية، وهي المثال المفسر للحكمة المحمدية بأحسن تفسيراتها، وهي المثل المضروب في مقاومة الباطل والمبطلين، وهي مظهر القدوة الدينية اعتقادًا وعملاً؛ فهي - لذلك كله - ملء سمع الأمة وبصرها، وهي الأريج المنضوع بسمعة الجزائر في العالم الإسلامي، فكونوا - في مظهركم ومخبركم - أمثلةً صحيحةً منها، واعلموا أن كل زلة منكم - وإن صغرت - محسوبةً على جمعية العلماء، منسوبةً إليها.

وفي وطنكم موجة من الإلحاد، جاءت في ركاب الثقافة الغربية، ويمكن لها القصد الصحيح من غايات الاستعمار، ومهد لها في نفوس هذا الجيل جملة بحقائق الإسلام، وضعف صلته بالله، وإن تساهلكم في إقامة شعائر الدين، أو استخفافكم بأحكامه، معين على تفشي الإلحاد في الجيل الجديد الذي تقومون على تربيته، فاحذروا الظهور بمظهر المستخف بالدين، ولو في فلتات اللسان، فإن لكل فلتة ولكل كلمة تصدر منكم أثرًا في نفوس تلاميذكم؛ لأنكم محل القدوة عندهم، ولأن زمنهم يتبرع بالباقي، فإذا وجد العون منكم كان أجود بالشر من الريح المرسل.

وفي زمنكم عارض من انحلال الأخلاق، بعض أسبابه في الواجدين الاسترسال في الشهوات، وبعض أسبابه في المعدمين التثؤف إليها، وأكبر أسبابه في الجميع الاستعمار وأساليبه في علاج المرض بالموت، وغسل النجيع بالرجيع، فعالجوا هذا الداء قبل حلوله في نفوس الصغار بتقوية العزائم والإرادات فيهم، وبتعويدهم الصوم عن الشهوات، وبتحبيب العمل إليهم، حتى إذا انتهوا إلى الحياة العملية اقتحموا ميادينها بنفوس غير نفوسنا، وهم غير همنا، وعزائم غير عزائمنا، وإرادات غير إراداتنا، وقدرة على كبح الغرائز الشهوانية غير قدرتنا.

أتم حراس هذا الجيل الجديد، والمؤتمنون عليه، والقوامون على بنائه، وأتم بناء عقوله ونفوسه، فابنوا عقوله على أساس من الحقيقة. وابنوا نفوسه على صخرة من الفضائل الإنسانية، وأشربوه عرفان قيمتها؛ فإن من لم يعرف قيمة الثمين أضاعه؛ وقد غبنت هذه القيم في عصركم فكان ما ترون من فوضى واختلاط.

ربوهم على ما ينفعهم وينفع الوطن بهم، فهم أمانة الوطن عندهم، وودائع الأمة بين أيديكم.

ربوهم على التحاب في الخير، والتأخي في الحق، والتعاون على الإحسان، والصبر إلا على الضيم، والإقدام إلا على الشر، والإيثار إلا بالشرف، والتسامح إلا في الكرامة.

ربوهم على استخدام المواهب الفطرية من عقل وفكر وذهن، وعلى صدق التصور وصحة الإدراك ودقة الملاحظة والوقوف عند حدود الواقع.

هناك حدود مشتركة بين الضار والنافع من أعمالكم، فتبينوها ثم اعملوا على قدرها، ولا تجاوزوا حدًا إلى حد، فتضروا من حيث قصدتم إلى النفع، فمدح المجتهد من تلاميذكم مذكٌ للنشاط، كما هو مدعاة إلى الغرور، والفصلُ بينها رهينٌ لفضة مدح مقدرة أو مبالغ فيها منكم؛ ولأن تحمدوا نشاطًا، خيرٌ من أن تُشعلوا غرورًا في نفس التلميذ، إن النشاط قد يعاود، ولكن الغرور لا يزائل، وإن الغرور لأعضل داء في عصركم، وإن صنفكم لأكثر الأصناف قابليةً لهذا الداء، لما فيه من إيهام بالكمال في موضع النقص، وتقوية للتخلف بالتقدم، وتغذية للسئ بالحسن، وهذه محسنات الغرور في نفوس المغرورين، والغرائز ضارية، والتجارب فضيحة، والصراع بينها كان وما زال ولا يزول، فاحذروا الزلة في هذا المزلق، وحذروا تلاميذكم منها بالقول والعمل.

ربوهم على بناء الأمور على أسبابها، والنتائج على مقدماتها علمًا وعملاً، واعلموا أن العلم يبدأ مرحلته الأولى من هذه البسائط التي تقع عليها حواسكم في الحياة كل لحظة فتحتقرونها ولا تلتقون لها بالأ، مع أن مجموعها هو العلم إذا وجد ذهنيًا محللًا، وهو الحياة إذا وجدت عقلاً مفصلاً.

يتبوا لهم الحقائق، واقرنوا لهم الأشباه بالأشياء، واجمعوا النظائر إلى النظائر، ويتبوا لهم العلل والأسباب، حتى تنبت في نفوسهم من الصغر ملكة التعليل، فإن الغفلة عن الأسباب هي إحدى المهلكات لأمتكم، وهي التي جرّت لها هذه الحيرة المستولية على شواعرها، وهذا التردد الضارب على عزائمها، وهذا الالتباس بين المتضادات في نظرها.

امزجوا لهم العلم بالحياة، والحياة بالعلم، يأت التركيب بعجيبة، ولا تعمروا أوقاتهم كلها بالقواعد، فإن العكوف على القواعد هو الذي صير علماءنا مثل "القواعد"، وإنما القواعد أساس، وإذا أنفقت الأعمار في القواعد فمتي يتم البناء؟

ربوهم على أن يعيشوا بالروح في ذلك الجو المشرق بالإسلام وآدابه وتاريخه ورجاله، ذلك الجو الذي يستوي ماضيه ومستقبله في أنهما طرفا حق لا يشوبه الباطل، وحاشيتنا جديد لا يلبسه الزمن، وعلى أن يعيشوا بالبدن في هذا الزمن الذي يدين بالقوة، ويُدلّ بالبأس، وعلى أن

يعيشوا بالروح في ذلك الزمن المشرق العامر بالحق والخير والفضيلة، وعلى أن يلبسوا لبوس عصرهم الذي يبني الحياة على قاعدتين: "إن لم تكن أكلاً كنت مأكولاً!" و"كن قويًا تحترم

### 17- إلى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل العلم (\*)

أوجه النداء إلى جميع أبنائنا المهاجرين إلى الشرق العربي، أو إلى أطراف المغرب العربي، أو إلى أوروبا، ثم أخصص المهاجرين إلى تونس لأنهم كثرة، ولأن في أحوالهم لغيرهم عبرة.

إنكم يا أبناءنا مناط آمالنا، ومستوح أمانينا، نعدكم لحمل الأمانة وهي ثقيلة، ولاستحقاق الإرث، وهو ذو تبعات وذو تكاليف، ومنتظر منكم ما ينتظره المدجج في الظلام من تباشير الصباح.

وإنكم يا أبناءنا فارقتم الأهل، وفيهم الآباء والأمهات، وفارقتم الديار التي خلعتكم فيها التأم، وفارقتم الوطن الذي له على كل حر كريم دين! وفاؤة الحب، وكفاؤة النفع والجميل، وما هون فراقكم على آباءكم وهون فراقهم عليكم إلا الآمال اللائحة لكم ولهم في مستقبلكم، ولما تعودون به من علم يصحبه فخر، وحسن ذكر، وطيب أصدوثة.

إن آباءكم يتخيلون من وراء هجرتكم ما يعود به المجاهد المقدم من أجر وغنيمة، وما يرجع به التاجر المخاطر من أرباح وطرائف.

وإنكم لتتخيلون من وراء هجرتكم- وأنتم في ربيع الحياة- ما يفوق أفواف الربيع حسناً وجمالاً، ويفوق أزهاره أريجاً وعطراً .

وإن الوطن- وهو أبو الجميع- يتطلع من وراء هذه الهجرة إلى إحياء وتعمير وإعادة مجد وبناء تاريخ؛ نحن نعلم أن الأب العامي الفقير حين يرضى بفراق ولده، ويزوده ببعض ما يملك من قوت العيال الصغار طائفاً مختاراً مطمئناً، إنما يفعل ذلك اعتقاداً بأن فعله تكفير عن جريمة الجهل، ومحو لوصمة الأمية، وتنصل من ضعة الجحول، وأن الأب العالم الذي يرضى بذلك ويهون عليه، إنما يفعله معتقداً أن ولده سيكون أعلم منه، وأوسع اطلاعاً، وأنفذ بصيرة على نسبة من زمنه، وتطورات زمنه؛ ولا يعتقد غير ذلك منهم إلا مغرور بنفسه، الجاهل أحسن إدراكاً للزمن منه؛ وأن الوطن حين يرضى بخلوه من أبنائه أنهم ما أحلوه إلا ليعمروه، وما قطعوه إلا ليصلوه، وما فارقوه شاباً عزلاً إلا ليعودوا إليه كهولاً مسلحين بقوة التفكير، تظاهرها قوة العلم، تظاهرها قوة العمل.

يا أبنائي، إذا عرفتم هذا، وعرفتم واجب أنفسكم التي تحملت الأتعاب، وتجزعت مرارة الاعتراب، وذاتت طعم الحاجة والشدة، وواجب آباءكم الذين غدوا وربوا، وأجابوا داعي العلوم فيكم ولتبوا، وواجب الوطن المجدب الذي جعلكم رواده إلى القطر، وأرسلكم وانتظر، ورجا من إياكم الحيا والحياة؛ إذا عرفتم ذلك كله، فماذا أعددتكم لهذه الواجبات؟

إنكم لا تضطلعون بهذه الواجبات إلا إذا انقطعتم لطلب العلم، وتبتلتم إليه تبتلياً، وأنفقتم الدقائق والساعات في تحصيله، وعكفتكم على أخذه من أفواه الرجال ويطون الكتب، واستترتم كنوزة بالبحث والمطالعة، وكثرة المناظرة والمراجعة، ووصلتم في طلبه سواد الليل ببياض النهار. إن أسلافكم كانوا يعدون الرحلة في سبيل العلم من شروط الكمال فيه، بل كانوا، في دولة الرواية، يعدون الرحلة للقاء الرجال من شروط الوجوب؛ فكانوا يقطعون البراري والصحارى والقفار، ويلقون في سبيله المعاطب والأخطار، وكانوا يجوعون في سبيله ويعرون، ويظلمون ويضحون، لا يتشكون الفاقة والنصب، ولا يعدون الراحة إلا التعب، ولكنهم لا يضيعون أوقاتهم- إذا وصلوا إلى أمصار العلم ولقوا رجاله- في مثل ما تضيعون فيه أوقاتكم من إسفاف ولغو، بل كانوا يحاسبون أنفسهم على الدقيقة أن تضيع إلا في استفادة وتحصيل.

فتعالوا نقارن سيرتكم بسيرتهم، وتحصيلكم، ثم نتحاسب على النتيجة!

كانوا يقيدون وأنتم لا تقيدون، وكانوا ينسخون الأصول بأيديهم ويضبطونها بالعرض والمقابلة حرفاً وحرفاً وكلمة وكلمة؛ وأنتم أراحتكم المطابع، ويسرت لكم الكتب؛ ورُب تيسير جلب التعسير؛ فإن هذا التيسير رمى العقول بالكسل، والأيدي بالشلل، حتى لا تجري في إصلاح الأغلاط المتفشية في تلك الكتب.

وكانوا يرجعون بالرواية الواسعة والمحفوظ الغزير، وينقلون الجديد من العلم، والطريف من الآراء والمفيد من الكتب، من الشرق إلى الغرب، ومن الغرب إلى الشرق، فانظروا بماذا ترجعون أنتم اليوم؟

وكانوا ينقطعون عن أهليهم وديارهم انقطاعاً متصللاً يدوم سنوات، وأنتم تزورون أهلكم ودياركم في كل موسم، وفي كل عطلة، ويزورونكم، وتخطبونهم في اليوم الواحد ويخطبونكم.

الحقيقة أننا لا نستطيع رحلتنا اليوم رحلة إلا بضرب من التوسع، كما نستطيع السفر بالطائرة سفراً، ونضعه بجانب السفر على الإبل.

(\*) نُشرت في العدد 9 من جريدة «البصائر»، 3 أكتوبر سنة 1947. وفي آثار الإمام، ج3، ص: 201.

يا أبناءنا، إن الحياة قسنان: حياة علمية، وحياة عملية، وإن الثانية منها تنبني على الأولى قوة وضعفاً، وإنتاجاً وعقماً، وإنكم لا تكونون أقوياء في العمل إلا إذا كنتم أقوياء في العلم، ولا تكونون أقوياء في العلم إلا إذا انقطعتم له، ووقتم عليه الوقت كله، إن العلم لا يعطي القيادة إلا لمن ممره السهاد، وصرف إليه أعتة الاجتهاد.

لا تعتمدوا على حلق الدروس وحدها، واعتمدوا معها على حلق المذاكرة، إن المذاكرة لقاخ العلم، فاشغلوا أوقاتكم حين تخرجون من الدرس بالمذاكرة في ذلك الدرس، إنكم إن تفعلوا تفتح لكم أبواب من العلم، وتلخ لكم آفاق واسعة من الفهم.

لا تتعوا بالكتاب المقر، وقرأوا غيره من الكتب السهلة المبسطة في ذلك العلم، تستحكم الملكة ويتسع الإدراك، وسينتهي الإصلاح الذي تقوم به إدارات جامعاتنا إلى اختيار كتب سهلة ممتعة في كل علم، تفرض عليكم قراءتها ومطالعتها، ثم كتب أخرى، في المعارف العامة، كاللغز، والأدب، والحكمة، والأخلاق، والتربية، فوطنوا أنفسكم على ذلك من الآن، وروضوها على اختيار النافع المفيد من الكتب؛ ومن العار الفاضح أن لا نرى في الكثير من أبنائنا الذين تخرجوا من الزيتونة، وأتجهوا بفطرتهم إلى الأدب، من استوعب كتاب الأغاني قراءة، ولا في من اتجهوا إلى علوم الدين من استوعب قراءة الصحيحين والسنن؛ ولعمري ما سلاح الأديب إلا الأغاني وأمثاله، ولا سلاح الفقيه إلا تلك الكتب وأشباهاها.

لا تتعلموا الفاضل من أوقاتكم في ذرع الأرزقة إلا بمقدار ما تستعيدون به النشاط البدني، ولا في الجلوس في المقاهي إلا بقدر ما تدفعون به الملل والركود، ولا في قراءة الجرائد إلا بقدر ما تطلعون به على الحوادث الكبرى، وتصلون به مجاري التاريخ. خذوا من كل ذلك بمقدار، ووقروا الوقت كله للدرس النافع والمطالعة المثمرة.

لا تعتمدوا على حفظ المتون وحدها، بل احفظوا كل ما يقوي مادنتكم اللغوية، ويُثمي ثروتكم الفكرية، ويُغذي ملكتكم البيانية؛ والقرآن القرآن! تعاهدوه بالحفظ وأحبوه بالتلاوة، ورتبوا ألسنتكم على الاستشهاد به في اللغة والقواعد، وعلى الاستشهاد به في الدين والأخلاق، وعلى الاستظهار به في الجدل، وعلى الاعتماد عليه في الاعتبار بسنن الله في الكون.

اتركوا المناقشات الحزبية والخلافات السياسية لأهلها، المضطلعين بها، المنقطعين لها، ودعوا كل قافلة تسير في طريقها، وكل حامل لأمانة من أمانات الوطن مضطلعاً بحملها، قائماً بعهد فيها، حتى تنتهي تلك الأمانات بطبيعتها إلى جيلكم، فتأخذوها بقوة واستحقاق، واعلموا أن كل من يدعوكم إلى ذلك إنما يدعوكم ليضلكم عن سبيل العلم فهو مضلّ، وكل مضلّ مضرّ؛ أو ليتكثر بكم فهو غاش، وكل غاش ممقوت، أو ليلهيكم بما لا تحسنون عما تحسنون، فهو مارك، وكل مارك مكمور به؛ إن من يريد أن يتكثر بكم لا يتكثر إلا ليقلكم، ولا يتقوى بكم حشاً إلا على حساب إضعافكم معني، فالحذر الحذر! فإن الوطن يرجو أن يبني بكم جيلاً قوياً الأُسْر، شديد العزائم، شديد الآراء، متين العلم، متأسك الأجزاء، يدفع عنه هذه الفوضى السائدة في الآراء، وهذا الفتور البادي على الأعمال، وهذا المحول الخيم على الأفكار، وهذا الاضطراب المستحكم في الحياة، وهذا الخلاف المستمر على السفساف، فإذا جاريتم هذه الأهواء المتباينة، واستجبتم لهذه الأصوات المتنافرة، ضيعتم على الوطن جيلاً، وزدتم في بلانته ومحتنه، وأطلتم مدة المرض بتأخير العلاج.

لا يعذلكم في حب وطنكم إلا ظالم، ولا يصرّفكم عن إتقان وسائل النفع له إلا أظلم منه، أتم اليوم جنود العلم فاستعدّوا لتكونوا غداً جنود العمل.

إن وطنكم مفتقر إلى جيل قوياً البدن، قوياً الروح، مستكمل الأدوات من فضائل وعزائم، وإن هذا الجيل المنتظر تكوينه منكم، ومحال أن تخرج الحالة التي أتم عليها جيلاً بهذه الصفات.

إننا نعلم أنكم تنطوون في أيام الطلب على خيالات وأماني من الراحة وفهنية العيش، وعلى آمال فسيحة في المستقبل، يوم تنتقلون إلى العمل، وتنتقلون إلى أهليكم تحملون الشهادات والألقاب.

وإن هذا هو منشأ القلق والاضطراب في نفوس الكثيرين من إخوانكم الذين يزاولون التعليم الآن. فادفعوا عنكم هذه الخيالات، ووطنوا النفوس على أنكم تلتقون من البلاء والمجهد في الحياة العملية أضعاف ما تلتقون منها في الحياة العلمية.

لا أقول لكم هذا تهويلاً، ولكن أقوله ترويضاً، ومن وطن نفسه على المكروه هانت عليه الشدائد، ووجد كل شيء ضاحكاً باسمًا جميلاً محبباً. ومن تخيل الراحة وحكم أخيلتها في نفسه، ثم كذبت الآمال كان بين عذابين، أمصّها كذب الخيلة.

يا أبنائي!

إن الزمن قد وضعكم وضعاً صيركم جديرين بأن تطلبوا العلم لوجه الله، ولوجه العلم، لا للوظائف ولا للشهادات.

تطلبون الوظائف في تونس، فيحول بينكم وبينها نظام الاحتكار، وتطلبونها في الجزائر فتمنعكم منها سياسة الاستعمار! وربّ ضارة ناعفة!

إذا كانت السياسة الاستعمارية تجعل منكم جزائريين في تونس، ثم تجعل منكم تونسيين في الجزائر، فاطفوا عليها بقوة الإرادة، وبقوة العلم، وبقوة الشباب؛ وكونوا وسطًا عامرًا لا تظهر فيه الجزائرية ولا التونسية، ولا تفترق فيه الأنساب، وإنما تجمعكم فيه العروبة والإسلام، ووطنيتها العامة؛ وإن هذا الوسط هو الذي يسود في المستقبل القريب، وهو الذي تحمى معه الخطوط الجغرافية، والحدود الوهمية. لا تستشعروا الغربة فأنتم في وطنكم وبين أهليكم، وفي وطنكم الجامع.

وإن دم الجليل ومزاجه ليتعاطفان بالإلهام، فاجروا على إلهام الخير مع إخوانكم الشبان تَمُّ المحبة وتقو بواعث الخير. إن في تونس تيارات مختلفة اقتضتها مقتضيات زمانية ومكانية خاصة، فإياكم أن تنغمسوا فيها، أو تكونوا في جانب دون جانب. وإذا دعاكم منها داع فاعتصموا بالعلم الذي هاجرتم لأجله، وبالعلم الجليل الذي تذوب بين جدرانه جميع الاعتبارات.

### 18- رسالة: إلى الزاهري (\*)

كُتبت - أيها الشيخ - كثيرًا من الباطل، وسنكتب قليلاً من الحق، ولكن قليلًا لا يقال له قليل، ولو كنت وحدك... تكتب بقلمك، وتقول بلسانك، وتعبّر عن فكرك، لأوليناك جانب الإهمال، وسكتنا عنك طول العمر كما سكتنا عنك في ماضيك القريب، وفي ماضيك البعيد احتقارًا لشأنك، واستهانة بما أهان الله منك، وربما عذرناك في مجانبتك للصدق بأنك لا تعرفه، وإنما يؤاخذ الإنسان بترك ما عرف، وربما أتينا عليك بالوفاء للصاحب الذي صاحبك منذ عقت التأم، وهو الكذب، وباستقامتك على الجيلة التي جُبلت عليها، وهي الشر، وبالوهبة التي حُصصت بها، وهي البراعة في قلب الحقائق، وربما رحمتك من هذه النار التي تصلاها، وهي نار الحقد. ومعذرة... فإن من الميسور أن نُظفئ النار ذات الوقود، وليس من الممكن أن نُظفئ الحقد من صدر الحقد. وهنيئًا لك هذا الذوق اللطيف في أخذك بأحد بيتي ابن الرومي في الحقد، وهي قوله:

وما الحقد إلا توأم الشكر في الفتى \*\*\* وبعض السجايا ينتمين إلى بعض

وتركك للبيت الثاني وهو قوله:

فحيث ترى حقدًا على ذي إساءة \*\*\* فثم ترى شكرًا على أحسن القرض

فلم تقصر حقدك على من أساء إليك، ولم تشكر من أقرضك القرض الحسن، واسترحت من حيث تعب الكرام. وإذا فهمنا مذهب ابن الرومي كما فهمته، فكل هذه الخصال البارزة فيك فضائل، وأمتًا وسلماً وقلنا: سبحان المنعم الوهاب. ولكن شأننا اليوم مع هذا الشيخ الذي تحتفي وراءه حينًا، ويحتفي وراءك حينًا آخر، فقد تشابهتا وتشاكل الأمر. وقد انعقد بينكما نوع غريب من الحلول، لم يُعرف في جاهلية ولا إسلام. فأنت تتكلم باسمه، ولست إياه. وهو يتكلم باسمك، وليس إياك. ليجد كل واحد منكما في صاحبه ملتحدًا يدفع عنه المسؤولية، ويحمل عنه التبعة احتياليًا ومكر السيئ، ثم تبوءان بالسلامة معًا. إننا إن أخذنا بمذهب الفقهاء عاملناك بما قالوه في المتسبب في الجريمة والمباشر لها. وإن أخذنا بمذهب الأدباء، عاملناك بما تُسلمه معنا، وهو أن قاتل الشر هو الشاعر الإنسي، لا رثيّه الجتي. ولا والله لا نبرح هذه المرة حتى نهدم الصومعة على رأس الراهب. فإن بيت الله - في جلاله - لا يجير عاصيًا ولا فاجرًا بخزية، وما كانت صومعتكم بيت الله، ولا كان راهبكم أبا عزة في قومه... أفتظن - يا شيخ - أنك استعدت من هذا الشيخ بمعاد؟ أم يظن هذا الشيخ أنه تقلد من قلمك سيقًا من فولاذ؟ وما هو إلا سيف أبي حية، ولو سميته - كما سماه - لعاب المنية.

إنك وذلك الشيخ تعيشان في بقية من التقية. ولو كنتما صريحين لقلنا لنا ما هو الحق: أنت مدير أم مُدار؟ وأنت المكتري أم صاحب البار؟ وليين لنا ذلك الشيخ منزلتك عنده: أنت عبد مأمور، كما يقول بعض الناس؟ أم أنت عامل مأجور، كما يقول آخرون؟... إن أردل الرجال، من ينطرف إليه مثل هذا الاحتمال؛ أما الحقيقة فهي أنكما شريكان في جريمة السب والكذب وقلب الحقائق: منك الألفاظ لمكانك في الكتابة، ومنهم المعاني لمنزلتهم في الأمية والتعجرف. أما تلك الأسماء، التي تُعَل بها بعض كلماتك، فاعزُر بها من لا يعرفك ولا يعرفها... إننا لم ننس يوم كنت تنسب مقالاتك في "الوفاق" إلى الأستاذ "بوشاقور" والأستاذ "بوشنتوف" والناس كلهم يعرفون من هما، وما هي دركتهما في الأمية. ولو صحَّ فالك واشتق من الكاتب الواحد كُتّاب، كما اشتق من اللفظ ألفاظ، لامتلاّت الجزائر بالأساتذة والكتّاب؛ ولكذبت الإحصاءات الرسمية في عدد الكتّابين والأميين بهذا القطر؛ ورحم الله أهل الحياء.

(\*) نشرت في العدد 61 من جريدة «البصائر»، 27 ديسمبر سنة 1948.

وأما قول أحد أسيادك في تصريح له بجريدة "الأُسبوع": "إن جريدة الزاهري تناصر حركتنا" فهو سببة لك ولحركته معاً. ولولا أن تقول- كعادتك- إن هذه وشاية بين متحابين، لشرحننا لك المنطوق من تلك الكلمة والمفهوم.

ونحن نتمنى لكما دوام الألفة والمحبة، وندعو لكما بذلك؛ وإن كنت أمنية لمحال، ودعاءً في ضلال، فما عهدناك تصبر على طعام واحد، وما عهدنا أسيادك يسقون الشجرة بعد جني الثمرة.

إن أسيادك- يا شيخ- بارعون في استغلال المواهب والكفاءات والاختصاصات. ولو كنت من أصحاب المبادئ الثابتة لما صحبوك ساعة من نهار. ولكنهم يستغلون- إلى حين- اختصاصك في السب والكذب والبهت. وتستغل أنت- إلى حين- جندهم المسخر لبيع "المغرب العربي" (وما أكثر باعة المغرب العربي فيهم)، ولعلك أعجبك منهم أنهم قوم محظوظون في الزعامة، فطمعت أن تصبح زعيماً بالمجاورة أو التوهم كما قالوا في "جر ضب خرب"، وفاتك أن شروط الزعامة عندهم أربعة، وأنت لا تملك منها إلا واحدة.

قد كان يسعنا أيها الشيخ أن نمر سنتنا بالأعمال، وتعمرون سنتكم بالأقوال، فإذا جاء رأس السنة وحلّ وقت الحصاد، قلنا: هذه أعمالنا، وقلتم: هذه أقوالنا، وعرضنا البضاعتين على الأمة لتنظر وتحكم أيتهما أركى طعاماً، وأعظم عائدة، ثم قلنا لكم: سلام عليكم، وكل عام وأتم سبائبون عتايون كذابون، ورجع كل منا إلى ما يسر له، وكان يسعنا أن نبدأ من هذه السنة فنغفيمكم من السنوات الماضية من تاريخكم التي هي سنوات مغسولة، لا نقطة فيها ولا حرف. وإذا وُضعت الأعمال في كفة والأقوال في كفة، وهبط الثقل وارتفع الخفيف، علل الفارغون أنفسهم بأن ارتفاع الفارغ ارتفاع، وقد شهد الناس بأنه ارتفاع، وكفى. أهذا هو المنطق أيها القوم؟

كان يسعنا هذا، وكان مما ركب في طباعنا هذا، ولأجله سكننا على تحرشكم المستمر سنوات، وفي استطاعتنا أن نسكت سنوات أخرى لو أنكم اقتصرتم على السب والكذب اللذين يهدمان صاحبهما قبل أن يهدم بهما الناس، ولكنكم أقمتم لنا الدلائل من أقوالكم وأعمالكم على أنكم تحاربون العلم والدين بسب العلماء، وتحاربون التعليم بإفساد المعلمين وأنكم تصدرون في ذلك عن عمد وإصرار. وأن لكم خطة مرسومة في الاستيلاء على جميع المشاريع بقصد إفسادها وتعطيلها لأنكم لا تحسنون تسييرها. كل ذلك ليخلو لكم وجه الأمة، وتخلو لكم أموالها، وإن هذه المقاصد منكم لم تبق خافية حتى على الصبيان.

إنكم أصبحتم كأصنام البابليين التي قال فيها إبراهيم: **إِزْبَ إِئْمَنَ أَضْلَلَنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ**، ولو كان إضلالاً في السياسة لهان الأمر ولكنكم جاوزتم إلى ميادين ليست من اختصاصكم، وتقحمت في مسالك لا تحسنون السير فيها، واقتضحت نيتكم المبينة فاحوجتمونا إلى هذا، وإنكم لتعلمون أن فتح هذا الباب لا يعود بالخير علينا ولا عليكم، ولا على الوطن الذي أكثرتم في التدجيل على الأمة باسمه. ومن لنا بالدليل على أنكم محبسون لا مسبرون؟

ويحك- يا شيخ- وويح أسيادك. أكل هذا الجهد الذي تبذلونه في حرب جمعية العلماء، معدود عندهم من خدمة الوطن؟ أكل هذا الاسم الواسع الذي انتحلتموه لجريدتكم لم يتسع إلا للتحرش بجمعية العلماء والتعريض بها وبرجالها؟

إن "المغرب العربي" محتاج إلى غير هذا، وإن كل جزء من أجزائه في حاجة شديدة إلى جمعية كجمعية العلماء ورجال كرجالها، فإذا طوّعت لكم أنفسكم أن تكونوا سببة على هذا الجزء من المغرب، فلا تكونوا سببة على بقية الأجزاء، ونزلوا أنفسكم منزلة ذلك الذي كان يحلف بالقرآن وهو لا يحفظ إلا ربه، فقال له قائل: "احلف بربك" ... أم تظنون أن سكان المغربين، الأقصى والأدنى، يصدقونكم إذا قلتم: إن جمعية العلماء تخدم الاستعمار؟ أتظنونهم يترون بقيتهم لافتراءكم؟ وهم يكادون يطرون إعجاباً بأعمالها وحملاتها الصادقة على الاستعمار.

ويحك وويح أسيادك... فارقتم الحياء فراق الأبد، فتحلقتم مع الاستعمار على حرب جمعية العلماء، وركبتم كل عظمة من المباهة وقلب الحقائق والصاق كل نقيصة فيكم بنا، فهل أمتنا منا أن نجاريكم فنخلع الحياء شهراً من السنة أو يوماً من الشهر أو ساعة من اليوم فزيمكم بأجاركم؟ لقد كنتم تسبوننا بألسنتكم في المقاهي ومجالس السوء، وتلقنون صبيانكم سبنا، حتى أصبحت أفواههم مستنقعات... فلم يقنعكم ذلك لأنه سبّ بالجان، فارتقيتم إلى سبنا بالكتابة لتتخذوا منها سلعة للبيع، ووسيلة لجمع المال. وتضيفوا إلى الهلال الأحمر هلالاً أسود... ومن الغريب المضحك أنكم تعتمدون في بيع السب على السب، فقد شهد العقلاء أن تسعة أعشار جريدتكم لا تُباع إلا بالسب والتخويف والتهديد وما يُشبهه الإكراه، وأن العشر العاشر فقط يباع بالتغليب والتضليل (وعلى النيف). إن هذه الحقيقة لا تستطيعون إنكارها وتكذيبها إلا بالعمل. ولو فعلتم وتركتم يبيعوا للرغبة والاختيار- كما تباع الجرائد- لأفست في أسبوع، فحزبوا إن كنتم منصفين.

أيها القوم: إن الوطن الذي تتوقف خدمته على بيع السب والكذب لوطن مخذول سلفاً؛ وإن الحزب الذي يريد أن يكمل بتنقيص غيره لحزب ناقص أبداً، وإن السياسة التي تغدّى يمثل هذه المطامع لسياسة ميتة... بالجوع.

أتذكر- يا شيخ- ماضيكم الصحفي، وصحافتكم الماضية التي تهاوت في مثل عمر الزهر، من "الجزائر"، إلى "البرق"، إلى "الوفاق"، وقد ماتت كلها بالهزال والتسقم. ولو كانت مما ينفع الناس لمكثت في الأرض، فاحتفظ بما بقي من أعدادها، فساحتاج الناس إلى ما فيها يوم ينكس الله طباعهم، ويطمس على بصائرهم، فيصبح السب والكذب عندهم من الفنون الجميلة، فيشيدون المعاهد العالية لتعلمها، ويقبسون النماذج الرفيعة من تلك الجرائد.

أتذكرُ يوم ضاقت بك الحيل فعرضت همتك وذمتك وقلمك في المزاد العلني فكنا أزهدي المشتريين فيك؟ كن شريفاً ولو لحظة من عمرك واعترف بهذه الحقيقة. ألم نصحك نصيحة لو أحيا الله أبويك لما نصحك بمثلها؟ ولكنها ضاعت كما تضيع الميتة عند غير شاكر. ألم تفتقر الفرصة حين خاطبناك في صندوق الحروف الذي تملكه لنطبع به «البصائر»، بالبيع أو بالكرء، فأخذت مئة عشرة آلاف فرنك لتفك بها رهن الصندوق من الطابع الإسباني، وكنت عاجزاً عن فكّه بستة آلاف فرنك؟ فلما حصلت عليه اشتططت وشرطت قرض مائتي ألف فرنك في مقابلة كراء الحروف، فلما بئست منا عرضت نفسك على دكتورين لها ماضٍ عريق في خيانة الوطن لتخدم ركابها وتزيكها في الخيانة، في مقابل قناطير من الورق مئتيك بها، فلما لمناك على ذلك قلت لنا بالحرف: "ما نكذبش عليكم، أنا نتبع مصلحتي المادية حيثما كانت" والجملة الأولى هي لازمة المعروفة عند جميع الناس، وهي لازمة كل كذاب، إذ لا يكتر من نفي الشيء إلا المتصف به، ثم كنت منشوقاً إلى خدمة من تُسميهم اليوم باللائكيين، ولو أعاروك التفاتة، أو أشاروا إليك بغمزة، لكنك اليوم من عبدهم المطيعين، ولكانت اللائكية، في نظرك ملائكية، ثم عرّجت على الشيوعيين، ولهم معك ماضٍ معروف، فوجدتهم أيقاظاً، ذاكين لذلك العهد، مثنين عليك بمثل ربح الجورب، ولو أنست في ذلك العهد من جانب الطوقية ناراً، لقلت في غير تردد: إني أجد على هذه النار هدى. ثم وقع بك الحظ على هؤلاء القوم أو وقع بهم عليك، وهم لم ينسوا ماضيك معهم، وإنما يتناسونه لأمر ستنجلي عنه الغيابة، يوم ينكفي القدر بما فيه من صباة. فهل فكرت بعد هذه الأطوار أن تستقل بجريدة لا تناصر بها حركة ولا سكوناً، ولا تعتمد فيها على شخص ولا على حزب؟ وهيات... إننا نقامرُك - مع الأسف- بما شئت من المال الذي تتحلّب شفتك شوقاً إليه، وتحسدنا على جمعه وتفريقه، وتتساءل في حيرة المشتاق: أين يذهب هذا المال؟ نقامرُك على أن تصدر جريدة ليس عليها إلا اسمك، ووسمك، وليس لها اعتماد إلا على قيمتك الشخصية وسمعتك الاجتماعية، فإن راجت المائة الأولى من العدد الأول قمنا لك بالشرط وإن ثقل، ويؤت بفائدتين: المال ومعرفة أين ذهب بعض المال.

أيها الشيخ:

"إن البلاء موكل بالنطق"، وإن من قال كل ما يُحِب، سمع بعض ما يكره. وإن من اشتغل بالناس، يوشك أن يشغله الناس عن نفسه. وإنك ستنجي وتهم وتنتعت وتذهب في التأويل كل مذهب، ولكنك لا تأتي بشيء جديد، فكل ما تقوله غداً قد قلته أمس مكرراً ومعاداً، وأنت امرؤ بادي المقاتل لخصومك، بادي الهنات لأصدقائك، ومن كان مثلك لم يضر عدواً، ولم يسر صديقاً. هذا بعض حقك علينا أديناه معذورين، أما حق أصحابك فسؤديهم معذورين ومشكورين.

## 19- رسالة إلى الشاعر محمد العيد آل خليفة (بين عالم وشاعر)\*

دارت مكتبة خاصة بين الأستاذ إبراهيم وشاعر الشباب وكانت في أمر يتصل بسير الحياة العام. كانت في بؤس طائف طافه بالشاعر، فحاول العالم تعويذه بآيات الأمل وتوأم الرجاء، فلما اجتمعنا بالصديقين انتزعنا منها ما دار بينهما، ورأينا من حقوق قراء "الشهاب" الاطلاع عليه، لا سيما وقد كان مثير هذا الحوار قصيدة نُشرت في مجلتهم.

تلمسان يوم 3 صفر 1355

الحمد لله وحده

إلى وادي الروحي الأستاذ محمد العيد وادي:

طلما قرأت في وجهك الشاحب آيات الحزن، وتلمحت في قسائك دلائل الهم والأسى، وكم حركتك بمعارض من القول علي أستبين شيئاً من حقيقة هذا الهم الدفين الذي تنطوي عليه أحناؤك وهذا الأسى المبرح الذي أعلم أنك تقاسيه. فكنت كمن يستجلي المعنى الدقيق من اللفظ المعقد، وإن بين التعقيد ونفوس الشعراء "الأتقياء" نسباً وثيقاً. وإيا لله للنفوس الشاعرة التقية وما تلاقيه من عناء ممض يتقاضاها الشعر إطلاقاً، فيتقاضاها التقي تقيداً... لها الله فإذا تفعل!

أظن أننا جاهلون بهذه المنازع العجيبة التي تنزعها في شعرك وبمناشئها من نفسك، فاحمد الله على أن في قومك من يعرفها ويتذوقها ويطرب لها... ما لهذه النفس الكبيرة في هذا الهيكل الصغير يهفو بها الشعر في مضطربه الواسع فلا يبلغ مداه حتى يقول:

خلا القلب من حب العباد وبغضهم ... وأصبح بيتاً للذي حرم البيت

ويقول: وتبت يا رب تبت

ويقول اليوم:

ولولا رجاء الذي ... إليه أنا زالف

(\* نشرت بمجلة "الشهاب"، الجزء الثالث، المجلد 12، جوان 1936، إص: 135. آثار الإمام، ج1، ص: 226.

إنها، وأبيك، لنزوة الشعر تعتلج في الفؤاد بنزعة التقى.  
 طالما سمعت منك كلمة "اليأس"، وبودّي أن لا أسمعها منك مرة أخرى لأنني أعدها غميرة في شاعريتك. ولولا شذوذ نعرفه في نفوس الشعراء كأنه  
 من معاني كلهم لما صدقنا باجتماع اليأس والشعر، وكيف ييأس الشاعر وهو ملك مملكة الآمال وسلطان جو الخيال. فإن كان تقياً رجع من "رجاء  
 الله" إلى ما لا يحده له أمد. فكيف تياأس نفس الشاعر لولا ذلك الشذوذ؟  
 لقد قال أولكم:

حرك منك إذا اعتد ... مت فإين مراوح  
 وما قالها لغيره إلا بعد أن جرّبها في نفسه. ..فلا تياأس يا بني ولا تكذب إمامك الذي يقول: خلق الشاعر سمحاً طرباً.  
 قرأت زفرائك هذه الساعة في الشهاب وأنا طريح الفراش، أعالج زكاماً مستعصياً ونزلة شعبية، وسعالاً مزمناً وأولاداً يطلبون القوت أربع مرات  
 في اليوم وتلاميذ يطلبون الدرس سبع مرات في اليوم والليله فقلت: وهذه أخرى. إن ولدنا هذا لنو حق. وكتبت لك هذه الكلمات كما يكتب  
 الأب الشفيق إلى ولده الرقيق. وعسى أن يكون فيها ترويح لخاطرك.

محمد البشير الإبراهيمي

### جواب الشاعر (\*)

أبي (البشير) سلام ... زالك وشوق كبير  
 لا زلت فينا منازاً ... بضوئه نستنير  
 وافى كتابك يهدي ... إليّ المنى وبشير  
 تذكو العبارة فيه ... ما ليس يذكو العبير  
 إذا فؤاديّ سال ... به وطرفي قريـر  
 قد ارتددت بصيراً ... فكيف يغوى البصير؟  
 قميص يوسف ألقى ... به علي (البشير)!  
 يا آسي اليأس زدني ... كشفاً فأنت خير  
 اليأس داء عسيـف ... والبرء منه عسيـر  
 فرجت عن مستطار ... بلاؤه مستطير  
 وكدت تجلو ضميري ... لو كان يجلى الضمير!  
 فليس يجزيك عني ... إلا الإله القدير  
 غفرانه لم يشقى ... في الخلق جم غفير؟!  
 شق المرائر إرباً ... هذا الشقاء المير!  
 كم للمعافين جار ... من بوسه يستجير  
 يرى كجدلان حر ... وهو الأسيـف الأسيـر  
 يا لاهج الذكر باسمي ... والجاحدون كثير!  
 لا باد فينا لك اسم ... ولا انقضى لك خير  
 عفوًا فإن يراعي ... عيٌّ وباعي قصير  
 عفوًا فما لي جناح ... به إليك أطير  
 لا قفؤ إثر سريّ ... فوق الثريا ... يسير  
 نفحتني بخطاب ... كالزهر وهو نضير  
 فهل تعير بيأناً ... لرده هل تعير؟؟  
 يعيا الفرزدق عما ... تقوله وجريـر  
 يا واصف الخير زدني ... من وصف ما تستخير  
 يدق بين ضلوعسي ... قلب كسيف كسير

(\*) "الشهاب"، الجزء الثالث، المجلد 12، جوان 1936، ص: 137.

أخشى عليه انتكاساً ... والانتكاس خطير  
صِف وصفةً لي أخرى ... فيها الشفاء الأخير  
محمد العيد آل خليفة

## 20- رسالة إلى الدكتور: محمد فاضل الجمالي(\*)

حضرة صاحب الفخامة الدكتور محمد فاضل الجمالي، رئيس الوزارة العراقية ورئيس مجلس الجامعة العربية في دورتها الحالية المحترم .  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أرجو من فخامتكم أن تقرأوا هذا البيان بإمعان وأن تعرضوه على مجلس الجامعة وأن تتولوا بيانه والدفاع عنه مشكورين .  
كاتب هذا البيان إلى فخامتكم وإلى مجلس الجامعة الموقر هو رسول أمة عربية مسلمة في الجزائر تعد أكثر من عشرة ملايين من النفوس وتجاهد  
الجهاد العنيف في سبيل عروبتها وإسلامها .  
وهو قائد حركة ثقافية علمية أساسها العروبة والإسلام .

وهو رئيس جمعية منظمة حققت في عقدين من السنين أشياء تعد من خوارق العادات في هذا العصر فشيدت مائة وخمسين مدرسة ابتدائية  
عربية ومعهداً ثانوياً فخماً كامل الأدوات وعلمت مئات الآلاف من مجموع مليوني طفل محرومين من التعليم بجميع أنواعه، كل ذلك بمال طفيف  
تدفعه أمة فقيرة ولكن مؤمنة بمعاني الجهاد ونتائج الجهاد .

رسالي التي أحملها من الأمة الجزائرية العربية إلى أخواتها العربيات في الشرق العربي هو شرح الحالة على حقيقتها وطلب النجدة السريعة بإعانات  
مالية تحفظ الموجود في الجزائر وتدفعه خطوات إلى الأمام وتعين هذه الجمعية على إكمال رسالتها التي لا تتم إلا بمئات أخرى من المدارس  
تستوعب أكبر عدد من الأطفال المحرومين الذين يريد لهم الاستعمار أن يبقوا مشردين، وإيقاد مئات من الطلبة الحاصلين على الشهادة  
الابتدائية العربية إلى معاهد الشرق العربي ليكملوا دراساتهم فيها على نفقة حكوماتها وليرجعوا إلى أوطانهم معلمين مجاهدين .  
بلغت الرسالة على أكمل وجه وأذيت الأمانة غير منقوصة وكررت وأعدت وكانت النتيجة أن استجابت معظم الحكومات العربية فقبلت  
أعداداً محدودة من تلاميذ جمعية العلماء في معاهدها وعلى نفقتها .

وأنا مع شكركي لهذه الحكومات فإني ما زلت أطلب المزيد. ولو أن حكوماتنا العربية أنفقت على ألف تلميذ جزائري لما كان ذلك كثيراً عليها ولا  
على الجزائر، ولو أن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية أنفقت على ألف أخرى لما كان ذلك كثيراً عليها ولا على الجزائر، وبرهان كلاهما يتربك  
من عدة مقدمات يقينية يجب على كل عربي في الشرق أن يفهمها وأن يؤمن بها، لا سيما الحكومات والساسة وقادة الرأي، وأنا كفيل بشرحها  
وبيانها لأنه من أصول رسالتي :

الأول: إن الشعب الجزائري مؤلف من عشرة ملايين وزيادة كلهم عرب أصلاء، وكلهم مسلمون متصلبون، والاستعمار الفرنسي عامل على  
مسخهم وإخراجمهم من عروبتهم وإسلامهم، ولولا خصال فطرية في التصلب والاعتزاز بجنسيتهم ودينهم وشرقيتهم، ولولا جمعية العلماء وجهادها  
عشر سنين في التمهيد وعشرين سنة في العمل لبلغ الاستعمار منهم ما أراد، ولو ضاعوا لكان ضياعهم مصيبة على المجموعة العربية لأنه نقص في  
رأس مالها من الرجال المتشددين في عروبتهم، والزمان زمان تكاثر وتكاثر في العدد ونحن نرى أقوىاء يتكاثرون بمن ليس منهم ولا تجمعهم بهم  
جامعة، فكيف بالأخ الأقرب المشارك في الدم واللسان والخصائص الجنسية .

الثاني: إن جامعة الدول العربية ملزمة بروح ميثاقها العام أن تحرر كل عربي على وجه الأرض بالمستطاع من وسائلها التدريجية، ولا نشك أن  
للشعب الجزائري مكانته في نفس الجامعة، وقيمته في تقدير الجامعة و" خاتمه " في برنامج الجامعة، فإذا كانت الجامعة لا تستطيع أن تحرر القطر  
الجزائري كوطن فهي تستطيع أن تحرر العقول والأفكار بالعلم والمعرفة من الجهل والضلال اللذين هما أساس الاستعمار. والجامعة أول من يعلم أن  
الشعب الذي لم تتحرر عقوله وأفكاره من قيود الجهل والوهم يستحيل أن تتحرر أيدانه أو يعسر أن تتحرر، وقد هيأت جمعية العلماء هذا  
الشعب للاستقلال بما لقيته من معاني الحياة الشريفة وبما بثت فيه من معاني العروبة والوطنية والحرية وبما ربطته بالشرق ربطاً محكماً، وهي تزييه  
لا على المطالبة بحقه بل أخذ حقه بيده، كل ذلك بالفعل الذي قامت عليه الشواهد لا بالأقوال الفارغة التي لا عليها شاهد، وان هذه الجمعية تعلم  
أن ركب العرب لا يُجْدَى إلا بلغة العرب، ولا يطرب إلا على أغاني العروبة، وتعلم أن قافلة الإسلام لا تهندي إلا بدلالة القرآن، وكل هذا فعلته  
جمعية العلماء وما زالت تفعله، وقد صحت التجربة وصدقت النتيجة، وعلى هذا فلجامعة الدول العربية من جمعية العلماء الجزائريين سند قويم  
ودليل هاد ومعين أمين .

(\*) نشرت بمجلة " جوهر الإسلام " السنة 4، العدد: 6، تونس، مارس 1972م. وفي آثار الإمام، ج4، ص: 277-281.

الثالث: ان الشعب الجزائري العربي غريب في وضعه لا يقاس بشعب ولا يقاس به شعب عربي آخر لأن لكل شعب من الشعوب العربية المستقلة رأس مال من الحرية والحكم والمال وموارث الأسلاف من مدارس ومساجد ومعاهد وأوقاف. تونس ومراكش المحيطتان بالجزائر ما يزال فيها شيء من تلك الموارث، ففيها المساجد الكثيرة الضخمة، فيها بقية أوقاف داره وفيها صور من الحكم وأنواع من الوظائف العليا، وفي تونس جامعة الزيتونة ثانية الجامعات الإسلامية بعد الأزهر، وفي مراكش جامعة القرويين ثالثة الجامعات الإسلامية بعد الأزهر والزيتونة ولكل واحدة من الجامعتين ميزانية ضخمة من الأوقاف ومن الخزانة العامة، وكل واحدة منها محفوظة ومسيرة بميزانيتهما القارة، أما الجزائر فلم يبق فيها أثر ولا عين من تلك الموارث، فالأوقاف الإسلامية العظيمة صادرها الاستعمار في السنة الأولى لاحتلاله والمساجد العظيمة صيرها كنائس ومرافق عامة في السنوات العشر الأولى انتقاماً من المقاومة التي كان يلقاها في الشعب الجزائري، وبقية المساجد هي ووظائفها تحت يده وسلطانه وهي كذلك إلى الآن وصير من وظائفها وسائل تجتهد للجوسسة، ومن رجالها ألسنة للتسيب بحمد فرنسا، حتى يكون المسلمون بعضهم لبعض عدواً، وهم الآن حرب على التعليم العربي وعلى جميع الحركات المناهضة لفرنسا وفي مقدمتها جمعية العلماء، وفرنسا ترصد مئات الملايين من ميزانيته لحرب العربية والإسلام في الجزائر، وتجتهد الآلاف من أذنانها لمقاومتها والتزهد فيها .

وفي هذا التصور، وهو قليل من كثير، تتضح عظمة الأعمال التي قامت بها جمعية العلماء الجزائريين وفي وسط هذه الظلمات المعكرة بالظلم والجهل والفقر، وان جمعية توجد شيئاً من لا شيء لحقيقة التقدير والإعانة العملية... ان جمعية تشيد مائة وخمسين مدرسة ابتدائية وتعمرها بنحو خمسين ألف تلميذ من بنين وبنات يدرسون العربية والإسلام ثم تنشئ معهداً ثانوياً يحتوي على ألف وخمسة مائة تلميذ وتسيد سبعين مسجدًا لإقامة الشعائر الإسلامية، وتؤسس مائة ناد وزيادة للمحاضرات العلمية والاجتماعية، وتنظم البرامج الفعالة لمكافحة الأمية ثم تمد نظرها إلى ما هو أعظم من ذلك، فهي عازمة مصممة إن تيسرت لها الوسائل المادية أن تشيد ألف مدرسة تستوعب مئات الآلاف من الأطفال المشردين، وهذا المقدار من المدارس هو القدر الضروري الذي يقتدر إليه الشعب الجزائري ويستتبع ذلك عدة معاهد ثانوية ينتقل إليها الآلاف من المحصلين على الشهادة الابتدائية وعدة معاهد لتخرج المعلمين لهذا الجيش الحزاري من المتعلمين. كل هذا من الآمال التي تسعى جمعية العلماء لتحقيقها، وان جمعية تعمل مثل تلك الأعمال وتأمل مثل هذه الآمال حقيقة بأن يؤخذ بيدها وأن تعان على تثبيت أعمالها وتحقيق آمالها .

وهذا مجمل من حقيقة هذه الجمعية كنت قدمت تفصيله في مذكرتين للأمانة العامة لجامعة الدول العربية من نحو سنة مضت، كما يئنه أبلغ بيان لإخواني العرب شعوباً وحكومات في هذه الرحلة التي استغرقت من وقتي ما يقرب من السنتين، وقد برأت بهذا التبليغ إلى الله وإلى التاريخ وإلى ضميري وأماتي، ولم يبق إلا واجب الإخوان لإخوانهم، وقد بدأت بوادره في هذه العشرات من الطلاب الذين قبلتهم الحكومات العربية في معاهدها على نفقتها وفي مبلغ مائة وعشرين جنباً مصرياً قرره الأمانة العامة إعانة مكتب جمعية العلماء في القاهرة، وذلك المكتب الذي أسسته ليكون واسطة بين الشرق العربي وغربه، وسفيراً أميناً بين الجزائر وأخواتها العربيات شعوباً وحكومات .

أنا راجع إلى الجزائر بعد مدة تطول أو تقصر... راجع إلى ميدان مجاهدي وأعماله وهو الميدان الذي يعز علي أن أفارقه، وأتمنى أن أموت فيه إن شاء الله مقبلاً غير مدبر... وأكد أمل يعمر خاطري أن يفهم إخواننا العرب شعوباً وحكومات حقيقتنا كما هي كأنهم يرونها بأعينهم، وأن يتبينوا أعمالنا وآمالنا، فيكون سرورهم بالأعمال مدعاة لإعانتنا على تحقيق الآمال، فإذا فهمونا على حقيقتنا علموا أن هذا الشعب المجاهد لا زال في حاجة إلى مئات من المدارس الابتدائية تنفذ ذلك العدد المعرض للكفر والاستعجاب من أبنائه، وما زال مفتقراً إلى عدد من المدارس الثانوية ترضي رغبات الآلاف من الحاملين للشهادة الابتدائية، وما زال في حاجة إلى عدة معاهد من صنف دور المعلمين .

وليس كثيراً على جامعة الدول العربية أن تبني باسمها وبمالها داراً للمعلمين وأخرى للمعلمات في الجزائر ومعهداً ثانوياً أو معهدين تخفيفاً للعبء الثقيل الذي تحمله جمعية العلماء والأمة من ورائها .

وليس كثيراً على الحكومات العربية أن تعلم في معاهدها وعلى نفقتها بضع مئات من أبناء الجزائر ليصبحوا معلمين لأبناء شعبهم ورسلاً ثقافة بين المشرق العربي والمغرب العربي .

إن مكتب جمعية العلماء بالقاهرة هو جمعية العلماء ممثلة في القاهرة، فهو لسانها الناطق بأعمالها، المصور لحقيقتها وأمنيتها، وهو السفير الأمين بين الشعب الجزائري وبين الشرق العربي كله، وهو المبلغ الصادق بين الطرفين، وهو الذي يشرف على هذه البعثات الرسمية المنظمة مما كثر عددها، وهو متحمل في هذا السبيل لأعباء لا قبل له بها ولكنها واجبات، وهو في هذا اليوم مسؤول عن نفقات عشرات من الطلاب لم يلتحقوا بالهيئات الرسمية، وهو كأصله لا ينفق فلساً من المال ولا دقيقة من الوقت في الشخصيات، وانه منفق كل جموده في نفع المجموع الجزائري، وهو يمد رجليه على قدر الكساء فإن وجد السعة توسع في البعث .

أيها الإخوان: اني أعتقد أنني لا أملك إلا التبليغ وقد بلغت، ولا أستطيع إلا الإفهام وقد أفهمت، ولي من خصائص العروبة حظ في البيان وقد بينت، ولي من حقيقة العالم المسلم النصح وقد نصحت، فاللهم أشهد بـغداد في: 6 كانون الثاني(جانفي) سنة 1954م

محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء الجزائريين

## 21- إلى الأستاذ عبد العزيز الميميني (\*)

أنا أحمل لأخي الفاضل العلامة الشيخ عبد العزيز الميميني من الإكبار لقدره بعد الاجتماع به أضعاف ما كنتُ أحمل من الشوق إليه قبل رؤيته؛ ذلك أنني كنتُ أعرف من آثاره المكتوبة، وآثار المرء هي بعضه لا كلُّه، هي أجزاء من نفسه، ثمليها قريحة ويعبر عنها لسان، ويُسطرها قلم، أما الآن، فقد عرفت الميميني كلُّه، عرفت منه ما وراء القريحة واللسان والقلم، عرفته وعرفني فكانت معرفته بي مُكمِّلة لمعرفتي به؛ لأن مُناقلة الحديث، ومنازعة الرأي، وإدارة البحث على فكرة - تجلّي الجوانب النفسية التي لا يَصوّرها القلم، ولا تُسجّلها الصحيفة، ولا يُقعّق بها البريد، وتُفضي إلى اشتراكية رُوحية جميلة، أين منها هذه الاشتراكية المادية التي تلوّكها الألسنة لفظًا، وترشّح بها الأقلام كتابه؟! ما زلتُ منذ قرأتُ آثار أخي الميميني، واطّلت على أعماله الجليلة لتاريخنا العلمي، أشهد أنه مُنقطع النظر في سعة الاطلاع على تراثنا الذي تشبّث ومزقته الأحداث، فلم تبقَ منه إلا صُباة، ولم يبقَ من العارفين بها إلا عصابة، ولم يبقَ من وسائل إحيائها وربط أجزائها إلا ما يكثر في الخطأ وتقلُّ الإصابة.

وأخي الميميني - ولا أحياه - يرجع مع سعة الاطلاع إلى ذهن مُشرق، ورأي في تصحيح النصوص سديد، وحافضة هي رأس المال لمن يتعاطى هذه الصناعة، وحظٌّ من لغة العرب (مفرداتها وأساليبها) يندُر أن يُتاح لمن نشأ مثل نشأته، فهذه هي الأصول التي بوّأته بين علمائنا المنزلة التي اعترف بها كل مُنصف، والمُنصفون هم الناس وإن فلّوا، وأصل هذه الأصول في نفس أخي الميميني إخلاص في خدمة العلم عامّة، وافئنان بلغ حدّ التتيم بما أثل علماء الإسلام للحضارة الإنسانية، وعبرة بلغت أقصى حدّها على بقايا هذا التراث، أن يُضَيِّعها الوراث، كما أضاعت ما قبلها الأحداث، ثم حرص شديد - ولا حرص الفقير الخائق، في المحلّ الخائق، على الفِلس والدائق - على وصل ما انقطع، وربط ما انتشر من هذا التراث النفيس، الذي كان أهله عونا مع الزمان عليه، فكان من آثار هذه الخلال فيه أن رأينا يطوف الآفاق، ويُتَقَّب المكتاب؛ للحصول على كتاب عربي عَقَل الزمان عن نسخة بليغة منه؛ ليؤلِّد منها ثانية يردُّ بها غربة الكتاب إلى تأهيل، وغرابته إلى تأنيس، ولُئسَه إلى توضيح، وله في هذا الباب المناقب الكبر، التي عجز عن تحصيلها غيره، فهو يُشبهه محمد بن إسماعيل البخاري حين تفرّقت الأحاديث في الأمصار، فرحل إليها كلها؛ ليجمع منها ما شئت، ويصل من حالها ما انبث.

وهذا الفن الذي أصبح أخونا الميميني إمامًا فيه، وعلمًا من أعلامه - فنُّ قديم، وضع أصوله الأولى أسلافنا فيما كانوا يحرصون عليه من معارضة نسخهم من الكتاب بنسخته الأصلية، وبما كانوا يَلْتَمُونه من كتابة السّماعات - وإن كثرت - على نسخهم، مع شهادة مؤلف الكتاب بخطه أو بخط من يرويه عنه مباشرة، ومن دقّتهم في باب المعارضة أنهم يكتبون عن الكلمة التي انتهى بها المجلس هذه الجملة: (بلغ مقابلة أو ساءًا)، وكانوا لا يُجيزون الأخذ من كتاب ليس عليه هذه الشهادات، كما كانوا يرجعون في الخلاف إلى الأصول القديمة، وحكاية المعري مع شيوخ بغداد معروفة؛ حينما روى كلمة (يوح) بالياء، وعارضوه بروايتها بالباء، واستظهروا بنسخ جديدة من كتاب للتبكيّ أو لغيره، فقال لهم: هذه نُسخ جديدة رواها أشياخكم على العَلَط، فارجعوا بنا إلى النسخ القديمة بدار العلم، فوجدوها كما قال، وهذا أصل له فروع، منها: عنايتهم بتصحيح التصحيح، وتأليفهم المؤلفات الخاصة فيه، ولو أن باحثًا تتبّع هذه الأصول واستقصاها في كتاب، لكان ذلك إسكاتًا لهؤلاء المتبحّرين من الغربيين الذين يزعمون أن هذا الفن الذي يُطلقون عليه (فن خدمة النصوص) هو من مُبتكراتهم، ومن خصائص حضارتهم العلمية الحاضرة، وأنا ما انطوت نفسي على ثقة هؤلاء المُستشرقين حين يتكلمون عن كتبنا ولغتنا وآثار أسلافنا، ولعلنا نتفق جميعًا على عدم الثقة بهم حين يُحكّمون آراءهم في ديننا وتاريخنا وآدابنا وشؤوننا الاجتماعية، وإن كنتُ لا أنكر أن لبعضهم جهودًا مشكورة في إحياء بعض كتبنا، وهذا أيضًا ليس له كبير شأن، فإن القوم مُتعاونون، كل شيء مُيسّر لهم، وكل شيء يطلبونه من المراجع يجدونه منهم على طرف النّام، ومن ورائهم جمعيات ومجامع تمد وتسعف، ولو كنا نجد عُشر العون الذي يجِدونه، وعُشر التسهيلات التي تهبُّ لهم من المال والمكاتب الزاخرة الميسرة الأسباب، لصنعنا العجائب في هذا الباب.

ومن التحذلق الغالب على معظمهم أنهم يعدّون من أمانة النقل إبقاء الخطأ الصريح على حاله، فكلمة "غير" مثلاً لا تُحتمل غير معناها في مقامات الاستثناء مثل استعمالها في جملة: (هل من خالقٍ غير الله)، وقد يسهو ناسخ فيترك الغين بلا نقط، فيجدها جرمقاني من هؤلاء الجرامقة فيكتب في التعليق عليها: (في نسخة أخرى: غير)، ويعدُّ هذا من الفنّ، ولا يكون هذا من الفنّ إلا إذا كان الخطأ من الفنّ، وكان الجهل

(\*) الإبراهيمي: آثار الإمام، ج 4، ص: من 381 إلى 392 وُجدت هذه الكلمة في أوراق الإمام، ولا يعلم هل أرسلت إلى الأستاذ الميميني - رحمه

من الفن، وما أتى هؤلاء إلا من سطحيتهم في العربية وقلة محصولهم منها، أما العربي، فلا يحكم على كلمة (عبر) في مثالنا إلا أنها خطأ يصحح، لا احتمال يُصغف أو يرحح.

وعلى ذكر حظ هؤلاء الجراممة من العربية أقول: إنني تنصيت أخبار الكثير من مشهورهم، فلم أجد واحداً منهم برع في العربية كما يبرع العربي في لغات الغرب نطقاً وكتابة، بل جميعهم لکن الألسنة والأفلام، وإنما يئنه شأنهم عند أقوامهم وحكوماتهم؛ لأن لهم فيهم مآرب أخرى، ولا أعتقد أن مُستشرقاً غربياً ينبغ في العربية ولو ركب الصعب، وشرب في القعب، وادعى الولاء في بني كعب.

وقد وُجد في عصرنا هذا جماعة من أبناء العرب والإسلام اشتغلوا بهذا الفن، وكانت لهم فيه مقامات محموده، ونشروا كتباً لأسلافنا على طريقة العرض والمقابلة بين النسخ والمراجع، فاستولى بعضهم على الأمد الأقصى من الدقة والضبط، ولكن هذه الطبقة قليلة العدد، وسدّد بعضهم في الإحسان وقارب، وتطلّقت جماعات على هذه المائدة فلم يأتوا بسديد ولا بمفيد، ولم يزيدوا على أن زاحمو التجار الجاهلين، ونراهم يقلّدون سخفاء المستشرقين في طريقة (غير وغير)، ويسترون نقصهم بهذا التقليد الذي لا يصلح مواتاً من الكتب، ولا يُجيح أموالاً من المؤلفين، ونشر الكتب كنشر الأموات؛ يجب أن يكون إشاعة للحياة في جميع أجزاء الكتاب، ومن المحزن أن الظروف وفساد الأخلاق ساعدت على ظهور طائفة جمعت ضيق الذرع، إلى جفاف الضرع، ولم يكتف أحدهم بطبع الكتاب حتى يُعلّق عليه افتتاناً بهذا اللقب الجديد الذي يفيد قومه: "نشره فلان وعلّق حواشيه"، وقرأنا فوجدنا التعليق، أصعب على القارئ المغرور من التحليق، ووجدناهم في تلك الحواشي، أشبه بجالة الطواشي، ذكر ولا آلة، وعائل وهم عائلة، ومن عجيب أمر بعضهم أنهم يبنون آراءهم في الحق على أسس من الباطل، ويبنون استنتاجات سخيفة على تناسب الألفاظ وتجانسها في الحروف والأوزان، ولو أن نسبة زعم أن الأقباط من الأسباط لثشابه اللغظين، وأن ذارعين من نصر بن قعين ليتجانس الفقرتين، لما كان أسخف مما تبسّ به هذه الأذهان العقيمة القاحلة، ومن غريب أمر بعضهم أنهم يخوضون في تعليقاتهم في الأنساب - أنساب الأشخاص، وأنساب الآراء، وأنساب الآيات - فيقعون في تخليط يلحق البيت بغير قائله، والابن بغير ناجله؛ كل ذلك لأنهم أتوا هذا الأمر من غير استعداد له ولا استكمال لأدواته، ومن أيسر أدواته معرفة المظان، والصبر على مكاره التنقيب والبحث عنها، ونراهم حين يرمون بسُخ الكتاب الذي ينشرونه إلى السوق يروجون له بالدعاية والإعلان، وأنه بتحقيق فلان، فيكون حظ الناشر من الدعاية أكبر من حظ المنشور، والبضاعة الثمينة لا تُباع بالمناداة، وسيان عندي في السخافة والصعّة من نشر من هؤلاء كتاباً وسمي عمله فيه تحقيقاً، ومن طبع كتاباً من كتب المعري وكتب على ظهره "حقوق الطبع محفوظة لذرية المؤلف من ضلبي!"

أخي الأستاذ المجني من أعرف الناس بذلك النوع الذي كان يجري بين العلماء والأدباء من أسلافنا، وخصوصاً بالأندلس؛ من تردّد الرسائل بينهم في موضوع علمي أو أدبي، ويطلقون عليه اسم (المراجعة)، وقد شاع هذا النوع واختص بمبادئ وخواتيم وملامح كادت تُفرد عن بقية الأنواع كالإخوانيات وغيرها، ومن أمثله بين علماء الشرق ما وقع من مراجعات بين المعري وداعي الدعاة، ورسالي هذه إلى أخي الأستاذ هي احتذاء لذلك النوع، وإحياء له، وفتح لبابه، فليحياها على محملها، وليسمها باسمه، وليضع اللبنة الثانية في بنائه، ويقيني أن لأخي الأستاذ من سعة الصدر ما يتنقل هذه المراجعة من باب التنبيه، إلى باب التنويه، وأن له من حرية الرأي ما جعله يقول كلمة الحق في سيئويه وأنصاره المؤلفين لخطئه في تليفق بيت "فلسنا بالجمال ولا الحديد"، فأنى بها شاهداً مجروح الشهادة، وكلمة الحق في العلم ككلمة الحق في الدين، كلتاها سابعة الأثواب، مرجوة الثواب.

جرى على لساني في أول اجتماع سعدت فيه بلقائكم إنشاد بيت مشهور لسُحيم عبد بني الحسحاس، وهو

أشعارُ عبدِ بني الحسحاسين قُمنَ له

يومَ الفخارِ مقامَ الأضلِّ والورقِ

ورويث "الورق" بفتح الراء، لا لأنني أحفظه هكذا؛ بل لأنني أفهمه هكذا، وعادتي أنني أحكم الفهم في الحفظ لا العكس، ولست أنكر كسر الراء ولا أجمل معناه، وقد سمعت مئات من الأدباء يُنشدونه بالكسر، وكنت أناقشهم فيه برأيي الذي سأبينه في هذه الكلمة، فيرجعون إلى الحق. بادرتم - أيها الأخ الفاضل - إلى رواية البيت بكسر الراء، وفسرتم الورق بمعناه المعروف، وهو الفضة، وزدتم عليه الرقة، وكأنكم توهمتم أنني لا أعرف الورق بالكسر ولا أعرف معناه، فقرأت عليكم آية الكهف؛ دفعا لذلك التوهم، ولكنكم لم تسمعوني، كما أنشدتكم قسماً من الرجز شاهداً على المعنى الذي قصدته، وهو قول الراجز: اغفر خطاياي وثمر ورقي وهو يعني المال بجميع أنواعه، وراجعتم في ذلك المجلس بأن الورق - وهو المال عامة - أنسب بقصد الشاعر من الورق الذي هو مال خاص، ولكن حرصكم على رواية الكسر أضاع صدى تلك المراجعة، ثم سافرت إلى دواخل باكستان ونسيت هذه القضية، ولما رجعت من جولتي وشرفقوني بالزيارة للمرة الثالثة، ذكرتم لي آية الكهف على أنكم تذكرونها بعد انقضاء المجلس الأول، فنتبته في خاطري أمران: الأول توهمكم أنني لا أعرف الورق بالكسر ومعناه، ولقد عرفت هذه الكلمة ومعناها وأنا ابن سبع سنين حيناً مررت بموضعها في سورة الكهف في طريقي إلى البقرة، ولقد حفظت القرآن وأنا ابن تسع، وكان عمي - رحمه الله - يفسر لي كل كلمة من غريب القرآن أثناء الحفظ، والثاني أنكم أردتم بذكر آية الكهف الاستشهاد لقصد سُحيم، كأن وجود لفظ الورق في القرآن دليل على أنه هو المقصود لسُحيم، وهذا لا يستقيم، ولو ذكرتم لفظة الورق في القرآن أكثر مما ذكرت كلمة الصبر، لم تكن دليلاً على ذلك،

وإنما يكون الذِّكر في القرآن دليلاً على أن اللفظة عربية، أما استعمالات البلغاء، فهي راجعة إلى مقاصدهم، وليس نزاعنا في وجود لفظ الورق في لغة العرب، ولا في معناه عندهم، وهو الفضة، وإنما نزاعنا في شيء آخر، وهو حمل كلام سحيم على هذا المحمل، وهل هذا المحمل يُشبهه مقاصد البلغاء في مقامات الفخر ومقامات ذوي المهم من غيرهم.

لهذا أردتُ أن أراجع أخي الفاضل بهذه الرسالة متطرحاً على فضله، ناشراً للمعنى الذي أراه أرجح، ولدليلي على الأرجحية، وقد أملى هذه الكلمات خاطراً كليل، يجول في جسم عليل، ورشح بها فكر حائر، بين باكستان والجزائر، والفضل لسيدي الأخ في إثارتها في نفسي، فقد بُعد عهدي بتذكر الأسماء والأبيات، فضلاً عن المباحث والموضوعات، فإن حركت هذه الكلمة في نفس الأستاذ كامناً، أو أثارت كميئاً، فكتب من معلوماته الواسعة ما يوجبه الوجيه عنده، كنت سعيداً مرتين: مرّة بما كتبت، ومرّة بما كتب، ولعل ذلك يُحقره ويحفزني إلى مراجعات أخرى في موضوعات أوسع.

يا سيدي الفاضل، إن التصميم على رواية في الشعر يحتمل المعنى غيرها، لا يقبلُ إلا من رجل يستطيع أن يأتي بإسناد متصل بالثقات إلى الشاعر؛ فيقول: أنشدني فلان، قال: أنشدني فلان، وهكذا صاعداً إلى أن يقول الأخير: أنشدني عبدُ بني الحسحاس لنفسه قوله:

أشعارُ عبدِ بني الحسحاسِ فُمنَّ لهُ

يومَ الفخارِ مقامِ الأصلِ والورقِ

هكذا بكسر الراء، ويتقلها لأهل عصره بشهادة السماع المتصل المنصوص فيه على كسر الراء، فيصيحون كلهم وكأنهم سمعوها من فم سحيم، كما نرى في أسانيد الحديث واللغة والشعر والخبر عند القدماء، فكانوا يحافظون في الرواية حتى على الخطأ ثم يصححونه، كما رواه ابن دريد إنشاده لبيت:

أنكحها فقلها الأراقم من جن

ب، وكان الحياء من آدم

بالحاء المعجمة، ثم صححوها له هذا الخطأ، وإنه الحياء بالحاء المهملة، وأعتقد أن أخي الأستاذ يوافقني على أن هذه السلسلة انقطعت من قرون، ولا طمع لنا في معرفة ما نطق به سحيم في بيته: هل هو فتح الراء أو كسرها؟ فلم يبق لنا - بعد فقدان الرواية - في ترجيح أحد المعنيين المحتملين إلا تحكيم قوانين البلاغة وأساليبها، ومقاصد البلغاء ومنازلهم في الفصاحة والبلاغة، فهلم تنبئ منزلة سحيم فيها من غير الثقات إلى الموضع الذي وضعه علماء الطبقات فيه، ثم هلم نوازن بين الكلمتين المتأثنتين، وأيتها أقرب إلى قصد الشاعر، وأيتها تؤدي غرضه كاملاً، وأيتها يتساق معناه مع الفخر، وأيتها أشبه بمنزله في الفصاحة والبلاغة، فإذا اتفقنا على أن سحيمًا لا يزال عن درجة البلاغة، ولا يدفع عن منزلة البلغاء في عصره، فالورق أبقى بقصده، وأشبه بمعرض كلامه، وأنسب لمنزله، وأكمل أداء لغرضه؛ لأن الورق بالكسر مال خاص، وليس بالثمين ولا مما يتسلح به المتفخرون في مقامات الفخر، والورق بالفتح هو المال الشامل للفضة وغيرها، وهو يريد أن أشعاره تقوم له مقام الأصل الذي فاتته، ومقام المال الذي حرمه، فإذا فاخره الناس بالأصول الجليلة والأموال المتنوعة، فاخرهم بشعره ففخرهم، لا مقام مال مخصوص مُحترق، لا يُفاخر به الناس، ولو نزلت به همته دون بلاغته لذكر الذهب؛ لأنه أعلى وأتمن عند جميع الناس، ولم يُعجزه أن يأتي في روي البيت الثاني بالباء، والشعراء بطبيعة الشعر فيهم يؤثرون المبالغة والتسامي في مقامات الفخر، لا التنزل والإسفاف، فكيف نرضى لسحيم وهو من هو في البلاغة وعلو الهمة أن يجسب قصده وغرضه عند هذا المعنى القاصر المنحط، وأين الفضة من الذهب؟ وأين هما من سحر النعم؟ وأين هما من النجائب والجنائب؟ إنكم يا سيدي الفاضل بتصميمكم على كسر الراء وضعتم صاحبكم سحيمًا - الذي خدتموه بطبع ديوانه - في منزلة من سقوط الهمة لا يُحسد عليها، ورجعتم به إلى طبيئته التي يريد أن ينسليخ منها، وصورتهم للناس رجلاً لا يعرف من المال غير أحط أنواعه، وهو الفضة، ولا تسمو همته حتى في التخيلات الشعرية إلى أكثر من الفضة، التي كان يباع بها ويشترى، فهو عبد في الخيال كما هو عبد في الحقيقة، وأية قيمة لشعر قومه صاحبه بالفضة، وقنع بهذه القيمة حتى في أوسع مجالات الفخر؟ إذا فهو شعرٌ عبدٌ لأنه شعرٌ عبدٍ، فإذا أتيتم له هذا القصد، فإن النقاد يحملونه على المبالغة أيضًا كما هو طبع الشعر والشعراء، وانظر - يا رعاك الله - ماذا يبقى من الوزن لهذه القيمة إذا جردت من المبالغة الشعرية؟ لا شك أنه لم يبق إلا أن يقوم بسؤال الشعر وقتات البعر، وإذا يصدق فيه قول زميل له حرّ: وشرُّ الشعر ما قال العبيد، وقد انتقدوا شاعرًا أندلسيًا ضاق عطنه حتى في باب الأماني التي هي أوسع مجال تسرح فيه أخيلة البائسين والكسالى فقال: "أو مثل ما حدثوا عن ألف مثقال"، فقصر أمنيته على ألف مثقال من أمير عُرف عنه أنه يبب آلاف المثاقيل.

وليتكم يا سيدي صيرتم كسر الراء معنى يحتمله اللفظ، أو أسبغتم عليه وصف الأرجحية، كل ذلك كان يقبل منكم، ويتناسب فضلكم وتحريك المعروف، وفي وجوه الاحتمال منادح ومخارج، ولكنكم صمتم على الكسر وعلى الفضة، كأنه المعنى الذي لا يحتمل اللفظ غيره، حتى بعد أن أنشدتكم الشاهد على الورق بمعنى المال، وهو: اغفر خطاياي وثمر ورتي.

فإذا كان لأخي الفاضل مستند في تصميمه، فلا جائز أن يكون رواية مُسلسلة إلى سحيم ثبتت أنه كان يتطرق هذا اللفظ بالخصوص بالكسر، وإنما يجوز أن يكون مُستنداً لضبطاً لفظاً لبعض الثقات أو بقول بعضهم: (بكسر الراء) كما هو مُعتاد، وهذا كله لا حجة فيه، ما دامت

البلاغة ثنافية، وسمو المقصد يُجافيه، ولو أني سمعتُ بأذني سحيمًا يُنشد بيته ويكسر الرء، لما حكمت عليه بالخطأ، ولكنني أحكم عليه بالإسفاف وسقوط الهمة أولًا، وبالخطاط ذوقه البياني ثانياً، ولو أن بليغًا من بلغاء العرب سمع سحيمًا ينشد هذه اللفظة بالكسر وهو لا يعرفه، لحكم عليه بأنه عبد النفس إن لم يكن عبد البدن.

هذا، وقد تناولتُ - عند وصولي في الكتابة إلى هذا المحل - نسخة ديوان سحيم التي تفضّلتُم بإهدائها إليّ، وكشفت عن محل البيتين فوجدت الشارح يقول: "الورق الدراهم والورق المال"، ووجدتُ الناسخ ضبط الكلمتين بكسر الرء ضبط قلم، فلاح لي أمران: الأول: أن ضبط الكلمة الثانية بالكسر غير صحيح، وأن الشارح أراد أن الورق بالكسر الدراهم والورق بالفتح المال؛ لأن هذا هو مشهور اللغة، ولو كان يريد أنها من المشترك اللفظي الذي يدلُّ بصورة واحدة على معنيين لقال: والورق المال أيضًا، فزاد كلمة (أيضًا) كما هو المعتاد في الأساليب القاموسية عند ذكرهم لمعاني المشترك اللفظي، والأمر الثاني: أن هذه العبارة ذكّرتني بأن استعمال الورق بالكسر اسمًا للمال منقول وإن لم يكن مشهورًا، وذكرْتُ ذِكْرًا غامضًا أن هذا مرّ بي، ولكنني نسيتُهُ لطول العهد وليس معي ما أراجعه؛ لأنني على جناح سفر، فإذا ثبت هذا، اغتفرتُ تصميمكم على الكسر، ولم يُغتفَر تصميمكم على تفسيره بالفضة، وعلى هذا الاحتمال - إن صحَّ - فلنقرأ الورق في بيت سحيم بالكسر ولتفسّره بالمال عامة؛ لأن حرصنا ليس على اللفظ وإنما هو على المعنى الذي يشرف سحيمًا ويبيّض وجهه، ويسمح لي أخي الأستاذ أن أسلك مسلكًا آخر في الاحتجاج لسحيم وأنه لم يقصد إلا الورق بالفتح؛ لأنه يشمل جميع الممولات، ولأنه سالم من الاشتراك اللفظي الذي هو عُرضة للاحتالات، وذلك أنني لا أشكُّ أن سحيمًا سمع القرآن إن لم يكن حفظه أو حفظ شيئًا منه، والقرآن هو المثل الأعلى للبلاغة، كما أنه الحجّة في تقرير المقاصد الإنسانية العالية، وإذا تأملنا القرآن واستعرضنا نظمه الكريم، وجدناه يذكر الذهب والفضة في معارض خاصة، ويذكر المال أو الأموال في معارض أخرى تُخالِفها... يذكر الذهب والفضة غالبًا في مقامين من مقام الافتتان بالزائف وجزائه في الآخرة، وفي مقام الترغيب في الحجّة بذكر أنواع النعم الباقي الذي أَلَّف الناس نوعه في الحياة الدنيا، فيذكر الذهب والفضة فيما زين حبه من متاع الدنيا، (وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ) [آل عمران: 14]، (لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ) [الزخرف: 33]، ويذكرها في التذكير بسوء عقبي الافتتان بها وكثرها وعدم تصرفها في النفع والخير، (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) [التوبة: 34]، كما يذكرها في أصناف النعم الأخرى الباقي؛ ترغيبًا للناس في العمل الذي يُبقيهم إلى الحجّة كما هي سنّة القرآن في أسلوب الترغيب بالميل النفسية، ووصف نعيم الحجّة الباقي بما يُثابته من نعيم الدنيا الفانية ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: 71]، (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَاتٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَأَنَّ الْفَوَارِيزَ \* فَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) [الإنسان: 15]، (يُحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ) [الكهف: 31]، (وَحُلُوهَا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ) [الإنسان: 21]

أما المال والأموال، فإنما يذكرها في المعارض الفطرية الثابتة، والسنن النفسية الراسخة؛ مثل ﴿أَتَمَّا أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فَتَنَّةٌ﴾ [الأَنْفَال: 28]، (وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ) [الصف: 11]، (المَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [الكهف: 46]، من آيات كثيرة كلها تدخل في باب تقرير السنن الكونية وآيات الله في الأنفس والآفاق.

وانظر - أعزّك الله - لو قال قائل في غير القرآن: الورق والبنون زينة الحياة الدنيا، أكان كلامه يعدُّ إلا من أسخف السخف؟ أو قال: إنما ورقكم وأولادكم فتنة، أكان هذا الكلام بحسب إلا من حكمة الزط، في غرائز البط؟ أو قال: جاهدوا في سبيل الله بورقكم وأنفسكم، أكان يُنظم إلا في عداد القعدة المتبطين عن الجهاد؟ ومن بلاغة القرآن المعجزة أن يستعمل المال في مقام، والأموال في مقام أعلى منه كالجهاد؛ لأنَّ الجمع فيه قصد الشمول من المال الذي هو اسم جنس، واسم الجنس شامل كاسم الجمع، ولكن الجمع أشمل منها، ولما كان الجهاد يحتاج إلى التبال والقسي، والجهاد والعصي، والرجال والرواحل، والأقتاب والأحلاس، والوص، والزراد والعلوفة، وكلها ممولات، حَسُنَ في قانون البلاغة وأسلوب الترغيب أن يُعبر في آيات الجهاد بالأموال، وصاحبنا سحيم، الشاعر الرقيق، الذي أدرك النبوة وأطلّته دولة الخلفاء الراشدين، لا يُحمل كلامه إلا على الاعترافات الفطرية التي قرّرها كتاب الفطرة، وما سحيم إلا من ناشئة الصحراء العربية، وما مقاصده إلا من نوع مقاصد العرب، وما أخيلته وأمانيه إلا من نوع أخيلة شعراء العرب وأمانيم، يرمون فيها المراي القصية، ويركون فيها من المبالغة والإغراق ما يُخرجه عن أفق الحقائق، وحسبك شهادة الله لهم بأنهم في كل واحدٍ يهيمون!

وقولهم: "المرء ابن بلده، لا ابن جلده" كلمة أصيلة في الحكمة الاجتماعية، فإن المرء إذا نشأ في قوم لا يجمعهم به عرق نسب، ينشأ كواحد منهم، ولو باعدت بينهم وبينه الخصائص الجنسية والدموية، ومن أين ما يجمع معهم فيه اللغة: ألفاظها ومعانيها وأساليبها وأسرارها، وسحيم لم يخرج عن هذه القاعدة، فهو مع سواد الجلدة وجامعة النسب، عربي اللغة والأدب، أما الشعر، فهو قابلية خاصة بحيث لو تفقّق لسانه على لغة قومه، لكان شاعرًا في لغتهم، على نسبة تلك اللغة في الضيق والانساع.

ويؤيد ما حملنا عليه كلام صاحبنا سحيم - وهو الأولى، بل المتعين - أن العرب ما كانت تعد الفضة - بل ولا الذهب - مالا يزين صاحبه، ولا متاعا مما يفتخر به جامعه، وإنما يعدونها قيما للأشياء، وكما هو الاعتبار الصحيح الذي جاء به الإسلام بعد ذلك، فها وسيلة لا مقصد، وهما معبر لا مستقر؛ وإنما المال عندهم الثاغية والراغية، وضربهم المثل بثمر النعم معروف، وإضافتهم ربعة إلى الفرس مشهور، ووضفهم مضر بالجرء معلوم، وهي ألقاب تمدح وإعظام، ومن كلام رجل منهم - لم أذكر اسمه الآن - وقد سئل عن أفضل المال، فقال: مهرة مأمورة، وسكة مأبورة، قيل: ثم ماذا؟ قال: عين فوارة، في أرض خوارة، قيل: فأين أنت من الذهب والفضة؟ قال: حجران تصطكان، إن أفتقتها فقدا، وإن تركتها لم تزيدا.

هذه - أبقى الله سيدي الأخ - بعض اعتبارات العرب اللال يجب أن يحمل كلام صاحبنا سحيم عليها؛ لأنه شاعر عربي، ولشعراء العرب في التصور والتصوير موازين كوازين شعرهم تختل بجرعة اختلاس، ويذكرها الزحاف بحرف يزيد أو ينقص، وقد قرأ أخوك هذا من صغره ما تفرق من شعر هذا العبد في الكتب، ووقف على شعره الفاحش في مجموعة من نوعه يملكها أحد الأصدقاء بالمغرب الأقصى، فوجدته حُرَّ الأخيالة عميقها، صادق التصورات، عربي النزعات، بدوي الخصائص الشعرية، جاريا ملء عنانه في الميادين التي جرى فيها الشعراء، ومنها ميدان الفخر؛ فلذلك تراني لا أجز نفسي أن تحمل ألقابه المحتملة إلا على الأسمى من معانيها، والأرفع من أغراضها، ومنها لفظ الورق.

ويا سيدي، إن في معاني الألفاظ العربية عموما وخصوصا، وإن للخصوص مواضعه في التراكيب تبعا للمقاصد، وللعموم مواضعه فيها كذلك، والمقاصد والأغراض هي المتحكمة في تنزيل الألفاظ منازلها، فهل ترضى لصاحبك الذي أحبيته أن ثمينته فتجعل أشعاره البليغة قائمة مقام الفضة لا الذهب ولا غيره من الأموال، لا سيما مع وجود معنى للورق يعني بالعرض الأشرف، وتسمية العرب اللال بمعناه العام ورقا تسمية عريقة النسب في البلاغة، قريفة لتسميتهم إياه بالريش، وقد استعاروا الاسم الأول من ورق الشجر؛ لأنه يُظلل ويحمي ويثمر، كما استعاروا الاسم الثاني من ريش الطائر؛ لأنه يكسو ويحمل ويعلو بصاحبه، ولكن الاسمين اشترا حتى استغنيا عن القرائن، وللعرب تخيلات صادقة دقيقة في معاني الألفاظ المشتقة والمنقولة، تدل على سداد تصرفاتهم الذهنية.

ثم إن لكل زمن موازينه للأشياء واعتباراته إياها، وموازن الأزمنة هي قوانين التطور، ولا تقلت منها الطبقات العليا في المجتمعات البشرية كالشعراء والعلماء والملوك، ولا معنى للتطور إلا اختلاف الاعتبارات، حتى يصبح القبيح حسنا، والحسن قبيحا؛ ولهذا ترى أن معروف البداوة مُنكر في الحضارة، وحسن الحضارة قبيح في البداوة، وإذا خرجنا من باب القبح والحسن والعرفان والنكر، إلى باب السات والألون، نجد القياس مطردا، وكذلك يقال في أساليب الكلام من شعر وخطب وأحاديث عادية، فنجد النقاد يفرقون بين شعر البادية وشعر الحضارة بسات ثابتة يُدرکہا كل دارس باحث، ولكل تطور أسباب طبيعية آتية من تحرك الاجتماع البشري وعدم استقراره على حال، وقد رأوا في شعر عدي بن زيد العبادي رقة ليست من سات الشعر الجاهلي، فحكوا بأن مأتى ذلك إنما هو لنشأته في ريف العراق، وغشيانه للحيرة وتردده على ملوكها، وصوغه الشعر فيهم، والحيرة هي حاضرة العرب في الجاهلية، ومن هنا كانت الفروق واضحة بين الشعر الجاهلي وبين شعر الحضارة والإسلام، وبين هذه الأنواع كلها وما جاء بعدها في مراحل الحضارة الإسلامية.

فلنتظر - على هداية قانون التطور وآثاره - إلى العصر الذي كان فيه سحيم، وإلى مفهوم المال عندهم، وإلى منزلة الفضة من بين أنواع المال بينهم، نتبين أن الفضة ليست بشيء في اعتبار ذلك العصر وعند أهله، وأن الفضة لم تخطر على بال سحيم حينما قدف بيتيه في وجوه المُفأخرين، وإذا كان أثر الشعر في نفس سامعه متصلا بأثره في نفس قائله، فكيف يتصور أن يقوم شعره بشيء لا قيمة له في نفوس سامعيه ومُفأخريه، أو له قيمة نازلة؟ والمعروف أن الشعراء ليس لهم باب يدخل عليهم منه المأل إلا جوائز وصلات الأمراء والرؤساء ثمنا لما يمدحونهم به، والجوائز وصلات في ذلك العصر وبعده بقليل لم تكن بالفضة ولا بالذهب، وإنما كانت في الأعم الأغلب بكرائم النعم والخلع والطرائف؛ لذلك لا نسمع في شعرهم إلا ذكر الذود والعكرة والهتيدة والجاويل العكثان، وقد دامت هذه الحال إلى عهد الخلفاء الأول من بني مروان، وحكاية جرير مع عبدالمك معروفه حينما مدحه بقصيدته الحائية وذكر فيها ابنته أم حزره وقوله:

تقي بالله ليس له شريك

ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال عبدالمك: وما يرضي أم حزره؟ فقال: كذا من الإيل، فأمر له بها.

وكما كانت الجوائز بهذا الصنف من المال، كانت شرائع المكارم وشعائر المروءة تؤدي بها أيضا؛ لأنها مال ذلك العصر، وإذا فسحيم كان في دولة الإنعام بالإنعام - وإن لم يكن مدحا بحكم عبوديته - لا في دولة الصفراء والبيضاء، وكان من جيل لا يفهم من الصفراء والبيضاء إلا أنها أداتان للمال وليستا المال نفسه، ناهيك بجيل يفرض أهل الرأي فيه خليفته عمر نصف شاة في اليوم لا دنانير ودرهم، فكيف يخطر ببال شاعر عبد أن يُفاخر الأحرار بشعره ويقومه بما عندهم من الفضة، وهو يعرف أنها ليست من أموالهم ولا مما يُفاخرون به؛ وإنما يُفاخر المرء بما تجري به المفاخرة عند أهل زمنه، وقد تطورت الحالة بعد سحيم بزمن، وأصبح الممدوحون يُجيزون مادحهم بالذهب والفضة؛ لكثرتها وبناء الحضارة المادية عليها، فأصبحت نفوس الشعراء تتطلع إلى هذين الحجرين.

وأين زمن سحيم وجبل سحيم من الزمن الذي يقول أحد شعرائه لرئيس:

إني حلفت لئن لقيتُك سالماً  
بُقري العراق وأنت ذو وفير  
لَتَصْلِيَنَّ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ  
وَلَتَفْلَأَنَّ دَرَاهِمًا حَجْرِي

والذي يقول فيه أبو دلامة:

إِذَا جَنَّتِ الْأَمِيرَ فُقُلُ سَلَامٍ  
عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ الرَّحِيمِ  
وَأَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فِلي غَرِيمٍ  
مِنَ الْأَعْرَابِ فُتِيحٍ مِّنْ غَرِيمٍ  
لَهُ مَائَةٌ عَلَيَّ وَنَصْفٌ أُخْرَى  
وَنَصْفُ النِّصْفِ فِي صَكِّ قَدِيمٍ  
دَرَاهِمٌ مَا انْتَفَعْتُ بِهَا وَلَكِنْ  
وَصَلْتُ بِهَا شَيْوَحَ بَنِي تَمِيمٍ

لله ذلك الطراز العالي من البلاغة العربية، وتلك الصفوة الممتازة من شعراء العربية، وتلك الطائفة المختارة من المدونين والرواة الذين جمعوا لنا ففقرنا، وحفظوا لنا فأضعنا، ورووا لنا شعر العبيد والنساء والنسك والفتاك والعدائين وعوران قيس وأغربة العرب، رحمهم الله وروح أرواحهم، وهدانا إلى حفظ ما بقي من تلك الذخائر.

ولله هذه اللغة الشريفة التي بلغ من ديموقراطيتها أن تسعى هرولةً إلى كل من يسعى إليها حبواً، والتي أضفت ظلها وأفاضت نهلها وعلمها حتى على الإماء والعبيد، وأكلت الكناث والهبيد، ثم تبنت القرائح والألسنة من جميع الأجناس، وأذكر في الكتاب هذه الأسماء اللامعة في شعراء العربية من غير العرب؛ أذكر سابقاً البربري، وأبا عطاء السندي، وعلي بن العباس الرومي، ومهياراً الديلمي، وأذكر إبراهيم بن سهل الإشبيلي؛ لأنه يهودي تعرّب، ولا تذكر السموع بن عاديا؛ لأنه عربي تهوّد. وأختم القول بما بدأته به، وهو أنني أحمل لأخي العلامة الميني كل إجلال وتقدير، وأغالي بقيمته في علمائنا العاملين، وله مبيّ تحيات تلمع مع البروق، وتتجدد في كل غروب وشروق

## 22- رسالة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى العلامة أبي الأعلى المودودي(\*)

القاهرة في 28 يوليو سنة 1955

حضرة الأخ الأسعد العلامة الناصر لدين الله الأستاذ الكبير أبي الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية- لاهور باكستان: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلتني رسالتكم الكريمة تهب بنفحات من تلك النفس الزكية التي صفت كما يصفو الذهب على السبك، وابتلاها الله بأقسى ما يبتلي به عباده المؤمنين، فصبرت، وحققت أنّ صاحبها ممن وصفهم القرآن بأنهم أحسن عملاً، ومحصها بأصناف من التمحيص فخلصت متلاثلة مشرقة سامية عن المعاني الترابية التي ارتكس فيها كثير من هذا الصنف العلمي ووا أسفاه. الإسلام - أيها الأخ الجليل - في حاجة اليوم إلى ذلك الطراز السامي الذي قام عليه عموده في الأرض يوم نزل فيها على قلب محمد صلى الله عليه وسلم - محتاج إلى تلك الأمثلة العالية من الصبر على الحق والموت في سبيله، ولقاء المنايا كالحات في ميدان نصرتة، وإعزاز قبيله، وتمهيد سبيله، وقطع البراري والبحار لنشره، وغرسه، وتثبيت عقائده في النفوس، وقواعد ملكه في الأرض.

(\*) نشرت هذه رسالة في آثار الإمام الإبراهيمي، ج5، ص: 161.

وما انحصر الإسلام إلى هذه الدركة التي تشكوها، ويشكوها أخوك والنفر القليل من العلماء الربانيين - إلا يوم أهان علماء الدين أنفسهم، فهانوا على الله، فهانوا على الناس، وأصبحوا صوراً مزورة عن الحقائق، وأصبح الإسلام في نفوسهم وألسنتهم وأحوالهم وأعمالهم صوراً مزورة عن حقائقها أيضاً، ويا شؤمهم على الإسلام.

وصلتني رسالتكم فوردت على قلب مفعم مجبكم في الله، وعلى نفس مملوءة بعرفان قدركم، وذهن عامر بأعمالكم للإسلام، وتفانيكم في تجلية حقائقه، والودود عن حياضه في وقت قل فيه الذادة عنه، والقادة إليه، والسادة به، فما منا إلا المذود المَقود المَسود.

لم تذكّر رسالتكم مني ناسياً، وهيهات أن أنساكم، بل ما زال لساني رطباً بذكركم، ومجالسي معطرة بالثناء عليكم وعلى أعمالكم، متصلاً ذلك أوله بآخره، وأوله منذ قرأت أول كتاب لكم من إهداء أخي العربي البليغ المأسوف على بيانه وجهاده الأستاذ مسعود عالم الندوي، وآخره منذ شرفني الله باللقاء بكم في منزلكم العامر بلاهور، وجاءت المحنة التي جعلها الله لكم رفعة قدر، ومنع فخر، وحسن ذكر، فضيّقت على لساني مجال القول إلا فيكم، والحديث إلا عنكم، وطالما أرسلت البرقيات صارخة بالاحتجاج القوي المنطق، وكنت على يقين كراي العين بأن الله جاعل لكم من أمركم مخرجاً، وأنه لا يخذل عباده المؤمنين به، الذين عن دينه، حتى هتفت الأنباء بالفرح، وتناقلت الصحف البشائر، وتبين ما كنت أعتقد من اللطائف، وهو أن الله فيكم سراً هو مجليّه لوقته، وأنه مستبقيكم لأداء أمانته، وإظهار خارقة لخير الإسلام قد أطل زمانها، وأن قلبي ليحدثني بها حتى كأني أراها؛ ذلك أنني عميق التأمل في تاريخ الإسلام ومراحله المتدرجة في الكون مع الدهر، وطالما وقف هذا التأمل بي على أن البدء تتبعه إعادة، وأن هذا الخطاط قد بلغ غايته، ولم يبق إلا الارتقاء، سنة الله في الأديان وحاملها.

وإذا كانت الإرهاصات مقدمات للنسوة والدين فإنها كذلك مقدمات لتجديد شباب الدين. ويقيني أن هذه البوارق ستبعتها صواعق، وأن هذه الرعود ستبعتها غيث مدرار، وأن وجودكم ووجود عصبة من أمثالكم - متفرقة في الأقطار الإسلامية - لا يذآن من الله - جلت قدرته - بقرب تبليج الفجر الصادق المرتقب بعد هذا الليل الطويل الحالك.

أما ما أشرتم إليه من عتي في زمرة المنتصرين لفضيتمكم الساعين في خلاصكم من المحنة - فأنا فخور بهذا، متحدث بتوفيق الله إياي لرفع صوتي بكلمة الحق فيه. ولكنني مع ذلك أكاد أتوارى مخلاً من ذكره، فضلاً عن شكره؛ لأنني قمت بأيسر السير منواجب تبذل فيه المهج، وبقي على آخر شيء فيجدول الواجبات، وهو المبادرة بتهنئتم ببرقية على المؤلفين بين الناس، ولكنني فكرتني غمرة من الفرح، ونشوة من الاعتباط للإفراج عنكم، فصورت لي الخواطر المثالة على مشاعري أنني (صاحب الدار) وأنتي أحق الناس بأن أكون ألمهتاً لا المهتئ.

وفي لجة هذا الخيال الشعري الغامر - الذي لا يصح عذراً إلا عند الشعراء الهائمين في آفاق الخيال - ذهبت الأيام والأسابيع حتى أيقظتني رسالتكم الكريمة، فعلمت أن الله أي إلا أن تكونوا البادئين بالفضل، السابقين إليه.

نرجو أن تتصل الرسائل بيننا والكتب، والنشريات المتعلقة بالإسلام وحقائقه؛ فإن في ذلك صلة بين الأجزاء، وقوة للعاملين، وعوناً على وعورة الطريق.

وسلام الله عليكم، ورحمته تغشاكم، وبركاته تراوحكم وتفاديكم، من أخيك المشتاق إليكم، المعتز بكم.

محمد البشير الإبراهيمي

## 23- برقيات احتجاج على خلع الملك محمد الخامس وعلى المعاهدة الليبية البريطانية (1)

أ - تلقى مركز جمعية العلماء في الجزائر من مكتب الجمعية بالقاهرة نص البرقيات الآتية التي كان أبرق بها إلى الجهات المختصة بها وهذه نصوصها:

- السيد رئيس الجمهورية الفرنسية (باريس)، السيد رئيس الوزارة الفرنسية (باريس)،

- السيد رئيس مجلس النواب الفرنسي (باريس).

أعمال حكومتكم الاستعمارية في المغرب الأقصى أثارت غضب العالم الإسلامي كله على فرنسا وحزكت فيهم روح الانتقام لأن كل ما تفعله حكومتكم ضد جلاله السلطان يعد تعدياً شنيعاً على سلطة دينية شرعية، وتقضاً حتى لاتفاقات الحماية المفروضة الجائرة. كل عقلاء العالم يعتقدون أن هذه الأساليب الاستعمارية المفضوحة ليست في مصلحة فرنسا بل هي هدم لسمعتها في العالم.

إلى متى تعمل فرنسا لصالح شرذمة من الاستعماريين الذين لا تهتمهم إلا مصالحهم الشخصية؟

الخير كل الخير لكم في تقديركم للعواقب الوخيمة وللظروف العالمية الخطيرة.

عن مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة

محمد البشير الإبراهيمي / الفضيل الورتلاني

(1) الإبراهيمي: جريدة "البصائر"، العدد 240، السنة السادسة من السلسلة الثانية، 11 سبتمبر 1953. آثار الإمام، ج4، ص: 235.

**ب - جلالة الملك مولاي محمد بن يوسف (الرباط):**

حيّاكم الله ونصركم وثبّت أقدامكم على الحق. المسلمون كلهم معكم بأرواحهم وعقولهم في موقفكم الشريف أمام الاستعمار الباغي وأساليبه المفضوحة، فاثبتوا بنصرم الله. إن أمانة الله في أعناقكم لا يزعمها منكم إلا ظالم ولا يؤدي الأمانة إلا أمثالكم من المؤمنين الثابتين. وأنتم تعلمون أن التفريط فيها خيانة لله وللوطن والتاريخ، أغانكم الله وأيدكم بروح منه. عن مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة

محمد البشير الإبراهيمي / الفضيل الورتلاني

**ج- جلالة الملك ادريس السنوسي (بنغازي)**

جلالة الملك ادريس السنوسي (بنغازي). الشعوب العربية والإسلامية كلها ساخطة على المعاهدة التي يراد عقدها بين الانكليز وبين الحكومة الليبية، ويعدوننا أشأم على الوطن من كل استعمار مضى. وإخوانكم في المغرب العربي يحتجون بشدة على هذا الارتباط المشؤوم لأنه قاطع لأوصال الوطن العربي وقاض على ما يعلقونه من آمال على استقلال ليبيا. فباسم الجزائريين كلهم نطالبكم باستخدام نفوذكم لإبطال هذه المعاهدة المخزية أغانكم الله.

عن مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة

محمد البشير الإبراهيمي  
الفضيل الورتلاني

**د - حضرة السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية (القاهرة).**

العالمان العربي والإسلامي في هذه اللحظة تشتعل أطرافها وينصب عليها البلاء من كل جانب، فمن المعاهدة الليبية- الانكليزية المكتبة إلى الخطوة المحرمة التي تريد أن تخطوها فرنسا في المغرب العربي ضد جلالة السلطان وشعبه. نرى أن هذه اللحظة هي أخرج اللحظات في تاريخ العروبة وفي حياة الإسلام، ونعتقد أن أول واجب تفرضه عليكم مسؤولياتكم الجسمة هو دعوة اللجنة السياسية للجامعة العربية لاجتماع سريع حازم واتخاذ موقف أسرع وأجراً وأحزم قبل فوات الأوان وحصول قاصمة الظهر بالأمة العربية.

أتم أول من يفهم أن هذا الأسلوب الجديد من فرنسا هو القضاء على أمانى المغرب العربي كله، وأن مغزى الأسلوب الانكليزي في ليبيا هو قطع أوداج الأمة العربية، وأن الأسلوبين مدبران يلتقيان على عاقبة فظيعة لمصر أولاً بالتطويق، وللعالم العربي ثانياً بالتعويق. نسألكم بشرف العروبة أن تبلغوا صورة هذه البرقية إلى الحكومات العربية كلها.

عن مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة

محمد البشير الإبراهيمي  
الفضيل الورتلاني

**24- تعزية الإبراهيمي في فقدان السيد الرشيد بطحوش(\*)**

لم يبلغني إلا اليوم خبر وفاة الأخ العامل الخير السيد رشيد بطحوش، ولا تسأل عما غمرني من الهم والأسى والأسف لموت هذا الأخ، وعما استعرضته من شائله ولطفه وأعماله الخيرية التي فانت بفواته وماتت بموته، رحمه الله وأهملنا جميعاً فيه الصبر واغتنام الأجر. أعزّيكم- أيها الأخ- فيه وأرجو أن تبلغوا تعزيتي إلى إخوانه وجميع المرزوقين فيه، ولجميعكم طول البقاء.

دمتم أيها الأخ سالمين لأخيكم محمد البشير الإبراهيمي

(\*) نشرت بجريدة "الإصلاح"، العدد 17 في: 28 جانفي 1940. وآثار الإمام، ج1، ص: 412.

## 25- شكر واعتذار (\*\*)

- 1 -

قبل بضعة أسابيع أجرى علي القدر حادثة اصطدام بين سيارتين في الطريق بين مغنية وتلمسان، من نوع ما يتكرر وقوعه كل يوم فيذهب بالأرواح، أو يحدث العاهات الملازمة، ولكن حادثتي صاحبها لطف الله، فسببت الآما، وعطلت القلم أيامًا، وكانت عاقبتها سلامة وسلامًا.

غير أن إخوان الصدق في داخل القطر وخارجه تصوروا الحادثة كما يتصورها السامع، تصورًا يصحبه التهويل، فانهالت علي رسائلهم وبرقياتهم سائلة داعية متألمة.

وأنا أتقدم إلى هؤلاء الإخوان الصادقين بالثناء العاطر على هذه العواطف الأخوية السامية، وبالابتهال إلى الله أن يحفظ عليهم هذا الكنز الثمين من الفضائل التي حلاهم بها، في وقت تضاءلت فيه الفضيلة، ونزرت حظوظ الرجال منها. وأتقدم بالاعتذار إلى الذين ألهم هذا القلم عنهم عدة أسابيع، مبشرًا لهم بأنه سيعود إلى الميدان، أمضى مما كان.

- 2 -

فُجعت في ولد أختي، بل ولدي تربية وتنشئة، فحف إخوان الصدق لمشاركتي في التوجع، وتعزيتي على المصيبة، وتواترت رسائلهم وبرقياتهم تحمل من معاني الأخوة أطيبها وأعلاها. وأنا أشكر لجميع الإخوان هذه العاطفة الأخوية الشريفة، سواء منهم من حضر الدفن ومن عزى بالمراسلة، وأخص بالثناء شعب جمعية العلماء بالعاصمة وأحوازها، فقد خفف حضورهم وقع الفجيعة. فأنا أسأل الله أن يكافئ جميع الإخوان غني بالإحسان وأرسل إليهم هذه الكلمة محيية شاكرة مجيبة (\*).

## 26- رسالة من الإبراهيمي إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني (\*\*)

الأخ الأستاذ أحمد توفيق المدني حفظه الله،

أخي:

أعتقد أن الراحل أخي العزيز لم يكن لأحد دون أحد، بل كان كالشمس لجميع الناس، وأعتقد أن فقدته لا يجزن قريبًا دون بعيد، وأن أوفر الناس حظًا من الأسي لهذا الخطب هم أعرف الناس بقيمة الفقيه وبقيمة الحسارة بفقدته للعلم والإسلام، لا للجزائر وحدها. فلهدنا بعثت أعزبكم على فقد ذلك البحر الذي غاض، بعد أن فاض، ببقاء آثاره في الحياض، وأنهاره في الرياض، كما يعزى على مغيب الشمس بشفقها وعن ذبول غضارة الشباب ببقاء رونقها، وإن كانت التعازي تعاليل، لا تطفئ الغليل، ولكنها على كل حال تحمل بعض الروح من كبد تنلطي شجنا، إلى كبد تنزرى حزنا.

وظني في أخي أنه لو كان يعرف عنواني لكان أول معزي لأول معزي.

واحسرتاه! رحم الله الراحل العزيز، جزاء ما بت من علم وزرع من خير، وثقف من نفوس، والله ذلك اللسان الجريء، وذلك الجئان المشع، وذلك الرأي الملمه، وإنا لفقدك يا عبد الحميد لمخزونون.

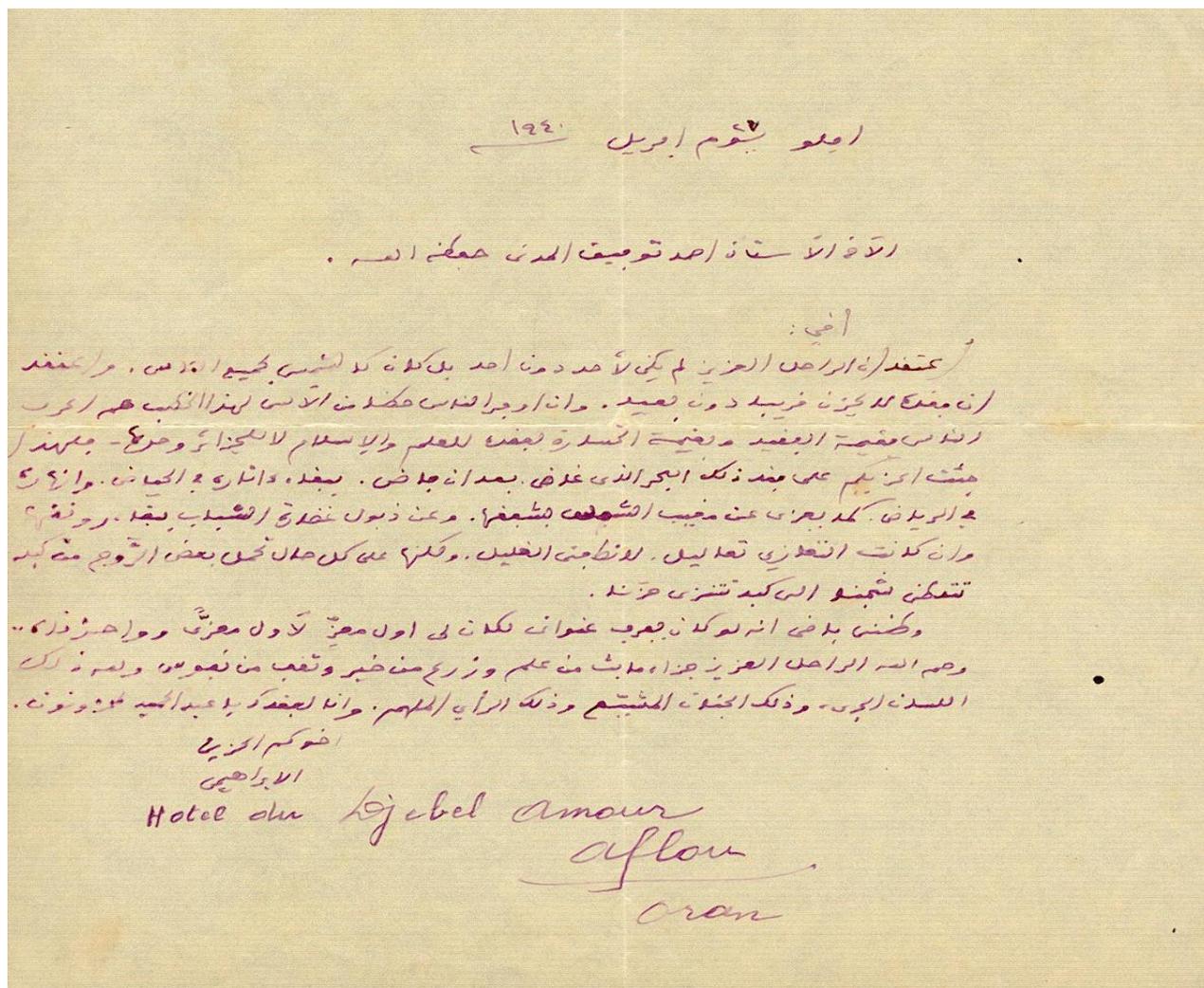
أخوكم الحزين.. الإبراهيمي

(\*\*) نشرت بجريدة " البصائر"، العدد 168، السنة الرابعة من السلسلة الثانية، 3 سبتمبر 1951. وأثار الإمام، ج2، ص: 421.

(\*) الإبراهيمي: جريدة البصائر"، العدد 175، السنة الرابعة، 26 نوفمبر 1951م. وأثار الإمام، ج2، ص: 422.

(\*\*) نشرت في كتاب "حياة كفاح" (مذكرات أحمد توفيق المدني) الجزء الثاني، [ص:337]، (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977)،

وقد أرسلت من أفلو في شهر أفريل 1940، على أثر وفاة الإمام عبد الحميد بن باديس.



صورة للرسالة بخط الشيخ الإبراهيمي بعثها إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني بتاريخ: 27 أفريل 1940م. (\*)

## 27 - رسالة إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني (\*\*)

حضرة الأديب الفاضل الأستاذ أحمد توفيق المدني أسعده الله،

سلام عليكم وتحيات مباركات.

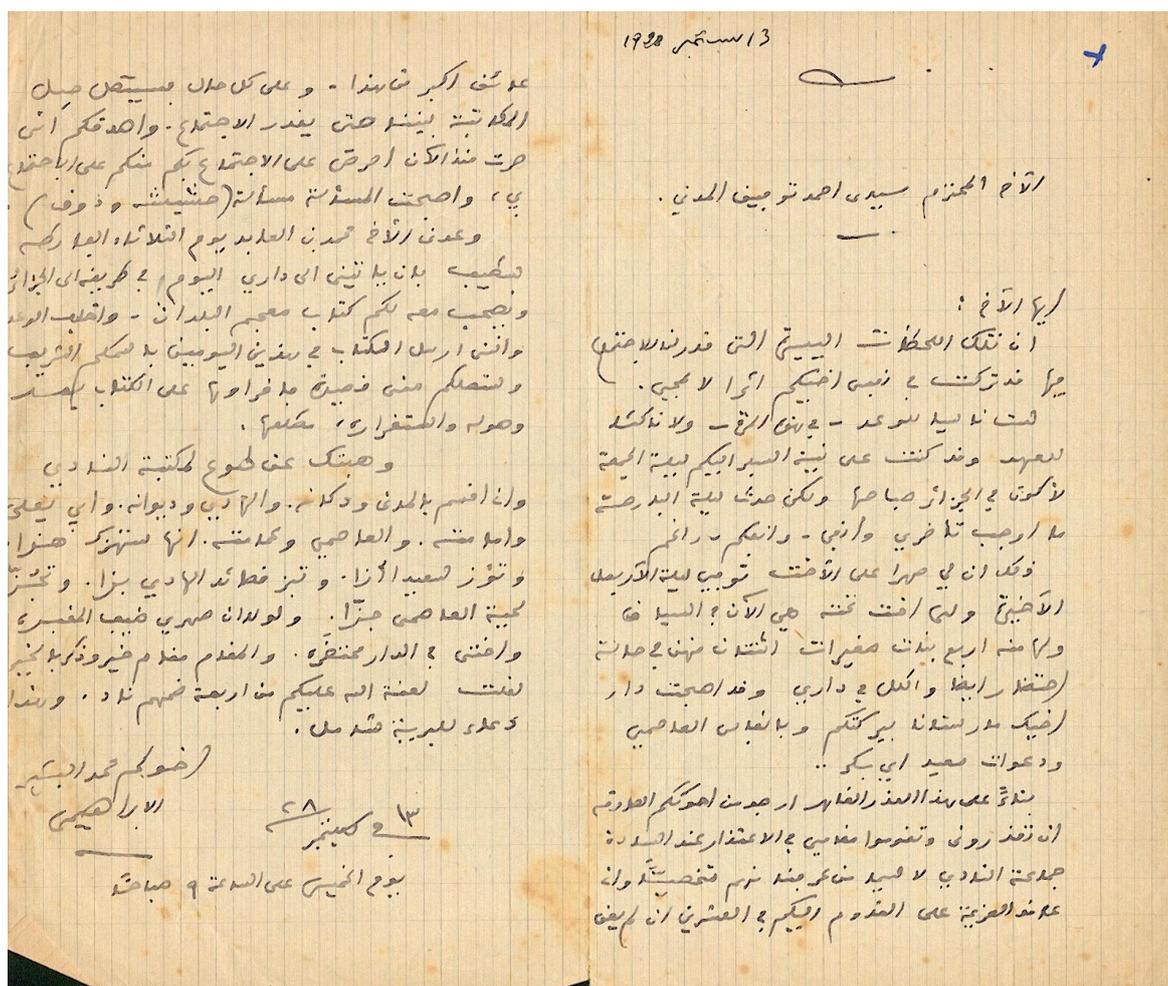
أما بعد... فقد بلغني بواسطة الشيخ إبراهيم بيوض نسخة بخطكم من القانون الأساسي للمجلس الإسلامي الأعلى وما يتصل به وما يتفرع عنه، لأطلع عليها وأرى رأيي فيها.

غير أنني لا أستطيع أن أبدي أي رأي في الموضوع الأصلي قبل أن أطلع على نص رسالة الوالي العام للشيخ الطيب العقبي المتضمنة لهذه المسألة بصفته عضواً في لجنة الإصلاحات العليا، وقبل أن تطلعوني على حقيقة لا بد من الاطلاع عليها وهي هل هذا القانون المسطر بخطكم من

(\*) ينظر الموقع الخاص بالأستاذ النايفة أحمد توفيق المدني (www.elmadani.org)، وكذلك شبكة الإمام الأجرى (https://www.ajurry.com).

(\*\*) نشرت بجريدة "الإصلاح"، العدد 60، 6 سبتمبر 1947م. (الثار الامام، ج2، ص: 156)





صورة للرسالة بخط الشيخ الإبراهيمي بعث بها إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني بتاريخ: يوم الخميس 13 سبتمبر 1928م\* )

الكتبه 3

مكتب  
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين  
٣٦ شارع شريف دور ٧ شقة ٥١  
تليفون ٥٤٨٨٨

القاهرة في ١٠ أكتوبر ١٩٥٣

الأخ الأب الأستاذ أحمد توفيق المصطفى (صحة الله عليه)  
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أي الأخ

بلدحت رسالتكم على شوق شديد إلى جلدت متواضعة بعبء الشوق ومدفوناً وكبرت فرائدكم  
لا لا يهمل به لا تعدد يذكرات يذكرها أبعد وطول مدة العرفان .  
أبعدت الأخ نور الدين جميع مؤذونكم من عينه كما جرت بهت من أن أعرب إلى محنة من يد  
من شدة صوت الفضة وسوء الاستعمال وزاد من وضعي معي نفس ملازمة التي في تدب  
الأيام مدارجها صابغها من شريك . تلك البعثة المنكرة البومضة في الفرح والكرامات .  
والمدلس الذي أراهم بزواك الحفنة وأرامه بكنهه المنة . مما سئله الأحرار من عيني يسوءني  
إن يشكك بشوكة . وقد تكلموا أن بعد الدار يضيح عقوق الاضواء . وإن أهدى الشرف  
مليح يغطي على الجوانب العلوية من نفس بلديتكم . مما كنه أهدى الشرف إلا على شيء  
أصل الجزائر . ومن كلام جلم عن الجزائر .

ذكرتم البطارق وهدتكم على الكتابة فيها ، ومدة أملاك عن الكتابة من زهداً أو أراهم  
ويديتكم تشهدون ملائمة من محن غير المدلف وتوهم البيلق قولاً كريمة وصبراً واجتهاد  
تعبون أصلاً في نصرتكم ، وإن تأس على الماتت وانت وصلت إلى البطارق بعد ملكات  
هي امتت عرفت الشرف بنا ، وأشد لغد وجدته بسفتت ومحبت بي ووجدت بعبء الأفضار  
تعدساً وتعدج بعبء مضافاً ، فكيف لا يسوءن أن انقطع عن؟ وهي التي عرفت الشرف في  
نفسه أن يعرفني ، وهي التي تربت بحميتة العلماء ، وما كثر أراهم من المدينية لغزائهم كما سوا  
يستون أن يردوا الجزائر وينفذوا الرجاء .

المدية من البطارق طويق وتكنه يتدى من رجوعه للكتابة برباً بانقطاع ، ويشتت يمن أداركم  
لها . أملاً ما كانت بعد دتميد الوسيلة لتدبيرة الكتابة ، وأما أنتم بواجبكم إن تتولوا بلعكم  
أداركم العبيية ، وإن تفضوا على كل مدياً من التخلت . وقد كنت أردت منذ أكثر من علم  
بمنه من بندا ، وكانه غريقت منسنة وهو يفيض بان تنعم إلى مواضيع يتولاها من ربيون  
مدياً ، والأصل العلم ، ذاك البرنامج تقصير المفالات وتكثير العلووين هتت ينشك الرضوي  
ولا يسلم . ومعزات كرامة البطارق ككون المفالات ، والتفديد السخيف في أهدار الموت والوفاة  
والواجب أن تبدأ من الآن برطخ ذلك المشوار الملون في الرضا والازدياد والوجدة ، وإن تفرقوا  
نأيت الأفتصار مثل : مات ملائمة البطان ربه الله . دولة لبعده ولد بارك الله لم فيه ، وإن لا  
تنتروا تلك التمرات المتلحمة كمنسلة برك جلفنا أضوكة ، وإن ألكمك بأضرام تلك الصورة  
أنت أرسلتاً وسلياً جميع الكليسيات الملازمة ، وأما ما أهدى من به الأذ الفنتري وأكديفتموه  
لي من ترا . كما ته ليتوب . جلفنا أهدى لكم به أنا لازمة ولكن الوجبة التي أنتم كلزومون على أهدى  
لا أواجه مدياً لأن فديتة وتحتاج إلى عمليته تسوس عمليته أهدى لوتت ذكرها ، وما رابسي  
إن لا تخدموا أنفسكم بتراء القديم أبداً فكيف إذا كان مع خدمه يحتاج إلى عمليته .

صورة للجزء الأول (1) من الرسالة بخط الشيخ اليراهيمي بعث بها إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني بتاريخ: 10 أكتوبر

1953م (\*)

(\*) المصدران الإلكترونيان السابقان.

٤

المرسله / فترحتوه من ارجعوا تغير توميتي يتن في المجلد الاداري فيتم الكثير من تنظيمه وهو انما يريد  
 من دفترته في كبريه مستوعبا منقطا كذا ، وسار عليه بعد ٢ ايام مضمونا ان فنسطين بالاسم الا في المخرج  
 اليريه واربعون يصحكم في الاجتماع او صمم جاز آره وتذروه واعملوا بما فيه من الصيغ  
 جده جده في كثير من الفضل و محمد لبعه العلائق التي كثرها الخوض عندكم فيميد يتصرفي وبما عملت التي  
 اراها بصورة وترونها بصورة اخرى لا تفسيرا الا انها حديث في الشئ ، وتعلموا انما فوم ما تجسد السجل  
 انزيب الابهة لثمة ، وما نزلنا مضمونا الابهة لثمة والا لاسلام لالته ، واخر .

مكتب الجمعية بنو هو الجمعية في الشرف ويزيد من ذلك انما اصبح وجعل لا صلب تلك الالهة ، التي كانت  
 تملأ فوسنا وواذ اننا ، وقد بدأ بعد العدة لاصدار نشرات شهرية في نواحي الجمعية المقعدة ونواهي  
 الجزائر الشعبية ، لبيعد الترشيف التطليغ الي مثل هذه الخدمات وليخص على الدجل والدجل  
 الايبه الذين تتوجهوا الجزائر ، وقد رأيت المكتب ان يتقدم اليكم من انصوص بطلب الدعوى على تعيين  
 هذا البرناج فيكتبوه اليه رساله فيف نخونه جمعية ان ١٠٠ من النظم المتوسك وهو يتولى طبعها فضلا  
 ونشرها وارسل عدد كبير من نسخها ان الجزائر ، وتكون الرساله الاول فخاصة بالافتتاح فقط على صورة  
 هبة من افتضلكم الذي لغرضكم ولكم وثقت مبنية على ارض الاصليات مع بيوت مدينة المسير من  
 وسايه الارحيبه ليد ركاز من اثاره واستمرار ، ولكم ان ترضوا الزراعة ومحمولا آراء ارايها  
 على التخصيص المذكور ولكم ان تفرغ والزراعة برسالة فخاصة ، والموضوع التمدد يشك الزوة انجبرية  
 والزوة الجوانه والثروة الفدانية بملء الاختلاف والزوة المدنية ، تم تطلب منكم الاستعداد ان رسام  
 عن التعليم بالاصوليات وتقسيم على عدد السكان ، وتخصيص لعدد المدارس والمدارس والتعليم في وامن  
 التعليم الثلاثة ، وكذلك عن التعليم العربي المر .

فدكت رساله من جمعية العدل ، واعمالا وكنت ان الاخوان ان يوافقون بصور المدارس ، وصور الجبال  
 الادارية ، علم يميزون ، كمد كتبت للشيخ خير الدين مرة ان يتولى بنسب - لتهتموا - تصير لقرنك صيغته  
 عن مدارسه واضلا ، وصور مصوب التلامذة مسئلة بتفخ اوج افضلهم في دولة انفاء المثل في هورهم  
 مع مواجاة الشكاف والاشكافية ونحوه المدرسة او الطريقة التي يتسوق بها ، ولكن لم يبين ، وان هذا  
 العمل وهذه اذ ارض في صو ير نل من ابيواند الحسية والمصوب باله وكيف ، وانته الالهة كلك هذا  
 الاقرايك جيمه على ان تظنوا اليه نظا اليد والحيثية وانما ملاكيتي ملاك .

المكتب في مدينة الكيدة ان وتاتف ومواد عن الجزائر ، وانما كلكم فخاصة بايحت منا وارسلنا في اقب  
 وقت ، واولا نسخ من صيد جميعه العدل ، ومجموعة من البطار القديمة والبعيدة ومجموعة كلمة من الشرب  
 وكتبكم كلاً حتى ان يسطر ، ونسخت من تعريف الرب للشيخ اليراهيمي ، مجموعة كليات العربية في جنوب  
 وخضمة المسلك للبرك وكلم الجزائر ، وبعثت ابن فنجذ ، خزوات خير الدين ، مجموعة العربية في جنوب  
 اوروتيا ، رحلة ابن عماد الجزائر ، ايح عن هذه الكتب واشترى وارسلها ولا تقعد من غيرك ، اسر  
 وتاريخ الشيخ المبارك بعد وصلته من نسخة وانما لازم من امداه طبع هذا ، وكذلك (التركه وكلاوه)  
 وبعث رسالتكم ان الالهة ذ العنيد وهو يود كد عليكم بلك ملاكرت ، واملد كليلتوه من من الكفاية  
 جهوسه على البصر التي لم تذكر في كلمه حتى في التفتة بالجنة التي فرم منا ففعلوا ، واكثر ما يخضب  
 انكم في العلم الموض كتبت من نسبة الامتلاء الاداري كلمة بقلكم هييتهم فيما كك من في الشرف حتى استلامه  
 الرضفاد ولم تيموه بكلمة بل لم تذكرها احد ، ففعل تشعبا انهم يفتوه به التلامذة الصغار الذين لا  
 يدرون ما ذا ينالون منهم وقد يكون كذا ونشرا ولا يذكرون انهم قد اكتف وحلوا رسم من الاخير  
 والشرب والدولية الصلاة والذكر الحسن ، وان كذا من كلف ، وانما كليلتكم بلك ذلك ، وان لم يكن  
 يجهان تجذب الجزائر وسد خبركم عمليكم لم عمليكم ، وعلمكم السلام من انتم  
 لست تيكم برسالة اخرى بعد يومين

محمد البشير اليراهيمي

الربيع

صورة للجزء الثاني (2) من الرسالة بخط الشيخ اليراهيمي بعث بها إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني بتاريخ: 10 أكتوبر 1953م.

بسم الله الرحمن الرحيم  
 أريد فضلكم من شعبان ١٣٧٥ هـ

أتدخلكم المشيخ محمد در دور حفظ الله وعلمه  
 سلام عليكم وتحيات جوارحكم  
 وصلتكم رسالتكم وصدرت اليكم مما كتبكم وراحتكم امدانك فلو اني ما زلت متعباً من اعمالي  
 والانشغال الذي يملك من سنيي، وكذا اني اتمنى ان اكتب اليكم هي التي هيبت علي  
 وفي الاصل من جديد.

انا اعلم بجزائر ولوجهد العقل والعلم يقولون بعونه ونصره، فلا امل الا فيهم  
 ولا اعتماد الا عليهم، وربما ونا في الامتياز من العيون قوتها جدا.

احوال الطلبة هنا في غاية فقرت بهم جميع المنقلا في الماديات وقد نجحنا كلهم  
 في الامتحانات مع ان لهم شدة اشرف فقط ومشايتهم يشكو منهم ويشهدون انهم بالابتداء  
 وقد دبرت لهم سيرة حكومية خصوصية ذات ١٠ مقاعد فكلهم امكن ان يفتحوا ثم الى جده  
 ليجدوا وانما انهم تم الى المدينة بنقوضا ١٠ اربعة اشهر مدة العكس وكل واحد منهم يلى  
 من لا يعل عن مائة وثمانين جنيا.

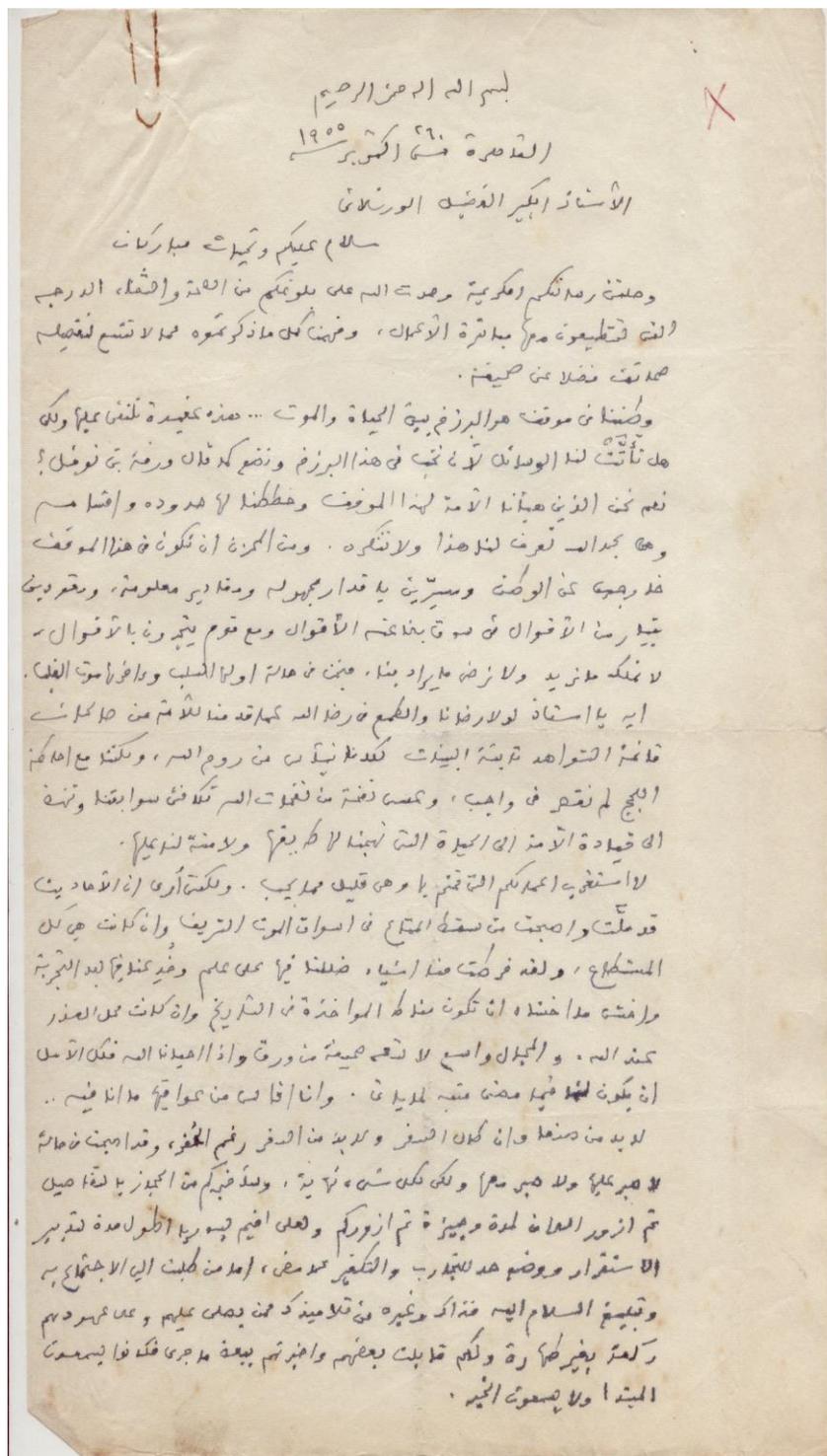
وكذا اوستا ذان تارزي يشوش عليهم يكتب الي افيهم يطلب منهم الرجوع اليهم للمحيط  
 ويعتبر في الصيف بالمدينة، وكان كلامه غير مقبول ولا معقول بل هو يرب وقد  
 كتبت له رسالة ليرتك الكلمة يدريون ولا يدبر عليهم هذه التبرير التي لا  
 فائدة فيها لهم وليست تفيد بدراسة الخصوصية، فدرجوا ان تكتب في هذا ليكتب  
 من تشويش الطلبة خصوصاً والفلاس التي يعيتن بها اخوة هذا لتكنين شرا في مس  
 والتمسوا في المدينة، وهو لاء كجبة فليست تعودوا على كل شيء، انني زعلت من على  
 الامتياز ذان تارزي لانه لا يشوش على افيهم فقط بل يشوش على محققون الطلبة  
 انضغاد، واذا كان لا يد من سرفاهيم اليهم فليكن بعد سنة اخرى لا سيما وقد استقام  
 تعليمهم وهو يسووك بالنتيجة اللدنية والعلمية

اما كلمة من فليكن بعد قتم بك ادبيتم، ولتغزهم ان يكون المودة مسودة وان لا يستطيع  
 ان اقر في بعد الان قلب واحد لا يمنهم به ولا يستطيع ان اتوجه لهم قائلنا هربا ففت  
 وقد ثبت ان الله من هذه التجربة - سلام الى اولادكم بعد ان اتموا ما اتموا وانتم وانتم  
 وجميع الطلبة انما يحيي عليكم السلام من ابيكم محمد بن ابراهيم

نص الرسالة من الإبراهيمي إلى الأستاذ عمر در دور (مخطوط) أرسلها من الرياض في 23 شعبان

1375 هـ (\*)

(\*) ينظر الموقع الخاص بالاستاذ النابغة احمد توفيق المدني (www.elmadani.org)، وكذلك شبكة الإمام الأجرى (<https://www.ajurry.com>)



صورة للجزء الأول من الرسالة بخط الشيخ الإبراهيمي بعث بها إلى الأستاذ فضيل الورثاني بتاريخ: 26

أكتوبر 1955م. (\*)

٢

المدعي محمد بن عبد الجبار الذي اظهر من بانك بدات معه لآتمم الالم ولم ادر من ابدات  
 وملاذ الهم ومع ذلك فقد كنت ازوره يوميا واستقبلته وضيقت كد فعله وحسد  
 قدامك من زنا لبلده ، وفاتمته في اشيا ، فوجدت نفسه مخلقتا بكديد ورأى  
 الخرافه وعندهم (ان يحنوا) ان ملكا قدامه الملكة اولادها الاخره فخره بارده .  
 ثم فصحت العلفه بطلب قبول كمنزه الغوا ، فكان ان كان مرة بعدو بن بكتي (طاليلف)  
 وانجحت جلب والزمنه حبه اليه الكارهة في ضرورة فيون هنولا ، وفلان كلب  
 مذكوره بكتي . وكذلت التيمية ان كلبه لا بعد ايلس وبعد جلبه للكلية الي مصر  
 - كلبه في لعدم العيون . فخرت له يعقون انية فكتبه الخمسة عشر وقونا  
 عند نصهم المكتوب واليوم ناية اسير عبيد ولم اتلق منه جوابا منه فتمتد  
 عند الغنوم وهي قيمة اصبت اذغرة ساف ونغنا ، فربك لغد زنا الكرامه اذارضا  
 يا ؟ لا والله لا والله .  
 انما عند اكثر من العدم من اهتمامك ودفاع عداوتك به ان عداواته وقد اصيبت  
 لا اتفق بصديقت من هذا الطراز والله ان اذا قلت : اصبت لا اتفق بعقد بركه ووزنك  
 للا صدق .  
 يوم اصبحت ان ايجوز سدا بدماء جده بتقريب الغنى ولسنة حبيب مغرب ومعها ثلاثمائة  
 وخمسون جنيها انت اخذتها من مدحت على انها الملائكة للاد والاد ارمونان ليزب من هذا  
 فقد نمت ، لا التماس فوجبه ان اردوا ابيكم ، وبلدك اولادك المسكينه فكانت كلهم  
 اعدويت اصبحت حتى يزيدهم حديث آخر منهم فدفعت اليه لوكونه تمول عليهم .  
 انما التماس ان يكونه كمنشاه ان لم او ان نصيب لك كمنش . واحد وهو ان تغلق  
 عن الثورات التي تقبلك وتقعدهك وتعرفك وتجرئك عن صوابك فذات من العصر  
 وما الهدو من الرضاة معلامة ومواقف غير وهذه الثلال هيا خلاصا لاصحابك  
 الرسالات . وانك اسفقت ان تقصص هذه الرضاة عن العبدات ، وكله من  
 صلتك وقد ملات الا رجلاه من هذه الاقيام من بعت فوزيه وهو وصيبي ان فلان  
 مدينة لفلان بل لغيت ولسنته وانك اعلمه لا لاد كذا وكذا العبدية المعينة . ان  
 اعلمك بلجميع كذا وكذا فضله اعدد جعلت ان نورة من ثوراتك التي اكرمتها  
 كلانت السبب في هذا  
 لا زلت عن ذلك الرضاة وهو انك - معا - فتطيع ان فتطيع ان تكونه نموذج  
 كما ملا لك نعيم السلف ، وكله من يكون هذا مع ثوراتك وارتجائك او مع  
 سكونك ويرود تما ؟ لا اكن ، وعلى هذا فلانا من كمنش من التقدر رفوف ما  
 يتصوره المتصورون وكله ما شئت وكن من شئت فاذا ان صور اليك قوة ما تلتن

انما العلفه قد اصبحت اليه واما وضع يدي في الكلفه فمسة ضو حجة اسدس يكلم ونفعل  
 صلبا صلبا وان شاء الله وان الكلفه بطولك وان العلفية للمفوضي  
 وانك قد اصبحت في اواخر الظروف اننا - معا - نكتفي بكونه المنور في الطالع العبدية  
 والذكريه وانما يبدو لك في اواخر الظروف اننا - معا - نكتفي بكونه المنور في الطالع العبدية  
 والذكريه

صورة للجزء الثاني من الرسالة بخط الشيخ اليراهيمي إلى الأستاذ فضيل الورثاني بتاريخ: 26 أكتوبر 1955م.

مكتب  
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين  
٣٦ شارع شريف دور ٧ شقة ٥١  
تليفون ٥٤٨٨٨

القاهرة في ٤ ديسمبر ١٩٥٠

رأه المحترم  
الأستاذ أحمد توفيق المدني سلم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلت رسالتكم مساءً وتلمت منكم فيسأ ارجوان لا يكون غلدة ، وهو انكم لم تشر الى  
وصول رسالتكم جوا بل على رسالة منكم منذ زمن ، وقد وقع منكم هذه الجينة مع رسالتكم كتبت  
كثيراً انكم من شهور تغارب العلوم بكم اعلم اني انا من اولاد الله واصلتكم ام لا . بل قد نوا هذه  
الغلة بل اني ضرف العوائد كرامتكم  
في رسالتكم زلت كثيراً فستحق الاجابة والتوضيح ولك واجباتي المتراكمة لم تركها بل  
للترم المطلوب لانه كتبت لكم وانا ظنم ان الكبار للسجدة مؤتمرا كبري بعد في الغلدة وقد  
حدثت هذه الواجبات على اني ضرفوا والمؤتمرون كلهم في انظارهم وفضل الله واني لم نعلم  
لذلك اخولكم اني حينما كتبت لكم الرسالة المذكورة وعديتكم بل رسالتكم اهتدي بعد يوم وكثيراً  
بالعمل في ليلة ذلك اليوم وتركتها بين يدي اني انظر رجوع جوابكم ما تحفظ ومعه اني  
اقبكم وقد جاءت رسالتكم الاخرى فظن اني الانارة الي اواك اليرحم  
الرسالة المعكولة مع الاصح معكم يتعلم باخينا البسيط وهفون عينا ، وهو شاش  
لهذا - ولما اني - من اخوانكم ، نانه كان يكتب العشرات من الرسائل للعشرات من الاخوة  
جلد بيبس احد وهو من انتم من البطار لا اني لم تصح كلهم يوم فرح من كتب وانتم يكون  
في العلم الملائم ، وهو كتاب من اني احد اليراهيمي حينما فرح من البطار وكان فرح من الغير  
ورجع من الاخرة بكم يكتب لمن اخوانه الكثيرين ولم يكتب عليه واحد .  
و قد صحت اني عن اصدار كتاب بولس يبيع بينا وتقوم البطار بالخدمة اسم والا  
بالصدقات في الترف والفرح بكم بيبس ، وقد عيت اني - وهم غلدة من احد الغلدة  
من اني انتم توكيتم فاعلمت مع هذا وانبيته من الترف ، ولكن عدد للكتاب خردوا  
ورب اني يكتب بكم كالمش في هاتين جرحي في الرجل ودائمة ، ولا يوجه الكلام ان الموصوب  
وانما يدبره عن تلك الصعبة وتبليها ، والاراء في الموصوب تم في المجتمع حتى اذا اجتمع  
الكتاب من هذا الشرك لم يكن مددوا واكرام وانما يكون مجموع اختلاف بقية اذا اراها  
الغلة بجم ان هذه الاخلاف هي مجموع الرجل واليراهيمي ، وانما اذا اجتمعت مني  
شتمه كان رجلا وكيفه ، ومعنا هذا ان تحفظ اننا نعتي بهذا الكتاب عن هذه الشك  
عقله يد ا ب تاريخ الرجل ، ونستريح من تلك الكتب او نعلم لك الغلدة انك اني التمس  
الذي زقر تاريخ الرجل منذ سنة فزون .  
ستتكم صورة الدعوة التي تسترونها في البطار لتكون هي اليراهيمي ، واكتبوا اني بكم  
للغلة المذكورين في الغلدة وذكرهم - بل هذه الشك وانهم ان يكتبوا واحد  
في ناهية جرحي واهل مني ، واشترطوا الاجلدة في الترف والاسلوب ، والتبلي بالارسلان

صورة للرسالة بخط الشيخ اليراهيمي أرسلها للأستاذ أحمد توفيق المدني من القاهرة بتاريخ: 4 ديسمبر 1950م

كله اكتبه بله يسلمون التي ما يكتبون وحرمة كل واحد بعنوانه الحب وانظره على كل واحد ان يكتبه بنسخة مما كتب جعل المرسله تفيد بنسخه اخترا ، ولا ارى يدك تولى به هذا ولما ذكرتك في التمهيد لانه سيأتيك في الكلمة التي تستر للدعاء لكاتب .

من سجون رسالتكم مستر الصلوات وانما اكتبه وكذا وانما هو يدعي تغير في الوقت حتى اذا بدأت لم اتر اجمع ويفدني ابدى مسودة منذ كنت في بغداد وانما اكتبه في جرائح الوقت لما بعد ذلك - ولما اراد ان يكتب - فعمل الاطلاع ان اكتب الدعوة اليه بعيني وسر صديق فلما اراد ان يكتب في وقت غير مناسب فاجرت التماس جرت به فيلما ، وسادعك من فتح الاكثاب - هذا ذريعتي لا امل انتم من هنا ، وانما الاستغناء بله رابته التي صدمت قلب من لان من ان يرصد له ربح الاكثاب - يعلم وانما سواجت في هذا لا على شراء التي قد جرت منها كانت رخصته - وانما التفرير الذي ارسلته جساكم مع خادمي في حصول اربعم وامل ان يكونا كتاب - بله اب حق وقد كتبت اليه اني قد اذيت بيع الخبز في يومين حتى اتملا لان جلا - الاعلان هو الامان - هذه تكتفي ارضه بله يضع موضوعا بله واحد في تفتي في غيره بهذا وليكن مطمئنا - وقد كنت اكثر الناس تولا عيشه وقت لم تترك الاسلوات من الامن ايمم وكنت ان يكتبني من عكسه - وانما احوال من مقدمي مستجديا بعد صلت في بغيته التفرير رسالتي ان يزار المجلس الدائم وان يكتب مني شيء ان يبيع الا اعضاء الاداريين - وانما اكتب اليه كفيتمك بما كنت اردت ان اجمع في المكتب على ان يبيع كتيبه علمه كذا بله العرب من اخصائيت وفرائض وهو - ليمان وانود بلات وغيره في تواريخ جميع الالسنه وثائق ومهدت كذا كذا لم يفتن بالاعلام الاسلام لشكوه حرجها للباحثي في احوالنا بله احوالنا لا يعرفون كذا الا ان يفتن ، وانما ان يفتن فيسكونه من غير كبري بغيته العلم ودعيه كفيتمك لا - وما زلت انتظر كتيتمك من الاختصار بله فرغوا بركة الله عليكم .

الكله ان هذه هي اممات الشيعة به فتصدر وشكك من يجمعهم المحجوب بالمكتوب كتي رسالتي التي تحرب في العبد ومحتوى ليخبرنا في قديمه ثبت في ان يفتن في الكتاب انك استجست سكن الاله التمس في الجزائر لانت بعد رجوعه بله استجبت ان افوم بما كنت فاعلم به ، وانما اعينكم بله رأيي وعلايتهم من العبد بفتنه هذه الرسالة فتواي مع تقدم السن وكلان الادوات .

لافتن رسالتي كذا من خرائطكم ليجز اقره لتقرينهم على مواكز البعثات ولغيره ، فيه في كفيتمك على كذا مما يجمع من البعثات القديمة والجديدة ، وانما كفيتمك بالبحر في رسالتي - فقد جرتهم فرصة كفيتمك لارسال كذا كبير مناه وهي محجوب ومجموع ليرى الفتنة الملائم ، وبسبب التفتن في الاله الفنطري ،

سلامي الى ربات البيت والى من تلتها وولدنا محمد اسلم وريمان المركز وانما كفيتمك مع شكوبا الجزير لانه على ارضه تم ، وانما اخترت كفيتمك في الغيبة ،

واسمعا جميعه لافنيتمك المستاف

محمد السهر  
اليراهيمي

لم تفتح لي هذا الكتاب في تاريخ التفرير من احوالنا بله احوالنا لا يعرفون كذا الا ان يفتن ، وانما ان يفتن فيسكونه من غير كبري بغيته العلم ودعيه كفيتمك لا - وما زلت انتظر كتيتمك من الاختصار بله فرغوا بركة الله عليكم .

صورة للرسالة بخط الشيخ اليراهيمي أرسلها للأستاذ أحمد توفيق المدني من القاهرة بتاريخ: 4 ديسمبر 1950.

بسم الله الرحمن الرحيم

دمشق في ١١ / ٤٦ / ١٢٧٧

حضرة صاحب السمو الأمير الجليل الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبتاه الله للتقوى والخير  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلفتني جبهة التحرير الوطني الجزائرية بأن أحضر موسم هذا العام مع وفد من أعضاء  
الجبهة لنقوم بالدعاية إلى القضية الجزائرية والثورة التي دخلت المدن في خطر أظواهرها واصبحت  
فرنسا تقتل النساء والاطفال والشيوخ تقتيلهم جميعاً كما تعلمون ، ومنذ ثلاثة أسابيع أو  
أكثر والوفد مطلق بدوشه بعد ان تقدم إلى السفير السعودي هذا لطلب من جلالة الملك الاذن  
له بالسفر في ظرف مئتي ساعة ، وقد طلب السفير السعودي من جلالة الملك وجاءه الأمر بالترشيح حتى  
يتم جملته رحلته إلى الأردن ، وانتظرنا بعد ذلك فلم يأتي خبر ، ونحن عازرون لجلالة الملك  
لكثرة أسفاله وتماقير الأحداث في هذه الأيام ، ولكن الوقت ضايع والانتظار رحال ، ففرم الوفد  
على السفر إلى جدة باسم الحج وصانك يتصل بصاحب الجلالة ويتفاهم معه على كيفية تأدية ما يقصده  
الفرس من رحلته .

وإننا أرجو وأؤكد تأكيداً على سموكم أن تقوموا بتسيير وصول الوفد إلى جلالة الملك ،  
وتسيير اتصاله بالوفود الرسمية من العالم الإسلامي وبالرجال الدبلوماسية التي تحضر الموسم ، وتسيير  
وسائل الدعاية وأهمها تسهيل المذيع ليلقي الوفد فيه كلمتين في اليومين المشهودين يوم عرفة واليوم  
الأول من أيام منى يبين فيها حالة الجزائر ويصور أسوأها تصويراً كاملاً ويلفت الإهتمام  
المسلمين في هذه الأيام المشهورة التي شرعها الله لتعارف المسلمين وتعرفهم باحوال بعضهم ، وإن  
تسهيلكم لهذه الوسائل في سبيل اخوانكم الجزائريين لما يكتبه الله لكم مشاركة عملية في الجهاد .

الوفد مؤلف من ثلاثة أعضاء كلهم من أعضاء الجبهة البارزين ومن اصحاب المحييات البارزة  
في جمعية العلماء وذوي الأمانة والاعلام وذوي الواقفة المشهورة في اقامة صرح السلفية بالقطر  
الجزائري العربي المسلم ، وهم الاستاذ أحمد توفيق المدني الطائفة العام لجمعية العلماء ، والاستاذ العباس  
المحسني مراقب العام بالاستاذ عمر درودر أحد رجالات العالمين بشجاعة واخلاص في ميداننا ، ومؤكد  
يعلم أن رجال الجمعية كلهم اقتحموا الثورة عملياً من اول يوم فهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر .

أما اخوكم العاجز فهو عاجز عن السفر فعلاً بسبب الحادثة التي وقعت له في باكستان منذ فترة .  
وتقبلوا يا صاحب السمو التحيات الخالصة من أخيك  
محمد بن عبد الرحمن  
الملك

نص الرسالة بخط الشيخ الإبراهيمي بعث بها إلى سمو الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (\*) من دمشق في: 26  
ذي القعدة 1276هـ.

(\*) ولد الأمير عبد الله بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود الأصغر للملك عبد العزيز مؤسس المملكة العربية السعودية بالكويت في  
1جانفي 1893 ، وعاد مع أبيه سنة 1904 بعد استعادة أخيه عبد العزيز لعاصمتهم الرياض ، ولع بالعلم والدراسة حتى لقبه الملك عبد  
العزيز بـ"عالم آل سعود وفقههم" وشارك إلى جانب أخيه في العديد من المعارك كان أولها (معركة هدية) سنة 1910 ، وشارك في  
فتح الأحساء ومعارك الحجاز وتوفي في مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض في 4 ديسمبر 1976م. (ينظر، الأمير عبد الله بن عبد الرحمن  
بن فيصل آل سعود، الموسوعة الحرة).

## 28- تساؤل نفس (\*)

سؤال: أين- يا أخت- الحسام المنتضى ... صروف الدهر في اليوم العصيب  
 أين- يا أخت- الإمام المرتضى ... ذو البيان الحرّ والرأي المصيب  
 أين؟ من أن أمحل الفكر مضى ... يرحض الأمحال بالفكر الخصيب  
 جواب: جاءه المحتوم من صرف القضا ... فقضى، لم يرض بالدنيا نصيب  
 سؤال: أين- يا أخت- هلال الداجيه ... فارس الحلبة كشاف الكرب  
 كان نورًا في الليالي الساجيه ... ويل قومي إن توارى أو غرب  
 أين- يا أخت- إمام الناجيه ... وأمين الله عن مجد العرب  
 جواب: حرمت منه النفوس الراجيه ... وتملت حظها منها الترب  
 سؤال: أين حامي الدين من شوب الضلال ... ومجير الحق من إفك الهوى  
 أين- يا أخت- حوارى الجلال ... صيقل الأذهان إكسير القوى  
 عاف خفض العيش في برد الظلال ... وامتنطى للمجد نزاع الشوى  
 جواب: خبير الإظعان والحي الحلال ... أن نجم الدين فيهم قد هوى  
 سؤال: أين ليث كان بالأمس هنا ... خادراً قد ملأ الدنيا زئير  
 أغلبا في لبدتين ارتهنا ... عن عرين الدين يرمي ويجير  
 ما ونى عن فرصة أو وهنا ... هل رأيت المخدم العضب الطير  
 جواب: هجر الغيل وأسرى موهنا ... والحمى أصبح نهباً للمغير  
 سؤال: أين منا اليوم- يا أخت- الرئيس ... كم به قد رفع القوم الرؤوس  
 ما له غاب؟ فما منه حسييس ... ما له أقصر واليوم عبوس  
 من رمى؟ فى الأمة بالجد التعيس ... وسقاها جرع الغم كؤوس  
 جواب: غاله من خاتل الموت دسييس ... فهو قد أصبح رهناً في الرموس

والسلام عليكم مجتمعين على الحق ومتفرقين في خدمة الحق.

آفلو، يوم السبت 13 رجب الفرد 1359هـ، الموافق 18 أغسطس 1940م.

أخوك المعتد بوجودكم وعطفكم  
 محمد البشير الإبراهيمي

(\*) ذكر هذا النص أحمد قصبية في مجلة "الثقافة"، عدد 87، الجزائر، مايو- يونيو 1985.

## 29- مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة :

قد قدم لهذه المقامة تلميذ البشير الأستاذ محمد الغسيري؛ فأليك شيئاً من مقدمة الغسيري، ثم مقامة البشير: يقول الغسيري:

الوفاء قليل في البشر، وأوفى الأوفياء من يفى للأموات؛ لأن النسيان غالباً ما يباعد بين الأحياء وبينهم، فيغفون حقوقهم، ويحذون فضائلهم.

وما رأينا في حياتنا ريفيين جمع بينهما العلم والعمل في الحياة، وجمع بينهما الوفاء حين استأثر الموت بأحدهما - مثلما رأينا إمامي النهضة الجزائرية عبد الحميد بن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي، رحم الله الميت، وأمد في عمر الحي حتى يحقق للجزائر أمنيتها. من أعلى ما امتاز به أستاذنا الجليل، ورئيسنا الأكبر، محمد البشير الإبراهيمي من شرف اللحال (نكران الذات) فهو لا يزال يعمل الأعمال التي تعجز عنها الجماعات وتنوء بها العصب، وهو مع ذلك لا ينسب الفضل إلا لإخوانه ورفقائه الأموات والأحياء.

يصرح بذلك في خطبه الدينية، ومحاضراته الجامعة، ويقول: إن كل فضل في هذه الحركة العلمية النامية يرجع إلى جمعية العلماء، وإنه لولا جمعية العلماء لما كان هو.

ونحن - أبناء - نشهد، وإخوانه يشهدون أنه لولا علمه، ولسانه، وصره وتأثيره الذي يشبه السحر - لما كانت جمعية العلماء، ولولا براعته في التصريف والتسيير لما سار لجمعية العلماء شراع في هذه الأمواج المتلاطمة من الفتن.

مات ابن باديس، في حين كان رفيقه في الجهاد وفسحيه في العلم والعمل محمد البشير الإبراهيمي منغياً في قرية (آفلو) من الجنوب الوهراني، بحيث لم يحضر دفنه، ولم يؤبنه بكلمة، فعوض ذلك برسائل تعزية كتبها إلى إخوانه بث فيها حزنه للمصيبة، وصور فيها آثارها، ولم تنسه الفجعية ما يجب من النصائح بالثبات، واستمرار السير، فجاءت رسائل من ذلك الطراز الساحر الذي لا يحسنه إلا الإبراهيمي، ولا أدري أحتفظ إخواني بتلك الرسائل الفنية أم ضيعوها؟!

ولما مضت على موت الأستاذ سنة، ورفيقه لا يزال في المنفى، أرسل الرئيس الجليل من منغاه هذه المقامة؛ فأبكت العيون، وجددت الأسى. رغبتنا إلى أستاذنا أن ننشر هذه المقامة فأذن - أبقاه الله - بعد امتناع؛ لأن أستاذنا - حفظه الله - لا يرى السجع معبراً عن النوازع العميقة، وإن كان هو إمام العصر بلا منازع في هذه الطريقة الأندلسية البديعة التي لا يحسنها إلا من جمع بين الطبع والصنعة، وملك أزمة اللغة والغريب... وحث في الأخير رغبتنا منه محل القبول، حرصاً على هذه المقامة أن تضع إن لم تسجل، وكم نفائس مثل هذه المقامة، وكم من رسائل، وكم من تحف فنية من أدب الهزل والنكتة، وكم من ملاحم شعرية، بلغت الآلاف من الأبيات! ما زالت مطمورة في أوراق الأستاذ، وفي حافظته العجيبة.

وإذا لم يحرص أمثالنا من تلامذة الأستاذ على استخراجها ونشرها ضاعت، وخسر الأدب والعلم خسارة لا تعوض، وهامي ذي المقامة الباديسية، ونبه إلى أن الأستاذ حذف منها كثيراً مما لا تسمح الظروف بنشره.

سلام ينتفس عنه الأفاح بإزهاره وإيراقه، ويتبسم عنه الصباح بنوره وإشراقه.

وثناء يتوهج به من عنبر الشجر عبيره، ويتبلج به من بدر التام على الركب الخابط في الظلام منيره.

وصلوات من الله طهورها الروح والريحان وأركانها النعيم والرضوان، وتحيات زكيات تنزل بها - من الملاء الأعلى - الملائكة والروح، وفضحات ذكيات تغدو بها رسل الرحمة وتروح، وخيرات مباركات يصدق برهان الحق قولها الشارح بفعالها المشروح .

وسلام من أصحاب الجبين، وغيوث من صوادق الوعود، لا صواعق الرعود لا تخلف ولا تميم، وسخائب من الرحات تنهل سواكها، وكنائب من المبشرات تزجي مواكبها، وسواخ من العبرات تنحل عزاليها، ولواخ من الزفرات تسابق أواخرها أواليها على الحدث الذي التأمت حافته على العلم الجم والفضل العد، ووارى ترابه جواهر الحجا والذكاء والعزم والجهد، وطوى البحر الزخار في عدة أشبار، فأوقف ما لا حد له عند حد، واستأثر بالفضائل الغزر، والمساعي الغر، والحلال الزهر، فلم يكن له في الأجدات ند، وأصبح من بينها المفرد العلم كما كان صاحبه في الرجال العلم الفرد.

وسلام على مشاهد كانت بوجوده مشهودة، وعلى معاهد كانت تحت ظلال رعايته وتعهده عليها ممدودة، وعلى مساجد كانت بعلمه ومواعظه معمورة، وعلى مدارس كانت بفيضه الزاخر، ونوره الزاهر مغمورة، وعلى جمعيات كان شملها بوجوده مجموعاً، وكان صوته الجهير كصوت الحق الشهير مدويًا في جنباتها مسموعاً.

مشاهد كان يراوحها للخير والنفع، وكانت آفاقها بأنواره مسفرة، ومعاهد كان حادي زمرها إلى السلم، وهادي نزاعها إلى الإحسان والعلم؛

فأصبحت بعده مقفرة.

ومدارس، ما مدارس؟ مدها للعلم والإصلاح مغارس، ونصبها في نخور المبطلين حصونا ومتارس، وشيدها للحق والفضيلة مرائب

ومحارس.

وسلام على شيخه الذي غذى وربي، وأجاب داعي العلم فيه ولي، وآثر في توجيهه خير الإسلام، فقلد الإسلام منه صارما عضبا، وفجر منه للمسلمين معينا عذبا، فلئن ضايقته الأيام في حدود عمره - فقد أبت له منه الصيت العريض، والذكر المستفيض، ولئن سلبته الحلية الفانية فقد ألبسته من مآثر حلال التاريخ الضافية، ولئن أذاقته مرارة فقدته فقد متعته بقلوب أمة كاملة، ولئن حرمته لذة ساعات معدودة فقد أسعدته به سعادة غير محدودة.

وسلام على إخوان كانوا زينة ناديه، وبشاشة واديه، وكانوا عمار سامره، والطيب المتضوع من مجامره، والجوارح الماضية في تنفيذ أوامره. وسلام على أعوان كانوا معه بناء الصرح، وحياة السرح، وكانوا سيوف الحق التي بها يصول، وألسنة الصدق التي بها يقول. أبت لهم عزة الإسلام أن يضرعوا أو يذلوا، وأبت لهم هداية القرآن أن يزيغوا عن مناجه أو يضلوا، تشابهت السبل على الناس فاتخذوا سبيل الله سبيلا، وافترق الناس شيعا فجعلوا محمدا وحزبه قبلا.

ولقد أقول على عادة الشعراء - وما أنا بشاعر - لصاحبين من تصوير الخيال أو من تكييف الخيال، تمثلها الخواطر تمثيل صفاء، وتقيها في ذهني تمثال وفاء: بكر صاحب فالنجاح في التكبير، وما على طالب النجاح بأسبابه من نكير، تنجنا لصاحبكما طية، لا تبلغ إلا بشد الرحل وتقريب المطية، فقد ختمت - كما بدت - الأطوار، بدولة الرحال والأكوار، فادفعا بالمهرية القود في نحر الوديقة الصيخود، ولا تخشيا لذع الهواجر، وإن كنتما في شهري ناجر، ولا يهولنكما بعد الشقة، وخيال المشقة، ولا الفلوات يصم صداها، ويقصر الطرف عن مداها، ولا السراب يترجح رقرقه، ويخدع الظامئ المحرور مراقه.

سيرا - على اسم الله - في نهار ضاح، وفضاء منساح، ضاحك الأسرة وضاح، وتخللا الأحياء؛ فستجدان لاسم من تنتجعانه ذكرا ذائعا في الأفواه، وثناء شائعا على الشفاه، وأثرا أركى نماء وأبقى بركة على الأرض من أثر الغمام المنبل، فإذا مسك الملال أو غشى مطيكا الكلال، فاحدوا بذكراه ينبعث النشاط، وينتشر الاعتباط، وتغنيا بها عن حمل الزاد، وملء المزاد، وتأمنا غول الغوائل، من أفناء دراج ونائل.

سيرا - روعي فدائكما من رضيعي همة، وسليبي منجبة من هذه الأمة - حتى تدفعا في مسي خامس، له يوم الترحل خامس، إلى الوادي الذي طرز جوانبه آذار، وخلع عليه الصانع البديع من حلي التصنيع، وحلل التفويف والتوشيع ما تاه به على الأودية فخلع العذار. وأتيا العدو الدنيا فتم المنتجع والمراد، وتم المطلب والمراد، وتم محلة الصدق التي لا يصدر عنها الورد، وتم مناخ المطايا على حلال الحق، وجيرة الصدق، وعشراء الخلود، الذين مح الموت ما بينهم من حدود، اهتفا فيها بسكان المقابر عني:

ما للمقابر لا تجيب ii الداعي \* أو ما استقلت بالسميع الواعي

وخصا القبر الذي تضمن الواعي السميع، والواحد الذي بذ الجميع، فقولوا له عني:

يا قبر، عز على دفينك الصبر، وتعاضى كسر القلوب الحزينة على من فيك أن يقابل بالجبر، ورجع الجدال إلى الاعتدال بين القائلين بالاختيار والقائلين بالجبر.

يا قبر، ما أقدر الله أن يطوي علما ملأ الدنيا في شبر!

يا قبر، ما عهدنا قبلك رمسا، وارى شمسا، ولا مساحة، تكال بأصابع الراحة، ثم تلتهم فلكا دائرا، وتحبس كوكبا سائرا.

يا قبر، قد فصل بيننا وبينك خط التواء لا خط استواء، فالقريب منك والبعيد على السواء.

يا قبر، أتدري من حويت؟ وعلى أي الجواهر احتويت؟ إنك احتويت على أمة، في رمة، وعلى عالم في واحد.

يا قبر، أيدري من خطك، وقارب شطك، أي بحر ستضم حافتك؟ وأي معدن سترن كفتاك؟ وأي ضرغامه غاب ستحتبل كفتاك؟ وأي شيخ كشيخك؟ وأي فتى كفتاك؟ فوج الحافرين ماذا أودعوا فيك حين أودعوا؟ ووج المشيعين ماذا شيعوا إليك يوم شيعوا؟ ومن ذا ودعوا منك إذ ودعوا؟ إنهم لا يدرون أنهم أودعوا بناء أجيال في حفرة، وودعوا عامر أعمال بقفرة، وشيعوا خدن أسفار، وطلية استنفار إلى آخر سفرة.

يا قبر، لا نستسقي لك كل وطفاء سكوب، تهبي على تربتك الزكية وتصوب، ولا نحذو في الدعاء لك حذو الشريف الرضي، فنستعير للنبت جنينا ترضعه المراضع، من السحب الهوامع، تلك أودية هامت فيها أخيلة الشعراء، فنبذتهم بالعراء، وزاغوا بها عن أدب الإسلام ومنهجه، وراغوا عن طينته ومزاجه، بل تلك بقية من بقايا الجهل، ما أنت ولا صاحبك لها بأهل.

قولوا لصاحب القبر عني: يا ساكن الضريح، نجوى نضو طليح، صادرة عن جفن قريح، وخافق بين الضلوع جريح، يتأوبه في كل لحظة خيالك وذكراك، فيحملان إليه على أجنحة الخيال من مسراك اللهب والريح، وتؤدي عنها شؤونه المنسرية، وشجونته الملتبهة، وعلها شهادة التجريح.

إن من تركت وراءك، لم يحم الكرى فهل حمدت كراك؟ وهيات، ما عان كستريح!

يا ساكن الضريح، أأنتي؟ أم أنت كهدي بك تؤثر التصريح؟ إن بعدك، أتعب من بعدك.

لقد كانوا يلودون من حياتك الحية بكنف حماية؛ ويستندون من كفاءتك للمهات بحصن كفاية، ويستندون العظام منك بعظيم؛ وأيم الله لقد تلفتت بعدك الأعناق، واشترأت، وماجت الجموع واتلأت، تبعت عن إمام لصفوف الأمة، يملأ الفراغ ويسد الثلمة، فما عادت إلا بالحيية، وصفر العيبة.

يا ساكن الضريح؛ مت فمات اللسان القوال، والعزم الصوال، والفكر الجوال، ومات الشخص الذي كان يصطرح حوله النقد، ويتطير عليه شرر الحقد؛ ولكن لم يمت الاسم الذي كانت تقعع به البرد، وتتحلى به القوافي الشرد، ولا الذكر الذي كانت تطنطن به الأنباء، وتتجاوب به الأصداء، ولا الجلال الذي كانت تعنوا له الرقاب، وتنخفض لمجلاه العقاب، ولا الدوي الذي كان يملأ سمع الزمان، ولا يبيت منه إلا الحق في أمان.

مات الرسم، وبقي الاسم، واتفق الودود والكنود على الفضل والعلم. وعزاء فيك لأمة أردت رشادها، وأصلحت فسادها، ونفقت كسادها، وقومت منآدها، وملكت بالاستحقاق قيادها، وأحسنتم تهيئتها للخير وإعدادها، وحملتها على المنهج الواضح، والعلم اللائح، حتى أبلغتها سدادها، وبنيت عقائدها في الدين والحياة على صخرة الحق، ومثلك من بنى العقائد وشادها؛ أعليت اسمها بالعلم والتعلم، وصيرت ذكرها محل تكريم وتعظيم، وأشرتها معاني الخير والرحمة والمحبة والصدق والإحسان والفضيلة فكانت لها نعم الراحم وكنت بها البر الرحيم.

ولقد حبيت فما كنت لفضلك جاحدة، ومت فما خبيت من آمالك إلا واحدة. وهنيتك لك ذخر عند الله مما قدمت يداك من باقيات صالحات، وعزاء لك فيمن كنت تستكفيهم، وتضع ثقك الغالية فيهم، من إخوانك العلماء العاملين، الصالحين المصلحين.

فهم - كهدهك بهم - رعاة لعهد الله في دينه، وفي كتابه، وفي سنة نبيه، دعاة إلى الحق بين عباده، يلقون في سبيله القذى كحلا، والأذى من العسل أحلى.

وسلام عليك في الأولين، وسلام عليك في الآخرين، وسلام عليك في العلماء العاملين، وسلام عليك في الحكماء الربانيين، وسلام عليك إلى يوم الدين.

آفلو، 22 ربيع أول 1360 هـ / 9 أبريل 1941

### 30- رسالة الضب(\*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حضرة الفيلسوف ولدنا الأستاذ أحمد بن أبي زيد قصيبة حفظه الله...

وما زلت أعتكم في رسائلي إليكم بالفيلسوف تنادراً ومباشرة وتطرفاً، وأنا لا أجمل أنكم تنطون على شائل فيلسوف أو تحملون روحه بالتعبير العصري، حتى جاءت هديتكم لأحمد على يدي وهي عبارة عن ضب وورل محنطين بالنخالة لا بالموميا، فعاتبتكم - فيما أذكر عتاب مغفل بما معناه:

أني شببت عن طوق هذه الأحناش، وما كان ذلك العتاب إلا عنواناً على غفلي في ذلك الوقت - على الأقل - ثم فاء علي عازب عقلي وضائع فكري، ووضعت الضب أمامي وتأملت خلقته مَرَات في أيام، فوالذي خلق الضب والدب، وأنبت النجم والأب، فخلق النوى والحب، لقد أذكرني ضبكم بما كنت أحفظه عما قيل في الضب وعلى لسانه، وما ضرب من الأمثال المتعلقة به، ما لو خلعت عليه أيام الصبا جرداً، ونفضت عليه ماء الشباب مداداً ومدداً، لم أكن لأذكره.

فقد كان هذا الحيوان محظوظاً عند العرب دون كثير من الحيوانات الجزرية فدرسوا ظاهره وباطنه، وعرفوا طباعه فأكثروا فيه القول حتى بلغ هياهم به، وتمنطقهم بذكره أن نحلوه بعض الخصائص الإنسانية، وزادوا فنحلوه فضيلة لا توجد في الإنسان ولا في غيره من الحيوان كما ستسمع.

والحق أن الضب حيوان عربي جزري، ولا تقل إنه صحراوي وأن الصحراء ليست خاصة بالعرب، فإن هذه الصحراء التي هي آية من آيات الله. في أرضه، أو هي باب الفلسفة من هذا الكتاب الأرضي لم يعمرها الله بأمة تشربت معانيها، وتغلغت في دقائقها، ولاءمت روحها روحها مثل الأمة العربية، وسل التاريخ بينك، فهو لم يعرف أمة خلعت عليها الصحراء فطرتها وأفرغت عليها إفراناً سابعاً غير الأمة العربية. ومن ههنا جاشت نفوس العرب وتفتت قرائحهم عن روائع الفلسفة الوصفية للصحراء وأرضها وسائنها ولبيلها ونهارها وأغوارها وأنجادها وبرايرها القاحلة وشجراتها ومعابشها وقبظها وصرها وحيوانها ونباتها، وليس لأمة من الأمم ما للعرب في وصف النجوم حتى قريتها تشبيهاهم إلى

(\*) وجه الإمام هذه الرسالة إلى تلميذه الأستاذ أحمد ابن أبي زيد قصيبة في مدينة الأغواط، بعد أن أهدى هذا الأخير ضباً محنطاً للطفل أحمد نجل الإمام، وكان ذلك بتاريخ 11 شوال 1359 هـ. (نوفمبر 1940).

الإدراك البشري، واعتبر ما قاله في سهيل والجوزاء والسباكين الأعزل والرامح والثريا والخضيب والديبران والنسرین الواقع والظاهر على كثرة النجوم وكثرة ما قاله فيها، وإذا كانت النجوم لا تخصى عدداً، فقل ذلك فيما قالته العرب فيها. ومن بدائع تشبيهاتهم في النجوم أخذ المعري تلك المنازع الغريبة وتلك النظرات الفلسفية البعيدة الغور المنبثة في لزومياته، وهي باب على حدة من فلسفته الكونية وما نبغ ذلك الزلال ونبغ ذلك السحر الحلال إلا ما تركه العرب من تشبيهاتهم لها وتخيلاتهم في

وليس لأحد ما لهم في وصف النبات والشجر، وتحليل مكاسرها بالعجم والغمز، وتحقيق طعومها وخصائصها وتقسيم أنواعها وتسمية مفرداتها من شتّى وطباق وآء وتنوم وثمام وشيخ وقيصوم ثم غرب وشويط ونوع وسراء ومرخ وعفار، إلى غير ذلك مما بلغوا في تصويره في أشعارهم درجة تقرب من تصويره بالألوان، وقد اضطرّ رواة اللغة ونقلتها في عهد التدوين إلى أفراد هذا النوع - وهو النبات والشجر - خاصة بالتأليف، فلائي عبيدة والأصمعي ولأبي حاتم والنضر بن شميل ولكراع الخمل ولأبي زيد الأنصاري ولكثير غيرهم كتب خصوها وسموها باسم النبات والشجر.

ولإمام هذا النوع أبي حنيفة الدينوري كتاب "النبات"، وهو البحر الذي لا ساحل له، وهو مفخرة اللغة العربية بلا منازع، وهو الكثر الذي لم يرزأ الدهر بأنفس منه ولا أمن، ولا أعلى، وإن مصيبتنا به لتفوق مصائبنا في الأعلاق الثمينة، وإن خسارتنا له لخسارة يعز عنها العوض، لولا سلوة تلك الشذرات التي ينقلها عنه أصحاب المعاجم مباشرة أو بواسطة، وإن هذه الكتب الخاصة بالنبات والشجر لبرهان مستقل قائم على مقدار اتساع هذه اللغة الشريفة وإحاطتها، ودليل من جهة أخرى على فضلها على المعارف البشرية وجواب مسكت للذين يهرفون بتقص هذه اللغة ويرمونها بضيق العطن والتصور عن استيعاب المعارف، وتوبيخ مر لزعة من أبناء العرب العاقين الذين يلوون ألسنتهم بمثل هذا الكلام ويشاعون لجهلهم وفسولة أخلاقهم وانحراف أمرجتهم العربية، أعداءها على ذمها والزراية بها والتقليل من خطرها، وأنا لا أرى دواء لهذه الزعنة التي ضلّت عن جهل إلا الاحتقار فما يفقدون ينقص عديد العرب، ولا برطانتهم يقل شأن العربية ويخف وزنها.

وانهم عندي لأهل للرحمة بما حملوا، لا للحسد على ما علموا، ولو علموا أو حفظوا فصلاً واحداً مما وضعته العرب لجماعات الحيوان وطوائفه، كالأجل والرجل والسرب والعانة والقطيع إلى آخر هذا النوع أو لأصواتها - وما أكثرها - لأشرفوا على بحر لحي يجدون عنده رطانتهم ضحاحاً غمراً، لا يغمر كعب إنسان، ولو علموا أن العرب تقول: خطيب وعُوع فيكون مدحاً، وخطيب وعوع فيكون ذماً، ولهم في كل كلمة مرمى من الاشتقاق مصيب، لو علموا ذلك ونحوه من أسرار الاشتقاق، وهو باب من أبواب وفصل من كتاب وقرعة من صحاب، لأقلعوا عن غيهم وكفوا من غلوائهم، ولكنه الجهل يعمي ويصي.

وإذا أردت أن تفهم بعض السر في خصيصة العرب في الوصف، فاعلم أن الصحراء ليستهم - ولبسوها - حتى أصبحت حياتهم جزءاً منها فأورثتهم ملكة التأمل، ولو ستميناها ملكة الحواس لكان هذا هو الصحيح ومنها جاءتهم دقة الحس ولطافة الشعور وصدق التصوير، ولا نشترط على التاريخ أن يأتينا بأمة أمية من أمه يطاول بها أمة العرب في هذا الباب، بل تتنازل وندعوه لأن يأتينا بأمة من أم الحضارة تستطيع أن تقف بجانب العرب في هذا الميدان.

(فصل) ونعود إلى الحديث عن الضب، فأنا أعترف أنني ما حققت معنى المثل العربي المشهور "أعقد من ذنب الضب" إلا بعد دراستي لضبكم، وأن هذا المثل لأشهر من "قفا نيك". ..وانه لموضوع بكل لسان، ممزوج على سن كل قلم، تقرأه في كل صحيفة وفي كل كتاب، وما أكثر العقد والتعقيدات - في زماننا التي يحسن ضرب هذا المثل لها، ولو أن الذين يضررون هذا المثل تقليداً واتباعاً رأوا الضب ورأوا ذنبه وتحسسوا تلك العقد الشائكة في ذنبه، لكان تمثلهم أوقع في نفوسهم ولكانت نفوسهم أشد تأثراً به، وعلى مقدار التأثير يكون التأثير، ولعلموا مع ذلك إصابة العرب في مواقع التمثيل ومراميمهم في مضارب الأمثال، وأن في المخلوقات أشياء كثيرة ذات عجز أو عقد أو ابن، ولكن العرب آثروا الضب في التمثيل لأنه حيوان صغير مسلم لين المحسة كليل الظفر إلا عن حفر الكدى ليتقي لا ليتقي، ومع هذه الصفات الرخوة فذنبه معقد ذاك التعقيد العجيب، وهو شائك، وهو حامله شكة وحامله منه شاكى السلاح، وقد حكى لي بعض من رآه يضرب به الأفعى حتى يقتلها.

وقد أكثر العرب من ضرب الأمثال بهذه الزواحف والحشرات الحفيرة، فكان ذلك تنويهاً بشأنها وتنبيهاً للمتوسمين والباحثين في مخلوقات الله ليزداد المؤمن إيماناً بالخالق ويزداد المتفقه فقهاً في حقائقها، ويزداد الباحث توسعاً في المعرفة، والمعرفة ميزة هذا الجنس.

وقد قالوا ضل دريص نفته، وهو تصغير درص اسم لجرو الفار، وقالوا: "تخلصت قاتبة من قوب" للفرخ من البيضة، وهذا باب واسع في أمثالهم يقبح بالمتأدبين من ناشئتنا أن لا يجعلوا له حظاً من حفظهم وبحبهم، وأنا فقد رأيت الضب سلوخاً ومطبوخاً - وإن لم أكل لحمه - عند البدو في نجد الغربية مما يلي المدينة المنورة، ورأيت عند دافة من أعراب الحجاز دفت على المدينة في عام محل فما أثارت رؤيته في نفسي إلا ذكرى أنه عرض على مائدة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرفع يده فقيل له: أحرام هو يا رسول الله؟ فقال: «لا أحرم ما أحل الله، ولكنه ليس بأرض قومي - وإن نفسي لتعافه» - وفي هذا الجواب روايات، وأن خالد بن الوليد حين سمع هذا الجواب تناوله من بين يدي رسول الله فأكله، ويؤخذ من جوابه - صلى الله عليه وسلم - أن الضب غير موجود بمكة في زمنه، ولم أوفق إلى سؤال أهل مكة عنه في زمننا هذا، ولو سألت لكان زيادة في العلم واليقين، لأن الحديث ظني، وإن تعددت طرقه واشتهر بإخراج الصحاح له.

وهذا التقصير الذي شاهدته وشهدت به على نفسي ناشئ عن قصور في ملكة التأمل والبحث إذ ذاك، لأنها كانت مزاحمة بالأبحاث الدينية، وإن رواية هذا الحديث في مجالس الرواية لا تثير في النفس أكثر من الاهتمام بحكم أكل لحمه شرعاً، وهو اهتمام له حظ واعتبار في موضوعه وجوه الخاص، ولكن المثال البارد الفج "الصامط (1)" الذي لا يثير في النفس اهتماماً بل يثير فيها اغتماماً هو المثال الذي تعلمناه من كتب النحو، وهو قولهم "...: هذا حجر ضرب خرب" يمثلون به للجرح بالمجاورة أو بالتوهم لا أدري، وإنما الذي أدريه هو أن هذا النوع من الجرح مسموع عن العرب، وهو من شذوذاتهم اللغوية وانحرافاتهم عن مقاييس لغتهم، وهو مقبول منهم لكنه مقصور على ما سمع منهم، فلا يسوغ لنا نحن طرده من كلامنا حتى لا نفسد اللغة على أنفسنا بهدم القواعد الصحيحة والحري على غير منهاج، ولهذه الشذوذات في العربية فلسفة خاصة لم يشبعنا أحد بالحديث عنها حتى الآن، ولو وجدت متسعا من الوقت لكتبت فيها ما يصح أن يكون نواة في الموضوع، إذا تعاهد الباحثون أصبح شجرة ذات أكل شههي. ولفيلسوف هذا الفن أبي الفتح عثمان بن جني جمل متفرقة في هذا الموضوع لكنها تنطوي على نظرات سديدة وتدلل على انفساح ذرع الرجل في هذا العلم، وإذا كان هذا النوع من الجرح مسموعاً موقوفاً على السماع فلست على ثقة من أن مثال النحاة مسموع من العرب وإنما هو مثال سوقي انتحلوه، ثم قد آخروهم أولهم فيه على عادتهم، وهل يصح لهم أن يمثلا لمسألة سماعية بمثال مصنوع؟ لا. ودليلي على أن المثال مصنوع أمران:

[الأول]: أن نطق العرب لا يساعد على ما ادعاه النحاة فيه، لأن كلمة خرب التي يدعي النحاة جرحاً جاءت مقطعة في الجملة لم تعقبها كلمة أخرى، فإذا نطق بها عربي نطق بها ساكنة الآخر بلا شك، فمن أين يظهر الجرح الذي ادعوه فيها؟ ووددت لو ذكرت بعض نحاة العصر المفتونين بالمباحث اللفظية العقيمة في هذا التوجيه لأسمع رأيهم، وما عسى أن يأتوا به من حجج فارغة، وكم في كلام الفارغين من تسليية لهم وترجية للوقت وترويح للخواطر المكدودة بشرط أن يكون السامع موفور الحظ من الصبر.

[والثاني]: أن معنى المثال على برودته وجفافه لا يتفق مع ما يعرف العرب عن الضب من أنه لا يخفر جرحه إلا في الكدى) جمع كدية (وهي جيبيل صلب الأرض متاسك التراب، ولذلك يضيفونه إليها كثيراً فيقولون: ضب الكدية، وضب الكدى، يستعملون هذا كثيراً في كلامهم، وفي مقصورة ابن دريد، بيت محتومة بضب الكدى ولا أذكرها الآن وليس عندي ما أراجعها فيه، وقد قال الشاعر:

سقى الله أرضاً يعلم الضب أنها ... بعيد عن الأدوية طيبة البقل

بني بيته فيه على رأس كدية ... وكل امرئ في حرفة العيش ذو عقل

فقد وصف هذه الأرض التي اختارها الضب لسكنائه، بأن الضب - وهو الاختصاصي في هذه الهندسة - كأنه يعلم أنها بعيدة من الآفات، وأكبر الآفات في نظر الضب السقوط والانهيار والحراب.

وقال الشاعر الآخر فزاد المعنى المراد توضيحاً، وهو يتحدث عن الضب:

ويخفر في الكدى خوف انهيار ... ويجعل بيته رأس الوجين

والوجين: هو الأرض الصلبة الغليظة، ومن هذه الكلمة جاء قولهم: رجل موجن، قوي عظام الأضلاع والصدر. ومنها ميجنة الثياب، آلة تدق بها، ومنها جلد موجن: مضروب بعد الدغ حتى تتداخل أجزاؤه وتلطف فيلين مع القوة. فهذا البيت شاهد على أنه "ليس حجر ضرب خرباً"، ولهذه الخاصية في اختيار الضب للكدى، تصفه العرب بصفة ملازمة فيقولون "ضب دامي الأظافر" جمع أظفور. قال الشاعر:

ترى الشر قد أفنى دوائر وجهه ... كضب الكدى أفنى أنامله الحفر

ومن تهكمات المعري وهمزاته، أن صاحبه أبا القاسم المغربي المشهور في علم التاريخ والأدب بالوزير المغربي، اختصر في حادثة سنة كتاب "إصلاح المنطق" ليعقوب ابن السكيت، وأهدى منه نسخة إلى صفيه المعري، وكانت بينها أسباب متينة المعري، فكتب له المعري جواب الإهداء رسالة من أبداع رسائله، وفيها نقد لكتاب ابن السكيت على طريقة المعري الغريبة في سخريته العجيبة يقول فيها، إن لم تخني الناكرة.

"وقد أكثر يعقوب من الاجتهاد، في إقامة الأشهاد - يعني الشواهد - حتى ذكر رجز الضب وإن معداً من ذلك لجد مغضب، أعلى فصاحته يستعان بالقرض، ويستشهد بأحناش الأرض، ما روية عنده في نفي، فما قولك في ضب دامي الأظافر..".

وهذه الرسالة الرائعة مطبوعة مصححة فيما طبع "كامل كيلاني" مع رسالة الغفران، فإن كانت عندك فراجعها، فلعل الحافظة لم تضبط ألفاظها، ومحل الشاهد فيها لموضوعنا وصفه الضب بما كانت تصفه العرب من أنه "دامي الأظافر" ولا سبب لذلك إلا حفره لجرحه في الكدى الصلبة، وهذه كلها دلائل على فساد مثال النحاة إعراباً ومعنى. ولا ننكر أن بعض حجر الضباب تخرب، وقد خربت مدائن الرومان والفراعنة فضلاً عن مجور الضباب، ولكنه بارد جاف متخاذل خاذل لحافه، إذ يوهمه خلاف الواقع، ومنه ومن أمثاله خذل المتأدبون بكتب النحو الذين قعدت بهم همتهم عن التأدب بلغة العرب من شعرهم وخطبهم، ولم يحصل واحد منهم ملكة صحيحة في هذه اللغة ولا ذوقاً صحيحاً في أدبها، والواجب في الأمثال أن تكون جملاً حكيمه ذات معان مستقيمة وألفاظ قوية حتى يحصل الحافظ لها فائدتين: الحكم اللفظي والمعنى الذي يترك أثراً

(1) كلمة عامية معناها ثقيل الظل.

في النفس، ومن مجموع هذه الأمثلة يتكوّن الأدب والأديب. وقد نعى ابن خلدون في زمنه هذا الذي نعيناه وانتقد من مزاولي النحو ما انتقدناه- وهو لعربي- فقد صريح ما عليه غبار.

وانظر قولهم "لا تأكل السمك وتشرب اللبن" كيف لعب به الزمن وتعاوره الاستعمال حتى أصبح ما ليس بصحيح فيه صحيحاً وأصبح قاعدة طيبة، وما هو من الطب ولا قاله طبيب ولا هو بصحيح في الواقع والتجربة ولا بمطردٍ ضرره على فرض وقوع ضرر منه في جميع الأمزجة، وقد استعمله النحاة مثلاً لحكم لفظي فأدوا مرادهم به على أكمل وجه، ولكن لما لم يكن معناه صحيحاً أوقع أئماً وأجيباً في الخطأ، فحفظه الناس ونقلوه من الاحتجاج به على حكم أعرابي إلى الاستشهاد به على حكم حيوي، وأصبح الناس يتحامون الجمع بين اللبن والحوت عن عقيدة قررها في نفوسهم هذا المثال، وإذا كانت في المعدّ معدة ضعيفة تتأثر من الجمع بين غداءين، فمحال أن تكون حجة على معد بني آدم في علم أو عالم الكروش.

أما أنا وحياتك- كما يقول الزاهري- فإني ما رأيت أصلح لمعدتي من الجمع بين السمك واللبن والفضل لهذه الطبيعة التي لا تقاد في السفساف.

ورجى الضبّ الذي أشار إليه المعري وانتقد على ابن السكيت الاحتجاج به أصله مزعم من مزاعم العرب التي لا حقيقة لها، إذ زعموا أن الحيوانات كانت كلها تتكلم ونخلوا بعضها كلمات وجملًا وأبياتًا من الشعر، وليس وضعهم لما وضعوا من هذا من ذلك النوع المعروف عند جميع الأمم، وهو وضعهم أشياء على ألسنة الحيوانات إغلاً في الحكمة وتطرقاً لتربية النفوس البشرية وسوقها لفضيلة أو صدّها عن رذيلة، فإن هذا النوع من الأدب السامي هو نمط من التربية الصالحة كما في كتاب "كليّة ودمنة"، ولكن العرب كانوا يعتقدون هذا اعتقاداً، وإن لم يكن عامّاً فيهم. وفي شعر أمية بن أبي الصلت المتأله بيت في تقرير هذا المعنى، ولم أتذكر الآن ألفاظ هذا البيت، وقد سمعت من العوام وشاهدت من يعتقد هذه العقيدة.

ومن فروع هذا المزعم عند العرب أنهم زعموا أن السمكة قالت للضب: وردا يا ضب. فقال الضب:

أصبح قلبي صردا ... لا يشتهي أن يردا

إلا عرادا عردا ... وصليانا بردا

فهذا هو رجز الضب وهو مبني على اعتبار صحيح، وهو أن الضب لا يشرب الماء، ولعله يكتفي عنه برطوبة الهواء الذي يستنشقه والعشب الذي يأكله، كما قالوا في الظباء التي تجترى عن الماء بما تأكله من حشيش رطب، ولذلك سمي العرب هذه الظباء جوازي واحديتها جازية. ولهذه الكلمة ذكر مستفيض في كلامهم، وبها سميت الجازية المرأة التي بنيت عليها قصة بني هلال أو بطلاة الرواية.

ومن مزاعم العرب في الضب أنه أول من دل على نفسه، إذ كانت الحيوانات كلها تتكلم، فزعموا أن صائداً مر بواد فيه ضب فلم يتوجه إلى صيده، فخطبه الضب بقوله: ناك لو ذقت الكشي بالأباد. لما تركت الضب يعدو بالواد: والكشي جمع كشية وهي شحمة مستطيلة في الضب يقول آكله إنه لا ألد منها، ومعنى قوله- لو ذقت الكشي بالأباد- لو أكلتها ملفوفة بالأباد أو ممزوجة بها فهو- زيادة عن كونه دل على نفسه- أرشد إلى كيفية ونوع من أنواع الملفوف- وتذكرنا كلمة الكشي بكلمة للزخشي من كلمه النوافي وهي: ما الأعراب بالكشا- أولع من القضاة بالرشا. وأنا أرى أن دعوى العرب لدلالة الضب على نفسه أو تزيينه للناس آكله بطيب شحمه، أرى هذه الدعوى ترجمة غامضة لحقيقة كونه تكلم عنها الحكماء الباحثون في أسرار الكون والمستشرفون لحكمة الخالق في مخلوقاته، وهي أن الحكمة العليا في ألوان الفواكه الزاهية ذات التلاوين والتهاويل كالخوخ والإجاص والتفاح وغيرها في مقاديرها وأشكالها هي الدعاية إلى أكلها بمجرد النظر إليها من الإنسان والحيوان، فإن الرؤية بالعين تسبق الذوق باللسان وتبين الطعم واللذاعة. فتلك الألوان والأشكال هي دعايات تستهوي من فيه قابلية الأكل وتدعوه إلى التجربة، فإذا تمت التجربة صارت عادة في العقلاء وغريزة فيهم سواهم، ولولا هذه الدعاوى المستهوية في الألوان والتهاويل لما أقدم عاقل ولا غيره على تجربة شيء لم يعرفه لاحتمال أن يكون فيه داؤه لا غذاؤه، والحلي إذا عرض له خيال الموت ذابت كل الاعتبارات في نفسه، ويعد هؤلاء العلماء والحكماء وجود هذا المعنى في الفواكه بمثابة المحافظة على بقاء نوعها وتسلسل نسلها، وهي السنة المعروفة في عالم الحيوان بنظام التوالد النوعي والتلاخ الجنسي، فلو فرضنا وجود تينة واحدة في العالم في بقعة لا يوجد بها آدمي لكان من المترتب على هذا الفرض انقراض صنف التين بعد موت تلك الشجرة، ولكن تلك التينة قد أودعت فيها الحكمة ما يحفظ بقاءها النوعي بعد فناءها الشخصي، وذلك أن ألوان ثمرها تستهوي الطيور إلى أكلها ثم تزرع بذورها التي تخرج مع الفضلات في الصخور أو الأودية، فتنبت منها شجيرات صغيرة ثم تنمو وتثمر دواليك، وقل مثل ذلك في النخلة وغيرها. وم رأينا في شقوق الصخور الشاهقة- حيث لا تصل يد إنسان- أشجاراً من التين عظمت حتى صارت دوحاً وما نبتت إلا من البذور الخارجة مع رجيع الطيور.

وعلى هذا فلا يبعد أن يكون قومنا العرب أدركوا ذروا من هذه الحكمة- وليس ذلك بعجيب منهم- فجعلوا دلالة الضب على نفسه تعبيراً بلسان الحال عن هذه الحكمة، ولا شك أن الأكل الأول للضب ما أكله إلا بعد أن استهواه شيء فيه من سماته الظاهرة كالكشبية، وم لله من سر خفي!

وكما يستطيب العرب لحم الضب حتى صار لهم أثرا وخبرا، كانوا يستطيعون أكل بيضه ويسمى في لغتهم "المكن".  
يقول المتنبي في وصف قوم من الأعراب:

خراب بادية غرثى بطونهم ... مكن الضباب لهم زاد بلا ثمن.

والمتنبي من يحسن التبدلي والتعاريب، ويحسن وصف البدو مدحا أو ذما، وهذا البيت من هذا الطراز.  
وقال شاعر آخر، وأظنه إسلامي يتعارب، ولست أتذكر اسمه الآن:

أكلت الضباب فما عفتها ... واني لأهوى لحوم الغنم

وركبت زيدا على تمرة ... فنعم الطعام ونعم الأدم

وقد نلت ذاك كما نلت ... فلم أر فيها كضب هرم

وما في البيوض كبيض الدجا ... ج ويض الجراد شفاء القرم

ويمكن الضباب طعام العريب ... ولا تشتهي نفوس العجم

وكيف لا يستطيب لحم الضباب ويمكن الضباب من يقول شاعرهم، وهو عروة بن الورد:

عشية رحنا سائرين وزادنا ... بقية لحم من جزور مملح

إننا نعرف العرب ونعرف أنهم قوم يزنون الحياة بغير ما تنزهها به أم البطون والفروج، وموازنهم في الحياة تدور على قطب واحد وهو

المحمدة والذكر الحسن، وفي ذلك يقول أولهم- وما هو بالأول في هذا الباب -وهو يخاطب زوجته:

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ... أكبلا فأني لست آكله وحدي

أخا طارقا أو جار بيت فإني ... أخاف مذمات الأحاديث من بعدي

ويقول آخرهم، وما هو بالآخر في هذا الباب:

وإنما المرء حديث بعده ... فكن حديثا حسنا لمن وعى

وتضرب العرب المثل بالضب في عدة غرائز، فيضربون به المثل في الحيرة فيقولون:

أحير من ضب، ويزعمون- وهم أعرف الناس به- أنه إذا بعد عن حجره خبل ولم يهتد إليه على خلاف المعهود في أمثاله من سكان

الأحجار، وهو على خلاف المعهود في الطيور ذوات الأوكار، ويضربون به المثل في العقوق فيقال: "أعق من ضب"، ويفسرون عقوقه بأنه يأكل

حسوله، جمع حسل وهي جراؤه الصغار وهو لحم ونباتي معا، واللحم هو الذي يأكل اللحم وجمع على لواحم. يقولون لا آتيك سن الحسل يعنون

التأييد إذ يزعمون أن الحسل لا تسقط له سن.

ويزعمون أن الضب له نركان، أي ذكران واحدهما نرك، ويعدون هذا من فضائله وخصائصه، وكثيرا ما فكرت في هذا الزعم، ما يصنع

بالتزكين؟ أيكوم بهما معا في آن واحد؟ ويلزم من هذا أن يكون لأثناه فرجان، أم يستعمل أحدهما حتى إذا كل وفتز استعمل الآخر؟ كما

يستعمل البطل سيفين على التعاقب احتياطا لكلال أحدهما أو انتلامه، وإذا كان حقا ما يقولون فلا نشك أن الخالق لم يخلقها عبثا، ولم أزل في

ريب حتى قرأت حكاية عامل الخالد القسري، أهدى إليه في يوم نيروز سلة مملوءة ضبابا وكتب معها أبياتا في وصفها منها قوله:

ترى كل ذبال إذا الشمس عارضت ... سما بين عرسيه سمو الخايل

حسل له نركان كانا فضيلة ... على كل حاف في البلاد وناعل

فوقعت في جرة أخرى من قوله: سما بين عرسيه لما يفهم منه أن له زوجتين، ولعل من خصائصه- ما دام محلا للخصائص- أنه خلق

بتركين ليكوم كل عرس بنرك، ويكون اختصاصه بالتركين مرتبطا باختصاصه بالعرسين، وزاد في الحيرة أن في غيره من الحيوان بما فيه الإنسان من

له أكثر من عرس، وذكر الحمام والدجاج يسافد العشرات من إنائها، وليس لجمعها إلا نرك أو ذكر واحد، وما دمنا لم نجرب ولم ندرس دراسة

استقراء. فلنقل ما قالته العرب إنها خصوصية أو فضيلة، ومن أحب شيئا نخله ما شاء من الكالات، ثم قرأت في بعض كتب اللغة: أن ذكر

الضب يسمى نركا، وأن لكل ضب نركين وأن فرج أثناه يسمى قرنة، ولأنثى الضب قرنتان، فإن صح هذا ظهرت الحكمة في التركين.

ولما ذكرناه من علاقة العرب بالضب سموها به على عاداتهم في التسمية بالأشجار والنبات والأحجار والحيوان، ولهذه الأسماء العربية المنقولة

من أسماء الجماد والنبات والحيوان فلسفة خاصة كنت أمليت فيها دروسا عديدة على تلامذة دار الحديث بتلمسان في 1357هـ، وكتبها عني

التلاميذ وجعلتها مقدمة لدرس أنساب العرب، وقد سئل بعض العرب، ما لكم تسمون أبناءكم بأسماء قبيحة جافية، وتسمون عبيدكم بأسماء

حسنة كمرور ورباح؟ فأجاب العربي: إننا نسمي عبيدنا لأنفسنا، أما أبناءنا فهم لعدونا. يعني أن العبيد للخدمة والمهن المنزلية أو للقيام على

المناشئة، وكلها سلم واطمئنان، فكان المناسب هذه الأسماء المفرحة التي تجري مجرى الفأل.

وأما الأبناء فمرى العرب من كثرة النسل الاعتزاز بهم والاعتماد عليهم في الغارات والانتصاف من الأعداء، وأليق الأسماء بهذه المواقف "جندل" و"نهشل" و"صخر" و"ليث" و"فهد" و"عوسجة" و"حرب" لأنها تثير في نفوس الأعداء خيالات من معانيها، ومن الغريب أن العرب لم تسم ضبا بلفظ المذكور إلا قليلا، وأغلب ما سميت به ضبة بلفظ المؤنث وهو علم على عدة قبائل يطلقون عليها الضباب. ومن أشهر من تسمى بهذا الاسم ضبة بن أذ بن طابخة وهي قبيلة مشهورة يعدها النسابون الجمرة الثالثة من جمرات العرب، وجمرات العرب هي قبائل استقلت ولم تحالف غيرها لعزها ومنعتها، ولفظها مأخوذ من التجمر، وهو التجمع، وهذه الجمرة هي نمير بن عامر وضبة بن أذ والحارث بن كعب، ويقول علماء النسب إن الجمريتين الأخيرتين انطفأتا بالحالفة لأن ضبة بن أذ حالفت الرباب والحارث بن كعب حالفت مذحج، وبقية نمير بن عامر جمرة متقدمة لم تحالف أحدا إلى أن جاء الإسلام، وكما تسمى هذه القبائل جمرات تسمى جارا.

يقول الفرزدق: خطرت ورائي دارمي وجاري. ونسيت الشطر الأول. ومما يطربني من كلام الشعراء في ذكر الجمرة والجمار قول مجبار الديلمي تلميذ الشريف الرضي في إحدى قصائده:

يا ابنة الجمرة (من) ذي يزن ... (في الصميم العد والبيت الحبيب

وبا بني: إن مما أسف عليه أسفا لا ينقضي، ضياع هذا العلم من بيننا، علم أنساب العرب وأيام العرب وأمثال العرب، وإنها لكنوز من المعارف وأجزاء كاملة من التاريخ والأدب ومحال أن يزدهر الأدب العربي ويؤثر آثاره المرغوبة في ناشئتنا إلا إذا استكمل الأدباء هذه الأجزاء المفقودة.

وعلى ذكر اختيار العرب في التسمية ضبة دون ضب، أذكركم بكلام كنت قرأته لبعض علماء اللغة المتبحرين في فهم أسرارها، وهو أن العرب يلحقون تاء التأنيث بصفات المذكر كثيرا ك"علامة" و"فهامة" و"نكلامة" و"نلقامة" و"رحلة" و"هزأة"، وهي كثيرة في كلامهم، قال: وهم يرون فيها هو منها مدح إلى معنى الداهية، وفيها هو منها ذم إلى معنى التهمة العجاء، وهو كلام فقيه في العربية محيط بأسرارها ومقاصد واضعيا وخلجات نفوسهم، وأظن أن صاحب هذه النظرية هو ابن الأعرابي أحد فقهاء اللغة المبرزين، ولا أقطع بذلك.

وقد جرى في هذه الرسالة ذكر الوزير المغربي، وهو رجل يقبح بمتأدب أن يجمله، وهو رجل غريب الأطوار بعيد المهمة عجز المؤرخون أن يجللوا سيرته تحليلا صحيحا، ولم يقل لنا التاريخ إلا أنه مغربي، كان أبوه من رجال الدولة الفاطمية بمصر ومن دعائمها وخواصها، ثم قتله الخليفة الحاكم بأمر الله وهرب ولده هذا إلى القدس وأثارها شعواء على الحاكم بدهائه وكبده، ثم تقلبت به الأحوال ودخل بغداد فأقام الخلافة العباسية وأقعدها خوفا منه وتقلب فيها في عدة ولايات من كتابة ووزارة لبعض ملوك الطوائف فيها، ولا نشك في أن أصله من القيروان أو من هذه النواحي، ودخل أسلافه في ركاب الخلفاء الفاطميين إلى مصر حين فتحوها، وكان شعلة ذكاء وحفظ للآداب وأصناف المعارف، واجتمع بالمعري وهو صغير بجلب، فأنقذت بينها ألفة متينة تستشف مما تراسلا به بعد الفراق، وحسبك شهادة المعري دليلا على مكانته في العلم والأدب، وقد غمض الكثير من تاريخه وتاريخ أوليته بغموض تاريخ الفاطميين. وكثيرا ما أذكر هذا الرجل فأذكر بذكره أبا علي الملياني، أحد كتاب الدولة المرينية وأصله من مليانة، فقد كان يشبه الوزير المغربي في الطموح إلى العلا وفي الاستبداد وركوب العظام، نوه به ابن الخطيب في كثير من كتبه ووصفه في كتابه "التاج المحلى" بقوله: الكاتب الباتك والصارم الفاتك، ثم ذكر من أفعاله الدالة على بعد همته مكيدة كادها لبعض أعدائه، وفتكة فتكها بهم ظهر فيها دهاؤه وإقدامه، واشتهر بها تاريخ حياته وقال في آخر الترجمة:

وتركها شغواء على الأيام وعارا في الأقاليم على حملة الأقلام.

هذا ما جرى به القلم مما جر إليه ذكر الضب الذي أهدى لولدي الصغير، فأحسنتم بذلك إلى شيخ كبير، فقد تذكر بسببكم بعض ما كان ناسيا، وأبي إلا أن يشكر إحسانكم بكتابة هذا القدر إليكم عسى أن تستفيدوا منه فائدة، فيكون جزاء على تسببكم في الخير، ولو كان هذا لحدثان في المطالعات الواسعة أو في وقت الحدائث وامتلاء الحافظة، لكانت هذه الرسالة مزاحمة لرسائل القدماء في الإحاطة وجمع الأطراف. ولكن عذري عندكم وعند من يطلع على هذه الرسالة فيجد فيها قصورا أو وضعها لبعض الأسماء في غير موضعها أنني أملتيتها في ليلة، وما أملاها إلا فكر كليل عن حافظة مختلة نسيت أكثر ما وعت وضيعت كثيرا مما استودعت، مع اضطراب الحال واشتغال البال، وعسى أن تكون هذه الرسالة تذكرة بالحال الذي كتبت فيه والبلدة التي صدرت عنها والزمان الذي أنشئت فيه؟

## 31- رسالة الإبراهيمي إلى كُتّاب "البصائر" (\*)

إلى حملة الأعلام من أنصار الجريدة والزيادة عنها والحريصين على أن تكون مكاتبا في النفوس مكافئة لمكانة الجمعية، نسوق هذه الكلمات الآتية تذكيرا لحضراتهم وتنبيها على ما يجب أن يراعه فيما يوافقون به الجريدة من ثمرات أعلامهم.

إن جريدة البصائر هي لسان حال جمعية العلماء المسلمين. ومعنى هذا أن مبدأ الجريدة هو مبدأ الجمعية، ومبدأ الجمعية وإن تعددت مناحيه يرجع إلى كلمتين ذواتي مدلول واسع وهما (العلم والدين).

فالجمعية لم تخرج منذ تأسست عن مبدئها الواضح الجلي وهو خدمة العلم والدين والدعوة إليهما. ولسنا نقيم وزنا لما رماها به المتخوضون الذين لا يفرقون بين من يعمل لشخصه وبين من يعمل لفكرة عامة، جهلا منهم، أو لا يريدون أن يفرقوا مكررا ومكايده.

لا نقيم لهؤلاء وأمثالهم وزنا ما دمنا نعمل عن عقيدة في الحق وإخلاص له، وقد جربنا أقوالهم وبلونا آثارها فما كانت إلا وبالاً عليهم وما كانت إلا قوة للجمعية وتمكينها لها.

وقد كشف الزمان عن الحقائق، وحققت كلمة الله فكانت العاقبة للحق والصبر والتقوى {ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور}، اللهم قد صبرنا فآتتنا عقبي الصابرين، اللهم وقد غفرنا فآشهد.

إن الجمعية قد جرت على سنة الله في تطور الكائنات وقد كان من أطوارها طور التمهيد، وطور لإزالة الأناض، وهي الآن في طورها الثالث وهو طور البناء والتشديد. ولكل طور من هذه الأطوار حكمه وحكمته وظروفه وملابساته وأسبابه ومقتضياته، كما كان لجرائدها السابقة: السنة فالشريعة والصراط حظ من هذا التطور، وكان لكل ما نشر في تلك الجرائد ظرف خاص أوجبه، وسبب خاص اقتضاه، وما أكثر المفاجآت في أطوار التمهيد والتأسيس، وما أكثر ما تلد تلك المفاجآت من أشياء تسمى خروجا عن الموضوع وما هي إلا من باب ما لا يتم الواجب إلا به، أو من باب الوسائل التي لا تصور المقاصد إلا بعد تصويرها، أو من باب الضرورات القاهرة.

إن لله في هذه الجمعية وجرائدها حكمة هو مجليها لوقتها. فقد كانت أساء جرائدها رموزا إلى أطوارها، ونحمد الله الذي ألهمنا تسمية هذه الجريدة بالبصائر. فقد تجلت على الناس في وقت انشعقت فيه سحب الرين والشكوك عن البصائر، وأيقن الناس إلا قليلا منهم، أن ما تدعو إليه الجمعية من علم ودين حق لا ريب فيه، وستكون "البصائر" البرهان القائم على استبصار الجمعية فيما تدعو إليه من الإصلاح الديني والعلمي، وعلى استبصار الأمة فيما تدعى إليه منها.

لذلك كله يجب علينا وعليكم- أيها الإخوان الكرام- أن نسير بالجريدة فيما يكتب فيها على خطة تتفق مع الطور الحاضر للجمعية، وهو طور البناء والتشديد، معتمدين أن حركة الإصلاح هي حركة فرغ من وسائلها وإعداد أذهان العامة والخاصة لقبولها، ولم يبق إلا الاشتغال بالمقاصد العملية، وأهمها توجيه الجهود كلها إلى بيان الحقائق العلمية والدينية بالدروس والمحاضرات والكتابة، وأن كلمة الإصلاح قد أصبحت علما غالبا محدد المعنى والحقيقة على هذا المبدأ السامي الذي ندعو إليه. ونعتقد أن من حق الله علينا الدعوة إليه، وقد كنا بالأمس قليلا مستضعفين فأصبحنا- بحمد الله- كثيرا ظاهرين، وسيعم الإصلاح الديني هذه الأمة لا بقوتنا بل بقوة الله، وسيتفق الناس عليه حتى كأن لم يكن بينهم فيه خلاف، وسيتبدى الضال ويرشد الغوي، وتقوا أنه ما اختلف اثنان في الحق إلا وأرغمها الحق على الاتفاق فيه.

أما هذه الخطة التي يقتضها التطور فنجملها لكم في الأصول الآتية:

الأول: علاقتنا بالإدارة الجزائرية علاقة صفو ومسالمة بالتي هي أحسن في خصوص دأرتنا التي نعمل لها وهي العلم والدين، والنظر في هذه العلاقة وتحديدها في الجملة من خصائص المجلس الإداري لجمعيتكم، وهو كما تعهدونه وفوق ما تعهدونه لا ينم عن حق ديني أو علمي لهذه الأمة تخولها إياه القوانين والمبادئ الجمهورية، ولا يسكت حيث يجب النطق ولا يركب لمطالبه إلا المشروع المعقول من الوسائل، ولا ييأس من إنصاف الحكومة وعدلها، فدعوا الكتابة في هذا الأصل- إن لزمتم الكتابة فيه- لإخوانكم أعضاء مجلس الإدارة المطلعين المسيرين لسفينة الجمعية المطلعين على دقائق الأحوال وجلائلها.

الثاني: الشخصيات- وما أدراك ما الشخصيات- التي ما دخلت في أمر إلا أفسدته، فلا تنتزلوا لدركتها ولا تغمسوا أعلامكم في حماتها.

(\*) جريدة "البصائر"، السنة الأولى، العدد 2، الجمعة 15 شوال 1354هـ 10 جانفي 1936م، وهي الكلمة التي وجهت باسم المجلس الإداري

لجمعية العلماء المسلمين.

الثالث: تحامل المتحاملين على الجمعية والجريدة بقصد الشغب وإثارة الكوامن الدفينة، فلا تتشاعلوا بهم ولا تضيعوا أوقاتكم في الرد عليهم، إلا أن يكون في الرد عليهم درء لضرر محقق.

الرابع: أصل النزاع بيننا وبين خصوم الإصلاح، وهذا الأصل هو أدق المواضع التي كتبت فيها الأقلام وجالت في ميادينها، وكانت تضطر أحيانا بحكم البيان للحقيقة إلى تسمية الأشياء بأسمائها، فتجرح أقواما لم يتعودوا مرارة الحقيقة ولم يوطنوا أنفسهم على مواجهتها كفاحا، وهذا أمر قد كفيناه فلا نعود إليه وأصبح من حظ المحاورات الكلامية التي تقع في مجالس الدعوة والتذكير، ونشأت في المصلحين طبقات تقوم بالوسائل وتقوم بالكليات فأراحوا الكتاب ومهدوا لهم سبيل التفريغ إلى ما هو أهم وأولى.

أما أقلام كتاب "البصائر" فيجب أن تشرح الحقائق الكلية من دينية وعلمية، وتبين الحق بدلائله وشواهد، وتسميه باسمه، وتشرح الباطل وتفضحه بشبهاته وأوهامه بما نعهده فيها من نصره الحق والغضب له، ولكن يجب أن تسمو عن النبذ والتلويح، وفرق بين أسلوب في الكتابة وأسلوب، ومعرض للكلام ومعرض.

وليعلم من لم يكن على بصيرة من أمرنا أننا لا ندعو إلا إلى الله ودينه ونبيه وسنة نبيه وهدى السلف الصالح من أمتنا.

وإننا لا ننكر على أحد لذاته أو اسمه أو شهرته، وإنما ننكر على المبطل باطله أو وقوفه في طريق الحق.

ولو أنصف خصومنا لعلموا أن إنكارنا عليهم هو دليل أخوتنا لهم، بل دليل صدقنا في هذه الأخوة، فلو لم يكونوا إخواننا في الدين لما أنكرنا عليهم ما أنكره الدين، وأن الدين الذي أوجب علينا أن ننكر المنكر يوجب عليهم الفية إلى الحق، ويوجب علينا جميعا التحاكم إلى كتاب الله وسنة نبيه والرضا بحكمها والتسليم لها والرجوع إلى سبيلها الجامعة، وقد دعوناهم إلى هذا ولا نزال ندعوهم، ونسأل الله لنا التوفيق والإخلاص في الدعوة ولهم الهداية والتوفيق للأصاف، ولا نياس من روح الله (إنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون).

إننا لا نريد التضييق عليكم- أيها الكتاب الكرام- وإنما نريد إلفاتكم إلى الميادين الفسيحة والمراعي الحصية وتوجيهكم إلى ناحية التفكير العميق والبحث المنتج، فأمامكم من المواضيع ما تنفذ الأعمار ولا ينفد.

أمامكم حقائق الدين وفضائله، وآداب الإسلام وحكمه فأشرحوها وبينوها.

وأمامكم السنن الميته فأحيوها نشرا ونصرا كما أحسبتموها علما وعملا، وارفعوا أصواتكم بلزوم إحيائها.

وأمامكم مباحث التاريخ الإسلامي وعبره وعظاته وسير أمجاده فأحيوها تحيوا بها وتحيوا!..

أمامكم أمراضنا الاجتماعية وجوانحنا النفسية والخلقية التي حجت عنا وجه الحياة، وأخفت علينا مسالكه فشرحوا الداء وبينوا الدواء، ومزقوا الجلايب التي أضفاها الجهل على عقولنا فلم تفقه معنى الحياة.

أمامكم العلم بأفاهه المتسعة فبينوا ورغبوا وأهيبوا بالغافلين عنه والمتخلفين عن ركبته أن يشمروا ويسارعوا وأن يتمسكوا بأسبابه وبأخذوه عن أقطابه.

أمامكم اللغة وعلومها وآدابها فأجثوا ونقبوا واحدوا ركابها وطربوا، واسعوا لبيان فضلها سعيكم لتعليمها، وأشربوا قلوب أولاد هذه الأمة: انه ما غرد بلبل بغير حنجرته.

أمامكم العلم والدين وإذا قلنا لكم العلم والدين فقد قلنا لكم قليلا ودللناكم على كثير!..

والإحسان الإحسان- أيها الكتاب الكرام- فلا تكتبوا إلا فيما تحسنون موضوعه.

**32 - إلى ولدنا الأستاذ عبد الحميد الهاشمي (\*)**

كنت أهديتني زجاجة عطر ... يبعث النشوتين تيهها وفرا  
 أبأنفاس جلق مزجوه ... فأتى بالعبير يزخر زخرا  
 أم ربي النيرين قد علمته ... كيف يجي الجماد إن مس صحرا  
 ولو اني إذ ذاك أوتيت رشدي ... سنته في خزائن الصون ذخرا  
 ولحمرت أن يمس أنوفا ... أو ثغورا سود الطواحن بخرا  
 غير أني فعلت ما يفعل العا ... صف يذرو بنات مخر ومخرا(1)  
 نازعتنيه بالأكف رجال ... ليس يألون للنفائس دخرا(2)  
 تركوا الظرف كالحلية هفا ... (3) وألحوا فعاد كالعظم نخرا  
 وجزاء الجميل ذكر وشكر ... فاغتم الحسينين وبعث بأخرى

**33 - رسالة إبراهيم إلى الأستاذ عبد الله كنون (\*\*)**

حضرة الأخ الصديق العلامة الأستاذ عبد الله كنون حفظه الله وأبقاه:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلتني رسالتكم البرة الكريمة في التهنة بأعجوبة الزمن ومعجزة الدهر: استقلال الجزائر، وما أدراك ما استقلال الجزائر، الحدث الذي هز العالم كله فابتهج له أقوام وامتعض آخرون، وما امتعض له إلا الشيطان وحزبه، والاستعمار وأوليائه، ولا سروا ولا فرحوا.

إن استقلال الجزائر- أيها الأخ الأستاذ- قدر مشترك بين جميع العرب وجميع المسلمين، فليس واحد منا بأحق في باب التهنة من صاحبه، ولكنكم سبقتم فلکم فضل السبق ومزية البدار إلى الواجب، ولقد كانت تهنتكم كبيرة في معناها مضاعفة في مغزاها، فهي كبيرة إذ كانت منكم، ولحضرتكم عندي المكانة التي لا تطاول، والمنزلة التي لا تسامى، والقيمة التي لا تكثر، وهي مضاعفة بكونها باسم رابطة العلماء، وما أعز هذا الإسم علي وما أكثر غرامي به وافقتاني، ولقد كنت سعت للعهد الأول من نشأة جمعية العلماء في أن تنشأ لها أخت برة في تلك القطعة العزيزة من الوطن حتى تشد

(\*) كتبت في باكستان في، ماي 1952.

(1) بنات مخر: سحائب بيض رفاق تأتي في قبل الصيف، ولكن الرياح تمزقها بسرعة، ومخر أبوهن على التوهم، كما يتوهم الشعراء في بنات نعش أن لها أبا هو نعش، ويصفونه بأوصاف متخيلة منتزعة من أوصاف الأبوة الشائعة في عالم الحيوان، قال ابن هاني في فائته التي تساوي ديوانه كله:

كان بني نعش ونعشا مطافل ... بوجرة قد أضللن في مهمه خشفا

(2) دخرا: إهانة وإذلال، وفي القرآن الكريم: (وأنتم داخرون.)

(3) الهف: خلية الشهد بلا غسل وسنبلة الزرع بلا حب والسحابة من غير ماء.

(\*\*) أرسلت من القاهرة يوم 9 أغسطس 1962.

أزرها وتقوي أمرها، ولكن لكل شيء أوان، وستعود جمعية العلماء سيرتها الأولى وتخب مع الرابطة في الميدانين الإسلامي والعربي عنقا فسيحا إن شاء الله.

أيها الأخ: أنا مريض منذ فارقتموني، ولولا أن استقلال الجزائر أنعشني ومست روحي منه ما يشبه الكهرباء لما كانت في قوة على إملاء كلمة وكتابة حرف، ولقد كنت إلى عهد قريب أخشى أن تخترمني الموت قبل أن أملأ أذني بأخبار استقلال الجزائر، ولكن الله من علي - تفضلا منه ورحمة - بالحياة حتى تمت الفرحة الكبرى فقلت: الآن ألقى الله مطمئنا، وازهد إلى الآخرة بزد لنفسي وببشرى لإخواني الماضين في دار الخلود، الذين ماتوا بحسرة في النفس وحزة في الصدر، إذ لم ينعموا ولو في حشجة الموت ببحر منعش مثل هذا.

أخي: إني راجع إلى الجزائر بعد أيام قليلة لأطفي الشوق إلى بقية الموت من إخواني الأخيار، وأبنائي الأطهار، وتنادم على بساط الصفاء والأنس حتى تتذوق النعمة كاملة، وسأرجع إن شاء الله في الشهر الثاني من الحريف ونبقي حتى نجمع بكم في مجمع اللغة العربية.

وتقبلوا فائق التحيات من أخيك: محمد البشير الإبراهيمي

مُلْحَقُ الأَعْلَامِ

ر	اسم العلم	ميلاده	اسم العلم	ميلاده	
.1	أبان بن عبد الحميد	(؟؟-200 هـ) - (؟؟ م - 815م)	.2	أرسطو (Aristotle)	(384 ق.م - 322 ق.م)
.3	ذو الإصبع العدواني	(ت21ق.هـ / 602 م)	.4	أحمد درويش	15 مايو 1943 (بمصر)
.5	الأصفهاني أحمد بن عبد الله أبو نعيم	336هـ - 430 هـ - 947م - 1038،	.6	سويد بن كراع	ت 105هـ. 723 م.
.7	إبراهيم الكتاني	18 أكتوبر 1907 بفاس - 1990	.8	عبد القاهر الجرجاني	471 - 400 (400 هـ/1009 - 1078م)
.9	إبراهيم أنيس	1906م - 8 يونيو 1977م	.10	الأعشى قيس	7هـ/629 - 570 م
.11	إبراهيم بن المدبر	(195 - 279هـ)	.12	أفلاطون (Plato)	427 ق.م - 347 ق.م
.13	إبراهيم عبود السامرائي	1422 - 1341 هـ / 1923 - 2001 م	.14	بديع الزمان الهمذاني	358 هـ 969م / 395 - هـ 1007م
.15	ابن الأثير	(ت 637 هـ)	.16	البحري	204 هجري - 280 هجري
.17	ابن الأنباري	328 - 271 هـ/884 - 940م.)	.18	أمين انور الخولي	1313 هـ- 1385 هـ / 1 مايو 1895م - 9 مارس 1966م
.19	ابن الجزري	833 - 751 هـ	.20	ميخائيل باختين (Mikhaïl Bakhtine) - روسي	1895 .1975م
.21	ابن دراج القسطلبي:	(347 هـ/958م) - (421 هـ/1030 م)	.22	أبو الاعلى المودودي	12 رجب 1321 هـ - 1 ذو القعدة 1399 هـ
.23	ابن طباطبا العلوي	(ت322هـ)	.24	امرئ القيس (جندح بن خُجر بن الحارث الكندي)	(500 - 540م)
.25	ابن خلدون	(ت808هـ) (1406 - 1332م)	.26	ألكسندر فاندت (wendt Alexendr)	من مواليد 12 يونيو 1958م
.27	ابن سنان الخفاجي	(423 - 466 هـ / 1032 - 1073م)	.28	ابن المقفع	(142 - 106 هـ) (724 م . 759 م)
.29	ابن جنّي	(322 هـ - 1002)	.30	أحمد شوقي	(16 أكتوبر 1868 - 14 أكتوبر 1932)
.31	ابن منظور أبو الفضل	(1232 م - 1311 م) (630 هـ - 711 هـ)	.32	ألخيرداس جوليان غريماس (Algirdas Julien Greimas)	(1917 - 1992)
.33	ابن قتيبة	(ت276هـ)	.34	بشير تاوريرت	/
.35	ابن يعيش النحوي	(553 هـ - 643 هـ) - (28 سبتمبر 1158م - 18 أكتوبر 1245 م)	.36	بكاى خذاري	/
.37	حازم القرطاجني	(608 - 684 هـ) - (1211 - 1285 م)	.38	بنديتو كروتشييه (Benedetto Croce)	25-2-1866 - 20-11-1952
.39	أبو العلاء المعري	(363 هـ - 449 هـ) (973 - 1057م).	.40	محمد علي التهانوي	ت. بعد 1158 هـ / بعد 1745 م

41.	أبو العباس أحمد بن يحيى البغدادي النحوي	200 هـ (291 هـ) / 816 (904 م -)	42.	بول فاليري (Paul Valeri)	30 أكتوبر 1871 . وتوفي في 20 يوليو 1945 م
43.	أبو الفرج السناوي (الببغاء)	ت 398 هـ	44.	بيار جيروا (p/guiraud)	ولد في 1949
45.	أبو القاسم بن حلوش	1881 - 21 يناير 1949 م.	46.	الحاتمي	(388 هـ)
47.	أبو القاسم بن سديرة	( 1845-1901م)	48.	الحافظ ابن حجر	773-852 هـ
49.	أبو القاسم يحيى الأمدني .	توفي في: 370 هـ / 980 م	50.	حازم القرطاجني	( ت: 684 هـ )
51.	أبو بكر الأغواطي	1926 نحو - 26 يونيو - 1987 م	52.	الحبيب بورقيبة	( 3 أغسطس 1903 ) - ( 6 أبريل 2000 )
53.	أبو تمام حبيب بن اوس	231 - 188 هـ / 803-845 م	54.	حماني أحمد	6 سبتمبر 1915 - 29 جوان 1998 م
55.	أبو داود الأيادي	/	56.	حسن ناظم	/
57.	أبو بكر الصديق	50 ق هـ - 13 هـ / 573 م - 634 م	58.	حسيب إلياس حديد	/
59.			60.	حسين تروش	//
61.	عبد القاهر الجرجاني	1009-1078 (أو 1081 م) - (400-471 هـ) أو 474 هـ)	62.	الحطينة أبو مليكة جروول بن أوس	600 م - 678 م
63.	أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي	338 هـ - 403 هـ / 950 م - 1013 م	64.	حمادي صمود	من مواليد 25 يونيو 1947 بتونس
65.	أبو سليمان الخطابي	(319-388 هـ)	66.	أبو هلال العسكري	(ت 395)
67.	أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري	213 هـ - 15 رجب 276 هـ) // (828 م - 13 نوفمبر 889 م).	68.	ريمون طحان	/
69.	السكاكي يوسف بن أبي بكر بن محمد	( 626 - 555 هـ ) - ( 1160 - 1229 م)	70.	الزاهري	/
71.	أبو عبيدة بن الجراح	( 40 ق هـ / 584 م - 18 هـ / 639 م)	72.	ابو اسحاق الزجاج	241 هـ - 311 هـ / 855 - 923 م )
73.	أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقبيريواني	( 390-456 هـ ) // ( 999-1070 م ) .	74.	الزعيم فرحات حشاد	2 فبراير 1914 - 4 ديسمبر 1952 )
75.	أبو علي محمد بن الحسن المظفر البغدادي الحاتمي	( 310-388 هـ ) - ( 922 م - 998 م ) .	76.	زكي نجيب محمود	1 فبراير 1905 م / 26 ذو القعدة 1322 هـ - 12 ربيع الأول 1414 هـ / 8 سبتمبر 1993 م.
77.	أحمد أمين	1 أكتوبر 1886 - 30 مايو 1954 م	78.	جميل نصيف التكريتي	/

79.	أحمد بن شريف " دويالي" الملقب بـ"الطنحاوي"	/	80.	أحمد بن يوسف الكاتب	ت. 213 هـ / 828 م
81.	أحمد بن أبي عمر	/	82.	يحي بن سعيد المشهور بعبد الحميد الكاتب	(749م) (ت132هـ)
83.	أحمد باي	(1786-1851م)	84.	جلالة باي تونس (تونس)	4-9-1881م - 30-9-1962م
85.	أحمد أمين الشنقيطي	1872 هـ / 1289 - 1331 هـ / 1913	86.	جمال عبد الناصر	15يناير 1918 - 28 سبتمبر 1970
87.	أحمد بن أبي زيد قصيبة	1919م - 4 يوليو 1994	88.	جميل حمداوي	من مواليد 1963م بالناظور بالمغرب
89.	ابن عبد ربه الأندلسي	(ت328هـ)	90.	جعفر، يحي بن خالد البرمكي	767 - 803
91.	أحمد توفيق المدني	(1899-1983م)	92.	حميد لحميداني	1950 بالمغرب
93.	أحمد صالح بن ذياب	(ت2009م)	94.	خليل مردم بك.	1 يوليو 1895 20سبتمبر 1959
95.	أحمد مصطفى المراغي	ت1952	96.	الخنساء تماضر بنت غمزو بن الخارث	(575م) - 24 هـ / 645م)
97.	أحمد مطلوب	25أكتوبر 1936 تكريت - العراق	98.	الخليل بن احمد الفراهيدي	(ت175هـ)
99.	الأخطل لتغلي ويكنى أبو مالك	20هـ - 89 هـ / 640م - 708 م	100.	عبد الحميد الهاشمي	/
101.	إدريس قصوري	/	102.	عبد القادر الجزائري	1223هـ / 6سبتمبر 1808; (15 رجب 1223 هـ) - 26 مايو 1883،
103.	عبد الرحمن تبرماسين	من مواليد 11جوان 1953م	104.	عبد السلام المسدي	من مواليد 26 يناير 1945، صفاقس
105.	عبد العزيز بن يوسف		106.		
107.	عبد العزيز شرف		108.	عبد الحميد بن باديس	4ديسمبر 1889 - 16 أبريل 1940
109.	عبد الله ابن المعتز	(247هـ-861م / 296هـ-909م)	110.	عبد العزيز الرشيد الكويتي	3فبراير 1938م1887
111.	عدي بن الرقاع	توفي في العام 95 هـ / 714 م	112.	عدنان حسين قاسم	من مواليد: 1942: بفلسطين
113.	عدنان بن ذريل	1928م بدمشق - توفي مطلع الألفية الثانية	114.	عدنان النحوي	- 1928م - 12 يناير 2015
115.	عبد المجيد	1937-2010م	116.	عبد الملك مرتاض	ولد 10 أكتوبر 1935م
117.	عبد الله ركيبي	(1928م- 19 أبريل 2011م)	118.	عبد الله كنون	16سبتمبر 1908 بفاس - 9 يوليو 1989

ملحق الأعلام

.119	عبد الملك بومنجل	28جانفي 1970	.120	عبد الله بن عمر أمير المؤمنين	10ق.هـ - 73 هـ
.121	العربي التبسي	1891 - 1957	.122	عبد الله الغدّامي	من مواليد 15فبراير عام 1946
.123	عمر بن حسن	م - 1975م1901	.124	عمر بهاء الدين الأميري	2ماي 1916م - 25أبريل 1992م
.125	عمر درور	13أكتوبر 1913، ثنية العابد الوفاة 19 مارس 2009، تازولت	.126	العلوي يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليميني	(794هـ)
.127	الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري	(159هـ-255 هـ)	.128	جار الله الزمخشري	( 467 هـ - 1074م) ( 538هـ - 1143 م)
.129	رومان جاكسون (R.jakobson)	10أكتوبر 1896بموسكو - 8 يوليو 1982م	.130	جان ستاروبنسكي ( Jean Starobinski )	( 17نوفمبر 1920م- 4 مارس 2019م)
.131	جان كوهين (Jean Cohen)	23 يوليو 1919بوهران - 30مايو 1994	.132	جيرار جنجمبر (Gérard. Gengembre)	من مواليد: 8 يونيو 1949
.133	جيرفيس مندوز ( Gervais ) (Mendoze)	25 - 12-1944م - 9 - 4 - 2021م	.134	جولس ماروزو (Jules Marouzeau)	20-3-1878م - 27-9-1964م
.135			.136	جوستاف فلوبيير (Gustave Flaubert)	12 ديسمبر 1821 - 8 مايو 1880
.137	جورج مونان (George Mounin)	20 يونيو 1910م - 10يناير 1993 م	.138	جريرين عطية الكلبى اليربوعي التميمي	33 هـ - 110 هـ / 653 - 728 م
.139	فيودور دو يستو فسكي	11نوفمبر 1821، موسكو، 9 فبراير 1881	.140	رّشيد بطحوش	/
.141	فريدinand دي سوسير (Ferdinand Saussure) De)	(1857-1913)	.142	رجاء عيد	/
.143	رولان بارت ( Roland Barthes )	12 نوفمبر 1915 - 3-25-1980م	.144	زيمب ( Zemb )	/
.145	ذو الرّمة	( 77 - 117 هـ)	.146	زهير بن أبي سلمى	609 - 520م
.147	السجلماسي، محمد بن أبي القاسم	(ت نحو 704هـ - 1305 م).	.148	ستيفن أولمان (Stephen ullmann)	(31 يوليو 1914 - مات في 10 يناير 1976م).
.149	سعد مصلوح	1-3-1943م بالمنيا	.150	سهل بن هارون	(ت. 215 هـ/830م)
.151	شارل بالي (charles - baley)	(1865-1947م)	.152	شكري فيصل	( 1918-1985م )

.153	السيوطي جلال الدين	849 هـ/1445م - 911 هـ/1505م	.154	شكري عياد	1921 - 1999م
.155	سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر	(148 هـ - 180 هـ / 765 - 796م)	.156	أحمد الشرباصي	17 نوفمبر 1918 م/ 14- 8- 1980م
.157	الصاحب بن عباد	سبتمبر 938 م / 30-3-995م 14	.158	صالح الأشتري	ولد في 1927م بحلب - 16-8-1992م
.159	صالح بن يوسف	11 أكتوبر 1907 - 12 أغسطس 1961م	.160	صلاح فضل	من مواليد 21 مارس 1938 بمصر
.161	فاضل صالح السامرائي	من مواليد 1933م	.162	طارق البكري	من مواليد: بيروت 5- 12 - 1966م
.163	طالب خليف جاسم السلطاني	/	.164	طلحة بن عبيد الله	594م الوفاة، 36 هـ، 656 م
.165	الطيب العقبي	1889، بسكرة - ت 21 ماي 1960	.166	فؤاد منصور	/
.167	الغسييري	(1915-1974م)	.168	الفارابي	ولد عام 260 هـ/874م - توفي عام 339 هـ/950م.
.169	الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي	(38 هـ / 641م - 110 هـ / 732م)	.170	الفضيل الورثاني.	2 يونيو 1900، - 12 مارس 1959م
.171	إدوار دلادييه (Édouard Daladier)	(18 يونيو 1884م - 10 أكتوبر 1970م)	.172	فرانسوا ماري أروويه ( François-Marie Arouet) ويُعرف باسم شهرته فولتير (Voltaire).	ولد بباريس ( 21 نوفمبر 1694م)، (ت 30 مايو 1778
.173	جون فوستر داليس	24 فبراير / 1888 / 25 مايو 1959م	.174	فون جل (Von j)	25 أبريل 1795م - 2 جوان 1870م
.175	القرطبي شمس الدين	1214 - 29 أبريل 1273	.176	فون در جابلنتس	م 1840 - 1893
.177	عبد العزيز الجرجاني	(ت392هـ)	.178	القاضي محمد بن الخطيب الباقلاني	(ت403هـ)
.179	قيس بن ذريح قيس بن ذريح الليثي الكناني (مجنون لبني)	(625م - 680)	.180	لطفی عبد البديع	(1919م) - (توفي 1998م)
.181	كامل كيلاني إبراهيم كيلاني:	(القاهرة 20 أكتوبر 1897 - 9 أكتوبر 1959)	.182	فيرجيل" (verjille) (بوليبوس ورغيلوس مارو ) ( Publius Vergilius Maro )	ولد 15 أكتوبر 70 ق.م.بروما - 21 سبتمبر 19 ق.م.)
.183	كمال أبو ديب	1942	.184	عبد الرحمن الكواكبي	(1271 هـ / 1855 - 1320 هـ / 15 حزيران 1902م)
.185	بوفون (/ Georges-Louis Leclerc de Buffon	(1707-1788)	.186	كارل فورستير (Karl August Förster) (Karl)	3 أبريل 1784 في ألمانيا - ت 18 ديسمبر 1841

.187	ليو سبترز (Leo Spitzer)	7 فبراير 1887، فيينا - 16 سبتمبر 1960م	.188	ماريو شوساردت (Mario Schuchardt)	4-2-1842م - - 4-21-1927م
.189	كسرى عظيم فارس (خسرو الثاني أو خسرو بزرگ؛ بالفهلوية	حكّم بين: (590م - 628م)	.190	مبارك بن محمد الميلي	(ت1945م)
.191	ابو الطيب المتنبّي - (أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي)	(303هـ - 354هـ) (915م - 965م)	.192	مجدى وهبة	19 أكتوبر 1925 . لندن، 4 أكتوبر 1991)
.193	محمد البادي	/	.194	محمد البشير الإبراهيمي	1889م - 20-5-1965م) - (1306 هـ - 1385 هـ)
.195	محمد التّونجي القسنطيني	(1807-1877)	.196	محمد السعدي فرهود	1923 . 2001م) - 1421 - 1342 (هـ)
.197	محمد الشاذلي	1911 في تونس العاصمة وتوفي في 1997	.198	محمد الهادي الطرابلسي	
.199	محمد الصالح رمضان من تلمسان	(ت2008م)	.200	محمد العيد آل خليفة	28 أغسطس 1904 - 31 يوليو 1979
.201	محمد أنور السادات	25 ديسمبر 1918م - 6 أكتوبر 1981م	.202	محمد عبد الله جبر	/
.203	محمد داود	/	.204	د عبد المطلب	/
.205	محمد بن عبد الملك الزيات	233 - 173 هـ / 789 - 847 م	.206	محمد حسين عبد الله المهداوي	ولد بالعراق - كربلاء - 1977م
.207	محمد برادة	ولد 14 مايو 1938، بالرباط	.208	محمد بن إبراهيم آل الشيخ	1311 - 1389 هـ - 1893 - 1969م
.209	محمد عبد المنعم	1915م - 8 مارس 2006م	.210	محمد عزّام	1 يناير 1894 - 1 يناير 1959م
.211	محمد غنيمي هلال	(1917م . 1968م)	.212	محمد فاضل الجمالي	1903 - 1997 م
.213	محمد كشّاش	/	.214	محمد نصيف	18 رمضان 1302 هـ / 1 يوليو 1885 - 6 جمادى الآخرة 1391 هـ / 30 يوليو 1971م
.215	مرتضى الزبيدي	(1205 - 1145 هـ) (1732م - 1790م)	.216	مروان بن محمد	72هـ-13 ذو الحجة 132هـ/23 يوليو 750 م
.217	معاوية بن أبي سفيان	602م - 680م	.218	المقوقس ملك مصر	(ت 21 مارس 642 م)
.219	أبو محمد مكي	(ت 437)	.220	الملك إدريس السنوسي (بنغازي)	12 من مارس 1890 25 أيار / مايو 1983

.221	الملك سعود	3شوال 1319هـ/15 يناير 1902 وتوفي في 6 ذي الحجة 1388هـ/23 فبراير 1969م،	.222	الملك محمد الخامس	10-8-1909، 26-02-1961م
.223	يوسف وغيلسي	من مواليد 1970 بولاية سكيكدة شرق الجزائر	.224	جميل صليبا	(1976-1902م)
.225	عز الدين إسماعيل	القاهرة، 29 يناير 1929 - 2 فبراير 2007	.226	علي البطل	/
.227	محمد مندور	5 يوليو 1907 - 20 مايو 1965	.228	سيد قطب	9 أكتوبر 1906م - 29 أغسطس 1966م
.229	يوسف سامي اليوسف	(1938 - 2013)	.230	منذر عطا عياشي	ولد بحلب في: 24 جوان 1945م
.231	النّجاشي ملك الحبشة (أصحمة بن أبحر)	ولد حوالي عام 560 م — وتوفي 630 م	.232	نجيب الكيلاني	1 يونيو 1931 - 7 مارس 1995
.233	المنصف باي	4مارس 1881 - 1 سبتمبر 1948	.234	مصطفى لطف المنفلوطي	30ديسمبر 1876 - 25 يوليو 1924
.235	منصور فهمي	1886 - 1959م	.236	موسى سامح ربابعة	/
.237	1.1.1 جورج مولينييه ( Georges Molinier)	28ديسمبر 1944بفرنسا - 5يونيو 2014	.238	مؤيد الدين الطغراني	(ت 515 هـ)
.239	ميشال رفاتير ( Michel Refaterre)	20نوفمبر 1924- 27 ماي 2006م	.240	نعوم شوميسكي(ChomskyNoam)	7من مواليد ديسمبر 1928
.241	وائل بن حجر الكندي	/	.242	يحي بن خالد البرمكي	ت 805م
.243	يحي بن يحي العلوي	(ت 749 هـ)	.244	يمنى العيد	من مواليد 1935 بصيدا- لبنان
.245	هشام بن عبد الملك،	(71-125 هـ) (691 م - 743 م)	.246	هنريش بليث(Henrich Bleth)	21ديسمبر 1917 كولونيا - ت. 16 يوليو 1985

.247	هُدْبَةُ بن الخشرم بن كرز بن أبي حية من بني عامر بن ثعلبة،	(ت. نحو 50 هـ / 670)	.248	السكّاكِي يوسف بن أبي بكر	(555 - 626هـ/1160 - 1229م)
.249	يحي بن شرف النّوويّ	631هـ-1233م / 676هـ-1277م	.250	الهادي الجطلاوي	توفي يوم الأحد: 16 فبراير 2020م
.251	نوفاليس (Novalis) واسمه الحقيقي: فريدريش فرايهير فون هاردنبرج	(1772-1801)	.252	هانز فان جابلارتز " (Hans Van Gabilartiz)	/
.253	نور الدّين السّد	/	.254	هرقل عظيم الرّوم	575 - 11-2-641م
.255	هيلانغ (Hilang)	/	.256	السّمؤال ابن عاديا	أواخر ق 5م - نحو 560م
.257	أبو عليّ الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني	(390هـ / 456 هـ)	.258	أبو نواس	ت 198هـ / 813م
.259	قَتادة	ت 23هـ بالمدينة المنورة	.260	مجاهد بن جبر	21هـ - 104هـ . - 642-722م
.261	عبد الله بن عباس	3ق هـ / 618م - 68 هـ / 687م	.262	سُحَيْم بن وثيل بن عمرو الرياحي اليربوعي الحنظلي التميمي	583م، - ت سنة 60هـ - 680م.
.263	موسى سامح رابعة	/	.264	محمد بنّيس	من مواليد: 1948 بالمغرب
.265	قيس بن الملوّح (مجنون ليلى)	(24 هـ / 68هـ)،	.266	أبو الفرج الأصفهاني	(284هـ/356 هـ)
.267	عمرو ابن دينار	(126 - 46) هـ - 126هـ / 666 - 743م	.268	أبو تمام	(188 - 231 هـ)
.269	عبد العزيز حمّودة	1937م - 27 أغسطس 2006م	.270	سعيد يقطين	من مواليد: 8ماي 1955م بالمغرب
.271	مارك أنجينو Marc, - , Angenot	1941-1987م	.272	جيرار جينيت	7يونيو 1930م ببباريس - 11مايو 2018م
.273	رولان بارث Roland Barthes	12 نوفمبر 1915-25 مارس 1980)	.274	ميثل آرفي ( Michel Arrivé)	7ديسمبر 1936 - 3 أبريل 2017)
.275	لوران جيني (Laurent Jenny)	من مواليد: 10-2-1949م بفرنسا	.276	روبرت دي بوجراندبوغراند (Beaugrande) Robert	4مارس 1946م - 6يونيو 2008م
.277	1.1.3	20نوفمبر 1924-27ماي 2006م	.278	الملك جذيمة الأبرش	حكم الحيرة بين (233-268 م)

	يشل ريفاتير (Michel Riffaterre)				
.279	عُزْمَةُ بن أبي الحكم	24ق.هـ 598م؛ مكة- ت 636م، الأردن	.280	إبراهيم التيمي	92هـ أو 95 هـ
.281	ميمون بن مهران	توفي سنة 116 هـ أو 117 هـ.	.282	ابن جرير الطبري	839م - 17 فبراير 923 م
.283	الضحاك بن مزاحم الهلالي	خلال ق7هـ ببلخ بخراسان - 102هـ أو 105 هـ أو 106 هـ	.284	الملك جذيمة الأبرش	حكم الحيرة بين (233-268 م)
.285	عبد الله بن بَسر	ت سنة707	.286	أنس بن مالك	179-93هـ / 711-795م
.287	أبو سيف القين	//	.288	عبد الرحمن بن عوف	43 ق.هـ - 32 هـ / 580 - 656م
.289	أبو ذرّ الغفاري	(ت 31 هـ أو 32 هـ) - (652م)	.290	حبيب بن نصر المهلبّي	والي إفريقية في الخلافة العباسية من 791 إلى 793
.291	أبو عزة القرشيّ الجمحيّ	قتل بعد معركة احد يوم السبت (23 مارس 625 م/7 شوال، 3 للهجرة	.292	أحمد بن عبد العزيز	/
.293	عمر بن شبة	173هـ والمتوفى سنة 262هـ / 789 م-877م	.294	محمد بن الحكم	772م/156 هـ - 26 نوفمبر 829 م / 21 رمضان 214 هـ
.295	عمرو بن أحمر الباهلي	توفي 77و82 هـ - 696 و701 م	.296	التكلام الضبعيّ	//
.297	ابن أحمر الباش آغا عبد الله	/	.298	كليب وائل	440م - 494 م
.299	عمرو بن الحارث	ولد بعد عام 90 هـ - ت 147 أو 148 هـ	.300	دعبل الخزاعيّ	(148هـ - 246 هـ)
.301	أبو الفرج قدامة بن جعفر	(873 م-948م)	.302	القاضي عياض اليحصبي	(476هـ - 544 هـ....
.303	أبي هُريرة (عبد الرحمن بن صخر الدوسي)	(21 ق هـ/ 602 م - 59 هـ/679م)	.304	عائشة ام المؤمنين	(ت 17 رمضان 58 هـ) - (678 م)
.305	ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق	186هـ - 244هـ، 802 - 858م	.306	إبراهيم بن سهل الإسرائيليّ الإشبيليّ	605هـ / 1208 - 649 هـ / 1251
.307	سابق بن عبد الله البربريّ	(ت101هـ).	.308	أبو عطاء السنديّ	(؟ - 180+هـ/796م)
.309	وعليّ بن العباس الرّوميّ	(283هـ) - (18-07-896م).	.310	مهيار بن مروزيه الديلميّ	توفي 428 هـ / 1037 م

.311	الإمام الأوزاعي	(ت157هـ)	.312	عنترة بن شداد	(525م - 608م)
.313	طرفة بن العبد	(569م / 543)	.314	امرؤ القيس	(500 - 540 م)
.315	أبو هلال العسكري	(920م/1005م)	.316	مصطفى حلّوش	1980م - 1907-10-25م
.317	حسان بن ثابت	(563 - 674 م)	.318	كعب بن زهير بن أبي سلمى	(ت 26 هـ / 646م)
.319	أبي المثلّم الهذلي	خلال العصر الجاهلي	.320	أبو الحسن علي بن بسّام الشنتريني	450هـ - 542 هـ / 1058م - 1147م
.321	محمد بن يسير (الزياشي)	تُوفّي قرابة 214هـ	.322	أبو الفتح السبّتي	(330هـ/942م)(توفي 400 هـ / 1010 م)
.323	عبد الله بن مسعود	ت سنة 32 هـ - 650م	.324	الحلاج الحسين بن منصور	( 26 مارس 858م، 922) - (244 هـ 309 هـ)
.325	عزة كثير (كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر)	660 - 723م	.326	حماد الراوية	(95 هـ - 155 هـ ) - ( 714-771م)
.327	لسان الدين بن الخطيب	( 713هـ/1313م - 776 هـ / 1374م)	.328	عبد العزيز الميمني الراجكوتي	23 أكتوبر 1888م - 1978م
.329	محمد الهادي الطرابلسي	من مواليد 1954م	.330	عبد العزيز عتيق	(1906 - 1976م)
.331	الأعمش سليمان بن مهران	680م، بالكوفة - 765م	.332	قيس بن السكن الانصاري	ت 69 هـ
.333	النابغة الذبياني	536م - 604م	.334	المنهال ابن عمرو	توفي بعد سنوات من سنة 110هـ
.335	العبّاس بن الأحنف	750م - 809م	.336	النابغة الجعدي (ابو ليلي الكعبي)	( 55 ق هـ / 568م - ( 65 هـ / 684م )
.337	عصام بن شهبر	/	.338	النعمان بن المنذر	( 582-609م )



## ثبت المصادر والمراجع

### القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم)

#### أولاً/ قائمة المصادر

##### 1-المصادر الأساسية لرسائل إبراهيمي

1. إبراهيمي محمد البشير: آثار الإمام إبراهيمي، ج1، جمع وإعداد أحمد طالب الابراهيمي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1997.
2. إبراهيمي محمد البشير: آثار الإمام إبراهيمي، ج2، جمع وإعداد أحمد طالب الابراهيمي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1997.
3. إبراهيمي محمد البشير: آثار الإمام إبراهيمي، ج3، جمع وإعداد أحمد طالب الابراهيمي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1997.
4. إبراهيمي محمد البشير: آثار الإمام إبراهيمي، ج4، جمع وإعداد أحمد طالب الابراهيمي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1997.
5. إبراهيمي محمد البشير: آثار الإمام إبراهيمي، ج5، جمع وإعداد أحمد طالب الابراهيمي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1997.
6. إبراهيمي محمد البشير: البصائر، الأعداد: 01، 02، 05، 09، 10، 15، 24، 28، 33، 38، 40، 49، 53، 54، 57، 60، 61، 64، 65، 69، 74، 75، 76، 80-81، 84، 86، 89، 90، 92، 94، 102، 106، 114، 115، 118، 119، 120، 121، 132، 133، 136، 151، 153، 157، 168، 176، 178، 179، 188، 229، 240، 279.
7. إبراهيمي محمد البشير: إلى جريدة الإصلاح (رسالته إلى الشيخ الطيب العقي)، الإصلاح، العدد: 16، بتاريخ 11 جانفي 1940.
8. إبراهيمي محمد البشير: بين عالم وشاعر، مجلة الشهاب، ج3، المجلد12، المطبعة الجزائرية الإسلامية، الجزائر، جوان 1936م.
9. إبراهيمي محمد البشير: تعزية في فقدان السيد الرشيد بطحوش، جريدة الإصلاح، العدد 17، بتاريخ: 28-01-1940م.
10. إبراهيمي محمد البشير: رسالة إلى أحمد توفيق المدني، مجلة "الثقافة"، وزارة الثقافة، الجزائر، مايو- يونيو، العدد 87، 1985.
11. إبراهيمي محمد البشير: رسالة إلى الطلبة الجزائريين، جريدة العبقريّة، ع3، تلمسان/الجزائر، سنة 1366هـ.
12. إبراهيمي محمد البشير: سجع الكهان، البصائر، العدد 69، بتاريخ: 28 فبراير 1949.
13. إبراهيمي محمد البشير: عيون البصائر، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع-القاهرة، ط1، 2007.
14. إبراهيمي محمد البشير: كتاب مفتوح لسعادة وزير الداخلية للجمهورية الفرنسية، جريدة "الإصلاح"، العدد 48، 8 ماي 1947م.
15. إبراهيمي محمد البشير: كتاب مفتوح لسعادة وزير الداخلية للجمهورية الفرنسية، جريدة "النهضة" التونسية، 30 أبريل 1947.
16. إبراهيمي محمد البشير: من أنا؟ خلاصة تاريخ حياتي العلمية والعملية، تح: رايح بن خوية، منشورات الوطن اليوم، سطيف، ط1، 2018.
17. إبراهيمي محمد البشير: رسالة إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني، جريدة "الإصلاح"، العدد 60، بتاريخ 6 سبتمبر 1947م.
18. إبراهيمي محمد البشير: كتاب مفتوح لسعادة وزير الداخلية للجمهورية الفرنسية، جريدة "الإصلاح"، العدد 48 بتاريخ: 8-05-1947م.
19. إبراهيمي محمد البشير: تأبين أحمد شوقي، مجلة الشهاب، ج 4، المجلد10، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، مارس 1934.
20. محمد بن أحمد سيد أحمد وعبد بن أحمد العلوي: محمد نصيف- حياته وأثاره، (تحية غائب كالأيب)، المكتب الإسلامي، ط1، 1414هـ-1415هـ.
21. إبراهيمي محمد البشير: رسالة إلى أحمد قصبية، مجلة الثقافة، العدد: 87، مايو - يونيو 1985م.
22. إبراهيمي محمد البشير: رسالة إلى الدكتور محمد فاضل الجمالي، مجلة "جوهر الإسلام"، العدد: 6، السنة4، تونس، مارس 1972م.
23. أحمد توفيق المدني: حياة كفاح (مذكرات أحمد توفيق المدني)، ج2، ش و ن ت، الجزائر، (نط)، 1977.

## 2- المصادر التراثية القديمة

24. إبراهيم بن المدبر: الرسالة العذراء، شرح زكي مبارك، مطبعة دار الكتاب المصرية، القاهرة، ط2، 1931م.
25. ابن الأثير ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، تقديم وتعليق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة، (ط1)، (1959).
26. ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف: النشر في القراءات العشر، ج1، تح: علي محمد الضباح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط) (د ن).
27. ابن جني أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، تح: مصطفى السقا وأصحابه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة مصر، (د ط)، 1954.
28. ابن حبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي: صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ-1993م.
29. ابن سيده أبو الحسن الأندلسي: المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، ج7، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، (دط)، (دت).
30. ابن سيده أبو الحسن الأندلسي: المخصص، ج1، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006.
31. ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، تح: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1983.
32. ابن طرار الجزيري النهرواني: المجلس الصالح الكافي والأنيب الناصح الشافي، ضبط وتحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2005.
33. ابن عطاء الله السكندري: الحكم العطائية، الحكمة 11، شرح: العارف بالله الشيخ أبي العباس أحمد ابن محمد الشهير بزروق، تح: رمضان محمد بن علي البدري، دار الكتب العلمية، لبنان، 2010.
34. ابن فرحون المالكي: كتاب الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب، تح: محمد الأحمد أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (دط)، (دت).
35. ابن قتيبة الدينوري: أدب الكاتب، المحقق: علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة، بيروت، (دط)، 1429 هـ - 2008 م.
36. ابن قتيبة الدينوري: تأويل مشكل القرآن، شرح أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، مصر، ط2، 1973.
37. ابن كثير، القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار الحديث، القاهرة، (د ط)، 2003.
38. محمد محي الدين عبد الحميد: منتهى الأرب بتحقيق شرح شذوذ الذهب دار الطلائع، القاهرة، (دط)، (2004).
39. ابن ماجه محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني: سنن ابن ماجه، دار الفكر، بيروت، (دط)، (دت).
40. أبو عبد الله جمال الدين محمد بن مالك: شرح الكافية الشافية، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، 2010.
41. أحمد بن حنبل؛ بن محمد، أبي عبد الله، الشيباني الوائلي: المسند، ج2، تحقيق: أحمد شاكر و حمزة الزين، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ط1، 1416 هـ - 1995م.
42. أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ج2، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983.
43. الأصفهاني أبو فرج: كتاب الأغاني، ج1، تح: إحسان عباس و إبراهيم السعافين و بكر عباس، دار صادر، بيروت، ط3، 2008.
44. الأصفهاني أحمد بن عبد الله أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، مصر، (1416 هـ - 1996م).
45. الباقلاني محمد بن الخطيب: إجاز القرآن، تح: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د ط)، 1972.
46. البخاري محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، (دط)، 1407 هـ - 1987م
47. البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء: تفسير البغوي، "معالم التنزيل"، تح: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية و سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، (دط)، 1989.
48. البيهقي؛ أحمد بن الحسين بن علي: دلائل النبوة للبيهقي، المحقق: عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية - دار الريان للتراث، ط1، 1408 - 1988.
49. الترمذي محمد بن عيسى السلمى: سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دط)، 1978م.
50. التهانوي محمد علي بن علي بن محمد: كشف اصطلاحات الفنون، ج2، المحقق: رفيق العجم و علي دروج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م.
51. الجاحظ: الحيوان، ج4، تح: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دط) (دت).

52. الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، شرح وتحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1985م.
53. الجرجاني عبد العزيز: الوساطة بين المتنتبي وخصومه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مصر، ط3، (دت).
54. الجرجاني عبد القاهر: أسرار البلاغة، تعليق على حواشيه: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988.
55. الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1992.
56. الحافظ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح: عبد العزيز بن باز، ج13، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، (دط)، 2019.
57. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم: غريب الخطابي، ج1، تح: عبد الكريم إبراهيم الغريايوي، دار الفكر، دمشق، 1982.
58. الخطيب القزويني جلال الدين: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424 هـ - 2003م.
59. الخطيب القزويني جلال الدين: التلخيص في علوم البلاغة، المحقق: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، (دت).
60. الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد: سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1412 هـ - 2000 م.
61. الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، (دط)، 1989.
62. الزجاج إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق: معاني القرآن وإعرابه، ج1، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988.
63. الزمخشري جار الله: أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1984.
64. الزمخشري جار الله: الفائق في غريب الحديث، المحقق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، ط2، 1971.
65. الزمخشري جار الله: المفصل في صنعة الإعراب تح: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993م.
66. السجستاني أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي: سنن أبي داود، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، (دط)، 2019.
67. السجلماسي أبو محمد: المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع، تح: غلال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، (دط)، 1980.
68. السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر: مفتاح العلوم، صححه أحمد سعد علي، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، مصر، ط1، 1937م.
69. السيوطي جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، ج2، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د ط)، 1988م.
70. السيوطي جلال الدين: المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، المحقق: محمد جاد المولى، و محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (دط)(دت).
71. السيوطي جلال الدين: تفسير السيوطي (الدر المنثور في التفسير المأثور)، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2011.
72. الطبري محمد بن جرير: تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420 هـ - 2000م.
73. عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (دط)، 1982.
74. عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، ج2، تح: مصطفى السقا - حامد عبد المجيد، دار الكتب المصرية بالقاهرة، (دط)، (1996).
75. عبده الزاجحي: التطبيق النحوي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2004.
76. العسكري أبو هلال: الصنائع الكتابية والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط2، (د ت).
77. العلوي محمد بن أحمد سيد أحمد و عبده بن أحمد: محمد نصيف حياته وآثاره، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، (د ط)، 1998.
78. العلوي يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني: الطراز المتضمن أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج3، دار الكتب العلمية - بيروت، (د ط)، 1995.
79. القاضي عياض اليعصبي السبتي: إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج1، المحقق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1419 هـ - 1998 م.
80. قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط)، 1963م.
81. قدامة بن جعفر: نقد النثر، تح: طه حسين وعبد الحميد العبادي، مطبوعات كلية الآداب، مصر، ط15، 1983م.
82. القرطاجي أبو الحسن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1986م.

83. القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: ( تفسير القرطبي) الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 1996م.
84. القلقشندي أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج1، ج9، ج14، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط)، 1409.
85. القيرواني أبو علي الحسن بن رشيق: العمدة في صناعة الشعر وأدابه ونقده، ج1 و ج2، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط4، 1972م.
86. القيسي، أبو مكي محمد بن أبي طالب، الزعانية، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان، ط3، 1996م.
87. الميرزا أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، وزارة الأوقاف، القاهرة، ط1، 1994.
88. مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986م.
89. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري: كتاب مجمع الأمثال، ج1، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (دط)، 1987.
90. النسائي أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن: سنن النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م.
91. النيسابوري مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري: صحيح مسلم، ج2، دار إحياء التراث العربي، (دط)، بيروت، 1424هـ.
92. النيسابوري أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة: مختصر المختصر المسمى صحيح ابن خزيمة، تح: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، (دط)، 2003م.
93. الهروي أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي: غريب الحديث، ج1، تح: محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، ط1، 1964م.
94. الواحدي: شرح ديوان المتنبي، تح: ياسين الأيوبي - قصي الحسين، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، (دط)، 2018.
95. وليد بن أحمد الحسين الزبيري: موسوعة الحافظ ابن حجر العسقلاني الحديثية، باب الغبطة، كتاب الأدب، ج5، مجلة الحكمة، 2002م.
96. يحيى بن شرف النووي: رياض الصالحين، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992م.
97. يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط7، 2017.

### 3- المصادر الشعرية (الدواوين)

98. ابن دراج القسطلي: ديوان ابن دراج القسطلي، المحقق: محمود علي مكي، المكتب الإسلامي، ط1، 1961م.
99. أبو العلاء المعري: ديوان أبي العلاء المعري (اللزوميات)، تح: أمين عبد العزيز الخانجي، مكتبة الهلال، بيروت/ مكتبة الخانجي، القاهرة، (دط)، (دت).
100. أبو القاسم الشابي: ديوان أبي القاسم الشابي، المحقق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2005م.
101. امرؤ القيس: ديوان امرؤ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1984م.
102. البحرني: ديوان البحرني، تح: محمد كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط3، (دط).
103. جرير بن عطية الخطفي: ديوان جرير، دار صادر، بيروت - لبنان، ط3، 2011.
104. حسان بن ثابت الأنصاري: ديوان حسان بن ثابت، تح: عبداً مهناً، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994م.
105. الخنساء: ديوان الخنساء، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط2، 2004.
106. ذو الرمة غيلان بن عقبة بن مسعود: ديوان ذي الرمة، تحقيق عبد القدوس، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط)، 1415 - 1995.
107. ذو الرمة غيلان بن عقبة بن مسعود: ديوان ذي الرمة، شرح وضبط: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، (ط1)، 1998م.
108. سحيم عبد بني الحساس: ديوان سحيم، تحقيق: محمد فليح حسن الجبوري، الناشر: دار رند للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2011م.
109. الشافعي محمد بن إدريس: ديوان الشافعي المسمى " الجواهر النفيس في شعر الإمام محمد ابن إدريس"، إعداد وتعليق وتقديم: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، (دط)، (دت).
110. طرفة بن العبد: الديوان، شرح: الأعلام الشنتمري، تح: درية الخطيب ولطفي الصقال، (دط)، (دت).
111. عمرو بن أحمر الباهلي: ديوان عمرو بن أحمر الباهلي، جمع وتحقيق: حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، 1972م.
112. عنتر بن شداد: الديوان، تح: خليل شرف الدين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1988.

113. الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة أبو فراس: ديوان الفرزدق، شرح وضبط وتقديم: علي قاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987.
114. قيس بن ذريح: ديوان قيس بن ذريح، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط2، سنة 1425هـ- 2004م.

115. كعب بن زهير: الديوان، شرحه وضبطه نصوصه وقدم له: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، (دط)، (دت).
116. المتنبي أبو الطيب: ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (دط)، 1983م.
117. النابغة الجعدي: ديوان النابغة الجعدي، تح: واضح الصمد، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1998م.
118. هذبة بن الخشرم: ديوان هذبة بن الخشرم، تحقيق: يحي الجبوري، دار القلم، الكويت، ط 2، 1986م.

## ثانيا/ قائمة المراجع العربية

### 1- قائمة المراجع العربية

119. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، دار نهضة مصر للنشر، مصر، ط2، 1950.
120. إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، دار القلم، بيروت، لبنان، ط4، 1972.
121. إبراهيم عبد الجواد: الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، الجامعة الأردنية، الأردن، (دط)، 1982.
122. ابن يعيش موقف الدين يعيش بن علي: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت (د ط)، (د ت).
123. أبو القاسم محمد بن الغفور الكلاعي: إحكام صنعة الكلام، تح: محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، (دط)، 1966.
124. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج8، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1998.
125. أحمد الشايب: الأسلوب- دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8، 1991.
126. أحمد أمين إبراهيم الطباخ: النقد الأدبي، ج1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (دط)، 2012.
127. أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، (دط)، 1999م.
128. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 1997.
129. أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، ط3، 2012.
130. أحمد مطلوب: فنون بلاغية، الناشر: دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1395هـ، 1975م.
131. أحمد يونس عبد العال: في النثر العربي قضايا وفنون ونصوص، الشركة المصرية للنشر، لوجمان، مصر، ط1، 1996م.
132. الألباني محمد ناصر الدين: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، بيروت، (ط1)، 1979.
133. الألباني محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 1412 هـ / 1992 م.
134. الألباني محمد ناصر الدين: صحيح الترغيب، مكتبة المعارف، القاهرة، ط1، 2000م.
135. الألباني محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، المكتب الإسلامي، بيروت، 1988م.
136. الألباني محمد ناصر الدين: ضعيف الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1988م.
137. إميل بديع يعقوب: موسوعة النحو والصرف والإعراب، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1986.
138. أنور المرتجي: سيميائية النص الأدبي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (دط)، 1987.
139. إيمان محمد أمين حضر الكيلاني: بدر شاكر السياب، دراسة أسلوبية لشعره، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008.
140. البديري ابو البقاء عبد الله: نزهة الأنام في محاسن الشام | منتزه البهنسية والنيريين، دار الرائد العربي، لبنان، ط1، 1980م.
141. بدوي طبانة: السرقات الأدبية، دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها، نهضة مصر، القاهرة، (د ط)، (دت).
142. بشير تاوريرت: محاضرات في مقياس النقد الحديث والمعاصر، منشورات جامعة بسكرة، 2003-2004.
143. تمام حسان: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993.
144. ثويني حميد آدم: البلاغة العربية، المفهوم والتطبيق، دار المناهج للتوزيع والنشر، عمان، ط1، 2007.
145. جمال مباركي: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، منشورات رابطة إبداع، دار هومة، الجزائر، (دط)، 2001.
146. جميل حمداوي: اتجاهات الأسلوبية، إصدارات دار لألوكة للنشر، شبكة الألوكة، ط1، 2015م.

147. حسين تروش: محاضرات مقياس علم الأسلوب، نظرية وتطبيق، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، الجزائر، 2015-2016.
148. حمد خلف الله أحمد: في الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (دط)، 1947.
149. حمد عبد الله العوين: المقالة في الأدب السعودي الحديث، مطابع الشرق الأوسط، الرياض، (ط1)، 1992م.
150. الحمد غانم قنوري: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مطبعة خلود، بغداد، ط1، 1986.
151. حمزة أحمد الزين: الصحيحة (موسوعة الألباني الصحيحة)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (د ط)، 2013م.
152. خديجة الحديثي: معاني أبنية الصّرف في كتاب سيبويه، منشورات مكتبة النهضة، بغداد- العراق، ط1، 1995.
153. خليل أحمد عاميرة: نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، عالم المعرفة للنشر، ط1، 1984.
154. رابع يوحوش: اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، (د ط)، 2006م.
155. ريمون طحان: الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981.
156. السامرائي إبراهيم عبود: المصطلحات الصوتية بين القدماء والمحدثين، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، (د ط)، 2011.
157. السامرائي فاضل صالح: التعبير القرآني، دار ابن كثير، دمشق و بيروت، ط3، 2018.
158. السامرائي فاضل صالح: الصّرف العربي، أحكام ومعان، دار ابن كثير، دمشق/ بيروت، ط1، 2013.
159. السامرائي فاضل صالح: معاني الأبنية في العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2005.
160. سعد عبد الرحيم أحمد: التشبيه في الحديث الشريف- دراسة في متن صحيح البخاري، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011م.
161. سلطان محمد: البلاغة العربية في فنونها (البدع والبيان)، دار العصماء، دمشق، ط1، 2005.
162. سناء حميد البياتي: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2003.
163. سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، 2004.
164. سيد كسروي حسن: موسوعة آثار الصحابة، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط)، 1997.
165. شكري محمد عياد: مبادئ علم الأسلوب العربي، مطبعة انترناشيونال، باريس، ط1، 1988م.
166. شوقي ضيف: الأدب في موكب الحضارة، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط5، سنة1968.
167. صالح الشاعر عبد العظيم: حركة النحو والدلالة في النص الشعري، مصر، دار الحكمة، ط1، 2013م.
168. صبحي البستاني: الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1982م.
169. صفى الدين الحلي: شرح الكافية البيعية في علوم البلاغة، تح: نسيب نشاوي، مجمع اللغة العربية، (دط)، 1982.
170. صلاح فضل: علم الأسلوب - مبادئه وإجراءاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1985.
171. عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ج1، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط2، 1980.
172. عباس حسن: النحو الوافي، ج3، ج4، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1980م.
173. عبد الجليل مرتاض: البنية اللسانية في رسالة الضب للبشير الإبراهيمي، دار هومة، الجزائر، (دط)، 2014.
174. عبد الجليل مرتاض: التناص، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)، 2011.
175. عبد الرحمن تيرماسين: البنية الإيقاعية للقصيد المعاصرة في الجزائر، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003.
176. عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط5، 2006.
177. عبد العزيز الصبغ: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر المعاصر (بيروت)، دار الفكر، (دمشق)، ط1، 2000م.
178. عبد العزيز بن باز: مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز، تح: محمد بن سعد الشويرع، دار القاسم للنشر، الرياض، 1420هـ.
179. عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1976.
180. عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية- علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د ط، 1982م.
181. عبد العزيز عتيق: في النقد الأدبي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط2، (1979).
182. عبد الفتاح لاشين: الخصومات النقدية في صنعة أبي تمام، دار المعارف، القاهرة. (د ط)، 1982.
183. عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1998.
184. عبد الكريم الرحيوي: جماليات الأسلوب في الشعر الجاهلي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014.
185. عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1993م.
186. عبد الله ابن المعتز: كتاب في البديع، شرحه وحققه عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 2012م.
187. عبد الله الركيبي: تطوّر النثر الجزائري الحديث 1830 - 1974، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دط)، 1983.
188. عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط3، 1989.
189. عبد الله العكبري البغدادي: شرح ديوان المتنبّي، ج1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1998.

190. عبد المتعال الصّعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، المجلد 4، مكتبة الآداب، ط 17، 1426هـ-2005م.
191. عبد الملك بومنجل: النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة، العلمة (الجزائر)، ط1، 2009.
192. عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)، 1983.
193. عبد الملك مرتاض: محمّد البشير الإبراهيمي أمير البيان؛ كرائم اللّغة وفصاحة اللّسان، مجلّة جذور، السّعودية، العدد23، مارس2006.
194. عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (دط)، 1983.
195. عدنان بن ذريل: اللّغة والأسلوب، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، سنة1980.
196. عدنان رضا التّحوّي: الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم في الإسلام، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1999.
197. عزّ الدين إسماعيل: التّفسير النّفسيّ للأدب، دار العودة، بيروت، (د ط )، 1981م.
198. عليّ البطل: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دراسة في أصولها وتطورها، دار الأندلس، بيروت، ط3، 1983.
199. عليّ الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، دار المعارف، مصر، (د ط)، 1999.
200. عليّ محمّد الصّلابي: كفاح الشّعب الجزائريّ، دار المعرفة، بيروت- لبنان- ط1، 2017.
201. فايز عبد النّبيّ فلاح القيسيّ: أدب الرّسائل في الأندلس في ق 5، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1989م.
202. فهد ناصر عاشور: التّكرار في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 2004.
203. قاسم محمّد عبّاس: الأعمال الكاملة، مكتبة الإسكندرية، مصر، ط1، مارس 2002.
204. لطفي عبد البديع: التّركيب اللّغويّ للأدب، بحث في فلسفة اللّغة والاستطيقا، دار المريخ للنشر - الرياض، (دط)، 1989م.
205. ماهر شعبان عبد الباري: التّنوّق الأدبي، دار الفكر، عمّان، ط3، 2011.
206. محمّد الشّعران: علم اللّغة، مقدّمة للقارئ العربيّ، دار الكتب المصريّة، القاهرة، (دط)، 1992.
207. محمّد اللّويمي: في الأسلوب والأسلوبية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، ط1، 1426هـ-2005م.
208. محمّد الهادي الطرابلسيّ: تحاليل أسلوبية، عالم الجنوب للنشر، تونس، (د ط)، 1992م.
209. محمّد الهادي الطرابلسيّ: خصائص الأسلوب في الشّوقيات، المطبعة الرسمية للجامعة التونسية، تونس، ط1، 1981.
210. محمّد بن أحمد بن إسماعيل المقدّم: علوّ الهمة، دار الإيمان - الإسكندرية، (دط)، 2004.
211. محمّد بن صالح العثيمين: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، ج3، تحقيق وتعليق: صبحي بن محمّد رمضان، وأمّ إسراء بنت عرفة بيومي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، (1427 هـ - 2006 م).
212. محمّد حسن شرّاب: شرح الشّواهد الشّعريّة في أمّات الكتب النّحويّة، ج 1، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط1، 2007.
213. محمّد سيّد طنطاوي: التّفسير الوسيط، المجلّد ج4، ج6، ج 12، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط1، 1998.
214. محمّد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان مصر، (ط1)، 1994م.
215. محمّد عبد المطلب: بناء الأسلوب في شعر الحداثة- التكوين البيديعي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1995.
216. محمّد عزّام: الأسلوبية منهاجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط1، 1989.
217. محمّد عمّار الأبيض: السّجع في القرآن بين النّفي والإثبات، دار الكتب الوطنيّة، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004.
218. محمّد عتّاني: المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط2، 1997.
219. محمّد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (دط)، 1979، و دار العودة . بيروت، 1997م.
220. محمّد كريم الكوّاز: علم الأسلوبية، مفاهيم وتطبيقات، منشورات جامعة السابع من أفريل، الزاوية، ليبيا، ط1، 1997.
221. محمّد محمّد داوود: العربية وعلم اللّغة الحديث، دار غريب، القاهرة، (دط)، 2001م.
222. محمد محي الدين عبد الحميد: منتهى الأرب بتحقيق شرح شذوذ الذهب دار الطلائع، القاهرة، (دط)، (2004).
223. محمّد مندور: في الميزان الجديد، مؤسسة هنداوي، مصر، (د.ط)، (2020).
224. محمّد مهداوي: البشير الإبراهيمي، نضاله وأدبه، دار الفكر، دمشق(سوريا)، ط1، 1988.
225. محمود السيّد شيخون: الاستعارة وتطورها، دار الهداية للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1994.
226. محمود عكاشة: التّحليل اللّغويّ في ضوء علم الدّلالة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط2، سنة2011.

227. مختار عطية: التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، دار الوفاء لندنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، (ط1)، (2005).
228. مختار عطية: علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلمات السبع - دراسة بلاغية - دار الوفاء للنشر والتوزيع، الإسكندرية، (دط)، 2004.
229. المشوق في الأدب والنصوص: وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 2009.
230. مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، (ط9)، 1393هـ - 1973.
231. مصطفى غلابيني: جامع الدروس العربية، ج1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط23، 1991.
232. مطلوب أحمد البصر كامل حسن: البلاغة والتطبيق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجمهورية العراقية، ط1، 1982.
233. منذر عطا عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار المحبة/ دار الأمة، دمشق، ط3، 2009.
234. منير سلطان: بلاغة الكلمة والجملة والجمال، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط1، 1988.
235. موسى سامح ربابعة: الأسلوبية مناهجها وتجلياتها، جامعة الكويت، دار الكندي، ط1، 2003.
236. موسى سامح ربابعة: التناسق في نماذج الشعر العربي، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، الأردن، ط1، 2000.
237. نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، مطبعة دار التضامن، بغداد، ط3، 1965.
238. ناهد الخراشي: الآليات كوتشنج (life coaching) - فن إدارة الحياة، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، ط1، 2020.
239. نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1 و2، مطبعة دار هومة، الجزائر (دط)، 2010.
240. هلا السعيد: نظرة متعمقة في علم الأصوات، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 2015.
241. يحيى بن مخلوف: التناسق، مقارنة معرفية في ماهيته وأنواعه و أنماطه، دار قانة، باتنة، الجزائر، (دط)، 2008.
242. يوسف أبو العدوس: الأسلوبية، الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للطباعة والنشر، الأردن، عمان، ط4، سنة 2016.
243. يوسف أبو العدوس: البلاغة والأسلوبية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان/ بيروت، ط1، 1999.
244. يوسف أبو العدوس: التشبيه والاستعارة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007م.
245. يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007.
246. يوسف اليوسف: مقالات في الشعر الجاهلي، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1983.
247. يوسف وعليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2007.

## 2- المراجع المترجمة الى العربية

248. برتيل مالبرج: علم الأصوات، ترجمة ودراسة: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، (دط)، 1984.
249. بيار جيرو: الأسلوب والأسلوبية، ترجمة وتحقيق: منذر عطا عياشي، مركز الإنماء القومي، دمشق، دط، 1985م.
250. جوليا كرسنيفا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال، المغرب، (دط)، سنة: 1991م.
251. جيرفيس مندوزي: الأسلوب والأسلوبية: المنهجيات الأسلوبية للنص التحريري أو الشفوي، ترجمة حسيب إلياس حديد، صحيفة المثقف (<https://www.almothaqaf.com>).

## 3- المراجع الاجنبية

252. Buffon: Discourse sur le Style, Librairie Haiter, Paris 1920.
253. Michael Tilmouth, Repeat, The New Grove Dictionary of Music and Musicians(London1980)
254. Tzvetan Todorov: Catégories du récit littéraire, in communications n°08, seuil -

#### 4- المجلات والدوريات والجزائر

255. أنور أبو سويلم: الإيقاع في شعر الفيتوري، جريدة حيدر آباد، الهند، 2008.
256. بديعة خليل الهاشمي: بين البلاغة واللسانيات، جذور منهج الأسلوبية في البيان العربي، مجلة الزاقد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، العدد: 184، ديسمبر 2012م.
257. جليخي بلقاسم: الترابط المفهومي في رسائل محمد البشير الإبراهيمي، دراسة لآلية السياق ونظرية الأفعال الكلامية، مجلة تنوير، العدد الأول، جامعة زيان عاشور، الجلفة-الجزائر، 2018.
258. حمادي صمود: المناهج اللغوية في دراسة الظاهرة الأدبية، مجلة أقلام، تونس. العدد7، يوليو 1979.
259. سعد أبو الرضا: النقد الأدبي الحديث- أسسه الجمالية ومناهجه المعاصرة، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد 15، ع58، حزيران، 2008.
260. سلاف بوحراشي: التناص وتجليات الأسلوب في رسائل الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الآداب و الحضارة الإسلامية، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة-الجزائر، 2016.
261. السنجلوي إبراهيم: دلالة التضمن في خواتم قصائد أبي نواس، مجلة جامعة دمشق، العدد: 11، 1988.
262. شربل داغر: التناص سبيلا، مجلة فصول، المجموعة: 6، العدد الأول، القاهرة، سنة 1997.
263. شكري فيصل: قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة- الجزائر، السنة15، العدد87، مايو- يونيو 1985م.
264. شكري فيصل: قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة - الجزائر، السنة15، العدد87، مايو- يونيو 1985م.
265. فاروق شوشة: قصيدة " عفراء " لعروة بن حزام، مجلة العربي، الكويت، العدد638، 2012، ص: 172.
266. محمد البادي: التجريب وانهيار التوابت، مجلة الآداب، بيروت - لبنان، العدد5، حزيران، 1997.
267. محمد حسين عبد الله المهدي: نظرة في الأسلوب والأسلوبية- محاولة في التنظير لمنهج أسلوبي عربي- مجلة أهل البيت، جامعة كربلاء، العراق، العدد2، 2005م.
268. محمد كشاش: كتب الغرب، بين حقيقة معنى (الغريب) وواقع التأليف، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العددان 71 - 72، السنة 18 - تموز 'يوليو' 1998م.
269. نصر الدين بن زروق: الأسلوب في التراث العربي والدراسات الحديثة، حوليات جامعة الجزائر، العدد 22، 5جويلية 2012.

#### 5- الرسائل الجامعية (الأطاريح)

270. أحلام بالولي: بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي، رسالة ماجستير، إشراف: سالم سعدون، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة - الجزائر، 2013- 2014م.
271. حرشاي جمال: الخصائص الأسلوبية في شعر الصعاليك، أطروحة دكتوراه، إشراف: بوقربة الشيخ، جامعة وهران، 2015-2016م.
272. حياة معاش: الأشكال الشعرية في ديوان الششتري- دراسة أسلوبية- أطروحة دكتوراه، إشراف: أحمد جاب الله، جامعة الحاج لخضر، باتنة- الجزائر، 2010 - 2011م.
273. رشا فخري النحال: فن الرسائل في العصر المملوكي- دراسة تحليلية- أطروحة ماجستير، إشراف: عبد الخالق محمد العف، الجامعة الإسلامية، غزة، 2013-2014م.
274. سفيان مطروش: استراتيجيات الخطاب عند الشيخ الإبراهيمي- مختارات من آثاره - مقارنة تداولية، أطروحة دكتوراه (ل م د)، إشراف: د: سليمان بن سمعون، جامعة غرداية، الجزائر، 2018-2019.
275. محمد أحمد غالب العامري: الصورة في الشعر العربي في اليمن حتى نهاية العصر العباسي، رسالة دكتوراه، إشراف: د. سنية أحمد الجبوري، جامعة المستنصرية- العراق، 2002.
276. نجاح مدلل: بناء الأسلوب في ديوان عولمة الحب.. عولمة النار، للشاعر عز الدين ميهوبي، رسالة ماجستير، إشراف: بلقاسم دقة، جامعة محمد خيضر، بسكرة- الجزائر، 2006- 2007م.

## 6- المعاجم والقواميس

277. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، (دط)، 1379 هـ/1960م، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، إستانبول، تركيا، ط2، 1989م.
277. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج4، ج5، ج12، ج15، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، (1419 هـ - 1999م).
278. أحمد العائدي وآخرون: المعجم العربي الأساسي (القاموس العربي)، لاروس، تونس، يونيو 1988 م.
279. أحمد مختار عمر وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب - القاهرة، ط1، 1429 هـ - 2008م.
280. بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة بيروت، بيروت، دط، 1977.
281. جبران مسعود: معجم الرائد، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، سنة 1992.
282. جَبْر عبد الثَّور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان، الطبعة الثانية، 1984.
283. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (دط)، 1971.
284. الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد: تَأْجُ اللَّغَةِ وَصِحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ (الصَّحاح)، ج1، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407 هـ 1987 .
285. زيدان عبد الفتاح قعدان: المعجم الإسلامي، ج1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 1999 م.
286. شاكر كسرائي: قاموس فارسي-عربي، دار العربية للموسوعات - بيروت - لبنان، (ط1)، 2014.
287. عبد الغني أبو العزم: معجم الغني الزاهر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2013م.
288. العسكري أبو هلال: معجم الفروق اللغوية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم (إيران)، (دط)، شوال 1412 هـ.
289. الفراهيدي الخليل بن أحمد: كتاب العين، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، (دط)، السنة 1424 هـ - 2003م.
290. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (دط) 1983.
291. مجدي وهبه و كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، منشورات: مكتبة لبنان، (دط)، 1984.
292. محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
293. محمد رؤاس قلعه جي و حامد صادق قنبيبي: معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (دط)، 1985 م
294. مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية للطباعة و النشر و التوزيع، الكويت، (دط)، 1965.
295. معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي
296. نشوان بن سعيد الحميري: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المحقق: حسين بن عبد الله العمري و مطهر بن علي الإيراني و يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ط1، 1420 هـ - 1999م.

## 7- المواقع الإلكترونية

297. أحمد توفيق المدني(www.elmadani.org).
298. جامعة علي لونيبي، البلدية 2 (https://elearning.univ-blida2.dz).
299. دنيا الوطن(https://pulpit.alwatanvoice.com).
300. شبكة الألوكة (https://www.alukah.net).
301. شبكة الإمام الأجرى (https://www.ajurry.com).
302. شبكة الإمام الأجرى (https://www.ajurry.com).
303. شبكة جامعة بابل (http://staff.uobabylon.edu.iq).
304. شبكة صوت العربية(voiceofarabic.net).
305. شبكة مزامير آل داود(https://www.mazameer.com).
306. مجلة القافلة الإلكترونية (@QafilahMagazine).
307. مدونة ناصر الشبحان(https://twitter.com/nasershehan).
308. المكتبة الجزائرية الشاملة، (http://fac-sciences-islamiques-ar.univ-batna.dz).

309. المكتبة الشاملة الحديثة (https://al-maktaba.org)
310. المكتبة الشاملة الحديثة ( https://al-maktaba.org )
311. منتديات أنصار محمد (www.ansar.com).
312. منتديات ستار تايمز ( http://www.alefyaa.com. )
313. مؤسسة هنداوي ( https://www.hindawi.org ).
314. الموسوعة التونسية المفتوحة (http://www.mawsouaa.tn).
315. الموسوعة الحرة ( ويكيبيديا )، ( https://ar.wikipedia.org ).
316. موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة ( https://www.shamela.ws ).
317. موقع ديوان العرب ( https://www.diwanalarab.com ).
318. موقع إسلام ويب ( https://www.islamweb.net/ar ).
319. الموقع الخاص بالأستاذ النايفة أحمد توفيق المدني ( www.elmadani.org ).
320. موقع سطور (https://sotor.com).
321. موقع "عريق" (https://areq.net).
322. موقع مكتبة النور ( https://www.noor-book.com ).
323. موقع مملكة ( https://mamlaka.net ).
324. موقع موضوع آخر ( mawdoo3.com ).
325. موقع نداء الإيمان ( www.al-eman.com ).
326. اليوم السابع (ww.youm7.comw).



فهرس  
المحتويات

الصفحة	المحتوى
	الإهداء
	شكر وعرافان
أ - ط	مُقَدِّمَة
12	المدخل فنّ التّرسلّ عند العرب: مفاهيم وأبعاد
13	أولاً / فنّ التّرسلّ: النّشأة، المفهوم والأنواع
13	1. مفهوم التّرسلّ
14	2. أنواع الرّسائل
19	ثانياً / العرب وفنّ التّرسلّ
19	1. طرق وأنواع التّرسلّ عند العرب
22	2. نماذج من رسائل العرب
24	3. فنّ التّرسلّ في الجزائر
26	ثالثاً / رسائل محمّد البشير الإبراهيميّ
26	1. أنواع الرّسائل عند الشّيخ الإبراهيميّ
29	2. موضوعات الرّسائل عند الشّيخ الإبراهيميّ
37	3. بناء الرّسالة عند الشّيخ الإبراهيميّ
40	4. القيمة الفنّيّة لرسائل الشّيخ الإبراهيميّ
45	الفصل الأوّل الأسلوب والأسلوبية: المفهوم - النّشأة - الاتّجاهات
47	أولاً / الأسلوب بين العرب والغرب
47	1. الأسلوب لغة واصطلاحاً
48	2. الأسلوب عند العرب
54	3. الأسلوب عند الغرب (الأوروبيين)
57	ثانياً / الأسلوبية بين العرب والغرب
57	1. مفهوم الأسلوبية
59	2. الأسلوبية بين الغرب والعرب: النّشأة والرّواد

70	3. اتّجاهات الأسلوبية في الدراسات المعاصرة
81	4. مداخل ومحدّدات التحليل الأسلوبيّ
87	<b>الفصل الثاني</b> <b>المستوى الصّوتيّ في رسائل الشيخ إبراهيميّ</b>
89	أولاً/ الإيقاع والأصوات في رسائل الشيخ إبراهيميّ
89	1. الإيقاع (rhythm): مفاهيم وتعريفات
103	2. تجلّيات الإيقاع في رسائل الشيخ إبراهيميّ
110	ثانياً/ التكرار في رسائل الشيخ إبراهيميّ
110	1. التكرار: مفاهيم وتعريفات
113	2. تجلّيات التكرار في رسائل الشيخ إبراهيميّ
130	ثالثاً/ الجناس في رسائل الشيخ إبراهيميّ
130	1. الجناس (التّجنيس): (Alliteration)
133	2. جماليات الجناس في رسائل الشيخ إبراهيميّ
145	<b>الفصل الثالث</b> <b>المستوى الصّرفيّ والمستوى التركيبيّ في رسائل الشيخ إبراهيميّ</b>
147	أولاً/ المستوى الصّرفيّ في رسائل الشيخ إبراهيميّ
147	أبنيّة المشتقّات في رسائل الشيخ إبراهيميّ
147	1. اسم الفاعل
155	2. اسم المفعول
159	3. الصفة المشبّهة
161	4. صيغ المبالغة
167	5. اسم التفضيل
172	ثانياً/ المستوى التركيبيّ في رسائل الشيخ إبراهيميّ
172	1. اللّغة في رسائل الشيخ إبراهيميّ
183	1. بنية الجمل في رسائل الشيخ إبراهيميّ
194	2. الأساليب في رسائل الشيخ إبراهيميّ
194	<b>1- الأسلوب الخبري في رسائل الشيخ إبراهيميّ</b>

204	2- الأسلوب الإنشائي في رسائل الشيخ إبراهيمي
204	1-2 الأساليب الإنشائية الطلبيّة في رسائل الشيخ إبراهيمي
221	2-2 الأساليب الإنشائية غير الطلبيّة في رسائل الشيخ إبراهيمي
229	3- التّقديم والتأخير في رسائل الشيخ إبراهيمي
238	الفصل الرّابع المستوى البلاغيّ في رسائل الشيخ إبراهيمي
240	أولاً/ السّمات التّصويريّة في رسائل الشيخ إبراهيمي
241	1. التّشبيه في رسائل الشيخ إبراهيمي
256	2. الاستعارة في رسائل الشيخ إبراهيمي
264	3. الكناية في رسائل الشيخ إبراهيمي
274	4. المجاز في رسائل الشيخ إبراهيمي
278	5. التّناس في رسائل الشيخ إبراهيمي
305	ثانياً/ السّمات البديعيّة في رسائل الشيخ إبراهيمي
305	1. السّجع في رسائل الشيخ إبراهيمي
319	2. الطّباق والمقابلة في رسائل الشيخ إبراهيمي
344	3. الموازنة في رسائل الشيخ إبراهيمي
348	ثالثاً: سحر البيان وفرادة أسلوب الشيخ إبراهيمي
356	الخاتمة
361	ملحق: نماذج من رسائل الشيخ إبراهيمي المرسلّة
422	ملحق الأعلام
433	ثبت المصادر و المراجع
445	فهرس المحتويات
448	ملخص البحث

# ملخص البحث

## ملخص البحث

ظلت شخصية محمد البشير الإبراهيمي وما تزال هي الأبرز علميًا وأدبيًا؛ لتميزه بقدرة فائقة في التأليف في شتى القوالب الأدبية، وصناعة لغة عربية راقية، تنبئ عن ملكة موسوعية نادرة، شهد لها الكثيرون داخل الجزائر وخارجها. و بحثنا هذا الموسوم بـ "رسائل محمد البشير الإبراهيمي- دراسة أسلوبية فنية- " أردناه أن يكون لبنة أخرى لتسليط الضوء على جزء من إبداع الرجل متمثلاً في رسائله المتنوعة، كان قد بعث بها إلى شخصيات علمية وأدبية بارزة، وهيئات علمية، ومسؤولين سامين في أقطار عدة. وهي رسائل تكشف عن بيان أخاذ، ولغة ساحرة، وأسلوب بليغ. كان فيها موضحاً، أو راداً، أو ناصحاً، أو محذراً، أو مؤيداً، أو مؤانسا، أو مدافعاً، أو مناقشاً، أو معزياً، أو مداعباً...

ولعل أهم التساؤلات التي تشكل ماهية بحثنا يمكن تلخيصها فيما يلي:

ماسر قوة شخصية العلامة الإبراهيمي الأدبية والبيانية والأسلوبية؟ وما هي العوامل الموضوعية التي حققت له ذلك؟ و ما أهم الرسائل التي تركها؟ وما أنواعها؟ وإلى أي حد يمكن أن تتقاطع الأسلوبية الغربية مع الأسلوب العربي في دراسة موروث عربي أصيل استمد روحه من القرآن الكريم، ومن التراث المتجدد في التاريخ؟ وقد تبنى الباحث المنهج الأسلوبي والفني لبلوغ القصد من الدراسة. حيث تناولها من خلال مقدمة مركزة، جمع فيها ملامح البحث بشكل عام، ومدخل تضمن التعريف بفرن الترس عبر العصور، وفرن الرسائل في الجزائر، وأشهر كتابها، مع تخصيص حيز للتعريف برسائل الإبراهيمي وأنواعها ومواضيعها ومنهجية بنائها، ثم خاض الباحث التفصيل في البحث عبر أربعة فصول:

- تطرق في الفصل الأول إلى الأسلوب وما يتعلق به، والأسلوبية وأهم اتجاهاتها، وأبرز روادها عند العرب والغرب.
- كما تطرق في الفصل الثاني إلى المستوى الصوتي الإيقاعي في رسائل الإبراهيمي، من خلال دراسة الإيقاع والتكرار والجناس.
- بينا الفصل الثالث أفرده الباحث لدراسة المستويين الصرفي والتركيب، وقد تناول في الشق الأول منها أبنية المشتقات في تلك الرسائل، أما الشق الثاني فتناول لغتها، وبنية الجمل فيها، وأساليبها.
- أما الفصل الرابع والأخير فعالج فيه الباحث المستوى البياني في ثلاثة محاور، خص الأول منها لبحث ودراسة السمات التصويرية من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز وتناص... بينما خص الثاني لدراسة السمات الإيقاعية من سجع وطباق ومقابلة وموازنة، خاتماً هذا الفصل بمحور أجاب فيه عن السؤال المتعلق بسحر بيان الإبراهيمي، وفرادة أسلوبه المستميز.

وقد ذيل الباحث هذا البحث بخاتمة استخلصت أهم ما أفضى إليه البحث من نتائج. كما أتبعها بملاحق أدرج فيه بعضاً من رسائل الإبراهيمي المكتوبة والمخطوطة.

## Summary:

Muhammad al-Bashir al-Brahimi's personality remained, and till now, the most prominent and dominant scientifically and literary one which makes him distinguished in terms of writing in different literary types, kinds and forms, in addition to designing a sophisticated Arabic language that predicts for a rare encyclopedic intellectual faculty which is witnessed by lots of people in and outside Algeria.

Our entitled research "*Muhammad al-Bashir al-Brahimi –artistic stylistic study-*" is meant to shed light on a part of the man's creativity which is represented in his various letters that have been sent to well-known scientific and literary figures and international bodies

As well as high responsible in many countries. These letters are of a fantastic rhetoric, attractive language and eloquent style where he was replying clarifying, advising, warning supporting, sympathizing, defending, discussing, comforting, or caressing.

The most important questions that shape the nature our research could be summed are as follows:

What is the secret behind al-Brahimi's strong, literary and stylistic personality? And what are the objective factors that helped him achieved that position? What are the most important letters that he had left? and what are the kind of letters he left? To what extent could the western stylistic get across with the Arabic style in studying an original Arabic heritage which get its spirit from the Holly Koran and from the rooted heritage in history?

The researcher adopted an artistic and stylistic methodology to get the targeted objective of the study which is taken up through a well concentrated introduction where he gathered the research features in general and an entrance included the definition of the art of messaging along the eras and the art of writing letters in Algeria as well as the most writers. A part for defining Al-I Brahimi's letters is assigned as well as their kinds and writers and the the method of their construction. Then, the writer engaged in providing details about the research in four section:

In the first section, he conducted he styles and what is going around, the stylistic and its most important trends and its Arabic and western pioneers.

In the second section, he talked about the acoustic and rhythmic level in Al-I Brahimi's letters through studying the rhythm, repetition and alliteration.

Whereas, in the third section was set for studying the morphological and syntactic levels as he dealt in their first part with the structure of the derivatives in those letters, however the second part dealt with their language, the structure of the sentences and their styles.

In the fourth which is the last section, the researcher treated the rhetoric level in three axes. The first was for searching and studying the rhetoric figures as the simile, the metaphor the trope, the metonymy and intertextuality... However, the second part was set for the acoustic figures as assonance, Antithesis, and other figure speech, ending this Section, he answered the question about al-Brahimi's magic figure of speech and his differentiated continuous style.

The researcher ended this research with a conclusion summed up the most important areas the research conducted as results as he followed the appendix where he included some of al-Brahimi's written and manuscript letters.

## Résumé

Mohamed El Bachir El Ibrahimi demeure (en Algérie) la personnalité la plus brillante dans les domaines scientifique et littéraire. Cette distinction vient de sa capacité extraordinaire d'écrire dans les divers genres littéraires et celle d'élaborer une langue arabe subtile et raffinée. Ce qui renvoie à une rare faculté encyclopédique attestée aussi bien en Algérie qu'à l'étranger.

Notre thèse intitulée " Les lettres de Mohamed El Bachir El Ibrahimi, étude stylistique et esthétique ", nous l'avons voulue un apport et une contribution pour porter la lumière sur une partie de la création et l'originalité de cet homme illustre, à savoir ses diverses correspondances, dont nous avons eu des copies, avec des personnalités scientifiques et littéraires, des organismes internationaux et de hauts responsables dans beaucoup de pays. Des lettres, qui révèlent une rhétorique captivante, une langue envoûtante et un style éloquent, où sa tâche variait selon les circonstances ; on le voyait alors tantôt expliquer, répliquer et conseiller, tantôt mettre en garde, supporter et plaisanter et parfois discuter ou consoler...

Les principales interrogations qui constituent l'essentiel de notre recherche, peuvent se résumer comme suit :

Quel est son secret et où réside sa force littéraire, énonciative et stylistique ? Quels sont les facteurs qui lui ont assuré cette force ? Les lettres les plus importantes qu'il a léguées à la postérité ? Leurs catégories ? A quel point peuvent concourir la stylistique occidentale avec le style arabe original puisant son essence du Saint Coran et du patrimoine ancré dans l'histoire littéraire arabe ?

J'ai adopté la méthode esthétique et stylistique pour venir à bout de cette recherche. J'ai commencé par **une introduction** dans laquelle ont été concentrés d'une manière générale tous les aspects de ce travail. Puis je suis passé à **un préambule** comportant un aperçu sur l'art épistolaire à travers l'histoire, avec ses principaux représentants en Algérie, en terminant ce préambule par la description des lettres d'El Ibrahimi, ses genres, ses thèmes et sa méthodologie d'élaboration.

Le développement du travail de recherche s'articule sur quatre chapitres :

- Dans **le premier chapitre** ont été traités le style, la stylistique et ses principaux courants et ses précurseurs les plus illustres chez les arabes et en occident.

- Dans **le deuxième chapitre** ont été abordés l'aspect phonétique et intonatif dans les lettres d'El Ibrahimi à travers l'étude du rythme, la répétition, l'homonymie et l'allitération.

- **Le troisième chapitre**, qu'on a voulu en deux parties, a été réservé à l'étude des niveaux : morphologique et structural. L'étude des structures des dérivées dans les lettres d'El Ibrahimi a été le sujet de la première partie de ce chapitre et dans la seconde, la structure de la phrase et les différents styles de ces lettres.

- **Le quatrième et dernier chapitre**, le traitement du niveau rhétorique se présente sous trois volets. Dans le premier comporte l'étude des caractéristiques descriptives telle que la comparaison, l'allégorie, la métonymie, la métaphore et l'intertextualité... Dans le deuxième volet ont été traitées les caractéristiques rythmiques telles que l'assonance, l'antithèse et l'opposition. Dans le dernier volet, j'ai apporté la réponse à la question relative à la splendeur de l'éloquence d'El Ibrahimi et à la singularité de son style particulier.

**L'épilogue** comprend les principaux résultats de ma recherche. Il est suivi **d'une annexe** contenant quelques spécimens de lettres d'El Ibrahimi, publiées et manuscrites.

تم بحمد الله

مع تحياتي الخالصة...الباحث